الشافي

في

العقائد والأخلاق والأحكام

«تلخيص الكتب الأربعة»

الجزء الأول

للمحدث الكبير والحكيم الفقيه

المولى محمد محسن الفيض الكاشاني

(١٠٠٧ - ١٠٩١هـ)

تحقيق وتصحيح

مهدي الأنصاري القمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الشافي

في

العقائد والأخلاق والأحكام

للفقيه والمحدّث الكبير

المولىٰ محمّد محسن الفيض الكاشاني

(م ١٠٩١ هـ)

الجزء الأوّل

تحقيق و تصحيح

مهدي الأنصاري القمي

دار اللوح المحفوظ

فیض کاشانی، محمدبن شاه مرتضی، ۱۰۰۶ - ۱۰۹۱ق.
الشافی فی العقائد و الاخلاق و الاحکام/ محمد محسن الفیض الکاشانی؛ تحقیق و تصحیح مهدی الانصاری القمی. - تهران: لوح محفوظ، ۱۳۸۲.
۲ ج.
ISBN - SET : 964 - 6770 - 94 - 0 : ۱۰۰۰۰۰ ریال (دوره)
ISBN: 964 - 6770 - 92 - 4 : (ج. ۱)
ISBN: 964 - 6770 - 53 - 2 : (ج. ۲)
فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
عربی.
کتابنامه به صورت زیرنویس.
۱. احادیث شیعه -- قرن ۱۰ ق. ۲. شیعه -- عقاید -- احادیث. ۳. احادیث اخلاقی. ۴. احادیث احکام. الف. انصاری قمی، مهدی، ۱۳۳۲ - ، محقق. ب. عنوان.
۲ش۹ف/ BP۱۳۴ ۲۹۷/۲۱۲
کتابخانه ملی ایران ۸۲-۲۹۳۵۶م

● الشافی فی العقائد و الاخلاق و الاحکام (جلد ۱)

المؤلف: المولی محمد محسن الفیض الکاشانی (ره)
تقدیم و تصحیح: مهدی الانصاری القمی
عدد المطبوع: ۱۱۰۰
الطبعة: الاولي
تاریخ الطبع: ۱۳۸۳ هـ.ش ۱۴۲۵ هـ.ق
صفحه و قطع: ۹۲۸ صفحه، وزیری
لیتوغراف: مدین
المطبعة: سرور
الناشر: دارنشر اللوح المحفوظ
ایران: تهران. شارع پامنار. فرع بنی‌هاشمي، رقم ۲۳. هاتف: ۳۹۰۳۳۷۲ ۹۸۲۱+ - ۱۱۹۶۲۸۰ ۹۸۹۱۲+
قم، شارع صفائیه، فرع ممتاز، رقم ۶۷، هاتف: ۷۷۴۰۶۴۸ ۹۸۲۵۱+
E-Mail: Lawh_mahfoz_pu @ hotmail.com

جمیع حقوق الطبع محفوظة

الثمن: ۱۰۰۰۰۰ ریال
شابک: ۴ - ۹۲ - ۶۷۷۰ - ۹۶۴ ISBN: 964 - 6770 - 92 - 4
شابک دوره: ۰ - ۹۴ - ۶۷۷۰ - ۹۶۴ ISBN - SET: 964 - 6770 - 94 - 0

الحمد للّه ربّ العالمين، و أفضل الصلاة و أتمّ التسليم على الحبيب المصطفى وآله الحماةالميامين.

و بعد، فانّ الحديث في إصطلاح المحدّثين والمتكلّمين عبارة عن قول المعصوم، أو فعله، أو تقريره لحكم أو موضوع شرعيّ، وفي هذا المفهوم يترادف الحديث والسنّة تقريباً، لأنّ السنّة أيضاً في اصطلاح المحدّثين والمتكلّمين عبارة عن الرؤية المستندة لأُصول الشريعة، مقابل البدعة التي هي رؤية مخالفة لأُصول الشريعة[1].

◁ حجيّة الحديث والسنّة

الحديث والسنّة في الحقيقة بيان وتفسير للقرآن وكلام الله، ومتمّم للقوانين والضوابط والحقائق الموجودة في القرآن، وهناك الكثير من الأدلّة من القرآن والسنّة والإجماع والعقل في حجّيتها. ونشير هنا فقط إلى الآيات والروايات الدالّة على حجيّة الحديث والسنّة.

هناك آيات تدعو المسلمين صراحة إلى الإيمان والطاعة والتسليم والتبعيّة المطلقة للنبيّ فقد قال تعالى: **﴿قل ان كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله ويغفر لكم**

---

١. النهاية لابن الأثير: مادّة بدع، الوجيزة للشيخ البهائي: ٢، مقباس الهداية للمامقاني ١:٥٧.

ذنوبكم ...»[١] و «يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً»[٢] وقال: «يا أيّها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزّل على رسوله ...»[٣]. وقال: «... فآمنوا بالله ورسوله النبيّ الأمّي ...»[٤] وقال: «ما أنزلنا عليك الكتاب إلّا لتبيّن لهم الذي اختلفوا فيه ...»[٥] وهي تتضمّن معنى أنّ بيان الآيات الإلهيّة وتفسيرها منوط به ﷺ. فإذا لم تكن أقوال النبيّ وأعماله وتقريراته ذات سندية وحجيّة فكيف يجعله الله مسؤولاً عن بيان القرآن وتفسيره ويوجب طاعته!

كما أنّ هناك آيات وروايات كثيرة حول حجيّة أقوال وأفعال وتقريرات المعصومين الآخرين عليهم السلام، نشير هنا إلى بعضها:

قال تعالى: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً»[٦] وقال: «فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون»[٧] ويصرّح أكثر المفسّرين بدلالتها على حجيّة أقوال وأفعال وتقارير أهل البيت عليهم السلام وقد وصفهم الله تعالى صراحة بأنّهم أهل الذكر الذين يستطيعون تفسير القرآن وتبيينه[٨].

ويدلّ حديث الثقلين (انّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما ان تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً) ـ الوارد في أكثر كتب الفريقين، والذي يقول ابن حجر: إنّ المقصود به أهل بيت النبيّ ﷺ[٩] ـ على حجيّة إجماع أهل البيت والأئمّة عليهم السلام.

---

١. آل عمران (٣): ٣١.
٢. النساء (٤): ٥٩.
٣. النساء (٤): ١٣٦.
٤. الأعراف (٧): ١٥٨.
٥. النحل (١٦): ٦٤.
٦. الأحزاب (٣٣): ٣٣.
٧. النحل (١٦): ٤٣.
٨. الميزان في تفسير القرآن ١: ٣٨٥.
٩. الصواعق المحرقة: ٨٩.

◁ الكتابة في الإسلام

الكتابة أهمّ وسيلة لتسجيل الأفكار والعلوم ونقل المعارف والأخبار. وفي الإسلام اعتبرت هذه الأداة من العوامل المهمّة في حفظ الحديث. أمّا في القرآن فقد أُشير إلى هذه الوسيلة العملية لنقل الثقافة والمعارف في آيات كثيرة بحيث تكرّر ذكر مادّة «كتب» ومشتقاتها ٣١٩ مرّة، منها قوله تعالى: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمّىً فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علّمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحقّ ... ولا تسئموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ... فليس عليكم ألّا تكتبوها ... ولا يضارّ كاتب ولا شهيد ...**﴾[١] الذي يحثّ المسلمين على الكتابة ويوصيهم بها. بل إنّ الله عزّوجلّ يقسم بالقلم والمداد والكتابة بقوله عزّ من قائل: ﴿**ن والقلم وما يسطرون**﴾[٢] ليبيّن أهميّتها في الإسلام.

ويصفها بأنّها نعمة كبرى حين يقول: ﴿**اقرأ وربّك الأكرم الذي علّم بالقلم**﴾[٣].

وفي الروايات موارد عديدة تفيد توصية المسلمين بالكتابة، منها رواية: أنّ النبيّ ﷺ أمر عبدالله بن عمر بتقييد العلم بالكتابة[٤] ويقول ابن سعد: إنّ الكتابة بلغت من الأهميّة بحيث جعلت فدية الأسرى في الإسلام تعليم الشباب من الأنصار والمسلمين الكتابة والقراءة[٥].

◁ تدوين الحديث في الإسلام

لا شكّ في أنّ تدوين الحديث لعب دوراً هامّاً في بسط المعرفة وتوسيع العلوم الإسلامية[٦]. لقد كانت بداية تدوين الحديث في زمن النبي ﷺ نفسه حين أمر الإمام عليّاً عليه السلام بكتابة ما كان يمليه عليه[٧]. واستمرّ نبيّ الإسلام في تأكيده وإصراره على الكتابة

---

١. البقرة (٢): ٢٨٢.
٢. القلم (٦٨): ١.
٣. العلق (٩٦): ٣، ٤.
٤. تقييد العلم، الخطيب البغدادي: ٦٩، ٧٤.
٥. الطبقات الكبرى ٢: ٢٢.
٦. منهج النقد في علوم الحديث: ٣٩ ـ ٤٠.
٧. الإمامة والتبصرة من الحيرة للصدوق: ١٨٢.

حتّى آخر لحظات حياته حين أمر بدواة وقلم ليكتب ما لن يضلّ الناس بعده، إذ قال ﷺ: «ادعوا لي الصحيفة والدواة أكتب كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً»[١]. وهذا في الحقيقة إذن عام لكتابة الحديث. فيتّضح من النماذج التي ذكرنا أنّ تدوين الحديث كان متداولاً في حياة النبيّ ﷺ.

◁ منع تدوين الحديث

كذلك يستنتج من بعض الروايات أنّ الهمس بمنع كتابة الأحاديث تصاعد في عهد النبيّ ﷺ أيضاً، فكان بعض الصحابة يمنع آخرين من كتابة الحديث، كما كانت قريش تمنع عبدالله بن عمر من تدوين أقوال النبيّ ﷺ. ولعلّ أبرز مثال لمنع كتابة أحاديث النبيّ ﷺ هو ما حدث عند وفاته ﷺ من جانب عمر بن الخطاب الذي منع جلب القلم والدواة للنبيّ ﷺ[٢]. أمّا أوّل من منع كتابة الحديث ونقله ونهى عنهما بعد وفاة النبيّ ﷺ فهو أبو بكر الذي قام بحرق خمسمائة حديث سمعها من رسول الله ﷺ وأمر الآخرين بأن يفعلوا مثل ذلك[٣].

بيد أنّ تدوين الحديث وكتابته استمرّا رغم كلّ هذا المنع والمحاولات بل وحتّى في زمن عمر بن الخطاب الذي أصرّ على حرق كتب الحديث وقام بسجن بعض رواة الحديث من أمثال ابن مسعود وأبي الدرداء وأبي مسعود الأنصاري لنقلهم الأحاديث[٤]. لكن ذلك لم يمنع الرواة والمحدّثين وصحابة النبيّ ﷺ العظام فواصلوا نقل الحديث لأنّهم كانوا يعتبرون منع تدوين الحديث من قبل أبي بكر وعمر وجماعة من الصحابة اجتهاداً مقابل النصّ الصريح للنبيّ ﷺ. وكانوا يرون الروايات التي تذرّع بها أبو بكر وعمر لمنع تدوين الحديث روايات ضعيفة ومردودة لأنّها كانت من اسرائيليات كعب الأحبار اليهودي وتميم الداري وأبي

---

١. صحيح البخاري ٤:٧، كنز العمال ٣:١٣٨، و ٤:٥٢.
٢. مسند أحمد بن حنبل ٢:١٦٢، مستدرك الحاكم ١:١٠٥.
٣. كنز العمال ١:١٧٤.
٤. تذكرة الحفّاظ ١:٧.

هريرة، ويبدو أنّ عمربن الخطّاب كان مطّلعاً على ما ورد في التلمود من عدم الكتابة[١] ومتأثّراً به.

لقد أوردوا أسباباً كثيرة لمنع تدوين الحديث لكنّها ردّت جميعاً من قبل الصحابة وعلماء الإسلام الكبار. ولعلّ أكبر سبب دفع بأبي بكر وعمر إلى منع الكتابة ونقل أحاديث النبيّ ﷺ هو منع انتشار الروايات والأخبار الخاصّة بفضائل عليّ عليه السلام وباقي المعصومين عليهم السلام، بل إنّ إصرار الخلفاء والحكّام واتّفاقهم على عدم رواية الحديث ونقله نقلاً شفهياً يؤيّد هذا الإدّعاء ويثبته. فقد كانوا يتعرّضون بأشدّ أنواع العقوبات والتعذيب لكلّ من يتصدّى لنقل مثل هذه الروايات شفاهاً، في حين أنّ وضع الأحاديث الكاذبة في مدح خلفاء الجور وحكّامه على لسان النبيّ ﷺ ونقلها لم يكن مباحاً فحسب، بل إنّه كان يتوسّع يوماً بعد يوم[٢].

◁ آثار منع تدوين الحديث

كان لمنع تدوين الحديث وكتابته نتائج مشؤومة للغاية للمجتمع الإسلامي وهي كما يأتي:

١. فقدان الكثير من الأحاديث النبويّة الصحيحة التي سمعت منه ﷺ مباشرة وأُثبتت.

٢. انتشار الأحاديث الموضوعة، خصوصاً في عهد معاوية[٣] الذي منع نشر فضائل عليّ وأهل البيت عليهم السلام ووضع أحاديث بحقّ معاوية وعمرو بن العاص[٤].

٣. إنتشار الإسرائيليات.

٤. تحريف الدين وظهور ثقافة معارضة للإسلام والقرآن.

٥. إختلاف آراء المسلمين في مسألة الفتوى وأُمور المسلمين الأُخرى.

---

١. تقييد العلم: ٥٢.

٢. تدوين السنّة الشريفة، المقدّمة.

٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٤٤ ـ ٤٦.

٤. الإختلاف في اللفظ لابن قتيبة: ٦٨.

٦. ظهور مذهب الرأي وانتشار القياس.

٧. عزل آل الرسول ﷺ وإبعادهم عن حقوقهم الإلهيّة وطمس آثار الأحاديث والفضائل بحقّهم[١].

◁ تدوين الحديث عند الشيعة

أشرنا فيما سبق أنّ كتابة الحديث وتدوينه بدأت في حياة رسول الله ﷺ. وقلنا إنّ النبيّ ﷺ أمر بنفسه عليّاً عليه السلام بأن يكتب كلّ ما يقوله ويمليه عليه، وكان من إملاءاته صحيفة النبيّ ﷺ التي كتبها عليّ عليه السلام وذكرت في مصادر السنّة باسم «صحيفة عليّ»[٢] وفي مصادر الشيعة باسم «كتاب عليّ» وقال عنها الإمام الحسن عليه السلام: «إنّ هذا الكتاب بإملاء النبيّ ﷺ وبخطّ عليّ عليه السلام وهو محفوظ عندنا[٣]».

وهكذا فإنّ الإمام عليّاً عليه السلام كان سبّاقاً إلى تدوين الحديث، وهو الذي كان يثبت كلمات رسول الله ﷺ وأحاديثه، وتبعه في ذلك شيعته وأتباعه وأصحابه، فانطلقوا يدوّنون الحديث والعلوم الأخرى حتّى اعتقد الكثير من المؤلّفين والباحثين والعلماء الإسلاميين بأنّ للشيعة حقّ التقدّم على من سواهم في تدوين أكثر العلوم الإسلامية، لأنّه لم يكن لغير عليّ عليه السلام وطلّاب العلم من الشيعة في القرن الأوّل الهجري الشجاعة لتحدّي المنع الذي فرضته أجهزة الخلافة على ضبط الأحاديث ونقلها والتصدّي لتدوين الحديث[٤]. على هذا فإنّ الشيعة هم أوّل من عكف على جمع وإثبات الكلمات والأحاديث والأخبار[٥].

◁ مسيرة تدوين الحديث

□ أ. بدأت المرحلة الأولى لتدوين الحديث لدى الشيعة من زمن النبيّ ﷺ. وأوّل من تناول هذا الأمر في هذه المرحلة أمير المؤمنين عليه السلام الذي عكف على تدوين

---

١. وقعة صفّين: ٣٥٤، شرح نهج البلاغة ١١: ٤٤.
٢. السنّة قبل التدوين، محمّد عجاج الخطيب: ٣١٧ ـ ٣٤٥.
٣. الإرشاد للمفيد: ٢٧٤.
٤. المراجعات: ٤١.
٥. تأسيس الشيعة: ٢٨٠.

الحديث وكتابته وتفسير القرآن وتأويله. وكان يقول: «ما من آية نزلت على رسول الله ﷺ إلّا وقرأها وأملاها عليّ فكتبتها بخطّ يدي، كما كان يعلّمني علم التأويل والتفسير والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه من الآيات[١]».

لقد دوّن عليه السلام آثاراً كثيرة في التفسير والحديث والفقه ومن بينها: تفسير القرآن، وهو أوّل كتاب مدوّن في الإسلام، ويبدو أنّه هو نفسه صحيفة عليّ عليه السلام المشتملة للعلوم القرآنية، والتي صنّف علوم القرآن فيها على ستّين صنفاً[٢]؛ وكتاب السنن والقضايا والأحكام المشتمل على أبواب الفقه المختلفة مثل الطهارة والصلاة والصوم والحجّ والزكاة والقضاء والحدود والديات والمعاملات وغيرها. وقد ذكر أكثر الرواة والمحدّثين والفقهاء هذا الكتاب، وسمّوه أحياناً بأسماء أبوابه[٣]، والجامعة، وهي صحيفة كبيرة طولها سبعون ذراعاً، ويعتقد البعض أنّها «صحيفة عليّ عليه السلام» بعينها[٤]. وخطب ورسائل وحكم جمعت وسمّيت فيما بعد بـ«نهج البلاغة».

لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام يقوم بكتابة الأحاديث وتدوينها بنفسه فحسب، بل إنّه كان يحثّ عليها ويرغّب إليها بشدّة أيضاً[٥] حتّى أنّه كان يبيّن لتلاميذه وكتّابه طريقة الكتابة وتجويدها[٦].

كان تلاميذ الإمام وأصحابه وخاصّته أمثال أبي رافع مولى رسول الله ﷺ وابنيه عبيدالله وعليّ من الأوائل في تدوين الحديث[٧]. فقد قام أبو رافع بتحرير كتاب السنن والأحكام والقضايا الذي تلقّاه من الإمام عليّ عليه السلام سماعاً[٨]. كما حرّر عبيدالله كتاباً

---

١. المناقب لابن شهر آشوب ٢:٤١، الإحتجاج للطبرسي ١:٢٢٨ و٣٨٣.
٢. المناقب ٢:٤١، الإحتجاج ١:٣٨٣، المراجعات: ٤١١.
٣. الذريعة ٢:١٥٩ ـ ١٦١.
٤. بصائر الدرجات: ١٤٥ ـ ١٤٦.
٥. تقييد العلم: ٨٩ ـ ٩٠.
٦. نهج البلاغة، صبحي الصالح، قسم الحكم، الحكمة: ٣١٥ ـ ٥٣٠.
٧. تأسيس الشيعة: ٢٨٠.
٨. رجال النجاشي ١:٦١ ـ ٦٤.

حول من كان مع عليّ عليه السلام في الجمل وصفّين والنهروان، واعتبره البعض أوّل رجال الكتابة الشيعة، وقد أفاد من كتابه هذا الشيخ الطوسي وابن عساكر وابن الأثير وابن حجر العسقلاني[١].

واعتبر سلمان الفارسي الذي كان من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله ومن خواصّ أميرالمؤمنين عليه السلام ثاني من صنّف كتباً في الإسلام بعد عليّ عليه السلام[٢]، أمّا أبو ذرّ الغفاري وهو من الصحابة ومن أصحاب عليّ عليه السلام فيعتبره الكثيرون ثالث من دوّن في الإسلام، وله خطبة في وصف الأحوال والحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو من أركان الشيعة الأربعة[٣]. ثمّ عبدالله بن عبّاس المفسّر والمحدّث الكبير ومن المخلصين للإمام عليه السلام الذي دوّن في صحيفة له قضاء الإمام عليّ عليه السلام وترك حين مات ما يعادل حمل بعير من الكتب[٤]. وقد أشار ابن النديم والنجاشي إلى مؤلّفاته في الحديث والتفسير وغيرها بالتفصيل. وبالرغم من أنّ معاوية منع ابن عبّاس من نقل الحديث وتدوينه إلّا انّه لم يستجب للمنع أبداً[٥].

كما قام بالتصنيف وتدوين العلوم والأحاديث عدد من أصحاب عليّ عليه السلام وتلاميذه وخواصّه من أمثال جابر بن عبدالله الأنصاري، والأصبغ بن نباتة، وسليم بن قيس العامري الهلالي، وميثم التمّار. وزيد بن وهب الجهني الكوفي، والحارث بن عبدالله الأعور الهمداني، وحجر بن عدي الكندي وآخرين.

أمّا الإمام الحسن عليه السلام والحسين والسجّاد عليهما السلام فلم تسنح لهم فرصة التفرّغ إلى نقل الأحاديث وتربية تلاميذهم وتدوين الحديث كما سنحت للإمام عليّ عليه السلام من قبل، وذلك بسبب مواجهاتهم المستمرّة لأجهزة السلطة أيّام معاوية ويزيد والخلفاء الأمويين، لأنّ السلطات كانت تحرمهم من فرصة استغلال مواقفهم الإجتماعية فكانت تفرّق الناس عنهم، ودأبت على عزل هؤلاء الأئمّة بشدّة، ومع ذلك لم يكفّوا عن

---

١. معالم العلماء: ٢، تأسيس الشيعة: ٢٤٢.
٢. التوحيد للصدوق: ١٨٢، ٢٨٦، ٣١٦، معالم العلماء: ٢.
٣. الفهرست للطوسي: ٤٥.
٤. طبقات ابن سعد ٥:٢١٦، تقييد العلم: ١٣٦.
٥. كتاب سليم بن قيس: ١٦٥.

ترغيب الناس وحثّهم على كتابة الحديث ونقله، فقد أوصى الحسين عليه السلام الناس في خطبته التي ألقاها عليهم بمكّة بكتابة الحديث.

وقال: «إسمعوا مقالتي واكتبوا قولي، ثمّ ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم فمن أمنتم من الناس ووثقتم به، فادعوهم إلى ما تعلمون من حقّنا فإنّي أتخوّف أن يدرس هذا الأمر ويذهب الحقّ ويغلب ﴿والله متمّ نوره ولو كره الكافرون﴾...»[١].

وحين وجد الإمام السجّاد عليه السلام المجتمع الإسلامي بعد واقعة كربلاء ضحيّة الخوف واليأس حتّى لم يجد من يعلّمه وينقل إليه علمه، لم يتوان عن أداء واجبه التربوي، بل ضمّن أدعيته مواضيع عميقة ومضامين قيّمة إلى الأُمّة الإسلامية عموماً والشيعة خصوصاً. لقد أبدع هذا الإمام بأدعيته ومناجاته في الصحيفة السجّادية ورسالة الحقوق ومناسك الحجّ والجامع في الفقه. رويت هذه المؤلّفات بواسطة الإمام محمّد الباقر عليه السلام وزيد الشهيد وأبي حمزة الثمالي[٢].

كما قام جماعة من أبناء الإمام السجّاد عليه السلام مثل الإمام الباقر عليه السلام، وزيد الشهيد، وعدد من خواصّه مثل ثابت بن دينار المعروف بأبي حمزة الثمالي، وسعيد بن جبير، وسعد الإسكاف، وسعد الخفّاف، ومالك بن عطيّة الأحمسي بتصنيف كتبٍ في التفسير والحديث[٣].

□ ب. المرحلة الثانية: بداية تدوين الحديث عند الشيعة من زمن الإمام الباقر عليه السلام وبلوغه الذروة في زمن الإمام الصادق عليه السلام ثمّ تتضاءل وتيرته بالتدريج في عهد الأئمّة التالين. لقد وافق زمن الإمام الباقر والصادق عليهما السلام عصر الصراع بين الأُمويين والعبّاسيين على الخلافة والسلطة، ممّا أتاح الفرصة لهذين الإمامين لفتح حلقات دراسية وندوات البحث والمناظرات. فقاموا بتعليم وتربية الكثير من التلاميذ، وعكفوا على نشر المعارف القرآنية ونقل الأحاديث وإشاعة الثقافة الإسلامية.

فبالإضافة إلى تصدّي الإمام الباقر عليه السلام شخصياً لكتابة وتدوين مؤلّفات مثل: تفسير

---

١. كتاب سليم بن قيس: ١٦٨، بحارالأنوار ٣٣:١٨٢.
٢. رجال النجاشي: ١١٦، تأسيس الشيعة: ٣٠، الذريعة ١٥:١٨ ـ ١٩.
٣. فهرست الطوسي: ٣٦، رجال النجاشي: ١٥١، الذريعة ٤:٢٥١.

القرآن ورسائل في الأحاديث، فقد دوّن تلاميذه من أمثال خالد بن أبي كريمة، وزرارة بن أعين، وسعد الإسكاف، وسلام بن أبي عمرة، ومسعدة بن صدقة، ونصر ابن مزاحم، وعمرو بن أبي المقدام وغيرهم تقريراته ورسائله المختلفة في علوم التفسير والحديث والكلام[١].

أمّا عصر الإمام الصادق عليه السلام والذي يعتبر بحقّ عصر نضج الفكر الشيعي ونموّ الإسلام المحمّدي الأصيل، وتفتّح الثقافة والحضارة الإسلامية، فقد كان فرصة ذهبية سنحت للشيعة وأتاحت لهم تدوين العلوم الإسلامية الأساسية بشكل منظّم ودقيق ومحسوب. لقد كان بيت الإمام الصادق عليه السلام بمثابة جامعة كبيرة تستقطب العلماء والمتعطّشين للعلوم وطلبة الحديث والتفسير والحكمة والكلام حتّى ضمّ مجلس درسه طبقات الناس وفئاتهم المختلفة. وكان من بين مَن تتلمذ على يديه رجال أصبح كلّ واحد منهم فيما بعد إماماً لفرقة أو مذهب في العالم الإسلامي، من بينهم مثلاً يحيى بن سعيد الأنصاري، وابن جريج، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري، وابن عيينة، وأبو حنيفة، وأيّوب السختياني وغيرهم. وقام كلّ واحد من هؤلاء بتأليف وتحرير الكثير من الكتب والرسائل. ويرى ابن أبي الحديد أنّ علوم مذاهب أهل السنّة الأربعة ومعارفها تنتهي إلى الإمام الصادق عليه السلام[٢].

كان عصر الإمام الصادق عليه السلام عصر ظهور الحركات العلمية والأنشطة الثقافية وتفجّر العلوم والفنون المختلفة، وقد بلغ عدد من كان يحضر حلقات درس الإمام عليه السلام ٤٠٠٠ تلميذ وطالب علم. من أجل ذلك اعتبر الإمام الصادق عليه السلام القائد الفكري لهذه الحركة العلمية والثقافية والدينية حتّى سمّي المعلّم الأوّل لهذه المرحلة[٣].

لقد صنّف هذا الإمام مؤلّفات كثيرة في العلوم الإسلامية وفنونها المختلفة، من بينها: الإهليلجة في التوحيد، والتوحيد في بيان صنع الله، والتوحيد الإلهي

١. فهرست الطوسي: ٣٦، رجال النجاشي: ١٥١، الذريعة ٤: ٢٥١.
٢. شرح نهج البلاغة: ١: ١٨١.
٣. دليل القضاء الشرعي ٣: ٨٥.

ورسالة الإمام إلى أصحابه، ورسالة في الغنائم، والجعفريات، ونثر الدرر، ووصيّة النبيّ ﷺ، والحجّ، ومناسك الحجّ، والرسائل التي أملاها على جابر بن حيّان والتي بلغت الخمسمائة.

أمّا تلاميذ الإمام الصادق ﷺ فقد كان لهم دور كبير في التأليف والتصنيف، و سنشير إلى شيءٍ من جهودهم العلمية فيما بعد.

أمّا الإمام الكاظم ﷺ فقد استأنف الحركة العلمية ونشر المعارف ما دام طليقاً يتمتع بالحرية فصنّف كتباً مثل: المسند، ورسالة في فصل الخطاب إلى هشام بن الحكم، ورسالة في التوحيد، ولكن سرعان ما استتبّ الحكم لبني العبّاس ولمّا كان العباسيون يرون في الإمام خطراً على سلطانهم وحكمهم فقد أخذوا يضايقونه و يحسبون عليه أنفاست حتى أودعوه السجن.

ثمّ قيّض لحركة التدوين أن تزدهر مرّة أُخرى، وذلك في عصر الإمام الرضا ﷺ. فقد أُثرت عنه مصنّفات عديدة منها: مسند الإمام الرضا ﷺ، والرسالة الذهبية، ومجالس الرضا مع أهل الأديان، وأمالي الإمام الرضا ﷺ برواية الفضل بن شاذان، وأمالي الإمام الرضا ﷺ برواية أبي الحسن عليّ بن عليّ الخزاعي أخي دعبل الخزاعي شاعر أهل البيت.

ولم يلبث أن كتب الركود مرّة أُخرى بشدّة على العلوم الشيعية وتدوين الحديث من عهد الإمام الجواد ﷺ حتّى زمن الإمام الحجّة عجل اللّه تعالى فرجه، لأنّ الأئمّة في هذه المرحلة كانوا تحت الرقابة الشديدة للسلطات الحاكمة، فلم يتسنّ لهم من الراحة والهدوء ما يتيح لهم الإتّصال بأصحابهم وأنصارهم وشيعتهم لنقل الأحاديث أو نشر العلوم إليهم. على أنّ هذه الفترة لم تمنع من ظهور بعض المصنّفات في التفسير والحديث والكلام وباقي المعارف الإسلامية على يد أصحاب الأئمة ﷺ، ولكنّها على أيّة حال كانت قليلة لو قيست بالفترة المتقدّمة.

أمّا الإمام المهدي (عج) فكان اتّصاله بشيعته أثناء غيبته الصغرى يجري عن طريق نوابه الأربعة حصراً، وكان يبعث برسائله وتوقيعاته إلى الشيعة عن طريق هؤلاء.

◁ الأصول الأربعمائة

الأصل إصطلاحاً عند محدّثي الشيعة عبارة عن مجموعة الأحاديث التي سمعها المؤلّف من المعصوم مباشرةً أو ممّن سمعها عنه، ولا يستند في كتابتها إلى أيّ كتاب أو مقال. أمّا الكتاب فيضمّ ما سمع من المعصوم مباشرةً وكذلك ما أخذ من الكتب الأُخرى، ويتّفق مع الاستدلال والاستنباط الشرعي العقلي[١].

إنّ تاريخ تأليف الكتب المعروفة بالأُصول غير معيّن بشكل واضح في كتب الرجال، كما انّه ليس واضحاً تاريخ وفاة مصنّفيها ومؤلّفيها، على أنّنا نعلم إجمالاً بأنّ هذه الأُصول لم تكتب قبل أمير المؤمنين عليه السلام وبعد الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

لهذا يعتقد البعض أنّ زمن إيجاد هذه الأُصول يمتدّ بين عصر الإمام عليّ عليه السلام حتّى الإمام العسكري عليه السلام[٢].

أثبت ابن شهر آشوب أنّ الإمامية كتبت أربعمائة أصل من عهد أمير المؤمنين عليه السلام حتّى عصر أبي محمّد العسكري عليه السلام[٣]. ويرى بعض من علماء الشيعة أنّ هذه الأُصول كتبت في زمن الإمام محمّد الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام والإمام الكاظم عليه السلام[٤]. أمّا الشهيد الأوّل والمحقّق الحلّي وجماعة من أكابر الشيعة فيعتقدون أنّ هذه الأُصول الأربعمائة صنّفها أربعمائة من تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام ألّفوها من أجوبته عليه السلام على مسائلهم[٥].

وهكذا يتبيّن أنّ هذه الأُصول الأربعمائة كتبها أصحاب الأئمّة عليهم السلام وأنصارهم وتلاميذهم، وهي قاعدة وأساس كتب الحديث والفقه والتفسير والكلام الشيعية. ولمّا كانت أُصولاً وعددها أربعمائة عرفت بالأُصول الأربعمائة. وقد ورد فهرست لها في فهرست الشيخ الطوسي ورجال النجاشي ومعالم العلماء والذريعة لآقا بزرك الطهراني وكشف الأستار.

---

١. مجمع الرجال للقهبائي ١: ٩، الفوائد الرجالية للوحيد البهبهاني: ٣٤.
٢. الذريعة ٢: ١٣٠.
٣. معالم العلماء: ١٣.
٤. الذريعة ٢: ١٣١.
٥. الذكرى: ٦، المعتبر: ٥.

كان للأُصول الأربعمائة منزلة مرموقة لدى علماء الشيعة وفقهائهم ومحدّثيهم بحيث إنّ ورود الحديث في أحدها دليل على اعتباره وأهميّته، إلّا أنّ هذا لا يعني انّ عدم وجود الحديث فيها دليل على عدم اعتباره وأهميّته، لأنّ الكثير من الأحاديث ورد في كتب الحديث الأُخرى التي ألّفها أصحاب الأئمّة عليهم السلام حتّى بلغ عدد هذه المؤلّفات ٦٦٠٠ بين كتاب ورسالة[1].

□ ج. المرحلة الثالثة: يبدأ فيها تدوين الحديث عند الشيعة من بدء الغيبة الكبرى حيث جرى جمع أحاديث الأئمّة وأقوالهم وتجميع وإعداد كتب ومؤلّفات الأئمّة وأصحابهم، ثمّ تأليف وتصنيف كتب جديدة على أساسها وتدوين العلوم والمعارف الإسلامية والشيعية بشكل منظّم وأساسي. وأهمّ هذه المؤلّفات أربعة كتب، سمّيت بكتب الشيعة الأربعة، وهي على التوالي:

○ ١. **الكافي**، لأبي جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي الملقّب بثقة الإسلام. ولد الكليني في أواخر حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام وفي فترة الغيبة الصغرى، وتوفّي ببغداد سنة ٣٢٩هـ ق. ترك مؤلّفات عدّة أهمّها كتاب «الكافي» الذي لا مثيل له ليس عند الشيعة فقط، بل هو منقطع النظير في العالم الإسلامي كلّه. وفيه مزايا كثيرة، ويعتقد الكثيرون أنّه أوّل موسوعة حديث جامعة للأُصول والفروع منظّمة ومرتّبة على أساس مذهب أهل البيت عليهم السلام.

ضمّ هذا الكتاب في مجموع أجزائه المطبوعة «١٦١٩٩» رواية و هو يُعَدّ عند فقهاء الشيعة أهم وأضبط وأشمل الكتب الأربعة.

○ ٢. **من لا يحضره الفقيه**، لأبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق أو الصدوق الذي ولد بقم سنة ٣٠٦هـ ق تقريباً وبدعاء الإمام المهدي عليه السلام وتوفّي سنة ٣٨١هـ ق. كتابه «من لا يحضره الفقيه» ثاني الكتب الأربعة ومن أهمّ مؤلّفات الشيخ الصدوق. ويعتبره البعض أوثق وأتقن الكتب الأربعة حتّى أنّهم يرجّحونه على كافي الكليني، أمّا الرأي المشهور فهو أنّ هذا الكتاب ثاني الكتب الأربعة أهميّة بعد الكافي. وفيه ٣٩٤٣ حديثاً موزّعة على ٦٦٦

---

١. أعيان الشيعة ١: ١٤٠.

باباً. واشتهر بين العلماء الماضين أنّ للصدوق كتاباً آخر باسم «مدينة العلم» وكان أكبر من كتاب «من لا يحضره الفقيه» ولذلك عدّ العلماء المتقدّمون هذا الكتاب مع الكتب الأربعة أصولاً خمسة[١].

غير أنّ هذا الكتاب فُقِد في القرون التالية ولم ينجح العلّامة المجلسي في محاولته للعثور على «مدينة العلم» أثناء إعداده لمصادر بحارالأنوار.

○ ٣. **تهذيب الأحكام**، لأبي جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠ ق) الملقّب بشيخ الطائفة والشيخ. كتابه (التهذيب) ثالث الكتب الأربعة وهو أحد مؤلّفات الشيخ الطوسي المهمّة، و يشتمل على جميع أبواب الفقه، حيث ضمّنه ٢٣ كتاباً تبدأ بالطهارة وتنتهي بالديات، وفيها ٣٩٣ باباً تتضمّن ١٣٩٨٨ حديثاً حسب الطبعة الحديثة.

○ ٤. **الإستبصار**، وهو ثاني كتب الشيخ الطوسي، ورابع الكتب الأربعة، ويشتمل على أجزاء التهذيب نفسها، ولكن يختصّ بمعالجة ما اختلف من الأخبار و طريقة الجمع بينها و يتضمّن الكتاب ٩١٥ باباً و ٥٥١١ حديثاً.

ليست الكتب الأربعة من أُمّهات النصوص الروائية ومصادر الحديث الشيعية وحسب، بل إنّها من أُمّهات الكتب في جميع العلوم، بحيث إنّنا إذا بحثنا عن المصادر الأصلية لأيّ علم فإنّنا سنتعرض للكتب الأربعة. لقد أدّى تنظيمها الممتاز واشتمالها على جميع أبواب الفقه والمنزلة العلمية الرفيعة لمصنّفيها وشخصياتهم العالية إلى أن يتّخذها العلماء والفقهاء والباحثون مراجع معتمدة لديهم منذ عصر تدوينها و إلى اليوم.

و تعتبر الكتب الأربعة شاملة ـ من وجهة نظر أكثر العلماء ـ لأهمّ الروايات والأحاديث الواردة في الأُصول الأربعمائة،[٢] و من هنا فقد كانت ولا زالت من أهمّ مصادر استنباط فقه الإمام الصادق عليه السلام منذ أكثر من ألف عام.

لم يكتب بعد وفاة الشيخ الطوسي سنة ٤٦٠هـ ق. وحتّى القرن العاشر أيّ كتاب

---

١. معالم العلماء: ١١٢، الذريعة ٢٠:٢٥٢.

٢. وصول الأخيار إلى أُصول الأخبار: ٨٥.

له شمول وإتقان وترتيب وتنظيم وتوثيق الكتب الأربعة. لقد مرّت حالة من الركود والسكون والفترة على تدوين الحديث استمرّت بضعة قرون، وكان لهذا الأمر أسباب كثيرة.

وبعد القرن العاشر الهجري بدأت حركة جديدة تجمع الأحاديث عند الشيعة جرى خلالها تأليف وتدوين مجاميع كبيرة تضمّنت أحاديث الكتب الأربعة ونصوص الحديث الشيعية الأُخرى، ولعلّ أهمّها:

○ ١. **الوافي**، لمحمّد بن مرتضى بن محمود الملقّب بالفيض الكاشاني (١٠٠٧ـ١٠٩١هـ) ويعتبر أحد الكتب الثلاثة الهامّة التي أُلّفت بعد الكتب الأربعة. قام الفيض بتأليف كتابه معتمداً كلّ روايات الكتب الأربعة في نسقٍ موضوعي، و أورد روايات مهمّة من كتب أُخرىٰ لغرض شرح نصوص الكتب الأربعة والتعليق عليها. يتضمّن الوافي ٢٧٣ باباً و نحو ٥٠ ألف حديث. و هو جامع للأُصول والفروع والسنن والأحكام، ويحتوي على ثلاث مقدّمات و ١٤ جزءً وخاتمة، انتهى العمل من تأليفه سنة ١٠٦٨ هـ ق.

○ ٢. **تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة**، لمحمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الحرّ العاملي (١٠٣٣ ـ ١١٠٤ ق) والذي يحتوي أيضاً على جميع أحاديث الكتب الأربعة، وهو جامع لروايات وأحاديث أكثر من سبعين كتاباً من كتب الإمامية، وانتهى العمل من تأليفه سنة ١٠٨٨ ق.

○ ٣. **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار**، لمحمّد باقر المجلسي المعروف بالعلّامة المجلسي (١٠٣٧ ـ ١١١٠ ق) ويشتمل على أكبر مجموعة أحاديث وروايات جمعت من غير الكتب الأربعة. قام العلّامة المجلسي بتهيئة أكثر من ٦٢٩ كتاباً ومرجعاً وأفاد منها. ويوجد الكثير من كتب العامّة بين هذه المصادر. هذا وقد اعتبر العلّامة الطباطبائي البحار أفضل دائرة معارف شيعية.

جدير بالذكر أنّ نصوصاً ومجموعات أُخرى غير هذه الكتب الثلاثة ظهرت في القرنين أو الثلاثة الأخيرة إلّا أنّ الحديث عنها خارج اهتمام هذه المقدمة.

كتب الفيض الروائية

إنّ التطور الذي حدث بعد القرن العاشر يتمثّل في جمع وتبويب جملة التراث الحديثي الشيعي، وممّا لا ريب فيه؛ كان المحدّث والمحقّق المرحوم الفيض الكاشاني واحداً في العلماء المتقدّمين في هذا المجال، وتعتبر تصنيفاته ذخراً يرفد المكتبة الإسلامية ويسهم في إغنائها، وتحظى كتبه الروائية بأُسلوب متميّز يتمثّل بتنوّع في الموضوع وتنسيق في التبويب والترتيب، وعرض لبعض الآراء الخاصّة به ودقّة متناهية في فهم الأخبار والتفطّن لمعانيها، سيّما في مجال شرح الأخبار وبيان الأحاديث الغريبة بشكل يجعلها أكثر جلاءً ووضوحاً.

وفيما يلي نذكر الدورات القيّمة التي سطّرها قلم المحدّث الكاشاني وفقاً لترتيب تأليفها تاريخياً:

○ ١. **خلاصة الأذكار واطمينان القلب**، يقول المؤلّف في تعريفه: هو جامع لزبدة الأذكار الواردة في القرآن والحديث، كلّ فعل وعمل وحركة وسكون وحال ووقت وحادثة وواقعة وسرور وهمّ وعبادة ومعاملة إلى غير ذلك، قد جمعتها من مواضع شتّى وكتب متفرّقة وضبطتها في اثني عشر فصلاً يقرب من ألفي بيت وثلاثمائة؛ وقد صنّف في سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف[١]. وقد طبع على الحجر مرّة واحدة في طهران.

○ ٢. **ميزان القيامة**، يقول الفيض الكاشاني في فهرسته؛ ذكرت فيه تحقيق القول في كيفية ميزان يوم القيامة والتوفيق بين الأخبار المتخالفة فيه بحسب الظاهر والجمع بين الأقوال المختلفة التي قيلت فيه، وهو من أبكار أفكاري التي لم يطمثهنّ أحد قبلي ولله الحمد. يشتمل على ستّة أبواب ويقرب من ستمائة بيت. وقد صنّف في سنة أربعين بعد الألف[٢].

○ ٣. **ذريعة الضراعة**، في جمع الأدعية المتضمّنة للمناجاة مع الله تعالى المنقولة عن الأئمّة المعصومين ولا سيّما سيّد العابدين صلوات الله عليهم أجمعين، يقرب من

---

١. الوافي: مقدّمة المؤلّف ٣ ـ ٧. فهرست مصنّفات الفيض: ٥.
٢. فهرست مصنّفات الفيض: ١٥.

خمسة آلاف بيت. وقد صنّفه في سنة نيّف وخمسين وألف[١].

○ ٤. **الخطب**، يشتمل على مائة خطبة ونيّف لجمعات السنة والعيدين لفّقها والتقطها من كلام الأئمّة المعصومين عليهم السلام، يقرب من أربعة آلاف بيت، وقد تمّ جمعه في سنة سبع وستّين بعد الألف[٢].

○ ٥. **وصف الخيل**، في ذكر ما ورد في اتّخاذ الخيل ومعرفتها وعلاماتها، عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام، يقرب من مائتي بيت وقد صنّفه في سنة سبع وستّين بعد الألف[٣].

○ ٦. **الوافي**، يحتوي على جملة ما ورد من علوم الدين في القرآن المبين وجميع ما تضمّنته الأُصول الأربعة الروائية الشيعية، ويقول المؤلّف في مقدّمة الكتاب: «هذا كتاب وافٍ في فنون علوم الدين يحتوي على جملة ما ورد منها في القرآن المبين، وجميع ما تضمّنته أُصولنا الأربعة التي عليها المدار في هذه الأعصار، أعني: الكافي والفقيه والتهذيب والإستبصار، من أحاديث الأئمّة الأطهار سلام الله عليهم، حداني إلى تأليفه ما رأيت من قصور كلّ من الكتب الأربعة عن الكفاية، وعدم وفائه بمهمّات الأخبار الواردة للهداية، وتعسّر الرجوع إلى المجموع لاختلاف أبوابها في العنوانات، وتباينها في مواضع الروايات، وطولها المنبعث عن المكرّرات.

أمّا الكافي: فهو وإن كان أشرفها وأوثقها وأتمّها وأجمعها، لاشتماله على الأُصول من بينها وخلوّه من الفضول وشينها، إلّا أنّه أهمل كثيراً من الأحكام، ولم يأت بأبوابها على التمام، وربّما اقتصر على أحد طرفي الخلاف من الأخبار الموهمة للتنافي، ولم يأت بالمنافي، ثمّ إنّه لم يشرح المبهمات والمشكلات، وأخلّ بحسن الترتيب في بعض الكتب والأبواب والروايات. وربّما أورد حديثاً في غير بابه، وربّما أهمل العنوان لأبوابه، وربّما أخلّ بالعنوان لما يستدعيه، وربّما عنون مالا يقتضيه.

---

١. فهرست مصنّفات الفيض: ١٢.
٢. فهرست مصنّفات الفيض: ١٥.
٣. فهرست مصنّفات الفيض: ١٨.

وأمّا الفقيه: فهو كالكافي، في أكثر ذلك، مع خلوّه من الأُصول، وقصوره عن كثير من الأبواب والفصول. وربّما يشتبه الحديث فيه بكلامه، ويشتبه كلامه في ذيل الحديث بتمامه، وربّما يرسل الحديث إرسالاً، ويهمل الإسناد إهمالاً.

وأمّا التهذيب: فهو وإن كان جامعاً للأحكام، مورداً لها قريبة من التمام، إلّا أنّه كالفقيه في الخلوّ من الأُصول، مع اشتماله على تأويلات بعيدة وتوفيقات غير سديدة، وتفريق لما ينبغي أن يجمع، وجمع لما ينبغي أن يفرّق، ووضع لكثير من الأخبار في غير موضعها، وإهمال لكثير منها في موضعها، وتكرارات مملّة وتطويلات للأبواب مع عنوانات قاصرة مخلّة.

وأمّا الإستبصار: فهو بضعة من التهذيب، أفردها منه مقتصراً على الأخبار المختلفة والجمع بينها بالقريب والغريب. وبالجملة، فالمشايخ الثلاثة، شكر الله مساعيهم، وإن بذلوا جهدهم، أرادوا وسعوا في نقل الأحاديث وجمع شتاتها وأجادوا، إلّا أنّهم لم يأتوا فيها بنظام تام، ولا وفى كلّ واحد منهم بجميع الأُصول والأحكام، ولم يشرحوا المبهمات منها شرحاً شافياً، ولم يكشفوا كثيراً ممّا كان منها خافياً، ولم يتعاطوا حلّ غوامضه، ولا تفرّغوا لتفسير مغامضه، ولكنّ الإنصاف أنّ الجمع بين ما فعلوا وبين ما تركوا أمر غير ميسّر، بل خطب لا تبلغه مقدرة البشر، فهم قد فعلوا ما كان عليهم، وإنّما بقي ما لم يكن موكولاً إليهم. فكم من سرائر بقيت تحت السواتر، وكم ترك الأوّل للآخر، ولم أر أحداً تصدّى لتتميم هذا الأمر إلى الآن، ولا صدع به أحد من مشايخنا في طول الزمان، مع أنّ الأفئدة في الأعصار والأدوار هاوية إليه، والأكباد في الأقطار والأمصار هائمة عليه.

فشرعت فيه وجمعت جمعاً وتدويناً، ونظّمته نظماً وترتيباً، وهذّبته تهذيباً، ورتّبته ترتيباً، وفصّلته تفصيلاً، وسهّلت طريق تناوله تسهيلاً، وبذلت جهدي في أن لا يشذّ عنه حديث ولا إسناد، يشتمل عليه الكتب الأربعة ما استطعت إليه سبيلاً، وشرحت منه ما لعلّه يحتاج إلى بيان شرحاً مختصراً في غير طول.

وأوردت بتقريب الشرح أحاديث مهمّة من غيرها من الكتب والأُصول، ووفّقت بين أكثر ما يكاد يكون متنافياً منه توفيقاً سديداً، وأوّلت بعضه إلى بعض تأويلاً غير

بعيد، ليكون قانوناً يرجع إليه أهل المعرفة والهدى، من الفرقة الناجية الإمامية ودستوراً يعوّل عليه من يطلب النجاة في العقبى من شيعة العترة النبوية، ولا يحتاجون معه إلى كتاب آخر، ولا يفتقرون بعده في استنباط المسائل والأحكام إلى كثير نظر، ويستريحوا من الاجتهادات الفاسدة والاجماعات الكاسدة، والأُصول الفقهية المختلفة والأنظار الوهمية المختلفة، وسمّيته بـ«الوافي»[١].

○ ٧. **الصافي في تفسير القرآن**، بما وصل إلينا من أئمّتنا المعصومين عليهم السلام من البيان ويقول الفيض: جمعت فيه من مواضع شتّى من كتب أصحابنا رحمهم الله ما لعلّه يكفي لظاهر التفسير مع شيء من التأويل يسير، أرحت به إخواننا من التفسير بالرأي والتخمين ولاسيّما آراء العامّة من المخالفين. يقرب من سبع وأربعين ألف بيت، وقع الفراغ من تأليفه في خمس وسبعين بعد الألف[٢]. وقد طبع الكتاب هذا مرّات عديدة في طهران وبيروت.

○ ٨. **الأصفى**، وهو منتخب من الصافي يشتمل على لباب ما فيه، يقول الفيض: راعيت فيه غاية الإيجاز مع التنقيح، ونهاية التلخيص مع التوضيح، في أحد وعشرين ألف بيت تقريباً، وقع الفراغ منه بعد الصافي بسنتين[٣].

○ ٩. **الشافي**، وهو منتخب من (الوافي) يشتمل على لباب ما فيه، أورده ما هو بمنزلة الأُصول والأركان وما لا تعارض عند التحقيق فيه ولا تشابه، يقرب من سبعة وعشرين ألف بيت. وقع الفراغ منه في سنة اثنتين وثمانين بعد الألف[٤].

○ ١٠. **الأربعين في مناقب أمير المؤمنين** عليه السلام، يقول الفيض في تعريف كتابه هذا: وهو انموذج من فضائله، وقطيرة من بحار مناقبه عليه السلام، التقطته من كتاب جمعه بعض أصحابنا في فضائله عليه السلام، يقرب من ثلاثة آلاف وثلاثمائة بيت[٥].

○ ١١. **ثناء المعصومين** عليهم السلام، وهو تحيّة إليهم بسؤال الصلوات والسلام من الله

---

١. الوافي: المقدّمة.
٢. فهرست مصنّفات الفيض: ٥.
٣. فهرست مصنّفات الفيض: ٥. وقد صدر الكتاب حديثاً بتصحيحنا من دار اللوح المحفوظ.
٤. فهرست مصنّفات الفيض: ٦.
٥. فهرست مصنّفات الفيض: ١٣.

عليهم، مع ذكر بعض محامدهم ـ يقرب من ستّين بيتاً[١].

○ ١٢. **نوادر الأخبار**، في جمع الأحاديث غير المذكورة في الكتب الأربعة المشهورة. يقول الفيض في مقدّمة كتابه هذا: واكتفينا عن المكرّر بما هو أجمع وأكفى، وعسى أن يكون فيما أوردنا غنىً عن كثير من الأخبار لوجود محصّل ما تركنا فيما ذكرنا غالباً، ولاختصاص أكثر تلك الأخبار بتلك الأعصار وأهل تلك الديار. وإنّما اختصرنا هذا الاختصار ليكون أيسر للحفظ والضبط، وأسهل للقيد والربط، في سبعة آلاف بيت[٢].

يتّضح من خلال نظرة سريعة لمؤلّفات الفيض وكتبه وتحقيقاته، أنّه كان من نوادر الدهر ومن كبار علماء الطائفة الإمامية ومشاهيرهم، وقلّما يجود الدهر بمثله وينجب على شاكلته، والحقّ أن يقال: أنّه لا تجد في القرون الأخيرة من بين المتأخّرين من الفقهاء والمحدّثين والمفسّرين والباحثين والمؤلّفين الشيعة، شخصية كالفيض إلّا ما ندر وقلّ، إذ كان عالماً متضلّعاً متبحّراً في أكثر العلوم والمفاهيم والمعارف الإسلاميّة والأخلاقية والعرفانية والإجتماعية والسياسية وغيرها، له فيها رأي حصيف، وفكر رفيع. وتعتبر مؤلّفاته القيّمة كنزاً أغنى مكتبة العلوم الإسلامية إلى حدّ لافت للنظر.

وإذا كان للفيض الكاشاني في بعض الأحكام والموضوعات رأي جديد بالإستناد إلىٰ الأخبار والروايات والأحاديث الإسلامية المعتبرة، كحرمة الغناء التي يعتبرها متأتّية من مجالس اللهو واللعب في البلاطين الأموي والعبّاسي ومن كيفية إجرائه، حيث أقدم الشيخ الأنصاري في المكاسب المحرّمة على تفسير هذه الفتوى وفي غيره، فإنّ ذلك يدلّ على جرأته وفهمه وعمق فكره الديني والإجتماعي، ولهذا حظي باحترام علماء كبار أمثال العلّامة المجلسي والشيخ مرتضى الأنصاري والحرّ العاملي والوحيد البهباني وصاحب مفتاح الكرامة والسيّد المجاهد وصاحب الحدائق وصاحب الجواهر[٣] وغيرهم ممّن أثنوا عليه وعلى خدماته.

---

١. فهرست مصنفات الفيض: ١٦٢.

٢. نوادر الأخبار: المقدّمة. طبع هذا الكتاب بتحقيقنا في مؤسسة العلوم الإنسانية والبحوث الثقافية بطهران.

٣. جواهر الكلام ٣٠:١٥٣.

لقد نشأ الفيض وترعرع في أُسرته العريقة في العلم والأدب والأخلاق، فيهم فقهاء أُصوليون وحكماء متألّهون ورجال أدب وفضيلة.

هذا جدّه العلّامة تاج الدين شاه محمود بن علي الكاشاني الحكيم المتألّه العارف الشاعر النابغة المحدّث النحرير، كان من مشاهير علماء كاشان، وقبره بها.

وهذا أبوه العلّامة رضي الدين شاه مرتضى الأوّل، كان فقيهاً نبيهاً، أُصولياً، متكلّماً، حكيماً، متألّهاً، مفسّراً، أديباً، شاعراً، بارعاً، عابداً، زاهداً، ربّانياً.

وهذا ابنه العلّامة محمّد علم الهدى، العلم الفريد والعيلم الوحيد، ذو الرأي السديد والأمر الرشيد، عيبة الفضائل، و صاحب التآليف القيّمة والتصانيف الجيّدة.

وإخوته: العلّامة ضياء الدين محمّد بن شاه مرتضى، كان محدّثاً فقيهاً عارفاً. والعلّامة محمّد مؤمن، كان من أجلّة علماء عصره فقهاً وحديثاً ورجالاً وكلاماً وفلسفة وعرفاناً وأدباً وتفسيراً. والعلّامة صدر الدين محمّد بن شاه مرتضى، كان عالماً، محدّثاً، عارفاً متكلّماً. والعلّامة عبدالغفور، كان فقيهاً، محدّثاً، حكيماً. والعالم الفاضل الأديب مرتضى بن شاه مرتضى، كان شاعراً أديباً.

وأخيراً اتّفق العلماء والمترجمون على غزارة علم الفيض الكاشاني وكثرة فهمه وذكائه، و غزارة تصانيفه وآثاره، وأنّه بسعة اطّلاعه وجامعيّته لعلوم شتّى كان يضاهي الإمام فخر الدين الرازي والخواجه نصير الدين الطوسي والعلّامة الحلّي وقطب الدين الشيرازي، فالرجل بتصنيفه كتاب «الوافي» الذي هو أحد الجوامع الكبار الأربعة المتأخّرة من مشاهير أئمّة الحديث. وبتأليفه كتاب «مفاتيح الشرائع» على أُسلوب حديث مطلوب، قد أقبل عليه الفقهاء، فكتبوا عليه أربعة عشر شرحاً وسائر مصنّفاته الفقهية، كان من أفقه الفقهاء وفحولهم المشهورين، وبسائر ما صنّفه لاسيّما في الحكمة والعرفان والأخلاق كان من الحكماء الراسخين الموحّدين والعرفاء الشامخين.

◁ نحن وكتاب الشافي

يُعدّ «الشافي» تلخيصاً لكتاب «الوافي» و قد اعتمد علماء السلف

أُسلوب التلخيص والاختزال والانتخاب من كتبهم ومؤلّفاتهم المطوّلة بحذف الاستدلالات الطويلة واختصار الأقوال والأفكار الفقهية والكلامية تعميماً للفائدة، أو تهذيباً للكتب النافعة لعلماء آخرين وتلخيصها، وهو أُسلوب استخدم منذ القدم في كتابة الحديث.

ويعدّ الفيض الكاشاني من هذا النمط من المؤلّفين، إذ بادر إلى تلخيص كتبه وإيجازها، كما عمد إلى تهذيب مؤلّفات الآخرين واختصارها، فكتب خلاصات كثيرة في الفقه، كذلك له في التفسير «الأصفى» وفي أُصول الاعتقاد «أُصول العقائد» وفي الأخلاق «الحقائق» في تلخيص المحجّة البيضاء و «سراج السالكين» منتخب المثنوي المعنوي، وانتزع «شوق الجمال» و «شوق العشق» من ديوانه، و «الكلمات الرائعة» من كتابه «الكلمات المكنونة»، و «الكلمات السرية» من أدعية المعصومين عليهم السلام و «الكلمات المخزونة» من «الكلمات المكنونة»، و «لبّ الحسنات» مختصر منتخب من الأوراد، و «المعارف» ملخّص كتابه «علم اليقين» و «منتخب رسائل إخوان الصفا»، و «منتخب غزليات شمس تبريزي»، و «منتخب غزليات مثنوى مولوى» و «منتخب الفتوحات المكيّة» و «منتخب گلزار قدس» و «منتخب مكاتيب قطب الدين محي» و «التطهير» و «المنتخب من النخبة الفقهية» و «النخبة الصغرى» في لباب فقه الطهارة والصلاة والصوم و «النخبة الكبرى» فصّل فيه ما أجمله وبيّن ما أبهمه في «النخبة الصغرى» و «أُصول المعارف» ملخّص مهمّات «عين اليقين»، و «اللئالىء» وهو من الملتقطات، و «أنوار الحكمة» مختصر كتاب «علم اليقين» مع فوائد حكميّة، و «نقد الأُصول الفقهية» المشتمل على خلاصة علم أُصول الفقه وملخّصه، و «منتخب الأوراد» المشتمل على الأذكار والدعوات المتكرّرة في اليوم والليلة أو الأُسبوع أو الشهر أو السنة، و «زاد العقبى» خلاصة ما في «منتخب الأوراد» مع ذكر ثواب تلك الأوراد وترجمة أذكارها، و «شرائط الإيمان» منتخب من «راه صواب»، و «الأذكار المهمّة» وهو مختصر من خلاصة الأذكار، و «آيينه شاهى» وهي منتخب من «ضياء القلب»، وأخيراً «المنتخب الكبير» و «المنتخب الصغير»[1].

---

١. راجع فهرست مصنفات الفيض: ٢٣ ـ ٥.

وممّا يجدر ذكره هنا أنّنا كنّا منذ مدة بعيدة بصدد التفكير في إعداد ملخّص للكتب الأربعة، ولم تتهيأ لنا الفرصة الكافية للمطالعة والتحقيق في هذا الخصوص. على أن مرادنا بالتلخيص ليس هو التهذيب والتقويم بل هو الاختيار والانتخاب.

وقد عثرنا خلال مطالعتنا في خزانة الكتب الرضوية عليه السلام على نسخة مخطوطة نفيسة وأُخرى مطبوعة على الحجر تشتمل على تلخيص للكتب الأربعة يستند إلى أسس علمية قويمة يستحقّ لأجلها أن يكون أحسن منتخب لها، وبعد استشارة المحقق العلامة المرحوم السيد عبدالعزيز الطباطبائي و بتشجيع منه عقدنا العزم على تحقيق وتصحيح هذا الأثر المهم.

فللمحدّث الكاشاني إذن إلى جانب مؤلّفاته القيّمة والكثيرة، أثر قيّم آخر [هذا الكتاب] وهو انتخاب جيّد ودقيق من كتابه «الوافي» واقتصار في أحاديث العقائد والأخلاق وهكذا الشرائع والأحكام على الأهمّ والأحكم وسمّاه: بـ«الشافي» وقال في مقدّمته: «هذا ما اصطفيناه من كتابنا «الوافي» ممّا رويناه عن أهل البيت صلوات الله عليهم، وزبدة ما يتعلّق به من البيان، مع تصرّف في بعض المواضع في الترتيب والعنوان، أوردنا فيه ما كان بمنزلة الأُصول والأركان، وما لا تعارض عند التحقيق فيه، ولا تشابه بعد التأمّل في ألفاظه ومعانيه، بل هو من قبيل المحكم، واكتفينا عن المكرّر بالأوضح والأتمّ، واقتصرنا في الشرائع والأحكام على الأهمّ والأحكم، وحذفنا ذكر الرواة إلّا عند الحاجة إليه لقلّة جدواه فيما خلص من التنافي، كما حقّق في «الوافي»، وربّما ذكرنا بعض الحديث في ذيل ما يناسبه ليكمل به معناه، وما سقط من نسخ «الكافي» فمن كتب شيخنا الصدوق أثبتناه»[1].

و جعل المؤلّف كتابه في جزءين: جزء فيما هو من قبيل العقائد والأخلاق، وجزء فيما هو من قبيل الشرائع والأحكام، ويقول الفيض في فهرسته: «في كلّ منهما

---

١. الشافي: المقدّمة.

اثناعشر كتاباً يقرب من سبعة وعشرين الف بيت، ووقع الفراغ منه في سنة اثنتين وثمانين بعد الألف»[١].

ويقول في تاريخ تصنيفه:

قد حاز كتاب الشافي أنوار كتاب الوافي
أرّخت لذاك الشافي شمس لسماء الوافي[٢]

والحقّ أن نقول: كتاب «الشافي» من أبرز وأكمل وأهم كتب الحديث خاصّة في العقائد والأخلاق إضافة إلى الشرائع والأحكام، وهو في الظاهر تلخيصٌ للوافي، وفي الواقع هو ملخّص ما هو المحكم والأهم والأتم من أحاديث الكتب الأربعة مع تبويب وترتيب وتنظيم بديع وتهذيب عن المكرّر والشبيه، وليس له نظير في كتب الأحاديث المشهورة.

◁ منهج التحقيق

تركّز سعينا في هذا العمل على تصحيح النصّ وتخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، ولقد قوبلت نصوص الكتاب على نسختين مخطوطتين من المكتبة الرضوية؛ الأولى: رقمها (١٠٨٦٩) والثانية: (٨٩١٦) وهكذا على نسخة مطبوعة على الحجر قديماً. سعىٰ في طباعته السيد سعيد الطباطبائي والحاج ميرزا أبوالقاسم والحاج ميرزا محمود الشفيعي‌ﷺ.

ثمّ أُعيدت مقابلة الروايات مع مصادرها الحديثية الأولى تحقيقاً للنصوص وتقويماً للصحيح وتنزيهاً عن الأغلاط، وعمدنا إلى توضيح بعض ما لم يوضّح المحدّث الكاشاني من الأحاديث وكان بحاجة إلى ذلك.

وفي الختام آمل أن يقع هذا العمل موقع قبول عند الله تعالى، وأن تكون هذه الخدمة في سبيل نشر المعارف الدينية والعقائد الإسلامية الصحيحة سبباً للنجاة من ناره الموقدة يوم الحساب.

---

١. فهرست مصنّفات الفيض: ٦.

٢. و هي تعادل في حساب الجُمَّل سنة ١٠٨٢ هـ.

كـما ولا يـفوتني أن أشكـر الأخـوة الأعـزّاء الاخـوان النـاصري فـي المكـتبة الرضوية بمشهد الرضاﷺ، وكذا أشكر ابن عـمّي الفـاضل مـحمّد جـواد الأنـصاري القمّي على ما بذله من عناية في هـذا السـبيل، وأشكـر أخـيراً السـيد كـريم أكـبري و ابوالحسين الكعبى لمراجعتهما الكتاب، و دار اللوح المحفوظ التـي قـامت بـنشر هذا العمل العقائديّ خدمة للإسلام والمسلمين، وفّق الله الجميع لما يحبّه ويرضاه إنّه سميع الدعاء.

قم المقدّسة ـ مهدي الأنصاري القمّي
المبعث النبوي ٢٧ رجب ١٤٢٣

هوالثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الهمنا بأنوار شرح صدورنا بنور الاسلام ورهدانا لمعرفة ائمة الهدى من اهل بيته
عليهم الصلوة والسلام اما بعد فهذا ما اصطفيناه من كتابنا الوافي مما رويناه عن اهل البيت
صلوات الله عليهم وربما يتعلق به من البيان مع تصرف في بعض المواضع والترتيب والعنوان
اوردنا فيه ما كان بمنزلة الاصول والاركان وما لا تعارض عند التحقيق فيه والاستقامة بعد التامل في
الفاظه ومعانيه بل هو من قبيل الحكم والكشف عن المكرر بالاوضح والامر والتصحيح والشرايع و
الاحكام على الاهم والاحكم وحذفنا ذكر الرواة الا عند الحاجة اليه لقلة ما روي منها مما خلص من
الثاني كما حققنا في الوافي وربما ذكرنا بعض المحذوف في ذيل ما يناسبه ليكمل به معناه وربما سقط من
نسخ الكافي من كتب شيخنا الصدوق اثبتناه وسميته بالشافي وجعلناه جزئين جزء فيما هو من
قبيل العقايد والاخلاق وجزء فيما هو من قبيل الشرايع والاحكام ورتبنا كلا من الجزئين على اثني
عشر كتابا في كل كتاب ابواب والله الملهم لما يشاء ويريد في كل باب الجزء الاول من كتاب
الشافي فيما هو من قبيل العقايد والاخلاق كتاب العقل والجهل وهو الكتاب الاول من الجزء
الاول باب اقبال العقل وادباره كما عن الباقر عليه السلم لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال
له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا هو احب الي منك ولا
اكملتك الا فيمن احب اما اني اياك امر واياك انهى واياك اعاقب واياك اثيب بيان العقل جوهر ملكوتي
نوراني خلقه الله سبحانه من نور عظمته وبارائه السموات والارضين وما بينهن وما فيهن من
الخيرات والحاجة اليه الجميع حاجة نور الوجود وبوساطته فتح ابواب المكرم والجود والاكرم جميعا
في ظلام العدم ولا خلقت دونه ابواب النعم وهو اول خلق من الروحانيين عن يمين العرش وهو
نور نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وروحه الذي تشعبت منه انوار ارواح صفيائه المعصومين دار احكام الانبياء
والمرسلين سلام الله عليهم اجمعين ثم خلقت من شعاعها ارواح شيعتهم من الاولين والآخرين
قال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم اول ما خلق الله نوري وفي رواية اخرى روحي وفي الحديث القدسي
لولاك لما خلقت الافلاك وفي هذا المعنى ورد روايات كثيرة وفي حديث المفضل عن الصادق عليه السلم
انا خلقنا انوارا وخلقت شيعتنا من شعاع ذلك النور فلذلك سميت شيعة فاذا كان يوم القيمة

الامور كذرة ينزع بعضها في بعض وذهب من ذهب الينا الى عيون صافية تجري بامر ربها لا نفاد لها
ولا انقطاع ه وفي رواية اخرى سئل عن اصحاب الاعراف فقال قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فان ابطأ
الله النار قبل نوبهم وان ابطأ عظم الجنة فبرحمته يدخلهم الجنة فيها سواء من اعتصم النار به بيض ليس كل من اعتصم
النار به سوداء والهداية لا سواء فيما يسيقهم بها بعضهم يهديهم الى الحق والطريق مستقيم وبيضهم
من عيون صافية وبعضهم يذهب بهم الى الباطل والطريق الضلال ويسيقهم من عيون كدرة كما
يشتهي فيما بعده ينزع اي يصيب بعضها في بعض حتى ينزع وكما منافاة بين الروايتين لان هؤلاء القوم
يكونون مع الرجال الذين على الاعراف وكلاهما اصحاب الاعراف يدل على ذلك ما رواه الشيخ الطبرسي في الجوامع
عن الصادق عليه السلام الاعراف كثبان بين الجنة والنار يوقف عليها كل نبي وكل خليفة نبي مع الذين
من اهل زمانه كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده وقد سبق المحسنون الى الجنة فيقول ذلك
الخليفة للمذنبين الواقفين معه انظروا الى اخوانكم المحسنين قد سبقوا الى الجنة فيسلم عليهم المذنبون
وذلك قوله سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون ان يدخلهم الله اياها بشفاعة النبي والامام وينظر
هؤلاء الى اهل النار فيقولون ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وينادي اصحاب الاعراف وهم الانبياء و
الخلفاء رجالا من اهل النار وروساءهم الكفار يقولون لهم ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم
اولئك الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة لهم الى اهل الجنة الذين كان الرؤساء يستضعفونهم
ويحقرونهم بفقرهم ويستطيلون عليهم بدنياهم ويقيمون انه لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة
يقول اصحاب الاعراف لهؤلاء المستضعفين عن امر من امر الله عز وجل لهم بذلك ادخلوا الجنة لا خوف
عليكم ولا انتم تحزنون اي كائنين ولا محزونين فليعلم ان الائمة عليهم السلام لفرط معرفتهم وشدة
بصيرتهم وعلو مكانتهم ورفعتهم ينظرون الى سائر الناس في درجاتهم ودركاتهم ويميزون السعداء
عن الاشقياء على سمة تعرفهم بهم وهو بعيد في هذه النشأة كما اشار اليه امير المؤمنين عليه السلم في خطبة له يقول
اقسم بربك العظيم لو شئت لخبرت كل رجل بما انكم واسلافكم ايها كانوا ومتى كانوا وابن هم الان وما صار اليه وكذا قوله
لسلمان بن التعمان الرازي كان ينظر الى اهل الجنة يتزاورون في الجنة والى اهل النار يتعاورون في النار
وكان بعد في الدنيا كما مر حديثه في باب حقيقة الايمان واليقين من كتاب الايمان والكفر بل اكثر احوال الآخرة
بالنسبة اليهم عليهم السلم كما مر بيانا كما قال امير المؤمنين عليه السلم لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ربنا افتح
فتحا بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين
المعصومين وسلم تسليما كثيرا

الاول من كتاب الشافي ويليه الجزء الثاني ان شاء الله والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين
المعصومين وآمين ثم

بسم الله الرّحمن الرّحيم
و به نستعين

وبه ثقتي، نحمدك اللّهم يامن شرح صدورنا بنور الإسلام، و هدانا لمعرفة أئمة الهدىٰ من أهل بيت نبيّه عليه وعليهم الصلاة و السّلام.

أما بعد، فهذا ما اصْطفينا من كتابنا «الوافي» ممّا رويناه عن أهل البيت صلوات الله عليهم، وزبدة ما يتعلّق به من البيان، مع تصرّف في بعض المواضع في الترتيب والعنوان، أوردنا فيه ما كان بمنزلة الأُصول و الأركان، وما لا تعارض عند التحقيق فيه، ولا تشابه بعد التأمّل في ألفاظه و معانيه، بل هو من قبيل المحكم، واكتفينا عن المكرّر بالأوضح والأتم، واقتصرنا في الشرائع والأحكام على الأهمّ والأحكم، وحذفنا ذكر الرّواة إلّا عند الحاجة إليه لقلّة جدواه فيما خلص من التنافي، كما حقّق في «الوافي».

وربّما ذكرنا بعض الحديث في ذيل ما يناسبه ليكمل به معنىٰ، وما سقط من نسخ (الكافي) فمن كتب شيخنا الصّدوق أثبتناه وسمّيناه «الشافي» وجعلناه جزءين: جزء فيما هو من قبيل العقائد والأخلاق، وجزء فيما هو من قبيل الشرائع والأحكام، ورتّبنا كلّاً من الجزءين على اثني عشر كتاباً، في كلّ كتاب أبواب، والله الملهم لما يثبت ويترك في كلّ باب.

■

كتاب
العقل والجهل

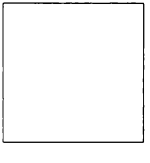

باب

إقبال العقل و إدباره

[١] ١. الكافي: عن الباقرﷺ: «لما خلق الله العقل استنطقه ثمّ قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر، ثم قال: وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً هوَ أحبّ إليّ منك، ولا أكملتك إلّافي من أُحبّ، أما إنّي إيّاك آمر، وإيّاك أنهىٰ، وإيّاك أُعاقب، وإيّاك أُثيب»[١].

◁ **بيان**

«العقل» جوهَر ملكوتي نورانيّ، خلقه الله سبحانه من نور عظمته، وبه أقام السّموات والأرضين وما فيهنّ وما بينهنّ من الخيرات، ولأجله ألبس الجميع حلّة نور الوجود،وبوساطته فتح أبواب الكرم والجود، ولوْلاه لكُنّا جميعاً في ظلمة العدم، ولأُغلقت دوننا أبواب النّعم، وهو أوّل خلق من الرّوحانيّين عن يمين العرش، وهو بعينه نورنبيّنا ﷺ وروحه الّذي تشعّب منه أنوار أوصيائه المعصومين وأرواح الأنبياء والمرسلين سلام الله عليهم أجمعين، ثم خلقت من شعاعها أرواح شيعتهم من الأوّلين والآخرين.

قال نبيّنا ﷺ: «**أوّل ما خلق الله نوري**»[٢] وفي رواية أخرى: «**روحي**»[٣] وفي الحديث القدسي: «**لولاك لما خلقت الأفلاك**»[٤] وفي هذا المعنى وردت روايات كثيرة.

وفي حديث المفضّل عن الصّادقﷺ «**إنّا خلقنا أنواراً، وخلقت شيعتنا من شعاع**

---

١. الكافي ١: ١/١٠.

٢. رياض الجنان ـ مخطوط، عنه البحار ١٥: ٢٤ / ٤٤. قال السيّد الداماد تغمّده الله بغفرانه: أوليّة خلق نوره ﷺ، انّما هي في الدرجة الأولىٰ الرابية، لأنّ درجة نفس الانسانية الكاملة التي هي في حال الكمال في سلسلة العود درجة المخلوق الأوّل الّذي هو أوّل الأنوار العقلية في سلسلة البدو، وأقول:هذا طريقة أهل النظر وما قلنا طريقة الموحّدين ـ منه رحمه الله تعالىٰ.

٣. البحار ٥٧: ٣٠٩ عن كتب العامّة.

٤. الأنوار لأبي الحسن البكري ١:٥.

ذلك النّور، فلذلك سمّيت شيعة، فإذا كان يوم القيامة التحقت السّفلى بالعليا»[1] وإنّما سمّي الخلق الأوّل عقلاً لأنّه به يعقل كلّ شيء ويعلم، ونوراً لأنّه به يبصر كلّ شيء، وروحاً لأنّه به حياة كلّ شيء.

«استنطقه» جعله ذا نطق وكلام يليق بذلك المقام ليصير أهلاً للخطاب، أو طلب منه النطق بأن قال له: «تكلّم» كما ورد في رواية أُخرىٰ. «أقبل» أي إلىٰ الدنيا، واهبط إلىٰ الأرض رحمة للعالمين «فأقبل» فنزل إلى هذا العالم، فأفاض النّفوس الفلكيّة بإذن ربّه ثم الطّبائع، ثم الصّور، ثم الموادّ، فظهر في حقيقة كلّ منها وفعل فعلها، فصار كثرة وأعداداً، وتكثّر أشخاصاً وأفراداً.

«ثم قال له أدبر» ارجع إلى ربّك «فأدبر» فأجاب داعي ربّه، و توجّه إلى جناب قدسه بأن صار جسماً مصوّراً من ماء عذب وأرض طيّبة، ثم نبت نباتاً حسناً، ثمّ صار حيواناً ذا عقل هيولائي، ثمّ صار عقلاً بالملكة، ثمّ عقلاً مستفاداً، ثمّ عقلاً بالفعل، ثمّ فارق الدّنيا ولحق بالرّفيق الأعلى. وكذلك فعل كلّ من تبعه وشيّعه من الأرواح المتشعبة منه المقتبسة من نوره أو المنبجسة[2] من شعاعه، ويلحق به الجميع ويحشر معه في عروجه إلى العالم الأعلى ورجوعه الى الله.

فإقباله عبارة عن توجّهه إلىٰ هذا العالم الجسماني، وإلقائه عليه من شعاع نوره وإظهاره الأعيان فيه، وإفاضته الشّعور والإدراك والعلم والنطق على كلّ منها بقدر استعداده له، وقبوله منه من غير أن يفارق معدنه ويخلّي مرتبته ومقامه في القرب، بل يرشح بفضل وجوده الفائض من الله عزّوجلّ على وجود ما دونه.

وإدباره عبارة عن رجوعه إلى جناب الحقّ، وعروجه إلى عالم القدس باستكماله لذّاته بالعبوديّة الذّاتيّة شيئاً فشيئاً من أرض المادّة إلى سماء العقل حتى يصل إلى الله تعالى، ويستقرّ إلى مقام الأمن والراحة، ويبعث إلى المقام المحمود الّذي يغبطه به الأوّلون والآخرون.

فإقباله في جميع المراتب إيجابيّ تكوينيّ لا يحتمل العصيان، وأمريّ دفعيّ لا يدخل تحت الزّمان، ولا يتطرّق الى السّابق عند وجود اللّاحق بطلان ولا نقصان، وإدباره في الأواخر تكليفيّ تشريعيّ، وكلّه خلقيّ تدريجيّ مقيّد بالزمان، يبطل السّابق عند وجود اللّاحق شخصاً وجسماً لا حقيقة وروحاً، وكلّ مرتبة منهما عين نظيرتها من الآخر حقيقةً وغيرها شخصاً.

---

١. رياض الجنان لفضل الله بن محمود الفارسي ـ عنه البحار ٢٥: ٣٢/٢١.
٢. ألانبجاس: النّبوع في العين خاصة أو عامّ.

ومثل نور العقل في عالم الغيب مثل نور الشمس في عالم الشهادة، فكما أنّ عين البصر تدرك بنور الشمس المحسوسات في هذا العالم، ولولاه لما أبصرت شيئاً، فكذلك عين البصيرة تدرك بنور العقل المعقولات في ذلك العالم، ولولاه لما أبصرت شيئاً، وكما أنّ من عمي بصره لا يبصر بنور الشمس شيئاً، فكذلك من عميت بصيرته لا يبصر بنور العقل شيئاً.

ثم إنّ هذه الأنوار الشعاعيّة المنبجسة من ضياء العقل والنور المحمّدي ﷺ منها ما هو غريزيّ للإنسان، به يتهيّأ لإدراك العلوم النظرية، وتدبير الصناعات الخفيّة، فيخرجها من القوة إلىٰ الفعل شيئاً فشيئاً، وبها يفارق سائر الحيوانات، ومنها ما هو مكتسب له، به يميّز بين النافع له في المال والضارّ به فيه، فيقدم علىٰ النافع ويجتنب الضارّ، ويختار الآجل الباقي علىٰ العاجل الفاني في النفع وبالعكس في الضرر، وهو ثمرة الأول والغاية القصوىٰ له، وتؤيّده الملائكة وتلهمه وتهديه.

وإلىٰ كلا العقلين أُشير فيما ينسب إلىٰ أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنّه قال:

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

ولكلّ منهما درجات ومراتب: فكامل وأكمل وناقص وأنقص.

«إيّاك آمر» إمّا علىٰ حقيقته، أو هو بمعنىٰ بل ولأجلك، إذ العقل هو المكلّف أو هوَ ملاك التكليف.

«وإياك أُعاقب» يعني عند انغمارك في التعلّقات الجسمانية، واستغراقك في الشهوات الدنيوية، وإلّا فالجوهر العقلي من جهة ذاته بذاته سعيد في الدنيا والآخرة لا ذنب له ولا معصية، وإنّما يعتريه شيء من ذلك لأجل صحبة البدن ومخالطة الوهم والخيال، والنزول في منزل الأرذال.

هذا ما عندي في شرح هذا الحديث، وإنّما اقتبسته من مشكاة أنوار أئمتنا عليهم السلام وإفاضة أشعّة أضوائهم، فإنّ عطاياهم لا تحملها إلّا مطاياهم، وسيأتي في كلماتهم عليهم السلام ما يؤكّده ويحقّقه إن شاء الله تعالىٰ.

وزاد في «محاسن البرقي» في آخر الحديث: «فأعطىٰ محمداً ﷺ تسعة

وتسعين جزءاً، ثم قسّم بين العباد جزءاً واحداً»[1] وكأنه أُريد بالجزء الواحد الجزء الشعاعي الذي لا ينتقص بانبجاسه من عقل الكلّ شيء منه، وإنّما قيل ذلك تمثيلاً للنسبة.

❖ ❖ ❖

باب
جنود العقل والجهل

[٢] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ الله خلق العقل ـ وهو أوّل خلق من الروحانيين ـ عن يمين العرش من نوره، فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فأقبل، فقال الله تعالىٰ: خلقتك خلقاً عظيماً، وكرّمتك علىٰ جميع خلقي.

قال ثم خلق الجهل من البحر الأُجاج ظلمانياً، فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فلم يقبل، فقال له: استكبرت، فلعنه.

ثمّ جعل للعقل خمسة وسبعين جنداً، فلمّا رأىٰ الجهل ما أكرم الله به العقل وما أعطاه، أضمر له العداوة، فقال الجهل: يارب، هذا خلق مثلي خلقته وكرّمته وقوّيته، وأنا ضدّه ولا قوّة لي به، فأعطني من الجند مثل ما أعطيته، فقال: نعم، فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي، قال: قد رضيت.

فأعطاه خمسة وسبعين جنداً، فكان ممّا أعطىٰ من الخمسة وسبعين الجند. الخير وهو وزير العقل، وجعل ضدّه الشر وهو وزير الجهل، والإيمان وضدّه الكفر، والتصديق وضدّه الجحود، والرجاء وضدّه القنوط، والعدل وضدّه الجور، والرضا وضدّه السخط، والشكر وضدّه الكفران، والطمع وضدّه اليأس، والتوكّل وضدّه الحرص، والرأفة وضدّها القسوة، والرحمة وضدّها الغضب، والعلم وضدّه الجهل، والفهم وضدّه الحمق، والعفّة وضدّها التهتّك، والزّهد وضدّه الرغبة، والرفق وضدّه الخُرق، والرّهبة وضدّها الجرأة، والتواضع وضدّه الكبر، والتؤدة[2] وضدّها التسرّع،

---

١. المحاسن ١:١٩٢ / ٨.

٢. التؤدة: بضم التاء وفتح الهمزة وسكونها: التأنّي والتمهّل والرزانة ـ لسان العرب ـ

والحلم وضدّه السّفه، والصمت وضدّه الهذر، والاستسلام وضدّه الاستكبار، والتسليم وضدّه الشك، والصبر وضدّه الجزع، والصفح وضدّه الانتقام، والغنىٰ وضدّه الفقر، والتذكّر وضدّه السهو، والحفظ وضدّه النسيان.

والتعطّف وضدّه القطيعة، والقنوع وضدّه الحرص، والمواساة وضدّها المنع، والمودّة وضدّها العداوة، والوفاء وضدّه الغدر، والطاعة وضدّها المعصية، والخضوع وضدّه التطاول، والسلامة وضدّها البلاء، والحبّ وضدّه البغض، والصدق وضدّه الكذب، والحقّ وضدّه الباطل، والأمانة وضدّها الخيانة، والإخلاص وضدّه الشّوب، والشهامة وضدّها البلادة، والفهم وضدّه الغباوة.

والمعرفة ضدّها الإنكار، والمداراة ضدّها المكاشفة، وسلامة الغيب ضدّها المماكرة، والكتمان ضدّه الإفشاء، والصلاة ضدّها الإضاعة، والصوم ضدّه الإفطار، والجهاد ضدّه النكول، والحجّ ضدّه نبذ الميثاق، وصون الحديث ضدّه النميمة، وبرّ الوالدين ضدّه العقوق، والحقيقة ضدّها الرياء، والمعروف ضدّه المنكر، والستر ضدّه التبرّج، والتقيّة ضدّها الإذاعة، والإنصاف ضدّه الحميّة، والتهيئة ضدّها البغي، والنظافة ضدّها القذر.

والحياء ضدّه الخلع، والقصد ضدّه العدوان، والراحة ضدّها التعب، والسهولة ضدّها السهولة، والبركة ضدّها المحق، والعافية ضدّها البلاء، والقوام ضدّه المكاثرة، والحكمة ضدّها الهوىٰ، والوقار ضدّه الخفّة، والسعادة ضدّها الشقاوة، والتوبة ضدّها الإصرار، والاستغفار ضدّه الاغترار، والمحافظة ضدّها التهاون، والدعاء ضدّه الاستنكاف، والنشاط ضدّه الكسل، والفرح ضدّه الحزن، والألفة ضدّها الفرقة، والسخاء ضدّه البخل.

ولا تجتمع هذه الخصال كلّها من أجناد العقل إلّا في نبيّ أو وصيّ نبيّ أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان، وأمّا سائر ذلك من موالينا فإنّ أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتّىٰ يستكمل وينقى من جنود الجهل،فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء، وإنّما يدرك ذلك بمعرفة العقل وجنوده ومجانبة

الجهل وجنوده، وفّقنا الله وإيّاكم لطاعته ومرضاته»[١].

◁ **بيان**

«العرش» عبارة عن جميع الخلائق كما ورد في الحديث[٢] ويأتي ذكره، ويمينه أقوىٰ جانبيه وأشرفهما وهو عالم الروحانيات كما أن يساره أضعفهما وأدونهما وهو عالم الجسمانيات «من نوره»: من نور ذاته الذي هو عين ذاته.

«أدبر» أي انصرف إلىٰ الدنيا واهبط إلىٰ الأرض رحمة للعالمين، فمعنىٰ الإدبار هاهنا بعينه هو معنىٰ الإقبال في الحديث الأوّل، والتعبير عنه بكلّ منهما صحيح، فإنّ الله سبحانه بكلّ شيء محيط فالإقبال إليه عين الإدبار عنه وبالعكس، فلا منافاة بين الحديثين في التقديم والتأخير.

«أقبل» توجّه إليّ وترقّ إلىٰ معارج الكمال باكتساب المقامات والأحوال «خلقاً عظيماً» إذ به يقوم كلّ شيء بعد تقويم الله إيّاه «وكرّمتك علىٰ جميع خلقي» إذ هو وسيلة إفاضة نور الوجود علىٰ الجميع.

«ثم خلق الجهل» وهو جوهر نفساني ظلماني خلق بالعرض وبتبعيّة العقل من غير صنع فيه غير صنع العقل، يقوم به كلّ ما في الأرض من الشرور والقبائح وهو بعينه نفس إبليس وروحه الذي به قوام حياته الذي تشعّب منه أرواح الشياطين، ثم خلقت من ظلماتها أرواح الكفّار والمشركين.

«من البحر الأُجاج» من المادة الجسمانية الظلمانية الكدرة التي هي منبع الشرور والآفات في هذا العالم، وهو إشارة إلىٰ علّته القابلية، قال الله تعالىٰ ﴿**وكان عرشه علىٰ الماء**﴾[٣] أي كان بناء العالم الجسماني وقوامه علىٰ المادّة التي لها قبول كلّ خير وشرّ كالماء القابل للتشكّلات المختلفة بسهولة، فمنه عذب فرات ومنه ملح أُجاج.

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «إنّ الله قبل أن يخلق الخلق قال: كن ماءً عذباً أخلق منك جنّتي وأهل طاعتي، وكن ملحاً أُجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي، ثم أمرهما فامتزجا، فمن ذلك صار يلد المؤمن كافراً والكافر مؤمناً».[٤]

ويؤيّد هذا التشبيه والتجوّز ويشيّده ما يقال أنّ نسبة المادّة إلىٰ مقبولاتها التي

---

١. الكافي ١: ١٤/٢٠.
٢. معاني الأخبار: ٢٩.
٣. هود/٧.
٤. المحاسن ١: ٢٨٢/ ٤١٢.

هي لابستها وخالعتها من الصور والأعراض نسبة البحر إلىٰ الأمواج.

«فقال له أدبر» أمر الله له أمر التكوين أن اهبط من عالم الملكوت والنور إلىٰ عالم الموادّ والظلمات مصلحةً للنظام وابتلاءً للأنام. إذ نظام هذا العالم وعمارته لا ينصلح إلّا بنفوس شرّيرة وقلوب قاسية، وتكميل السعداء المهتدين لا يتمشّىٰ إلّا بوجود الأشقياء المردودين، ولأن يتحقق مظاهر بعض الأسماء فيوجد آثارها «كالعدل» و «المنتقم» و «الجبار» و «التوّاب» و «الغفور» و «العفو» فإنها أسماء إلهيّة وصفات ربّانية لا يظهر آثارها وغاياتها إلّا إذا جرىٰ علىٰ العبد ذنب، ولذلك ورد في بعض الأخبار «لولا أنّكم تذنبون لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم».

«فأدبر» فتوجّه إلىٰ عالم الزور وبعد عن مقام الرحمة والنور هابطاً مع العقل حيث هبط وظهر في حقائق النفوس الفلكية والطبائع والصور والمواد، فصار جسماً مصوراً من ماءٍ أُجاج وأرض خبيثة منتنة، ثم صار نباتاً، ثم صار حيواناً ذا جهل هيولائي، ثم اكتسب جهلاً بالملكة، ثم جهلاً مستفاداً، ثم جهلاً بالفعل، وعند ذلك انتهىٰ إدباره فصار في غاية البعد من الله سبحانه.

وكذلك فعل من تبعه وشيّعه من الأرواح الخبيثة المتشعّبة منه ويلحق به ويحشر معه في هويه إلىٰ دركات الجحيم ونزوله إلىٰ أسفل سافلين، وإدباره في جميع المراتب تابع لإدبار العقل وإقباله جميعاً، وإنما تحقق بالعرض لا بالذات، إذ كلّ من لم يقبل من شعاع نور العقل أو قلّ قبوله منه، بقي في ظلمة الجهل بمقدار عدم قبوله منه، وذلك لسوء استعداد مادّته وخبث طينته.

«ثم قال له: أقبل» أمراً تكليفياً تشريعياً «فلم يقبل» لأنه بلغ بالإدبار أقصىٰ مراتب الكمال المتصوّر في حقّه، ولهذا استكبر لتأكّد وجوده الظلماني ورسوخه في ذمائم الصفات وقوة أنانيّته واغتراره. والإقبال إلىٰ الحقّ إنّما يتيسّر لنفوس السعداء لأجل ضعف وجودهم الجسماني وقبولهم التبدّل في الأكوان الوجودية، وتطوّرهم في الأطوار الأُخروية بفناء بعد فناء لبقاء فوق بقاء، وعدم تعلّقهم بهذا الوجود، ولا تقيّدهم بهذه المحابس والقيود، وترك التفاتهم إلىٰ شيء سوىٰ مبدأ كلّ خير وجود، وليس شيء من هذه في الأشقياء، بل هم متصّفون بأضدادها.

«فلعنه» أبعده عن رحمته وطرده عن دار كرامته «خمسة وسبعين جنداً» المذكور في النسخ التي رأيناها عند التفصيل «ثمانية وسبعين» ولعلّ الثلاثة الزائدة «الطمع والعافية والفهم» لاتّحاد الأوّلين مع الرجاء والسلامة المذكورين وذكر

الفهم مرّتين في مقابلة اثنين متقاربين. ولعلّ الوجه في ذلك أنّه لمّا كان كلّ منها غير صاحبته في دقيق النظر ذكرت على حدة، ولمّا كان الفرق دقيقاً خفيّاً والمعنى قريباً ـ كما يأتي ذكره ـ لم يحسب من العدد.

«أضمر له العداوة» قال أُستادنا في العلوم الحقيقية صدر المحقّقين محمّد بن إبراهيم الشيرازيﷺ: إنّما لم يعلن بالعداوة لعدم قدرته على إمضائها، وذلك أنّه لمّا ظهر له من فضائل العقل ومحاسنه وما أكرمه الله به من العلوم والكمالات ممّا هو مسلوب عنه، ولا يمكنه تحصيلها لنفسه لإعراضه عن الحقّ سابقاً بالإيجاب ولاحقاً بالاكتساب، ولا يقدر أيضاً على جحودها وإنكارها لغاية ظهورها وظهور آثارها، فغلبه الحسد والبغضاء، فجعل تارة يكتسب لنفسه صفات مشبّهة وعلوماً مموّهة، وأقوالاً مزخرفة يتراءى عند الجّهال أنّها كمالات، وأُخرى يعارض العقلاء ويقاوم الحكماء بصفات تضادّ صفاتهم، فالتطارد بين حزب الله وحزب الشيطان واقع إلى يوم القيامة، كما قال الخليل على نبيّنا وعليه السلام: **﴿وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده﴾**[1].

«مثلي» فإنّي مخلوقك كما أنّه مخلوقك «مثل ما أعطيته» في القوّة والكثرة، ليتحقّق[2] لي بكلّ منها المعارضة والمجادلة معه، وذلك قول الله عزوجل: **﴿ومن كلّ شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكّرون﴾**[3].

«من رحمتي» أي من الرحمة العامّة الواسعة التي وسعت كلّ شيء، لا الخاصة التي هي لأهل السعادة خالصة، لخروج الجهل وجنده من تلك الرحمة أزلاً وأبداً.

«الخير» المراد به معناه الحقيقي دون الإضافي وهو ظاهر، وإنّما جعل وزير العقل لدخول سائر جنوده تحته كدخول سائر جنود الملك تحت حكم وزيره، وكذا الكلام في الشرّ.

«والإيمان» هو الاعتقاد الجازم الثابت بالله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكماله إنّما يكون بالعمل بمقتضاه «والتصديق» يعني بما ظهر حقيقتةً ولأهل الحق إذا عرفوه.

«والرجاء» الفرق بينه وبين الطمع، وكذا بين القنوط واليأس، إمّا بأن يخصّ

---

١. الممتحنة (٦٠): ٤.
٢. يستحقّ ـ خ ل.
٣. الذاريات (٥١): ٤٩.

الرجاء والقنوط بالأُمور الأُخروية، والآخران بالأُمور الدنيوية، كما يشعر به قوله سبحانه: ﴿لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً﴾[1] وقوله عزوجل حكاية: ﴿فتحسّسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله﴾[2] أو يخصّ الرجاء بما يكون بالاستحقاق والطمع بما ليس بالاستحقاق، وكذا الآخران، أو يخصّ أحدهما بإعطاء الثواب، والآخر بترك العقاب، ومقابلاهما بما يقابلهما.

«والعدل» هو لزوم الاقتصاد في كل شيء من الأخلاق والأعمال ومعاملات الناس من غير ميل إلىٰ طرفي الإفراط والتفريط.

«والرضا» أي بقضاء الله عزّوجل، وعلامته ترك الشكاية في نفسه وإلىٰ غيره.

«والشكر» وهو يكون باللسان بأن يحمد الله علىٰ نعمه، وبالجنان بأن يعتقد أنّها من الله تعالىٰ، وبالأركان بأن يصرفها في طاعة الله.

«والتوكل»: وهو أن يكل أُموره جميعاً إلىٰ الله تعالىٰ ولا يعتمد علىٰ الأسباب، ولا ينافيه السعي الإجمالي فيها من غير اعتماد «وضدّه الحرص» هو بذل الجهد في التحصيل معتقداً أنّ بدون ذلك لا يحصل، ولاشتماله علىٰ المعنيين قوبل تارة بالقنوع كما يأتي، وأُخرىٰ بالتوكّل كما هنا. وقيل: بل الذي هو ضدّ التوكّل إنّما هو بالضاد المعجمة والتحريك، ومعناه: الهمّ بالشيء والحزن له والوجد عليه. وتقسّم البال في التوصّل إليه.

«والرأفة» قيل: هي حال القلب المعنوي، والرحمة حال القلب الجسماني.

«وضده الجهل» هو عدم العلم عمّن شأنه أن يكون عالماً، فهو غير الجهل الذي في مقابلة العقل الذي قد مرّ تفصيله.

«وضدّه الحمق» هو البلادة المفرطة، ولعلّ الفرق بينه وبين الغباوة كالفرق بين الجهل المركب والبسيط.

«والعفّة» هي اعتدال القوّة الشهوية في كلّ شيء من غير ميل إلىٰ الإفراط والتفريط. «وضدّها التهتّك» هو إفراطها واستعمالها فيما لا ينبغي.

«والزهد» يعني في الدنيا، «والرفق» هو التلطّف ولين الجانب. «وضدّه الخُرق» بالضم، وبالتحريك، وهو الزجر والخشونة، وأصله الجهل والحمق. ويقال: «الأخرق» لمن لا يحسن العمل والتصرف في الأُمور أيضاً.

«والرهبة» يعني من الله سبحانه «وضدّها الجرأة» يعني علىٰ محارم الله سبحانه.

---

١. الزمر (٣٩): ٥٣.

٢. يوسف (١٢): ٨٧.

«وضدّه الكبر» هو ما يكون في النفس كامناً، فإن ترتّب عليه الآثار فهو التكبّر والاستكبار.

«والتؤدة» هي التأنّي والتثبّت في الأُمور. «وضدّه السّفه» هو الخفّة والطيش.

«والصمت» هو السكوت عمّا لايحتاج إليه «وضدّه الهذر» هو الهذيان والكلام الذي لا فائدة فيه.

«والاستسلام» هو الطاعة والانقياد لكلّ ما هو حقّ، «والتسليم» هو الإذعان للحق من غير تزلزل واضطراب. وربما يوجد في بعض نسخ «الكافي» وغيره: (والتسليم وضدّه التجبّر، والعفو وضدّه الحقد، والرّقة وضدّها القسوة، واليقين وضدّه الشك)، ويمكن إرجاع بعض هذه إلىٰ غيرها ممّا ذكر.

«والصبر» أي علىٰ الطاعات، وعن المعاصي، وعلىٰ المكاره، «والصفح» هو العفو والتجاوز.

«والغنىٰ» يعني بالحق، أو غنىٰ النفس، أو التغاني، «وضدّه الفقر» يعني إلىٰ الخلق، أو فقر النفس، أو التفاقر.

«والتذكر» وهو استحضار القوّة المدركة الصورة العلميّة من الحافظة ثانياً بعد ما أدركتها أولاً واختزنتها فيها. وفي بعض النسخ: «التفكّر» يعني في صنائع الله سبحانه وبدائعه وآفات النفس والأُمور الأُخروية ونحو ذلك. «وضدّه السهو» السهو إن جُعل ضد التذكّر فمعناه: زوال تلك الصورة من المدركة لا الحافظة، فيمكن استحضارها ثانياً عند التفتيش والإمعان والاسترجاع، وإن جعل ضدّ التفكّر فمعناه: الغفلة عمّا ينبغي أن يتفكّر فيه.

«والحفظ» يعني حفظ ما ينبغي حفظه، وهو اختزان الصورة العلمية في الحافظة. «وضدّه النسيان» هو زوالها عن الحافظة.

«والقنوع» أي في أُمور الدنيا بالقليل اليسير وعلىٰ قدر الكفاية. «والمواساة» هي المشاركة في المعاش والمساهمة في الرزق مع إخوانه الذين هم نظراؤه في الدين.

«والمودّة» هي من الودّ بمعنىٰ الحبّ، وكأنّ الفرق بينها وبين الحبّ أنّ الحبّ ماكان كامناً في النفس وربّما لم يظهر أثره، بخلاف المودّة فإنها عبارة عن إظهار المحبة وإبراز آثارها من التألّف والتعطّف ونحو ذلك، فالحبّ أعمّ وكذا مقابلاهما.

«والوفاء» هو إتمام الحقوق وتوفيرها «والخضوع» أي لمن ينبغي ويستحقّ له،

وهو التذلّل، وربّما يفرّق بينه وبين الخشوع بأن يخصّ الخضوع بالصوت والبصر، والخشوع بالبدن، أو أحدهما بالقلب والآخر بالجوارح. «وضدّه التطاول» هو الترفّع والاستحقار.

«والسلامة وضدّها البلاء» ويأتي أيضاً «والعافية وضدّها البلاء» وربّما يفرّق بينهما بأن يجعل البلاء الذي ضدّ السلامة بمعنى الامتحان والاختبار ويكون بالخير والشرّ، والبلاء الذي ضدّ العافية، بمعنى البلوى والبليّة. وربّما يخصّ متعلّق أحدهما ممّا يكون العبد سبباً له كالفسوق والعادات الرديّة. والأُخرى بما يكون من جهته سبحانه كالأمراض والعلل. أو يخصّ إحداهما بالروح والأُخرى بالجسد، أو يخصّ إحداهما بالنفس والأُخرى بما يخرج عنها كالأهل والمال والولد، والأوّل أولى.

ثم إن فسّرناهما أو أحداهما بالخلوّ من الأمراض النفسانية والآراء الفاسدة والأعمال القبيحة فكونهما من جنود العقل، وكون ضدّهما من جنود الجهل ظاهر، فإنّ العاقل يتخلّص منها لمعرفته بها، والجاهل يختارها ويقع فيها من حيث لا يشعر. وأمّا إذا فسّرناهما أو إحداهما بالخلوّ من الأمراض والعلل. فبيانه يحتاج إلى بسط في الكلام مع أنه ورد في الحديث: «إنّ البلاء موكّل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل»[1] فكيف يكون من جنود الجهل ما هو بالأنبياء والأولياء أخصّ وبهم أليق!

فنقول وبالله التوفيق: قد دلّ قوله سبحانه: ﴿**ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير**﴾[2] على أن جميع المصائب من الأمراض والعلل وغيرها متسبّب عن سيّئات العبد ومعاصيه الناشئة من جهله، فهو بمقدار جهله وقلّة عقله سبّب لمعاصيه الموجبة لابتلائه بالبلايا.

وأمّا الأنبياء والأولياء فابتلاؤهم مخصوص بأبدانهم وما يتعلّق بحياتهم الدنيوية فحسب دون أرواحهم وما يرتبط بحياتهم الأُخروية، وأبدانهم في معرض الغفلة والحجاب والبعد عن الله سبحانه اللازمة للبشرية. فهم إنّما يبتلون في أبدانهم بقدر غفلتهم ولوازم بشريّتهم في هذه الدار التي هي بمنزلة السجن لهم ليتخلّصوا إلى جناب القدس خالصين مخلَصين (بفتح اللام) وهذا لا ينافي عصمتهم، لأنّ عصمتهم إنما هي من الذنوب والمعاصي لا المباحات المبعدة لهم

---

١. الكافي ٢: ١٠٦ / ٢٥٩ و٢٩ ما في معناه.
٢. الشورى (٤٢): ٣٠.

عن عوالي المراتب الموجبة لابتلائهم بالمصائب ليعودوا إليها، يدلّ علىٰ ذلك ما نسب إليهم في القرآن ممّا لا ينبغي وان لم يكن معاصي.

وفي (روضة الكافي) باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: **﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنّه ليس له سلطان علىٰ الذين آمنوا وعلىٰ ربّهم يتوكّلون﴾**[1]؟

فقال: «يأبا محمّد، تسلّطه والله من المؤمن علىٰ بدنه ولا يسلّط علىٰ دينه، وقد سلّط علىٰ أيّوب عليه السلام فشوّه خلقه ولم يسلّط علىٰ دينه، وقد يسلّط من المؤمنين علىٰ أبدانهم ولا يسلّط علىٰ دينهم».

قلت: قوله تعالىٰ: **﴿إنما سُلطانه علىٰ الذين يتولّونه والذين هم به مشركون﴾**[2].

قال: «**الذين هم بالله مشركون يسلّط علىٰ أبدانهم وعلىٰ أديانهم**»[3].

«**والإخلاص**» هو أن يفعل الطاعة إبتغاءً لوجه الله سبحانه والدار الآخرة لا لشيء آخر من هوىً أو شهوة، أو عادة، أو رياء، أو نحو ذلك «**وضدّه الشوب**» هو أن يكون مشوباً بإحدىٰ هذه.

«**والشهامة**» هي الجلادة وذكاء الفؤاد وتوقّده، والمعرفة ربّما يفرّق بينها وبين العلم بأنها إدراك الجزئيات، والعلم إدراك الكلّيات، أو هي إدراك البسائط، وهو إدراك المركبات، أو هي الإدراك التصوري، وهو الإدراك التصديقي، أو هي إدراك الشيء ثانياً وتصديقه بأنّ هذا ذاك الذي قد أدركه أولاً، وكأنّه المراد هاهنا، لأن الإنكار لا يصلح أن يكون ضدّاً إلّا لمثل هذا المعنىٰ.

«**والمداراة**» هي الستر علىٰ المعايب وترك الجفاء والصبر علىٰ الأذىٰ «**وضدّها المكاشفة**» هي إظهار العداوة وكشف البغضاء «**وسلامة الغيب**» أي سلامة غيره منه في غيبته فلا يمكره، أو أُريد بالغيب القلب «**والكتمان**» أي ستر عيوب الإخوان وأسرار الخلّان. قيل: وإن اضطرّ إلىٰ الكذب فله أن يفعل كما في حقّ نفسه، فالمؤمنون كنفس واحدة.

«**والصلاة**» وضدّها الإضاعة، و للإضاعة مراتب أعلاها تركها بالكليّة، وأدناها ترك شيء من آدابها وسننها كالمحافظة علىٰ وقتها والإقبال عليها والجماعة فيها.

---

١. النحل (١٦): ٩٨ ـ ٩٩.

٢. النحل (١٦): ١٠٠.

٣. الكافي ٨: ٢٨٨ / ٤٣٣.

«وضدّه الإفطار» للإفطار أيضاً مراتب، أعلاها الأكل والشرب والوقاع، وأدناها الغيبة والكذب والفحش والخصومة ونحوها.

«والجهاد» وهو شامل للأصغر الذي هو مع الأعداء الظاهرة، والأكبر الذي هو مع النفس التي هي أعدىٰ الأعداء «وضدّه النكول» هو الامتناع وترك الإقدام، وله مراتب أعلاها ترك الجهاد بالكلية، وأدناها ترك الإخلاص فيه وشوبه بالحظوظ العاجلة.

«وضدّه نبذ الميثاق» هو ترك الوفاء بالعهد، فإن الله سبحانه عهداً في عنق عباده أن يحجّوا بيته الحرام ويتذكروا الميثاق الذي جعله الله سبحانه لهم في الحجر الأسود بالربوبية لنفسه وبالنبوّة لمحمّد ﷺ وبالوصيّة لعليّ ؑ، فإنّه أوّل من أسرع إلىٰ الإقرار بذلك، فاختاره الله لأن يجعل فيه ميثاق الناس، فيشهد يوم القيامة لكلّ من وافاه وحفظ الميثاق كما جاءت به الرواية عنهم ؑ. والرواية عن أمير المؤمنين ؑ.

«وضدّه النّميمة» هي نقل الحديث من قوم إلىٰ قوم علىٰ جهة الإفساد والشرّ. فهي أخصّ من الإفشاء. لأنّه قد يتعلّق بغير الحديث، كما انّ صون الحديث أخصّ من الكتمان.

«وضدّه العقوق» هو الإساءة إليهما وتضييع حقوقهما.

«والحقيقة» هي استواء السرّ والعلانية بأن لا يظهر في أفعاله وأقواله، وكلّ ما ندب إليه الشرع في فعل الحسنات وترك القبائح، وهو من الصفات الغالبة، أي الأمر المعروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه.

«والستر» هو بفتح السين بمعنىٰ التغطية، والمراد به تغطية ما يقبح إظهاره ويستهجن شرعاً أو عرفاً. «وضدّه التبرّج» هو التظاهر بذلك من دون مبالاة.

«والتقيّة» هي وقاية النفس من اللائمة أو العقوبة، وهي من الدّين، وفي كلّ شيء «وضدّها الاذاعة» هي الإشاعة، قال الله تعالىٰ تعييراً لقوم: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به﴾[1].

«والإنصاف» هو التسوية والعدل «وضدّه الحميّة» هي التجاوز من العدل والتعدّي من الحق استنكافاً منهما للغيرة النفسانية والتعصّب للشيء، سمّيت بها لأنها سبب الحماية.

---

١. النساء (٤): ٨٣.

«والتهيئة» لعلّ المراد بها هاهنا التأنّي والتثبّت في الأُمور والاستقامة على المأمور، وربّما تفسّر بالموافقة والمصالحة للجماعة وإمامهم، وفي بعض النسخ بالنون قبل الهاء، فإن صحّت فهي اسم من انتهىٰ عن المنكر وتناهىٰ عنه.

«وضدّه الخلع» هو في الأصل بمعنىٰ النزع ومن لم يستحي فكأنّه نزع، عن نفسه قيد الشرع وعقال العقل.

«والقصد» هو التوسط في الأُمور كلّها، «وضدّه العدوان» هو التجاوز عن الوسط والعدول عنه الاستقامة إما إلىٰ الإفراط أو التفريط.

و «الراحة» قيل: يعني بها اختيار ما يوجبها بحسب النشأتين.

وقال أُستاذنا صدر المحقّقين طاب ثراه: إنّما كانت الراحة من جنود العقل لقلّة شواغل العاقل بالأُمور الدنياوية ولاستئناسه بذكر الحق، ورضائه بما جرىٰ عليه وقسم له من قضاء الله صابراً علىٰ أحكامه شاكراً لنعمه، لا يحسد أحداً من الخلق، ولا يريد ظلماً ولا سوءاً، ولا يضمر دغلاً ولا شرّاً، فنفسه ساكنة عن الوسواس، وقلبه فارغ عن الخلق، يستوي عنده إنكارهم وإذعانهم لعلمه بحقارة الدنيا ودثورها.

وامّا الجاهل فهو أبداً في تعب ومشقّة، تارة من جهة عاداته الرديّة وأمراضه النفسانية، كالحقد، والحسد، والعداوة، وغيرها من الملكات التي هي كشعلات نارية، يحترق بها قلبه في الدنيا والآخرة، وتارة من جهة أغراضه النفسانية الشهوية، واكتساب مشتهياته التي يتعب بدنه في تحصيلها من ارتكاب الأسفار البعيدة، وركوب البحار العميقة، وقطع المفاوز الخطيرة، وتارة من جهة حبّه الرئاسات والمناصب والترفّعات علىٰ الأقران بارتكاب المخاطرات، كتقرّب السلاطين، وتعرّضه لمكافحة الخصماء ومحاربة الأعداء إلىٰ غير ذلك من الأُمور الباطلة المتعبة للنفوس والأبدان، المعذّبة للقلوب والأرواح، ومنشأ هذه كلّها الجهل بدناءة الحياة الدنيا وخساسة هذه الأغراض ودثورها وزوالها.

و «السهولة» هي الانقياد ولين الجانب، في الحديث النبويّ: «المؤمنون هيّنون ليّنون، كالجمل الأنف إن قيد انقاد، وإن أُنيخ علىٰ صخرة استناخ»[1].

«والبركة» هي الدوام والثبات والنماء «وضدّها المحق» هو النقص والمحو والإبطال.

---

١. النهاية ١: ٧٥، شرح شهاب الأخبار: ٤٨ / ١١٩.

«والقوام» هو القناعة بما يقوم به الشخص في الدنيا ويتقوىٰ بـه فـي العـبادة والكفاية بالمقدور والاقتصاد في التحصيل والإنفاق، قال الله تعالىٰ: ﴿**والذيـن إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً**﴾[١]. «وضدّه المكاثرة» هـي جـمع الأسباب والحرص علىٰ التكاثر في الأموال والأولاد والضياع والعـقار والنسـاء والخيل والأنعام وغير ذلك من متاع الحياة الدنيا ممّا يزول وتبقىٰ حسرته، وقـد ورد: «إنّ الدنيا دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له»[٢].

«والحكمة» هي الأخذ باليقينيّات الحقّة في القول والعمل و «ضدّها الهوىٰ» هو الرأي الفاسد وإتّباع النفس وشهواتها الباطلة فيهما، قال الله تعالىٰ: ﴿**وما ينطق عن الهوىٰ**﴾[٣].

«والوقار» هو الثبات والسكون والحلم والرزانة.

«والسعادة وضدّها الشقاوة» السعادة: هي نيل ما تشتهيه النفس مع الشعور بـه، والشـقاوة: فـقد ذلك مـع الشـعور بـه. وكـلّ مـنهما يـنقسم إلىٰ الدنـياوية والأُخراوية، والسعادة الدنياوية أيضاً من جنود العقل إذا لم يـخلّ بـالأُخراويـة، وأمّا الشقاوتان فكلتاهما من جنود الجهل، كما بيّناه في بيان الراحة والتعب.

و «التوبة» هي الرجوع من الذنب إلىٰ الطاعة «وضدّها الإصرار» هو الإقامة علىٰ الذنب والإدامة عليه.

«والاستغفار» هو طلب المغفرة والعفو من الله تعالىٰ عن تقصيره في جـنب الله «وضدّه الاغترار» هو الغفلة عن التقصير بسبب غلبة الهوىٰ.

«والمحافظة» هي المراقبة والمداومة علىٰ فعل الخيرات «وضدّها التـهاون» هـو الاستحقار والاستخفاف.

«والنشاط» هو النهوض للعبادة علىٰ وجه الخفّة والسهولة «وضدّه الكسل» هو التثاقل في الأمر.

و «الفرح» هو السرور، وإنّما كان الفرح من جنود العقل لأنّه من لوازم إدراك المحبوب وصفاته وآثاره، وكلّما كان المحبوب أشرف وأعلىٰ فإدراكـه وإدراك صفاته وآثاره ألذّ وأبهج، وسرور المدرك به أشدّ وأكثر. والعاقل محبوبه هو الله سبحانه الذي هو أعلىٰ الأشياء، وهو مدرك لصفاته وآثاره عزّ وعلا، فهو فرحان

---

١. الفرقان (٢٥): ٦٧.
٢. مسكّن الفؤاد: ٢، المقدمة.
٣. النجم ٥٣: ٣.

بالحق وبكلّ شيء لأنه يرىٰ فيه الحق ويعلم أنّه منه وأنّ مصيره إليه، لأنه ينظر إلىٰ الأشياء بنور الله.

والجاهل مطلوبه إنّما هي اللذّات الفانية التي هي حاجات متعبة وضرورات مزعجة، فإنّ الأكل والشرب والوقاع وقهر العدوّ ونحوها مثلاً إن هي إلّا دفع آلام ورفع كربات وتسكين نيران وإطفاء لهبات من جوع أو عطش أو غلمة[1] أو تشفّي غيظ أو نحو ذلك. وإنّما سمّي ما يحصل له عقيب انفعاله عنها فرحاً وسروراً من باب الغلط والاشتباه، لعدم وجدان صاحبه الفرح الحقيقي، فيحصل بسببه الغرور، كما قال سبحانه: **﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو ـ إلىٰ قوله ـ وما الحياة الدّنيا إلّا متاع الغرور﴾**[2]. بل كلّما نال منها شيئاً اهتم في تحصيل آخر ولم يرض به وهكذا، فهو دائماً في غمّ وحزن في تحصيل مآربه، ومآربه **﴿كَسَرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً حتىٰ إذا جائه لم يجده شيئاً﴾**[3].

و «**ضدّه الحزن**» إنّما كان الحزن من جنود الجهل لأنّه إنّما يكون علىٰ ما فات، والعاقل من حيث هو عاقل لا يتأسّف علىٰ ما فاته، قال الله سبحانه: **﴿لكيلا تأسوا علىٰ ما فاتكم﴾**[4]، وقال: **﴿إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**[5].

و «**الألفة**» يعني بالموافق والمخالف، قال أُستادناﷺ: الوجه في كون الألفة من صفات العقل أنّه جوهر مرتفع الذات عن الجسم والجسمانيات، وعالمه عالم الوحدة والجمعية، ومنه يتفرّع كلّ خير ورحمة، والجهل صفة النفوس المتعلّقة بالأجسام التي وجودها عين قبول الانقسام والافتراق، ووحدتها عين الكثرة، ووصلها عين الفصل والمباينة. وكلّ واحد من ذوي النفوس الجزئية قبل أن يستكمل ذاته عقلاً بالفعل، لا يحبّ إلّا نفسه، بل يعادي غيره ويحسده علىٰ ما آتاه الله من فضله، وإذا أحبّ أحداً فإنّما أحبّه ليتوصّل به إلىٰ هواه أو شهوته، فإذا ارتفعت الأغراض والأعراض من بينهم كما في الآخرة رجعوا إلىٰ ما كانوا عليه من الفرقة والعداوة، كما قال سبحانه: **﴿الأخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ**

---

١. الغلمة: هيجان شهوة النكاح من المرأة والرجل «مجمع البحرين: ١٢٧/٦».
٢. الحديد (٥٧): ٢٠.
٣. النور (٢٤): ٣٩.
٤. الحديد (٥٧): ٢٣.
٥. يونس (١٠): ٦٢.

إلّا المتقين».[1]

و «ضدّها الفرقة» وفي بعض النسخ «العصبية».

«والسخاء» له مراتب أعلاها بذل المهجة في سبيل الله، ثم الإيثار: وهو البذل مع الحاجة، ومقابله الإمساك عن نفسه مع حاجته، وهي غاية اللؤم، إمتحن الله قلبه وشرحه ووسعه بالتصفية والتخلية[2] للإيمان (لنور الإيمان)، وهو العلم التحقيقي اللدنّي بمعرفة العقل وجنوده، لأنه إذا عرف العقل وجنوده عرف الجهل وجنوده، لأن الأشياء إنّما تعرف بأضدادها.

«ومجانبة الجهل وجنوده» إذا جونب الجهل وجنوده حصل العقل وجنوده، لأنّ التجلية والتحلية يستلزمان التخلية، والأول إشارة إلىٰ العلم، والثاني إشارة إلىٰ العمل.

❖ ❖ ❖

باب
الفضل والعقل

[٣] ١. الكافي: عن الكاظم عليه السلام قال لهشام بن الحكم: «ياهشام، إن الله تبارك وتعالىٰ بشّر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: **﴿فبشّر عباد الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾**[3].

يا هشام، إنّ الله تبارك و تعالىٰ أكمل للناس الحجج بالعقول و نصر النبيّين بالبيان، ودلّهم علىٰ ربوبيّته بالأدلّة». **ثم تلا عليه السلام الآيات[4] التي تدلّ أهل العقل علىٰ معرفة الله سبحانه وما**

---

١. الزخرف (٤٣): ٦٧.

٢. والتحلية. خ ل.

٣. الزمر (٣٩): ١٧ ـ ١٨.

٤. الآيات: النحل (١٦): ١٢ وغافر (٤٠): ٦٧ والجاثية (٤٥): ٥ والحديد (٥٧): ١٧ والرعد (١٣): ٤ والروم (٣٠): ٢٤ والأنعام (٦): ١٥١ والروم (٣٠): ٢٨ والأنعام (٦): ٣٢ والصافات (٣٧): ١٣٦ ـ ١٣٨ والعنكبوت (٢٩) ٣٤ و ٣٥ و ٤٣ والبقرة (٢): ١٧٠ و ١٧١ ويونس (١٠): ٤٢ والفرقان (٢٥): ٤٤ والحشر (٥٩): ١٤ والأنعام (٦): ١١٦ ولقمان (٣١): ٢٥ والعنكبوت (٢٩): ٦٣ وسبأ (٣٤): ١٣ وص (٣٨): ٢٤ وغافر (٤٠): ٢٨ وهود (١١): ٤٠ والأنعام (٦): ٣٧ والأعراف (٧): ١٣١ والأنفال (٨): ٣٤ ويونس (١٠): ٥٥ والقصص (٢٨): ١٣ و ٥٧ والزمر (٣٩): ٤٩ والدخان (٤٤): ٣٩ والطور (٥٢): ٤٧ والمائدة (٥): ١٠٣ والبقرة (٢): ٢٦٩ وآل عمران (٣): ٧ و ١٩٠ والرعد (١٣): ١٩ والزمر (٣٩): ٩ و ص (٣٨): ٢٩ و غافر (٤٠): ٥٣ ـ ٥٤.

يستفاد منه مدح العقل والعقلاء وذم الجهل والجهلاء وما يدلّ على مدح القلّة وذم الكثرة وتحلية أُولوا الألباب بأحسن حلية.

ثم قال: «ياهشام، إنّ الله تعالىٰ يقول في كتابه: ﴿إنّ في ذلك لذكرىٰ لمن كان له قلب﴾[1] يعني عقل، وقال: **﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾**[2] قال: الفهم والعقل.

ياهشام، إنّ لقمان قال لابنه: تواضع للحقّ تكن أعقل الناس، وإنّ الكيّس لدىٰ الحق يسير[3]. يابنيّ، إنّ الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوىٰ الله، وحشوها الإيمان، وشراعها التوكّل، وقيّمها العقل، ودليلها العلم، وسكّانها الصبر.

ياهشام، إنّ لكلّ شيء دليلاً، ودليل العقل التفكّر، ودليل التفكّر الصمت، ولكلّ شيء مطيّة، ومطيّة العقل التواضع. وكفىٰ بك جهلاً أن تركب ما نُهيت عنه.

ياهشام، ما بعث الله أنبياءه ورسله إلىٰ عباده إلّا ليعقلوا عن الله تعالىٰ، فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، وأكملهم عقلاً أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة.

ياهشام، إنّ لله على الناس حجّتين: حجّة ظاهرة وحجّة باطنة، فأمّا الظاهرة فالرّسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة فالعقول.

ياهشام، إنّ العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره، ولا يغلب الحرام صبره.

ياهشام، من سلّط ثلاثاً على ثلاثٍ فكأنّما أعان على هدم عقله: من أظلم نور تفكّره بطول أمله، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنّما أعان هواه على هدم عقله، ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه.

ياهشام، كيف يزكو عند الله عملك، وأنت قد شغلت قلبك عن أمر ربك، وأطعت هواك على غلبة عقلك!

ياهشام، الوحدة علامة قوة العقل فمن عقل، عن الله اعتزل أهل الدنيا والراغبين

---

١. ق (٥٠): ٣٧.
٢. لقمان (٣١): ١٢.
٣. أسير. خ ل.

فيها ورغب فيما عند الله وكان الله، آنسه في الوحشة، وصاحبه في الوحدة، وغناه في العيلة، ومعزّه من غير عشيرة.

ياهشام، نُصب الحقّ لطاعة الله، ولا نجاة إلّا بالطاعة، والطاعة بالعلم، والعلم بالتعلّم، والتعلّم بالعقل يعتقد، ولا علم إلّا من عالم ربّاني، ومعرفة العلم بالعقل.

ياهشام، قليل العمل من العالم مقبول مضاعف، وكثير العمل من أهل الهوىٰ والجهل مردود.

ياهشام، إنّ العاقل رضي بالدّون من الدنيا مع الحكمة، ولم يرض بالدّون من الحكمة مع الدنيا، فلذلك ربحت تجارتهم.

ياهشام، إنّ العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب، وترك الدنيا من الفضل وترك الذنوب من الفرض.

ياهشام، إنّ العاقل نظر إلىٰ الدنيا وإلىٰ أهلها فعلم أنها لا تنال إلّا بالمشقّة، ونظر إلىٰ الآخرة فعلم أنها لا تنال إلّا بالمشقّة، فطلب بالمشقّة أبقاهما.

ياهشام، إنّ العقلاء زهدوا في الدنيا، ورغبوا في الآخرة، لأنّهم علموا أنّ الدنيا طالبة مطلوبة، وأن الآخرة طالبة مطلوبة، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتىٰ يستوفي منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة، فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته.

ياهشام، من أراد الغنىٰ بلا مال، وراحة القلب من الحسد، والسلامة في الدّين فليتضرّع إلىٰ الله في مسألته بأن يكمل عقله، فمن عقل قنع بما يكفيه، ومن قنع بما يكفيه استغنى، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنىٰ أبداً.

ياهشام، إنّ الله تعالىٰ حكىٰ عن قوم صالحين أنّهم قالوا: **«ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب»**[1]. حين علموا أنّ القلوب تزيغ وتعود إلىٰ عماها ورداها، إنّه لم يخف الله من لم يعقل عن الله، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه علىٰ معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه، ولا يكون أحد كذلك إلّا من كان قوله لفعله مصدّقاً، وسرّه لعلانيته موافقاً، لأنّ الله تبارك اسمه لم يدلّ علىٰ الباطن

---

١. آل عمران (٣): ٨.

الخفيّ من العقل إلّا بظاهر منه وناطق عنه.

ياهشام، كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما عُبد الله بشيء أفضل من العقل وما تمّ عقل امرئٍ حتىٰ يكون فيه خصال شتىٰ: الكفر والشرّ منه مأمونان، والرشد والخير منه مأمولان، وفضل ماله مبذول، وفضل قوله مكفوف، نصيبه من الدنيا القوت، لا يشبع من العلم دهره، الذلّ أحبّ اليه مع الله من العزّ مع غيره، والتواضع أحبّ إليه من الشرف، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقلّ كثير المعروف من نفسه، ويرىٰ الناس كلّهم خيراً منه وأنّه شرّهم في نفسه، وهو تمام الأمر.

ياهشام، إنّ العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواه.

ياهشام، لا دين لمن لا مروّة له، ولا مروّة لمن لا عقل له، وإنّ أعظم الناس قدراً الذي لا يرىٰ الدنيا لنفسه خطراً. أمّا إنّ أبدانكم ليس لها ثمن إلّا الجنة فلاتبيعوها بغيرها.

ياهشام، إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: إنّ من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال: يجيب إذا سئل، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام، ويشير بالرأي الذي يكون فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شيء فهو أحمق.

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: لا يجلس في صدر المجلس إلّا رجل فيه هذه الخصال الثلاث أو واحدة منهن، فمن لم يكن فيه شيء منهنّ فجلس، فهو أحمق. وقال الحسن بن علي عليهما السلام: إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها، قيل: يابن رسول الله، ومن أهلها؟ قال: الذين قصّ الله في كتابه وذكرهم فقال: ﴿إنما يتذكر أُولوا الألباب﴾[1] قال: هم أُولو العقول.

وقال عليّ بن الحسين عليهما السلام: مجالسة الصالحين داعية إلىٰ الصلاح، وآداب العلماء زيادة في العقل، وطاعة ولاة العدل تمام العزّ، واستثمار المال تمام المروّة، وإرشادالمستشير قضاء لحقّ النعمة، وكفّ الأذىٰ من كمال العقل، وفيه راحة البدن عاجلاً وآجلاً.

ياهشام، إنّ العاقل لا يحدّث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولايعد

---

١. الرعد (١٣): ١٩.

من لا يقدر عليه، ولا يرجو ما يعنف برجائه، ولا يتقدّم على ما يخاف فوته بالعجز عنه»[١].

◁ **بيان**

«فيتّبعون أحسنه» مثلما يستمعون أنّ إله العالم واحد لا شريك له، وأنّه عالم قادر حكيم، إلىٰ غير ذلك من صفات الكمال، ثم يستمعون ما يخالف ذلك كلّه، فيتّبعون الأول دون الثاني، لأن الأول هو الأحسن عند ذوي البصائر والعقول السليمة. ومثلما يستمعون أنّ إله العالم أرسل رسولاً إلىٰ عباده ليهديهم إلىٰ الحق وإلىٰ طريق مستقيم، ثم يستمعون أنّه وكلهم إلىٰ عقولهم المتباينة، فيتّبعون الأول دون الثاني، ومثلما يستمعون أنّ الرسول أوصىٰ إلىٰ معصوم من أهل بيته بأن يخلفه في أُمّته بعد رحلته، ثم يستمعون أنّه أهمل ذلك وترك الأُمة في ضلالة وحيرة فيتّبعون الأول دون الثاني، إلىٰ غير ذلك من نظائره وهي كثيرة، وقد ذكرنا منها أكثر من أربعين في كتاب «بشارة الشيعة» ومن هذا القبيل ما يأتي في تفسيرها في الحديث.

و «انّ الكيّس[٢] لدىٰ الحق يسير» إن قرئ الكيس بالتخفيف فمعناه أنّ الفطانة لا قدر لها عند الله، وإنّما القدر عنده بالتواضع والمسكنة، وإن قرئ بالتشديد، فمعناه أنّ الفطن عند الله أو عند فهم الحق والعلوم اللدنيّة الكلية قليل، فإنّ أكثر الأكياس إنّما هم أكياس عند الناس وعند أنفسهم، أو كياستهم مقصورة علىٰ فهم الأُمور الجزئية الفانية الزائلة.

«بحر عميق» وجه الشّبه تغيّرها واستحالتها وإهلاكها والكائنات فيها كالأمواج، وما من صورة فيها إلّا ولابدّ أن تفسد. وأيضاً الناس يعبرون عليها إلىٰ دار أُخرىٰ بسفن أخلاقهم الحسنة، والسفينة الناجية هي التقوىٰ المحشوّة بالايمان.

و «شراع السفينة» بالكسر: ما يرفع فوقها من ثوب ليدخل فيه الريح فتجريها. و «قيّم السفينة» ربّانها الذي نسبته إليها نسبة النفس إلىٰ البدن. و «سكّانها» بالضم والتشديد: ذنبها لأنها به تقوم وتسكن.

«لكلّ شيء دليلاً» يوصله إلىٰ مطلوبه، فإنّ العاقل يصل إلىٰ مطلوبه بالتفكّر،

---

١. الكافي ١: ١٩/ ١٢.

٢. ربما يقال: أن المراد أنّ الكيّس إذا ظهر له الحق فهو «يسير» أي منقاد له غير صعب و لا عسير، منه ﷺ.

والتفكّر يتمّ بالصمت، أو الدليل بمعنىٰ العلامة، فإنّ علامة كون الإنسان عاقلاً كونه دائم التفكّر في خلق الله، وعلامة التفكّر الصمت.

«مطيّة» حاملٌ يركب عليه في حركته إلىٰ غايته التي خلق لها، فإنّ المطيّة الناقة التي يركب مطاها أي ظهرها. و «مطيّة العقل التواضع» أي التذلّل والانقياد للأوامر والنواهي والغَناء عن النفس، ليعقلوا عن الله، وليكتسبوا العلوم الدينية عن الله سبحانه بواسطة متابعة الأنبياء والرسل الذين هم أُولو العقول الكاملة، فيهتدوا إلىٰ الحقّ ويتوافقوا عليه، ولا يتّكلوا علىٰ عقولهم الجزئية الناقصة المتباينة، فيضلّوا ويختلفوا.

«فأحسنهم استجابة» لقبول الدعوة وانقياد الرسالة «أحسنهم معرفة» بالله وآياته وكلماته «وأعلمهم بأمر الله» بأحكامه وشرائعه أو بأفعاله سبحانه. «أحسنهم عقلاً» لأنّ حسن العقل إنّما يكون بالعلم والعمل، وقبول العمل إنّما يكون بإصابة السنّة، وهي إنّما تكون بالعلم بالسنّة، وهو العلم بأمر الله بالمعنىٰ الأول، أو نقول: إنّ حسن العقل إنّما يكون بتعلّم الحكمة، وهي العلم بأفعال الله تعالىٰ علىٰ ما هي عليه، وهو العلم بأمر الله بالمعنىٰ الثاني.

«بطول أمله» فإنّ طول الأمل في الدنيا يمنع التفكّر في الأُمور الإلهية النوريّة، لأنه يحمل النفس علىٰ التفكّر في الأُمور العاجلة وتحصيل أسبابها الظلمانية، فمن بدّل تفكّره في الأنوار الأخروية والباقيات الصالحات بتفكّره في الظلمات الدنيوية الناشئة عن طول أمله وحبّه للفانيات، فقد أظلم نور تفكّره بطول أمله.

«بفضول كلامه» لأنّ للكلام حلاوةً ولذّةً وسكراً يشغل النفس عن جهة الباطل، ويجعل همّها مصروفاً إلىٰ تحسين العبارات وتحريك القلوب بالنكات والإشارات، فيمحو به طرائف الحكمة عن قلبه.

«بشهوات نفسه» لأن حبّ الشيء يعمي ويصمّ عن إدراك غيره، فحبّ الشهوات يعمي القلب ويذهب بنور عبرته* «كيف يزكو» يظهر ويخلص وينمو.

«وأنت قد شغلت» بالأُمور الثلاثة المذكورة في الخطاب المتقدّم أو ببعضها.

«فمن عقل عن الله» بلغ عقله إلىٰ حدّ يأخذ العلم عن الله من غير تعليم بشر في كلّ أمر أمَرَ «اعتزل أهل الدنيا» إذ لم يبق له رغبة في الدنيا وأهلها، وإنّما يرغب في ما عند الله من الخيرات الحقيقية والأنوار الإلهيّة والإشراقات العقلية والابتهاجات

---

*. بصيرته. خ ل.

الذوقية والسكينات الروحية.

«كان الله آنسه»: مؤنسه، إذ موجب الوحشة فقد المألوف، وخلوّ الذات من الفضيلة، والله تعالىٰ مألوفه، وهو منبع كلّ خير وفضيلة.

«في العيلة» في الفاقة «نُصب الحق» علىٰ البناء للمفعول، ويعني بالحقّ دين الحقّ، أي أُقيم الدّين بإرسال الرّسل و إنزال الكتب ليطاع الله في أوامره ونواهيه.

«والطاعة بالعلم» أي العلم بكيفية الطاعة و «التعلّم» بالعلم «يعتقد» علىٰ البناء للمفعول، أي يذعن ويتعرّف محصوله «ولا علم» أي بكيفية الطاعة «إلّا من عالم ربّاني» أي بالتعلّم منه دون الاجتهاد والرأي.

«و معرفة العلم بالعقل» أي معرفة كونه علماً، وفي بعض النسخ: «العالم» وهو الأظهر.

«قليل العلم من العالم مقبول» لأنه يؤثّر في صفاء قلبه وارتفاع الحجاب عنه ما لا يؤثّر أضعافه في قلوب أهل الهوىٰ والجهل، لممارسته العلوم والأفكار المجلية لقلبه والمصقلة له عن الرّين والغين، والمعدّة له لاستفاضة النور عليه بسبب قليل من العمل، وقسوة قلوب أهل الهوىٰ والجهل وغلظ حجبهم وحرمانية نفوسهم وبعدها عن قبول التصفية، فلا يؤثر فيها كثير العمل.

«رضي بالدّون من الدنيا» وهو قدر البلغة مع الدنيا وإن كانت وافية ولذّتها كاملة «ربحت تجارتهم» إذ بدّلوا أمراً خسيساً فانياً بأمرٍ شريفٍ باقٍ. وعن أمير المؤمنين عليه السلام «لوكانت الدنيا من ذهب والآخرة من خزف، لاختار العاقل الخزف الباقي علىٰ الذهب الفاني»[1] كيف والأمر بالعكس من ذلك!

«تركوا فضول الدنيا» وإن كانت مباحة لأنها تمنع عن مزيد الكرامة وكمال القرب من الله سبحانه. «فكيف الذنوب» المورثة لاستحقاق المقت والعقوبة.

«إنّ الدنيا طالبة» طالبية الدنيا عبارة عن إيصالها الرّزق المقدّر إلىٰ من هو فيهاليكونوا فيها إلىٰ الأجل المقرّر، ومطلوبيّتها عبارة عن سعي أبنائها لها ليكونواعلىٰ أحسن أحوالها، وطالبيّة الآخرة عبارة عن بلوغ الأجل وحلول الموت لمن هو في الدنيا ليكونوا فيها، ومطلوبيتها عبارة عن سعي أبنائها لها ليكونوا علىٰ أحسن أحوالها.

ولا يخفىٰ أنّ الدنيا طالبة بالمعنىٰ المذكور، لأنّ الرزق فيها مقدّر مضمون

---

١. مجموعة ورام ١: ١٣٥.

يصل إلىٰ الإنسان لا محالة، طلبه أم لا **«وما من دابة في الأرض إلّا علىٰ الله رزقها»**[١]، وأنّ الآخرة طالبة أيضاً، لأن الأجل مقدّر كالرزق مكتوب **«قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتّعون إلّا قليلاً»**[٢].

«لا تزغ قلوبنا» الزيغ هو العدول عن الطريق «ورداها» أي هلاكها «لم يخف الله من لم يعقل عن الله» أي من لم يأخذ علمه عن الله كالأنبياء والأوصياء وكلّ من اقتبس من أنوارهم، وذلك لأنّ غيرهم إمّا مقلّد محض كالعامّي، أو جدلي ظانّ كالكلاميّ، وكلّ منهما لم يعرف أنّ الذي يصل إليه يوم القيامة إنّما هو من نتائج أخلاقه وتبعات أعماله التي لا ينفكّ عنها للعلاقة الذاتية بين الأشياء وأسبابها، فلم يخش من الله حقّ خشيته و **«إنما يخشىٰ الله من عباده العلماء»**[٣] أهل اليقين والبرهان، وأهل الكشف والعيان، فإنهم العارفون بأنّ الآخرة إنّما تنشأ من الدنيا علىٰ الإيجاب واللزوم علماً قطعيّاً من غير تخمين وجزاف، فهؤلاء هم الذين عقدت قلوبهم علىٰ معرفة ثابتة غير قابلة للزوال.

«ولا يكون أحد كذلك» أي عالماً ربّانياً عاقلاً عن الله **«إلّا من كان قوله لفعله مصدّقاً»** أي لا يدلّ قوله علىٰ خلاف ما يدلّ عليه فعله إلّا بظاهر منه كالفعل، وناطق عنه كالقول.

«أفضل من العقل» أي أفضل ما يتقرّب به العبد إلىٰ الله هو تكميل العقل باكتساب العلوم الحقيقية الأخروية والمعارف اليقينية الباقية المأخوذة من الله سبحانه دون غيره من الطاعات والعبادات البدنية والمالية والنفسية، كما ورد عن النبيّ ﷺ **«ياعليّ، إذا تقرّب الناس إلىٰ خالقهم بأنواع البرّ، فتقرّب أنت إليه بالعقل حتىٰ تسبقهم»**[٤].

«لا يشبع من العلم دهره» إذ لا نهاية له، وفيه إشارة إلىٰ أنّ العلم غذاء الروح، به يتقوّىٰ ويكمل، وبه حياته.

«الذلّ أحبّ إليه مع الله من العزّ مع غيره» لعلمه بأنّ العزة لله جميعاً بالذات، ولماسواه بالعرض، فالعزيز من أعزّه الله، فمن كان مع الله بالفناء عن نفسه

---

١. هود (١١): ٦.
٢. الأحزاب (٣٣): ١٦.
٣. فاطر (٣٥): ٢٨.
٤. مشكاة الانوار: ٢٥١.

كان عزيزاً بعزّة الله فضلاً عن كونه عزيزاً بإعزازه، ومن كان مع غيره فكان[١] ذليلاً لأمثاله.

و «التواضع أحب إليه من الشرف» لأنه أنسب إلىٰ العبودية، وأدخل في تصحيح تلك النسبة والتحقق بها.

«يستكثر قليل المعروف من غيره» تخلّقاً بأخلاق الله في تضعيفه لحسنات العباد «ويستقلّ كثير المعروف من نفسه» لكرامة نفسه واتّصاله بمنبع الجود والخير. «و يرىٰ الناس كلّهم خيراً منه» لحسن ظنّه بعباد الله. وحمله ما صدر منهم علىٰ المحمل الصحيح، لسلامة صدره، ولما رأىٰ من محاسن ظواهرهم دون ما خفي من بواطنهم، فيراهم أحسن أحوالاً منه «وأنه شرّهم في نفسه» لاطّلاعه علىٰ دقائق عيوب نفسه.

«وهو تمام الأمر» أي رؤية الناس خيراً ونفسه شرّاً تمام الأمر، لأنها موجبة للاستكانة والتضرّع التام إلىٰ الله تعالىٰ، والخروج إليه بالفناء عن هذا الوجود المجازي الذي كلّه ذنب وشرّ، كما قيل: وجودك ذنب لا يقاس به ذنب، أو اتصافه بهذه الخصال تمام الأمر.

«و إستثمار المال تمام المروّة» وذلك لأنه به يتمكن من أن يأتي بما يليق به من الانسانية «ولا يرجو ما يعنف برجائه» أي لا يرجو فوق ما يستحقّه، ولا يتطلع إلىٰ ما لا يستعدّه، فيوبّخ عليه «ولا يتقدّم علىٰ ما يخاف فوته» أي لا يفعل فعلاً قبل أوانه مبادراً إليه خوفاً من أن يفوته في وقته بسبب عجزه عنه، بل يفوّض أمره إلىٰ الله تعالىٰ.

[٤] ٢. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «ما قسّم الله تعالىٰ للعباد شيئاً أفضل من العقل، فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل. ولا بعث الله نبيّاً ولا رسولاً حتىٰ يستكمل العقل ويكون عقله أفضل من جميع عقول أُمّته، وما يضمر النبيّ في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين، وما أدّىٰ العبد فرائض الله حتىٰ عقل عنه، ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل والعقلاء، هم أُولو الألباب الذين قال الله تعالىٰ: **«وما يذّكّر إلّا أُولوا الألباب»**[٢].

---

١. فيكون. خ ل.

٢. الكافي ١: ١٢ / ١١ والآية: البقرة (٢): ٢٦٩ وآل عمران (٣): ٧.

◁ **بيان**

«**من شخوص الجاهل**» أي خروجه من بلده طلباً للخير والثواب كجهاد أو حجّ أو تحصيل للعلم أو نحو ذلك، وإنّما كان نوم العاقل وإقامته أفضل من سهر الجاهل وشخوصه، لأنّ العاقل إنّما ينام ليسكن به من حركات التعب ونهضات النّصب، فيكون ذلك له جماماً علىٰ الطاعات وقوّة علىٰ العبادات، وكذلك يقيم إذا رأىٰ الإقامة أنفع له في دينه وأعظم أجراً، وإنّما فضيلة الأعمال بالنيّات، وروحها التقرّب بها إلىٰ الله سبحانه، وذلك إنّما يتصوّر بعد المعرفة واليقين والجاهل بمعزل عنهما. «وما يضمر النبيّ في نفسه» هو العلوم اللدنية التحقيقية النورية التي أخذها عن الله عزوجل بلا واسطة تعليم بشر، كما قال سبحانه لنبينا ﷺ: ﴿**وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً**﴾[1].

«من اجتهاد المجتهدين» من أجر شدة عبادة العابدين، من الجهد بمعنىٰ المشقّة والكلفة، أي ثواب معرفته الموهبية فحسب من دون إضافة ثواب سائر عباداته ومعارفه المكتسبة إليه أفضل من ثواب عباداتهم الشاقّة ومكتسباتهم المبذول فيها غاية جهدهم من العلوم النظرية.

«وما أدّىٰ العبد فرائض الله» أي جميعها، وكما هو حقّ الأداء «**حتىٰ عقل عنه**» أي أخذ العلم عن الله وفهم حقائق الأشياء من قبله سبحانه بلا واسطة بشر وتقليد أحد كما للأنبياء عليهم السلام، أو ببركة متابعة الأنبياء كما للعلماء.

[٥] ٣. **الكافي: عن الصادق عليه السلام**: «دعامة الإنسان العقل، والعقل منه الفطنة والفهم والحفظ والعلم، وبالعقل يكمل، وهو دليله ومبصره ومفتاح أمره، فإذا كان تأييد عقله من النور كان عالماً حافظاً ذاكراً فطناً فهماً، فعلم بذلك كيف ولم وحيث، وعرف من نصحه ومن غشّه، فإذا عرف ذلك عرف مجراه وموصوله ومفصوله، وأخلص الوحدانية لله والإقرار بالطاعة، فإذا فعل ذلك كان مستدركاً لما فات وارداً علىٰ ما هو آتٍ، ويعرف ما هو فيه، ولأيّ شيء هو هاهنا، ومن أين يأتيه، وإلىٰ ما هو صائر، وذلك كلّه من تأييد العقل»[2].

---

١. النساء (٤): ١١٣.

٢. الكافي ١: ٢٥/ ٢٣.

◁ **بيان**

«**الدعامة**» العماد وما يعتمد عليه، والأصل الذي ينشأ منه الفروع والأحوال. «**ومبصره**» من أبصره إذا جعله بصيرة «**من النور**» أي نور البصيرة العلمية، أو أول المخلوقات الذي خلقه الله من نوره، وذلك التأييد بكمال إشراقه عليها «**كيف**» أي صفته المستقرة فيه «**ولم**» أي سبب وجوده «**وحيث**» أي جهته وسمته أو مرتبته ومقامه «**مجراه**» مسلكه أمستقيم أم معوّج، وإلىٰ سمت المطلوب أو معدول عنه «**وموصوله ومفصوله**» ما يصل إليه وما يفصل عنه.

«**مستدركاً لما فات**» أي مستدركاً لما فرّط في جنب الله بالتوبة والتلافي «**علىٰ ما هو آتٍ**» من الموت والبعث وما بعدهما قبل أن يرد ذلك عليه «**ويعرف ما هو فيه**» أي حقيقة هذه النشأة «**ولأيّ شيء**» أي العلّة التي بها هبط إلىٰ هذا المنزل الأدنىٰ «**ومن أين يأتيه**» أي من أيّ مرتبة وعالم يأتي هذا العالم الذي هو فيه اليوم، أو من أين يأتيه ما يأتيه «**وإلىٰ ما هو صائر**» وإلىٰ أيّ مقام ومسير سيرجع من هذا العالم، أشار بذلك إلىٰ العلم بأحوال المبدأ والمعاد وما بينهما، والنظر إليها حق النظر، والاعتبار بها حق الاعتبار علىٰ طبق ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «رحم الله امرأً أعدّ لنفسه، واستعدّ لرمسه، وعلم من أين وفي أين وإلىٰ أين»[1].

[٦] ٤. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «بالعقل استخرج غور الحكمة، وبالحكمة استخرج غور العقل، وبحسن السياسة يكون الأدب الصالح»

وقال: «التفكّر حياة قلب البصير، كما يمشي الماشي في الظلمات بالنور بحسن التخلّص وقلّة التربّص»[2].

◁ **بيان**

«**بالعقل**» أي باستعمال العقل النظري والعملي معاً «**استخرج غور الحكمة**» أي غوامض المعارف الحكمية والعلوم الإلهية «**وبالحكمة استخرج غور العقل**» أي بإدراك الحقائق العقلية وتحصيل المعارف الحكمية استخرج النفس من حدّ القوة إلىٰ الفعل، ومن حدّ النقص إلىٰ الكمال، في باب العقل والمعقول، وفي التأدّب بالآداب الصالحة والتخلّق بالأخلاق الحميدة، فيصير عقلاً كاملاً بالفعل، وهو

---

١. نهج البلاغة: خ ٧٤ و ١٠١ و ٢٠٣.
٢. الكافي ١: ٢٨ / ٣٤.

المراد من غور العقل، يعني غايته وكماله الأقصىٰ.

والحاصل أنّ كلّ مرتبة من العقل تقتضي استعداد الوصول إلىٰ مرتبة من الحكمة، إذا حصلت للنفس تجعلها مستعدّة لفيضان مرتبة اُخرىٰ فوقها من العقل وبالعكس، وهكذا يتدرّجان في الاشتداد والازدياد إلىٰ أن يبلغا إلىٰ الغاية القصوىٰ والدرجة العليا، فبكلّ منهما يقع الوصول إلىٰ غور الآخر وغايته.

«**وبحسن السياسة**» أي باستعمال العقل العملي وتهذيب الأخلاق، سواء كان السائس من خارج كالسلطان، أو من داخل كحسن تدبير النفس «**التفكّر حياة قلب البصير**» إشارة إلىٰ كيفية استخراج الحكمة والسير في عالم الملكوت، وشبّه التفكّر في ظلمات النفس بالنور في ظلمات الأرض ضرباً للمثل «**بحسن التخلّص**» أي من الورطات «**وقلّة التربّص**» أي بسرعة الوصول إلىٰ المطلوب.

[٧] ٥. **الكافي، والفقيه: عنه عليه السلام قال: «هبط جبرئيل عليه السلام علىٰ آدم عليه السلام فقال: ياآدم إني اُمرت أن اُخيرّك واحدة من ثلاث فاخترها ودَع اثنتين، فقال له آدم: ياجبرئيل، وما الثلاث؟ فقال: العقل، والحياء، والدين. فقال آدم: إنّي قد اخترت العقل. فقال جبرئيل للحياء والدين: انصرفا ودعاه، فقالا: ياجبرئيل، إنّا اُمرنا أن نكون مع العقل حيث كان. قال: فشأنكما، وعرج»**[1].

[٨] ٦. **الكافي: عنه عليه السلام: «من استحكمت لي فيه خصلة من خصال الخير، احتملته عليها واغتفرت فقد ما سواها، ولا أغتفر فقد عقل ولا دين، لأن مفارقة الدين مفارقة الأمن، فلا يتهنّأ بحياة مع مخافة، وفقد العقل فقد الحياة، ولا يقاس إلّا بالأموات»**[2].

◁ بيان

«**استحكمت لي فيه**» اُثبتت في نفسه بحيث يصير خلقاً له وملكة راسخة فيه «**خصلة**» واحدة أيّة خصلة كانت «**من خصال الخير**» من جنود العقل الخمسة والسبعين التي مرّذكرها «**احتملته عليها**» قبلته ورحمته علىٰ تلك الخصلة في الدنيا، وشفعت له ولاأدعه يعذّب بالنار في الآخرة. «**واغتفرت فقد ما سواها**» إلّا فقد العقل والدّين، فإنّ فقدَشيءٍ منهما غير مغتفر أصلاً، ولو تحقق معه ألف حسنة،

---

١. الكافي ١: ١٠/ ٢، والفقيه ٤: ٤١٦/ ٥٩٠٦.

٢. الكافي ١: ٢٧/ ٣٠.

لأن أحدهما بمنزلة الأمن الذي بدونه لا يتهنّأ بالحياة، والآخر بمنزلة الحياة التي من فقدها فهو من الأموات، وذلك لأن من لا دين له فهو لا يزال في مخافة أن تنزل به نقمة من الله، ومن لا عقل له فهو لا يزال يتعاطىٰ ما ضرّه أقرب من نفعه. فحياته كلا حياة، ولا يقاس إلّا بالأموات.

[٩] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «العقل غطاءٌ ستير، والفضلُ جمالٌ ظاهر، فاستر خلل خلقك بفضلك، وقاتل هواك بعقلك، تسلم لك المودّة، وتظهر لك الحجّة»[١].

◁ **بيان**

«العقل» أي النظري «ستير» ساتر للعيوب الباطنة وغافر للذنوب الإمكانية، أو مستور عن الحواس «والفضل» أي الزائد علىٰ العقل النظري من حسن الخلق والكرم واللطف والمودّة وسائر الأخلاق الحميدة والعلوم المتعلّقة بها التي هي كمالات للقوة العملية «جمال ظاهر» لظهور آثارها «فاستر خلل خلقك» أي فاجبر مساوئ أخلاقك «بفضلك» أي بفضائلها وكمالاتها، فإن من الأخلاق الرذيلة ما لا يمكن إزالته بالكلية لكونه معجوناً في جبلّة صاحبه وخلقه ـ بفتح الخاء ـ فالمجبول علىٰ صفة الجبن مثلاً لا يصير شجاعاً مِقداماً في الحروب، سيّما إذا تأكّدت في نفسه بالنشوّ عليها مدّة من العمر، فغاية سعيه في معالجتها أن يمنعها عن الظهور بمقتضاها، ولا يمهلها أن تمضي أفعالها، ولهذا أمر بالستر.

«وقاتل هواك» جهلك وجحودك الحق «بعقلك» بعلمك وحكمتك، وإدراكك ما من شأنك أن تدركه، وتركك الجحود لما لم تدركه بعد، ودفعك العناد واللجاج والاستكبار، وهذا كلّه مقدور لمن سبقت له العناية بالحسنىٰ. ولهذا أمر بالمقاتلة «تسلم لك» أي بالستر «المودّة» يعني مودّة الناس ومحبّتهم لك «وتظهر لك» أي بالمقاتلة «الحجّة» يعني حجّتك علىٰ الناس وفضلك عليهم، فيطيعوك في الحق ويتّبعوك، فتفوز بسعادتي الصلاح والإصلاح والرشاد والإرشاد.

وفي «نهج البلاغة» هكذا: «الحلم غطاء ساتر، والعقل حسام باتر، فاستر خلل خلقك بحلمك، وقاتل هواك بعقلك»[٢] وهو أوضح.

وفي بعض النسخ «المحبة» بدل «الحجة» يعني محبتك للناس، ويحتمل أن يراد

---

١. الكافي ١: ٢٠ / ١٣.

٢. نهج البلاغة: ب الحكم / ٤٢٤.

بالعقل ما يشمل النظري والعملي جميعاً، وبالفضل ما يعدّه الناس من المحاسن والمحامد، وإن لم يكن كمالاً أخروياً، كما في قوله ﷺ في حديث قسمة العلم: «وما خلاهنّ فهو فضل»[١] وقس عليه شرح تمام الحديث.

[١٠] ٨. الكافي: عن الصادق ﷺ: «أكمل الناس عقلاً أحسنهم خلقاً»[٢].

[١١] ٩. الكافي: عنه ﷺ: «العقل دليل المؤمن»[٣].

[١٢] ١٠. الكافي: عن الرضا ﷺ: «صَديق كل امرئ عقله، وعدوّه جهله»[٤].

[١٣] ١١. الكافي: عنه ﷺ: «العقل حياء من الله، والأدب كلفة، فمن تكلّف الأدب قدر عليه، ومن تكلّف العقل لم يزدد بذلك إلّا جهلاً»[٥].

[١٤] ١٢. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «لا فقر أشدّ من الجهل، ولا مال أعود من العقل»[٦].

◁ **بيان**

«أعود» أنفع والوجه فيه أنّ الرجل ينال بالعقل من المنافع والخيرات ما لا ينال بالمال، وبالجهل يفوته من ذلك ما لا يفوته بالفقر، وأيضاً بالعقل يمكن الوصول إلىٰ المال ولا عكس.

[١٥] ١٣. الكافي: عن أمير المؤمنين ﷺ: «إنّ قلوب الجّهال تستفزّها الأطماع، وترتهنها المنىٰ، وتستغلقها الخدائع»[٧].

◁ **بيان**

«تستفزّها» تستخفّها وتخرجها من مقرّها، فإنّك ترىٰ أحدهم كثيراً ما ينزعج من مكانه بطمع فاسد لا أصل له ولا طائل تحته «ترتهنها» تقيّدها، و«المنىٰ» جمع المُنْيَة بمعنىٰ التشهّي وإرادة ما لا يتوقّع حصوله من أحاديث النفس وتسويلات

---

١. الكافي ١: ٣٢ / باب صفة العلم و فضله...
٢. الكافي ١: ٢٣ / ١٧.
٣. الكافي ١: ٢٥ / ٢٤.
٤. الكافي ١: ١١ / ٤.
٥. الكافي ١: ٢٣ / ١٨.
٦. الكافي ١: ٢٥ / ٢٥.
٧. الكافي ١: ٢٣ / ١٦.

الشيطان، فإنّك تراهم كثيراً يفرحون بالأماني الباطلة والآمال الكاذبة وتطمئنّ قلوبهم إليها «و تستغلقها» تستسخرها وتستعبدها، ولهذا يعدهم الشيطان ويمنّيهم **«وما يعدهم الشيطان إلّا غروراً»**[1]. وفي بعض النسخ بإهمال العين، أي تربطها بالحبال كالصيد. وفي بعضها بالقافين من القلق بمعنىٰ الانزعاج.

❖ ❖ ❖

باب
صفة العقل ودرجاته

[١٦] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «العقل ما عبد به الرحمن، واكتسب به الجنان» قيل: فالذي كان في معاوية؟ فقال: «تلك النكراء، تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل»[2].

◁ **بيان**

«ما عبد به الرحمن» هذا تفسير للعقل بمعناه الثاني من معنييه اللّذين مرّ ذكرهما، وهو العقل المكتسب، ثمّ إن جعلنا العبادة عبارة عن العبادة الناشئة عن المعرفة المترتّبة عليها؛ كانت إشارة إلىٰ كمال القوّة النظرية، واكتساب الجنان إلىٰ كمال القوة العملية و «النكراء» هي الفطنة المجاوزة عن حدّ الاعتدال إلىٰ الإفراط، الباعثة لصاحبها علىٰ المكر والحيل والاستبداد بالرأي وطلب الفضول في الدنيا، ويسمّىٰ بالجربزة والدهاء.

[١٧] ٢. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من اتّقىٰ الله عقل»[3].

[١٨] ٣. الكافي: عبدالله بن سنان، قال: ذكرت لأبي عبدالله عليه السلام رجلاً مبتلىً بالوضوء والصلاة، وقلت: هو رجل عاقل. فقال أبو عبدالله عليه السلام: «وأيّ عقل له وهو يطيع الشيطان» فقلت له: وكيف يطيع الشيطان؟ فقال: «سَله، هذا الذي يأتيه من أيّ شيء هو؟ فإنّه يقول لك: من عمل الشيطان»[4].

---

١. النساء (٤): ١٢٠.
٢. الكافي ١: ١١/ ٣.
٣. الكافي ٨: ٢٤١/ ٣٣١.
٤. الكافي ١: ١٢/ ١٠.

◁ **بيان**

«مبتلىٰ بالوضوء والصلاة» أي بالوسواس في نيّتهما أو أفعالهما أو غير ذلك من شرائطهما، وسبب الوسواس إمّا فساد في العقل أو جهل بالشرع، لأن امتثال أوامر الله تعالىٰ كغيره من الأفعال، فيما يتعلق بالقصد، فمن دخل عليه عالم فقام تعظيماً له، فلو قال: انتصب قائماً تعظيماً لدخول هذا الفاضل لأجل فضله مقبلاً عليه بوجهي، لعدّ سفيهاً، لأن هذه المعاني محظورة بالبال إجمالاً، بل هي الباعثة علىٰ تلك الحركة، وذلك كافٍ في القصد ولا يستدعي فكراً فيها وإحضاراً تفصيلياً لها، وفرق بين حضور الشيء في النفس إجمالاً وبين إحضاره فيها تفصيلاً، والنية عبارة عن الأول دون الثاني، ثم الوسواس في غير النيّة أشنع وأقبح.

«يقول لك من عمل الشيطان» هذا قول منه باللسان من غير أن يؤمن به قلبه، إذ لو عرف علىٰ وجه البصيرة أنّ الذي يأتيه من عمل الشيطان لكان رجلاً عاقلاً لا موسوساً، وإنّما يقوله تقليداً واضطراراً، حيث لا يجد له مستنداً في الشرع ولا في العقل، نظيره ما حكىٰ الله تعالىٰ عن الكّفار بقوله: ﴿**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله**﴾[1].

[١٩] ٤. **الكافي: عن الرضا عليه السلام: «لا يعبأ بأهل الدين ممّن لا عقل له» قيل: جعلت فداك، إنّ ممّن يصف هذا الأمر قوماً لا بأس بهم عندنا وليست لهم تلك العقول، فقال: «ليس هؤلاء ممّن خاطب الله، إنّ الله خلق العقل فقال له: أقبل فأقبل، وقال له: أدبر فأدبر، فقال: وعزتي ما خلقت شيئاً أحسن منك، أو أحبّ إليّ منك، بك آخذ وبك أُعطي»**[2].

وروي: «ليس أُولئك ممّن عاتب الله، إنّما قال الله: ﴿فاعتبروا يا أُولي الأبصار﴾»[3].

◁ **بيان**

«لا يعبأ بأهل الدين» لا يبالي بهم ولا يلتفت إليهم «يصف هذا الأمر» أي يقول بإمامة أئمة الحق «تلك العقول» أي العقول الكاملة «ممّن خاطب الله» ممّن كلّفهم بالمعرفة، إذ ليست لهم قوة عقلية ونور شعشعاني، يمكنهم بها الارتقاء إلىٰ درجة العرفان

---

١. لقمان (٣١): ٢٥ والزمر (٣٩): ٣٨.
٢. الكافي ١: ٢٧ / ٣٢.
٣. الكافي ١: ١١ / ٥. والآية من سورة الحشر (٥٩): ٢.

والإقبال علىٰ الله، والتكليف إنّما يكون بقدر تلك القوة وذلك النور، وهؤلاء هم الذين ورد فيهم: أنه يلهى عنهم بعد موتهم، وتعدم أنفسهم عند فساد أجسادهم، فلا يشعرون بشيء حتىٰ يبعثو لأنهم لم يمحضوا الإيمان محضاً، ولا الكفر محضاً، كما رواه شيخنا المفيد ﷺ في «شرح اعتقادات الصدوق ﷺ»[١].

[٢٠] ٥. الكافي: عن الباقر ﷺ: «إنما يداقّ الله العباد في الحساب يوم القيامة علىٰ قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا»[٢].

◁ **بيان**

«يداقّ الله» من الدقّة في الحساب، أي يناقشهم فيه لمّا كانت العقول متفاوتة كمالاً ونقصاً، والتكاليف إنّما تقع علىٰ مراتب العقول، فالأقوىٰ عقلاً أشدّ تكليفاً، فيناقش في الحساب يوم القيامة مع أهل الفطانة ما لا يناقش به ضعفاء العقول.

[٢١] ٦. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «إذا بلغكم عن رجل حسن حال، فانظروا في حسن عقله، فإنما يجازى بعقله»[٣].

[٢٢] ٧. الكافي: عنه ﷺ: «إذا رأيتم الرجل كثير الصلاة كثير الصوم فلا تباهوا به حتىٰ تنظروا كيف عقله»[٤].

[٢٣] ٨. الكافي: عنه ﷺ أنّه ما كلّم العباد بكنه عقله قطّ وقال: «إنّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلّم الناس علىٰ قدر عقولهم»[٥].

[٢٤] ٩. الكافي: عن أمير المؤمنين ﷺ: «إعجاب المرء بنفسه دليل علىٰ ضعف عقله»[٦].

[٢٥] ١٠. الكافي: عن الصادق ﷺ: «ليس بين الإيمان والكفر إلّا قلّة العقل» قيل: وكيف ذاك

---

١. تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد أو شرح عقائد الصدوق: ٧٠.
٢. الكافي ١: ١١ / ٧.
٣. الكافي ١: ١٢ / ٩.
٤. الكافي ١: ٢٦ / ٢٨.
٥. الكافي ١: ٢٣ / ١٥.
٦. الكافي ١: ٢٧ / ٣١.

يابن رسول الله؟ قال: «إن العبد يرفع رغبته إلىٰ مخلوق، فلو أخلص نيّته لله لأتاه الذي يريد في أسرع من ذلك»[١].

◁ **بيان**

يعني أن قلّة العقل تحمل صاحبها علىٰ أن يرفع حاجته إلىٰ مخلوق ويعرض عن الله تعالىٰ، وذلك هو الشرك الذي هو من أنواع الكفر، فلو أخلص نيّته لله بأن علم وآمن بأن لا مؤثر في الوجود ولا معطي للجود إلّا الله سبحانه، لم يرفع حاجته إلىٰ مخلوق، بل رفعها إلىٰ الله وحده، فانجح في أسرع من ذلك، وفيه تنبيه علىٰ أنّ كلّ ما يقع من العبد من زلّة فهو من قلّة عقله.

آخر كتاب العقل والجهل والحمد لله أولاً وآخراً.

■

١. الكافي ١:٢٨ / ٣٣.

كتاب
العلم والفقه

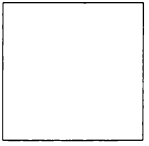

باب

فرض طلب العلم والفقه والحثّ عليهما

[٢٦] ١. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «طلب العلم فريضة علىٰ كلّ مسلم، ألا إنّ الله يحبّ بغاة العلم»[١].

◁ **بيان**

العلم الذي طلبه فريضة علىٰ كلّ مسلم هو العلم الذي يستكمل به الإنسان بحسب نشأته الأخروية، ويحتاج إليه في معرفة نفسه ومعرفة ربّه ومعرفة أنبيائه ورسله وحججه وآياته واليوم الآخر، ومعرفة العمل بما يسعده ويقرّبه إلىٰ الله تعالىٰ، وبما يشقيه ويبعّده عنه عزوجل.

وتختلف مراتب هذا العلم حسب اختلاف استعدادات أفراد الناس واختلاف حالات شخص واحد بحسب استكمالاته يوماً فيوماً، فكلّما حصّل الإنسان مرتبة من العلم وجب عليه تحصيل مرتبة أخرىٰ فوقها إلىٰ ما لانهاية له بحسب طاقته وحوصلته. ولهذا قيل لأعلم الخلائق: ﴿وقل ربّ زدني علماً﴾[٢] وقيل: وقت الطلب «من المهد إلىٰ اللحد» هذا أقوم ما قيل فيه و «بغاة العلم» طلّابه.

[٢٧] ٢. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أيها الناس: إعلموا أنّ كمال الدين طلب العلم والعمل به، ألا وإنّ طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، إنّ المال مقسوم مضمون لكم قد قسّمه عادل بينكم وضمنه وسَيَفي لكم، والعلم مخزون عند أهله، وقد أُمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه»[٣].

---

١. الكافي ١: ٣١/ ٥.

٢. طه: ١١٤.

٣. الكافي ١: ٣٠/ ٤.

◁ **بيان**

«مقسوم» إشارة إلىٰ قوله سبحانه: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾[١] «مضمون لكم» إشارة إلىٰ قوله سبحانه: ﴿وما من دابة في الأرض إلّا علىٰ الله رزقها﴾[٢] «عند أهله» وهم علماء أهل البيت الذين هم أوصياء النبيّ ﷺ وخلفاء الله في أرضه وحججه علىٰ خلقه، ثم من أخذ عنهم واستفاد من محكمات كلامهم من غير تصرّف فيه.

[٢٨] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «تفقّهوا في الدين، فإنّه من لم يتفقّه منكم في الدّين فهو أعرابي، إنّ الله يقول في كتابه: ﴿ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون﴾»[٣].

وروي: «من لم يتفقّه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة، ولم يزكّ له عملاً»[٤]

◁ **بيان**

«تفقّهوا في الدين» حصّلوا لأنفسكم البصيرة في علم الدين، والفقه أكثر ما يستعمل في القرآن والحديث يكون بهذا المعنىٰ، والفقيه هو صاحب هذه البصيرة، وعلم الدين هو العلم الأخروي الذي أشرنا إليه آنفاً، ويدخل فيه معرفة آفات النفوس ومفسدات الأعمال، والإحاطة بحقارة الدنيا والتطلّع إلىٰ نعيم الآخرة، واستيلاء الخوف علىٰ القلب، كما يدلّ عليه قوله سبحانه: ﴿ولينذروا قومهم﴾ ومعرفة مهمات الحلال والحرام وشرائع الأحكام علىٰ ما جاء به النبيّ ﷺ وبلّغ عنه أهل البيت عليهم السلام في محكماتهم دون ما يستنبط من المتشابهات وتستكثر به المسائل والتفريعات، كما اصطلح عليه القوم اليوم.

«أعرابي» عامّي جاهل بأمر الدين ـ بفتح الهمزة ـ منسوب إلىٰ الأعراب، وهم سكّان البوادي الذين لا يدخلون الأمصار إلّا لحاجة دنيوية، ويكونون جهلة لا يعرفون مناهج الشريعة والدين، قال الله تعالىٰ: ﴿الأعراب أشدّ كفراً ونفاقاً وأجدر ألّا يعلموا حدود ما أنزل الله﴾[٥] ويقابله المهاجر، وهو الذي هجر وطنه وفارقه لأجل

---

١. الزخرف: ٣٢.
٢. هود (١١): ٦.
٣. الكافي ١: ٣١ ح ٦، والآية من سورة التوبة (٩): ٩٧.
٤. الكافي ١: ٣١ ح ٧.
٥. التوبة (٩): ١٢٢.

اكتساب البصيرة في الدّين وتعلّم الفقه واليقين «لم ينظر الله إليه» وذلك لأنّ قلبه مظلم لا يصلح لأن يقع موقع نظر الله «ولم يزكّ له عملاً» لأنّ ما يفسد أكثر ممّا يصلح.

[٢٩] ٤. الكافي: عنه عليه السلام، قيل له: رجل عرف هذا الأمر لزم بيته ولم يتعرف إلىٰ أحد من إخوانه فقال: «كيف يتفقّه هذا في دينه»[١].

◁ **بيان**

المراد بهذا الأمر التشّيع ومعرفة حجيّة أهل البيت عليهم السلام. وفي الحديث دلالة علىٰ أنّ اعتزال العامّي الجاهل بأمر الدّين لا خير له، بل هو حرام لاستلزامه فوت الفريضة التي هي التعلّم والتفقّه.

[٣٠] ٥. الكافي: سئل أبو الحسن عليه السلام: هل يسع الناس ترك المسألة عما يحتاجون إليه؟ فقال: «لا»[٢].

[٣١] ٦. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «لا خير فيمن لا يتفقّه من أصحابنا، إنّ الرجل منهم إذا لم يستغن بفقهه احتاج إليهم، فإذا احتاج إليهم أدخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم»[٣].

[٣٢] ٧. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «الكمال كلّ الكمال التفقّه في الدين، والصبر علىٰ النائبة، وتقدير المعيشة»[٤].

◁ **بيان**

«النائبة» المصيبة و«تقدير المعيشة» تعديلها وتقويمها بحيث لا يميل إلىٰ طرفي الإسراف والتقتير، كما قال الله سبحانه: **﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾**[٥].

---

١. الكافي ١: ٣١/ ٩.
٢. الكافي ١: ٣٠/ ١.
٣. الكافي ١: ٣٣/ ٦.
٤. الكافي ١: ٣٢/ ٤.
٥. الفرقان (٢٥): ٦٧.

[٣٣] ٨. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «لا خير في العيش إلّا لرجلين، عالم مطاع، أو مستمع واع»[١].

❖ ❖ ❖

باب
صفة العلم

[٣٤] ١. الكافي: عن الكاظم عليه السلام: «دخل رسول الله ﷺ المسجد، فإذا جماعة قد أطافوا برجل فقال: ما هذا؟ فقيل: علّامة، فقال: وما العلّامة؟ فقالوا له: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها وأيام الجاهلية والأشعار والعربية، قال: فقال النبيّ ﷺ: ذاك علم لا يضرّ من جهله ولا ينفع من علمه، ثم قال النبيّ ﷺ: إنّما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنّة قائمة، وما خلاهنّ فهو فضل»[٢].

◁ **بيان**

«لا يضرّ من جهله» نبّههم على أنّه ليس بعلم في الحقيقة، إذ العلم في الحقيقة هو الذي يضرّ جهله في المعاد، وينفع اقتناؤه يوم التناد، لا الذي يستحسنه العوامّ، ويكون مصيدة للحطام، ثم بيّن لهم العلم النافع المحثوث عليه في الشرع وحصره في ثلاثة، وكأنّ الآية المحكمة إشارة إلى أُصول العقائد، فإنّ براهينها الآيات المحكمات من العالم أو من القرآن، وفي القرآن في غير موضع: ﴿إنّ في ذلك لآيات﴾ أو (لآية) حيث يذكر دلائل المبدأ والمعاد والفريضة العادلة إشارة إلى علوم الأخلاق التي محاسنها من جنود العقل ومساوئها من جنود الجهل، فإنّ التحلّي بالأوّل والتخلّي عن الثاني فريضة، وعدالتها كناية عن توسّطها بين طرفي الإفراط والتفريط، والسنّة القائمة إشارة إلى شرائع الأحكام ومسائل الحلال والحرام، وانحصار العلوم الدينية في هذه الثلاثة معلوم، وهي التي جمعها هذا الكتاب، وهي مطابقة على النشآت الثلاث الانسانية، فالأول على عقله، والثاني على نفسه، والثالث على

---

١. الكافي ١: ٣٣/ ٧.
٢. الكافي ١: ٣٢/ ١.

بدنه، بل علىٰ العوالم الثلاثة الوجودية التي هي عالم العقل والخيال والحسّ. «فهو فضل» زائد لا حاجة إليه، أو فضيلة وليس بذاك.

[٣٥] ٢. الكافي: عن الصادق ﷺ: «وجدت علم الناس كلّه في أربع: أوّلها أن تعرف ربّك، والثاني: أن تعرف ما صنع بك، والثالث: أن تعرف ما أراد منك، والرابع: أن تعرف ما يخرجك من دينك»[١].

◁ **بيان**

«في أربع» لأن الغاية فيه إمّا مجرّد العلم، أو العمل بموجبه، والأول إما متعلّق بأحوال المبدأ أو المعاد، والثاني إمّا المطلوب فيه اقتناء فضيلة، أو اجتناب رذيلة. فهذه أربعة أقسام:

«أن تعرف ربّك» إشارة إلىٰ القسم الأول، ويندرج فيه معرفة ذات الله ووحدانيته، ومعرفة صفاته العليا وأسمائه الحسنىٰ، ومعرفة آثاره وأفعاله وقضائه وقدره وعدله وحكمته.

«ما صنع بك» إشارة إلىٰ معرفة النفس وأحوالها ومقاماتها، ومعرفة ما تعود إليه وتنشأ منه، وكيفية نشوء الآخرة من الدنيا، ومعرفة الموت والبعث والصراط والحساب والميزان والثواب والعقاب والجنة والنار، فإنّ جميع هذه الأُمور ممّا صنعه الله بالنفس الإنسانية وفيها ومنها، وليس شيء منها خارجاً عن ذات النفس.

«ما أراد منك» إشارة إلىٰ معرفة الفضائل النفسانية ليمكن اكتسابها، وهي الأخلاق الحسنة والملكات الحميدة التي هي من جنود العقل، ويندرج فيها العلم بالأوامر وما يتعلّق بها من المعاملات التي يؤتىٰ بها.

«ما يخرجك من دينك» إشارة إلىٰ معرفة الرذائل النفسانية ليمكن اجتنابها، وهي الأخلاق السيّئة والملكات المذمومة التي هي من جنود الجهل،ويندرج فيها العلم بالنواهي وما يتعلّق بها من المعاملات التي يُنتهىٰ عنها،والقسمان الأوّلان من هذه الأربعة يندرجان في الأول من الثلاثة المذكورةفي الخبر السابق، والآخران يقتسمان الآخرين، فالخبران متوافقان.

❖ ❖ ❖

باب
فضل العلماء

[٣٦] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ العلماء ورثة الأنبياء، وذاك أنّ الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنّما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظّاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه، فإنّ فينا أهل البيت في كلّ خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»[١].

[٣٧] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «العلماء أُمناء، والأتقياء حصون، والأوصياء سادة»[٢]

[٣٨] ٣. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد»[٣].

[٣٩] ٤. الكافي: قيل للصادق عليه السلام: رجل راوية لحديثكم، يبثّ ذلك في الناس ويشدّده في قلوبهم وقلوب شيعتكم، ولعلّ عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية، أيّهما أفضل؟ قال: «الراوية لحديثنا يشدّ به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد»[٤].

◁ بيان

«راوية» أي كثير الرواية والتاء للمبالغة «ويشدّده» أي يقوّي بنشر الحديث عقيدة قلوبهم ويزيد في إيمانهم، وإنّما فضّل العالم على السبعين ألف، والراوي على الألف، لأنّ الراوي لا يعتبر فيه أن يكون عالماً، فربّ حامل فقه ليس بفقيه، وإنّما كان أفضل من العابد لأنّه وسيلة لحصول العلم واستفادة المعرفة واليقين لنفسه ولغيره، بخلاف العابد فإنّه لا تعدية لخيره، ولو تعدّىٰ بالاقتداء صار وسيلة للعمل دون العلم، وفرقان ما بين الوسيلتين كما بين أصليهما.

[٤٠] ٥. الفقيه: عنه عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة جمع الله جلّ وعزّ الناس في صعيد واحد

---

١. الكافي ١: ٣٢/ ٢.
٢. الكافي ١: ٣٣/ ٥.
٣. الكافي ١: ٣٣/ ٨.
٤. الكافي ١: ٣٣/ ٩.

ووضعت الموازين، فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء»[١].

◁ **بيان**

السرّ في رجحان مداد العلماء على دماء الشهداء أنّ الأوّل وسيلة لحفظ الأديان عن الكفر والضلال الموجبين للخلود في النار، والثاني وسيلة لحفظ الأبدان والأموال عن القتل والنهب في هذه الدار، وأين ذا من ذاك!

[٤١] ٦. الفقيه: عن النبيّ ﷺ: «اللهم ارحم خلفائي» قيل: يارسول الله، ومن خلفاؤك؟ قال: «الذين يأتون بعدي، ويروون حديثي وسنّتي»[٢].

❖ ❖ ❖

باب
صفة العلماء

[٤٢] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إطلبوا العلم وتزيّنوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تعلّمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبّارين فيذهب باطلكم بحقّكم»[٣].

[٤٣] ٢. الكافي: عنه عليه السلام، في قول الله تعالى «إنما يخشى الله من عباده العلماء»[٤]، قال: «يعني بالعلماء من صدّق فعله قوله، ومن لم يصدّق فعله قوله فليس بعالم»[٥].

◁ **بيان**

وذلك لأن تركه العمل بعلمه دليل على أنّه ليس بمستيقن في علمه، وأنّ العلم عنده مستعار ومستودع وسيسلب عنه.

---

١. الفقيه ٤: ٣٩٨/ ٥٨٥٣.
٢. الفقيه ٤: ٤٢٠/ ٥٩١٩.
٣. الكافي ١: ٣٦/ ١.
٤. فاطر (٣٥): ٢٨.
٥. الكافي ١: ٣٦/ ٢.

[٤٤] ٣. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا أخبركم بالفقيه حقّ الفقيه، من لم يقنّط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يرخّص لهم في معاصي الله، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره، ألا لا خير في علم ليس فيه تفهّم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفكّر»[1].

وفي رواية: «لا فقه فيها»[2].

◁ **بيان**

يعني أنّ الفقيه حقيقة ليس إلّا من يكون عالماً بالمراد من الوعد والوعيد جمعاً، عارفاً بالمقصود من الأوامر والنواهي جملةً بملاحظة بعضها إلى بعض، وإنّما عرّف الفقيه بهذه العلامات السلبية لأنّ أكثر من يسمّى عند الجمهور بهذا الاسم في كلّ زمان يكون موصوفاً بأضدادها، فكأنّه عليه السلام عرّض بالعلماء السوء والفقهاء الزور، وقد أبطل بكلّ علامة مذهباً من المذاهب الباطلة أو أكثر في الأُصول والفروع، فبالأُولى أبطل مذهب المعتزلة القائلة بإيجاب الوعيد وتخليد صاحب الكبيرة في النار، ومذهب الخوارج المضيّقين في التكاليف الشرعيّة، وبالثانية مذهب المرجئة ومن يجري مجراهم من المغترّين بالشفاعة وصحة الاعتقاد، وبالثالثة مذهب الحنابلة والأشاعرة ومن يشبههم كأكثر المتصوّفة، وبالرابعة مذهب المتفلسفة الذين أعرضوا عن القرآن وأهله وحاولوا اكتساب العلم والعرفان من كتب قدماء الفلاسفة، ومذهب الحنفيّة الذين عملوا بالقياس وتركوا القرآن، والعلم الذي ليس فيه تفهّم كالعلم الظنّي والتقليدي ومجرد حفظ الأقوال والروايات، فإنّها ليست بعلم في الحقيقة.

[٤٥] ٥. الكافي: سئل الباقر عليه السلام عن مسألة فأجاب فيها، فقيل: إنّ الفقهاء لا يقولون هذا. فقال: «ياويحك، وهل رأيت فقيهاً قطّ، إنّ الفقيه حقّ الفقيه الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، المتمسّك بسنّة النبيّ صلى الله عليه وآله»[3].

---

١. الكافي ١: ٣٦/ ٣.
٢. الكافي ١: ٣٦/ ذيل ٣.
٣. الكافي ١: ٧٠/ ٨.

◁ **بيان**

إنّما جعل هذه الصفات الثلاث علامة للفقيه الحقيقي لأنّ الأوليين دليل على معرفته بالله واليوم الآخر، والأخيرة على معرفته بالأخلاق السنيّة النبويّة والشرائع المصطفويّة، وهي تمام معنى الفقه.

[٤٦] ٦. الكافي: عن الرضاﷺ: «إنّ من علامات الفقه الحلم والصمت»[١].

[٤٧] ٧. الكافي: عن أمير المؤمنينﷺ: «لا يكون السفه والغرّة في قلب العالم»[٢].

◁ **بيان**

«السفه» الخفّة والطيش، ضد الحلم، و«الغرّة» الغفلة عن لوازم الشيء والشرّ الذي تحته.

[٤٨] ٨. الكافي: عن الصادقﷺ: «طلبة العلم ثلاثة فاعرفهم بأعيانهم وصفاتهم: صنف يطلبه للجهل والمراء، وصنف يطلبه للاستطالة والختل، وصنف يطلبه للفقه والعقل، فصاحب الجهل والمراء موذٍ ممارٍ متعرّض للمقال في أندية الرجال بتذاكر العلم، وصفة الحلم، قد تسربل بالخشوع وتخلّى من الورع، فدقّ الله من هذا خيشومه، وقطع منه حيزومه، وصاحب الاستطالة والختل ذو خبٍّ وملق يستطيل على مثله من أشباهه، ويتواضع للأغنياء من دونه، فهو لحلوائهم هاضم، ولدينه حاطم، فأعمى الله على هذا خبره، وقطع من آثار العلماء أثره، وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر، قد تحنّك في برنسه، وقام الليل في حندسه، يعمل ويخشى وجلاً داعياً مشفقاً مقبلاً على شأنه، عارفاً بأهل زمانه، مستوحشاً من أوثق إخوانه، فشدّ الله من هذا أركانه، وأعطاه يوم القيامة أمانه»[٣].

◁ **بيان**

أُريد بالجهل هنا مثل الأنفة والغضب والشتم ونحوها الذي يصدر من أهل الجاهلية «والمراء» المجادلة والاعتراض على كلام الغير من غير غرض ديني

---

١. الكافي ١:٣٦/ ٤.
٢. الكافي ١:٣٦/ ٥.
٣. الكافي ١:٤٩/ ٥.

«والاستطالة» العلوّ والترّفع و «الختل» بالمعجمة والمثناة الفوقانية: الخدعة وكأنه أراد «بالفقه» المعرفة و «بالعقل» التخلّق بالأخلاق الحسنة.

«مؤذ ممار» لخبث باطنه وقدرته على التكلّم «متعرّض للمقال» لأن غرضه إظهار التفوق والغلبة و «الأندية» جمع النادي، وهو مجلس القوم ومتحدّثهم ما داموا فيه مجتمعين.

و «التسربل» تفعل من السربال وهو القميص، أي أظهر الخشوع بالتشبّه بالخاشعين والترائي بزيّهم مع خلوّه منه. لخلوّة من الورع اللازم له و «الخيشوم» أقصى الأنف، و «الحيزوم» بالمهملة والزاي: وسط الصدر.

و «الخبّ» بالكسر: الخدعة والجربزة و «الملق» الودّ واللطف الشديد، ورجل مَلِق يعطي بلسانه ما ليس في قلبه.

«فهو لحلوائهم هاضم، ولدينه حاطم» يعني يأكل من مطعوماتهم، ويعطيهم من دينه، فوق ما يأخذ من مالهم، فلا جرم يحطم دينه ويهدم إيمانه ويقينه، أو أنه يحلّ لهم بفتواه ما يشتهون، ويحطم دينه بما يدهن فيدهنون، ثم دعا عليه بالاستئصال بحيث لم يبق له خبر ولا أثر «عمي عليه الخبر» أي خفي، تجوّز من عمي البصر، وإنما دعا على الصنفين للحوق ضررهما على العلماء المحقّين أكثر من ضرر الكفّار المتمرّدين.

«ذوكآبة» سوء حال وانكسار قلب لكثرة خوفه من أمر الآخرة وخشيته لله، ولما يرى من مقاساة الزمان وشدائد الدوران، وجفاء الأقران، ونفاق الإخوان، وترفّع الجهلة والأراذل، ورثاثة حال الأفاضل والأماثل. «والتحنّك» إدارة العمامة ونحوها تحت الحنك «والبرنس» بضم الموحدة والنون والمهملتين: قلنسوة طويلة كان النّسّاك يلبسونها في صدر الاسلام، وقيل: كل ثوب رأسه منه ملتزق به درّاعة كانت أو جبّة أو غيرهما «والحندس» الليل الشديد الظلمة.

«يعمل ويخشى» بخلاف الصنفين الآخرين حيث لا يعملون ويأمنون «وجلاً داعياً مشفقاً» أي خائفاً من عذاب القيامة، متضرّعاً إلى الله في طلب المغفرة، حذراً من سوء العاقبة «مقبلاً على شأنه» لإصلاح نفسه وتهذيب باطنه بخلاف الآخرين المقبلين على الناس وقد أهملا أمر أنفسهما وإصلاح بواطنهما وقد تلطّخت بالرذائل والآثام، واعتلّت بالأمراض المهلكة والأسقام.

«عارفاً بأهل زمانه» أي بأحوال نفوسهم وأغراض بواطنهم لما شاهد من

أفعالهم وأقوالهم. وفي الحديث النبويّ «إتقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله»[١] مستوحشاً «من أوثق إخوانه» لعرفانه بحاله «فشدّ الله» دعاء له بالتثبّت على العلم واليقين وإحكام أركان الإيمان والدين وإعطاء الأمن له والأمان يوم يقوم الناس لربّ العالمين.

[٤٩] ٩. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «ياطالب العلم، إنّ العلم ذو فضائل كثيرة، فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأُذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النيّة، وعقله معرفة الأشياء والأُمور، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء، وهمّته السلامة، وحكمته الورع، ومستقرّه النجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلمة، وسيفه الرضا، وقوسه المداراة، وجيشه مجاورة العلماء، وماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذنوب، وزاده المعروف، ومأواه الموادعة، ودليله الهدىٰ، ورفيقه محبّة الأخيار»[٢].

◁ بيان

شبّه العلم بشخص كامل فاضل روحاني، له أعضاء وقوىٰ ومستقرّ وقائد ومركب وسلاح وغير ذلك كلّها روحانية معنوية، فاستعار هذه الألفاظ لتلك الفضائل، كلّ لما يشابهه أو يناسبه، فجعل الرأس للتواضع، لأن الأصل والمبدأ في تحصيل العلم التواضع والمذلّة وترك العلوّ، والعين للبراءة من الحسد، لأن الحسد يصير غشاوة علىٰ بصر الحاسد، فلا يرىٰ العلم عند أهله لينتفع بعلمه، والأُذن للفهم لأنه غايتها وعلىٰ هذا القياس، ونبّه بذلك علىٰ أنه من اجتمعت فيه هذه الفضائل والحسنات فهو العالم بالحقيقة، ومن اتّصف بأضدادها فهو جاهل، وما بين المنزلتين مراتب ومنازل ومآل كلّ إلىٰ ماهو الغالب عليه من المحاسن والمساوئ «والموادعة» المصالحة والسكون.

[٥٠] ١٠. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «نعم وزير الإيمان العلم، ونعم وزير العلم الحلم، ونعم وزير الحلم الرفق، ونعم وزير الرفق الصبر»[٣].

---

١. أمالي الطوسي ١: ٣٠٠.
٢. الكافي ١: ٤٨ / ٢.
٣. الكافي ١: ٤٨ / ٣.

◁ **بيان**

أُريد بالوزير المعين أو شبّه الايمان وأخواته بالسلطان.

❖ ❖ ❖

باب

فقد العلماء

[٥١] ١. **الكافي، والفقيه: عن الصادق** عليه السلام: «ما من أحد يموت من المؤمنين أحبّ إلىٰ إبليس من موت فقيه»[١].

◁ **بيان**

ذلك لأنّ شأن الفقيه إفادة العلم وتعليم الحق وإرشاد السبيل، والحثّ علىٰ الطاعة، والزجر عن المعصية، وشأن إبليس إلقاء الشك والوسوسة في النفوس، وإراءة الباطل في صورة الحقّ، والإضلال والحثّ علىٰ المعاصي، فإذا كان منه علىٰ طرف الضدّ فلا محالة أحبّ فقده، وليس موت سائر المؤمنين عنده بهذه المنزلة.

[٥٢] ٢. **الكافي: عن الكاظم** عليه السلام: «إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة وبقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها، وأبواب السماء التي كان يصعد فيها بأعماله، وثلم في الاسلام ثلمة لا يسدّها شيء، لأنّ المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها»[٢].

◁ **بيان**

سبب بكاء الملائكة والأرض والسماء علىٰ المؤمن أنّ المقصد الأقصىٰ من خلق العالم إنّما هو الإيمان الحقيقي المنبعث عن العلم والعبادة ووجود المؤمن العالم فيه، فإذا فقد المؤمن العالِم عن العالَم أو نقص من أفراده ساء حال العالم لا محالة وحال أجزائه سيّما ما يتعلق منه بالمؤمن نفسه من الملائكة التي كانت مسرورة بحفظه وخدماته، والبقاع التي كانت معمورة بحركاته وسكناته، وأبواب السماء التي كانت مفتوحة لصعود أعماله وحسناته و «الثّلمة» الخلل في الحائط ونحوه.

[٥٣] ٣. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «إنّ أبي كان يقول: إنّ الله تعالىٰ لا يقبض العلم بعد ما

---

١. الكافي ١:٣٨ / ١، والفقيه ١:١٨٦ / ٥٥٩.
٢. الكافي ١:٣٨ / ٣.

يهبطه، ولكن يموت العالم فيذهب بما يعلم، فتليهم الجفاة فيَضُلّون ويُضِلّون، ولا خير في شيء ليس له أصل»[١].

[٥٤] ٤. الفقيه: عنه عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿أو لم يروا أنّا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾[٢] فقال: «فقد العلماء»[٣].

◁ **بيان**

أطراف الأرض: نهاياتها، وإنّما عبّر عن العلماء بنهايات الأرض. لأن غاية الحركات الأرضية ونهاية الكمالات المترتبة عليها من لدن حصول المعادن منها ثم النباتات ثم الحيوانات إلىٰ الوصول إلىٰ الدرجة الإنسانية وما فوقها، إنّما هو وجود العلم والعلماء فالأرض والأرضيّات بهم تنتهي إلىٰ سماء العلم والعقل، فهم بمنزلة نهاياتها، وأيضاً فإنهم وسائط بين أهل الأرض وأهل السماء، فكأنّهم أطراف الأرض وأكناف السماء.

❖ ❖ ❖

باب
أصناف الناس

[٥٥] ١. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الناس آلوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلىٰ ثلاثة: آلوا إلىٰ عالم علىٰ هدىً من الله قد أغناه بما علم عن علم غيره، وجاهل مدّع للعلم لا علم له معجب بما عنده قد فتنته الدنيا وفتن غيره، ومتعلّم من عالم علىٰ سبيل هدىً من الله ونجاة، ثم هلك من ادّعىٰ وخاب من افترىٰ»[٤].

◁ **بيان**

«آلوا» رجعوا وصاروا «علىٰ هدىً الله» بالإلهام والإلقاء في الرَّوع كالأئمة عليهم السلام ومن يحذو حذوهم «معجب بما عنده» من ظواهر الأقوال وصور الأحاديث، أو

---

١. الكافي ١:٣٨ / ٥.
٢. الرعد(١٣): ٤١.
٣. الفقيه ١:١٨٦ / ٥٦٠.
٤. الكافي ١:٣٣ / ١.

المجادلات الكلامية، أو المغالطات الفلسفية، أو الخيالات التصوّفية، أو الخطابات الشعرية التي تجلب بها نفوس العوام، كأعداء الأئمة وحسدتهم، ومن يسير سيرة أُولئك من أهل أي مذهب كان.

«قد فتنته الدنيا» أضلّته وأوقعته في فتنة الجاه والمال وحبّ الرئاسة. «وفتن غيره» أضلّه وأوقعه فيما وقع فيه من المهالك لاستحسانه ما رأى منه بسبب اشتهاره بالعلم في الظاهر، وإن كان باطنه مفلساً عن حقيقة العلم والحال.

«علىٰ سبيل هدىٰ» علىٰ طريقه سالك إليه، وإن لم يكن بالفعل عليه كشيعة الأئمة المقتبسين من أنوارهم، وإنّما لم يذكر الجاهل الغافل؛ لأنّ المقسم من له قوة الارتقاء دون أهل الضرر والزمانات.

«هلك من ادّعىٰ» أي القسم الثاني؛ لأن الحياة الأخروية إنما تكون للعالم بالفعل وللمتعلّم بالقوّة، وأمّا الجاهل المدّعي فقد أبطل استعداده لها، فهو هالك خائب.

[٥٦] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «يغدو الناس علىٰ ثلاثة أصناف: عالم ومتعلّم وغثاء، فنحن العلماء، وشيعتنا المتعلّمون، وسائر الناس غثاء»[١].

◁ بيان

«الغثاء» ما يحمله السيل من الزبد والوسخ، أُريد به أراذل الناس وسقطهم.

[٥٧] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «اغد عالماً أو متعلّماً، أو أحبّ أهل العلم، ولا تكن رابعاً فتهلك ببغضهم»[٢].

❖ ❖ ❖

باب

ثواب العالم والمتعلّم

[٥٨] ١. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلىٰ الجنة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به، وإنّه يستغفر لطالب العلم من

---

١. الكافي ١: ٣٤/ ٤.

٢. الكافي ١: ٣٤/ ٣.

في السماء ومن في الأرض حتىٰ الحوت في البحر، وفضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر علىٰ سائر النجوم ليلة البدر»[١].

◁ **بيان**

إنما يسلك به طريقاً إلىٰ الجنة؛ لأنّ العلم هو بعينه نعيم أهل الجنة، وهو الذي يصير هناك لصاحبه شراباً وفاكهةً وظلّاً.

روىٰ في «بصائر الدرجات» بإسناده عن نصر بن قابوس، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿**وظلّ ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولاممنوعة**﴾[٢] قال: «يانصر، إنّه والله ليس حيث يذهب الناس، إنّما هو العالم وما يخرج منه»[٣].

و «الملائكة» هي الجواهر القدسيّة الغائبة عن الأبصار «وأجنحتها» هي قواها العلمية والعملية التي بها تترقّىٰ وتتنزّل، وطالب العلم بتفكّره في المعقولات وانتقاله من معقول إلىٰ معقول حتىٰ ينتهي إلىٰ معرفة الله وصفاته كأنّه يطأ أجنحة الملائكة بقدم عقله، أو إنه إذا أدرك المعقولات وأحاط بها علماً فكأنّ الملائكة نزلت عن سماء ملكوتها ومقامها عنده وخضعت له، وبالجملة وضع أجنحتها كناية عن خضوعها له.

والاستغفار: طلب الستر للذنب، وطالب العلم يطلب ستر ذنب جهله ـ الذي هو رئيس جنود، هي المعاصي ـ بنور العلم، ويشركه في هذا الطلب كلّ من في السماء والأرض وما بينهما؛ لأن عقله وفهمه وإدراكه لا يقوم إلّا ببدنه، وبدنه لا يقوم إلّا بالغذاء، والغذاء لا يقوم إلّا بالأرض والسماء والغيم والهواء وغير ذلك. إذ العالم كلّه كالشخص الواحد يرتبط البعض منه بالبعض، فالكلّ مستغفر له.

وإنّما مثّل نور العابد بنور النجوم، لأنه لا يتعدّىٰ نفسه إذ لا يبصر بنوره شيء بخلاف القمر ليلة البدر، وتمثيل نور العالم بنور القمر يشعر بأنّه أراد به من لم يكن علمه لدنيا؛ لأنّ نور القمر مستفاد من الشمس، فمن كان علمه لدنيا كالأنبياء والأولياء ففضله علىٰ العابد كفضل الشمس علىٰ النجوم المستفاد نورها من الله تعالىٰ بلا توسّط شيء آخر من نوعها أو جنسها.

---

١. الكافي ١: ٣٤/ ١.
٢. الواقعة (٥٦): ٣٠ ـ ٣٣.
٣. بصائر الدرجات: ٥٠٥/ ٣.

[٥٩] ٢. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّ الذي يعلّم العلم منكم له أجر مثل أجر المتعلّم، وله الفضل عليه، فتعلّموا العلم من حملة العلم، وعلّموه إخوانكم كما علّمكموه العلماء»[١].

[٦٠] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من علّم خيراً فله مثل أجر من عمل به» قيل: فإن علّمه غيره يجري ذلك له؟ قال: «إن علّمه الناس كلّهم جرىٰ له» قيل: فإن مات؟ قال: «وإن مات»[٢].

◁ بيان

«له» أي للأول.

[٦١] ٤. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «من علّم باب هدىً فله مثل أجر من عمل به، ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً، ومن علّم باب ضلال كان عليه مثل أوزار من عمل به، ولا ينقص أولئك من أوزارهم شيئاً»[٣].

[٦٢] ٥. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من تعلّم العلم وعمل به وعلّم لله دُعي في ملكوت السموات عظيماً، فقيل: تعلّم لله وعمل لله وعلّم لله»[٤].

[٦٣] ٦. الكافي: عن السجاد عليه السلام: «لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللّجج، إنّ الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ دانيال: أنّ أمقت عبيدي إليّ الجاهل المستخفّ بحق أهل العلم، التارك للاقتداء بهم، وأنّ أحبّ عبيدي إليّ التقيّ الطالب للثواب الجزيل، اللازم للعلماء، التابع للحلماء، القائل عن الحكماء»[٥].

◁ بيان

«الحلماء» العقلاء، من الحلم بمعنىٰ العقل.

---

١. الكافي ١: ٣٥/ ٢.
٢. الكافي ١: ٣٥/ ٣.
٣. الكافي ١: ٣٥/ ٤.
٤. الكافي ١: ٣٥/ ٦.
٥. الكافي ١: ٣٥/ ٥.

[٦٤] ٧. **الكافي: عن الصادق**ﷺ: «لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله تعالىٰ ما مدّوا أعينهم إلىٰ ما متّع به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها، وكانت دنياهم أقلّ عندهم ممّا يطأونه بأرجلهم، ولنعموا بمعرفة الله، وتلذّذوا بها تلذّذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله، إنّ معرفة الله أُنس من كلّ وحشة، وصاحب من كلّ وحدة، ونور من كلّ ظلمة، وقوة من كلّ ضعف، وشفاء من كل سقم».

ثم قال: «قد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير وتضيق عليهم الأرض برحبها، فما يردّهم عما هم عليه شيء مما هم فيه من غير ترةٍ وتروا من فعل ذلك بهم، ولا أذىً بما نقموا منهم إلّا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، فسلوا ربّكم درجاتهم، واصبروا علىٰ نوائب دهركم، تدركوا سعيهم»[١].

◁ **بيان**

«الترة» الحقد «بما نقموا منهم» بما أنكروا منهم.

❖ ❖ ❖

باب
حقّ العالم

[٦٥] ١. **الكافي: عن أمير المؤمنين**ﷺ: «إنّ من حق العالم أن لا تكثر عليه السؤال، ولا تأخذ بثوبه، وإذا دخلت عليه وعنده قوم فسلّم عليهم جميعاً، وخصّه بالتحية دونهم، واجلس بين يديه ولا تجلس خلفه، ولا تغمز بعينك، ولا تشر بيدك، ولا تكثر من قول: قال فلان، وقال فلان، خلافاً لقوله، ولا تضجر بطول صحبته، فإنّما مثَل العالم مثل النخلة تنتظرها حتىٰ يسقط عليك منها شيء، والعالم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله»[٢] إن شاء الله تعالىٰ.

◁ **بيان**

لعل المراد بالجلوس بين يديه جلوسه بحيث لا يحوجه إلىٰ الالتفات حين الخطاب،

---

١. الكافي ٨: ٣٤٧/ ٣٤٧.
٢. الكافي ١: ٣٧/ ١.

وبالخلف ما يقابله و الغمز بالعين: الإشارة بها، وحذف المفعول لعلّه للتعميم، أي سواء تشير إليه أو إلىٰ غيره، وذلك لمنافاته التعظيم «والعالم أعظم أجراً» لتعدّي نفعه وأشموليّته.

◆ ◆ ◆

باب
مجالسة العلماء

[٦٦] ١. **الكافي: قال لقمان لابنه:** «يابنيّ، اختر المجالس علىٰ عينك، فإن رأيت قوماً يذكرون الله تعالىٰ فاجلس معهم، فإن تكن عالماً نفعك علمك، وإن تكن جاهلاً علّموك، ولعلّ الله أن يظلّهم برحمته فتعمّك معهم، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم، فإن تكن عالماً لم ينفعك علمك، وإن كنت جاهلاً يزيدوك جهلاً، ولعل الله أن يظلّهم بعقوبة فتعمّك معهم»[١].

◁ **بيان**

«علىٰ عينك» أي علىٰ بصيرة منك ومعرفة لك بها «يذكرون الله» يتذاكرون بالعلم ويذكرون محامد الله ومحاسن آلائه والمعارف الإلهية ومكارم أوليائه «نفعك علمك» بزيادة التمرّن والرسوخ بالإفادة والاستفادة.

[٦٧] ٢. **الكافي: عن النبيّ ﷺ:** «قالت الحواريون لعيسىٰ: ياروح الله، من نجالس؟ قال: من يذكّركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغّبكم في الآخرة عمله»[٢].

◁ **بيان**

الصفات المذكورة هي صفات العالم العامل ليس إلّا.

[٦٨] ٣. **الكافي: عنه ﷺ:** «مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة»[٣].

---

١. الكافي ١:٣٩/ ١.
٢. الكافي ١:٣٩/ ٢.
٣. الكافي ١:٣٩/ ٣.

◁ **بيان**

المراد بأهل الدين هم العلماء العارفون بأركانه العاملون بأحكامه.

[٦٩] ٤. الفقيه: عنه ﷺ: «بادروا إلىٰ رياض الجنّة». قالوا: يارسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: «حَلَقُ الذِّكر»[١].

◁ **بيان**

أُريد بحَلَق الذكر مجالس العلم، كما يستفاد من حديث أول الباب وغيره من الأخبار.

[٧٠] ٥. الكافي: عن الباقر ﷺ: «لمجلس أجلسه إلىٰ من أثق به، أوثق في نفسي من عمل سنة»[٢].

[٧١] ٦. الكافي: عن الكاظم ﷺ: «محادثة العالم علىٰ المزابل خير من محادثة الجاهل علىٰ الزرابي»[٣].

◁ **بيان**

«الزّرابي» البُسط الفاخرة.

❖ ❖ ❖

باب

سؤال العلماء وتذاكر العلم

[٧٢] ١. الكافي: عن الصادق ﷺ: «إنّ هذا العلم عليه قفل، ومفتاحه المسألة»[٤].

[٧٣] ٢. الكافي: عنه ﷺ: سئل عن مجدور أصابته جنابة، فغسلوه، فمات؟ قال: «قتلوه، ألا سألوا،

---

١. الفقيه ٤: ٤٠٩/ ٥٨٨٨.
٢. الكافي ١: ٣٩/ ٥.
٣. الكافي ١: ٣٩/ ٢.
٤. الكافي ١: ٤٠/ ٣.

فإنّ دواء العيّ السؤال»[١].

◁ **بيان**

إنما قتلوه لأن فرض مثله التيمّم، فمن غسّله أو أفتىٰ بغسله فهو ضامن، والعيّ ـ بكسر المهملة ـ الجهل والعجز عن المراد.

[٧٤] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «لا يسع الناس حتىٰ يسألوا ويتفقّهوا ويعرفوا إمامهم، ويسعهم أن يأخذوا بما يقول وإن كانت تقيّة»[٢].

[٧٥] ٤. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «أُفّ لرجل لا يفرّغ نفسه في كلّ جمعة لأمر دينه فيتعاهده ويسأل عن دينه»[٣].

[٧٦] ـ ٥ الكافي: عنه صلى الله عليه وآله: «إنّ الله تعالىٰ يقول: تذاكر العلم بين عبادي ممّا يحيىٰ عليه القلوب الميتة إذا هم انتهوا فيه إلىٰ أمري»[٤].

◁ **بيان**

يعني أنّ مذاكرة العلم بين العباد سبب إحياء قلوبهم الميتة بشرط أن يكون اقتباسه من مشكاة الوحي والنبوّة لا من آرائهم وعقولهم.

[٧٧] ٦. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «رحم الله عبداً أحيىٰ العلم» قيل: وما إحياؤه؟ قال: «أن يذاكر به أهل الدين وأهل الورع»[٥].

◁ **بيان**

إنما قيّد أهل تذاكر العلم بأن يكونوا من أهل الدّين وأهل الورع حتىٰ يكون تذاكرهم إحياءً للعلم، لأنّ العلم المحيىٰ إنّما هو علم الدّين، وطهارة القلب بالورع والتقوىٰ شرط لحصوله، كما قال سبحانه ﴿واتقوا الله ويعلّمكم الله﴾[٦].

---

١. الكافي ١: ٤٠ / ١.
٢. الكافي ١: ٤٠ / ٤.
٣. الكافي ١: ٤٠ / ٥.
٤. الكافي ١: ٤٠ / ٦.
٥. الكافي ١: ٤١ / ٧.
٦. البقرة (٢): ٢٨٢.

[٧٨] ٧. الكافي: عن النبيﷺ: «تذاكروا وتلاقوا وتحدّثوا، فإنّ الحديث جلاء للقلوب، إنّ القلوب لترين كما يرين السيف، جلاؤه الحديث»[١].

◁ **بيان**

أراد بالتذاكر والتحدّث مذاكرة العلوم الدينية.

[٧٩] ٨. الكافي: عن الصادقؑ: «تزاوروا فإنّ في زيارتكم إحياءً لقلوبكم وذكراً لأحاديثنا، وأحاديثنا تعطف بعضكم علىٰ بعض، فإن أخذتم بها رشدتم ونجوتم، وإن تركتموها ضللتم وهلكتم، فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم»[٢].

❖ ❖ ❖

باب
بذل العلم

[٨٠] ١. الكافي: عن الصادقؑ: «قرأت في كتاب عليؑ: إنّ الله لم يأخذ علىٰ الجهّال عهداً بطلب العلم حتىٰ أخذ علىٰ العلماء عهداً ببذل العلم للجهّال، لأنّ العلم كان قبل الجهل»[٣].

[٨١] ٢. الكافي: عن الباقرؑ: «زكاة العلم أن تعلّمه عباد الله»[٤].

[٨٢] ٣. الكافي: عن الصادقؑ عن آبائهؑ: «جاء رجل إلىٰ رسول اللهﷺ فقال: يارسول الله ما العلم؟ قال: الإنصات، قال: ثم مه؟ قال: الاستماع، قال: ثم مه؟ قال: الحفظ، قال: ثم مه؟ قال: العمل به، قال: ثم مه يارسول الله؟ قال: نشره»[٥].

[٨٣] ٤. التهذيب: سئل أبو الحسنؑ عن الرجل يأتيه من يسأله عن المسألة، فتخوّف إن هو أفتىٰ

---

١. الكافي ١:٤١ / ٨ وفي بعض نسخ المصدر: [جلاؤه الحديد].
٢. الكافي ٢:١٨٦ / ٢.
٣. الكافي ١:٤١ / ١.
٤. الكافي ١:٤١ / ٣.
٥. الكافي ١:٤٨ / ٤.

بها أن يشنّع عليه، يسكت عنه أو يفتيه بالحق أو يفتيه بما لا يتخوّف على نفسه؟ قال: «السكوت عنه أعظم أجراً وأفضل»[١].

[٨٤] ٥. التهذيب: قيل للصادق عليه السلام: إني أجلس في المسجد فيأتيني الرجل، فإذا عرفت إنه يخالفكم أخبرته بقول غيركم، وإذا كان ممّن لا أدري أخبرته بقولكم وقول غيركم، فيختار لنفسه، وإذا كان ممّن يقول بقولكم أخبرتهم بقولكم فقال: «رحمك الله، هكذا فاصنع»[٢].

[٨٥] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «قام عيسىٰ بن مريم عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل فقال: يابني إسرائيل لا تحدّثوا الجهّال بالحكمة فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم»[٣].

◁ بيان

المراد بالجهّال من لا عقل لهم يعبدون به الرحمن ويكتسبون به الجنان، وبأهل الحكمة من يقابلهم.

◆ ◆ ◆

باب

القول بغير علم

[٨٦] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «أنهاك عن خصلتين فيهما هلك الرجال: أنهاك أن تدين الله بالباطل، وتفتي الناس بما لا تعلم»[٤].

وفي رواية: «أن تفتي الناس برأيك، أو تدين بما لا تعلم»[٥].

[٨٧] ٢. الكافي، والتهذيب: عن الباقر عليه السلام: «من أفتىٰ الناس بغير علم ولا هدىً من الله لعنته ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، ولحقه وزر من عمل بفتياه»[٦].

---

١. التهذيب ٦: ٢٢٥ / ٥٣٨.
٢. التهذيب ٦: ٢٥٥ / ٥٣٩.
٣. الكافي ١: ٤٢ / ٤.
٤. الكافي ١: ٤٢ / ١.
٥. الكافي ١: ٤٢ / ٢.
٦. الكافي ١: ٤٢ / ٣، و٧: ٤٠٩ / ٢.

◁ بيان

«العلم» ما يستفاد من الأنوار الإلهية والإلهامات اللّدنيّة كما هو للأئمة عليهم السلام و«الهدىٰ» ما يسمع من أهل بيت النبوّة كما هو لنا و«وملائكة الرحمة» الهادون لنفوس الأخيار إلىٰ مقاماتهم في درجات الجنان و«ملائكة العذاب» السائقون لنفوس الأشرار إلىٰ منازلهم في دركات الجحيم والنيران.

[٨٨] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «ما علمتم فقولوا، وما لم تعلموا فقولوا: الله أعلم، إنّ الرجل لينتزع الآية من القرآن يخرّ فيها أبعد ما بين السماء والأرض»[١].

[٨٩] ٤. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إذا سئل الرجل منكم عمّا لا يعلم فليقل: لا أدري، ولا يقل: الله أعلم، فيوقع في قلب صاحبه شكّاً، وإذا قال المسؤول: لا أدري فلا يتّهمه السائل»[٢].

◁ بيان

«شكّاً» أي في عدم علمه، فيتّهمه بالعلم.

[٩٠] ٥. الكافي: عنه صلى الله عليه وآله: «إنّ الله خصّ عباده بآيتين من كتابه، أن لا يقولوا حتىٰ يعلموا، ولا يردّوا ما لم يعلموا، وقال تعالىٰ ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلّا الحق﴾[٣] **وقال: ﴿بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتهم تأويله﴾»**[٤].

[٩١] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: سئل ما حقّ الله على خلقه؟ فقال: «أن يقولوا ما يعلمون، ويكفّوا عما لا يعلمون، فإذا فعلوا ذلك فقد أدّوا إلىٰ الله تعالىٰ حقّه»[٥].

[٩٢] ٧. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «والله إنّ أحبّ أصحابي إليّ أورعهم وأفقههم وأكتمهم لحديثنا، وإنّ أسوأهم عندي حالاً وأمقتهم، الذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروىٰ عنّا، فلم يقبله واشمأزّ منه وجحده وكفر من دان به، ولا يدري لعلّ الحديث من عندنا

---

١. الكافي ١: ٤٢ / ٤.
٢. الكافي ١: ٤٢ / ٦.
٣. الأعراف / ١٦٩.
٤. الكافي ١: ٤٣/ ٨ والآية من سورة يونس: ٣٩.
٥. الكافي ١: ٤٣ / ٧.

خرج وإلينا أُسند، فيكون بذلك خارجاً من ولايتنا»[١].

◁ **بيان**

يستفاد من هذا الحديث أنه لا ينبغي الحكم ببطلان ما نسب إليهم عليهم السلام من الحديث المحتمل صدقه، وإن ضعف إسناده أو بعد مضمونه عن أفهامنا.

[٩٣] ٨. الكافي: عنه عليه السلام: «الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة، وتركك حديثاً لم تروه خير من روايتك حديثاً لم تحصه»[٢].

◁ **بيان**

المعنى أنّ تركك رواية حديث قد أحصيته فلم تروه خير من روايتك حديثاً لم تحط به، فإذا تردّد الأمر بين أن تترك حديثاً لم تحط به ولم تحفظه على وجهه، وبين أن ترويه، فالأولى أن لا ترويه؛ لأنّ في رواية الحديث منفعة، وفي رواية ما ليس بحديث على أنه حديث مفسدة، ودفع المفسدة أهمّ وأولى من جلب المنفعة.

[٩٤] ٩. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «لا يسعكم فيما ينزل بكم ممّا لا تعلمون إلّا الكفّ عنه والتثبّت والردّ إلى أئمّة الهدى حتى يحكّموكم فيه على القصد ويجلوا عنكم فيه العمى، ويعرّفوكم فيه الحقّ، قال الله تعالى: **«فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون»**[٣].

◁ **بيان**

«يحكّموكم» على الأبنية الثلاثة يردّوكم.

[٩٥] ١٠. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «من عمل بالمقاييس فقد هلك وأهلك، ومن أفتى الناس وهو لا يعلم الناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه، فقد هلك وأهلك»[٤].

[٩٦] ١١. الكافي، والتهذيب: عن الصادق عليه السلام: «كلّ مفت ضامن»[٥].

[٩٧] ١٢. الفقيه: خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس فقال: «إن الله تعالى حدّ حدوداً فلا تعتدوها،

---

١. الكافي ٢:٢٢٣ / ٧.
٢. الكافي ١:٥٠ / ٩.
٣. الكافي ١:٥٠ / ١٠، والآية من سورة النحل (١٦): ٤٣ والأنبياء (٢١): ٧.
٤. الكافي ١:٤٣ / ٩.
٥. الكافي ٧:٤٠٩ / ١، التهذيب ٦:٢٢٣ / ٥٣٠.

وفرض فرائض فلا تنقصوها، وسكت عن أشياء لم يسكت عنها نسياناً لها، فلا تتكلّفوها رحمة من الله لكم فاقبلوها ـ ثم قال عليه السلام: ـ حلال بيّن، وحرام بيّن، وشبهات بين ذلك، فمن ترك ما اشتبه عليه من الإثم، فهو لما استبان له أترك، والمعاصي حمىٰ الله عزّوجلّ، فمن يرتع حولها يوشك أن يدخلها»[1].

◁ **بيان**

«فلا تتكلّفوها» معناه أنّ ما لم يصل إليكم من التكاليف ولم يثبت في الشرع فليس عليكم فيه شيء، فلا تتكلّفوه علىٰ أنفسكم فإنّه رحمة من الله لكم، وفي هذا قيل: اسكتوا عمّا سكت الله عنه.

❖ ❖ ❖

باب

العمل بغير علم

[٩٨] ١. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «من عمل علىٰ غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح»[2].

[٩٩] ٢. الكافي، والفقيه: عن الصادق عليه السلام: «العامل علىٰ غير بصيرة كالسائر علىٰ غير[3] الطريق، لا يزيده سرعة[4] السير إلّا بعداً»[5].

◁ **بيان**

«علىٰ غير بصيرة» أي غير معرفة بدينه وبما يعمله.

[١٠٠] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «لا يقبل الله عملاً إلّا بمعرفة، ولا معرفة إلّا بعمل، فمن عرف دلّته المعرفة علىٰ العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له، ألا إنّ الايمان بعضه من بعض»[6].

---

١. الفقيه ٤: ٧٥ / ٥١٤٩.
٢. الكافي ١: ٤٤ / ٣.
٣. كذا في الوافي، راجع ج ١: ١٩٩ ح ١.
٤. في بعض النسخ: كثرة.
٥. الكافي ١: ٤٣ / ١، الفقيه ٤: ٤٠١ / ٥٨٦٤.
٦. الكافي ١: ٤٤ / ٢.

◁ **بيان**

تحقيق المقام أنّ كلّ معرفة تثمر حالاً وصفاءً في النفس، وكلّ حال يحمل صاحبه علىٰ عمل وطاعة، وكلّ طاعة تثمر حالاً آخر وصفاءً غير الأول، وهو يثمر معرفة أُخرىٰ سوىٰ الأُولىٰ، وهكذا يتكامل إيمان المرء بالمعرفة والطاعة حتىٰ بلغ الغاية، وخلص من التعب والمشقّة، واستقر في مقام الأمن والراحة واصلاً إلىٰ عين اليقين.

❖ ❖ ❖

باب

استعمال العلم

[١٠١] ١. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «العلماء رجلان: رجل عالم آخذ بعلمه فهذا ناج، وعالم تارك لعلمه فهذا هالك، وإنّ أهل النار ليتأذّون من ريح العالم التارك لعلمه، وإنّ أشدّ أهل النار ندامةً وحسرةً رجل دعا عبداً إلىٰ الله تعالىٰ فاستجاب له وقبل منه فأطاع الله فأدخله الله الجنّة، وأدخل الداعي النّار بترك علمه واتّباعه الهوىٰ وطول الأمل، أمّا اتّباع الهوىٰ فيصدّ عن الحق، وطول الأمل ينسي الآخرة»[١].

◁ **بيان**

إنّما كان عذاب العالم أشدّ، لأنّ نفسه أقوىٰ ومعرفته بقبح ما صدر منه أتمّ، فتأذّيه بالمؤلم لا محالة أشدّ، وتحسّره أدوم، كما أنّ ثوابه مع العمل أكثر وأعظم «فيصدّ عن الحقّ» أي يحجب القلب عن فهم المعارف، لأنه يضادّ العلم والمعرفة كما قيل: حبك الشيء يعمي ويصم «ينسي الآخرة» وذلك لأنه يوجب تسويف العمل لها، فينجرّ إلىٰ محوها عن الذكر.

[١٠٢] ٢. الكافي: عن الصادق ﷺ: «العلم مقرون إلىٰ العمل، فمن علم عمل، ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلّا ارتحل عنه»[٢].

◁ **بيان**

وذلك لأنّ كلّاً منهما يستدعي الآخر ويتقوّىٰ به كما عرفت، وهتافه به استدعاؤه

---

١. الكافي ١: ٤٤/ ١.

٢. الكافي ١: ٤٤/ ٢.

له، وارتحاله عنه نسيانه وانمحاؤه عنه.

[١٠٣] ٣. الكافي: عن السجاد عليه السلام: «مكتوب في الإنجيل: لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولمّا تعملوا بما علمتم، فإنّ العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلّا كفراً، ولم يزدد من الله إلّا بعداً»[١].

◁ بيان

إنّما لم يزدد صاحبه إلّا كفراً وبعداً، لأنّ العلم المتعلّق بالعمل حجاب عن الحق واشتغال بما سواه وصدّ عن الرجوع إلىٰ جانب القدس ونسيان للآخرة، وإنّما الضرورة دعت إليه، فلمّا لم يستعمل في الضرورة، واهتمّ به لا بقصد العمل بقي وباله عليه، إذ ينشعب منه آثار رديئة، وينبعث منه عادات ممرضة للنفس مميتة للقلب، ويصير حجة عليه.

[١٠٤] ٤. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أيها الناس، إذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلّكم تهتدون، إنّ العالم العامل بغيره كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق عن جهله، بل قد رأيت الحجّة عليه أعظم والحسرة أدوم علىٰ هذا العالم المنسلخ عن علمه منها علىٰ هذا الجاهل المتحيّر في جهله، وكلاهما حائر بائر، لا ترتابوا فتشكّوا، ولا تشكّوا فتكفروا ولا ترخّصوا لأنفسكم فتدهنوا، ولا تدهنوا في الحقّ فتخسروا، وإنّ من الحق أن تفقّهوا، ومن الفقه أن لا تغترّوا، وإنّ أنصحكم لنفسه أطوعكم لربّه، وأغشّكم لنفسه أعصاكم لربّه، ومن يطع الله يأمن ويستبشر، ومن يعص الله يخب ويندم»[٢].

◁ بيان

في قوله «لعلّكم تهتدون» تنبيه علىٰ أنّ العمل بمقتضىٰ العلم يؤدّي إلىٰ الاهتداء بهدىٰ الله، وهو نور اليقين الذي هو غاية كلّ سعي، وفي قوله: «لا يستفيق عن جهله» إشعار بأن الجهل كالسكر أو المرض، فإنّ الاستفاقة بمعنىٰ الخلاص من أحدهما، «وكلاهما حائر بائر» يقال: رجل حائر بائر إذا لم يتّجه لشيء، ولا يأتمر رشداً، ولا يطيع مرشداً «لا ترتابوا» أي لا تمكّنوا الرّيب والشكّ من قلوبكم، بل ادفعوا عن

---

١. الكافي ١: ٤٤/ ٤.
٢. الكافي ١: ٤٥/ ٦.

أنفسكم كيلا تعتادوا به، فتصيروا من أهل الشك والوسواس، فتكونوا من الكافرين، هذا في باب العلم «ولا ترخصوا لأنفسكم» أي اعزموا على الطاعات وترك المعاصي، ولا تسّاهلوا في ارتكاب الشهوات فتقعوا في المداهنة في أمر الدين، والمساهلة في باب الحق واليقين، فتكونوا من الخاسرين، وهذا في باب العمل «يأمن» أي من العقوبات «و يستبشر» أي بالمثوبات «يخب» أي من الدرجات العلىٰ و «يندم» أي علىٰ تفويت الفرصة وتضييع العمر.

[١٠٥] ٥. الكافي: قيل للصادق عليه السلام: بم يعرف الناجي؟ قال: «من كان فعله لقوله موافقاً، فاثبت له الشهادة، ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً فإنّما ذلك مستودع»[١].

◁ **بيان**

أريد «بالشهادة» الشهادة بالنجاة، كما يأتي في باب المستودع والمعان من كتاب الإيمان وما يقابله «فإنّما ذلك مستودع» أي إيمانه غير مثبت في قلبه، بل يزول بأدنىٰ شبهة، فهو في مشيئة الله، إن شاء تمّمه له، وإن شاء سلبه عنه.

[١٠٦] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزلّ المطر عن الصفا»[٢].

◁ **بيان**

شبّه العلم والموعظة بماء المطر، وعدم تأثيره وثباته في القلوب بعدم استقرار المطر في الحجر الأملس، وما أحسنه تشبيهاً!

❖ ❖ ❖

باب

المستأكل[٣] بعلمه والمباهي به

[١٠٧] ١. الكافي، والتهذيب: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «منهومان لا يشبعان: طالب دنيا، وطالب علم،

---

١. الكافي ١: ٤٥ / ٥.

٢. الكافي ١: ٤٤ / ٣.

٣. المراد به من يتخذ رأس مال يأكل منه ويتوسع في معاشه يقال: فلان يستأكل الضعفاء، أي يأخذ أموالهم، والمأكل: المكسب يقال: فلان ذو أكل أي ذو حظ من الدنيا برزق واسع (منه رحمه الله).

فمن اقتصر من الدنيا علىٰ ما أحلّ الله له سلم، ومن تناولها من غير حلّها هلك، إلّا أن يتوب أو يراجع، ومن أخذ العلم من أهله وعمل بعلمه نجا، ومن أراد به الدنيا فهي حظّه»[١].

بيان

«المنهوم» الحريص، والمراد من صدر الحديث أنّ من خاصيّة الدنيا والعلم أنّ من ذاق طعمهما لم يشبع منهما بل يحرص عليهما، ثم بيّن الممدوح من ذلك والمذموم منه، وليس فيه دلالة علىٰ أنّ الحرص في تحصيل العلم والإكثار منه مذموم، وإنّ المراد به غير علم الآخرة كما ظُنّ.

[١٠٨] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب ومن أراد به خير الآخرة أعطاه الله خير الدنيا والآخرة»[٢].

بيان

في «معاني الأخبار»: عن الصادق عليه السلام: «من استأكل بعلمه افتقر». قيل له: جعلت فداك، إنّ في شيعتك ومواليك قوماً يتحمّلون علومكم ويبثّونها في شيعتكم ولا يعدمون علىٰ ذلك منهم البرّ والصلة والإكرام؟ فقال عليه السلام: «ليس أُولئك المستأكلين، إنّما المستأكل بعلمه الذي يفتي بغير علم ولا هدىً من الله عزّوجلّ ليبطل به الحقوق طمعاً في حطام الدنيا»[٣].

[١٠٩] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «إذا رأيتم العالم محبّاً لدنياه فاتّهموه علىٰ دينكم، فإنّ كلّ محبّ يحوط ما أحبّ» **وقال عليه السلام**: «أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ داود عليه السلام: لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدّك عن طريق محبّتي، فإنّ أُولئك قطّاع طريق عبادي المريدين، إنّ أدنىٰ ما أنا صانع بهم أن انزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم»[٤].

بيان

«فاتّهموه» أي اعتقدوه متّهماً في قوله وفعله صوناً علىٰ دينكم، فإنّه ليس علىٰ

---

١. الكافي ١:٤٦ / ١، التهذيب ٦:٣٢٨ / ٩٠٦.
٢. الكافي ١:٤٦ / ٢.
٣. معاني الأخبار: ١٧٥.
٤. الكافي ١:٤٦ / ٤.

حقيقة في علمه، وذلك لأن حبّ الدين والدنيا لا يجتمعان في قلب واحد و«الحوط» الحفظ والصيانة «لا تجعل بيني وبينك عالماً» أي لا تجعله وسيلة إلىٰ التقرّب إليّ بالاستفادة منه والاسترشاد، والمناجاة المنزوع حلاوتها من قلبه تشمل ما يكون منها باللسان علىٰ نحو الخطاب والدعاء، وما يكون بالعقل من الإلهامات العلمية والمكالمات الروحية التي كان قابلاً لها في أوائل فطرته قبل فساد قريحته.

[١١٠] ٤. **الكافي: عن النبيّ**ﷺ: «الفقهاء أُمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا»، قيل: يارسول الله، وما دخولهم في الدنيا؟ قال: «اتّباع السلطان، فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم علىٰ دينكم»[١].

◁ **بيان**

«أُمناء الرسل» لأنهم مستودعو علومهم «واتّباع السلطان» يشمل قبول الولاية منهم علىٰ القضاء ونحوه والخلطة بهم والمعاشرة معهم اختياراً.

[١١١] ٥. **الكافي: عن الباقر**ﷺ: «من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه فليتبوأ مقعده من النار، إنّ الرئاسة لا تصلح إلّا لأهلها»[٢].

❖ ❖ ❖

باب

لزوم الحجّة علىٰ العالم وتشديد الأمر عليه

[١١٢] ١. **الكافي: عن الصادق**ﷺ: «يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد»[٣].

◁ **بيان**

وذلك لأنّ إدراك العالم لقبح الذنب أقوىٰ وأتمّ، وإنّما يغفر لمن كان الأمر عليه مستوراً أو مشتبهاً غير واضح.

---

١. الكافي ١: ٤٦ / ٥.
٢. الكافي ١: ٤٧ / ٦.
٣. الكافي ١: ٤٧ / ١.

[١١٣] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «قال عيسىٰ بن مريم: ويل للعلماء السوء كيف تلظّىٰ عليهم النار»[١].

◁ بيان

«تلظّىٰ» تتلهّب وتضطرم، وذلك لحسرتهم علىٰ ما صدر منهم حين كونهم بصراء بقبحه.

[١١٤] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «إذا بلغت النفس هاهنا ـ وأشار بيده إلىٰ حلقه ـ لم يكن للعالم توبة» ثم قرأ ﴿إنما التوبة علىٰ الله للذين يعملون السوء بجهالة﴾[٢].

◁ بيان

«النفس» بسكون الفاء: الروح، وبلوغ الروح «الحلق» هو الزمان المتصل بزمان الاحتضار ومعاينة الغيب، أعني قُبيل حدّ المعاينة، وهو آخر وقت قبول توبة الجاهل، وأمّا عند المعاينة وما بعدها فلا تأثير للتوبة أصلاً، لا من الجاهل ولا من العالم، لحصول اليأس التام من الحياة، وسقوط التكليف، وهو منصوص عليه في القرآن والأخبار، ولعلّ السبب في عدم قبول التوبة من العالم في ذلك الوقت حصول يأسه من الحياة بأمارات الموت، بخلاف الجاهل فإنّه لا ييأس إلّا بعد المعاينة.

[١١٥] ٤. الكافي: عن الباقر عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿فكبكبوا فيها هم والغاوون﴾[٣] قال: «هم وصفوا عدلاً بألسنتهم ثم خالفوا إلىٰ غيره»[٤].

◁ بيان

كبّه علىٰ وجهه: صرعه، والكبكبة: تكرير الكبّ، والغيّ: الضلال «عدلاً» صفة عدالة «ثم خالفوا» أي لم يعملوا بموجبه معرضين عنه إلىٰ غيره، فغوت وضلّت مقلّدتهم بما رأوا منهم من هذا الصنيع الشّنيع.

❖ ❖ ❖

---

١. الكافي ١: ٤٧ / ٢.
٢. الكافي ١: ٤٧ / ٣، والآية من سورة النساء (٤): ١٧.
٣. الشعراء (٢٦): ٩٤.
٤. الكافي ١: ٤٧ / ٤.

باب
أنّه لا علم إلّا ما يُؤخَذ عن أهله

[١١٦] ١. الكافي: عن الباقر عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿فلينظر الانسان إلىٰ طعامه﴾[١] قال: «علمه الذي يأخذه، عمّن يأخذه»[٢].

◁ **بيان**

لمّا كان تفسير الآية ظاهراً لم يتعرّض له، وإنّما تعرّض لتأويلها، بل التحقيق أنّ كلا المعنيين مراد من اللفظ بإطلاق واحد، فإنّ الطعام يشمل طعام البدن وطعام الروح جميعاً، كما أنّ الإنسان يشمل البدن والروح معاً، فلا تأويل بل هما معنىً واحد بلا تعدد، وبيانه أنّ المراد أنّ الانسان كما أنّه مأمور بأن ينظر إلىٰ غذائه الجسماني، ليعلم أنّه نزل من السّماء من عند الله تعالىٰ بأن صبّ الله الماء صبّاً، ثم شقّ الأرض شقّاً إلىٰ آخر الآيات، فكذلك مأمور بأن ينظر إلىٰ غذائه الروحاني الذي هو العلم، ليعلم أنّه نزل من السماء من عند الله بأن صبّ الله أمطار الوحي إلىٰ أرض النبوّة وشجرة الرسالة وينبوع الحكمة، فأخرج منها حبوب الحقائق وفواكه المعارف ليغتذي بها أرواح القابلين للتربية، فقوله: «علمه الذي يأخذه عمّن يأخذه» أي ينبغي له أن يأخذ علمه عن أهل بيت النبوّة ـ الذين هم مهابط الوحي وينابيع الحكمة ـ الآخذين علومهم عن الله تعالىٰ، حتىٰ يصلح لأن يصير غذاءً لروحه، دون غيرهم ممّن لا رابطة بينه وبين الله من حيث الوحي والإلهام.

[١١٧] ٢. الكافي: قيل للباقر عليه السلام: إنّ الحسن البصري يزعم أنّ الذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم أهل النار، فقال عليه السلام: «فهلك إذن مؤمن آل فرعون، ما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله تعالىٰ نوحاً، فليذهب الحسن يميناً وشمالاً، فوالله ما يوجد العلم إلّا هاهنا»[٣].

◁ **بيان**

لمّا لم يكن عند الحسن من العلوم الحقيقية شيء لم يدر أنّ من العلم ما يجب

---

١. عبس (٨٠): ٢٤.
٢. الكافي ١: ٤٩ / ٨.
٣. الكافي ١: ٥١ / ١٥.

كتمانه، كما أنّ منه ما يحرم كتمانه، بل زبدة العلم في الحقيقة ليس إلّا ما يكتم، كما قال سيد العابدين عليه السلام:

«إني لأكتم من علمي جواهره كيلا يرىٰ الحقّ ذو جهل فيفتتنا»

وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «فوالله ما يوجد العلم إلّا هاهنا»[١] يعني أنّ ما هو الحقيق بأن يسمّىٰ علماً ليس إلّا ما هو المخزون عندنا.

❖ ❖ ❖

باب
رواية الحديث

[١١٨] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «اعرفوا منازل الناس علىٰ قدر روايتهم عنّا»[٢].

[١١٩] ٢. الكافي: عنه عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه﴾[٣] قال: «هو الرجل يسمع الحديث فيحدّث به كما سمعه لا يزيد فيه ولا ينقص منه»[٤].

[١٢٠] ٣. الكافي: عنه عليه السلام، قيل له: أسمع الحديث منك فأزيد وأُنقص؟ قال: «إن كنت تريد معانيه، فلا بأس»[٥].

[١٢١] ٤. الكافي: عنه عليه السلام، قيل له: إني أسمع الكلام منك فأُريد أن أرويه كما سمعته منك فلا يجيء؟ قال: «فتعمّد[٦] **ذلك؟» قيل: لا. فقال: «تريد المعاني؟» قيل: نعم. قال: «فلا بأس»**[٧].

◁ **بيان**

يعني تتعمّد ترك حفظ الألفاظ بعدم المبالاة بضبطها، أو إنّك نسيّ، وفي الخبرين

---

١. الكافي ١: ٥١/ ٤٨.
٢. الكافي ١: ٥٠/ ١٣.
٣. الزمر (٣٩): ١٨.
٤. الكافي ١: ٥١/ ١.
٥. الكافي ١: ٥١/ ٢.
٦. في بعض نسخ المصدر: فتتعمّد.
٧. الكافي ١: ٥١/ ٣.

دلالة علىٰ جواز نقل الحديث بالمعنىٰ، وإن كان نقله بألفاظه أحسن.

[١٢٢] ٥. الكافي: عنه عليه السلام قيل له: الحديث أسمعه منك أرويه عن أبيك أو أسمعه من أبيك أرويه عنك؟ قال: «سواء، إلّا أنّك ترويه عن أبي أحبّ إليّ»[١].

◁ **بيان**

إنما كان سواء؛ لأن علومهم كلّها من معدن واحد، بل ذواتهم من نور واحد، كما ورد في كثير من الأخبار، وفي بعضها: «خلقنا واحد، وعلمنا واحد، وفضلنا واحد، وكلّنا واحد عندالله»[٢] وأمّا أحبّية الرواية عن الأب، فلعلّ الوجه فيه التقية، فإنّ ذلك أبعد من الشهرة والإنكار، وأيضاً فإنّ قول الماضي أقرب إلىٰ القبول من قول الشاهد عند الجماهير لأنه أبعد من أن يُحسَد ويُبغَض.

[١٢٣] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله، وحديث رسول‌الله قول الله تعالىٰ»[٣].

[١٢٤] ٧. الكافي: قيل للرضا عليه السلام: الرجل من أصحابنا يعطيني الكتاب ولا يقول: اروه عنّي، يجوز لي أن أرويه عنه؟ فقال: «إذا علمت أنّ الكتاب له فاروه عنه»[٤].

[١٢٥] ٨. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا حدّثتم بحديث فأسندوه إلىٰ الذي حدّثكم، فإن كان حقّاً فلكم، وإن كان كذباً فعليه»[٥].

[١٢٦] ٩. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «أعربوا حديثنا، فإنّا قومٌ فصحاء»[٦].

◁ **بيان**

أي لا تلحنوا في إعراب الكلمات، بل أعطوا حقّها من الإعراب والتبيين حين التكلّم

---

١. الكافي ١: ٥١ / ٤.
٢. بحارالأنوار ٢٥: ٣٦٣/ ١٢.
٣. غيبة النعماني: ٨٥ / ٤.
٤. الكافي ١: ٥٢ / ٦.
٥. الكافي ١: ٥٢ / ٧.
٦. الكافي ١: ٥٢ / ١٢.

بها، فإنّ كلامنا فصيح، فإذا لحنتم فيه اختلّت فصاحته.

◆ ◆ ◆

باب

فضل الكتابة والتمسّك بالكُتب

[١٢٧] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «القلب يتّكل على الكتابة»[١].

◁ بيان

الاتّكال: الاعتماد، يعني إذا كتبتم الحديث الذي سمعتموه جمعت قلوبكم واطمأنت نفوسكم، لتمكّنكم حينئذ من الرجوع إلى الكتاب إذا نسيتم، وفيه حثّ على كتابة الحديث.

[١٢٨] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «اكتبوا، فإنّكم لا تحفظون حتى تكتبوا»[٢].

[١٢٩] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «احتفظوا بكتبكم، فإنّكم سوف تحتاجون إليها»[٣].

[١٣٠] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «اكتب وبثّ علمك في إخوانك، فإن متّ فأورث كتبك بنيك، فإنّه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلّا بكتبهم»[٤].

[١٣١] ٥. الكافي: قيل للجواد عليه السلام: جعلت فداك، إنّ مشايخنا رووا عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام وكانت التقيّة شديدة، فكتموا كتبهم، فلم يرووا عنهم، فلمّا ماتوا صارت الكتب إلينا؟ فقال: «حدّثوا بها، فإنّها حقّ»[٥].

◁ بيان

في هذه الأخبار دلالة على صحة الاعتماد على الكتب والعمل بما فيها من الأحكام إن كانت صحيحة.

---

١. الكافي ١: ٥٢ / ٨.
٢. الكافي ١: ٥٢ / ٩.
٣. الكافي ١: ٥٢ / ١٠.
٤. الكافي ١: ٥٢ / ١١.
٥. الكافي ١: ٥٣ / ١٥.

باب
البدعة والرأي

[١٣٢] ١. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «كلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة، في النار»[١].

[١٣٣] ٢. الكافي: عن أمير المؤمنين ﷺ: «أيّها الناس، إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، يتولّىٰ فيها رجال رجالاً، فلو أنّ الباطل خلص لم يخف علىٰ ذي حجىً، ولو أنّ الحقّ خلص لم يكن اختلاف، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معاً، فهنالك استحوذ الشيطان علىٰ أوليائه، ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنىٰ»[٢].

[١٣٤] ٣. الكافي: عنه ﷺ: «إنّ من أبغض الخلق إلىٰ الله لرجلين: رجل وكله الله تعالىٰ إلىٰ نفسه فهو جائر عن قصد السبيل مشعوف[٣] بكلام بدعة، قد لهج بالصوم والصلاة، فهو فتنة لمن افتتن به، ضالّ عن هدىٰ من كان قبله، مضلّ لمن اقتدىٰ به في حياته وبعد موته، حمّال خطايا غيره، رهن بخطيئته، ورجل قَمش جهلاً في جهّال الناس، غانٍ[٤] بأغباش الفتنة، قد سمّاه أشباه الناس عالماً ولم يغن فيه يوماً سالماً، بكّر فاستكثر، ما قلّ منه خير ممّا كثر، حتىٰ إذا ارتوىٰ من آجنٍ، واكتنز من غير طائل، جلس بين الناس قاضياً ضامناً، لتخليص ما التبس علىٰ غيره، وإن خالف قاضياً سبقه، لم يأمن من أن ينقض حكمه من يأتي بعده، كفعله بمن كان قبله، وإن نزلت به إحدىٰ المبهمات المعضلات، هيّأ لها حشواً من رأيه، ثم قطع به، فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ، لا يحسب العلم في شيء مما أنكر، ولا يرىٰ أن وراء ما بلغ فيه مذهباً، إن قاس شيئاً بشيء لم يكذّب نظره، وإن أظلم عليه

---

١. الكافي ١: ٥٦/ ٨.
٢. الكافي ١: ٥٤/ ١.
٣. في بعض نسخ المصدر: مشغوف.
٤. في بعض نسخ المصدر: عانٍ.

أمر اكتتم به، لما يعلم من جهل نفسه، لكيلا يقال له لا يعلم، ثم جسر فقضىٰ، فهو مفتاح عشوات، ركّاب شبهات، خبّاط جهالات، لا يعتذر ممّا لا يعلم فيسلم، ولا يعضّ في العلم بضرس قاطع فيغنم، يذري الروايات ذرو الريح الهشيم، تبكي منه المواريث، وتصرخ منه الدماء، يستحلّ بقضائه الفرج الحرام، ويحرّم بقضائه الفرج الحلال، لاملئ بإصدار ما عليه ورد، ولا هو أهل لما منه فرط، من ادّعائه علم الحق»[1].

◁ **بيان**

كأنّ الرجل الأول هو المبتدع في الأُصول، والثاني هو المبتدع في الفروع، كما قاله ابن أبي الحديد[2]، وإنما صارا من أبغض الخلائق، لأنّ شرّهما متعدّ، ولأنه شرّ في الدّين، ولأنّه يبقىٰ بعدهما «عن قصد السبيل» أي السبيل العدل المستقيم المستوي. و«المشغوف» بالمعجمة والمهملة، وعلىٰ الأول معناه: دخل حبّ كلام البدعة شغاف قلبه، أي حجابه حتىٰ وصل إلىٰ فؤاده، وعلىٰ الثاني: غلبه حبّه وأحرقه، فإنّ الشعف شدّة الحبّ وإحراقه القلب.

واللهج بالشيء: الولوع فيه والحرص عليه «عن هدىٰ من كان قبله» أي عن سيرته وطريقته والقمش: الجمع «غان باغباش الفتنة» أي مقيم في ظلماتها أسير بها «وأشباه الناس» كناية عن الجهّال والعوام، لخلوّهم عن معنىٰ الانسانية وحقيقتها «ولم يغن فيه يوماً سالماً» لم يلبث في العلم يوماً تامّاً، ولم يَعِش «بكّر» من البكور، يعني أنّه وإن لم يصرف يوماً في طلب العلم، ولكن خرج في أول الصباح في كسب الدنيا ومتاعها وشهواتها، أو في كسب الجهالات التي زعمتها الجهّال علماً، وأحدهما هو المعني بقوله: «ما قلّ منه خير ممّا كثر». وفي «نهج البلاغة»: «فاستكثر من جمع ما قلّ»[3] وهو أوضح.

والارتواء من الشراب: كالشبع من الطعام، شبّه علمه الباطل بالماء المتعفّن «ثم قطع» أي جزم «لبس الشبهات» إما بفتح اللام بمعنىٰ الاختلاط وأصله اختلاط الظلام، وإما بالضم بمعنىٰ الإلباس «في مثل غزل العنكبوت» في عجزه عن

---

١. الكافي ١: ٥٤ / ٦.
٢. نهج البلاغه: خطبه ٥٩، ذم اهل الرأى ص ٦٠.
٣. نهج البلاغة: كلام ١٧.

التخلّص عنها كالذباب الواقع فيه، وفي وهنه وعدم ابتنائه علىٰ أصل ثابت «ثم جسر» أي اجترأ «والعشوة» الظلمة والأمر الملتبس «والخبط» الضرب علىٰ غير استواء «ولا يعضّ في العلم بضرس قاطع» كناية عن قصور حظّه في باب العلم و«ذرته الريح» وأذرته: إذا سقته وأطارته، وإذراؤه للروايات تصَفّحها وقراءتها وسردها ودرسها مع عدم فهمها و «الملئ» بالهمزة: الثقة الغني، أي ليس له من العلم والثقة قدر ما يمكنه أن يصدر عنه انحلال ما ورد عليه من الاشكالات والشبهات «فرط» سبق وتقدم.

[١٣٥] ٤. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «إذا ظهرت البدع في أُمتي فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله»[١].

[١٣٦] ٥. الكافي: عنه ﷺ: «من أتىٰ ذا بدعة فعظّمه، فإنّما يسعىٰ في هدم الإسلام»[٢].

[١٣٧] ٦. الكافي: عنه ﷺ: «إذا رأيتم أهل البدع والرّيب من بعدي فأظهروا البراءة منهم، وأكثروا من سبّهم والقول فيهم والوقيعة، وباهتوهم حتىٰ لا يطمعوا في الفساد في الاسلام، ويحذرهم الناس ولا يتعلّمون من بدعهم، يكتب الله لكم بذلك الحسنات، ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة»[٣].

◁ **بيان**

و «القول فيهم» يعني بما يشينهم و«الوقيعة» الغيبة «باهتوهم» أي جادلوهم وأسكتوهم واقطعوا الكلام عليهم.

[١٣٨] ٧. الكافي: عنه ﷺ: «أبىٰ الله لصاحب البدعة بالتوبة» قيل: يارسول الله وكيف ذلك؟ قال: «إنّه قد أُشرب قلبه حبّها»[٤].

[١٣٩] ٨. الكافي: عنه ﷺ: «إنّ عند كلّ بدعة تكون من بعدي يُكاد بها الإيمان وليّاً من أهل بيتي موكّلاً به يذبّ عنه، ينطق بإلهام من الله تعالىٰ، ويعلن الحق وينوّره، ويردّ

---

١. الكافي ١: ٥٤ / ٢.
٢. الكافي ١: ٥٤ / ٣.
٣. الكافي ٢: ٣٧٥ / ٤.
٤. الكافي ١: ٥٤ / ٤.

كيد الكائدين، يعبّر عن الضعفاء، فاعتبروا ياأولي الأبصار، وتوكّلوا علىٰ الله»[١].

◁ بيان

«يعبّر عن الضعفاء» أي يكون لساناً لهم معبّراً عنهم ما يدفع تلك البدعة.

[١٤٠] ٩. الكافي: قيل للكاظم عليه السلام: بما أُوحّد الله؟ قال: «لا تكوننّ مبتدعاً، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيّه ضلّ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيّه كفر»[٢].

◁ بيان

«بما أُوحّد الله؟» يعني بما أستدلّ علىٰ التوحيد، كأنّه يريد الدلائل الكلامية، فنهاه عن غير السمع.

[١٤١] ١٠. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «من أفتىٰ الناس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم، ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضادّ الله حيث أحلّ وحرّم فيما لا يعلم»[٣].

[١٤٢] ١١. الكافي، والتهذيب: عن الصادق عليه السلام: «سألني ابن شبرمة: ما تقول في القسامة في الدم؟ فأجبته بما صنع النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: أرأيت لو أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يصنع هذا، كيف كان القول فيه؟» **قال:** «فقلت له: أمّا ما صنع النبيّ صلى الله عليه وآله فقد أخبرتك، وأمّا ما لم يصنع فلا علم لي به»[٤].

وفي رواية أُخرىٰ: «ولسنا من أرأيت[٥] في شيء»[٦].

[١٤٣] ١٢. الكافي: عنه عليه السلام سئل عن الحلال والحرام، فقال: «حلال محمّد حلال أبداً إلىٰ يوم القيامة، وحرامه حرام أبداً إلىٰ يوم القيامة، لا يكون غيره، ولا يجيء غيره، **وقال:** «قال عليّ عليه السلام: «ما ابتدع أحد بدعة إلّا ترك بها سنّة»[٧].

---

١. الكافي ١: ٥٤ / ٥.
٢. الكافي ١: ٥٦ / ١٠.
٣. الكافي ١: ٥٧ / ١٦.
٤. الكافي ٧: ٣٦٢ / ٧، التهذيب ١٠: ١٦٨ / ٤.
٥. لما كان مراده أخبرني عن رأيك الذي تختاره بالظن والاجتهاد نهاه عليه السلام عن هذا الظن، وبيّن له أنهم لا يقولون شيئاً إلّا بالجزم واليقين وبما وصل إليهم من سيد المرسلين صلى الله عليه وآله.
٦. الكافي ١: ٥٨ / ٢١.
٧. الكافي ١: ٥٨ / ١٩.

◁ **بيان**

يعني أنّ الأحكام التي بقيت عنه ﷺ بعد نسخ ما نسخ منها مستمرّة إلىٰ يوم القيامة، لا يعارضها نسخ ولا اجتهاد، ولا يبطلها رأي ولا قياس، ردّ بذلك علىٰ أصحاب الرأي والاجتهاد، فإنّ آراءهم تتغيّر، وإنّما كان كلّ بدعة مستلزماً لترك سنّة لقيامها، مقامها ولأنّ من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه.

[١٤٤] ١٣. التهذيب: عن أمير المؤمنين ﷺ: «لو قضيت بين رجلين بقضية ثم عادا إليّ من قابل، لم أزدهما علىٰ القول الأول، لأنّ الحقّ لا يتغيّر»[١].

[١٤٥] ١٤. الكافي: عن الصادق ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾[٢] قال: «أما والله ما دعوهم إلىٰ عبادة أنفسهم، ولو دعوهم ما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً، وحرّموا عليهم حلالاً، فعبدوهم من حيث لا يشعرون»[٣].

◁ **بيان**

«الأحبار» العلماء و «الرهبان» العبّاد، ومعنىٰ الحديث أنّ من أطاع أحداً فيما يأمر به وينهىٰ عنه خلاف ما أمر الله به وينهىٰ؛ فقد اتّخذه ربّاً وعبده من حيث لا يشعر.

❖ ❖ ❖

باب

القياس

[١٤٦] ١. الكافي: عن الصادق ﷺ: «إنّ أصحاب المقاييس، طلبوا العلم بالمقاييس فلم تزدهم المقاييس من الحق إلّا بعداً، وإنّ دين الله لا يصاب بالمقاييس»[٤].

[١٤٧] ٢. الكافي: سماعة، عن الكاظم ﷺ قال: قلت: أصلحك الله، إنّا نجتمع فنتذاكر ما عندنا، فلا يرد علينا شيء إلّا وعندنا فيه شيء مستطرف، وذلك ممّا أنعم الله به علينا بكم، ثم يرد علينا الشيء الصغير

---

١. التهذيب ٦: ٢٩٦ / ٩٢.
٢. التوبة / ٣١.
٣. الكافي ٢: ٣٩٨ / ٧.
٤. الكافي ١: ٥٦ / ٧.

ليس عندنا فيه شيء، فينظر بعضنا إلىٰ بعض وعندنا ما يشبهه، فنقيس على أحسنه؟ فقال: «ما لكم وللقياس! إنّما هلك من هلك من قبلكم بالقياس»، ثم قال: «إذا جاءكم ما تعلمون فقولوا به، وإن جاءكم ما لا تعلمون فها ـ وأهوىٰ بيده إلىٰ فيه، ثم قال: ـ لعن الله أبا حنيفة، كان يقول: قال عليّ، وقلت أنا، وقالت الصحابة وقلت». ثم قال: «أكنت تجلس إليه؟» فقلت: لا، ولكن هذا كلامه. فقلت: أصلحك الله أتىٰ رسول الله ﷺ الناس بما يكتفون به في عهده؟ قال: «نعم، وما يحتاجون إليه إلىٰ يوم القيامة»، فقلت: فضاع من ذلك شيء؟ فقال: «لا، هو عند أهله»[1].

◁ بيان

«قال عليّ، وقلت» يعني وقلت خلاف قوله، أراد أنّه كان يرىٰ في المسألة رأياً وأنا رأيت فيها رأياً آخر بخلافه، قال الزمخشري في «ربيع الأبرار»: قال يوسف بن أسباط: ردّ أبو حنيفة علىٰ رسول الله ﷺ أربعمائة حديث وأكثر، قيل: مثل ماذا؟ قال: قال رسول الله ﷺ: «للفرس سهمان، وللرجل سهم»[2] قال أبو حنيفة: لا أجعل سهم بهيمة أكثر من سهم المؤمن، وأشعر رسول الله ﷺ وأصحابه البُدن، وقال أبو حنيفة: الإشعار مثلة، وقال: «البيّعان بالخيار ما لم يتفرّقا»، وقال أبو حنيفة: إذا وجب البيع فلا خيار، وكان ﷺ يقرع بين نسائه إذا أراد سفراً، وأقرع أصحابه، وقال أبو حنيفة: القرعة قمار[3].

[١٤٨] ٣. الكافي: قيل للصادق عليه السلام: تَرِدُ علينا أشياء لا نعرفها في كتاب ولا سنّة، فنظر فيها؟ قال: «لا، أما إنّك إن أصبت لم تؤجر، وإن أخطأت كذبت علىٰ الله عزّوجلّ»[4].

[١٤٩] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ السنّة لا تقاس، ألا ترىٰ أنّ المرأة تقضي صومها ولا تقضي صلاتها، إنّ السنّة إذا قيست محق الدين»[5].

◁ بيان

«المحق» ذهاب الشيء حتىٰ لا يرىٰ منه أثر، وإنّما يمحق الدين بالقياس؛ لأنّ لكلّ

---

١. الكافي ١: ٥٧ / ١٣.
٢. مجموعة ورام ١: ٨١ / ٥٧ / باب العتاب.
٣. الصراط المستقيم ٣: ١٥٣ / ١٥ / باب في تخطئة كلّ من الأربعة.
٤. الكافي ١: ٥٦ / ١١.
٥. الكافي ١: ٥٧ / ١٥.

أحد أن يرىٰ بعقله أو هواه مناسبة بين الشيء وما أراد أن يقيسه عليه فيحكم عليه بحكمه، وما من شيء إلّا وبينه وبين شيء آخر مجانسة أو مشاركة في كمّ أو كيف أو نسبة، فإذا قيس بعض الأشياء علىٰ بعض في الأحكام صار الحلال حراماً والحرام حلالاً حتىٰ لم يبق شيء من الدين.

[١٥٠] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ إبليس قاس نفسه بآدم، فقال: خلقتني من نار وخلقته من طين، فلو قاس الجوهر الذي خلق الله منه آدم بالنار، كان ذلك أكثر نوراً وضياءً من النار»[١].

◁ **بيان**

أراد «بالجوهر الذي خلق الله منه آدم» روحه المقدسة التي هي أمر من أمر الله وكلمة من كلماته ونور من أنواره التي بها صار آدم مكرّماً مستحقّاً لمسجودية الملائكة، وهو نور معنوي عقلاني لا نسبة له إلىٰ الأنوار الحسّية كنور الشمس والقمر فضلاً عن نور النار الذي يضمحل في النهار، وآدم في الحقيقة عبارة عنه لا عن الجسد، ولمّا لم يكن لإبليس منه نصيب لم يره من آدم ولم يعرفه، وهو مختصّ بالأنبياء فالأولياء وأهل السعادة الكاملة من العلماء، وأمّا الأرواح التي لسائر أفراد البشر فلإبليس في مثلها مشاركة.

❖ ❖ ❖

باب

أنّه ليس شيء ممّا يحتاج إليه الناس إلّا وقد جاء فيه كتاب أو سنّة

[١٥١] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ أنزل في القرآن تبيان كلّ شيء، حتىٰ والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد حتىٰ لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا أُنزل في القرآن، إلّا وقد أنزله الله تعالىٰ فيه»[٢].

---

١. الكافي ١: ٥٨ / ١٨.
٢. الكافي ١: ٥٩ / ١.

[١٥٢] ٢. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّ الله لم يدع شيئاً يحتاج إليه الأُمّة إلّا أنزله في كتابه، وبيّنه لرسول الله صلى الله عليه وآله، وجعل لكلّ شيء حدّاً، وجعل عليه، دليلاً يدلّ عليه وجعل على من تعدّىٰ ذلك الحدّ حدّاً»[1].

◁ بيان

ما أنزله الله سبحانه في كتابه من الأشياء على قسمين: أحدهما ما ذكره فيه بعينه، والآخر ما ذكر فيه أصلاً كلّياً يمكن للنبيّ أو وصيّ النبيّ أن يستنبط منه ذلك، كما قال الله سبحانه: ﴿ولو ردّوه إلىٰ الرسول وإلىٰ أُولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾[2] وليس لكلّ أحد هذا الاستنباط لقصور عقول الرجال عنه إلّا من كان أهله، ومن هذا القبيل قول أمير المؤمنين عليه السلام: «علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم، يفتح لي من كلّ باب ألف باب»[3] ويدلّ على ما قلناه الأخبار الآتية.

[١٥٣] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا وله أصل في كتاب الله، ولكن لا تبلغه عقول الرجال»[4].

[١٥٤] ٤. الكافي، والتهذيب: عن الباقر عليه السلام: «إذا حدّثتكم بشيء فاسألوني أين هو من كتاب الله». ثم قال في بعض حديثه: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهىٰ عن القيل والقال، وفساد المال، وكثرة السؤال».

فقيل له: يابن رسول الله أين هذا من كتاب الله؟ قال: «إنّ الله تعالىٰ يقول: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلّا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾[5] وقال: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً﴾[6] وقال: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾[7]».

[١٥٥] ٥. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أيها الناس، إنّ الله تعالىٰ أرسل إليكم الرسول صلى الله عليه وآله

---

١. الكافي ١: ٥٩ / ٢.
٢. النساء ٤: ٨٣.
٣. البحار ٧٢: ١٨٣ / ١٠.
٤. الكافي ١: ٦٠ / ٦.
٥. النساء (٤): ١١٤.
٦. النساء (٤): ٥.
٧. الكافي ١: ٦٠ / ٥، والآية من سورة المائدة (٥): ١٠١.

وأنزل إليه الكتاب بالحق وأنتم أُمّيون عن الكتاب ومن أنزله، وعن الرسول ومن أرسله، علىٰ حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الأُمم، وانبساط من الجهل، واعتراض من الفتنة، وانتقاض من المبرم، وعمىً عن الحق، واعتساف من الجور، وامتحاق من الدين، وتلظّىً من الحروب علىٰ حين اصفرارٍ من رياض جنّات الدنيا، ويبسٍ من أغصانها، وانتثارٍ من ورقها، ويأسٍ من ثمرها، واغورارٍ من مائها. قد درست أعلام الهدىٰ، وظهرت أعلام الردىٰ، فالدنيا متهجّمة في وجه أهلها، مكفهرّة، مدبرة غير مقبلة، ثمرتها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيف، مرّقتم كلّ ممزّق، وقد أعمت عيون أهلها، وأظلمت عليها أيامها، قد قطعوا أرحامهم، وسفكوا دماءهم، ودفنوا في التراب الموؤدة بينهم من أولادهم، يجتاز دونهم طيب العيش، ورفاهية خفوض الدنيا، لا يرجون من الله ثواباً، ولا يخافون ـ والله ـ منه عقاباً، حيّهم أعمىٰ نجس، وميّتهم في النار مبلس، فجاءهم بنسخة ما في الصحف الأُولىٰ، وتصديق الذي بين يديه، وتفصيل الحلال من ريب الحرام. ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم، أُخبركم عنه، أنّ فيه علم ما مضىٰ وعلم ما يأتي إلىٰ يوم القيامة، وحكم ما بينكم، وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون، فلو سألتموني عنه لعلّمتكم»[1].

◁ **بيان**

«الأُمّي» من لا يكتب ولا يقرأ، ضمّنه ما يعدّى بعن، و «الفترة» الزمان الذي بين الرسولين، و «الهجعة» النوم، كنّى بها عن الغفلة، و «الفتنة» الضلال عن سبيل الحق والحيرة و «المبرم» المحكم، أشار بانتقاضه إلىٰ زوال ما كان الناس عليه قبلهم من نظام أحوالهم بسبب الشرائع السابقة و «الاعتساف» الظلم و «الامتحاق» المحو و «التلظّي» اشتعال النار و «اغورار الماء» ذهابه في باطن الأرض و «الدّرس» المحو، و «الردىٰ» الهلاك، و «التهجّم» التهدّم، و «الاكفهرار» العبوس و «الشّعار» ما يلي شعر الجسد من الثياب و «الدّثار» ما فوق الشّعار منها و «التمزيق» الخرق و «الموؤدة» المدفونة في التراب حيّة من البنات، كان إذا ولدت لأحدهم في الجاهلية بنت دفنها في التراب حيّة «يجتاز دونهم» بالجيم والزاي، أي يزول عنهم

---

١. الكافي ١: ٦٠ / ٧.

و«الخفوض» جمع الخفض، وهو الدعة والراحة و «العمى» كناية عن الجهل و«النجاسة» عن الكفر و «الإبلاس» الغمّ والانكسار والإياس من رحمة الله و«الصحف الأُولىٰ» الكتب المنزلة من قبل، وهي المراد بالذي بين يديه، وكلّ أمر تقدّم أمراً منتظراً قريباً منه يقال أنّه جاء بين يديه و «ربب الحرام» شبهته، يعني فضلاً عن صريحه «فاستنطقوه» أي استعلموا عنه الأخبار والأحكام.

ثم أشار إلىٰ أن ليس كلّ أحد ممّن ينطق له القرآن، إذ لا يفهم لسانه إلّا أهل الله خاصّة، لعدم الأُذن الباطني والسمع القلبي لغيرهم، ثم بيّن أنّه لسان الله الناطق عن كتبه للخلق المخبر عن أسرار القرآن، فقال: أخبركم عنه. وفي نهج البلاغة: «ولكن أُخبركم عنه»[1]. ونبّه على أن في نفسه القدسية العلوم التي ذكرها، و أشار بإيراد كلمة «لو» دون «إذا» إلىٰ فقد من يسأله عن غوامض مقاصد القرآن وأسرار علومه، كما دلّ عليه بقوله: «إنّ هاهنا لعلوماً جمّة لو وجدت لها حملة»[2].

[١٥٦] ٦. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أعلم كتاب الله، وفيه بدو الخلق، وما هو كائن إلىٰ يوم القيامة، وفيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر الجنة وخبر النار، وخبر ما كان و ما هو كائن، أعلم ذلك كما أنظر إلىٰ كفّي، إنّ الله يقول: ﴿تِبْيَاناً لِكُلِّ شيءٍ﴾»[3].

[١٥٧] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وفصل ما بينكم، ونحن نعلمه»[4].

[١٥٨] ٨. الكافي: قيل للكاظم عليه السلام: كلّ شيءٍ في كتاب الله وسنّة نبيّه؟ أو تقولون فيه؟ قال: «بل كلّ شيء في كتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وآله»[5].

◁ **بيان**

«أو تقولون فيه» بالخطاب، أي تحكمون فيه بما ترون.

---

١. نهج البلاغه: خ ١٥٩ / ٢٢٣.
٢. بحارالأنوار ٦٥: ٢٢٤ / ٢٣.
٣. الكافي ١: ٦١ / ٨؛ والآية من سورة النحل (١٦): ٨٩.
٤. الكافي ١: ٦١ / ٩.
٥. الكافي ١: ٦٢ / ١٠.

[١٥٩] ٩. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «ما من شيء إلّا وفيه كتاب أو سنّة»[١].

[١٦٠] ١٠. الكافي: عنه عليه السلام: «ما خلق الله حلالاً ولا حراماً إلّا وله حدّ كحدّ الدار، فما كان من الطريق فهو من الطريق، وما كان من الدار فهو من الدار، حتىٰ أرش الخدش فما سواه، والجلدة ونصف الجلدة»[٢].

◁ بيان

«الخدش» تقشير الجلد بعود ونحوه و «أرشه» ما يجبر نقصه من الدية و «الجلدة» الضربة بالسوط و «نصفها» أن يؤخذ بنصف السوط فيضرب، ولا يخفىٰ أنّ هذه الأخبار صريحة في أنّه ليس لأحد التصرّف في أحكام الله برأيه، وأنّ الحلال حلال دائماً والحرام حرام أبداً، ولكلّ منهما حدّ معيّن ودليل معيّن أبداً.

[١٦١] ١١. الفقيه، والتهذيب: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتىٰ بيّنت للأمّة جميع ما تحتاج إليه»[٣].

❖ ❖ ❖

باب

اختلاف الحديث والحكم

[١٦٢] ١. الكافي: سليم بن قيس الهلالي، قال: قلت لأمير المؤمنين عليه السلام: إنّي سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن نبيّ الله غير ما في أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبيّ الله صلى الله عليه وآله أنتم تخالفونهم فيها وتزعمون أن ذلك كلّه باطل، أفترىٰ الناس يكذبون علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله متعمّدين ويفسّرون القرآن بآرائهم؟ قال: فأقبل عليه السلام عليّ فقال: «قد سألت فافهم الجواب، إنّ في أيدي الناس حقّاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كُذِّب علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله علىٰ

---

١. الكافي ١:٥٩ / ٤.
٢. الكافي ١:٥٩ / ٣.
٣. الفقيه ٣:١١٢ / ٣٤٣٢، التهذيب ٦:٣١٩ / ٨٧٩.

عهده حتىٰ قام خطيباً، فقال: أيها الناس، قد كثرت عليّ الكذّابة، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار، ثم كُذب عليه من بعده، وإنّما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس: رجل منافق يظهر الايمان متصنّع بالاسلام لا يتأثّم ولا يتحرّج أن يكذب علىٰ رسول الله ﷺ متعمّداً، فلو علم الناس أنّه منافق كذّاب لم يقبلوا منه ولم يصدّقوه، ولكنّهم قالوا: هذا قد صحب رسول الله ﷺ ورآه وسمع منه، فيأخذون عنه وهم لا يعرفون حاله، وقد أخبر الله عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم، فقال تعالىٰ: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾[1]، ثم بقوا بعده فتقرّبوا إلىٰ أئمّة الضلال والدعاة إلىٰ النار بالزور والكذب والبهتان، فولّوهم الأعمال وحملوهم علىٰ رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا، وإنّما الناس مع الملوك والدنيا إلّا من عصم الله، فهذا أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله ﷺ شيئاً لم يحمله علىٰ وجهه، ووهم فيه ولم يتعمّد كذباً، فهو في يده يقول به ويعمل به ويرويه، فيقول: أنا سمعته من رسول الله ﷺ، فلو علم المسلمون أنّه وهم لم يقبلوه، ولو علم هو أنّه وهم لرفضه هو.

ورجل ثالث سمع من رسول الله ﷺ شيئاً أمر به ثم نهىٰ عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهىٰ عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنّه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنّه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع لم يكذب علىٰ رسول الله ﷺ، مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسوله ﷺ، لم ينسه، بل حفظ ما سمع علىٰ وجهه، فجاء به كما سمع، لم يزد فيه ولم ينقص منه، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعمل بالناسخ ورفض المنسوخ، فإنّ أمر النبيّ ﷺ مثل القرآن ناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، ومحكم ومتشابه، قد كان يكون من رسول الله ﷺ الكلام له وجهان، وكلام عام وكلام خاص مثل القرآن، وقال الله في كتابه: ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[2] فيشتبه علىٰ من لم يعرف ولم يدر ما عنىٰ الله به ورسوله.

---

١. المنافقون (٦٣): ٤.
٢. الحشر (٥٩): ٧.

وليس كلّ أصحاب رسول‌الله ﷺ كان يسأله عن الشيء فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه، حتىٰ أن كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابي والطارئ فيسأل رسول الله ﷺ حتىٰ يسمعوا.

وقد كنت أدخل علىٰ رسول‌الله ﷺ كلّ يوم دخلة، وكلّ ليلة دخلة، فيخلّيني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أنّه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، فربّما كان في بيتي، يأتيني رسول الله ﷺ أكثر ذلك في بيتي، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازله أخلىٰ بي وأقام عنّي نساءه، فلا يبقىٰ عنده غيري، وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم يُقم عنّي فاطمة ولا أحداً من بنيّ، وكنت إذا سألته أجابني، وإذا سكت عنه وفنيت مسائلي ابتدأني، فما نزلت علىٰ رسول الله ﷺ آية من القرآن إلّا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطّي وعلّمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصّها وعامّها، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه عليّ وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئاً علّمه الله من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي كان أو يكون ولا كتاب منزل علىٰ أحد قبله من طاعة أو معصية إلّا علّمنيه وحفظته، فلم أنس حرفاً واحداً، ثم وضع يده علىٰ صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً، فقلت: يارسول الله، بأبي أنت وأُمي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه، أفتتخوّف عليّ النسيان فيما بعد؟ فقال: لا لست أتخوّف عليك النسيان والجهل»[1].

◁ **بيان**

«المحكم» هو الدال علىٰ معنىً لا يحتمل غيره، والمتشابه بخلافه و «الوهم» أن لا يحفظ الشيء كما هو، وقد ذكر العلماء دليلاً علىٰ وقوع الكذب علىٰ النبيّ ﷺ فقالوا: قد نقل عنه هذا الخبر وما في معناه، فإن كان صدقاً فهو المطلوب وإن كان كذباً فقد كذب عليه.

روىٰ العتائقي في شرحه لنهج البلاغة: أنّ رجلاً سرق رداء النبيّ ﷺ وخرج

---

١. الكافي ١:٦٢ / ١.

إلىٰ قوم، فقال: هذا رداء محمّدﷺ أعطانيه لتمكّنوني من تلك المرأة، فاستنكروا ذلك، فبعثوا من سأله عنه، فقام فشرب ماءً فلدغته الحيّة فمات، ولما سمع النبيّﷺ قال لعليّ: «إنطلق فإن وجدته وقد كفيت فأحرقه بالنار» فجاء وأمر بإحراقه، فكان ذلك سبب الخبر المذكور.

و«المتصنّع بالإسلام» المتزيّن به، المتحلّي في عيون أهله «لا يتأثّم» أي لا يعتقد الإثم إثماً «ولا يتحرّج» أي لا يضيق صدره، وأراد بأئمة الضلالة الثلاثة ومن يحذو حذوهم من بني أُمية وأشباههم.

«ما آتاكم الرسول فخذوه» أشار بذكر هذه الآية إلىٰ وجوب اتّباع حديث الرسولﷺ ليترتّب عليه الاشتباه في الحديث، كيلا يتوهّم أحد جواز رفض الحديث إذ لم يتبيّن معناه، وعدم الاستفهام لعلّه للاحترام والإجلال لغاية عظمته في قلوبهم و«الطارئ» الذي يأتي من مكان بعيد «فيخليني فيها» إمّا من الإخلاء، أي يجتمع بي في خلوة، أو يتفرّغ لي عن كلّ شغل، أو من التخلية من قولهم: خلّيت سبيله يفعل ما يشاء، أمّا قوله: «أخلانى» فيحتمل الأول، وإن يكون بالموحدة، من أخليت به: إذا انفردت به و«الحكم» بالضمّ: الحكمة، وإنما نبّه علىٰ غاية قربه من الرسولﷺ ونهاية اختصاصه فيما يتعلّق بالعلم والحفظ والدراية والإحاطة بجميع الكتب الإلهية، ليرجع الناس في أُمور دينهم إليه، ويقتبسوا من مشكاة علمه، ويستضيئوا بأنواره، ويقتدوا بهداه، صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ من تقرّب إليه.

[١٦٣] ٢. الكافي: قيل للصادقؑ: ما بال أقوام يروون عن فلان وفلان عن رسول اللهﷺ لا يتّهمون بالكذب، فيجيء منكم خلافه؟ قال: «إنّ الحديث ينسخ كما ينسخ القرآن»[1].

◁ **بيان**

يعني أنّ حديث رسول اللهﷺ ربّما ينسخ ولا يعلم الراوي نسخه، فيرويه ظنّاً منه بقاء حكمه من غير كذب، فيجيء غيره بالناسخ فيقع الاختلاف.

[١٦٤] ٣. الكافي: زرارة عن الباقرؑ قال: سألته عن مسألة فأجابني، ثم جاء رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابني، ثم جاء آخر فأجابه بخلاف ما أجابني، وأجاب صاحبي، فلمّا خرج الرجلان، قلت:

---

١. الكافي ١: ٦٤/ ٢.

يابن رسول الله، رجلان من أهل العراق من شيعتكم قَدِما يسألان، فأجبت كلّ واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه، فقال: «يازرارة، إنّ هذا خير لنا وأبقىٰ لنا ولكم، ولو اجتمعوا علىٰ أمر واحد لصدّقكم الناس علينا، ولكان أقلّ لبقائنا ولبقائكم»[١].

[١٦٥] ٤. الكافي: الحذّاء عن الباقر عليه السلام قال: قال لي: «يازياد، ما تقول لو أفتينا رجلاً ممّن يتولّانا بشيء من التقية؟». **قال: قلت له:** أنت أعلم جعلت فداك، **قال:** «إن أخذ به فهو خير له وأعظم أجراً»[٢].

وفي رواية أخرىٰ: «إن أخذ به أُوجر، وإن تركه ـ والله ـ أثم»[٣].

[١٦٦] ٥. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من عرف أنّا لا نقول إلّا حقّاً فليكتف بما يعلم منّا، فإن سمع منّا خلاف ما يعلم فليعلم أنّ ذلك دفاع منّا عنه»[٤].

◁ **بيان**

يعني دفاعاً للفتنة والضرر، يعني لا يريبكم في أمرنا اختلافنا في الأجوبة، فإنّما ذلك للمصلحة.

[١٦٧] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: سئل عن رجل اختلف عليه رجلان من أهل دينه في أمر كلاهما يرويه، أحدهما يأمره بأخذه، والآخر ينهاه عنه، كيف يصنع؟ قال: «يرجئه حتىٰ يلقىٰ من يخبره، فهو في سعة حتىٰ يلقاه»[٥].

وفي رواية: «بأيّهما أخذت من باب التسليم وسعك»[٦].

◁ **بيان**

«يرجئه» أي يؤخّره، والجمع بين الروايتين بأن يخصّ التأخير بمن يمكنه الإرجاء ويرجو اللقاء والتخيير بغيره، ثم التخيير إنّما يكون فيما يتعلّق بالعمل

---

١. الكافي ١: ٦٥ / ٥.
٢. الكافي ١: ٦٥ / ٤.
٣. الكافي ١: ٦٥ / ذيل ٤.
٤. الكافي ١: ٦٥ / ٦.
٥. الكافي ١: ٦٦ / ٧.
٦. الكافي ١: ٦٦ / ذيل ٧.

دون الاعتقاد.

فإن قلت: كيف أذن عليه السلام بالتخيير مع أنّ حكم الله تعالىٰ واحد في كلّ قضية؟

قلنا: إنّ مع الجهل بالحكم يسقط الأخذ به للاضطرار دفعاً لتكليف ما لا يطاق، ولهذا جاز العمل بالتقيّة أيضاً، فالحكم في مثله اضطراريّ، قال الله تعالىٰ: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً فمن اضطرّ في مخمصة غير متجانف لإثم فإنّ الله غفور رحيم**﴾[1] علىٰ أنّا لا نمنع أن يكون الحكم في بعض المسائل التخيير، وكانوا قد أتوا في كلّ خبر بأحد فردي المخيّر فيه كما يستفاد من بعض الروايات.

[١٦٨] ٧. **الكافي: عنه عليه السلام: «أرأيتك لو حدّثتك بحديث العام، ثم جئتني من قابل فحدثتك بخلافه، بأيّهما كنت تأخذ»؟ قال: كنت آخذ بالأخير، فقال لي: «رحمك الله»**[2].

◁ **بيان**

وجه الأخذ بالأخير أنّ بعض الأزمنة يقتضي الحكم بالتقيّة للخوف الذي فيه، وبعضها لا يقتضيه لعدمه، فالإمام عليه السلام في كلّ زمان يحكم ما يراه المصلحة في ذلك الزمان، فليس لأحد أن يأخذ في العام بما حكم به في عام أول، وهذا معنىٰ قوله عليه السلام في حديث آخر: «انّا والله لا ندخلكم إلّا فيما يسعكم»[3].

[١٦٩] ٨. **الكافي، والتهذيب: عنه عليه السلام سئل عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث، فتحاكما إلىٰ السلطان وإلىٰ القضاة، أيحلّ ذلك؟ قال: «من تحاكم إليهم في حقّ أو باطل فإنّما تحاكم إلىٰ الطاغوت، وما يحكم له فإنّما يأخذ سُحتاً وإن كان حقّاً ثابتاً له، لأنه أخذه بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به، قال الله تعالىٰ: ﴿يريدون أن يتحاكموا إلىٰ الطاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به﴾**[4]».

قيل: فكيف يصنعان؟ قال: «ينظران من كان منكم قد روىٰ حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً، فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم

---

١. المائدة (٥) ٣.
٢. الكافي ١: ٦٧ / ٨.
٣. الكافي ١: ٦٧ / ٩.
٤. النساء (٤) ٦٠.

بحكمنا فلم يقبله منه فإنّما استخفّ بحكم الله، وعلينا ردّ، والرادّ علينا الرادّ علىٰ الله، وهو علىٰ حدّ الشرك بالله».

قيل: فإن كان كلّ رجل اختار رجلاً من أصحابنا، فرضيا أن يكونا الناظرين في حقّهما، واختلفا فيما حكما، وكلاهما اختلفا في حديثكم؟ قال: «الحكم ما حكم به أعدلهما وأفقههما وأصدقهما في الحديث وأورعهما، ولا يلتفت إلىٰ ما يحكم به الآخر».

قيل: فإنّهما عدلان مرضيان عند أصحابنا لا يفضل واحد منهما علىٰ الآخر؟

قال: «ينظر إلىٰ ما كان من روايتهم عنّا في ذلك الذي حكما به المجمع عليه من أصحابك فيؤخذ به من حكمنا، ويترك الشاذّ الذي ليس بمشهور عند أصحابك، فانّ المجمع عليه لا ريب فيه، وإنّما الأُمور ثلاثة: أمر بيّن رشده فيتّبع، وأمر بيّن غيّه فيجتنب، وأمر مشكل يرد علمه إلىٰ الله وإلىٰ رسوله، قال رسول الله ﷺ: حلال بيّن، وحرام بيّن، وشبهات بين ذلك، فمن ترك الشبهات نجا من المحرّمات، ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرّمات، وهلك من حيث لا يعلم».

قيل: فإن كان الخبران عنكما مشهورين قد رواهما الثقات عنكم؟

قال: «ينظر، فما وافق حكمه حكم الكتاب والسنّة وخالف العامة فيؤخذ به، ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنّة ووافق العامة».

قيل: جعلت فداك، أرأيت إن كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنّة، ووجدنا أحد الخبرين موافقاً للعامة والآخر مخالفاً لهم، بأيّ الخبرين يؤخذ؟

قال: «ما خالف العامّة ففيه الرشاد».

فقيل: جعلت فداك، فإن وافقها الخبران جميعاً؟

قال: «ينظر إلىٰ ما هم إليه أميل، حكّامهم وقضاتهم، فيترك ويؤخذ بالآخر».

قيل: فإن وافق حكّامهم الخبرين جميعاً؟

قال: «إذا كان ذلك فأرجه حتىٰ تلقىٰ إمامك، فإنّ الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات»[1].

---

١. الكافي ١:٦٧ / ١٠، التهذيب ٦:٣٠١ / ٨٤٥، الفقيه ٣:٩ / ٢.

بيان

«**دَين**» بفتح الدال و «**الطاغوت**» الشيطان، مبالغة من الطغيان، والمراد به هنا من يحكم بغير الحق لفرط طغيانه، أو لتشبيهه بالشيطان، أو لأنّ التحاكم إليه تحاكم إلىٰ الشيطان من حيث أنّه الحامل له علىٰ الحكم، كما نبّه عليه تتمة الآية «**ويريد الشيطان أن يضلّهم ضلالاً بعيداً**»[1]. وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**كلّ حُكم حكم بغير قولنا أهل البيت فهو طاغوت**»[2]، ثم قرأ هذه الآية، «**والسّحت**» الحرام، و «**الكفر بالطاغوت**» أن يعتقد أنّه ليس أهلاً للتحاكم، فمن اعتقد ذلك ثم أراد التحاكم إليه فهو خائن، فإن لم يرد لكن اضطر إليه، كما إذا لم يوجد هناك عدل، أو كان خصمه لا يرضىٰ بالتحاكم إلىٰ العدل؛ فحينئذ يحتمل حلّ ما أخذ إذا كان حقّاً له ثابتاً، لأنّه كافر به وقد اضطر إلىٰ التحاكم إليه من غير إرادة منه، ولعلّ ذلك هو السرّ في قوله تعالىٰ: «**يريدون أن يتحاكموا**»[3] دون يتحاكمون.

ثم ظاهر هذا الخبر عدم الفرق في حرمة ما أخذ بحكم الطاغوت بين ما لو تحاكما فيه إلىٰ العدل لم يحكم له بذلك، وبين ما حكم له بذلك، لأنّ الأخذ في كليهما بحكم الطاغوت، وأمّا في صورة الاضطرار فالظاهر الفرق، هذا كلّه إذا كان الحاكم هو الطاغوت، فأمّا إذا كان الحاكم هو العدل، وإنّما أخذ حقّه منه بقوة سلطان الطاغوت، لتوقّف أخذ حقّه علىٰ الاستعانة به، فليس ممّا نحن فيه من شيء، بل ذلك حديث آخر، والظاهر أنّه لم يحرّم الحق بذلك.

ثم ظاهر هذا الخبر وما في معناه وروده في سلطان المخالفين وقضائهم، وفي حكمهم فسّاق قضاة الشيعة وحكّامهم الذين يأخذون الرشا علىٰ الأحكام وتوابعها، ويحكمون بغير حكم أهل البيت عليهم السلام، لدخولهم في الطاغوت، سواء كانوا عارفين بأحكام أهل البيت أم لا، أمّا إذا لم يحكموا بين الخصمين، وإنّما حملوهما علىٰ الصلح وأخذ البعض والإبراء عن الباقي، فلذلك حديث آخر.

«**من كان منكم**» أي من الشيعة الإمامية «**وعرف أحكامنا**» أي من أحاديثنا المحكمات، لا من اجتهاده في المتشابهات واستنباط الرأي منها بالظنون والخيالات باستعانة الأُصول المخترعات «**المجمع عليه**» أي المتّفق علىٰ نقله المشهور بينهم، وليس المراد به الإجماع المصطلح عليه بين أصحابنا اليوم، كيف

---

١. النساء (٤): ٦٠.

٢. دعائم الاسلام ٢: ٥٣٠ / ١٨٨٣.

٣. النساء ٤: ٦٠.

والكلام في الحديث وروايته لا القول والإفتاء به، ولهذا قال: «ويترك الشاذّ الذي ليس بمشهور» فالمراد بالمجمع عليه بين الأصحاب في هذا الحديث هو بعينه ما عبّر عنه بالمشهور بينهم في رواية زرارة عن الباقرؑ قال: سألته فقلت: جعلت فداك يأتي عنكم الخبران أو الحديثان المتعارضان، فبأيهما آخذ؟ فقالؑ: «يازرارة خذ بما اشتهر بين أصحابك ودع الشّاذ النادر».

فقلت: ياسيدي، إنهما معاً مشهوران مرويان مأثوران عنكم؟ فقال: «خذ بما يقول أعدلهما عندك وأوثقهما في نفسك».

فقلت: إنهما معاً عدلان مرضيّان موثّقان؟ فقال: «أُنظر إلىٰ ما وافق منهما مذهب العامة فاتركه وخذ بما خالفهم، فإنّ الحقّ فيما خالفهم».

قلت: ربّما كانا معاً موافقين لها أو مخالفين، فكيف أصنع؟ فقال: «إذن فخذ[1] الحائطة لدينك، واترك ما خالف الاحتياط».

فقلت: إنهما معاً موافقان للاحتياط أو مخالفان له فكيف أصنع؟ فقال: «إذن فتخيّر أحدهما فتأخذ به وتدع الآخر».

وهذه الرواية رواها محمّد بن عليّ بن إبراهيم بن أبي جمهور الاحسائي في كتاب (عوالي اللآلي)[2] عن العلّامة الحلّي مرفوعاً إلىٰ زرارة.

والأخبار في هذا المعنىٰ كثيرة، وقد أوردنا شطراً منها في كتابنا المسمىٰ «سفينة النجاة» وفي كتابنا الموسوم «الأُصول الأصيلة» وفي بعضها: «وما لم تجدوه في شيء من هذه الوجوه فردّوا إلينا علمه، فنحن أولىٰ بذلك، ولا تقولوا فيه بآرائكم، وعليكم بالكفّ والتثبّت والوقوف وأنتم طالبون باحثون حتىٰ يأتيكم البيان من عندنا»[3].

ولا يخفىٰ أن ردّ علمه إليهم لا ينافي التخيير في العمل من باب التسليم، فلا يجوز الفتوىٰ بأنه حكم الله في الواقع، وإن جاز الفتوىٰ بجواز العمل به وجاز العمل به.

والمراد بالشهرة في الخبرين شهرة الحديث الكائنة بين قدماء أصحابنا الأخباريين الذين لا يتعدّون النصّ في شيء من الأحكام دون شهرة القول الحادثة بين المتأخرين، فانّها لا اعتماد عليها أصلاً، كما حقّقه الشهيد الثاني في

---

١. فيه خ ل.

٢. عوالي اللآلي ٤: ١٣٣ / ٢٢٩.

٣. راجع بحارالأنوار ٢: ٢/٢٣٣.

شرح درايته.

قوله «الخبران عنكما» أي عن الاثنين منكم، وفي نسخة: «عنهما» وهو أوضح.

فإن قيل: يستفاد من الأخبار السابقة وجوب الأخذ بما ورد عنهم عليهم السلام على التقيّة، ويظهر من هذين الخبرين وأشباههما وجوب ترك ما وافق القوم، فكيف التوفيق؟

قلنا: إنّ ذلك إنما هو في العمل، وهذا في العلم، والاعتقاد بأنه حقّ وإن كان قد يجب العمل بخلافه، كما إذا كان محلّ الخوف، وبهذا يظهر وجه أمرهم عليهم السلام بالأخذ بالأخير، أي العمل به حقّاً كان أو تقيّةً، كما أشرنا إليه سابقاً.

❖ ❖ ❖

باب
الأخذ بشواهد الكتاب والسنّة

[١٧٠] ١. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ على كل حقّ حقيقةً، وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، ومن خالف كتاب الله فدعوه»[١].

◁ **بيان**

«حقيقة» أي أصلاً ثابتاً ومستنداً متيناً يمكن أن يفهم منه حقيّته «نوراً» أي برهاناً واضحاً يتبيّن به ويظهر منه أنّه صواب، والقرآن أصل كلّ حديث حقّ، وبرهان كلّ قول، ومستند كل أمر، وعلم لمن يمكنه أن يستفهم عنه بقدر فهمه وعلمه.

[١٧١] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام، سئل عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به؟

قال: «إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله صلى الله عليه وآله، وإلّا فالذي جاءكم به أولى به»[٢].

وفي رواية: «إذا جاءكم عنّا حديث فوجدتم شاهداً عليه أو شاهدين من كتاب الله فخذوا به، وإلّا فقفوا عنده، ثم ردّوه إلينا حتى يستبين لكم»[٣].

---

١. الكافي ١: ٦٩ / ١.
٢. الكافي ١: ٦٩ / ٢.
٣. الكافي ٢: ١٧٦ / ٤.

◁ بيان
«أولىٰ به» أي ردّوه عليه ولا تقبلوه منه.

[١٧٢] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «كلّ شيء مردود إلىٰ الكتاب والسنّة، وكلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف»[١].

◁ بيان
أي مموّه مزوّر.

[١٧٣] ٤. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «كلّ من تعدّىٰ السنّة ردّ إلىٰ السنّة»[٢].

[١٧٤] ٥. الكافي: عن السجاد عليه السلام: «إنّ أفضل الأعمال عند الله ما عمل بالسنّة وإن قلّ»[٣].

◁ بيان
الوجه فيه أنّ الأعمال الجسمانية لا قدر لها عند الله إلّا بالنيّات القلبية كما ورد في الحديث المشهور: «إنّما الأعمال بالنيّات»[٤] ومن يعمل بالسنّة فإنما يعمل بها طاعةً لله وإنقياداً للرسول، فيكون عمله مشتملاً علىٰ نيّة التقرّب وهيئة التسليم والخضوع الناشئين من القلب، فلا محالة ثوابه كثير وأجره عظيم وإن قلّ عدده أو صغر مقداره، وإليه أُشير بقوله سبحانه: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوىٰ منكم﴾[٥].

[١٧٥] ٦. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «لا قول إلّا بعمل، ولا قول ولا عمل إلّا بنيّة، ولا قول ولا عمل ولا نيّة إلّا باصابة السنّة»[٦].

[١٧٦] ٧. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «ما من أحد إلّا وله شرّة وفترة، فمن كانت فترته إلىٰ سنّة فقد اهتدىٰ، ومن كانت فترته إلىٰ بدعة فقد غوىٰ»[٧].

---

١. الكافي ١: ٦٩ / ٤.
٢. الكافي ١: ٧٠ / ١١.
٣. الكافي ١: ٧٠ / ٧.
٤. التهذيب ١: ٨٣ / ٦٧.
٥. الحج (٢٢): ٣٧.
٦. الكافي ١: ٧٠ / ٩.
٧. الكافي ١: ٧٠ / ١٠.

◁ بيان

«الشِرّة» إمّا بالكسر وتشديد الراء والتاء بمعنى النشاط والرغبة، أو بالفتح والتخفيف والهاء بمعنى غلبة الحرص على الشيء. و «الفترة» في مقابلها، يعني أنّ كلّ واحد من أفراد الناس له قوّة ونشأة وحرص على تحصيل كماله اللائق به في وقت من أوقات عمره، كما يكون للأكثرين في أيام شبابهم، وله ضعف وفتور وتقاعد عن ذلك في وقت آخر، كما يكون للأكثرين في أوان شيخوختهم، فمن كان فتوره واطمئنانه وختام أمره في عبادته إلى سنّةٍ فقد اهتدى، ومن كان فتوره وختام أمره إلى بدعة فقد غوى.

[١٧٧] ٨. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «ألا إنّ لكل عبادة شرّة ثم يصير إلى فترة، فمن كانت شرّة عبادته إلى سنّتي فقد اهتدى، ومن خالف سنتي فقد ضلّ وكان عمله في تباب، أما إنّي أُصلّي وأنام وأصوم وأفطر وأضحك وأبكي، فمن رغب عن منهاجي وسنّتي فليس منّي». وقال: «كفى بالموت موعظةً، وكفى باليقين غنى، وكفى بالعبادة شغلاً»[1].

◁ بيان

المراد بهذا الحديث أنّ المهتدي من لا يتجاوز شرّة عبادته سنّة رسول الله ﷺ وإن كان ناشطاً لها، فلا يصلّي دائماً ولا يصوم دائماً ولا يبكي دائماً بل قد وقد، و «التّباب» الخسار.

[١٧٨] ٩. الكافي: عن أمير المؤمنين ؑ: «السنّة سنّتان: سنّة في فريضة الأخذ بها هدى وتركها ضلالة، وسنّة في غير فريضة الأخذ بها فضيلة وتركها إلى غير خطيئة»[2].

❖ ❖

باب

الترويح بالحكمة واغتنامها

[١٧٩] ١. الكافي: كان أمير المؤمنين ؑ يقول: «روّحوا أنفسكم ببديع الحكمة، فإنّها تكلّ كما

---

١. الكافي ٢: ٨٥ / ١.
٢. الكافي ١: ٧١ / ١٢.

تكلّ الأبدان»[١].

◁ **بيان**

كأنّ الخطاب منه إلىٰ تلامذته الذين كانوا لا يفرحون إلّا بذكر الله، ولا يتلذّذون إلّا بالعلم والحكمة دون سائر الناس الذين لذّاتهم مقصورة علىٰ الشهوات الحيوانية، فإنّ قلوب هؤلاء تشمئزّ من استماع بدائع الحكمة وطرائف العرفان.

[١٨٠] ٢. الكافي: عن الباقرؑ: «الحكمة ضالة المؤمن، فحيثما وجد أحدكم ضالّته فليأخذها»[٢].

◁ **بيان**

يعني لا يأنف أخذها عمّن هو دونه في العلم، فربّما يوجد عند الأدنىٰ ما لا يوجد عند الأعلىٰ، وفي التعبير عن الحكمة بالضالّة إشارة إلىٰ أنّها مركوزة في فطرة المؤمن، فإذا جهلها فكأنّها ضلّت عنه.

[١٨١] ٢. الفقيه: عن النبيّ ﷺ: «كلمتان غريبتان احتملوهما: كلمة حكمة من سفيه فاقبلوها، وكلمة سفه من حكيم[٣] فاغفروها»[٤].

[١٨٢] ٣. الكافي: قال أمير المؤمنينؑ في بعض خطبه: «أيها الناس، اعلموا أنّه ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه، ولا بحكيم من رضي بثناء الجاهل عليه، الناس أبناء ما يحسنون، وقدر كلّ امرء ما يحسن، فتكلّموا في العلم تبين أقداركم»[٥].

◁ **بيان**

«الانزعاج» الانقلاع من المكان وعدم الاستقرار فيه و«الزور» الكذب والباطل والتهمة «ما يحسنون» من الإحسان بمعنىٰ العلم، والوجه فيه أنّ العاقل يعلم أنّ الافتراء عليه لا ينقص من كماله شيئاً «والحكيم» يتيقّن أنّ الثناء عليه لا يزيده

---

١. الكافي ١: ٤٨ / ١.
٢. الكافي ٨: ١٦٧ ١٨٦.
٣. حليم (خ ل).
٤. الفقيه ٤: ٤٠٦ / ٥٨٧٩.
٥. الكافي ١: ٥٠ / ١٤.

كمالاً، وكلاهما يعلمان أنّ نقص الإنسان وكماله ليس إلّا بالجهل والعلم، وكل امرئ كأنه ولد علمه وقدره وشرفه وفضله وكماله بقدر علمه كما قال عليه السلام في أبيات تنسب إليه:

الناس من جهة التّمثال أكفاء ... أبوهم آدم والأُمّ حوّاء
لا فضل إلّا لأهل العلم إنّهم ... على الهدىٰ لمن استهدىٰ أدلّاء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء
فقم بعلم ولا تبغي له بدلاً ... فالناس موتىٰ وأهل العلم أحياء[1]

آخر كتاب العلم والفقه والحمد لله أولاً وآخراً

■

١. ديوان الامام امير المؤمنين (ع): ٢٤.

كتاب
التوحيد والتمجيد

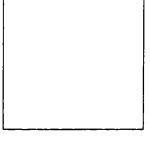

باب

حدوث العالَم وإثبات المُحدِث

[١٨٣] ١. الكافي: عن ابن أبي العوجاء قال: جلست إليه ـ يعني إلى الصادق عليه السلام ـ في المسجد الحرام، فلما لم يبق عنده غيري، ابتدأني فقال: «إن يكن الأمر علىٰ ما يقول هـؤلاء وهـو علىٰ ما يقولون ـ يعني أهل الطواف ـ فقد سلموا وعطبتم، وإن يكن الأمر علىٰ ما تقولون وليس كما تقولون فقد استويتم وهم».

فقلت له: يرحمك الله وأيّ شيء نقول؟ وأي شيء يقولون؟ ما قولي وقولهم إلّا واحداً؟ فقال: «وكيف يكون قولك وقولهم واحداً وهم يقولون أنّ لهم معاداً وثواباً وعقاباً، ويدينون بأنّ في السماء إلهاً وأنّها عمران، وأنتم تزعمون أنّ السّماء خراب ليس فيها أحد؟»

قال: فاغتنمتها منه فقلت له: ما منعه إن كان الأمر كما يقولون أن يظهر لخلقه ويدعوهم إلىٰ عبادته حتىٰ لا يختلف منهم اثنان، ولم احتجب عنهم وأرسل إليهم الرسل، ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلىٰ الإيمان به؟ فقال لي: «ويلك، وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك نشوءك ولم تكن، وكبرك بعد صغرك، وقوتك بعد ضعفك، وضعفك بعد قوتك، وسقمك بعد صحّتك، وصحّتك بعد سقمك، ورضاك بعد غضبك، وغضبك بعد رضاك، وحزنك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك، وحبّك بعد بغضك، وبغضك بعد حبّك، وعزمك بعد أنائك[1]، وأناءك بعد عزمك، وشهوتك بعد كراهيتك، وكراهيتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك، ورهبتك بعد رغبتك، ورجاءك بعد يأسك، ويأسك بعد رجائك، وخاطرك بما لم يكن في وهمك، وعزوب ما أنت معتقده عن ذهنك» **وما زال يعدّد عليّ قدرته التي هي في نفسي التي لا أدفعها، حتىٰ ظننت أنّه سيظهر فيما بيني وبينه**[2].

---

١. في بعض نسخ المصدر: أناتك، من التأنّي، و في بعضها: إبائك، بمعنى امتناع.
٢. الكافي ١: ٧٤/ ٢.

◁ **بيان**

«عطبتم» هلكتم «وأنّها عمران» بصنوف من الملائكة الموكّلين عليها «أراك قدرته في نفسك» بأحوالك المتقابلة وهيئتك المتضادّة التي ليست بقدرتك واختيارك، لا تملك لنفسك نفعاً ولا ضرّاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، بل تريد أن تعلم فتجهل، وتريد أن تذكر فتنسىٰ، وتريد أن تنسىٰ فتغفل، عن الشيء فلا تغفل فلا يملك قلبك قلبك، ولا نفسك نفسك، فتتغير عليك الأحوال من غير اختيار لك و «الاناء» بالنون الفتور والإبطاء.

[١٨٤] ٢. الكافي: عن الرضا عليه السلام قال لرجل من الزنادقة: «أيّها الرجل، أرأيت إن كان القول قولكم، وليس كما تقولون، ألسنا وإياكم شرعاً سواء لا يضرّنا ما صلّينا وصمنا وزكّينا وأقررنا؟» **فسكت الرجل، ثم قال عليه السلام:** «وإن كان القول قولنا وهو قولنا ألستم قد هلكتم ونجونا؟»

فقال: رحمك الله، أوجدني كيف هو، وأين هو؟ فقال: «ويلك إن الذي ذهبت إليه غلط، هو أيّن الأين بلا أين، وكيّف الكَيْفَ بلا كَيْفَ، فلا يعرف بكيفوفيّة ولا بأينونيّة، ولا يدرك بحاسّة، ولا يقاس بشيء».

فقال الرجل: فإذن إنّه لا شيء إذا لم يدرك بحاسّة من الحواس؟ فقال عليه السلام: «ويلك لما عجزت حواسّك عن إدراكه أنكرت ربوبيته، ونحن إذا عجزت حواسّنا عن إدراكه أيقنّا أنّه ربّنا بخلاف شيء من الأشياء».

قال الرجل: فأخبرني متىٰ كان؟ قال عليه السلام: «أخبرني متىٰ لم يكن، فأُخبرك متىٰ كان».

قال الرجل: فما الدليل عليه؟ قال عليه السلام: «إني لما نظرت إلىٰ جسدي ولم يمكنّي فيه زيادة ولا نقصان في العرض والطول ودفع المكاره عنه وجرّ المنفعة إليه، علمت أنّ لهذا البنيان بانياً، وأقررت به، مع ما أرىٰ من دوران الفلك بقدرته، وإنشاء السّحاب، وتصريف الرياح، ومجرىٰ الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من الآيات العجيبات المبيّنات، علمت أنّ لهذا مقدّراً ومُنْشِئاً»[1].

---

١. الكافي ١: ٧٨/ ٣.

◁ بيان

«أخبرني متىٰ لم يكن» وذلك لما تحقق في الحكمة الإلهية أنّه لا يكون لوجود شيء متىٰ إلّا إذا كان لعدمه متىٰ، وبالجملة لا يدخل الشيء في مقولة متىٰ بوجوده فقط، بل بوجوده وعدمه جميعاً، فإذا لم يصحّ أن يقال لشيء: متىٰ لم يكن وجوده، لم يصح أن يقال متىٰ كان وجوده.

[١٨٥] ٣. الكافي: عبدالله الديصاني، سأل هشام بن الحكم فقال له: ألك ربّ؟ فقال: بلىٰ، قال: أقادر هو؟ قال: نعم، قادر قاهر. قال: يقدر أن يدخل الدنيا كلّها البيضة، لا تكبر البيضة، ولا تصغر الدنيا؟ قال هشام: النَّظِرة، فقال له: قد أنظرتك حولاً، ثم خرج عنه.

فركب هشام إلىٰ أبي عبدالله عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له فقال له: يابن رسول الله أتاني عبدالله الديصاني بمسألة ليس المعوّل فيها إلّا علىٰ الله وعليك، فقال له أبو عبدالله عليه السلام: «عمّا ذا سألك؟» فقال: قال لي: كيت وكيت، فقال أبو عبدالله عليه السلام: «ياهشام كم حواسّك»؟ قال: خمس، قال: «أيها أصغر؟» قال: الناظر، قال: «وكم قدر الناظر؟» قال: مثل العدسة أو أقلّ منها؟ فقال له: «ياهشام، فانظر أمامك وفوقك وأخبرني بما ترىٰ؟» فقال: أرىٰ سماءً وأرضاً ودوراً وقصوراً وبراري وجبالاً وأنهاراً، فقال له أبو عبدالله عليه السلام: «إنّ الذي قدر أن يدخل الذي تراه العدسة أو أقلّ منها قادر أن يدخل الدنيا كلّها البيضة، لا تصغر الدنيا، ولا تكبر البيضة»، فأكبّ هشام عليه وقبّل يديه ورأسه ورجليه، وقال: حسبي يابن رسول الله.

وانصرف إلىٰ منزله، وغدا عليه الديصاني، فقال: ياهشام إني جئتك مسلّماً ولم أجئك متقاضياً للجواب، فقال له هشام: إن كنت جئت متقاضياً فهاك الجواب، فخرج الديصاني عنه حتىٰ أتىٰ باب أبي عبدالله عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له، فلمّا قعد قال له: ياجعفر بن محمّد، دلّني علىٰ معبودي، فقال له أبو عبدالله عليه السلام: «ما اسمك»، فخرج عنه ولم يخبره باسمه، فقال له أصحابه: كيف لم تخبر باسمك؟ قال: لو كنت قلت له عبدالله، كان يقول: من هذا الذي أنت له عبد، فقالوا له: عُد إليه، وقل له يدلّك علىٰ معبودك، ولا يسألك عن اسمك.

فرجع إليه وقال: ياجعفر ابن محمّد دلّني علىٰ معبودي ولا تسألني عن اسمي. فقال له أبو عبدالله عليه السلام: «اجلس» فإذا غلام له صغير في كفّه بيضة يلعب بها، فقال له أبو عبدالله عليه السلام: «ناولني

البيضة» فناوله إياها، فقال أبوعبدالله عليه السلام: «ياديصاني، هذا حصن مكنون، له جلد غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضّة ذائبة، فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضّة الذائبة، ولا الفضّة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة، فهي علىٰ حالها لم يخرج منها خارج مصلح، فيخبر عن صلاحها، ولا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها، لا يدرىٰ اللذّكر خلقت أم للأُنثىٰ، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس أترىٰ لها مدبّراً؟».

قال: فأطرق ملّياً، ثم قال: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّك إمام وحجّة من الله علىٰ خلقه، وأنا تائب ممّا كنت فيه[1].

◁ **بيان**

«النّظرة» المهلة «قادر أن يدخل الدنيا كلّها البيضة» هذه مجادلة بالتي هي أحسن، وجواب جدلي مسكت يناسب فهم السائل، وقد صدر مثله عن الرضا عليه السلام فيما رواه الصدوق في توحيده عنه عليه السلام[2].

والجواب البرهاني أن يقال: إنّ عدم تعلّق قدرته تعالىٰ علىٰ ذلك ليس من نقصان في قدرته تعالىٰ، ولا لقصور في عمومها وشمولها كلّ شيء، بل إنّما ذاك من نقصان المفروض فامتناعه الذاتي وبطلانه الصرف وعدم حظّه من الشيئية، كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام فيما رواه الصدوق أيضاً بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: «قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: هل يقدر ربّك أن يدخل الدنيا في بيضة من غير تصغير الدنيا أو تكبير البيضة؟ قال: إنّ الله تعالىٰ لا ينسب إلىٰ العجز، والذي سألتني لا يكون»[3].

وفي رواية أُخرىٰ: «ويلك، إنّ الله لا يوصف بالعجز، ومن أقدر ممّن يلطّف الأرض ويعظّم البيضة»[4].

ولنا أن نجعل الجواب الأول أيضاً برهانياً علىٰ قاعدة الانطباع بأن نقول: إنّ ذلك إنّما يتصوّر ويعقل بحسب الوجود الانطباعي الارتسامي، والله سبحانه قادر

---

١. الكافي ١: ٧٩/ ٤.
٢. راجع: التوحيد: ١/١٢٢.
٣. التوحيد: ٩/١٣٠.
٤. التوحيد: ١٠/١٣٠.

علىٰ ذلك حيث أدخل الذي تراه جليدية ناظرتك.

«مكنون» أي مكنون ما فيه، أو علىٰ سبيل الإضافة «والذّائب» خلاف الجامد. وهو أشد لطافة من المائع «لم يخرج منها خارج مصلح» يعني بعد ما دخل فيها «فيخبر عن فسادها» يعني بعد ما خرج منها، وإنّما اكتفىٰ ببعض الكلام عن بعض اعتماداً علىٰ القرينة، وإنما ذكر الخروج والإخبار بثنيها علىٰ أنّه كما لم يدخلها أحد منّا للإصلاح والإفساد، كذلك ليس لنا خبر بذلك «لا يدرىٰ أللذّكر خلقت» يعني كما أنّ صلاحها وفسادها غير معلوم لنا قبل أن تفرخ أو يبين فسادها، فكذلك كونها مخلوقة للذّكر أم الأُنثىٰ مجهول لنا حتىٰ يوجد أحدهما، وهذا كلّه دليل علىٰ أنّ ذلك ليس من فعل أمثالنا لعدم دخولنا فيها، وخروجنا منها، وإصلاحنا لها. وإفسادنا إياها، وجهلنا بما هي مستعدّة له من الصلاح والفساد، وبما هي صالحة له من الذكر والأُنثىٰ.

والحاصل أنّ أمثال هذه الأُمور إذا صدرت من أمثالنا فلابدّ فيها من مباشرة ومزاولة وعلم وخبر، ولا يجوز أيضاً أن تتأتّىٰ بأنفسها، وهو ظاهر، فلابدّ من فاعل حكيم وصانع مدبّر عليم.

«تنفلق» تنشقّ «عن مثل ألوان الطواويس» علىٰ تضمين معنىٰ الكشف، أي كاشفة عنها «أترىٰ لها مدّبراً» استفهام إنكاري، أي ألا ترىٰ لها مدّبراً من أمثالنا؟! فلابد لها من مدّبر غير مرئي لا يكون من أمثالنا، بل يكون داخلاً فيها حال خروجه عنها، مصلحاً لصالحها، ومفسداً لفاسدها، معيّناً لذكرها وأُنثاها علىٰ وفق مشيئته، ومقتضىٰ حكمته، تعالىٰ شأنه وتبارك سلطانه «فأطرق» سكت ناظراً إلىٰ الأرض «مليّاً» زماناً متّسعاً.

[١٨٦] ٤. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «كفىٰ لأُولي الألباب بخلق الربّ المسخّر، وملك الربّ القاهر، وجلال الربّ الظاهر، ونور الربّ الباهر، وبرهان الربّ الصادق، وما أنطق به ألسن العباد، وما أرسل به الرسل، وما أنزل علىٰ العباد دليلاً علىٰ الربّ»[١].

❖ ❖ ❖

١. الكافي ١: ٨٢/ ٦.

باب
أنّ الفطرة علىٰ التوحيد

[١٨٧] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾[١] قال: «فطرهم جميعاً علىٰ التوحيد»[٢].

[١٨٨] ٢. الكافي: عن الباقر عليه السلام في قول الله سبحانه: ﴿حنفاء لله غير مشركين به﴾[٣] قال: «الحنيفية من الفطرة التي فطر الله الناس عليها لا تبديل لخلق الله» قال: «فطرهم علىٰ المعرفة به».

وفي قول الله تعالىٰ: ﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم وأشهدهم علىٰ أنفسهم ألست بربكم قالوا بلىٰ﴾[٤] الآية، قال: «أخرج من ظهر آدم ذرّيته إلىٰ يوم القيامة فخرجوا كالذّر، فعرفهم وأراهم نفسه، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربّه».

وقال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كلّ مولود يولد علىٰ الفطرة ـ يعني علىٰ المعرفة بأنّ الله تعالىٰ خالقه ـ كذلك قوله: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله﴾[٥]»[٦].

◁ **بيان**

يأتي تأويل الآية الثانية إن شاء الله.

[١٨٩] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾[٧] قال: «الصبغة هي الاسلام»[٨].

◁ **بيان**

الدليل علىٰ أنّ الناس مفطورون علىٰ التوحيد مصبوغون بالإسلام أنّهم إذا أتاهم عذاب أو أُبتلوا ببليّة ما يدعون إلّا الله سبحانه، كما قال الله تعالىٰ: ﴿قل أرأيتكم إن

---

١. الروم (٣٠): ٣٠.
٢. الكافي ٢: ١٢ / ٣.
٣. الحج ٢٢: ٣١.
٤. الاعراف ٧: ١٧٢.
٥. لقمان ٣١: ٢٥، الزمر ٣٩: ٣٨.
٦. الكافي ٢: ١٣ / ٤.
٧. البقرة (٢): ١٣٨.
٨. الكافي ٢: ١٤ / ٢.

أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إيّاه تدعون»[1] فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون.

وفي (تفسير مولانا العسكري عليه السلام) أنّه سئل مولانا الصادق عليه السلام عن الله، فقال للسائل: «يا عبدالله، هل ركبت سفينة قطّ؟ قال بلىٰ: قال: فهل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟ قال: بلىٰ، قال: فهل تعلّق قلبك هناك أنّ شيئاً من الأشياء قادر علىٰ أن يخلّصك من ورطتك؟ قال: بلىٰ، قال الصادق عليه السلام: فذلك الشيء هو الله القادر علىٰ الإنجاء حين لا منجي، وعلىٰ الإغاثة حين لا مغيث»[2].

ولهذا جعلت الناس معذورين في تركهم اكتساب المعرفة بالله عزّوجلّ، متروكين علىٰ ما فطروا عليه، مرضيّاً عنهم بمجرّد الإقرار بالقول، ولم يكلّفوا الاستدلالات العلمية في ذلك، وإنّما التعمّق لزيادة البصيرة ولطائفة مخصوصة.

وأما الاستدلال فللردّ علىٰ أهل الضلال، والسرّ في خفائه سبحانه مع كمال ظهوره أنّ الأشياء إنّما تستبان بأضدادها، وما عمّ وجوده حتىٰ لا ضدّ له عسر إدراكه، مثاله نور الشمس المشرق علىٰ الأرض، فإنّا نعلم أنّه عرض من الأعراض محدث في الأرض ويزول عند غيبة الشمس، فلو كانت الشمس دائمة الإشراق لا غروب لها، لكنّا نظنّ أن لا هيئة في الأجسام إلّا ألوانها وهي السواد والبياض وغيرهما، فإنّا لا نشاهد في الأسود إلّا السواد، وفي الأبيض إلّا البياض، فأمّا الضوء فلا ندركه وحده، لكن لمّا غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركت تفرقة بين الحالتين، فعلمنا أنّ الأجسام كانت قد استضاءت بضوء، واتصّفت بصفة فارقتها عند الغروب، فعرفنا وجود النور بعدمه، وما كنّا نطّلع عليه لولا عدمه إلّا بعسر شديد، وذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام و النور، هذا مع أنّ النور أظهر المحسوسات، إذ به يدرك سائر المحسوسات، فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره، أنظر كيف تصوّر استبهام أمره بسبب ظهوره، لولا طريان ضدّه.

فإذن الربّ تعالىٰ هو أظهر الأُمور، وبه ظهرت الأشياء كلّها، ولو كان له عدم أو غيبة أو تغيّر لانهدّت السموات والأرض، وبطل الملك والملكوت، ولأدركت التفرقة بين الحالتين، ولو كان بعض الأشياء موجوداً به وبعضها موجوداً بغيره لأدركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة، ولكن دلالته عامّة في الأشياء علىٰ

---

١. الأنعام ٦: ٤٠ ـ ٤١.

٢. البحار ٣: ١٦/٤١ عن تفسير العسكري.

نسق واحد ووجوده دائم في الأحوال يستحيل خلافه، فلا جرم أورث شدّة الظهور خفاء.

قال سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام في دعاء عرفة: «كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتىٰ يكون هو المظهر لك، متىٰ غبت حتىٰ تحتاج إلىٰ دليل يدلّ عليك، ومتىٰ بعدت حتىٰ تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبّك نصيباً»[1].

وقال أيضاً: «تعرّفت لكلّ شيء، فما جهلك شيء».

وقال: «تعرّفت إلي في كلّ شيء، فرأيتك ظاهراً في كلّ شيء، فأنت الظاهر لكلّ شيء»[2].

❖ ❖ ❖

باب

أنّه واحد وإطلاق القول بأنه شيء

[١٩٠] ١. الكافي: هشام بن الحكم، في حديث الزنديق الذي أتىٰ أباعبدالله عليه السلام، وكان من قول أبي عبدالله عليه السلام: «لا يخلو قولك: إنّهما اثنان، من أن يكونا قديمين قويّين، أو يكونا ضعيفين، أو يكون أحدهما قويّاً والآخر ضعيفاً، فإن كانا قويّين فلم لا يدفع كلّ واحد منهما صاحبه ويتفرّد بالتدبير، وإن زعمت أنّ أحدهما قوي والآخر ضعيف يثبت أنّه واحد كما نقول للعجز الظاهر في الثاني، فإن قلت: إنّهما اثنان، لم يخلُ من أن يكونا متّفقين من كلّ وجه، أو مفترقين من كلّ جهة، فلمّا رأينا الخلق منتظماً والفلك جارياً والتدبير واحداً والليل والنهار والشمس والقمر، دلّ صحة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر علىٰ أنّ المدبّر واحد، ثم يلزمك إن ادّعيت اثنين فرجة ما بينهما حتىٰ يكونا اثنين، فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما، فيلزمك ثلاثة، فإن ادّعيت ثلاثة لزمك ما قلت في الاثنين حتىٰ تكون بينهم فرجة، فيكونوا خمسة، ثم يتناهىٰ في

---

١. بحارالأنوار: ١٤٢/٦٤.
٢. المصدر نفسه.

العدد إلىٰ ما لا نهاية له في الكثرة».

قال هشام: فكان من سؤال الزنديق أن قال: فما الدليل عليه؟ فقال أبوعبدالله عليه السلام: «وجود الأفاعيل دلّت علىٰ أنّ صانعاً صنعها، ألا ترىٰ أنّك إذا نظرت إلىٰ بناء مشيّد مبنيّ علمت أن له بانياً، وإن كنت لم تر الباني ولم تشاهده؟».

قال: فما هو؟ قال: «شيء بخلاف الأشياء، أرجع بقولي إلىٰ إثبات معنىٰ وأنّه شيء بحقيقة الشيئيّة غير أنّه لا جسم ولاصورة، ولا يحسّ ولا يدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الأوهام، ولا تنقصه الدهور، ولا تغيّره الأزمان».

فقال له السائل: فتقول: إنّه سميعٌ بصيرٌ؟ قال: «هو سميعٌ بصير، سميعٌ بغير جارحة، وبصيرٌ بغير آلة، بل يسمع بنفسه، ويبصر بنفسه، ليس قولي إنّه سميعٌ يسمع بنفسه ويبصر بنفسه إنّه شيء والنفس شيء آخر، ولكن أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولاً، وإفهاماً لك إذ كنت سائلاً، فأقول: إنّه سميع بكلّه، لا أنّ الكلّ منه له بعض. ولكنّي أردت إفهامك، والتعبير عن نفسي، وليس مرجعي في ذلك إلّا إلىٰ أنّه السميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذات ولا اختلاف المعنىٰ».

قال له السائل: فما هو؟ قال أبو عبدالله عليه السلام: «هو الربّ، وهو المعبود، وهو الله، وليس قولي: الله إثبات هذه الحروف ألف ولام وهاء، ولا راء ولا باء، ولكن ارجع إلىٰ معنىٰ وشيء خالق الأشياء وصانعها وقعت عليه هذه الحروف، وهو المعنىٰ سمّي به الله والرحمن والرحيم والعزيز وأشباه ذلك من أسمائه، وهو المعبود جلّ وعزّ».

قال له السائل: فإنّا لم نجد موهوماً إلّا مخلوقاً؟ قال أبو عبدالله عليه السلام: «لو كان ذلك كما تقول، لكان التوحيد عنّا مرتفعاً، لأنّا لم نكلّف أن نعتقد غير موهوم، ولكنّا نقول كلّ موهوم بالحواس مدرك به، تحدّه الحواس وتمثّله، فهو مخلوق ولابدّ من إثبات صانع للأشياء خارج من الجهتين المذمومتين، إحداهما النّفي هو الإبطال والعدم، والجهة الثانية التشبيه إذ كان التشبيه هو صفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف، فلم يكن بدّ من إثبات الصانع لوجود المصنوعين، والاضطرار منهم إليه [أثبت][1] أنّهم مصنوعون، وأن صانعهم غيرهم وليس مثلهم، إذ كان مثلهم شبيهاً بهم في ظاهر التركيب

---

١. أثبتناه من التوحيد / للصدوق: ٢٤٦ / ١.

والتأليف، وفيما يجري عليهم من حدوثهم بعد إذ لم يكونوا، وينقلهم من صغر إلىٰ كبر، وسواد إلىٰ بياض، وقوة إلىٰ ضعف، وأحوال موجودة لا حاجة بنا إلىٰ تفسيرها لبيانها ووجودها».

فقال السائل: فقد حدّدته إذ أثبتّ وجوده، وقال أبو عبدالله عليه السلام: «لم أحدّه، ولكن أثبتّه إذ لم يكن بين النفي والإثبات منزلة».

قال له السائل: فله إنيّة ومائيّة؟ قال: «نعم، لا يثبت الشيء إلّا بإنيّة ومائيّة».

قال له السائل: فله كيفية؟ قال: «لا، لأن الكيفية جهة الصفة و الإحاطة، ولكن لابدّ من الخروج عن جهة التعطيل والتشبيه، لأن من نفاه. فقد أنكره ودفع ربوبيته وأبطله، ومن شبّهه بغيره فقد أثبته بصفة المخلوقين المصنوعين الذين لا يستحقّون الربوبية، ولكن لابدّ من إثبات أنّ له كيفية لا يستحقّها غيره، ولا يشارك فيها ولا يحاط بها ولا يعلمها غيره».

قال السائل: فيعاني الأشياء بنفسه؟ قال أبو عبدالله عليه السلام: «هو أجلّ من أن يعاني الأشياء بمباشرة ومعالجة، لأنّ ذلك صفة المخلوق الذي لا تجيء الأشياء له إلّا بالمباشرة والمعالجة، وهو متعالٍ نافذ الإرادة والمشيئة فعّال لما يشاء»[1].

◁ **بيان**

قوله: «لا يخلو قولك» إلىٰ قوله: «فإن قلت» برهان مبني علىٰ ثلاث مقدمات مبنية في الحكمة مضمّنة في كلامه عليه السلام:

إحداها: أنّ صانع العالم لابدّ أن يكون قويّاً مستقلاً بالإيجاد والتدبير لكلّ واحد والجميع.

والثانية: عدم جواز استناد حادث شخصي إلىٰ موجدين مستقلّين بالإيجاد.

والثالثة: استحالة ترجّح أحد الأمرين المتساويين علىٰ الآخر من غير مرجّح.

وقد وقعت الإشارة إلىٰ الثلاث بقوله عليه السلام: «**فلم لا يدفع كلّ واحد منهما صاحبه**»؟ ثم دفع كلّ واحد منهما صاحبه مع أنّه محال في نفسه مستلزم للمطلوب.

وقوله عليه السلام: «لم يخلُ» برهان آخر مبني علىٰ ثلاث مقدّمات حدسيّة:

---

١. الكافي ١: ٨٣ / ٥.

□ إحداها: أنّ كلّ متفقَين من كلّ وجه بحيث لا تمايز بينهما أصلاً لا يكونان اثنين، بل هما واحد البتة، كما قيل: صرف الوجود الذي لا أتمّ منه كلّما فرضته ثانياً، فإذا نظرت فهو هو.

□ والثانية: أنّ كلّ مفترقَين من كلّ جهة لا يكون صنع أحدهما مرتبطاً بصنع الآخر ولا تدبيره مؤتلفاً بتدبيره بحيث يوجد عنهما أمر واحد شخصي.

□ والثالثة: أنّ العالم أجزاءه مرتبط بعضها ببعض، كأنّ الكلّ شخص واحد.

وقوله ﷺ: «ثم يلزمك» إمّا برهان ثالث مستقلّ على حياله، وإمّا تنوير للثاني وتشييد له على سبيل الاستظهار بأن يكون إشارة إلى إبطال قسم ثالث، وهو أن يكونا متّفقين من وجه ومفترقين من وجه آخر، فيقال: لو كانا كذلك يكون لا محالة ما به الامتياز بينهما غير ما به الاشتراك فيهما، فيكونوا ثلاثة.

«فنقول إنّه سميع بصير؟» لعلّ السائل توهّم أنّ تنزيهه ﷺ للباري سبحانه عن مشاركة غيره ينافي كونه سميعاً بصيراً، فأزاح ﷺ ذلك الوهم بأنّ غيره سميع بجارحة بصير بآلة وهو سبحانه يسمع ويبصر لا بجارحة ولا بآلة، ولا بصفة زائدة على ذاته، وذلك لأنّ معنى السماع والإبصار ليس إلّا حضور المسموع عند السامع، وانكشاف المبصَر عند البصير، وليس من شرطهما أن يكونا بآلة أو جارحة، فذاته تعالى سميع، إذ ينكشف عنده المسموعات، وسمع إذ يقع به ذلك الانكشاف، وبصير إذ ينكشف عليه المبصرات، وبصر إذ يقع به ذلك الانكشاف، وهذه الاعتبارات لا توجب له كثرة، إذ مرجع الجميع إلى الذات الأحدية المنفصلة عمّا سواه بنفسه.

«عبارة عن نفسي» أي عبارة عمّا في نفسي بما يناسب ذاتي إذ كنت مسؤولاً، وإفهامك الأمر بما يناسب ذاتك إذ كنت سائلاً، والمرجع إلى نفي اختلاف الذات ونفي اختلاف الحيثيات وسلب المعاني المتغايرة، وفي ذلك قيل: وجود كلّه، وجوب كلّه، علم كلّه، قدرة كلّه، حياة كلّه، إرادة كلّه، لا أنّ شيئاً منه علم وشيئاً آخر قدرة ليلزم التركيب في ذاته، ولا أنّ شيئاً فيه علم وشيئاً آخر فيه قدرة ليلزم التكثّر في صفاته، وتمام تحقيق هذا الكلام يأتي في باب الصفات إن شاء الله، ومعاناة الشيء: ملابسته ومعاشرته، وأصله المقاساة.

[١٩١] ٢. الكافي: سئل الجواد ﷺ: أيجوز أن يقال لله: إنّه شيء؟ قال: «نعم، تخرجه من الحدّين:

حدّ التعطيل، وحدّ التشبيه»[١].

◁ **بيان**

لمّا دلّ السؤال على أنّ السائل نفى التشبيه عن الله جلّ جلاله، أجاب عليه السلام بقوله: «تخرجه من الحدّين» وإلّا فإطلاق الشيء عليه إخراج له من حدّ التعطيل فقط، فينبغي أن يقال: شيء لا كالأشياء.

[١٩٢] ٣. الكافي: عنه عليه السلام سئل عن التوحيد فقيل: أتوهّم شيئاً؟ فقال: «نعم، غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه، لا يشبهه شيء ولا تدركه الأوهام، كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يعقل، وخلاف ما يتصوّر في الأوهام؟! إنّما يتوهّم شيء غير معقول ولا محدود»[٢].

◁ **بيان**

«نعم غير معقول ولا محدود» أي يصدق عليه مفهوم شيء وإن لم يكن شيئاً معقولاً لغيره ولا محدوداً بحدود، لا يشبهه شيء ممّا في المدارك والأوهام، وذلك للفرق بين مفهوم الأمر وما صدق عليه، فهو ليس بمفهوم الشيء، ولا شيئاً من الأشياء، وإن صدق عليه أنّه شيء.

[١٩٣] ٤. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ الله خلوٌ من خلقه، وخلقه خلوٌ منه، وكلّ ما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله فهو مخلوق، والله خالق كل شيء، تبارك الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»[٣].

◁ **بيان**

«الخِلو» بالكسر: الخالي والسّر في خلو كل منهما عن الآخر، أنّ الله سبحانه وجود بحت خالص لا ماهية له سوى الانّية، والخلق هيّآت صرفه لا إنّية لها من حيث هي، وإنّما وجدت به سبحانه وبإنّيته فافترقا.

❖ ❖ ❖

---

١. الكافي ١: ٨٢/ ٢.
٢. الكافي ١: ٨٢/ ١.
٣. الكافي ١: ٨٢/ ٣ و ٤ و ٥.

باب
أنّه لا يعرف إلّا به

[١٩٤] ١. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «اعرفوا الله بالله، والرسول بالرسالة، وأُولي الأمر بالمعروف والعدل والاحسان»[١].

بيان

أُريد بمعرفة الله معرفته بنعته لا إثبات ذاته الذي هو فطري، فنقول في بيان الحديث: كما أنّ لكلّ شيء ماهيّة هو بها هو، وهي وجهه الذي إلىٰ ذاته، كذلك لكلّ شيء حقيقة محيطة به، بها قوام ذاته، وبها ظهور آثاره وصفاته، وبها حوله عمّا يرديه ويضرّه، وقوّته علىٰ ما ينفعه ويسرّه، وهي وجهه الذي إلىٰ الله سبحانه، وإليهما أشير بقوله عزّوجل: ﴿**انّه بكل شيء محيط**﴾[٢]، وبقوله سبحانه: ﴿**وهو معكم أين ما كنتم**﴾[٣]، وبقوله تعالىٰ: ﴿**و نحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾[٤]، وبقوله عزّ اسمه: ﴿**ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون**﴾[٥]، وبقوله: ﴿**كلّ شيء هالك إلّا وجهه**﴾[٦]، فإنّ تلك الحقيقة هي التي تبقىٰ بعد فناء الأشياء.

فقوله عليه السلام: «اعرفوا الله بالله» معناه: أنظروا في الأشياء إلىٰ وجوهها التي إلىٰ الله سبحانه بعد ما أثبتّم أنّ لها ربّاً صانعاً، فاطلبوا معرفته بآثاره فيها من حيث تدبيره لها، وقيّوميّته إيّاها وتسخيره لها وإحاطته بها، وقهره عليها حتىٰ تعرفوا الله بهذه الصفات القائمة به، ولا تنظروا إلىٰ وجوهها التي إلى أنفسها،أعني من حيث أنّها أشياء لها ماهيّات لا يمكن أن توجد بذواتها بل مفتقرةإلىٰ موجد يوجدها، فإنّكم إذا نظرتم إليها من هذه الجهة تكونوا قد عرفتم الله بالأشياء، فلن تعرفوه إذن حقّ المعرفة، فإنّ معرفة مجرّد كون الشيء مفتقرإليه في وجود الأشياء ليست بمعرفة في الحقيقة، علىٰ أنّ ذلك غير محتاج

---

١. الكافي ١: ٨٥ / ١.
٢. فصلت (٤١): ٥٤.
٣. الحديد (٥٧): ٤.
٤. ق (٥٠): ١٦.
٥. الواقعة (٥٦): ٨٥.
٦. القصص (٢٨): ٨٨.

إليه لما عرفت أنّها فطرية بخلاف النظر الأول، فإنّكم تنظرون في الأشياء أولاً إلىٰ الله عزّ وجلّ وآثاره من حيث هي آثاره، ثم إلىٰ الأشياء وافتقارها في أنفسها، فإنّا إذا عزمنا علىٰ أمر مثلاً، وسعينا في إمضائه غاية السعي، فلم يكن علمنا أنّ في الوجود شيئاً غير مرئيّ الذات يمنعنا عن ذلك ويحول بيننا وبين ذلك، وعلمنا أنّه غالب علىٰ أمره وأنّه مسخّر للأشياء علىٰ حسب مشيئته، ومدبّر لها بحسب إرادته، وأنّه منزّه عن صفات أمثالنا، وهذه صفات بها يعرف صاحبها حقّ المعرفة.

فإذا عرفنا الله جلّ وعزّ بهذا النظر، فقد عرفنا الله بالله، وإلىٰ مثل هذه المعرفة أُشير في غير موضع من القرآن المجيد بالآيات حيث قيل: **﴿إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأُولي الألباب﴾**[1] وأمثال ذلك من نظائره.

وعلىٰ هذا القياس معرفة الرسول بالرسالة، فإنّا بعد ما أثبتنا وجوب رسول من الله تعالىٰ إلىٰ عباده، وحاولنا أن نعرفه ونعيّنه من بين سائر الناس، فسبيله أن ننظر إلىٰ من يدّعي ذلك، هل يبلّغ الرسالة كما ينبغي أن يبلّغ، وينهج الدلالة كما ينبغي أن ينهج، فإذا نظرنا إليه من هذه الجهة فقد عرفناه بالرسالة.

وكذا القول في الإمام، فإنّ الكلّ علىٰ وتيرة واحدة، وممّا يؤيّد ما قلناه، ما أورده الصدوق ﷺ في توحيده في هذا الباب بإسناده عن الباقر ﷺ عن أبيه عن جدّه ﷺ أنّه قال: «إنّ رجلاً قام إلىٰ أمير المؤمنين ﷺ فقال: **يا أمير المؤمنين، بماذا عرفت ربّك؟** قال: **بفسخ العزم ونقض الهمّ، لمّا هممت فحيل بيني وبين همّي، وعزمت فخالف القضاء والقدر عزمي، علمت أنّ المدبّر غيري**»[2].

[١٩٥] ٢. الكافي: سئل أمير المؤمنين ﷺ، بم عرفت ربّك؟ قال: «بما عرّفني نفسه».

قيل: وكيف عرّفك نفسه؟ قال: «لا يشبهه صورة ولا يحسّ بالحواسّ، ولا يقاس بالناس، قريب في بعده، بعيد في قربه، فوق كلّ شيء، ولا يقال شيء فوقه، أمام كلّ شيء، ولا يقال له أمام، داخل في الأشياء لا كشيء داخل في شيء، وخارج من الأشياء لا كشيء خارج من شيء، سبحانه من هو هكذا ولا هكذا غيره، ولكلّ شيء مبتدأ»[3].

---

١. آل عمران (٣): ١٩٠.
٢. التوحيد: ٢٨٨ / ٦.
٣. الكافي ١: ٨٥ / ٢.

◁ **بيان**

يعني وهو مبتدأ كل شيء، فكلّما ننظر إلىٰ شيء فإنما يقع الابتداء به وبأثره من حيث هو أثره، كما نبّهنا عليه.

❖ ❖ ❖

باب
حدّ المعرفة

[١٩٦] ١. الكافي: سئل أبو الحسن عليه السلام عن أدنىٰ المعرفة، فقال: «الإقرار بأنّه لا إله غيره، ولا شبه له ولا نظير، وأنّه قديم مثبت موجود غير فقيد، وأنّه ليس كمثله شيء»[١].

[١٩٧] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «جاء حبر من الأحبار إلىٰ أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين، متىٰ كان ربّك؟ فقال له: ثكلتك أُمّك، ومتىٰ لم يكن حتىٰ يقال متىٰ كان، كان ربّي قبل القبل بلا قبل، وبعد البعد بلا بعد، ولا غاية ولا منتهىٰ لغايته، انقطت الغايات عنده، فهو منتهىٰ كلّ غاية. فقال: يا أميرالمؤمنين، فنبيّ أنت؟ قال: ويلك، إنّما أنا عبد من عبيد محمّد صلى الله عليه وآله»[٢].

وروي: أنّه سئل عليه السلام: أين كان ربّنا قبل أن يخلق سماءً وأرضاً؟ فقال عليه السلام: «أين سؤال عن مكان، وكان الله ولا مكان»[٣].

[١٩٨] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ يهودياً يقال له: سبخت، جاء إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يارسول الله، جئت أسألك عن ربّك، فإن أنت أجبتني عمّا أسألك عنه وإلّا رجعت، قال: سل عمّا شئت، قال: أين ربّك؟ قال: في كلّ مكان، وليس في شيء من المكان المحدود قال: وكيف هو؟ قال: وكيف أصف ربي بالكيف والكيف مخلوق، والله لايوصف بخلقه، قال: فمن أين يعلم أنّك نبيّ؟ قال: فما بقي حوله حجر ولا غير ذلك، إلّا تكلّم بلسان عربي مبين: ياسبخت، إنّه رسول الله، فقال سبخت: ما رأيت كاليوم أمراً

---

١. الكافي ١: ٨٦ / ١.
٢. الكافي ١: ٨٩ / ٥.
٣. الكافي ١: ٩٠ / ذيل ٥.

أبين من هذا، ثم قال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله»[١].

[١٩٩] ٤. الكافي: عنه ﷺ: «إنّ الله عظيم رفيع لا يقدر العباد على صفته، ولا يبلغون كنه عظمته، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير، ولا يوصف بكيف ولا أين وحيث، وكيف أصفه بالكيف، وهو الذي كيّف الكيف حتى صار كيفاً؟! فعرفت الكيف بما كيّف لنا من الكيف، أم كيف أصفه بأين، وهو الذي أيّن الأين حتى صار أيناً؟! فعرفت الأين بما أيّن لنا من الأين، أم كيف أصفه بحيث وهو الذي حيّث الحيث حتى صار حيثاً؟! فعرفت الحيث بما حيّث لنا من الحيث، فالله تعالى داخل في كلّ مكان، وخارج من كلّ شيء، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، لا إله إلّا هو العليّ العظيم، وهو اللطيف الخبير»[٢].

[٢٠٠] ٥. الكافي: عن الباقر ﷺ: «تكلّموا في خلق الله ولا تتكلّموا في الله، فإنّ الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلّا تحيّراً»[٣].

[٢٠١] ٦. الكافي: عن الصادق ﷺ: «إنّ الله يقول: ﴿وأنّ إلى ربك المنتهى﴾[٤] فإذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا»[٥].

[٢٠٢] ٧. الكافي: عنه ﷺ: «إنّ اليهود سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: انسب لنا ربّك، فلبث ثلاثاً لا يجيبهم، ثم نزلت ﴿قل هو الله أحد﴾ إلى آخرها»[٦].

◁ **بيان**

قد كثر القول في تفسير الصمد، وجملتها ترجع إلى التمام وفوق التمام الذي لا يعوزه شيء، يستغني عن كلّ شيء في كلّ شيء، ويفتقر إليه كلّ شيء في كلّ شيء. وعن الباقر ﷺ: «لم يلد فيكون له ولد يرثه ملكه، ولم يولد فيكون له والد

---

١. الكافي ١: ٩٤/ ٩.
٢. الكافي ١: ١٠٣/ ١٢.
٣. الكافي ١: ٩٢/ ١.
٤. النجم (٥٣): ٤٢.
٥. الكافي ١: ٩٢/ ٢.
٦. الكافي ١: ٩١/ ١، والآية من سورة الإخلاص (١١٢): ١.

يشركه في ربوبيته وملكه، ولم يكن له كفواً أحد فيعازّه في سلطانه»[١].

[٢٠٣] ٨. الكافي: سئل السجاد عليه السلام عن التوحيد، فقال: «إنّ الله تعالىٰ علم أنّه يكون في آخر الزمان أقوام متعمّقون، فأنزل الله ﴿قل هو الله أحد﴾ والآيات من سورة الحديد إلىٰ قوله: ﴿عليم بذات الصدور﴾[٢]، فمن رام وراء ذلك فقد هلك»[٣].

[٢٠٤] ٩. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إيّاكم والتفكّر في الله، ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلىٰ عظيم خلقه»[٤].

[٢٠٥] ١٠. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من نظر في الله كيف هو هلك»[٥].

[٢٠٦] ١١. الكافي: عنه عليه السلام: «يابن آدم، لو أكل قلبك طائر لم يشبعه، وبصرك لو وضع عليه خرق إبرة لغطّاه، تريد أن تعرف بهما ملكوت السموات والأرض؟! إن كنت صادقاً فهذه الشمس خلق من خلق الله، فإن قدرت أن تملأ عينيك منها فهو كما تقول»[٦].

◁ **بيان**

أريد «بالقلب» اللحم الصنوبري المعروف، ولهذا جعله مأكولاً، وظاهر أنّه لا يصح أن يعرف به ملكوت السموات والأرض، كما لا يصحّ أن يعرف بالبصر، لأنهما من عالم الملك، فكيف يعرف بهما الملكوت، فالخطاب خاصّ ممن لا يتجاوز درجة الحسّ المحسوس من أفراد بني آدم المشار إليهم بقوله سبحانه: ﴿**لهم قلوب لا يفقهون بها**﴾[٧].

فأمّا من جاوزها منهم، وبلغ إلىٰ درجة العقل والمعقول، وهم أصحاب القلوب الملكوتية المشار إليهم بقوله عزّ وجلّ: ﴿**إنّ في ذلك لذكرىٰ لمن كان له قلب**﴾[٨] فلهم أن يعرفوا بقلوبهم ملكوت السموات والأرض لأن قلوبهم من الملكوت، ولهذا حثّ

---

١. البحار ٣: ١٥/٢٢٥.
٢. الحديد (٥٧): ٦.
٣. الكافي ١: ٣/٩١.
٤. الكافي ١: ٧/٩٣.
٥. الكافي ١: ٥/٩٣.
٦. الكافي ١: ٨/٩٣.
٧. الأعراف (٧): ١٧٩.
٨. ق (٥٠): ٣٧.

الله تعالىٰ علىٰ النظر في الملكوت في غير موضع من كتابه. قال سبحانه: «أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسىٰ أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون»[١] وقال تعالىٰ: «وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين»[٢]، إلىٰ غير ذلك من الآيات. بلىٰ إنّ ذاته تعالىٰ لا يجوز أن يكتنه بالقلب، كما لا يجوز أن يدرك بالبصر، بل إنّما يجوز أن يُطّلع بالقلب علىٰ شيء من عظمته فحسب.

❖ ❖ ❖

باب
إبطال الرؤية

[٢٠٧] ١. الكافي: عن الرضاﷺ قال له أبوقرة المحدث: إنّا روّينا أنّ الله قسّم الرؤية والكلام بين نبيّين فقسّم الكلام لموسىٰ ولمحمّد الرؤية، فقالﷺ: «فمن المبلّغ عن الله إلىٰ الثقلين من الجنّ والإنس «لا تدركه الأبصار»[٣] و «لا يحيطون به علماً»[٤] و «ليس كمثله شيء»[٥] أليس محمد؟» قال: بلىٰ. قال: «كيف يجيء رجل إلىٰ الخلق جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عند الله وانّه يدعوهم إلىٰ الله بأمر الله، فيقول: «لا تدركه الأبصار» و «لا يحيطون به علماً» و «ليس كمثله شيء» ثم يقول: أنا رأيته بعيني، وأحطت به علماً، وهو علىٰ صورة البشر، أما تستحون؟! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي من عند الله بشيء، ثم يأتي بخلافه من وجه آخر».

قال أبوقرّة: فإنّه يقول: «ولقد رآه نزلة اُخرىٰ»[٦] فقالﷺ: «إنّ بعد هذه الآية ما يدلّ علىٰ ما رأىٰ، حيث قال: «ما كذب الفؤاد ما رأىٰ»[٧] يقول: ما كذب فؤاد محمّد ما رأت عيناه، ثم

---

١. الأعراف (٧): ١٨٥.
٢. الأنعام (٦): ٧٥.
٣. الأنعام (٦): ١٠٣.
٤. النمل (٢٧): ٨٤.
٥. الشورى (٤٢): ١١.
٦. النجم (٥٣): ١٣.
٧. النجم (٥٣): ١١.

أخبر بما رأىٰ، فقال: «لقد رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ»[١] فآيات الله غير الله، وقد قال الله «ولا يحيطون به علماً»[٢] فإذا رأته الأبصار فقد أحاطت به العلم ووقعت المعرفة».

فقال أبو قرة: فتكذّب بالروايات؟ فقال عليه السلام: «إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذّبتها، وما أجمع المسلمون عليه أنّه لا يحاط به علماً، ولا تدركه الأبصار، وليس كمثله شيء»[٣].

وفي رواية أُخرىٰ: «إنّ الله أرىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله من نور عظمته ما أحبّ»[٤].

[٢٠٨] ٢. الكافي: عن الهادي عليه السلام سئل عن الرؤية وما اختلف فيه الناس، فكتب: «لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر، فإذا انقطع الهواء عن الرائي والمرئي لم تصحّ الرؤية، وكان في ذلك الاشتباه، لأن الرائي متىٰ ساوىٰ المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه، وكان ذلك التشبيه لأنّ الأسباب لابدّ من اتصالها بالمسبّبات»[٥].

◁ **بيان**

«وكان ذلك الاشتباه» يعني أنّه متىٰ كان كذلك كان الله مشتبهاً بخلقه، تعالىٰ عن ذلك علوّاً كبيراً.

[٢٠٩] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام في ما يروون من الرؤية، فقال: «الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي، والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب، والحجاب جزء من سبعين جزءً من نور الستر، فإن كانوا صادقين فليملأوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب»[٦].

[٢١٠] ٤. الكافي: عن الباقر عليه السلام إنّه دخل عليه رجل من الخوارج فقال له: يا أبا جعفر، أي شيء تعبد؟ قال: «الله تعالىٰ». **قال: رأيته؟ قال:** «بل لم تره العيون بمشاهدة الابصار، ولكن رأته

---

١. النجم (٥٣): ١٨.
٢. سورة طه (٢٠): ١١٠.
٣. الكافي ١: ٩٨ / ٨.
٤. الكافي ١: ٩٥ / ٨.
٥. الكافي ١: ٩٧ / ٤.
٦. الكافي ١: ٩٨ / ٧.

القلوب بحقائق الايمان، لا يعرف بالقياس، ولا يدرك بالحواس، ولا يشبّه بالناس، موصوف بالآيات، معروف بالعلامات، لا يجور في حكمه، ذلك الله لا إله إلّا هو».

قال: فخرج الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته[١].

◁ **بيان**

«الإبصار» بالكسر في مقابلة الإيمان و «حقائق الإيمان» أركانه من التصديق بالله وبوحدانيّته، واعتبارات أسمائه وصفاته تعالىٰ، ولرؤية الله تعالىٰ بالقلوب مراتب بحسب درجات الإيمان قوةً وضعفاً.

[٢١١] ٥. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «جاء حبر إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين، هل رأيت ربّك حين عبدته؟ قال: فقال: ويلك ما كنت أعبد ربّاً لم أره، قال: وكيف رأيته؟ قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان»[٢].

◁ **بيان**

روىٰ الصدوق رحمه الله في كتاب «التوحيد»: بإسناده عن أبي بصير، عن الصادق عليه السلام، قال: قلت له: أخبرني عن الله جلّ وعزّ هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: «نعم، وقد رأوه قبل يوم القيامة». فقلت: متىٰ؟ قال: «حين قال لهم: ﴿ألست بربكم قالوا بلىٰ﴾»[٣] ثم سكت ساعة، ثم قال: «وإنّ المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة، ألست تراه في وقتك هذا؟» قال أبو بصير: فقلت له: جعلت فداك، فأُحدّث بهذا عنك؟ فقال: «لا، فإنّك إذا حدّثت به فأنكره منكر جاهل بمعنىٰ ما تقوله، ثم قدّر أنّ ذلك تشبيه، كفر، وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالىٰ الله عمّا يصفه المشبّهون والملحدون»[٤].

[٢١٢] ٦. الكافي: عن الباقر عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾[٥] قال:

---

١. الكافي ١: ٩٧ / ٥.
٢. الكافي ١: ٩٧ / ٦.
٣. الأعراف (٧): ١٧٢.
٤. التوحيد: ١١٧ / ٢٠.
٥. الانعام (٦): ١٠٣.

«أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السّند والهند والبلدان التي لم تدخلها، ولا تدركها ببصرك، وأوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون؟!»[1].

❖ ❖ ❖

باب
نفي التشبيه

[٢١٣] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «سبحان من لا يعلم أحد كيف هو إلّا هو، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لا يحدّ ولا يحسّ ولا يجسّ، ولا تدركه الأبصار ولا الحواس، ولا يحيط به شيء ولا جسم ولا صورة ولا تخطيط ولا تحديد»[2].

[٢١٤] ٢. الكافي: عن الكاظم عليه السلام، ذكر عنده قوم يزعمون أن الله ينزل إلى سماء الدنيا، فقال: «إنّ الله لا ينزل ولا يحتاج إلىٰ أن ينزل، إنّما منظره في القرب والبعد سواء، لم يبعد منه قريب، ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتج إلىٰ شيء بل يحتاج إليه، وهو ذو الطَّول لا إله إلّا هو العزيز الحكيم، أمّا قول الواصفين: إنّه ينزل تبارك وتعالىٰ، فإنّما يقول ذلك من ينسبه إلىٰ نقص أو زيادة، وكلّ متحرك محتاج إلىٰ من يحرّكه أو يتحرّك به، فمن ظنّ بالله الظنون هلك، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له علىٰ حدّ تحدّونه بنقص، أو زيادة، أو تحريك، أو تحرّك، أو زوال، أو استنزال، أو نهوض، أو قعود، فإنّ الله جلّ وعزّ عن صفة الواصفين ونعت الناعتين وتوهّم المتوهّمين **﴿وتوكّل على العزيز الرحيم * الذي يراك حين تقوم * وتقلّبك في الساجدين﴾**»[3].

وفي رواية أُخرىٰ: «واعلم أنّه إذا كان في السماء الدنيا فهو كما هو علىٰ العرش، والأشياء كلّها له سواء علماً وقدرةً وملكاً وإحاطةً»[4].

---

١. الكافي ١: ٩٩/ ١١.
٢. الكافي ١: ١٠٤/ ١.
٣. الكافي ١: ١٢٥/ ١، والآية من سورة الشعراء (٢٦): ٢١٧ ـ ٢١٩.
٤. الكافي ١: ١٢٦/ ٤.

[٢١٥] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام قال له ابن أبي العوجاء في بعض ما كان يحاوره: ذكرت الله فأحلت على غائب، فقال عليه السلام: «ويلك كيف يكون غائباً من هو مع خلقه شاهد، وإليهم أقرب من حبل الوريد، يسمع كلامهم، ويرىٰ أشخاصهم، ويعلم أسرارهم؟»

فقال ابن أبي العوجاء: أهو في كل مكان؟ أليس إذا كان في السماء كيف يكون في الأرض، وإذا كان في الأرض كيف يكون في السماء؟ فقال عليه السلام: «إنما وصفت المخلوق الذي إذا انتقل من مكان اشتغل به مكان وخلا منه مكان، فلا يدري في المكان الذي صار إليه ما يحدث في المكان الذي كان فيه، فأمّا الله العظيم الشأن الملك الديّان، فلا يخلو منه مكان، ولا يشتغل به مكان، ولا يكون إلىٰ مكان أقرب منه إلىٰ مكان»[١].

❖ ❖ ❖

باب

النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه

[٢١٦] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله تعالىٰ، فانفِ عن الله تعالىٰ البطلان والتشبيه، فلا نفي ولا تشبيه، هو الله الثابت الموجود، تعالىٰ الله عمّا يصفه الواصفون، ولا تَعدِوا القرآن فتضلّوا بعد البيان»[٢].

وفي رواية أُخرىٰ: «لا تجاوز ما في القرآن»[٣].

[٢١٧] ٢. الكافي: عن الكاظم عليه السلام: «إنّ الله أعلىٰ وأجلّ وأعظم من أن يبلغ كنه صفته، فصفوه بما وصف به نفسه، وكفّوا عمّا سوىٰ ذلك»[٤].

[٢١٨] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إن الله لا يوصف، وكيف يوصف وقد قال الله في كتابه:

---

١. الكافي ١: ١٢٥ / ٣.
٢. الكافي ١: ١٠٠ / ١.
٣. الكافي ١: ١٠٢ / ٧.
٤. الكافي ١: ١٠٢ / ٦.

﴿وما قدروا الله حقّ قدره﴾[١]، فلا يوصف بقدر إلّا كان أعظم من ذلك»[٢].

[٢١٩] ٤. الكافي: عن السجاد عليه السلام: «لو اجتمع أهل السماء والأرض أن يصفوا الله بعظمته لم يقدروا»[٣].

◁ بيان

يعني أن يصفوه علىٰ ما هو عليه من العظمة.

❖ ❖ ❖

باب

تأويل ما يوهم التّشبيه

[٢٢٠] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿الرحمن علىٰ العرش إستوىٰ﴾[٤] قال: «استوىٰ علىٰ كلّ شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء»[٥].

وفي رواية «استوىٰ من كلّ شيء»[٦].

وفي أُخرىٰ: «لم يبعد منه بعيد، ولم يقرب منه قريب، استوىٰ في كلّ شيء»[٧].

◁ بيان

فسّر عليه السلام الاستواء باستواء النسبة، والعرش بمجموع الأشياء، إذ هو عبارة عن الجسم المحيط بجميع الأجسام مع كلّ ما فيها كما يأتي تفسيره، وضمّن الاستواء ما يتعدّىٰ بعلىٰ، كالاستيلاء والإشراف ونحوهما لموافقة الآية، فيصير المعنىٰ: استوىٰ نسبته إلىٰ كلّ شيء حال كونه مستولياً علىٰ الكلّ، ففي الآية دلالة علىٰ نفي المكان الخاصّ عنه سبحانه، خلاف ما يفهمه الجمهور منها، وفيها أيضاً إشارة

---

١. الأنعام(٦): ٩١، الزمر(٣٩): ٦٧.
٢. الكافي ١: ١٠٣ / ١١.
٣. الكافي ١: ١٠٢ / ٤.
٤. طه (٢٠): ٥.
٥. الكافي ١: ١٢٧ / ٦.
٦. الكافي ١: ١٢٨ / ٧.
٧. الكافي ١: ١٢٨ / ٨.

إلى معيّته القيوميّة واتّصاله المعنويّ بكلّ شيء على السواء على الوجه الذي لا ينافي أحديّته وقدس جلاله، وإفاضة الرحمة على الجميع على نسبة واحدة، وإحاطة علمه بالكلّ بنحو واحد، وقربه من كلّ شيء على نهج سواء.

وأتى بلفظة «من» في الحديث الثاني تحقيقاً لمعنى الاستواء في القرب والبعد وبلفظة «في» في الثالث تحقيقاً لمعنى ما يستوي فيه.

وأما اختلاف المقرّبين مع البعداء في القرب والبعد، فليس ذلك من قبله سبحانه، بل من جهة تفاوت نفوسهم في ذواتها، وإنّما نسب الاستواء إلى الرحمن، لأنه إنما استوى بالنسبة إلى الكلّ بالرحمة العامة الشاملة المدلول عليها بهذه اللفظة دون غيرها.

[٢٢١] ٢. الكافي: عنه عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾[١] كيف هذا النفخ؟ قال: «إنّ الروح متحرّك كالريح، وإنّما سمّي روحاً لأنّه اشتق اسمه من الريح، وإنما أخرجه على لفظة الرّيح لأنّ الأرواح مجانس للريح، وإنّما أضافه إلى نفسه لأنه اصطفاه على سائر الأرواح، كما قال لبيت من البيوت: بيتي، ولرسول من الرسل: خليلي، وأشباه ذلك، وكلّ ذلك مخلوق مصنوع محدث مربوب مُدَبَّر»[٢].

◁ **بيان**

«الروح» وإن لم يكن في أصل جوهره من هذا العالم إلّا أنّ له مظاهر ومجالي في الجسد، وأول مظهر له فيه بخار لطيف دخاني شبيه في لطافته واعتداله بالجرم السماوي، ويقال له الروح الحيواني، وهو مستوى الروح الأمري الرباني ومركبه ومطية قواه، فعبّر عليه السلام عن الروح بمظهره تقريباً له إلى الأفهام، لأنها قاصرة عن فهم حقيقته، كما أُشير إليه بقوله تعالى: ﴿**قل الروح من أمر ربي وما أُوتيتم من العلم إلّا قليلاً**﴾[٣] ولأن مظهره هذا هو المنفوخ حقيقة دون أصله.

[٢٢٢] ٣. الكافي: عنه عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلّا وجهه﴾[٤] قال: «**ما يقولون فيه**»؟ قيل: يقولون يهلك كلّ شيء إلّا وجه الله، فقال: «سبحان الله! لقد قالوا قولاً عظيماً، إنّما عنى

---

١. الحجر (١٥): ٢٩ و ص (٣٨): ٧٢.
٢. الكافي ١: ١٣٣ ح ٣.
٣. الاسراء (١٧): ٨٥.
٤. القصص (٢٨): ٨٨.

بذلك وجه الله الذي يُؤتىٰ منه»[١].

◁ **بيان**

إنما تعجّبﷺ من قولهم واستعظمه؛ لأنّ إطلاق الوجه بظاهره عليه تشبيه له سبحانه وتجسيم إياه، ويعني بوجه الله الذي يؤتىٰ منه الذي يهدي العباد إلىٰ الله وإلىٰ معرفته من نبيّ أو وصيّ أو عقل كامل بذلك وفّىٰ، فإنّه وجه الله الذي يؤتىٰ الله منه، وذلك لأنّ الوجه ما يواجه به، والله سبحانه إنّما يواجه عباده ويخاطبهم بواسطة نبيّ أو وصيّ أو عقل كامل.

وفي حديث آخر جعل الضمير في (وجهه) راجعاً إلىٰ الشيء،[٢] ووجه الشيء ما يقابل منه إلىٰ الله سبحانه وهو روحه وحقيقته وملكوته ومحلّ معرفة الله منه التي تبقىٰ بعد فناء جسمه وشخصه، والمعنيان متقاربان. وربّما يفسّر الوجه بالذات.

[٢٢٣] ٤. الكافي: عنهﷺ: «إنّ الله خلقنا فأحسن خلقنا، وصوّرنا فأحسن صورنا، وجعلنا عينه في عباده، ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة علىٰ عباده بالرأفة، والرحمة، ووجهه الذي يؤتىٰ منه، وبابه الذي يدلّ عليه، وخزّانه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار، وأينعت الثمار، وجرت الأنهار، وبنا ينزل غيث السماء، وينبت عشب الأرض، وبعبادتنا عُبد الله، ولولا نحن ما عبد الله»[٣].

[٢٢٤] ٥. الكافي: عنهﷺ **في قول الله تعالىٰ ﴿فلما أسفونا انتقمنا منهم﴾**[٤] قال: «إنّ الله لا يأسف كأسفنا، ولكنّه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون، وهم مخلوقون مربوبون، فجعل رضاهم رضا نفسه، وسخطهم سخط نفسه؛ لأنّه جعلهم الدعاة إليه والأدلّاء عليه، فلذلك صاروا كذلك، وليس أنّ ذلك يصل إلىٰ الله كما يصل إلىٰ خلقه، لكن هذا معنىٰ ما قال من ذلك، وقد قال: من أهان لي وليّاً فقد

---

١. الكافي ١: ١٤٣ / ١.
٢. راجع حديث: ٢٢٣.
٣. الكافي ١: ١٤٤ / ٥.
٤. الزخرف (٤٣): ٥٥.

بارزني بالمحاربة ودعاني إليها. وقال: **«ومن يطع الرسول فقد أطاع الله»**[١] **وقال: «إنّ الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم»**[٢]، فكلّ هذا وشبهه على ما ذكرت لك، وهكذا الرضاء والغضب وغيرهما من الأشياء ممّا يشاكل ذلك، ولو كان يصل إلى الله الأسف والضّجر، وهو الذي خلقهما و أشباههما[٣] لجاز لقائل هذا أن يقول: إنّ الخالق يبيد يوماً، لأنه إذا دخله الغضب والضجر دخله التغيير، وإذا دخله التغيير لم يؤمن عليه بالإبادة، ثم لم يعرف المكوِّن من المكوَّن، ولا القادر من المقدور عليه، ولا الخالق من المخلوق، تعالى الله عن هذا القول علوّاً كبيراً، بل هو الخالق للأشياء لا، فإذا كان لا لحاجة استحال الحدّ والكيف فيه، فافهم إن شاء الله تعالى»[٤].

[٢٢٥] ٦. الكافي: عن الباقر عليه السلام في قول الله تعالى: «وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»[٥] قال: «إنّ الله أعظم وأعزّ وأجلّ وأمنع من أن يظلم، ولكنّه خلطنا بنفسه، وجعل ظلمنا ظلمه، وولايتنا ولايته حيث يقول: **«إنما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا»**[٦] يعني الأئمة منّا»[٧].

[٢٢٦] ٧. الكافي: عنه عليه السلام في قول الله تعالى: «ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى»[٨] **ما ذلك الغضب؟** قال: «هو العقاب، إنّه من زعم أنّ الله قد زال من شيء إلى شيء فقد وصفه صفة مخلوق، إنّ الله لا يستفزّه شيء فيغيّره»[٩].

❖ ❖ ❖

---

١. النساء (٤): ٧٩.
٢. الفتح (٤٨): ١٠.
٣. في نسخة: و أشباهما.
٤. الكافي ١: ١٤٤ / ٦.
٥. البقرة (٢): ٥٧ ـ الأعراف (٧): ١٦٠.
٦. المائدة (٥): ٥٥.
٧. الكافي ١: ١٤٦ / ١١.
٨. طه (٢٠): ٨٤.
٩. الكافي ١: ١١٠ / ٥.

باب
الصفات

[٢٢٧] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «لم يزل الله تعالىٰ ربنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم، وقع العلم منه علىٰ المعلوم والسمع علىٰ المسموع، والبصر علىٰ المبصر، والقدرة علىٰ المقدور».

قيل: فلم يزل الله متحرّكاً؟ قال: «تعالىٰ الله إنّ الحركة صفة محدثة بالفعل».

قيل: فلم يزل الله متكلّماً؟ قال: «إنّ الكلام صفة محدثة ليست بأزليّة، كان الله عزّوجلّ ولا متكلّم»[1].

◁ بيان

اعلم أنّ من صفات الله ما هو ثابت له جلّ وعزّ في الأزل، وهو كمال في نفسه وعلى الإطلاق وضدّه نقص، ويسمّىٰ بصفة الذات، وهو علىٰ قسمين: قسم لا إضافة له إلىٰ غيره جلّ ذكره أصلاً، بل له وجه واحد كالحياة والبقاء، وقسم له إضافة إلى غيره، ولكن تتأخّر إضافته عنه كالعلم والسمع والبصر، فإنها عبارة عن انكشاف الأشياء له في الأزل كلّياتها وجزئياتها، كلٌّ في وقته وبحسب مرتبته، وعلىٰ ما هو عليه فيما لا يزال مع حصول الأوقات، والمراتب له سبحانه في الأزل مجتمعة، وإن لم يحصل بعد لأنفسها، وبقياس بعضها إلىٰ بعض متفرّقة، علىٰ ما يأتي تحقيقه إن شاء الله تعالىٰ.

وهذا الانكشاف حاصل له بذاته من ذاته قبل خلق الأشياء، بل هو عين ذاته، كما أشار إليه الإمام عليه السلام بقوله: «لم يزل الله تعالىٰ ربّنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر» وإن تأخّرت إضافتها إلىٰ الأشياء على حسب تأخّرها وتفرّقها في أنفسها، وبقياس بعضها إلىٰ بعض. كما أشار إليه بقوله عليه السلام: «فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه علىٰ المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر علىٰ المبصر» وكالقدرة، فإنّها عبارة عن كون ذاته في الأزل بحيث يصحّ عنها خلق الأشياء فيما لا يزال علىٰ وفق علمه بها. وهذاالمعنىٰ أيضاً

---

١. الكافي ١: ١٠٧ / ١.

ثابت له بذاته من ذاته قبل أن يخلق شيئاً، بل هو عين ذاته كما قال ﷺ: «والقدرة ذاته ولا مقدور» وإن تأخرت الإضافة عنه، كما قال ﷺ: «والقدرة على المقدور».

ومن الصفات ما يحدث بحدوث الخلق بحسب المصالح، وهو ما يكون كمالاً من وجه دون وجه، وقد يكون ضدّه كمالاً، ويسمى بصفة الفعل، وهو أيضاً على قسمين: قسم هو إضافة محضة خارجة عن ذاته سبحانه، ليس لها معنىً في ذاته زائد على العلم والقدرة والارادة والمشيئة كالخالقيّة والرازقيّة والتكلّم ونحوها. وقسم له معنىً سوى الإضافة، إلّا أنّه لا تنفكّ عنه الإضافة والمضاف إليه كالمشيئة والإرادة، فإنّهما في الله سبحانه لا يتخلّف عنهما المُشَاء والمراد بوجهٍ، بل «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»[1] وما شاء الله كان، فلا توجد الصفتان إلّا بوجود متعلّقيهما، إلّا أنّ الإرادة جزئيّة ومقارنة، والمشيئة كليّة ومتقدّمة، وهذا القسمان إنّما يكونان كمالاً إذا تعلّقا بالخير وبما ينبغي كما ينبغي لا مطلقاً، ولهذا قد يخلق وقد لا يخلق، وقد يريد وقد لا يريد إلى غير ذلك، كما قال عزّوجلّ: «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر»[2].

فإن قيل: إن كانت الصفات المحدثة المتعلّقة بالخير كمالاً لله سبحانه، فما بالها لم تثبت لله عزّوجلّ في الأزل؟

قلنا: إنّ لها مبدأ ومنشأ في ذاته تعالىٰ هو كمال في الحقيقة، وهو كون ذاته بذاته في الأزل بحيث يخلق ما يخلق، ويرزق ما يرزق، ويتكلّم مع من يتكلّم، ويريد ما يريد، ويشاء كما يشاء فيما لا يزال، وهو من صفات الذات، ثابت لها في الأزل، وإنّما هذه الإضافات فروع لها مترتّبة عليها فيما لا يزال على وفق المصلحة وبحسب ما لا يسعه الإمكان، فلا بأس بتأخّرها عن الذات إذا كان مبدأها الذاتي ومنشأها الكمالي قديماً.

بل نقول: إنّ الإرادة والمشيّة أيضاً لهما معنىً ثابت في الأزل من وجه زائد على ما ذكرناه، وهو كون ذاته تعالىٰ بذاته في الأزل بحيث يكفي علمه بالخير في خلقه إياه على حسب القدرة والاختيار فيما لا يزال وهو من صفات الذات.

فإن قيل: فما الفرق بين الإرادة والمشيئة، بل سائر ما يعدّ من صفات الفعل، وبين نحو العلم والقدرة ممّا يعدّ من صفات الذات حيث جعل الأول محدثاً فعلياً، والثاني أزلياً ذاتياً مع اشتراك الكلّ في كونه صفة ثابتة ذات إضافة، لها وجه

---

١. يس (٣٦): ٨٢.
٢. البقرة (٢): ١٨٥.

أزلي وآخر حادث؟

قلنا: لمّا كان العلم والقدرة والسمع والبصر جهة الثبات فيها أدلّ على المجد والكمال من جهة التجدّد وأظهر حيث لا يقدح تخلّف متعلّقاتها عنها في كمالياتها. بل يزيد، عدّت من صفات الذات، بخلاف الإرادة والمشيئة ونحوهما، فإنّ جهة التجدّد في أمثالها أدلّ على العزّ والجلال وأظهر من جهة الثبات حيث لا تتخلّف متعلّقاتها عنها، ولذا عدّت من صفات الفعل، وذلك لأن خطاب الشارع مع الجماهير، وينبغي أن يذكر معهم في نعته سبحانه ما هو أدلّ على الكمال وأظهر في العزّ والجلال، وإلّا فلا فرق بين هذه الصفات في هذا المعنى بحسب التحقيق.

إن قيل: فما معنى قوله ﷺ: «والعلم ذاته» وكيف يكون العلم عين الذات، مع أنّ مفهومه غير ما يفهم من الذات، وكذلك القول في نظائره، وأيضاً فإنّ مفهوم كلّ صفة غير مفهوم صفة أُخرى، فكيف يكون الكلّ متحدّة مع الذات؟

قلنا: تكون المفهومات المتعدّدة موجودة بوجود واحد، فالصفات بحسب المفهوم، وإن كانت غير الذات، وبعضها يغاير البعض، إلّا أنّها بحسب الوجود ليست أمراً وراء الذات، أعني ذاته الأحديّة تعالى مجده هي بعينها صفاته الذاتية ـ بمعنى أنّ ذاته بذاته وجود وعلم وقدرة وحياة وإرادة وسمع وبصر هي أيضاً موجود عالم قادر حيٌّ مريد سميع بصير ـ يترتب عليها آثار جميع الكمالات، ويكون هو من حيث ذاته مبدأ لها من غير افتقار إلى معانٍ أُخر قائمة به تسمّى صفات تكون مصدراً للآثار، لمنافاته الوحدة والغنى الذاتيين، والإختصاص بالقدم، فذاته صفاته، وصفاته ذاته.

فإن قلت: الموجود ما قام به الوجود والعالم ما قام به العلم وكذا في سائر المشتقّات.

قلنا: ليس كذلك، بل الموجود ما ثبت له الوجود، والعالم ما ثبت له العلم، والأبيض ما ثبت له البياض سواء كان بثبوت عينه أو بثبوت غيره، فإنّا لو فرضنا بياضاً قائماً بنفسه لقلنا: إنّه مفرّق للبصر، وانّه أبيض، وكذا الحال فيما سواه.

فإن قلت: ذاته مجهول الكنه لنا، ومفهوم العلم معلوم لنا، فكيف يكون أحدهما عين الآخر؟

قلنا: المعلوم من العلم مفهومه الكلّي المشترك المقول بالتشكيك على أفراده، الموجود بوجودات مختلفة، وهو الذي هو ذات الباري فرد خاصّ منه، وذلك الفرد لشدة نوريّته وفرط ظهوره مجهول لنا محتجب عن عقولنا وأبصارنا، وكذا

الكلام في سائر الصفات.

وأمّا ما ورد في كلام أمير المؤمنين عليه السلام: «**وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه**[١]» فالمراد به نفي الصفة الموجودة بوجود غير وجود الذات، كالبياض في الأبيض، لا كالناطق للإنسان، ولمّا كان أكثر ما يطلق عليه اسم الصفة هو الذي يكون أمراً عارضاً، ولا يقال للمعاني الذاتية للشيء أنّها صفات له، نفى عنه الصفة، ألا ترىٰ إلىٰ قوله عليه السلام بعد ذلك: «فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه»؟ فعلم أنّه أراد بالصفة ما قارن الذات الموجب للاثنينيّة فيها، فالعلم في غيره سبحانه صفة زائدة، وفيه نقسه سبحانه، فهو علم باعتبار وعالم باعتبار، وهكذا في سائر الصفات، وهذه الاعتبارات العقلية لا توجب تكثّراً في ذاته بوجه من الوجوه، ولا تخلّ بوحدانيّته الصرفة الخالصة أصلاً، بل تزيده وحدة، لأنّه لو فرض أنّه لم يكن في ذاته شيء منها لما كان واحداً حقيقياً، مثلاً لو فرض أنّه علم وليس بقدرة، أو أنّه علم وليس بعالم، لكان فيه جهة من غير جهة الوجوب والوجود وهي جهة الإمكان والعدم، فيلزم تركّبه من جهتين، وهو محال.

[٢٢٨] ٢. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «كان الله ولا شيء غيره، ولم يزل عالماً بما يكون، فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه»[٢].

◁ **بيان**

شرح ذلك أنّ الله تعالىٰ أدرك الأشياء جميعاً إدراكاً تامّاً، وأحاط بها إحاطة كاملة، فهو عالم بأنّ أيّ حادث يوجد في أيّ زمان من الأزمنة، وكم يكون بينه وبين الحادث الذي بعده أو قبله من المدّة، ولا يحكم بالعدم علىٰ شيء من ذلك، بل بدلّ ما نحكم بأن الماضي ليس بموجود في الحال، يحكم هو بأنّ كلّ موجود في زمان معيّن لا يكون موجوداً في غير ذلك الزمان من الأزمنة التي تكون قبله أو بعده، وهو عالم بأنّ كلّ شخص في أيّ جزء يوجد من المكان، وأيّ نسبة تكون بينه وبين ما عداه ممّا يقع في جميع جهاته، وكم الأبعاد بينهما علىٰ الوجه المطابق للحكم، ولا يحكم علىٰ شيء بأنه موجود الآن أو معدوم أو موجود هناك أو معدوم أو حاضر أو غائب؛ لأنه عزّوجلّ ليس بزمانيّ ولا مكانيّ، بل هو بكلّ شيء محيط

---

١. نهج البلاغه: خ ٣٩ ص ٤١.
٢. الكافي ١: ١٠٧ / ٢.

أزلاً وأبداً ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلّا بما شاء﴾[١] وإليه أشار أمير المؤمنين صلوات الله عليه بقوله: «لم يسبق له حال حالاً. فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً، ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً»[٢] وقال ﷺ: «علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين، وعلمه بما في السموات العلىٰ كعلمه بما في الأرضين السفلىٰ»[٣].

[٢٢٩] ٣. الكافي: عنه ﷺ في صفة القديم: «إنّه واحد صمد أحديّ المعنىٰ ليس بمعاني كثيرة مختلفة».

قيل: جعلت فداك، يزعم قوم من أهل العراق أنّه يسمع بغير الذي يبصر، ويبصر بغير الذي يسمع؟ قال: «كذبوا ولحدوا وشبّهوا، تعالىٰ الله عن ذلك، إنّه سميع بصير، يسمع بما يبصر، ويبصر بما يسمع».

قيل: يزعمون إنّه بصير علىٰ ما يعقلونه؟ قال: «تعالىٰ الله، إنّما يُعقَل ما كان بصفة المخلوق، ليس الله كذلك»[٤].

◁ **بيان**

روىٰ الصدوق في توحيده بإسناده عن محمّد بن عروة، قال: قلت للرضا ﷺ: خلق الله الأشياء بقدرة أم بغير قدرة؟ فقال: «لا يجوز أن يكون خلق الأشياء بالقدرة، لأنك إذا قلت: خلق الأشياء بالقدرة، فكأنّك قد جعلت القدرة شيئاً غيره، وجعلتها آلة له بها خلق الأشياء، وهذا شرك، وإذا قلت: خلق الأشياء بقدرة فإنّما تصفه أنّه جعلها باقتدار عليها وقدرة، ولكن ليس هو بضعيف ولا عاجز ولا محتاج إلىٰ غيره»[٥].

وبإسناده عن هشام بن سالم، قال: دخلت علىٰ أبي عبدالله ﷺ فقال لي: «أتنعت الله؟» قلت: نعم، قال: «هات» فقلت: هو السميع البصير، قال: «هذه صفة يشترك فيها المخلوقون» قلت: فكيف تنعته؟ فقال: «هو نور لا ظلمة فيه، وحياة لا موت فيه، وعلم لا

---

١. البقرة (٢): ٢٥٥.
٢. البحار ٥٧: ١/٢٨٥.
٣. البحار ٤: ٣٠٦/ ٣٥.
٤. الكافي ١: ١٠٨/ ١.
٥. التوحيد: ١٣٠/ ١٢.

جهل فيه، وحقّ لا باطل فيه» فخرجت من عنده وأنا أعلم الناس بالتوحيد[١].

[٢٣٠] ٤. الكافي: قيل: للصادق عليه السلام: لم يزل الله تعالىٰ مريداً؟ فقال: «إنّ المريد لا يكون إلّا لمرادٍ معه، لم يزل [الله] عالماً قادراً ثمّ أراد»[٢].

◁ بيان

المراد بالإرادة هاهنا الإحداث، كما نصّ عليه في الخبر الآتي، لا التي هي عين ذاته الأحديّة.

[٢٣١] ٥. الكافي: سئل أبو الحسن عليه السلام عن الارادة من الله ومن الخلق؟ قال: «الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل، وأمّا من الله سبحانه فإرادته إحداثه لا غير ذلك، لأنه لا يروّي ولا يهمّ ولا يتفكّر، وهذه الصفات منفيّة عنه، وهي صفات الخلق، فإرادة الله الفعل لا غير ذلك، يقول له: ﴿كن فيكون﴾ بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همّة ولا تفكّر، ولا كيف لذلك، كما أنّه لا كيف له»[٣].

[٢٣٢] ٦. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «المشيئة محدثة»[٤].

◁ بيان

أراد بهذه المشيئة الإحداث والإيجاد، لا كون ذاته بحيث يختار ما يختار.

❖ ❖ ❖

باب
الأسماء

[٢٣٣] ـ ١ الكافي: سئل عليه السلام عن الاسم ما هو؟ قال: «صفة لموصوف»[٥].

وفي رواية: «ليس يحتاج أن يسمّي نفسه، ولكنه اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها؛

---

١. التوحيد: ١٤٦ / ١٤.
٢. الكافي ١: ١٠٩ / ١.
٣. الكافي ١: ١٠٩ / ٣.
٤. الكافي ١: ١١٠ / ٧.
٥. الكافي ١: ١١٣ / ٣.

لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف»[١].

[٢٣٤] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من عبدالله بالتوهّم فقد كفر، ومن عبد الاسم دون المعنىٰ فقد كفر، ومن عبد الاسم والمعنىٰ فقد أشرك، ومن عبد المعنىٰ بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه، فعقد عليه قلبه، ونطق به لسانه في سرّ أمره وعلانيته، فأولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام حقاً»[٢].

وفي حديث آخر: «أولئك هم المؤمنون حقاً»[٣].

◁ **بيان**

«بالتوهمّ» يعني من غير جزم بوجوده، أو بما يتوهّمه من مفهوم اللفظ. أي عبد الصورة الوهمية التي تحصل في ذهنه من مفهوم اللفظ، «ومن عبد الاسم» أي اللفظ الدال علىٰ المسمّىٰ، أو ما يفهم من اللفظ من الأمر الذهني دون المعنىٰ، أي ما يصدق عليه اللفظ، أعني المسمّىٰ الموجود في خارج الذهن، والحاصل أن الاسم وما يفهم منه غير المسمّىٰ، فإنّ لفظ الإنسان مثلاً ليس بإنسان، وكذا ما يفهم من هذا اللفظ ممّا يحصل في الذهن، فإنّه ليس له جسميّة ولا حياة ولا نطق ولا شيء من خواصّ الإنسانية.

[٢٣٥] ٣. الكافي: عنه عليه السلام سئل عن تفسير «بسم الله الرحمن الرحيم» **قال:** «الباء بهاء الله، والسين سناء الله، والميم مجد الله»[٤].

وروي «الميم ملك الله، والله إله كلّ شيء، الرحمن بجميع خلقه، والرحيم بالمؤمنين خاصة»[٥].

◁ **بيان**

أُشير بهذا التفسير إلىٰ علم الحروف، فإنّه علم شريف يمكن أن يستنبط منه جميع العلوم والمعارف كلّياتها وجزئياتها، إلّا أنّه مكنون عند أهله، وكأنّ الرحمن إنّما

---

١. الكافي ١: ١١٣ / ٢.
٢. الكافي ١: ٨٧ / ١.
٣. الكافي ١: ٨٧ / ذيل الحديث ١.
٤. الكافي ١: ١١٤ / ١.
٥. الكافي ١: ١١٤ / ذيل الحديث ١.

هو من الرحمة التي وسعت كلّ شيء، والرحيم من الرحمة التي يختصّ بها من يشاء من عباده.

[٢٣٦] ٤. الكافي: سئل الكاظم عليه السلام عن معنىٰ الله، فقال: «إستولىٰ على ما دقّ وجلّ»[١].

◁ **بيان**

لما كان الله اسماً للذات الأحديّة القيّوميّة، فسّر بما يختصّ به الذات، وهو استيلاؤها علىٰ الدقيق والجليل.

[٢٣٧] ٥. الكافي: عن الصادق عليه السلام وقد سئل عن الأول والآخر؟ فقال: «الأول لا عن أوّل قبله، ولا عن بدء سبقه، وآخر لا عن نهاية كما يعقل من صفة المخلوقين، ولكن قديم أول آخر، لم يزل، ولا يزول، بلا بدء ولا نهاية، لا يقع عليه الحدوث، ولا يحول من حال إلىٰ حال، خالق كلّ شيء»[٢].

◁ **بيان**

في قوله عليه السلام: «أول آخر» بدون العطف إشارة إلىٰ أنّ أوّليّته عين آخريّته، ليدلّ علىٰ أنّ كونه قديماً ليس بمعنىٰ القدم الزماني، أي الامتداد الكمّي بلا نهاية، إذ وجوده ليس بزماني، بل هو فوق الزمان والدهر، نسبته إلىٰ الأزل كنسبته إلىٰ الأبد، فهو بما هو أزلي أبدي، وبما هو أبدي أزلي، فهو وإن كان مع الأزل والأبد، لكن ليس في الأزل ولا في الأبد حتىٰ تتغيّر ذاته، وإليه الاشارة بقوله: «لا يقع عليه الحدوث».

[٢٣٨] ٦. الكافي: قيل للجواد عليه السلام: جعلت فداك ما الصمد؟ قال: «السيد المصمود إليه في القليل والكثير»[٣].

◁ **بيان**

المصمود إليه: المقصود، وقد مرّ حاصل ما قيل في معنىٰ الصمد.

[٢٣٩] ٧. الكافي: عن الصادق عليه السلام قال رجل عنده: الله أكبر، فقال: «الله أكبر من أي شيء؟» فقال: من

---

١. الكافي ١: ١١٤ / ٣.
٢. الكافي ١: ١١٦ / ٦.
٣. الكافي ١: ١٢٣ / ١.

كلّ شيء، فقالعليه السلام «حدّدته؟» فقال الرجل: كيف أقول؟ قال: «قل: الله أكبر من أن يوصف»[١].

وفي رواية قال: «وكان ثمّ شيء فيكون أكبر منه؟» فقال: فما هو؟ قال: «الله أكبر من أن يوصف»[٢].

◁ بيان

«حدّدته» من التحديد، أي جعلت له حدّاً محدوداً، وذلك لأنه جعله في مقابلة الأشياء، ووضعه في حدّ، والأشياء في حدّ آخر، ووازن بينهما، مع أنّه محيط بكلّ شيء، لا يخرج عن معيّته وقيوميّته شيء، كما أشار إليه بقوله عليه السلام: «وكان ثمّ شيء» يعني مع ملاحظة ذاته الواسعة وإحاطته بكلّ شيء ومعيّته للكلّ، لم يبق شيء تنسبه إليه بالأكبريّة، بل كلّ شيء هالك عند وجهه الكريم، وكلّ وجود وكمال وجود مضمحلّ في مرتبة ذاته ووجوده القديم.

[٢٤٠] ٨. الكافي: عنه عليه السلام سئل عن قول الله سبحانه: «سبحان الله» ما يعني به؟ قال: «تنزيه»[٣].

[٢٤١] ٩. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ خلق اسماً بالحروف غير متصوّت، وباللفظ غير منطق، و بالشخص غير مجسّد، وبالتشبيه غير موصوف، وباللون غير مصبوغ، منفي عنه الأقطار، مبعد عنه الحدود، محجوب عنه حسّ كلّ متوهّم، مستتر غير مستتر[٤]، فجعله كلمةً تامّةً علىٰ أربعة أجزاء معاً، ليس منها واحد قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها، وحجب واحداً منها، وهو الاسم المكنون المخزون بهذه[٥] الأسماء التي ظهرت، فالظاهر هو الله تعالىٰ، وسخّر سبحانه لكلّ اسم من هذه الأسماء أربعة أركان، فذلك اثنا عشر ركناً، ثم خلق لكلّ ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها، فهو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، الخالق، البارئ، المصوّر، الحيّ، القيّوم، لا تأخذه سنةٌ ولا نوم، العليم، الخبير، السميع، البصير، الحكيم، العزيز، الجبّار، المتكبّر، العليّ، العظيم، المقتدر، القادر، السلام، المؤمن، المهيمن، البارئ، المنشئ،

---

١. الكافي ١:١١٧ / ٨.
٢. الكافي ١:١١٨ / ٩.
٣. الكافي ١:١١٨ / ١١ و في المصدر: «تنزيهه».
٤. في المصدر غير مستور.
٥. في المصدر: فهذه.

البديع، الرفيع، الجليل، الكريم، الرزّاق، المحيي، المميت، الباعث، الوارث، فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنىٰ حتىٰ تتمّ ثلاثمائة وستّين اسماً، فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة، وهذه الأسماء الثلاثة، أركان وحجب الاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة وذلك قوله تعالىٰ: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنىٰ﴾[١].

◁ **بيان**

الاسم: ما دلّ علىٰ الذات الموصوفة بصفة معينة سواء كان لفظاً أو حقيقة من الحقائق الموجودة في الأعيان، فإنّ الدلالة كما تكون في الألفاظ كذلك تكون بالذوات من غير فرق بينهما فيما يؤول إلىٰ المعنىٰ، بل كلّ موجود بمنزلة كلام صادر عنه تعالىٰ، دالّ علىٰ توحيده وتمجيده، بل كلّ منها عند اولي البصائر لسان ناطق بوحدانيّته، يسبّح بحمده، ويقدّسه عمّا لا يليق بجنابه، كما قال تعالىٰ: ﴿وإن من شيء إلّا يسبّح بحمده﴾[٢] بل كلّ من الموجودات ذكر وتسبيح له تعالىٰ، إذ يفهم منه وحدانيّته وعلمه واتّصافه بسائر صفات الكمال وتقدّسه عن صفات النقص والزوال.

قوله ﷺ: «مستتر» من الاستتار «غير مستّر» من التستير علىٰ البناء للمفعول،إشارة إلىٰ أنّ خفاءه وعدم نيله، إنّما هو لضعف البصائر والأبصار، ولأنه جعل عليه ستر أخفاه، وكان الاسم الموصوف بالصفات المذكورة إشارةإلىٰ أوّل ما خلق الله الذي مرّ ذكره في باب العقل، أعني النون المحمّدي،والروح الأحمدي، والعقل الكلّي، وأجزاؤه الأربعة إشارة إلىٰ جهتهالإلهية، والعوالم الثلاثة التي يشتمل عليها؛ أعني عالم العقول المجردة عن المواد والصور، وعالم الخيال المجرّد عن المواد دون الصور، وعالم الأجسام المقارنة للمواد.

وبعبارة أُخرىٰ إلىٰ الحسّ والخيال والعقل والسرّ، وبثالثة إلىٰ الشهادة والغيب وغيب الغيب وغيب الغيوب، وبرابعة إلىٰ الملك والملكوت والجبروت واللاهوت، ومعية الأجزاء عبارة عن لزوم كلّ منها الآخر وتوقفّه عليه في تماميّة

---

١. الكافي ١:١١٢ ١؛ والآية من سورة الاسراء ١٧: ١١٠.
٢. الاسراء (١٧): ٤٤.

الكلمة، وجزؤه المكنون السرّ الإلهي والغيب اللاهوتي.

قوله: «فالظاهر هو الله» يعني به أنّ الظاهر بهذه الأسماء الثلاثة هو الله. فإنّ المسمّىٰ يظهر بالاسم ويعرف به، والأركان الأربعة: الحياة والموت والرزق والعلم التي وكّل بها أربعة أملاك هي إسرافيل وعزرائيل وميكائيل وجبرئيل.

وفعل الأول نفخ الصور والأرواح في قوالب المواد والأجساد وإعطاء قوة الحسّ والحركة لانبعاث الشوق والطلب، وله إرتباط مع المفكّرة. ولو لم يكن هو لم ينبعث الشوق والحركة لتحصيل الكمال في أحد.

وفعل الثاني تجريد الأرواح والصور عن الأجساد والمواد، وإخراج النفوس من الأبدان، وله ارتباط مع المصوّرة، ولو لم يكن هو لم يمكن الاستحالات والانقلابات في الأجسام، ولا الاستكمالات والانتقالات الفكرية في النفوس. ولا الخروج من الدنيا والقيام عند الله تعالىٰ للأرواح، بل كانت الأشياء كلّها واقفة في منزل واحد ومقام أوّل.

وفعل الثالث إعطاء الغذاء والأمواء[1] على قدر لائق وميزان معلوم لكلّ شيء بحسبه، وله إرتباط مع الحفظ والإمساك. ولو لم يكن هو لم يحصل النشوء والنّماء في الأبدان، ولا التطوّر في أطوار الملكوت في الأرواح، ولا العلوم الجمّة للفطرة.

وفعل الرابع الوحي والتعليم وتأدية الكلام من الله سبحانه إلىٰ عباده، وله ارتباط مع القوة النطقية، ولو لم يكن هو لم يستفد أحد معنىً من المعاني بالبيان والقول، ولم يقبل قلب أحد إلهام الحق وإلقاءه في الروع.

[٢٤٢] ١٠. الكافي: عنه عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها﴾[2] قال: «نحن والله الأسماء الحسنىٰ التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا».

◁ **بيان**

و ذلك لأنه كما أن الاسم يدلّ علىٰ المسمّىٰ و يكون علامة له، كذلك هم عليهم السلام أدلّاء علىٰ الله يدلّون الناس عليه سبحانه، و هم علامة لمحاسن صفاته و أفعاله و آثاره «فأدعوه بها» أي فادعوا الله و أطلبوا التقرب إليه بسبب معرفتها. فإنّ معرفته تعالىٰ

---

١. في الأصل: والإيماء، و جمع الماء: مياه، أو أمواه، أو أمواء.
٢. الأعراف (٧): ١٨٠.

منوطة بمعرفتهم عليهم السلام، و العبادة غير مقبولة إلّا بمعرفة المعبود المتوقفة على معرفتهم سلام الله عليهم.

❖ ❖ ❖

باب
جوامع التوحيد و التمجيد

[٢٤٣] ١. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له: «الحمدلله الواحد الأحد، الصمد المتفرّد، الذي لامن شيء كان، و لا من شيء خلق ما كان، قدرة بان بها من الأشياء و بانت الأشياء منه، فليست له صفة تنال و لا حدّ تضرب له فيه الأمثال، كلّ دون صفاته تحبير اللغات، و ضلّ هناك تصاريف الصفات، و حار في ملكوته عميقات مذاهب التفكير، وانقطع دون الرسوخ في علمه جوامع التفسير، و حال دون غيبه المكنون حجب من الغيوب، تاهت في أدنى أدانيها طامحات العقول في لطيفات الأمور.

فتبارك الذي لايبلغه بُعد الهمم، و لايناله غوص الفطن، و تعالى الذي ليس له وقت معدود، و لاأجل ممدود، و لانعت محدود، و سبحان الذي ليس له أوّل مبتدأ، ولاغاية منتهىٰ، و لاآخر يفنىٰ، سبحانه هو كما وصف به نفسه، والواصفون لايبلغون نعته، حدّ الأشياء كلّها عند خلقه إبانة لها من شبهه، و إبانة له من شبهها، فلم يحلل فيها فيقال: هو فيها كائن، و لم يَنأَ عنها فيقال: هو منها بائن، و لم يخلُ منها فيقال له: أين، لكنّه سبحانه أحاط بها علمه، و أتقنها صنعه، و أحصاها حفظه، لم يعزب عنه خفيّات غيوب الهواء، و لا غوامض مكنون ظلم الدجىٰ، و لاما في السموات العلىٰ إلىٰ الأرضين السفلىٰ، لكلّ شيء منها حافظ و رقيب، و كلّ شيء منها بشيء محيط، و المحيط بما أحاط منها.

الواحد الأحد الصمد الذي لاتغيّره صروف الأزمان، ولايتكأدّه صنع شيء كان، إنما قال لما شاء كن فكان، إبتدع ما خلق بلامثال سبق و لاتعب و لانصب، و كلّ صانع شيء، فمن شيء صنع، والله لا من شيء صنع ما خلق، و كلّ عالم فمن بعد جهل تعلّم،

و الله لم يجهل و لم يتعلّم، أحاط بالأشياء علماً قبل كونها، فلم يزدد بكونها علماً، علمه بها قبل أن يكوّنها كعلمه بعد تكوينها لو يكوّنها لتشديد سلطان، و لاخوف من زوال و لانقصان، و لااستعانة علىٰ ضدّ مناوٍ، ولاندّ مكاثر، و لاشريك مكابر، لكن خلائق مربوبون، و عباد داخرون.

فسبحان الذي لايؤوده خلق ما ابتدأ و لاتدبير مابرأ، و لامن عجز و لامن فترة بما خلق اكتفىٰ، علم ما خلق و خلق ما علم، لابالتّفكير في علم حادث أصاب ما خلق، و لاشبهة دخلت عليه فيما لم يخلق، لكن قضاء مبرم، و علم محكم، وأمر متقن، توحّد بالربوبيّة، و خصّ نفسه بالوحدانية، واستخلص بالمجد و الثناء، و تفرّد بالتوحيد والمجد و السناء، و توحّد بالتحميد، و تمجّد بالتمجيد، و علا عن اتخاذ الأبناء، و تطهّر و تقدّس عن ملامسة النساء، و عزّو جلّ عن مجاورة الشركاء، فليس له فيما خلق ضدّ، و لا له فيما ملك ندّ، و لم يشركه في ملكه أحد، الواحد الأحد الصمد، المبيد للأبد، و الوارث للأمد، الذي لم يزل و لايزال وحدانياً أزلياً قبل بدو الدهور و بعد صروف الأمور، الذي لايبيد و لاينفد، بذلك أصف ربّي، فلا إله إلاّ الله، من عظيم ما أعظمه؟ و من جليل ما أجلّه؟ و من عزيزٍ ما أعزّه؟ و تعالىٰ عمّا يقول الظالمون علوّاً كبير»[1].

◁ **بيان**

«دون صفاته» قبل الوصول إليها **«والتحبير»** التزيين **«وضلّ هناك تصاريف الصفات»** أي لم يهتد إليه وصف الواصفين بأنحاء تصاريفهم الصفات، والضمير في **«أدانيها»** للحجب **«طامحات العقول»** المرتفعة **«بعد الهمم»** الهمم البعيدة **«غوص الفطن»** الفطن الغائصة **«لكلّ شيء منها حافظ ورقيب»** إشارة إلىٰ أنّ لكلّ ظاهرٍ باطناً ولكلّ ملك ملكوتاً **«وكلّ شيء منها بشيء محيط»** إشارة إلىٰ ترتّب الموجودات وكون بعضها سبباً للبعض، وأنّه سبحانه مسبّب الأسباب **«لا يتكأدّه»** لا يثقله **«فلم يزدد بكونها علماً»** لأنه لا يعلم الأشياء من الأشياء ولا في الأزمنة **«مُناوٍ»** معاند **«ولا من عجز»** أي ليس اكتفاؤه بما خلق من عجز ولا من فتور، بل إنما هو لعدم إمكان الزائد عليه ونقص قابليّة ما خلق لأزيد، فالنقصان في جانب القابل لا من جهة

---

١. الكافي ١: ١٣٤ / ١.

الفاعل تعالىٰ شأنه «المبيد للأبد» إمّا من الإبادة بمعنىٰ الإهلاك أي المجاوز عنه، أو من التأبيد أي هو الذي أبّد الأبد حتىٰ صار الأبد أبداً.

[٢٤٤] ٢. الكافي: عن الصادق ﷺ: «بينا أمير المؤمنين ﷺ يخطب علىٰ منبر الكوفة، إذ قام إليه رجل يقال له ذعلب، ذو لسان بليغ في الخطب، شجاع القلب، فقال: يا أمير المؤمنين: هل رأيت ربّك؟ قال: ويلك ياذعلب ما كنت أعبد ربّاً لم أره، فقال: ياأمير المؤمنين كيف رأيته؟ قال: ويلك ياذعلب لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان. ويلك ياذعلب، إنّ ربي لطيف اللطافة لا يوصف باللطف، عظيم العظمة لا يوصف بالعِظَم، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، قبل كلّ شيء لا يقال شيء قبله، وبعد كلّ شيء لا يقال له بعد، شاء الأشياء لابهمّة، درّاك لا بخديعة في الأشياء كلّها غير متمازج بها، ولا بائن منها، ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجلّ لا باستهلال رؤية، نأٍ لا بمسافة، قريب لا بمُداناة، لطيف لا بتجسّم، موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدّر لا بحركة، مريد لا بهمامة، سميع لا بآلة، بصير لا بأداة، لا تحويه الأماكن، ولا تضمّنه الأوقات، ولا تحدّه الصفات، ولا تأخذه السّنات.

سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزله، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، وبمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له، ضادّ النور بالظلمة، واليبس بالبلل، والخشن باللين، والصرد بالحرور، مؤلّف بين متعادياتها، مفرّق بين متدانياتها، دالّة بتفريقها علىٰ مفرّقها، وبتأليفها علىٰ مؤلفها، وذلك قول الله تعالىٰ: **﴿ومن كلّ شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾**[1] ففرّق بين قبل وبعد، ليُعلم أن لا قبل له ولا بعد، شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغرزها، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقّتها، حجب بعضها عن بعض، ليعلم أن لا حجاب بينه وبين خلقه، كان ربّاً إذ لا مربوب، وإلهاً إذ لا مألوه، وعالماً إذ لا معلوم، وسميعاً إذ لا مسموع»[2].

---

١. الذاريات / ٤٩.

٢. الكافي ١: ١٣٨ / ٤.

◁ **بيان**

«لطيف اللطافة» اللطيف: النافذ في الأشياء الممتنع من أن يدرك، كما ورد في كلام الرضاﷺ[١]، واللطيف أيضاً: العالم بدقائق المصالح وغوامضها، السالك في إيصالها إلىٰ المستصلح سبيل الرفق دون العنف، وإضافته إلىٰ اللطافة مبالغة في اللطف **«لا يوصف باللطف»** أي اللطف الذي من صفات الأجسام. وهو الصغر والدقّة والقلّة والنحافة ورقّة القوام ونحوها، وكذا العِظَم المنفيّ ونظائره **«والهمّة»** الإرادة الساتحة **«درّاك لا بخديعة»** كأنّه أراد به أنّه سبحانه عالم بما في الضمائر والمكامن من غير مكر وحيلة يتوسّل بهما إلىٰ الوصول إلىٰ ذلك **«لطيف لا بتجسّم»** أي برقّة قوام، فإنّه معنىٰ اللطف في الجسم **«والاستهلال»** الإبصار.

«بتشعير المشاعر عرف أن لا مشعر له» إنّما عرف بتشعيره المشاعر انتفاء المشعر عنه تعالىٰ، لأنه بتشعيره عزّوجلّ إياها عرف أنّ المشاعر محتاجة إلىٰ مشعر يشعرها، فلو كان له عزّوجلّ مشعر لكان محتاجاً إلىٰ من يشعر له، إذ لا يجوز أن يفيض علىٰ نفسه المشعر من حيث هو فاقد له، فيكون محتاجاً بذاته.

وكما أنّ لنا أن نستدلّ بإفاضة الله سبحانه العلم والقدرة والإدراك علينا بأنه تعالىٰ متّصف بها، فكذلك لنا أن نستدل بتعلّمنا بعد الجهل، واكتسابنا صفة القدرة بعد العجز، وإدراكنا المحسوسات باستعانة المشاعر، وافتقارنا إليها في ذلك، علىٰ أنّ الله عزّوجلّ منزّه في علمه وقدرته وإدراكه عن التعلّم والاكتساب والمشاعر، بل عن الصفة الزائدة علىٰ الذات مطلقاً؛ لأنّ حصول هذه الصفات لنا علىٰ النحو الذي اتصفنا بها إنّما هو من الغير، فلو كان الله سبحانه اتّصف بها علىٰ هذا النحو لافتقر هو أيضاً إلىٰ الغير كما افتقرنا، وكذلك نقول في نظائره من التجهير والمضادة والمقارنة وغيرها.

[٢٤٥] ٣. الكافي: عنهﷺ: «خطب أمير المؤمنين صلوات الله عليه الناس بالكوفة، فقال: **الحمد لله الملهم عباده حمده، وفاطرهم علىٰ معرفة ربوبيّته، الدّال علىٰ وجوده بخلقه، وبحدوث خلقه علىٰ أزله، وباشتباههم علىٰ أن لا شبه له، المستشهد بآياته علىٰ قدرته، الممتنعة من الصفات ذاته، ومن الأبصار رؤيته، ومن الأوهام الإحاطة به، لا أمد لكونه، ولا غاية لبقائه، لا تشمله المشاعر، ولا تحجبه الحجب، والحجاب بينه**

---

١. راجع التوحيد: ١١٢/ ١١ و١٢.

وبين خلقه، خلقه إيّاهم لامتناعه ممّا يمكن في ذواتهم، ولإمكان ذواتهم ممّا يمتنع منه ذاته، ولافتراق الصانع من المصنوع، والحادّ والمحدود، والربّ والمربوب، الواحد بلا تأويل عدد، والخالق لا بمعنىٰ حركة، والبصير لا بأداة، والسميع لا بتفريق آلة، والشاهد لا بمماسّة، والباطن لا باجتنان، والظاهر البائن لا بتراخي مسافة، أزله نهيةٌ لمجاول الأفكار، ودوامه ردع لطامحات العقول، قد حسر كنهه نوافذ الأبصار، وقمع وجوده جوائل الأوهام، فمن وصف الله فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزله، ومن قال: أين؟ فقد غيّاه، ومن قال: علىٰ ما؟[1] فقد أخلىٰ منه، ومن قال: فيم؟ فقد ضمّنه»[2].

وفي رواية أُخرىٰ بعد قوله: «جوائل الأوهام»: «أول الديانة به معرفته، وكمال معرفته توحيده، وكمال توحيده نفي الصفات عنه، لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة الموصوف أنّه غير الصفة، وشهادتهما جميعاً بالتثنية الممتنع منه الأزل، فمن وصف الله فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزله، ومن قال: كيف؟ فقد استوصفه، ومن قال: فيما؟ فقد ضمّنه، ومن قال: علىٰ ما؟ فقد جهله، ومن قال: أين؟ فقد أخلىٰ منه، ومن قال: ما هو؟ فقد نعته، ومن قال: إلىٰ ما؟ فقد غاياه، عالم إذ لا معلوم، وخالق إذ لا مخلوق، وربّ إذ لا مربوب، وكذلك يوصف ربّنا وفوق ما يصفه الواصفون»[3].

◁ **بيان**

«بلا تأويل عدد» إذ الوحدة العددية إنّما يتقوّم بتكرّرها الكثرة العددية، ويصحّ بحسبها أن يقال: أنّ المتّصف بها أحد أعداد الوجود، أو أحد آحاد الموجودات، وعزّ مجده سبحانه أن يكون كذلك، بل الوحدة العددية والكثرة العددية التي هي في مقابلتها جميعاً من صنع وحدته المحضة الحقيقية، التي هي نفس ذاته القيّومية، وهي وحدة حقّة صرفة وجوبية، قائمة بالذات لا مقابل لها، ومن لوازمها نفي الكثرة «لا بتفريق آلة» أي لا بآلة مغايرة «والنهية» المنع «فقد أخلىٰ منه» أي ذلك

---

١. كذا في الكافي المطبوع وفي بعض النسخ من الوافي: علىٰ م؟ والمعنىٰ واحد.
٢. الكافي ١: ١٣٩ / ٥.
٣. الكافي ١: ١٤٠ / ٦.

الشيء الذي قال أنّه عليه ضرورة أنّ المحمول يكون خارجاً عن حامله. «فقد جهّله» بالتشديد وفي نسخة: «فقد حمله».

[٢٤٦] ٤. الكافي: عن الباقر عليه السلام قيل له: أخبرني عن ربّك متىٰ كان؟ قال: «ويلك إنّما يقال لشيء لم يكن متىٰ كان، إنّ ربّي كان ولم يزل حيّاً بلا كيف، ولم يكن له كان، ولا كان لكونه كون، كيف ولا كان له أين، ولا كان في شيء، ولا كان علىٰ شيء ولا ابتدع لمكانه مكاناً، ولا قوىٰ بعد ما كوّن الأشياء، ولا كان ضعيفاً قبل أن يكوّن شيئاً، ولا كان مستوحشاً قبل أن يبتدع شيئاً، ولا يشبه شيئاً مذكوراً، ولا كان خلواً من الملك قبل إنشائه، ولا يكون بعد ذهابه، لم يزل حيّاً بلا حياة، و ملكاً قادراً قبل أن ينشئ شيئاً، وملكاً جبّاراً بعد إنشائه للكون، فليس لكونه كيف، ولا له أين، ولا له حدّ، ولا يعرف بشيء يشبهه، ولا يهرم لطول البقاء، ولا يصعق لشيء، بل لخوفه تصعق الأشياء كلّها.

كان حيّاً بلا حياة حادثة، ولا كون موصوف، ولا كيف محدود، ولا أين موقوف عليه، ولا مكان جاور شيئاً، بل حيّ يعرف، وملك لم يزل له القدرة والملك، أنشأ ما شاء حين شاء بمشيئة، لا يحدّ ولا يبعّض ولا يفنىٰ، كان أولاً بلا كيف، ويكون آخراً بلا أين، وكلّ شيء هالك إلّا وجهه، له الخلق والأمر، تبارك الله ربّ العالمين.

ويلك أيها السائل، إنّ ربي لا تغشاه الأوهام، ولا تنزل به الشبهات، ولا يجار من شيء، ولا يجاوره شيء، ولا تنزل به الأحداث، ولا يسأل عن شيء، ولا يندم علىٰ شيء، ولا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السموات وما في الأرض، وما بينهما وما تحت الثرىٰ»[1].

◁ **بيان**

«ولا كان لكونه كون كيف» يعني أنّ كونه كون لم يتحقق له كيف «ولا ابتدع لمكانه» أي لتمكّنه «شيئاً مذكوراً» المذكور ما حصل في الذكر، أي الخاطر «ولا كان خلواً من الملك قبل إنشائه، ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه» بيان ذلك وتحقيقه أنّ المخلوقات وإن لم تكن موجودة في الأزل لأنفسها وبقياس بعضها إلىٰ بعض، علىٰ أن

---

١. الكافي ١: ٨٨/ ٣.

يكـون الأزل ظـرفاً لوجـوداتـها كـذلك، إلّا أنـها مـوجودة فـي الأزل لله سـبحانه وجوداً جمعيّاً وحدانياً غير متغيّر، بمعنىٰ أنّ وجوداتها اللايزالية الحـادثة ثـابتة لله سـبحانه فـي الأزل كـذلك، وهـذا كـما أنّ المـوجودات الذهـنية مـوجودة فـي الخارج إذا قيّدت بـقيامها بـالذهن، وإذا أُطلقت مـن هـذا القـيد فـلا وجـود لهـا إلّا في الذهن.

فالأزل يسع القديم والحادث والأزمنة وما فيها وما خرج عـنها، وليس الأزل كالزمان وأجزائه محصوراً مضيّقاً يغيب بعضه عن بعض، ويتقدّم جزء ويتأخّر آخر، فإنّ الحصر والضيّق والغيبة من خواص الزمان والمكان وما يتعلّق بهما، والأزل عبارة عن اللازمان السابق علىٰ الزمان سبقاً غير زماني، وليس بـين الله وبين العالم بعد مقدّر، لأنّه إن كان موجوداً يكون من العالم وإلّا لم يكن شيئاً ولا ينسب أحدهما إلىٰ الآخر من حيث الزمان بقبلية ولا بعدية ولا معيّة لانتفاء الزمان عن الحق وعن ابتداء العالم، فسقط السؤال بمتىٰ عن العالم، كما هو سـاقط عـن وجود الحق؛ لأن متىٰ سؤال عن الزمان ولا زمان قبل العالم، فليس إلّا وجود بحت خالص ليس من العدم، وهو وجود الحق، ووجود من العدم وهو وجـود العـالم، فالعالم حادث في غير زمان.

وإنّما يتعسّر فهم ذلك علىٰ الأكثرين لتوهّمهم الأزل جزء مـن الزمـان يـتقدّم سائر الأجزاء وإن لم يسمّوه بـالزمان، فـإنّهم أثـبتوا له مـعناه، وتـوهّموا أنّ الله سبحانه فيه ولا موجود فيه سواه، ثم أخذ يوجد الأشياء شيئاً فشيئاً فـي أجـزاء أُخر منه، وهذا توهّم باطل وأمر محال، فإنّ الله سبحانه ليس فـي زمـان، ولا فـي مكان، بل هو محيط بهما وبما فيهما وبما معهما وما تقدّمهما.

وتحقيق المقام يقتضي بسطاً من الكـلام، وفـتح بـاب عـلم مكـنون لا تسـعه العقول المشوبة بالأوهام، ونـحن نشير إلىٰ لمعةٍ منه لمن كان أهله سائلين من الله جلّ وعزّ أن يحفظها عن القاصرين المجادلين بالباطل ليدحضوا به الحق إن شاء الله. فنقول: ليعلم أن نسبة ذاتـه تـعالىٰ إلىٰ مـخلوقاته يـمتنع أن يـختلف بـالمعيّة واللامعيّة، وإلّا فيكون بالفعل مع بعض، وبالقوة مع آخرين، فيتركب ذاته سبحانه من جهتي فعل وقوة، وتتغيّر صفاته حسب تغيّر المتجدّدات المـتعاقبات، تـعالىٰ عن ذلك، بل نسبة ذاته التي هي فعلية صرفة وغناء محض من جميع الوجوه إلىٰ الجميع وإن كان من الحوادث الزمانية نسبة واحـدة ومـعيّة قـيومية ثـابتة غـير زمانية ولا متغيّرة أصلاً، والكل بغنائه بقدر استعداداتها مستغنيات كلّ في وقته

ومحلّه على حسب طاقته، وإنّما فقرها وفقدها ونقصها بالقياس إلى ذواتها، وقوابل ذواتها وليس هناك إمكان وقوّة البتّة، فالمكان والمكانيات بأسرها بالنسبة إلى الله تعالى كنقطة واحدة في معيّة الموجود **﴿والسموات مطويّات بيمينه﴾** والزمان والزمانيات بآزالها وآبادها كآنٍ واحد عنده في ذلك.

جفّ القلم بما هو كائن. ما من نسمة كائنة إلّا وهي كائنة، والموجودات كلّها شهادياتها وغيبيّاتها كموجود واحد في الفيضان عنه، **﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلّا كنفس واحدة﴾**[1] وإنما التقدم والتأخر والتجدّد والتصرّم والحضور والغيبة في هذه كلّها بقياس بعضها إلى بعض وفي مدارك المحبوسين في مطمورة الزمان المسجونين في سجن المكان لا غير، وإن كان هذا لما تستغربه الأوهام ويشمئز عنه قاصرو الأفهام.

وأمّا قوله عزّوجل **﴿كلّ يوم هو في شأن﴾**[2] فهو كما قاله بعض أهل العلم: إنها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها، ولعل من لم يفهم بعض هذه المعاني يضطرب فيصول ويرجع فيقول: كيف يكون وجود الحادث في الأزل؟ أم كيف يكون المتغيّر في نفسه ثابتاً عند ربّه؟ أم كيف يكون الأمر المتكثّر المتفرّق وحداناً جمعيّاً؟ أم كيف يكون الأمر الممتدّ ـ أعني الزمان ـ واقعاً في غير الممتدّ ـ أعني اللازمان ـ مع التقابل الظاهر بين هذه الأمور؟ فلنمثّل له بمثال حسّي يكسر سورة استبعاده، فإن مثل هذا المعترض لم يتجاوز بعد درجة الحسّ والمحسوس، فليأخذ أمراً ممتدّاً كحبل أو خشب مختلف الأجزاء في اللون، ثم ليمرّره في محاذاة نملة أو نحوها ممّا تضيق حدقته عن الإحاطة بجميع ذلك الامتداد، فإن تلك الألوان المختلفة متعاقبة في الحضور لديها، يظهر لها شيئاً فشيئاً، واحداً بعد واحد آخر لضيق نظرها، ومتساوية في الحضور لديه يراها كلّه دفعة لقوّة إحاطة نظره وسعة حدقته، وفوق كلّ ذي علم عليم.

آخر كتاب التوحيد والتمجيد، والحمد لله أولاً وآخر.

■

---

١. لقمان (٣١): ٢٨.

٢. الرحمن (٥٥): ٢٩.

كتاب
الصُّنع والإبداع

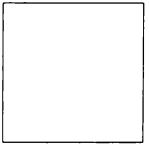

باب
أول ما خلق الله

[٢٤٧] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق الأنوار وخلق نور الأنوار الذي نوّرت منه الأنوار، وأجرىٰ فيه من نوره الذي نوّرت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمّداً وعلياً، فلم يزالا نورين أوّلين إذ لا شيء كوّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهّرين في الأصلاب الطاهرة حتىٰ افترقا في أطهر طاهرين؛ في عبدالله، وأبي طالب»[1].

◁ بيان

قد مضىٰ في كتاب العقل والجهل ما يصلح لأن يكون شرحاً لهذا الحديث.

[٢٤٨] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «قال الله تعالىٰ: يامحمّد، إني خلقتك وعليّاً نوراً ـ يعني روحاً ـ بلا بدن قبل أن أخلق سمواتي وأرضي وعرشي وبحري، فلم تزل تهلّلني وتمجّدني، ثم جمعت روحيكما فجعلتهما واحدة، فكانت تمجّدني وتقدّسني وتهلّلني، ثمّ قسمتها ثنتين، وقسمت الثنتين اثنتين فصارت أربعة؛ محمد واحد، وعليّ واحد، والحسن والحسين ثنتان، ثم خلق الله فاطمة من نور، ابتداها روحاً بلا بدن، ثم مسحها بيمينه، فأفضىٰ نوره فينا»[2].

◁ بيان

(ثم) في قوله «**ثم جمعت روحيكما**» ليست للتراخي في الزمان، بل في المرتبة. كقوله تعالىٰ: ﴿**كلّا سوف تعلمون * ثم كلّا سوف تعلمون**﴾[3] وقوله: «فكانت

---

١. الكافي ١: ٤٤١ / ٩.
٢. الكافي ١: ٤٤٠ / ٣.
٣. التكاثر (١٠٢): ٣ و ٤.

تمجدّني وتقدسني وتهلّلني» تكرير لقوله: «فلم تزل تهلّلني وتمجدني» ليس لإفادة أمر آخر، والمعنىٰ أنني خلقتكما جميعاً روحاً واحداً تمجّدني تلك الروح، ثمّ قسمتها ثنتين.

[٢٤٩] ـ٣ الكافي: عنه عليه السلام قيل له: كيف كنتم حيث كنتم في الأظلة؟ فقال: «كنّا عند ربنا، ليس عنده أحد غيرنا، في ظلّة خضراء نسبّحه ونقدّسه ونهلّله ونمجّده، وما من ملك مقرّب ولا ذي روح غيرنا، حتىٰ بدا له في خلق الأشياء، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم، ثم أنهىٰ علم ذلك إلينا»[١].

❖ ❖ ❖

باب
كيفية ابتداء الخلق وأخذ الميثاق

[٢٥٠] ١. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «لو علم الناس كيف ابتدأ الخلق ما اختلف اثنان، أنّ الله عزّوجلّ قبل أن يخلق الخلق قال: كن ماءً عذباً، أخلق منك جنّتي وأهل طاعتي، وكن ملحاً أُجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي، ثم أمرهما فامتزجا، فمن ذلك صار يلد المؤمن الكافر والكافر المؤمن، ثم أخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً، فإذا هم كالذّر يدبّون، فقال لأصحاب اليمين: إلىٰ الجنة بسلام، وقال لأصحاب الشمال: إلىٰ النار ولا أُبالي، ثم أمر ناراً فأُسعرت، فقال لأصحاب الشمال: أُدخلوها، فهابوها، وقال لأصحاب اليمين: أدخلوها فدخلوها، فقال: كوني برداً وسلاماً، فكانت برداً وسلاماً، فقال أصحاب الشمال: ياربّ أقِلنا، فقال: قد أقلتكم فادخلوها، فذهبوا فهابوها، فثمّ ثبتت الطاعة والمعصية، فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء، ولا هؤلاء من هؤلاء»[٢].

وفي رواية: «إنّ الله خلق الأرض ثم أرسل عليها الماء المالح أربعين صباحاً، والماء العذب أربعين صباحاً، حتىٰ إذا التقت واختلطت أخذ بيده قبضة فعركها عركاً شديداً

---

١. الكافي ١: ٤٤١ / ٧.
٢. الكافي ٢: ٦ / ١.

جميعاً، ثم فرّقها فرقتين، فخرج من كلّ واحدة منهما عنق[١] مثل عنق الذّر، فأخذ عنق إلىٰ الجنة وعنق إلىٰ النار»[٢].

وزاد في أُخرىٰ بعد قوله: «ولا أُبالي»: «ثم قال: «ألست بربكم قالوا بلىٰ شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين»[٣]، ثم أخذ الميثاق علىٰ النبيّين، فقال: ألست بربكم وأنّ هذا محمّد رسولي وأنّ هذا علي أمير المؤمنين؟ قالوا: بلىٰ، فثبت لهم النبوة، وأخذ الميثاق علىٰ أولي العزم: أنني ربكم، ومحمد رسولي، وعلي أمير المؤمنين، وأوصياؤه من بعده ولاة أمري وخزّان علمي، وأنّ المهدي أنتصر به لديني، وأظهر به دولتي، وأنتقم به من أعدائي، وأُعبد به طوعاً وكرهاً، قالوا: أقررنا ياربّ وشهدنا، ولم يجحد آدم ولم يقرّ، فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي، ولم يكن لآدم عزم علىٰ الإقرار به، وهو قوله عزّوجلّ: **«ولقد عهدنا إلىٰ آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً»**[٤] قال: إنما هو: فترك، قال: ثم أمر ناراً»[٥] إلىٰ آخر الحديث.

[٢٥١] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «فكان أول من دخلها محمّد صلى الله عليه وآله، ثم اتّبعه أولوا العزم من الرسل وأوصياؤهم وأتباعهم، ثم قال لأصحاب الشمال: أدخلوها بإذني، فقالوا: ربّنا خلقتنا لتحرقنا؟ فعصوا، فقال لأصحاب اليمين: أُخرجوا بإذني من النار، فخرجوا لم تكلم النار منهم كَلماً ولم تؤثر فيهم أثراً، فلما رآهم أصحاب الشمال، قالوا: ربّنا نرىٰ أصحابنا قد سلموا، فأقلنا ومرنا بالدخول، قال: قد أقلتكم فادخلوها، فلما دنوا وأصابهم الوهج، رجعوا فقالوا: ياربّنا لا صبر لنا علىٰ الاحتراق، فعصوا، وأمرهم بالدخول ثالثاً كلّ ذلك يعصون ويرجعون، وأمر أُولئك ثالثاً كلّ ذلك يطيعون ويخرجون، فقال لهم: كونوا طيناً بإذني، فخلق منه آدم، قال: فمن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء، ومن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء، وما رأيت من نزق أصحابك وخلقهم فممّا أصابهم من لطخ أصحاب الشمال، وما رأيت من حسن سيماء من

---

١. العنق: الجماعة من الناس.
٢. الكافي ٨: ٨٩/ ٥٦.
٣. الأعراف (٧): ١٧٢.
٤. طه (٢٠): ١١٥.
٥. الكافي ٢: ٨/ ١.

خالفكم ووقارهم فممّا أصابهم من لطخ أصحاب اليمين»[١].

وزاد في رواية: «فأعادهم طيناً، وخلق منها آدم»[٢].

◁ **بيان**

قد مرّ في كتاب العقل والجهل بيان لهذا الحديث «وأديم الأرض» وجهها، وكأنه كناية عمّا ينبت منها ممّا يصلح لأن يصير غذاء للإنسان ويحصل منه النطفة أو تتربّى به و «العرك» الدلك، ولعلّ شدّته كناية عن مزجه بحيث يحصل منه المزاج المستعدّ لفيضان الحياة عليه، وهذا الخطاب إنّما كان في عالم الأمر، فإنّ الأجسام الخلقيّة الزمانية مجتمعة الوجود عنده تعالىٰ في عالم الأمر، وإن كانت متفرّقة مبسوطة مندرجة في عالم الخلق، ولشدّة الارتباط بين الملك والملكوت نسب المادة إليها قبل خلقها، وإنّما شبّه ماهيّات الأشخاص الجزئية الانسانية وحقائقها العلمية بالذرّ -أي النّمل الصغار الحمر- لخفاء وجوداتها الظلّية قبل إشراق نور الوجود الحسي عليها مع حياتها وشعورها، وفي بعض الأخبار الآتية عبّر عنها بالظلال والأظلّة.

ولعل معنىٰ أخذ ميثاق ذرّية بني آدم علىٰ أنفسهم وإشهادهم عليه، استنطاق حقائقهم بألسنة قابليات جواهرها وألسن استعدادات ذواتها عند كون نفوسهم في أصلاب آبائهم العقلية ومعادنهم الأصلية، يعني شاهدهم وهم رقائق في تلك الحقائق، و عبّر عن تلك الآباء بالظهور لأنّ كلّ واحد منهم ظهراً ومظهراً لطائفة من النفوس، أو هي ظاهرة عنده لكونها هناك صوراً عقلية نورية ظاهرة بذواتها.

﴿وأشهدهم علىٰ أنفسهم﴾[٣] أي أعطاهم في تلك النشأة الإدراكية العقلية شهود ذواتهم العقلية وهويّاتهم النورية، فكانوا بتلك القوىٰ العقلية يسمعون خطاب: ألست بربكم، كما يسمعون الخطاب في دار الدنيا بهذه القوىٰ البدنية، فقالوا بألسنة تلك العقول: بلىٰ أنت ربنا الذي أعطيتنا وجوداً قدسيّاً ربّانياً سمعنا كلامك وأجبنا خطابك.

أو نقول: تصديقهم به كان بلسان طباع الإمكان قبل نصب الدلائل لهم، أو بعد نصب الدلائل، وإنّه نزّل تمكينهم من العلم به وتمكّنهم منه بمنزلة الإشهاد

---

١. الكافي ٢: ١١ / ٢.
٢. الكافي ٢: ٧ / ٣.
٣. الأعراف (٧): ١٧٢.

والاعتراف على طريقة التخييل، نظير ذلك قوله تعالى: ﴿**إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون**﴾[١] وقوله عزّ وجلّ: ﴿**فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين**﴾[٢]. ومعلوم أنّه لا قول ثمّة، وإنّما هو تمثيل وتصوير للمعنى. ويحتمل أن يكون ذلك النطق باللسان الملكوتي في العالم المثالي الذي دون عالم العقل، كما نطق الحصى في كفّ النبيّ ﷺ، وتنطق الأرض يوم القيامة ﴿**يومئذ تحدّث أخبارها**﴾[٣]، وتنطق الجوارح ﴿**أنطقنا الله الذي أنطق كلّ شيء**﴾[٤] وكلّ شيء مفطور على التوحيد ﴿**وان من شيء إلّا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾[٥] وقوله سبحانه: ﴿**أن تقولوا يوم القيامة**﴾[٦] يعني فعل ذلك كراهة أن يقولوا.

وأُريد بأولي العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبيّنا صلوات الله عليهم. ولمّا كانوا معهودين معلومين جاز أن يشار إليهم بهؤلاء الخمسة مع عدم ذكرهم مفصّلاً، وإنّما زاد على أخذ الميثاق على من زاد في رتبته وشرفه؛ لأن التكليف إنّما يكون بقدر الفهم والاستعداد، فكلّما زاد زادوا. وإنّما يعرف مراتب الوجود من له حظّ منها، وبقدر حظّه منها.

وأمّا آدم ﷺ فلمّا لم يعزم على الإقرار بالمهدي ﷺ لم يعدّ من أولي العزم، وإن عزم على الإقرار بغيره من الأوصياء ﷺ «إنّما هو فترك» يعني معنى فنسي هذا ليس إلّا (فترك)، ولعل السرّ في عدم عزم آدم ﷺ على الإقرار بالمهدي ﷺ استبعاد أن يكون لهذا النوع الانساني إتفاق على أمر واحد.

وأمره تعالى إياهم على الجنة والنار هدايته إياهم إلى سبيلهما، ثم توفيقه أو خذلانه، ولعلّ المراد بالنار المسعّرة بعد ذلك التكاليف الشرعية المحرقة للقلوب لصعوبة المخرج عن عهدتها.

واستقالة أصحاب الشمال كناية عن تمنّيهم الإطاعة وعدم قدرتهم التامّة عليها، لغلبة الشقوة عليهم وكونهم مسخّرة تحت سلطان الهوى، كما قالوا: ﴿**ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنّا قوماً ضالّين**﴾[٧].

---

١. النحل (١٦): ٤٠.
٢. فصّلت (٤١): ١١.
٣. الزلزلة (٩٩): ٤.
٤. فصلت (٤١): ٢١.
٥. الإسراء (١٧): ٤٤.
٦. الأعراف (٧): ١٧٢.
٧. المؤمنون (٢٣): ١٠٦.

وعبّر ﷺ في الرواية الأخيرة عن إظهاره سبحانه إياهم في عالم الخلق مفصّلة مبسوطة متدرّجة بالإعادة؛ لأن هذا الوجود مباين لذاك متعقّب له.

[٢٥٢] ٣. الكافي: قيل للصادق ﷺ: كيف أجابوا وهم ذرّ؟ قال: «جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه»[١] يعني في الميثاق.

◁ بيان

هذا الحديث يؤيد ما شرحنا به الحديث السابق.

[٢٥٣] ٤. الكافي: عن الباقر ﷺ: «إنّ الله تعالىٰ خلق الخلق فخلق من أحبّ ممّا أحبّ، وكان ما أحبّ أن خلقه من طينة الجنّة، وخلق من أبغض ممّا أبغض وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار، ثم بعثهم في الظلال».

فقيل: وأي شيء الظلال؟ فقال: «ألم تر إلىٰ ظلّك في الشمس شيئاً وليس بشيء، ثم بعث منهم النبيّين فدعوهم إلىٰ الإقرار بالله عزّوجلّ، وهو قوله عزّوجلّ: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله﴾[٢] ثم دعوهم إلىٰ الإقرار بالنبيين، فأقرّ بعضهم وأنكر بعض، ثم دعوهم إلىٰ ولايتنا فأقرّ بها والله من أحبّ، وأنكرها من أبغض، وهو قوله تعالىٰ: ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل﴾[٣] ثم قال ﷺ: كان التكذيب ثَمّ»[٤].

[٢٥٤] ٥. الكافي: عنه ﷺ: «إنّ الله تعالىٰ أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذرّ يوم أخذ الميثاق علىٰ الذرّ بالإقرار له بالربوبية، ولمحمّد ﷺ بالنبوّة، وعرض الله عزّوجلّ علىٰ محمّد أُمّته في الطين وهم أظلّة، وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم ﷺ، وخلق الله تعالىٰ أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عام وعرضهم عليه، وعرّفهم رسول الله ﷺ، وعرّفهم علياً ﷺ، ونحن نعرفهم في لحن القول»[٥].

---

١. الكافي ٢: ١٢ / ١.
٢. الزخرف (٤٣): ٨٧.
٣. الأعراف (٧): ١٠١.
٤. الكافي ٢: ١٠ / ٣.
٥. الكافي ١: ٤٣٨ / ٩.

◁ **بيان**

«لحن القول» فحواه، وإنّما خصّ في هذا الخبر أخذ ميثاق الولاية بالشيعة لاختصاص قبوله بهم.

[٢٥٥] ٦. الكافي: عنه ﷺ: «إنّ الله عزّوجلّ لما أخرج ذرّية آدم ﷺ من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبية له وبالنبوّة لكلّ نبيّ، فكان أول من أخذ له عليهم الميثاق بنبوّته **محمّد بن عبدالله** ﷺ، ثم قال الله عزّوجلّ لآدم ﷺ: أنظر ماذا ترىٰ؟ قال: فنظر آدم ﷺ إلىٰ ذرّيته وهم ذرّ قد ملأوا السماء، قال آدم ﷺ: ياربّ ما أكثر ذرّيتي ولأمر ما خلقتهم، فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم؟ قال الله تعالىٰ: يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ويؤمنون برسلي ويتّبعونهم.

قال آدم ﷺ: ياربّ فما لي أرىٰ بعض الذّر أعظم من بعض، وبعضهم له نور كثير، وبعضهم له نور قليل، وبعضهم ليس له نور؟ فقال الله جلّ وعزّ: كذلك خلقتهم لأبلوهم في كلّ حالاتهم.

قال آدم ﷺ: ياربّ فتأذن لي في الكلام فأتكلّم؟ قال الله جلّ وعزّ: تكلّم، فإنّ روحك من روحي وطبيعتك خلاف كينونتي[1].

قال آدم: ياربّ فلو كنت خلقتهم علىٰ كينونتي مثال واحد، وقدر واحد، وطبيعة واحدة، وجبلّة واحدة، وألوان واحدة، وأعمار واحدة، وأرزاق سواء، لم يبغ بعضهم علىٰ بعض، ولم يكن بينهم تحاسد ولا تباغض ولا اختلاف في شيء من الأشياء؟

قال الله عزّوجلّ: ياآدم، بروحي نطقت، وبضعف طبيعتك تكلّفت ما لا علم لك به. وأنا الخالق العليم بعلمي خالفت بين خلقهم، وبمشيئتي يمضي فيهم أمري، وإلىٰ تدبيري وتقديري صائرون، ولا تبديل لخلقي، إنّما خلقت الجنّ والإنس ليعبدوني. وخلقت الجنّة لمن عبدني وأطاعني منهم واتبع رسلي ولا أبالي، وخلقت النار لمن كفرني وعصاني ولم يتّبع رسلي ولا أبالي، وخلقتك وخلقت ذرّيتك من غير فاقة بي

---

١. في نسخة: من كينونتي.

إليك وإليهم، وإنّما خلقتك وخلقتهم لأبلوك وأبلوهم أيّكم أحسن عملاً في دار الدنيا في حياتكم وقبل مماتكم.

ولذلك خلقت الدنيا والآخرة والحياة والموت والطاعة والمعصية والجنّة والنار، وكذلك أردت في تقديري وتدبيري، وبعلمي النافذ فيهم خالفت بين صورهم، وأجسامهم، وألوانهم، وأعمارهم، وأرزاقهم، وطاعتهم، ومعصيتهم، فجعلت منهم الشقي والسعيد، والبصير، والأعمىٰ، والقصير، والطويل، والجميل، والدميم، والعالم، والجاهل، والغني، والفقير، والمطيع، والعاصي، والصحيح، والسقيم، ومن به الزمانة، ومن لا عاهة به.

فينظر الصحيح إلىٰ الذي به العاهة، فيحمدني علىٰ عافيته، وينظر الذي به العاهة إلىٰ الصحيح، فيدعوني ويسألني أن أُعافيه، ويصبر علىٰ بلائي فأُثيبه جزيل عطائي، وينظر الغني إلىٰ الفقير فيحمدني ويشكرني، وينظر الفقير إلىٰ الغنيّ فيدعوني ويسألني، وينظر المؤمن إلىٰ الكافر فيحمدني علىٰ ما هديته.

فلذلك خلقتهم لأبلوهم في السرّاء والضرّاء، وفيما أُعافيهم، وفيما أبتليهم، وفيما أعطيهم، وفيما أمنعهم، وأنا الله الملك القادر، ولي أن أمضي جميع ما قدّرت علىٰ ما دبّرت، ولي أن أُغيّر من ذلك ما شئت إلىٰ ما شئت، وأُقدّم من ذلك ما أخّرت، وأُؤخّر من ذلك ما قدّمت، وأنا الله الفعّال لما أُريد، لا أُسأل عما أفعل، وأنا أسأل خلقي عمّا هم فاعلون»[1].

◁ **بيان**

إنما «ملأوا السماء» لأن الملكوت إنّما هو في باطن السماء، وقد ملأوه وكانوا يومئذ ملكوتيّين كما عرفت، وأمّا السرّ في تفاوت الخلائق في الخيرات والشرور واختلافهم في السعادة والشقاوة، فسيأتي بيانه في باب السعادة والشقاوة إن شاء الله تعالىٰ.

❖ ❖ ❖

---

١. الكافي ٢: ٨ / ٢.

باب
العرش والكرسي

[٢٥٦] ١. الكافي: سأل الجاثليق[١] أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أخبرني عن الله تعالىٰ يحمل العرش أم العرش يحمله؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الله حامل العرش والسموات والأرض وما فيهما وما بينهما، وذلك قوله: ﴿إنّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنّه كان حليماً غفوراً﴾[٢]».

قال فأخبرني عن قوله: ﴿ويحمل عرش ربّك فوقهم يومئذ ثمانية﴾[٣] فكيف قال ذاك، وقلت: أنّه يحمل العرش والسموات والأرض؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ العرش خلقه الله من أنوار أربعة: نور أحمر منه احمرّت الحمرة، ونور أخضر منه أخضرّت الخضرة، ونور أصفر منه اصفرّت الصفرة، ونور أبيض منه البياض، وهو العلم الذي حمّله الله الحملة، وذلك نور من عظمته، فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغىٰ من في والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة والأديان المشتبهة[٤]، فكلّ محمول يحمله الله بنوره وعظمته وقدرته لا يستطيع لنفسه ضرّاً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فكلّ شيء محمول، والله تبارك وتعالىٰ الممسك لهما أن تزولا، والمحيط بهما من شيء، وهو حياة كلّ شيء، ونور كلّ شيء، سبحانه وتعالىٰ عمّا يقولون علوّاً كبيراً».

قال له: فأخبرني عن الله عزّوجلّ أين هو؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «هو هاهنا وهاهنا وفوق وتحت ومحيط بنا ومعنا، وهو قوله: ﴿ما يكون من نجوىٰ ثلاثة إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ولا أدنىٰ من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أينما كانوا﴾[٥]، فالكرسي محيط

---

١. الجاثليق مُقدَّم الأساقفة، عند بعض الطوائف المسيحية الشرقية.
٢. الحاقة (٦٩): ١٧.
٣. فاطر (٣٥): ٤١.
٤. في نسخة: المتشتّتة.
٥. المجادلة (٥٨): ٧.

بالسموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرىٰ، وإن تجهر بالقول فإنّه يعلم السر وأخفىٰ وذلك قوله: ﴿**وسع كرسيّه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم**﴾[١] فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حمّلهم الله علمه، وليس يخرج عن هذه الأربعة شيء خلق الله في ملكوته، وهو الملكوت الذي أراه الله أصفياءه وأراه خليله علىٰ نبيّنا وعليه السلام، فقال: ﴿**وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين**﴾[٢] وكيف يحمل حملة العرش الله، وبحياته حييت قلوبهم، وبنوره اهتدوا إلىٰ معرفته؟»[٣].

بيان

قد يراد بالعرش الجسم المحيط بجميع الأجسام، وقد يراد به ذلك الجسم مع جميع ما فيه من الأجسام ـ أعني العالم الجسماني بتمامه ـ وقد يراد ذاك المجموع مع جميع ما يتوسّط بينه وبين الله سبحانه من الأرواح والعقول التي لا تتقوّم الأجسام إلّا بها ـ أعني العوالم كلّها. بملكها وملكوتها وجبروتها، وبالجملة ما سوىٰ الله عزّ وجلّ ـ وقد يراد به علم الله تعالىٰ المتعلّق بما سواه، وقد يراد به علم الله الذي أطلع عليه أنبياءه ورسله وحججه صلوات الله عليهم خاصة، وهو الذي فسّر به في هذا الحديث وما بعده، وقد وقعت الإشارة إلىٰ كلّ منها في كلامهم عليهم السلام.

وعن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن العرش والكرسيّ ما هما؟ فقال: «**العرش في وجه هو جملة الخلق، والكرسيّ وعاؤه، وفي وجه آخر العرش هو العلم الذي أطلع الله عليه أنبياءه ورسله وحججه عليهم السلام، والكرسيّ هو العلم الذي لم يطلع عليه أحداً من أنبيائه ورسله وحججه عليهم السلام، وكان جملة الخلق عبارة عن مجموع العالم الجسماني، ووعاؤه عن عالمي الملكوت والجبروت، لاستقراره عليهما وقيامه بهما**»[٤].

وسيأتي تمام الكلام في الكرسيّ إن شاء الله تعالىٰ، وقد ثبت أنّ العلم والمعلوم متّحدان بالذات متغايران بالاعتبار، فمعاني العرش كلّها متقاربة، وقوائمه عبارة عن أركان العالم، أعني ما كان بناء الخلق عليه، وقد مرّ منّا الإشارة إليها وإلىٰ الموكّلين بها في باب الأسماء، وجملته عبارة عن الأرواح الموكّلة بتدبيره علىٰ

---

١. البقرة (٢): ٢٥٥.
٢. الأنعام (٦): ٧٥.
٣. الكافي ١: ١/١٢٩.
٤. البحار ٥٨: ٤٧/٢٨.

المعاني الأُول. وعن جملة العلم على الأخيرين، ويأتي شرحها إن شاء الله تعالى.

والأنوار الأربعة هي الجواهر القدسية العقليّة التي هي وسائط جوده تعالى. وألوانها كناية عن اختلاف أنواعها الذي هو سبب اختلاف الأنواع الرباعية في هذا العالم الحسّي كالعناصر وا. خلاط وأجناس الحيوانات، أعني الانسان والبهائم والسّباع، والصور ومراتب الانسان، أعني الطبع والنفس الحساسة والنفس المتخيّلة والعقل، وأجناس المولّدات كالمعدن والنبات والحيوان والإنسان.

وضمير (هو) في قوله ﷺ: «وهو العلم» راجع إلى العرش، فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين؛ لأن بنور العقل يكون إبصار القلوب. وبهما عاداد الجاهلون؛ لأن الجهل منشؤه الظلمة التي هي ضدّ النور، والمعاداة إنما تكون بين الضدّين، وبهما تبتغي الوسيلة إلى الله؛ لأنّ كلّ شيء يرجع إلى أصله وغايته اللذين منهما نشوؤه ويطلبهما ويتوسل بهما إلى الله، عزّوجلّ ومنشأ كلّ شيء النور المخلوق أولاً من نور العظمة، كما مرّ بيانه.

[٢٥٧] ٢. الكافي: عن الصادق ﷺ في قول الله تعالى: ﴿وكان عرشه على الماء﴾[1] قال: «ما يقولون؟» قيل: يقولون: إن العرش كان على الماء، والربّ فوقه، فقال: «كذبوا، من زعم هذا فقد صيّر الله تعالى محمولاً، ووصفه بصفة المخلوق، ولزمه أنّ الشيء الذي يحمله أقوى منه».

قيل: بيّن لي جعلت فداك فقال: «إن الله حمّل دينه وعلمه الماء قبل أن تكون أرض أو سماء أو جنّ أو إنس أو شمس أو قمر، فلما أراد أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه. فقال لهم: مَن ربّكم؟ فأوّل من نطق رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين والأئمة صلوات الله عليهم، فقالوا: أنت ربّنا، فحمّلهم العلم والدين، ثمّ قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني[2] في خلقي وهو المسؤولون، ثم قال لبني آدم: أقِرّوا لله بالربوبية وعلمي وأُمنائي ولهؤلاء النّفر بالولاية والطاعة، فقالوا: نعم ربّنا أقررنا، فقال الله للملائكة: اشهدوا. فقالت الملائكة: شهدنا على أن لا يقولوا غداً: إنّا كنّا عن هذا غافلين، أو يقولوا: إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنّا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون» ثم قال: «ولايتنا مؤكّدة عليهم في الميثاق»[3].

---

١. هود (١١): ٨.

٢. في نسخة: أمانتي.

٣. الكافي ١: ١٣٣ / ٧.

◁ **بيان**

قد يراد بالماء المادة الجسمانية التي خلق منها الجهل وجنوده والنار، ويوصف بالاجاج كما مرّ في كتاب العقل والجهل، وكما مرّ في الباب السابق: «وكن ملحاً أُجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي»، وقد يراد به ما خلق منه الأصفياء والجنة باعتبار قبوله الكمالات من الله سبحانه بإفاضته عليه، ويوصف بالعذب كما مرّ في الباب السابق: «كن ماءً عذباً أخلق منك جنتي وأهل طاعتي» وهو المراد به هاهنا، وقبليّة حمل الدين والعلم إياه على الموجودات المذكورة قبليّة بالذات والمرتبة لا بالزمان، وهي أقوى وأشدّ لأنها بعلاقة ذاتية.

«نثرهم» أي نثر ماهياتهم وحقائقهم بين يدي علمه، فاستنطق الحقائق بألسنة قابليات جواهرها وألسن استعدادات ذواتها، كما مرّ بيانه في الباب السابق.

[٢٥٨] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «حملة العرش ـ والعرش العلم ـ ثمانية: أربعة منّا، وأربعة ممّن شاء الله»[١].

◁ **بيان**

«منّا» أي من أهل البيت عليهم السلام «ممّن شاء الله» كنّي به عمّن تقدّمهم من الأنبياء عليهم السلام.

وعن الكاظم عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة كان حملة العرش ثمانية، أربعة من الأولين: نوح، و إبراهيم، و موسىٰ، و عيسىٰ عليهم السلام، وأربعة من الآخرين: محمّد. وعليّ، والحسن، والحسين عليهم السلام»[٢].

وفي (اعتقادات الشيخ الصدوق رحمه الله) فأمّا العرش الذي هو جملة الخلق فحملته أربعة من الملائكة، لكلّ واحد منهم ثماني أعين، كلّ عين طباق الدنيا، واحد منهم على صورة بني آدم يسترزق الله لولد آدم، والآخر على صورة الثور يسترزق الله للبهائم كلّها، والآخر على صورة الأسد يسترزق الله للسباع، والآخر على صورة الديك يسترزق الله للطيور، فهم اليوم هؤلاء الأربعة، وإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية، وأمّا العرش الذي هو العلم؛ فحملته أربعة من الأولين، وأربعة من الآخرين، فأمّا الأربعة من الأولين: فنوح، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ عليهم السلام، وأمّا الأربعة من الآخرين: فمحمّد، وعليّ، والحسن، والحسين عليهم السلام. هكذا روي

---

١. الكافي ١: ١٣٢/ ٦.

٢. الخصال (٢): ٤٠٧.

بالأسانيد الصحيحة عن الأئمة عليهم السلام في العرش وحملته،[١] انتهى كلامه طاب ثراه.

ويشبه أن يكون الملائكة كناية عن أرباب الأنواع العقلية على ما رآه طائفة من الحكماء، وتكون أربعة في جانب البدو والنشأة الأولى، وهي التي ذكر تفصيلها. وأنها على صور تلك الأنواع، تربّيها وتفيض عليها ما تحتاج إليه. وتصير ثمانية في جانب العود والنشأة الأخرى التي يصير إليها الأنواع بعد تحصيل كمالاتها في هذه النشأة، وهي هناك حملة العلم، وأعينها كناية عن أصناف علومها بما تحتاج إليه في تربية الأنواع، فإنّ بالعلم يبصر العالم، كما أنّ بالعين يبصر الرائي، وعددها مطابق لعدد حملة العلم، كأنها تبصر بعلومهم، إذ لكلّ منهم علم وكمال خاصّ يقتضيها المزاج الخاص و«طباقها الدنيا» عبارة عن شمول علمها وتدبيرها جميع جزئيات تلك الأنواع.

[٢٥٩] ٤. الكافي: عنه عليه السلام سئل عن قول الله سبحانه: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾[٢]، السموات والأرض وسعن الكرسيّ، أم الكرسيّ وسع السموات والأرض؟ فقال: «بل الكرسيّ وسع السموات والأرض والعرش، وكلّ شيء وسع الكرسيّ»[٣].

وفي رواية: «كلّ شيء في الكرسيّ»[٤].

◁ بيان

كأنّ المراد بالكرسي في هذا الحديث هو العلم، ويؤيّد هذا ما رواه الصدوق طاب ثراه في توحيده» بإسناده عن الصادق عليه السلام في قول الله عزّوجلّ **﴿وسع كرسيّه السموات والأرض﴾**[٥] قال: «علمه»[٦].

وقد يراد بالكرسي: الجسم الذي تحت العرش بالمعنى الأول الذي دونه السموات والأرض لاحتوائه عليهما، كأنّه مستقرّهما، والعرش فوقه كأنّه سقفه، وفي الحديث: «ما السموات والأرضون السبع مع الكرسي إلّا كحلقة ملقاة في

---

١. الاعتقادات: ١٣ / ٤٥.
٢. البقرة(٢): ٢٥٥.
٣. الكافي ١: ١٣٢ / ٤.
٤. الكافي ١: ١٣٢ / ٣.
٥. البقره (٢): ٢٥٥.
٦. التوحيد: ١/٣٢٧.

فلاة، وفضل العرش علىٰ الكرسيّ كفضل تلك الفلاة علىٰ تلك الحلقة»[١].

وقد يراد به وعاء العرش، كما مرّ في الحديث، وكأنه أُشير به إلىٰ العلم، أو إلىٰ عالمي الملكوت والجبروت، لاستقرار مجموع العالم الجسماني الذي يعبّر عنه بالعرش عليهما وقيامه بهما، وقد يراد به العلم الذي لم يطلع عليه سوىٰ الله سبحانه، وقد مضىٰ أيضاً في الحديث.

وقد يجعل الكرسيّ كناية عن الملك لأنه مستقرّ الملك، وقد يقال إنّه تصوير لعظمته تعالىٰ، وتخييل بتمثيل حسيّ، ولا كرسيّ ولا قعود ولا قاعد، كقوله سبحانه: ﴿**والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه**﴾[٢] وهذا مسلك الظاهريين، وما قلناه أولاً مسلك الراسخين في العلم.

❖ ❖ ❖

باب

بدء خلق الأجسام وترتيبه

[٢٦٠] ١. الكافي: جاء إلىٰ أبي جعفر عليه السلام رجل من أهل الشام من علمائهم، فقال: يا أبا جعفر، جئتك أسألك عن مسألة قد أعيت عليّ أن أجد أحداً يفسّرها، وقد سألت عنها ثلاثة أصناف من الناس، فقال كلّ صنف منهم شيئاً غير الذي قال الصنف الآخر. فقال له أبو جعفر عليه السلام: «ما ذاك؟» قال: فاني أسألك عن أول ما خلق الله من خلقه، فإنّ بعض من سألته قال: القدر، وقال بعضهم: القلم، وقال بعضهم: الروح. فقال أبو جعفر عليه السلام: «ما قالوا شيئاً، أخبرك أنّ الله تعالىٰ كان ولا شيء غيره، وكان عزيزاً ولا أحد كان قبل عزّه، وذلك قوله سبحانه: ﴿سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون﴾[٣] وكان الخالق قبل المخلوق، ولو كان أول ما خلق من خلقه الشيء من الشيء إذن لم يكن له انقطاع أبداً، ولم يزل الله إذاً ومعه شيء ليس هو يتقدّمه، ولكنّه كان إذ لا شيء غيره، وخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه، وهو الماء الذي خلق الأشياء منه، فجعل نسب كلّ شيء إلىٰ الماء، ولم يجعل للماء نسباً يضاف إليه.

---

١. تفسير العياشي ١: ١٥٨ ـ ٤٥٦.
٢. الزمر (٣٩): ٦٧.
٣. الصافات (٣٧): ١٨٠.

وخلق الريح علىٰ الماء، فشقّقت الريح متن الماء حتىٰ ثار من الماء زبد علىٰ قدر ما شاء أن يثور، فخلق من ذلك الزَّبد أرضاً بيضاء نقيّة ليس فيها صدع ولا نقب ولا صعود ولا هبوط ولا شجرة، ثم طواها فوضعها فوق الماء.

ثم خلق الله النار من الماء، فشققت النار متن الماء حتىٰ ثار من الماء دخان علىٰ قدر ما شاء الله أن يثور، فخلق من ذلك الدخان سماءً صافيةً نقيةً ليس فيها صدع ولا نقب، وذلك قوله: **﴿السماء بناها * رفع سمكها فسّواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها﴾**[1] قال: ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا سحاب، ثم طواها فوضعها فوق الأرض، ثم نسب الخليقتين فرفع السماء قبل الأرض، فذلك قوله عزّ ذكره: **﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾**[2] يقول: بسطها».

فقال له الشامي: يا أبا جعفر، قول الله تعالىٰ: ﴿أو لم يَر الذين كفروا أنّ السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما﴾[3]**؟ فقال له أبو جعفر عليه السلام: «فلعلّك تزعم أنهما كانتا رتقاً ملتزقتان ملتصقتان، ففتقت أحداهما من الأُخرىٰ؟» فقال: نعم. فقال أبو جعفر عليه السلام: «استغفر ربّك، فإنّ قول الله** عزّوجلّ (كانتا رتقاً) يقول: كانت السماء رتقاً لا تنزل المطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت الحبّ، فلمّا خلق الله سبحانه الخلق وبثّ فيها من كلّ دابّة، فتق السماء بالمطر، والأرض بنبات الحبّ». **فقال الشامي: أشهد أنّك من ولد الأنبياء وأنّ علمك علمهم**[4].

◁ **بيان** ·

لعلّه أشار بالماء الذي خلق الأشياء منه إلىٰ المادة التي خلق منها الأشياء بإفاضة الصور عليها، وإنّما سمّاها الماء لقبولها التشكيلات[5] بسهولة، وإنّما جعلها أوّل ما خلق مع أنّها متأخّرة عن الصورة في الوجود لثباتها علىٰ حالها مع توارد الصور عليها، فهي من هذا الوجه متقدّمة علىٰ جميع الصور، وإنّما جعلها أولاً مع أنّ خلق الأرواح متقدّم علىٰ خلق الأجسام؛ لأن السائل إنّما سأل عن أوّل ما خلق من عالم الخلق دون الأمر، كما كان ظاهراً من حاله ومبلغ علمه وسؤاله.

---

١. النازعات (٧٩): ٢٧ ـ ٢٩.
٢. النازعات (٧٩): ٣٠
٣. الأنبياء (٢١): ٢٩.
٤. الكافي ٨: ٩٤/ ٦٧.
٥. في نسخة: التشكّلات.

قوله: «فجعل نسب كل شيء إلىٰ الماء» ناظر إلىٰ قوله عزّ وجلّ: ﴿وجعلنا من الماء كلّ شيء حي﴾[١] والريح إشارة إلىٰ ما يفيض من عالم الأمر إلىٰ عالم الخلق آنا فآناً، وإنما سمّاه ريحاً لوقوعه دفعة من غير زمان، فكان أنسب ممّا يشبّه به من الأجسام في السرعة والنفوذ هو الريح لكونها أسرع الأجسام حركة.

ولك أن تحمل الماء والريح علىٰ معنييهما المتعارف من دون تأويل؛ لأنّ المادة لا تخلو قطّ من صورة، إلّا أنه ينبغي أن تعلم أنّ القابل من الماء لأن يخلق منه شيء آخر إنّما هو مادّته دون صورته، فتدبر.

وعلىٰ هذا فالوجه في اختيار الماء والريح للتقديم من بين العناصر توسطهما بينها، فهما أشدّ قبولاً لأن يخلق منهما الطرفان جميعاً من أحد الطرفين لأن يخلق منه الآخر، وكذا القول في تقديم الماء علىٰ الريح، وتقديم الأربعة علىٰ السماء.

[٢٦١] ٢. الكافي: عنه ﷺ: «كان كلّ شيء ماءً، وكان عرشه علىٰ الماء، فأمر الله تعالىٰ الماء فاضطرم ناراً، ثم أمر النار فخمدت، فارتفع من خمودها دخان، فخلق الله السموات من ذلك الدخان، وخلق الأرض من الرماد، ثم اختصم الماء والنار والريح، فقال الماء: أنا جند الله الأكبر، وقالت الريح: أنا جند الله الأكبر، وقالت النار: أنا جند الله الأكبر. فأوحىٰ الله إلىٰ الريح: أنت جندي الأكبر»[٢].

◁ **بيان**

أُريد بالعرش هنا مجموع العالم، ولا يخفىٰ بناؤه علىٰ المخلوق الأول.

[٢٦٢] ٣. الكافي: سئل الصادق ﷺ **عن الأرض علىٰ أيّ شيء هي؟ قال:** «هي علىٰ حوت»، **قيل: فالحوت علىٰ أي شيء هي؟ قال:** «علىٰ الماء»، **قيل: فالماء علىٰ أي شيء هو؟ قال:** «علىٰ صخرة»، **قيل: فعلىٰ أيّ شيء الصخرة؟ قال:** «علىٰ قرن ثور أملس»، **قيل: فعلىٰ أيّ شيء الثور؟ قال:** «علىٰ الثرىٰ»، **قيل: فعلىٰ أيّ شيء الثرىٰ؟ فقال:** «هيهات، عند ذلك ضلّ علم العلماء»[٣].

---

١. الأنبياء (٢١): ٣٠.
٢. الكافي ٨: ٩٥ / ٦٨.
٣. الكافي ٨: ٨٩ / ٥٥.

◁ **بيان**

في هذا الحديث رموز، وإنما يحلّها من كان من أهلها.

[٢٦٣] ٤. الكافي: عن الباقر ﷺ: «إنّ الله خلق الجنة قبل أن يخلق النار، وخلق الطاعة قبل أن يخلق المعصية؛ وخلق الرّحمة قبل الغضب، وخلق الخير قبل الشرّ، وخلق الأرض قبل السّماء، وخلق الحياة قبل الموت، وخلق الشمس قبل القمر، وخلق النور قبل الظلمة»[١].

◁ **بيان**

إنّما خلقت الجنّة قبل النار لأن الجنّة إنما خلقت من الطاعة، والنار من المعصية. والطاعة قبل المعصية لأنّ الطاعة قبول الأمر، والمعصية ترك قبوله. فلابدّ من قبول ليترك، ومثله القول في قبليّة الرحمة على الغضب. والخير على الشرّ. فإنّ الغضب والشر إنّما يرجعان إلى العدم كما حقّقناه في كتاب «عين اليقين»، وأمّا قبليّة خلق الأرض على السماء فلما مرّ، والسرّ فيه تقدّم المركز على المحيط بالطبع؛ لأنّ المحيط إنّما يتحدّد بالمركز ولاستحالة الخلاء، وأمّا قبليّة الحياة على الموت، فلأنّ الموت عدم الحياة عمّا من شأنه أن يكون حيّاً، وأمّا قبليّة الشمس على القمر فلاستفادة نوره منها، وأمّا قبليّة النور على الظلمة فلأنّ الظلمة عدم النور عمّا من شأنه أن يكون منيراً.

[٢٦٤] ٥. الكافي: عن الصادق ﷺ: «إنّ الله خلق الخير يوم الأحد، وما كان ليخلق الشرّ قبل الخير، وفي الأحد والاثنين خلق الأرضين، وخلق أقواتها يوم الثلاثاء، وخلق السموات يوم الأربعاء ويوم الخميس، وخلق أقواتها يوم الجمعة، وذلك قوله تعالى: **﴿خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾**»[٢].

◁ **بيان**

إن قيل: إنّ الأيام إنّما تتقدّر وتتمايز بحركة الفلك، فكيف خلقت السموات في الأيام المتمايزة قبل تمايزها؟

---

١. الكافي ٨: ١٤٥/ ١١٦.

٢. الكافي ٨: ١٤٥/ ١١٧.

قلنا: مناط تمايز الأيام إنّما هو حركة الفلك الأعلىٰ دون السموات السبع، والمخلوق في الأيام المتمايزة إنما هو السموات السبع والأرض وما بينهما دون ما فوقهما، ولا يلزم من ذلك خلاء لتقدّم الماء الذي خلق منه الجميع علىٰ الجميع.

قال بعض أهل العلم: خلق الله الزمان مستديراً والأوقات فيه مقدّرة، وذلك أنّ الله خلق الفلك الأطلس ودار، ولم يتعيّن اليوم، ولا ظهر له عين؛ لأنّه كماء الكوز في النهر قبل أن يكون في الكوز، فلمّا فرض الله فيه الاثني عشر فرضاً، ووقف شخص يجري عليه ذلك الفلك، وجعل لهذا الشخص بصر، عاين به تلك الفروض وميّز بعضها عن بعض بعلامات جعلت فيها، فلما غاب عنه ما عيّنها، ثم ما برح حتىٰ عاد إليه مرة أخرىٰ، علم أنّ الفلك قد دار دورة واحدة، فسمىٰ تلك الدورة يوماً، ثم بعد ذلك خلق له كوكباً نيّراً سمّاه شمساً، وطلع له في نظره من خلف حجاب الأرض، فما زال يتبع بصره حركة ذلك الكوكب إلىٰ أن غاب عنه جرمه فسمّىٰ ذلك نهاراً، ثم ما زال في ظلمة إلىٰ أن طلع ذلك الكوكب، فسمّىٰ هذا ليلاً، فكان اليوم مجموع الليل والنهار، فتبين أنّ الليل والنهار واليوم والشهر والسنة لا وجود له في عينه، وأنّ ذلك نسب وإضافات، وأنّ الموجود إنّما هو عين الكوكب والفلك، لا عين الوقت والزمان، فالزمان عبارة عن أمر متوهّم فرض فيه هذه الأوقات.

❖ ❖ ❖

باب
أصناف الخلق

[٢٦٥] ١. الكافي: قيل للصادق ﷺ: هذه قبّة آدم ﷺ؟ قال: «نعم، ولله قباب كثيرة، ألا إن خلف مغربكم هذا تسعة وثلاثين مغرباً، أرضاً بيضاء مملوءة خلقاً يستضيئون بنوره، لم يعصوا الله عزّوجلّ طرفة عين، ما يدرون خلق آدم أم لم يخلق، يبرأون من فلان وفلان»[1].

◁ **بيان**

كان ذلك إشارة إلىٰ عالم المثال، فإنّه عالم نورانيّ نوره من نفسه، ولذا

---

١. الكافي ٨: ٢٣١ / ٣٠١.

قال: «يستضيئون بنوره»، أي بنور ذلك العالم، وفي حديث آخر: «أرضاً بيضاء ضوؤها منها»[١].

«وفلان وفلان» كناية عن الأولين، وإنّما يبرأون منهما لأنّهم مجبولون على الخير، فلا محالة يبرأون من منبع الشرّ.

ونقل عن الحكماء الأقدمين: أنّ في الوجود عالماً مقدارياً غير العالم الحسي لا تتناهى عجائبه، ولا تحصى مدنه، من جملة تلك المدن جابلقا وجابرصا، وهما مدينتان عظيمتان لكلّ منهما ألف باب لا يحصى ما فيهما من الخلائق.

[٢٦٦] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «ليس خلق أكثر من الملائكة، إنّه لينزل كلّ ليلة من السماء سبعون ألف ملك فيطوفون بالبيت الحرام ليلتهم وكذلك في كلّ يوم»[٢].

[٢٦٧] ٣. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «الملائكة على ثلاثة أجزاء: جزء له جناحان، وجزء له ثلاثة أجنحة، وجزء له أربعة أجنحة»[٣].

◁ **بيان**

لعلّه لم يرد به الحصر في هذه الأعداد، لما روي عنه صلى الله عليه وآله: «أنّه رأى جبرئيل ليلة المعراج وله ستّمائة ألف جناح»[٤] وكأنّه إلى ذلك أُشير بقوله تعالى بعد قوله: ﴿مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء﴾[٥].

[٢٦٨] ٤. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّ في الجنة نهراً يغتمس فيه جبرئيل عليه السلام كلّ غداة، ثم يخرج منه فينتفض، فيخلق الله تعالى من كلّ قطرة تقطر منه ملكاً»[٦].

[٢٦٩] ٥. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ لله تعالى ملكاً ما بين شحمة أُذنه إلى عاتقه مسيرة خمسمائة عام خفقان الطير»[٧].

---

١. بحارالانوار ٣٠: ١٩٦/ ٣٠.
٢. الكافي ٨: ٢٧٢/ ٤٠٢.
٣. الكافي ٨: ٢٧٢/ ٤٠٣.
٤. بحارالانوار ٥٦: ١٥٥/ ٢٣.
٥. فاطر (٣٥): ١.
٦. الكافي ٨: ٢٧٢/ ٤٠٤.
٧. الكافي ٨: ٢٧٢/ ٤٠٥.

[٢٧٠] ٦. الكافي: عنه عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾[١] قال: «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، لم يكن مع أحد ممّن مضىٰ غير محمّد صلى الله عليه وآله، وهو مع الأئمّة يسدّدهم، وليس كلّما طلب وجد»[٢].

[٢٧١] ٧. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّ لله تعالىٰ ديكاً، رجلاه في الأرض السابعة، وعنقه مثبتة تحت العرش، وجناحاه في الهواء، إذا كان في نصف الليل أو الثلث الباقي من آخر الليل ضرب بجناحيه وصاح وقال: سبّوح قدّوس ربّنا الله الملك الحق المبين فلا إله غيره ربّ الملائكة والروح، فتضرب الديكة بأجنحتها وتصيح»[٣].

[٢٧٢] ٨. الكافي: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الخلق، فقال: «خلق الله ألفاً ومائتين في البرّ، وألفاً ومائتين في البحر، وأجناس بني آدم سبعون جنساً، والناس ولد آدم ما خلا يأجوج ومأجوج»[٤].

[٢٧٣] ٩. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «ما خلق الله تعالىٰ خلقاً أصغر من البعوض، والجرجس أصغر من البعوض، والذي نسميّه [نحن] الولع أصغر من الجرجس، و ما في الفيل شيء إلّا وفيه مثله، وفضل علىٰ الفيل بالجناحين»[٥].

❖ ❖ ❖

باب

سعة العالم وغلبة بعض المخلوقات علىٰ بعض

[٢٧٤] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «جاءت زينب العطّارة الحولاء إلىٰ نساء النبيّ صلى الله عليه وآله وبناته وكانت تبيع منهنّ العِطر، فجاء النبيّ صلى الله عليه وآله وهي عندهنّ، فقال: إذا أتَيْتِنا طابت بيوتنا، فقالت: بيوتك بريحك أطيب يارسول الله، قال: إذا بعت فأحسني ولا تغشّي، فإنّه أتقىٰ وأبقىٰ للمال.

---

١. الإسراء (١٧): ٨٥.
٢. الكافي ١: ٢٧٣ / ٤.
٣. الكافي ٨: ٢٧٢ / ٤٠٦.
٤. الكافي ٨: ٢٢٠ / ٢٧٤.
٥. الكافي ٨: ٢٤٨ / ٣٤٨.

فقالت: يارسول الله، ما أتيت بشيء من بيعي، وإنّما أتيت أسألك عن عظمة الله، فقال: جلّ جلال الله، سأحدّثك عن بعض ذلك، ثم قال: إنّ هذه الأرض بمن عليها عند التي تحتها كحلقة ملقاة في فلاة قيّ[١] وهاتان بمن فيهما ومن عليهما عند التي تحتهما كحلقة ملقاة في فلاة قيّ، والثالثة، حتىٰ إنتهىٰ إلىٰ السابعة، وتلا هذه الآية: ﴿**خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن**﴾[٢] والسبع الأرضين بمن فيهنّ ومن عليهنّ علىٰ ظهر الديك كحلقة ملقاة في فلاة قيّ.

والدّيك له جناحان: جناح في المشرق، وجناح في المغرب، ورجلاه في التخوم، والسبع والديك بمن فيه ومن عليه علىٰ الصخرة كحلقة ملقاة في فلاة قيّ، والصخرة بمن فيها ومن عليها علىٰ ظهر الحوت كحلقة ملقاة في فلاة قيّ، والسبع والديك والصخرة والحوت بمن فيه ومن عليه علىٰ البحر المظلم كحلقة ملقاة في فلاة قيّ، والسبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم علىٰ الهواء الذاهب كحلقة ملقاة في فلاة قيّ، والسبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم والهواء علىٰ الثرىٰ كحلقة في فلاة قيّ، ثم تلا هذه الآية: ﴿**له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرىٰ**﴾[٣].

ثم انقطع الخبر عند الثرىٰ والسبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم والهواء والثرىٰ بمن فيه ومن عليه عند السماء الأُولىٰ كحلقة ملقاة في فلاة قيّ، وهذا كلّه والسماء الدنيا بمن عليها ومن فيها عند التي فوقها كحلقة في فلاة قيّ، وهاتان السماءان ومن فيهما ومن عليهما عند التي فوقهما كحلقة في فلاة قيّ، وهذه الثلاثة بمن فيهنّ ومن عليهنّ عند الرابعة كحلقة في فلاة قيّ، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ السابعة، وهنّ ومن فيهنّ ومن عليهن عند البحر المكفوف عند أهل الأرض كحلقة في فلاة قيّ، وهذه السبع والبحر المكفوف عند جبال البَرَد كحلقة في فلاة قيّ، وتلا هذه الآية: ﴿**وينزّل من السماء من جبال فيها من برد**﴾[٤].

---

١. القيّ ـ بالكسر والتشديد ـ فعل من القواء وهي الأرض القفر الخالية.
٢. الطلاق (٦٥): ١٢.
٣. طه (٢٠): ٦.
٤. النور (٢٤): ٤٣.

وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد عند الهواء الذي تحار فيه القلوب كحلقة في فلاة قيّ، وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهواء عند حجب النور كحلقة في فلاة قيّ، وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهواء وحجب النور عند الكرسيّ كحلقة في فلاة قيّ، ثم تلا هذه الآية: ﴿وسع كرسيّه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾[1] وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهواء وحجب النور والكرسي عند العرش كحلقة في فلاة قيّ، وتلا هذه الآية: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[2]».[3]

وفي رواية: «الحجب قبل الهواء الذي تحار فيه القلوب»[4].

◁ بيان

«القيّ» بالكسر والتشديد: الأرض القفر الخالية، ولعلّ التشبيه بالحلقة إشارة إلى كرويّتها وإحاطتها، وبالفلاة إلى سعتها، وفي هذا الحديث من الرموز والإشارات ما لا يبلغ علمنا إلى حلّه، ولعلّ الله يرزقنا من فضله، وما ذلك على الله بعزيز.

[٢٧٥] ٢. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «ما خلق الله تعالى خلقاً إلّا وقد أمّر عليه آخر يغلبه فيه، وذلك أنّ الله تعالى لمّا خلق البحار السفلى فخرّت وزخرت، وقالت: أيّ شيء يغلبني؟! فخلق الأرض فسطحها على ظهرها فذلّت، ثم إنّ الأرض فخرت: وقالت: أيّ شيء يغلبني؟! فخلق الجبال فأثبتها على ظهرها أوتاداً من أن تميد بما عليها فذلّت الأرض واستقرّت، ثم إنّ الجبال فخرت على الأرض فشمخت واستطالت، وقالت: أي شيء يغلبني؟! فخلق الحديد فقطعها، فقرّت الجبال وذلّت، ثم إنّ الحديد فخر على الجبال وقال: أيّ شيء يغلبني؟! فخلق النار، فأذابت الحديد، فذلّ الحديد.

ثم إنّ النار زفرت وشهقت وفخرت وقالت: أيّ شيء يغلبني؟! فخلق الماء فأطفاها فذلّت، ثم إنّ الماء فخر وزخر وقال: أي شيء يغلبني؟! فخلق الريح فحركت أمواجه وأثارت ما في قعره وحبسته عن مجاريه، فذلّ الماء، ثم إنّ الريح فخرت وعصفت

---

١. البقرة (٢): ٢٥٥.
٢. طه (٢٠): ٥.
٣. الكافي ٨: ١٥٣ / ١٤٣.
٤. الكافي ٨: ١٥٥ / ذيل ١٤٣.

وأرخت أذيالها، وقالت: أيّ شيء يغلبني؟! فخلق الانسان فبنىٰ واحتال واتّخذ ما يستتر به من الريح وغيرها فذلّت الريح.

ثم إنّ الانسان طغىٰ، وقال: من أشدّ منّي قوة؟! فخلق الله له الموت فقهره فذلّ الإنسان، ثم إنّ الموت فخر في نفسه فقال الله: لا تفخر، فإنّي ذابحك بين الفريقين أهل الجنة وأهل النار، ثم لا أُحييك أبداً فترجىٰ أو تخاف.

و قال أيضاً: والحلم يغلب الغضب، والرحمة تغلب السخط، والصدقة تغلب الخطيئة».

ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام: «وما أشبه هذا ممّا قد يغلب غيره»[1].

◁ **بيان**

«زخرت» أي امتدّت وارتفعت «تميد» تتحرّك «فشمخت» تكبّرت وارتفعت «وعصفت» اشتدّت «وأرخت أذيالها» أرسلتها كأنه كناية عن تجبّرها وعتوّها «وغيرها» أي نحو المطر والبرد والحرّ وكلّ ما يؤذي.

«فإنّي ذابحك» روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «يؤتىٰ بالموت كأنه كبش أملح، فينادى فيقال: ياأهل الجنة، هل تعرفون الموت؟ فينظرونه ويعرفونه، فيقال لأهل النار: هل تعرفون الموت؟ فينظرونه ويعرفونه، فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: ياأهل الجنة خلود بلا موت، وياأهل النار خلود بلا موت،فذلك قوله عزّوجلّ: ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر**﴾»[2].

❖ ❖ ❖

باب

الشمس والقمر والنجوم

[٢٧٦] ١. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ للشمس ثلاثمائة وستّين برجاً، كلّ برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب، فتنزل كلّ يوم علىٰ برج منها، فإذا غابت انتهت إلىٰ حدّ بطنان العرش، فلم تزل ساجدة إلىٰ الغد، ثم ترد إلىٰ موضع مطلعها ومعها ملكان

---

١. الكافي ٨: ١٤٨ / ١٢٩.

٢. البحار ٨: ٤/٣٤٦، والآية من سورة مريم ١٩: ٣٩.

يهتفان معها، وإنّ وجهها لأهل السماء، وقفاها لأهل الأرض، ولو كان وجهها لأهل الأرض لأحرقت الأرض ومن عليها من شدّة حرّها، ومعنىٰ سجودها ما قال تعالىٰ: **﴿ألم تر أنّ الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس﴾**[1].

◁ **بيان**

أُريد بالبرج ما يسمّىٰ عند أهل الحساب بالدرجة، وهي ما يحصل من تقسيم كلّ ما يسمّىٰ عندهم برجاً إلىٰ ثلاثين جزءاً، والتمثيل بجزيرة العرب لتبيان السعة و «بطنان العرش» وسطه فيكون مبالغة في البطن، أو دواخله فيكون جمع بطن، والسجود كناية عن الخضوع والانقياد كما فسّر في آخر الحديث وهي عبادتها الثابتة التي جعلت عليها وسخّرتها من الحركة الدوريّة الشوقيّة الكماليّة المعهودة لها. والملكان كنايتان عن سائقها وقائدها، فإنّ كلّ حركةٍ لابدّ فيها من جذب ودفع، وبعبارة أُخرىٰ من طلب وهرب. وبثالثة ممّا منه الحركة، وما إليه الحركة، أو نقول: كنايتان عن الأمر العقلي الذي يحرّك جرمها شوقاً وعشقاً، كتحريك المعلّم للمتعلّم، والأمر النفساني الذي يحرّك جرمها مزاولة ومباشرة، كتحريك الروح للبدن.

ولعلّ وجهها كناية عن روحانيتها، وقفاها عن جرمها، وكون وجهها إلىٰ السماء توجّهها بالذات إلىٰ ما فوقها في عبادتها لتكميل ذاتها، ولو كانت بروحانيتها إلى أهل الأرض بتلك العبادة العظيمة المجهدة التي لا تطيقها الأجرام، لكانت محرقة لها مفنية إيّاها من شدّة حرّها. فإنّ الروحانيّات إذا تجلّت للجسمانيات علىٰ ما هي عليها لاحترقت الجسمانيات من سبحات نورها.

[٢٧٧] ٢. الكافي: عن الباقر ﷺ قيل له: جعلت فداك، لأيّ شيء صارت الشمس أشدّ حرارة من القمر؟ قال: «إنّ الله تعالىٰ خلق الشمس من نور النار وصفو الماء، طبقاً من هذا وطبقاً من هذا، حتىٰ إذا كانت سبعة أطباق ألبسها لباساً من نار، فمن ثم صارت أشدّ حرارة من القمر» **قيل: جعلت فداك والقمر؟ فقال:** «إنّ الله تعالىٰ ذكره خلق القمر من ضوء نور النار وصفو الماء طبقاً من هذا، وطبقاً من هذا، حتىٰ إذا كانت سبعة أطباق ألبسها لباساً، من ماء،

---

١. الكافي ٨: ١٥٧ ـ ١٤٨ والآية من سورة الحج ٢٢: ١٨.

فمن ثم صار القمر أبرد من الشمس»[1].

◁ **بيان**

شبّه الصورة النوعية الشمسية بالنار حيث قال: «ألبسها لباساً من نار» لإضاءتها، وشبّه مادّتها بالماء لما مرّ بيانه، وعبّر عن صفاء صورتها بنور النار، وعن صفاء مادّتها بصفو الماء، وعن شدّة نورها وكونه أضعاف نور النار بالطبقات السبع.

وشبّه الصورة النوعية القمرية بالماء حيث قال: «ألبسها لباساً من ماء» لصقالتها، وشبّه مادّتها بالماء لما مرّ، وعبّر عن صفاء صورته بضوء نور النار؛ لأنّ نوره مستفاد من الشمس، وعن شدّته بالطبقات.

ولمّا كانت الكيفيات تابعة للصور، فرّع كلّاً من الحرارة والبرودة على ما شبّه الصورة به، هذا ما خطر بالبال في توجيه الحديث على قانون الحكمة. والعلم عندالله سبحانه.

[٢٧٨] ٣. الكافي، والفقيه: عن السجاد عليه السلام: «إنّ من الأقوات التي قدّرها الله للناس ممّا يحتاجون إليه، البحر الذي خلقه الله بين السماء والأرض.»

قال: «وإنّ الله قد قدّر فيها مجاري الشمس والقمر والنجوم والكواكب، وقدّر ذلك كلّه على الفلك، ثمّ وكّل بالفلك ملكاً ومعه سبعون ألف ملك، فهم يديرون الفلك، فإذا أداروه دارت الشمس والقمر والنجوم والكواكب معه، فنزلت في منازلها التي قدّرها الله فيها ليومها وليلتها، فإذا كثرت ذنوب العباد، وأراد الله تعالى أن يستعتبهم بآية من آياته، أمر الملك الموكّل بالفلك أن يزيل الفلك الذي عليه مجاري الشمس والقمر والنجوم والكواكب، فيأمر الملك أولئك السبعين ألف ملك أن يزيلوه عن مجاريه.»

قال: «فيزيلونه فتصير الشمس في ذلك البحر الذي يجري في الفلك، قال: فيطمس ضوؤها ويتغيّر لونها، فإذا أراد الله أن يعظم الآية طمس الشمس في البحر على ما يحب الله أن يخوّف خلقه بالآية».

قال: «وذلك عند انكساف الشمس» **قال:** «وكذلك يفعل بالقمر».

---

١. الكافي ٨: ٢٤١ / ٣٣٢.

قال: «فإذا أراد الله أن يجلّيها أو يردّها إلىٰ مجاريها، أمر الملك الموكّل بالفلك أن يردّ الفلك إلىٰ مجراه، فيردّ الفلك، فترجع الشمس إلىٰ مجراها» قال: «فتخرج من الماء وهي كدرة» قال: «والقمر مثل ذلك».

ثمّ قال عليه السلام: «أما إنه لا يفزع لهما ولا يرهب بهاتين الآيتين إلّا من كان من شيعتنا، فإذا كان كذلك فافزعوا إلىٰ الله ثم ارجعوا إليه»[1].

◁ بيان

«من الأقوات» أي من جملة أسباب الأقوات «البحر الذي خلقه الله» كأنه عليه السلام كنّىٰ بالبحر عن جرم القمر الذي هو مظلم في نفسه، وإنّما يستضيئ أكثر من نصفه دائماً بنور الشمس، وهو في الأرض كالبحر المحيط بالأرض في السماء، فإنّه أيضاً مظلم مستنير بالشمس، وممّا يؤيد هذا قول الباقر عليه السلام في الحديث السابق: «ألبسها لباساً من ماء» وإنّما كان القمر بين السماء والأرض؛ لأنه ليس تحته سماء.

«قدّر فيها» أي في السماء، فإنّ مجاري الكلّ فيها، والقمر عبارة عن ذلك البحر مع اعتبار استنارته، والملك عبارة عن النفس الناطقة الفلكية، والسبعون ألف ملك عن روحانياتها، إذ قد ورد: «ما من موضع قدم في السماء إلّا وفيه ملك إمّا راكع أو ساجد».

«وطمس الشمس في البحر» كناية عن طمس ضوئها كلّه بالكسوف الكلّي، كما أُشير إليه بقوله عليه السلام: «وذلك عند انكساف الشمس» يعني كلّها «وكذلك يفعل بالقمر» أي يطمس ضوءه في البحر، يعني البحر المحيط بالأرض، وهو أيضاً بين السماء والأرض.

وعلىٰ هذا التوجيه لا منافاة بين هذا الحديث وبين ما يقوله المنجّمون الذين لا يتخلّف حسابهم في ذلك إلّا إذا خرق الله العادة لمصلحة رآها، وذلك لأنّهم يقولون إنّ سبب كسوف الشمس حيلولة جرم القمر بوجهه المظلم بيننا وبينها، وسبب خسوف القمر حيلولة جرم الأرض مع البحر المحيط بيننا وبينه، ويصحّ حسابهم في ذلك في جميع الأحيان.

[٢٧٩] ٤. الكافي: عن الصادق عليه السلام سئل عن الحر والبرد ممّا يكونان؟ فقال: «إنّ المرّيخ كوكب حارّ، وزحل كوكب بارد، فإذا بدأ المريخ في الارتفاع انحطّ زحل، وذلك في الربيع، فلا

---

١. الكافي ٨: ٨٣ ـ ٤١؛ الفقيه ١: ٥٣٩ / ١٥٠٦.

يزالان كذلك كلّما ارتفع المرّيخ درجة انحطّ زحل درجة ثلاثة أشهر، حتىٰ ينتهي المرّيخ في الارتفاع وينتهي زحل في الهبوط فيجلو المريّخ، فلذلك يشتدّ الحرّ.

فإذا كان في آخر الصيف وأول الخريف بدأ زحل في الارتفاع وبدأ المريخ في الهبوط، فلا يزالان كذلك كلّما ارتفع زحل درجة انحطّ المريخ درجة، حتىٰ ينتهي المريخ في الهبوط، وينتهي زحل في الارتفاع، فيجلو زحل، وذلك في أول الشتاء وآخر الخريف، فلذلك يشتدّ البرد، وكلّما ارتفع هذا هبط هذا، وكلّما هبط هذا ارتفع هذا، فإذا كان في الصيف يوم بارد فالفعل في ذلك للقمر، واذا كان في الشتاء يوم حار فالفعل في ذلك للشمس، هذا تقدير العزيز العليم، وأنا عبد ربّ العالمين»[1].

◁ **بيان**

لا ينافي هذا الحديث حدوث الحرارة بارتفاع الشمس، والبرودة بانخفاضها، لجواز أن يكون لكلا الأمرين مدخل في ذلك، أحدهما يكون سبباً جليّاً والآخر خفيّاً، وإنّما بيّن عليه السلام الخفيّ لخفائه دون الجليّ لجلائه.

[٢٨٠] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الله خلق نجماً في الفلك السابع، فخلقه من ماء بارد، وسائر النجوم الستّة الجاريات من ماء حار، وهو نجم الأنبياء والأوصياء، وهو نجم أميرالمؤمنين عليه السلام، يأمر بالخروج من الدنيا والزهد فيها، ويأمر بافتراش التراب، وتوسّد اللبن، ولباس الخشن، وأكل الجشب، وما خلق الله نجماً أقرب إلىٰ الله تعالىٰ منه»[2].

◁ **بيان**

أشار عليه السلام بهذا النجم إلىٰ زحل، وهو مطابق لما يراه المنجّمون من نحوسة زحل،وذلك لأنّ نظرهم مقصور علىٰ النشأة الفانية، والدنيا والآخرة ضرّتان لاتجتمعان.

وفي حديث المنجّم الذي رواه ابن طاوس في كتاب «فرج المهموم» عن الصادق عليه السلام أنّه قال له: «ما عندكم في زحل في النجوم؟» فقال الرجل اليماني:

---

١. الكافي ٨: ٣٠٦.
٢. الكافي ٨: ٢٥٧ / ٣٦٩.

جعلت فداك، زحل نجم النحوس، قال له جعفر عليه السلام: «**لا تقل هذا، فإنه نجم أمير المؤمنين عليه السلام، وهو نجم الأوصياء، وهو النجم الثاقب الذي ذكره الله تعالىٰ في كتابه**».

قال: فقال له الرجل اليماني: ما يعني بالثاقب؟ قال جعفر بن محمّد عليه السلام: «**إنّ مطلعه في السماء السابعة، وإنّه يثقب بضوئه، حتىٰ أضاء في السّماء الدنيا، فمن ذلك سمّاه النجم الثاقب**»[1].

❖ ❖ ❖

باب
أحكام النجوم

[٢٨١] ١. الكافي: عبدالرحمن بن سيابة، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت لك الفداء، الناس يقولون: إنّ النجوم لا يحلّ النظر فيها، وهي تعجبني، فإن كان تضرّ بديني فلا حاجة لي في شيء يضرّ بديني، وإن كانت لا تضرّ بديني فوالله إنّي لأشتهيها وأشتهي النظر فيها.

فقال عليه السلام: «ليس كما يقولون، لا تضرّ بدينك» ثم قال: «إنّكم تنظرون في شيء منها كثيره لا يدرك وقليله لا ينتفع به، تحسبون علىٰ طالع القمر».

ثم قال: «أتدري كم بين المشتري والزهرة من دقيقة؟» قلت: لا والله، قال: «أفتدري كم بين الزهرة والقمر من دقيقة؟» قلت: لا، قال: «أفتدري كم بين الشمس وبين السكينة[2] من دقيقة؟» قلت: ما سمعته من أحد من المنجّمين قطّ، قال: «أفتدري كم بين السكينة وبين اللوح المحفوظ من دقيقة؟» قلت: والله ما سمعته من منجّم قطّ.

قال: «ما بين كلّ واحد منهما إلىٰ صاحبه ستون أو سبعون دقيقة ـ شكّ عبدالرحمن، ثم قال ـ يا عبدالرحمن، هذا حساب إذا حسبه الرجل ووقع عليه عرف القصبة التي وسط الأجمة، وعدد ما عن يمينها وعدد ما عن يسارها وعدد ما خلفها وعدد ما أمامها حتىٰ لا يخفىٰ عليه من قصب الأجمة واحدة»[3].

---

١. فرج المهموم: ٩٢.
٢. في المصدر: السنبلة.
٣. الكافي ٨: ١٩٥ / ٢٣٣.

[٢٨٢] ٢. الكافي: عنه عليه السلام سئل عن النجوم أحقّ هي؟ فقال: «نعم، إنّ الله بعث المشتري إلىٰ الأرض في صورة رجل، فأخذ رجلاً من العجم فعلّمه النجوم حتىٰ ظنّ أنّه قد بلغ، ثم قال له: أُنظر أين المشتري؟ فقال: ما أراه في الفلك، وما أدري أين هو؟ قال: فنحّاه وأخذ بيد رجل من الهند، فعلّمه حتىٰ ظنّ أنّه قد بلغ، وقال: أُنظر إلىٰ المشتري أين هو؟ فقال: إنّ حسابي ليدلّ علىٰ أنك أنت المشتري، قال: وشهق شهقة فمات، وورث علمه أهله، فالعلم هناك»[١].

[٢٨٣] ٣. الكافي: عنه عليه السلام انّه سئل عن النجوم، فقال: «ما يعلمها إلّا أهل بيت من العرب، وأهل بيت بالهند»[٢].

◁ **بيان**

في «ربيع الأبرار» للزمخشري: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من اقتبس علماً من علم النجوم من حملة القرآن، ازداد به إيماناً ويقيناً ثمّ تلا ﴿**إنّ في اختلاف الليل والنهار**﴾[٣].

[٢٨٤] ٤. الفقيه: عنه عليه السلام قيل له: إنّي قد ابتليت بهذا العلم، فأُريد الحاجة فإذا نظرت إلى الطالع ورأيت الطالع الشرّ جلست ولم أذهب فيها، وإذا رأيت الطالع الخير ذهبت في الحاجة، فقال لي: «تقضى؟» **قيل: نعم، قال:** «احرق كتبك»[٤].

◁ **بيان**

وذلك لأن كثيره لا يدرك، وقليله لا ينفع؛ ولأن حكمة الله تعالىٰ تقتضي أن لا يعلم الناس الأُمور قبل وقوعها؛ لأن العلم بها قبل وقوعها يؤدّي في الأكثر إلىٰ الفساد إلّا لأهل التقىٰ والسداد، وقليل ما هم، ولهذا حرّم الكهانة ونحوها.

وعليه يحمل ما رواه في «**نهج البلاغة**» أنّه عليه السلام قال لبعض أصحابه لمّا عزم علىٰ المسير إلىٰ الخوارج، فقال له: ياأمير المؤمنين: إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك، من طريق علم النجوم، فقال عليه السلام: «**أتزعم أنك تهدي إلىٰ الساعة التي**

---

١. الكافي ٨: ٣٣٠/ ٥٠٧.
٢. الكافي ٨: ٣٣١/ ٥٠٨.
٣. البحار ٥٨: ٢٥٤/ ٤١ عن ربيع الأبرار؛ والآية من سورة يونس ١٠: ٦.
٤. الفقيه ٢: ٢٦٧/ ٢٤٠٢.

من سار فيها صرف عنه السوء، وتخوّف الساعة التي من سار فيها حاق به الضرّ، فمن صدّقك بهذا فقد كذّب القرآن واستغنىٰ عن الاستعانة بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه، وينبغي في قولك للعامل بأمرك أن يولّيك الحمد دون ربّه، لأنك بزعمك أنت الذي هديته إلىٰ الساعة التي نال فيها النفع وأمن الضر».

ثم أقبل عليٰ الناس فقال: «أيها الناس، إياكم وتعلّم النجوم إلّا ما يهتدىٰ به في برّ أو بحر، فإنّها تدعو إلىٰ الكهانة، المنجّم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار، سيروا علىٰ اسم الله سبحانه»[1].

❖ ❖ ❖

باب
الزلزلة

[٢٨٥] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ الحوت الذي يحمل الأرض أسرّ في نفسه أنّه إنّما يحمل الأرض بقوّته، فأرسل الله إليه حوتاً أصغر من شبر وأكبر من فتر، فدخل في خياشيمه فصعق، فمكث بذلك أربعين يوماً، ثمّ إنّ الله تعالىٰ رأف به ورحمه وخرج، فإذا أراد الله تعالىٰ بأرض زلزلة بعث ذلك الحوت إلىٰ ذلك الحوت، فإذا رآه اضطرب فتزلزلت الأرض»[2].

[٢٨٦] ٢. الفقيه: عنه عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ أمر الحوت بحمل الأرض وكلّ بلد من البلدان علىٰ فلس من فلوسه، فإذا أراد الله تعالىٰ أن يزلزل أرضاً أمر الحوت أن يحرّك ذلك الفلس فيحرّكه، ولو رفع الفلس لانقلبت الأرض بإذن الله تعالىٰ»[3].

[٢٨٧] ٣. الفقيه: عنه عليه السلام: «إنّ الله وكّل بعروق الأرض ملكاً، فإذا أراد الله تعالىٰ أن يزلزل أرضاً أوحىٰ إلىٰ ذلك الملك أن حرّك عرق كذا وكذا، فيحرّك ذلك الملك عرق تلك الأرض التي أمر الله تعالىٰ، فتتحرّك بأهلها».

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ٧٧.
٢. الكافي ٨: ٢٥٥ / ٣٦٥.
٣. الفقيه ١: ٥٤٣ / ١٥١٣.

قيل: فإذا كان ذلك فما أصنع؟ قال: «صلّ صلاة الكسوف، فإذا فرغت خررت لله عزّوجلّ ساجداً وتقول في سجودك: يامن يمسك السموات والأرض أن تزولا، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده، إنّه كان حليماً غفوراً، يامن يمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، أمسك عنّا السوء، إنّك على كلّ شيء قدير»[1].

◁ **بيان**

قال في (الفقيه) والزلزلة تكون من هذه الوجوه، وليست هذه الأخبار بمختلفة.

أقول: ويمكن إرجاع ما ذكره أهل النظر في علّتها إلى بعض هذه الوجوه.

❖ ❖ ❖

باب
الرياح

[٢٨٨] ١. الكافي، والفقيه: عن الباقر عليه السلام: «إنّ لله جنوداً من رياح يعذّب بها من يشاء ممّن عصاه، ولكلّ ريح منها ملك موكّل بها، فإذا أراد الله تعالى أن يعذّب قوماً بنوع من العذاب أوحى إلى الملك الموكّل بذلك النوع من الريح التي يريد أن يعذّبهم بها، قال: فيأمرها الملك فيهيج كما يهيج الأسد المغضب.

قال: ولكلّ ريح منهنّ اسم، أما تسمع قوله تعالى: ﴿كذّبت عاد فكيف كان عذابي ونذر* إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر﴾[2] وقال تعالى: ﴿الريح العقيم﴾[3] وقال: ﴿ريح فيها عذاب أليم﴾[4] وقال: ﴿فأصابها إعصار فيه نارٌ فاحترقت﴾[5] وما ذكر من الرياح التي يعذّب الله بها من عصاه.

قال: ولله تعالى رياح رحمةٍ لواقح وغير ذلك ينشرها بين يدي رحمته، منها ما

---

١. الفقيه ١: ٥٤٣/ ١٥١٤.
٢. القمر (٥٤): ١٨ و ١٩.
٣. الذاريات (٥١): ٤١.
٤. الأحقاف (٤٦): ٢٤.
٥. البقرة (٢): ٢٦٦.

تهيّج السحاب للمطر، ومنها رياح تحبس السحاب بين السماء والأرض، ورياح تعصر السحاب فتمطره بإذن الله تعالىٰ، ومنها رياح ممّا عدّد الله في الكتاب.

فأمّا الرياح الأربع: الشمال والجنوب والصّبا والدّبور، فإنّما هي أسماء الملائكة الموكّلين بها، فإذا أراد الله أن يهبّ شمالاً أمر الملك الذي اسمه الشمال فيهبط علىٰ البيت الحرام، فقام علىٰ الركن الشامي فضرب بجناحه، فتفرّقت ريح الشمال حيث يريدالله من البرّ والبحر، وإذا أراد الله تعالىٰ أن يبعث جنوباً أمر الملك الذي اسمه الجنوب، فهبط علىٰ البيت الحرام، فقام علىٰ الركن الشامي، فضرب بجناحه، فتفرّقت ريح الجنوب في البر والبحر حيث يريد الله.

وإذا أراد الله أن يبعث الصبا أمر الملك الذي اسمه الصبا فهبط علىٰ البيت الحرام، فقام علىٰ الركن الشامي، فضرب بجناحه، فتفرقت ريح الصبا حيث يريد الله في البرّ والبحر، وإذا أراد الله تعالىٰ أن يبعث دبوراً أمر الملك الذي اسمه الدبور، فهبط علىٰ البيت الحرام، فقام علىٰ الركن الشامي، فضرب بجناحه، فتفرّقت ريح الدّبور حيث يريد الله من البرّ والبحر»[1].

وروي: «أنّ الريح العقيم ريح عذاب، لا تلقح شيئاً من الأرحام، ولا شيئاً من النبات، وأنّ الرياح خمسة، منها العقيم، فنعوذ بالله من شرّها»[2].

◁ **بيان**

«الشمال» الريح التي تهبّ من ناحية القطب و «الجنوب» ما تهبّ من مقابلها و «الصبا» ما تهبّ من موضع مطلع الشمس إذا استوىٰ الليل والنهار و «الدبور» ما تهبّ من مقابلها، كلّها بفتح الأول و «الصرصر» الشديد الهبوب، أو الشديد البرد «في يوم نحس مستمر» دائم الشؤم قد استمر عليهم حتىٰ أهلكهم، أو استمر علىٰ كبيرهم وصغيرهم حتىٰ لم يبق منهم نسمة.

[٢٨٩] ٢. الفقيه: عنه ﷺ: «ما بعث الله تعالىٰ ريحاً إلّا رحمة وعذاباً، فإذا رأيتموها فقولوا: اللهم إنا نسألك خيرها وخير ما أرسلت له، ونعوذ بك من شرّها ومن شرّ ما أرسلت

---

١. الكافي ٨: ٩١ / ٦٣؛ الفقيه ١: ٥٤٥ / ١٥٢٢.
٢. الكافي ٨: ٩١ / ٦٤.

له، وكبّروا وارفعوا أصواتكم بالتكبير فإنّه يكسرها»[١].

[٢٩٠] ٣. الفقيه: عن النبيّ ﷺ: «لا تسبّوا الرياح فإنّها مأمورة، ولا الجبال ولا الساعات ولا الأيام ولا الليالي فتأثموا ويرجع إليكم»[٢].

[٢٩١] ٤. الفقيه: عنه ﷺ: «ما خرجت ريح قط إلّا بمكيال، إلّا زمن عاد فإنّها عتت على خزّانها، فخرجت في مثل خرق الإبرة، فأهلكت قوم عاد»[٣].

[٢٩٢] ٥. الفقيه: وكان النبيّ ﷺ إذا هبتْ ريح صفراء أو حمراء أو سوداء تغيّر وجهه واصفرّ وكان كالخائف الوجل حتىٰ تنزل من السماء قطرة من مطر، فيرجع إليه لونه ويقول: «جاء تكم بالرحمة»[٤].

[٢٩٣] ٦. الفقيه: عن أمير المؤمنين ﷺ: «للريح رأسان وجناحان»[٥].

[٢٩٤] ٧. الكافي: عن الصادق ﷺ: «إنّ لله تعالىٰ ريحاً يقال لها الأريب، لو أرسل منها مقدار منخر ثور لأثارت ما بين السّماء والأرض، وهي الجنوب»[٦].

◁ بيان

إنّما يسمّىٰ الجنوب بالأريب إذا عدلت من مهبّها كالصبا وتسميّان حينئذ بالنكباء ونكباء الشمال والدبور تسمىٰ بالصابية.

[٢٩٥] ٨. الفقيه: عنه ﷺ: «نعم الريح الجنوب، تكسر البرد عن المساكين، وتلقح الشجر، وتسيل الأودية»[٧].

◆ ◆ ◆

---

١. الفقيه ١: ٥٤٤/ ١٥١٩.
٢. الفقيه ١: ٥٤٤/ ١٥٢.
٣. الفقيه ١: ٥٤٥/ ١٥٢١.
٤. الفقيه ١: ٥٤٨/ ١٥٢٥.
٥. الفقيه ١: ٥٤٤/ ١٥١٧.
٦. الكافي ١: ٩٢/ ٦٤.
٧. الفقيه ١: ٥٤٧/ ١٥٢٣.

باب

المطر

[٢٩٦] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «كان عليّ عليه السلام يقوم في المطر أول ما يمطر حتىٰ يبتلّ رأسه ولحيته وثيابه، فقيل له: ياأمير المؤمنين الكِنّ الكِنّ، فقال: إنّ هذا ماء قريب عهد بالعرش، ثم أنشأ يحدّث، فقال: إنّ تحت العرش بحراً فيه ماء ينبت أرزاق الحيوانات، فإذا أراد الله تعالىٰ أن ينبت به ما يشاء رحمة منه لهم أوحىٰ الله تعالىٰ إليه فمطر ما شاء من سماء إلىٰ سماء حتىٰ يصير إلىٰ سماء الدنيا ـ فيما أظنّ[1] ـ فيلقيه إلىٰ السحاب، والسحاب بمنزلة الغربال، ثم يوحي الله تعالىٰ إلىٰ الريح أن اطحنيه وأذيبيه ذوبان الماء، ثم انطلقي به إلىٰ موضع كذا وكذا فأمطري عليهم، فيكون كذا وكذا عباباً وغير ذلك، فيقطر عليهم علىٰ النحو الذي يأمرها به، فليس من قطرة تقطر إلّا ومعها ملك حتىٰ يضعها موضعها، ولم تنزل من السماء قطرة من مطر إلّا بعدد معدود و وزن معلوم إلّا ما كان من يوم الطوفان علىٰ عهد نوح عليه السلام، فإنّه نزل ماء منهمر بلا وزن ولا عدد»[2].

◁ **بيان**

«العباب» بالضم: معظم السيل وكثرته وارتفاعه و «المنهمر» المنصبّ في كثرة وتتابع.

[٢٩٧] ٢. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ الله عزّوجلّ جعل السحاب غرابيل للمطر حتىٰ يذيب البرد حتىٰ يصير ماءً لكيلا يضرّ شيئاً يصيبه، فالذي ترون فيه من البرد والصواعق نقمة من الله تعالىٰ يصيب بها من يشاء من عباده».

ثم قال: «لا تشيروا إلىٰ المطر، ولا إلىٰ الهلال، فإنّ الله تعالىٰ يكره ذلك»[3].

[٢٩٨] ٣. الفقيه: عنه صلى الله عليه وآله: «ما أتىٰ علىٰ أهل الدنيا يوم واحد منذ خلقها الله سبحانه إلّا

---

١. هذا من كلام الراوي.
٢. الكافي ٨: ٢٣٩ / ٣٢٦.
٣. الكافي ٨: ٢٤٠ / ٣٢٦.

والسماء فيها يمطر، فيجعل الله ذلك حيث يشاء»[١].

[٢٩٩] ٤. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام سئل عن السحاب أين يكون؟ قال: «يكون على شجر على كثيب على شاطىء البحر يأوي إليه، فإذا أراد الله تعالى أن يرسله أرسل ريحاً فأثارته، ووكّل به ملائكة يضربونه بالمخاريق وهزّ[٢] البرق[٣] فيرتفع، ثم قرأ هذه الآية: **﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميّت﴾**[٤] والملك اسمه الرعد»[٥].

[٣٠٠] ٥. الفقيه: عن الصادق عليه السلام: سئل عن الرعد أي شيء تقول؟ قال: «إنّه بمنزلة الرجل يكون في الإبل فيزجرها: هاي هاي، كهيئة ذلك».

قيل: فما حال البرق؟ فقال: «تلك مخاريق الملائكة، تضرب السحاب فتسوقه إلى موضع قضى الله عزّوجلّ فيه المطر».

وقال عليه السلام «الرعد صوت الملك، والبرق سوطه»[٦].

[٣٠١] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «ما أبرقت قط في ظلمة ليل ولا ضوء نهار إلّا وهي ماطرة»[٧].

[٣٠٢] ٧. الفقيه: عنه عليه السلام: «إذا أراد الله تعالى أن ينفع بالمطر أمر السحاب فأخذ الماء من تحت العرش، وإذا لم يرد النبات أمر السحاب فأخذ الماء من البحر».

قيل: انّ ماء البحر مالح؟ قال: «إنّ السحاب يعذبه»[٨].

■

---

١. الفقيه ١: ٥٢٥ / ١٤٩٣.
٢. في الكافي: و هو.
٣. يفسّره حديث ابن عباس: «البرق: سوط من نور تزجر به الملائكة السحاب» راجع النهاية / ابن الأثير ـ خرق ـ ٢: ٢٦.
٤. فاطر (٣٥): ٩.
٥. الكافي ٨: ٢١٨ / ٢٦٨.
٦. الفقيه ١: ٥٢٥ / ١٤٩٦.
٧. الكافي ٨: ٢١٨ / ٢٦٧.
٨. الفقيه ١: ٥٢٥ / ١٤٩١.

أبواب القضاء والقدر

باب
أسباب الفعل

[٣٠٣] ١. الكافي: سئل العالم عليه السلام: كيف علم الله؟ قال: «علم وشاء، وأراد وقدّر وقضىٰ وأمضىٰ، فأمضىٰ ما قضىٰ، وقضىٰ ما قدّر، وقدّر ما أراد، فبعلمه كانت المشيئة، وبمشيئته كانت الإرادة، وبإرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء، والعلم يتقدّم المشيئة، والمشيئة ثانية، والإرادة ثالثة، والتقدير واقع علىٰ القضاء بالإمضاء، فللّه تعالىٰ البداء فيما علم متىٰ شاء، وفيما أراد لتقدير الأشياء، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء، فالعلم بالمعلوم قبل كونه، والمشيئة في المنشأ قبل عينه، والإرادة في المراد قبل قيامه، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً ووقتاً، والقضاء بالامضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام المدركات بالحواس، من ذي لون وريح ووزن وكيل.

وما دبّ ودرج من إنس وجنّ وطير وسباع وغير ذلك ممّا يدرك بالحواس فللّه تعالىٰ فيه البداء ممّا لا عين له، فإذا وقع العين المفهوم المدرك، فلا بداء والله يفعل ما يشاء، فبالعلم علم الأشياء قبل كونها، وبالمشيئة عرف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها، وبالإرادة ميّز أنفسها في ألوانها وصفاتها، وبالتقدير قدّر أقواتها وعرف أوّلها وآخرها، وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلّهم عليها، وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها، وذلك تقدير العزيز العليم»[1].

---

١. الكافي ١: ١٤٨/ ١٦.

◁ **بيان**

الفرق بين المشيئة والإرادة بالكليّة والجزئية والتقدّم والمقارنة. وكذا الفرق بين القضاء والقدر على المشهور، وأمّا في الأخبار فالقضاء بمعنى الحكم والإيجاب فيتأخر عن القدر، والإمضاء هو الإيجاد في الخارج، قوله: «فأمضى ما قضى» إلى آخره، إشارة إلى الترتّب الذاتي بين هذه الأُمور، وقوله: «فبعلمه كانت المشيّة»، إشارة إلى سببيّة بعضها لبعض، وقوله: «والعلم يتقدّم المشيّة»، إشارة إلى التصريح بالعليّة والمعلولية، وقوله: «فللّه البداء» إشارة إلى تعيين محلّ البداء من هذه المراتب، وهو ما وقع في الوسط دون الطرفين، وقوله: «فالعلم بالمعلوم قبل كونه» إلى آخره، إشارة إلى أنّ هذه الموجودات الواقعة في الأكوان المادّية لها ضرب من الوجود والتحقّق في العلم الإلهي قبل تحقّقها في العالم الكوني «قبل تفصيلها» أي تفريق بعضها من بعض «وتوصيلها» أي تركيب بعضها مع بعض «وما دبّ ودرج» أي تحرّك ومشى.

[٣٠٤] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلّا بهذه الخصال السبع: بمشيئة وإرادة وقدر وقضاء وإذن وكتاب وأجل، فمن زعم أنّه يقدر على نقض واحدة فقد كفر»[1].

وفي رواية: «فمن زعم غير هذا فقد كذب على الله» أو «ردّ على الله»[2].

◁ **بيان**

الإذن هو الإمضاء، والكتاب ثبته في الألواح، والأجل تعيين الوقت.

[٣٠٥] ٣. الكافي: عنه عليه السلام قيل له: شاء وأراد وقدّر وقضى؟ قال: «نعم» قيل: وأحبّ؟ قال: «لا» قيل: وكيف شاء وأراد وقدّر وقضى ولم يحبّ؟ قال: «هكذا خرج إلينا»[3].

◁ **بيان**

لعلّ الإمام عليه السلام إنّما أعرض عن جواب السائل وأبهم الأمر فيه، لدقّة الجواب، وكونه بحيث لا يناله فهم الأكثرين، ويمكن الإشارة إلى لمعة منه لمن كان أهله في هذا

---

١. الكافي ١: ١٤٩ / ١.
٢. الكافي ١: ١٤٩ / ٢.
٣. الكافي ١: ١٥٠ / ٢.

الزمان الذي يوجد فيه أقوام متعمّقون، كما أُشير إليه في الحديث الذي مضىٰ في (باب حدّ المعرفة) بأن يقال: إنّ المشيّة والإرادة والتقدير والقضاء كلّها من فعل الله سبحانه، وهي حكم الله في الأشياء علىٰ حدّ علمه بها، وأمّا المشيُّ المراد المقدّر المقضي الذي يقع في الوجود، فإنّه ربّما يكون من فعل العبد الذي يطلبه من الله تعالىٰ باستعداده، وهو قد يكون محبوباً مرضياً كالإيمان والطاعات، وقد يكون مبغوضاً مسخوطاً كالكفر والمعاصي، ولا شك أنّ الحكم غير المحكوم به والمحكوم عليه لكونه نسبة قائمة بهما، فلا يلزم من كون الحكم الذي من طرف الحق خيراً أن يكون المحكوم به الذي من جهة العبد خيراً ومحبوباً، وهذا هو التحقيق في التقصّي عن شبهة مشهورة، هي أنّه قد ثبت وجوب الرّضا بالقضاء وعدم جواز الرّضا بالكفر والمعاصي، فإذا كان الكفر والمعاصي بالقضاء فكيف التوفيق؟ وفي هذا المقام أسرار طوبىٰ لمن فاز بها.

[٣٠٦] ٤. الكافي: عنه ﷺ: «أمر الله ولم يشأ، وشاء ولم يأمر، أمر إبليس أن يسجد لآدم، وشاء أن لا يسجد ولو شاء لسجد، ونهىٰ آدم ﷺ عن أكل الشجرة وشاء أن يأكل منها ولو لم يشأ لم يأكل»[1].

◁ **بيان**

سرّ هذا الكلام أنّ لله سبحانه بالنسبة إلىٰ عباده أمرين: أمراً إراديّاً إيجاديّاً، وأمراً تكليفياً إيجابياً، والأول بلا واسطة الأنبياء ﷺ ولا يحتمل العصيان، والمطلوب منه وقوع المأمور به، ويوافق مشيئته تعالىٰ طرداً وعكساً ولا يتخلّف عنها البتة، فيقع المأمور به لا محالة، وإليه أُشير بقوله عزّوجلّ: ﴿**إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون**﴾[2] والثاني يكون بواسطة الأنبياء ﷺ، والمطلوب منه قد يكون وقوع المأمور به فيوافق مشيئته تعالىٰ، ويقع المأمور به من غير معصية فيه، كالأوامر التي كلّف الله بها الطائعين، وقد يكون نفس الأمر من دون وقوع المأمور به لحكم ومصالح ترجع إلىٰ العباد، فهذا الأمر الذي لا يوافق المشيئة ولا الإرادة، يعني لم يشأ الله به وقوع المأمور به ولا أراده، وإن شاء الأمر به وأراد وأمر، ولذلك لم يقع المأمور به.

---

١. الكافي ١: ١٥٠ / ٣.
٢ـ النمل (٢٧): ٤٠.

[٣٠٧] ـ ٥ الكافي: عن أبي الحسن عليه السلام: «إنّ لله إرادتين ومشيئتين: إرادة حتم، وإرادة عزم، ينهىٰ وهو يشأ، ويأمر وهو لا يشاء، أو ما رأيت أنّه نهىٰ آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وشاء ذلك، ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيئتهما مشيئة الله، وأمر إبراهيم أن يذبح إسحاق ولم يشأ أن يذبحه، ولو شاء أن يذبحه لما غلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله»[١].

◁ بيان

يعني محبته الطبيعية لبقاء ولده، وذلك لا ينافي إرادة الطاعة منه والتسليم لأمر الله المشار إليه بقوله سبحانه: ﴿فلمّا أسلما وتلّه للجبين﴾[٢] حاشا الخليل أن يشاء ما لا يشاء الله.

[٣٠٨] ٦. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «ما من قبض ولا بسط إلّا ولله فيه مشيئة وقضاء وابتلاء»[٣].

◁ بيان

الابتلاء من الله سبحانه إظهار ما كتب لنا أو علينا في القدر، وإبراز ما أودع فينا وغرز في طباعنا بالقوّة بحيث يترتّب عليه الثواب والعقاب، فإنّه ما لم يخرج من القوة إلىٰ الفعل لم يوجد بعد، وإن كان معلوماً لله سبحانه، فلا يحصل ثمرته وتبعته اللازمتان، ولهذا قال عزّوجلّ: ﴿لنبلونّكم حتىٰ نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾[٤] وأمثال ذلك أي نعلمهم موصوفين بهذه الصفة بحيث يترتّب عليها الجزاء، وأمّا قبل ذلك الابتلاء، فإنّه علمهم مستعدّين للمجاهدة والصبر صائرين إليهما بعد حين.

[٣٠٩] ٧. الكافي: عن الرضا عليه السلام: «قال الله تعالىٰ: [يا] ابن آدم، بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبقوتي أدّيت فرائضي، وبنعمتي قويت علىٰ معصيتي، جعلتك سميعاً بصيراً قوياً، ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك،

---

١ ـ الكافي ١: ١٥١ / ٤.
٢ ـ الصافات (٣٧): ١٠٣.
٣. الكافي ١: ١/١٥٢.
٤. محمد (٤٧): ٣١.

وذلك أنّي أولىٰ بحسناتك منك، وأنت أولىٰ بسيّئاتك مني، وذاك أنـي لا أُسأل عـما أفعل وهم يسألون، صدق الله»[١].

◁ بيان

إنما كان الله أولىٰ بحسنات العبد منه؛ لأن القوّة القاهرة المبدئية لا تمكن الوسائط في استقلال التأثير، وإنّما كان العبد أولىٰ بسيئاته من الله؛ لأن النقائص والشرور من لوازم المهيّات المتنزلة في عالم التضاد، وأمّا أنّـه لا يُسأل عـمّا يـفعل؛ فـلأن الغاية في فعله سبحانه غير زائدة علىٰ ذاته وعلمه بذاته، إذ لا يـتصور أن يكـون أمر أولىٰ بالغني المطلق أن يقصده، وإلّا لكان فقيراً في حصول مـا هـو الأولىٰ له إلىٰ ذلك الشـيء، وتـحقيق هـذا يـحتاج إلىٰ بسـط مـن الكـلام ليس هـاهنا مـحلّه، فليطلب من كتبنا التي ألّفناها في أُصول الدين، وسيأتي ما يصلح أن يكون زيادة شرح لهذا الحديث.

❖ ❖ ❖

باب

البداء

[٣١٠] ١. الكافي: عن أحدهما عليه السلام: «ما عُبد الله بشيء مثل البداء»[٢].

وفي رواية: «ما عظّم الله بمثل البداء»[٣].

◁ بيان

بدا له في هذا الأمر بداء، ممدوداً: أي نشأ له فيه أمره، وإنّما لم يعبد الله ولم يعظم بشيء مثل البداء؛ لأنّ مدار استجابة الدعاء والرغبة إليه سبحانه والرهبة منه، وتفويض الأُمور إليه، والتعلّق بين الخوف والرجاء، وأمثال ذلك من أركان العبودية، عليه.

فإن قيل: كيف يصّح نسبة البداء إلىٰ الله تعالىٰ مع إحاطة علمه بكلّ شيء

---

١. الكافي ١: ١٥٢ / ٦.

٢. الكافي ١: ١٤٦ / ١.

٣. الكافي ١: ١٤٦ / ذيل رقم ١.

أزلاً وأبداً على ما هو عليه في نفس الأمر، وتقدّسه عمّا يوجب التغيّر والسنوح ونحوهما؟

فاعلم أنّ القوىٰ المنطبعة الفلكية لم تحط بتفاصيل ما سيقع من الأمور دفعة واحدة لعدم تناهي تلك الأُمور، بل إنّما تنتقش فيها الحوادث شيئاً فشيئاً وجملة فجملة مع أسبابها وعللها علىٰ نهج مستمر ونظام مستقر.

فإنّ ما يحدث في عالم الكون والفساد، إنّما هو من لوازم حركات الأفلاك المسخّرة لله ونتائج بركاتها، فهي تعلم أنّه كلّما كان كذا كان كذا، فمهما حصل لها العلم بأسباب حدوث أمر ما في هذا العالم حكمت بوقوعه فيه، فينتقش فيها ذلك الحكم، وربّما تأخّر بعض الأسباب الموجبة لوقوع الحادث علىٰ خلاف ما يوجبه بقية الأسباب لولا ذلك السبب ولم يحصل لها العلم بذلك بعد لعدم اطلاعها علىٰ سبب ذلك السبب، ثم لمّا جاء أوانه واطلعت عليه حكمت بخلاف الحكم الأول، فيمحىٰ عنها نقش الحكم السابق ويثبت الحكم الآخر.

مثلاً لمّا حصل لها العلم بموت زيد بمرض كذا في ليلة كذا لأسباب تقتضي ذلك ولم يحصل لها العلم بتصدّقه الذي سيأتي به قبيل ذلك الوقت، لعدم اطّلاعها علىٰ أسباب التصدّق بعد، ثم علمت به، وكان موته بتلك الأسباب مشروطاً بأن لا يتصدّق، فتحكم أولاً بالموت وثانياً بالبرء.

وإذا كانت الأسباب لوقوع أمر ولا وقوعه متكافئة، ولم يحصل لها العلم برجحان أحدهما بعد، لعدم مجيء أوان سبب ذلك الرجحان بعد، كان لها التردّد في وقوع ذلك الأمر ولا وقوعه، فينتقش فيها الوقوع تارة واللاوقوع أُخرىٰ، فهذا هو السبب في البداء والمحو والإثبات والتردّد وأمثال ذلك في أُمور العالم.

وأما نسبة ذلك كلّه إلىٰ الله؛ فلأنّ كلّ ما يجري في العالم الملكوتي إنّما يجري بإرادة الله تعالىٰ، بل فعلهم بعينه فعل الله سبحانه، حيث إنّهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، إذ لا داعي لهم علىٰ الفعل إلّا إرادة الله سبحانه لاستهلاك إرادتهم في إرادة[1] الله تعالىٰ، ومثلهم كمثل الحواسّ للإنسان، كلّما همّ بأمر محسوس امتثلت الحاسة لما همّ به وأرادته دفعة، فكلّ كتابة تكون في هذه الألواح والصحف فهو أيضاً مكتوب الله عزّوجلّ بعد قضائه السابق المكتوب بقلمه الأول، فيصحّ أن يوصف الله سبحانه بأمثال ذلك بهذا الاعتبار، وإن كان مثل

---

١. في نسخة: إرادته.

هذه الأُمور يشعر بالتغيّر والسنوح، وهو تعالىٰ منزّه عنه، فإن كان كلّما وجد أو سيوجد فهو غير خارج عن عالم ربوبيّته، نظير ذلك ما مضىٰ في الحديث (في كتاب التوحيد) من أن نسبة الأسف والمظلومية ونحوهما إلىٰ نفسه تعالىٰ إنّما هو باعتبار خلطه بعض عباده بنفسه، ولله الحمد علىٰ ما فهّمنا من غوامض علمه.

[٣١١] ٢. **الكافي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾**[1] قال: «وهل يمحو إلّا ما كان ثابتاً، وهل يثبت إلّا ما لم يكن»[2].

◁ **بيان**

يعني أنّ في هذه الآية دلالة علىٰ ثبوت البداء لله سبحانه، فلا وجه لإنكار المخالفين علينا بذلك، وذلك لأنّ القول بالبداء لله سبحانه من خواصّ مذهب أهل البيت عليهم السلام.

[٣١٢] ٣. **الكافي: عنه عليه السلام**: «ما بعث الله نبيّاً حتىٰ يأخذ عليه ثلاث خصال: الإقرار له بالعبودية، وخلع الأنداد، وأنّ الله يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء»[3].

[٣١٣] ٤. **الكافي: عنه عليه السلام**: «ما تنبّأ نبيّ قطّ حتىٰ يقرّ لله بخمس [خصال]: بالبداء، والمشيئة، والسجود، والعبودية، والطاعة»[4].

◁ **بيان**

يعني بالمشيئة أنّ كلّ شيء يقع في هذا العالم، فإنّما يقع بمشيئة الله سبحانه.

[٣١٤] ٥. **الكافي: عنه عليه السلام**: «لو علم الناس ما في القول في البداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه»[5].

◁ **بيان**

وذلك لأنّ أكثر مصالح العباد موقوف علىٰ القول بالبداء، إذ لو اعتقدوا أنّ كلّ ماقدّر في الأزل فلابدّ من وقوعه حتماً لما دعوا الله في شيء من مطالبهم

---

١. الرعد (١٣): ٣٩.
٢. الكافي ١: ١٤٦/ ٢.
٣. الكافي ١: ١٤٧/ ٣.
٤. الكافي ١: ١٤٨/ ١٣.
٥. الكافي ١: ١٤٨/ ١٢.

وماتضرّعوا إليه وما استكانوا لديه ولا خافوا منه ولا رجوا إليه، إلىٰ غير ذلك من نظائره، وأمّا عدم المنافاة بين الأمرين فلا يفهمه من ألف ألف إلّا واحد، وسرّه أنّ هذه الأُمور من جملة الأسباب، وقد قدّر في الأزل أن يتحقّق بها لابدونها.

[٣١٥] ٦. الكافي: عن الباقر عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿قضىٰ أجلاً وأجل مسمىً عنده﴾[1] قال: «هما أجلان: أجل محتوم، و أجل موقوف»[2].

[٣١٦] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «العلم علمان: فعلم عند الله مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه، وعلم علّمه ملائكته ورسله، فما علّمه ملائكته ورسله فإنّه سيكون، لا يكذّب نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعلم عنده مخزون يقدّم منه ما يشاء، ويؤخّر منه ما يشاء، ويثبت ما يشاء»[3].

◁ **بيان**

وذلك لأنّ صور الكائنات كلّها منتقشة في أُمّ الكتاب المسمّىٰ باللوح المحفوظ تارة، وهو العالم العقلي والخلق الأول، وفي كتاب المحو والإثبات أُخرىٰ، وهو العالم النفسي والخلق الثاني، وأكثر اطّلاع الأنبياء والرسل عليهم السلام علىٰ الأوّل، وهو محفوظ من المحو والإثبات، وحكمه محتوم بخلاف الثاني، فإنّه موقوف، وفي الأوّل إثبات المحو في الثاني، وإثبات الإثبات فيه ومحو الإثبات عند وقوع الحكم وإنشاء أمر آخر، فهو مقدّس عن المحو يحكم باختلاف الأُمور وعواقبها مفصّلة مسطّرة بتقدير العزيز العليم.

[٣١٧] ٨. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «ما بدا لله في شيء إلّا كان في علمه قبل أن يبدو له»[4].

◁ **بيان**

وذلك لأنّ البداء ليس منشؤه من عنده، بل ولا من عند الخلق الأول، بل إنّما ينشأ في الخلق الثاني كما علمت.

---

١. الانعام ٦: ٢.
٢. الكافي ١: ١٤٧/ب البداء.
٣. الكافي ١: ١٤٧/ ٦.
٤. الكافي ١: ١٤٨/ ٩.

[٣١٨] ٩. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الله لم يبد له من جهل»[١].

◁ بيان

وذلك لأنّ إحاطة علمه بما كان كما كان وبما سيكون كما سيكون أزلاً وأبداً، وإنّما البداء ينشأ من الوسائط لمصالح ترجع إلىٰ الخلق.

[٣١٩] ١٠. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ أخبر محمّداً صلى الله عليه وآله بما كان مذ كانت الدنيا وبما يكون إلىٰ انقضاء الدنيا، وأخبره بالمحتوم من ذلك، واستثنىٰ عليه فيما سواه»[٢].

❖ ❖ ❖

باب

السعادة والشقاوة

[٣٢٠] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ الله خلق السعادة والشقاوة قبل أن يخلق خلقه، فمن خلقه الله سعيداً لم يبغضه أبداً، وإن عمل شرّاً أبغض عمله ولم يبغضه، وإن كان شقيّاً لم يحبّه أبداً، وإن عمل صالحاً أحبّ عمله وأبغضه لما يصير إليه، فإذا أحبّ الله شيئاً لم يبغضه أبداً وإذا أبغض شيئاً لم يحبّه أبداً»[٣].

◁ بيان

السرّ في تفاوت النفوس في الخير والشرّ واختلافها في السعادة والشقاوة هو اختلاف الاستعدادات وتنوّع الحقائق، فإنّ المواد السفليّة بحسب الخلقة والماهية متباينة في اللطافة والكثافة، وأمزجتها مختلفة في القرب والبعد من الاعتدال الحقيقي والأرواح الإنسيّة التي بإزائها مختلفة بحسب الفطرة الأُولىٰ في الصفاء والكدورة والقوّة والضعف مترتّبة في درجات القرب والبعد من الله تعالىٰ، لما تقرّر وتحقّق أنّ بإزاء كلّ مادة ما يناسبها من الصور، فأجود الكمالات لأتم الاستعدادات، وأخسّها لأنقصها، كما أُشير إليه بقوله عليه السلام: «الناس معادن كمعادن

---

١. الكافي ١: ١٤٨ / ١٠.
٢. الكافي ١: ١٤٨ / ١٤.
٣. الكافي ١: ١٥٢ / ١.

الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام»[١]. فلا يمكن لشيء من المخلوقات أن يظهر في الوجود ذاتاً وصفة وفعلاً إلّا بقدر خصوصيّة قابليّة واستعداده الذاتي.

ووجه آخر وهو أنّه قد ثبت أنّ لله عزّوجلّ صفات وأسماء متقابلة هي من أوصاف الكمال ونعوت الجلال، ولها مظاهر متباينة بها يظهر أثر تلك الأسماء، فكلّ من الأسماء يوجب تعلّق إرادته سبحانه وقدرته إلىٰ إيجاد مخلوق يدلّ عليه من حيث اتصافه بتلك الصفة، فلذلك اقتضت رحمة الله عزوجلّ إيجاد المخلوقات كلّها لتكون مظاهر لأسمائه الحسنىٰ ومجالي لصفاته العليا، مثلاً لمّا كان قهّاراً أوجد المظاهر القهريّة التي لا يترتّب عليها إلّا أثر القهر من الجحيم وساكنيه والزقّوم ومتناوليه، ولما كان عفوّاً غفوراً أوجد مجالي للعفو والغفران يظهر فيها آثار رحمته وقس علىٰ هذا، فالملائكة ومن ضاهاهم من الأخيار وأهل الجنة مظاهر اللطف، والشياطين ومن والاهم من الأشرار وأهل النار مظاهر القهر، ومنهما يظهر السعادة والشقاوة، فمنهم شقيّ وسعيد، فظهر أن لا وجه لإسناد الظلم والقبائح إلىٰ الله سبحانه، لأنّ هذا الترتيب والتمييز من وقوع فريق في طريق اللطف، وآخر في طريق القهر من ضروريّات الوجود والإيجاد ومن مقتضيات الحكمة والعدالة، ومن هنا قال بعض العلماء: ليت شعري لم لا ينسب الظلم إلىٰ الملك المجاري حيث يجعل بعض من تحت تصرّفه وزيراً قريباً، وبعضهم كناساً بعيداً، لأن كلّاً منهما من ضرويّات مملكته، وينسب الظلم إلىٰ الله تعالىٰ في تخصيص كلّ من عبيده بما خصّص، مع أنّ كلّاً منهما ضروري في مقامه.

[٣٢١] ٢. الكافي: عنه عليه السلام سئل: من أين لحق الشقاء أهل المعصية حتىٰ حكم لهم في علمه بالعذاب علىٰ عملهم؟ فقال: «أيّها السائل، حكم الله تعالىٰ أن لا يقوم له أحد من خلقه بحقه، فلما حكم بذلك وهب لأهل محبته القوة علىٰ معرفته، ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ما هم أهله، ووهب لأهل المعصية القوة علىٰ معصيته لسبق علمه فيهم، ومنعهم إطاقة القبول منه، فواقعوا[٢] ما سبق لهم في علمه، ولم يقدروا أن يأتوا حالاً تنجيهم من عذابه؛ لأنّ علمه أولىٰ بحقيقة التصديق، وهو معنىٰ شاء

---

١. الكافي ٨: ١٧٧ / ١٩٧.

٢. في نسخة: فوافقوا.

ما شاء وهو سرّه»[١].

◁ **بيان**

يمكن الاشارة إلىٰ سرّ ذلك لأهله من المتعمّقين و إن كان الظاهريون لبمعزل عن فهمه ونيله بأن يقال: لمّا كان الخلق هم المعلومون لله سبحانه، وهو العالم بهم، والمعلوم يعطي العالم ويجعله بحيث يدرك ما هو عليه في نفسه، ولا أثر للعلم في المعلوم بأن يحدث فيه ما لا يكون له في حدّ ذاته، بل هو تابع للمعلوم، والحكم علىٰ المعلوم تابع له، فلا حكم من العالم علىٰ المعلوم إلّا بالمعلوم وبما يقتضيه بحسب استعداده الكلّي والجزئي.

والحق سبحانه وإن كان علمه بالخلق علماً ذاتياً غير مستفاد ممّا هم عليه، غير أنّهم اقتضوا في أنفسهم ما كانوا عليه في علمه، فحكم ثانياً بما اقتضوه بحسب علمه، فما قدّر الله سبحانه علىٰ الخلق الكفر والعصيان من نفسه، بل باقتضاء أعيانهم وطلبهم بألسنة استعداداتهم أن يجعلهم كافراً أو عاصياً، كما يطلب عين الصورة الكلبيّة الحكم عليها بالنجاسة العينية فما كانوا في علم الله سبحانه ظهروا به في وجوداتهم العينية فليس للحق إلّا إفاضة الوجود عليهم والحكم لهم وعليهم، فلا يحمدوا إلّا أنفسهم، ولا يذمّوا إلّا أنفسهم، وما يبقىٰ للحق إلّا حمد إفاضة الوجود؛ لأنّ ذلك له لا لهم، ولذلك قال: ﴿**ما يبدّل القول لديّ وما أنا بظلّام للعبيد**﴾[٢] أي ما قدّرت عليهم الكفر الذي يشقيهم: ثم طلبتهم بما ليس في وسعهم أن يأتوا به، بل ما عاملناهم إلّا بما علّمناهم، وما علّمناهم إلّا بما أعطونا من نفوسهم ممّا هم عليه، فإن كان ظلماً فهم الظالمون، و لذلك قال:﴿**و لكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾[٣] وفي الحديث: «**من وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلّا نفسه**»[٤].

فإن قلت: فما فائدة قوله سبحانه: ﴿**ولو شاء لهداكم أجمعين**﴾[٥]؟

قلنا: (لو) حرف امتناع لامتناع، فما شاء إلّا ما هو الأمر عليه، ولكن عين الممكن قابل للشيء ونقيضه في حكم دليل العقل، وأي الحكمين المعقولين

---

١. الكافي ١: ١٥٣ / ٣.
٢. ق (٥٠): ٢٩.
٣. البقرة (٢): ٥٧.
٤. الحكايات في مخالفات المعتزله من العدلية والفرق بينهم و بين الشيعة الامامية / للمفيد: ٨٥.
٥. النحل ١٦: ٩.

وقع فهو الذي عليه الممكن في حال ثبوته في العلم. فمشيئة أحديّة التعلق وهي نسبة تابعة للعلم، والعلم نسبة تابعة للمعلوم. والمعلوم أنت وأحوالك فعدم المشيئة معلّل بعدم إعطاء أعيانهم هداية الجميع لتفاوت استعداداتهم وعدم قبول بعضها الهداية، وذلك لأن الاختيار في حق الحق تعارضه وحدانيّة المشيئة، فنسبته إلى الحق من حيث ما هو الممكن عليه، لا من حيث ما هو الحقّ عليه.

قال تعالى: ﴿ولكن حقّ القول منّي﴾[1] وقال: ﴿أفمن حقّ عليه كلمة العذاب﴾[2] وقال: ﴿ما يبدّل القول لديّ﴾[3] فهذا هو الذي يليق بجناب الحق، والذي يرجع إلى الكون. ﴿ولو شئنا لآتينا كلّ نفس هداها﴾[4] فما شاء، فإنّ الممكن قابل للهداية والضلال من حيث ما هو قابل فهو موضع الانقسام وفي نفس الأمر ليس للحق فيه إلّا أمر واحد.

فإن قلت: حقائق المخلوقات واستعداداتها فائضة من الحق سبحانه، فهو جعلها كذلك.

قلنا: الحقائق غير مجعولة، بل هي صور علمية للأسماء الإلهية، وإنّما المجعول وجوداتها في الأعيان، والوجودات تابعة للحقائق، ولنقبض عنان القلم عن أمثال هذه الأسرار فإنّها من جملة أسرار، القدر المنهيّ عن إفشائها والله الحمد.

[٣٢٢] ٣. **الكافي: عنه** عليه السلام: «يسلك بالسعيد في طريق الأشقياء حتىٰ يقول الناس: ما أشبهه بهم! بل هو منهم، ثم يتداركه السعادة. وقد يسلك بالشقي طريق السعداء حتىٰ يقول الناس: ما أشبهه بهم! بل هو منهم، ثم يتداركه الشقاء، إن من كتبه الله سعيداً وإن لم يبق من الدنيا إلّا فواق ناقة ختم له بالسعادة»[5].

[٣٢٣] ٤. **الكافي: عنه** عليه السلام: «خطب رسول الله صلى الله عليه وآله الناس ثم رفع يده اليمنىٰ قابضاً علىٰ كفّه، ثم قال: أتدرون أيها الناس ما في كفّي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: أسماء أهل

---

١. السجدة ٣٢: ١٣.
٢. الزمر ٣٩: ١٩.
٣. ق ٥٠: ٢٩.
٤. السجدة (٣٢): ١٣.
٥. الكافي ١: ١٥٤ / ٣.

الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم إلىٰ يوم القيامة، ثم رفع يده الشمال، فقال: أيها الناس أتدرون ما في كفّي؟ قالوا: الله و رسوله أعلم، فقال: أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم إلىٰ يوم القيامة، ثم قال: حكم الله وعدل، حكم الله و عدل، حكم الله وعدل، فريق في الجنة، وفريق في السعير»[1].

◁ **بيان**

لما كانت نجاة الناجين من الأُمة وهلاك الهالكين منهم مسببات عن رسالته ﷺ، وبها صار أحد الفريقين من أصحاب اليمين، والآخر من أصحاب الشمال، جاز التعبير عن هذا المعنىٰ بكون أسمائهما في كفّيه المباركتين.

◆ ◆ ◆

باب

الخير والشر

[٣٢٤] ١. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «إنّ ممّا أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليه السلام وأنزل عليه في التوراة: إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا، خلقت الخلق، وخلقت الخير، فأجريته علىٰ يدي من أُحبّ، فطوبىٰ لمن أجريته علىٰ يديه، وأنا الله لا إله إلّا أنا، خلقت الخلق، وخلقت الشرّ، وأجريته علىٰ يدي من أُريده، فويل لمن أجريته علىٰ يديه»[2].

وفي رواية: «و ويل لمن يقول: كيف ذا، وكيف ذا»[3] **قال الراوي: يعني من ينكر هذا الأمر بتفقّهه فيه.**

◁ **بيان**

يتفقّه فيه: يعني يجتهد بعقله ويقول برأيه، وقد مضىٰ منا ما يصلح شرحاً لهذه الأخبار.

◆ ◆ ◆

---

١. الكافي ١: ١٦/٤٤٤.
٢. الكافي ١: ١/١٥٤.
٣. الكافي ١: ٢/١٥٤ و ٣.

باب
الجبر والقدر والأمر بين الأمرين

[٣٢٥] ١. الكافي: «كان أمير المؤمنين ﷺ جالساً بالكوفة بعد منصرفه من صفين إذ أقبل شيخ فجثا بين يديه، ثم قال له: ياأمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا إلىٰ أهل الشام أبقضاء من الله وقدر؟ فقال له: أمير المؤمنين ﷺ: أجل ياشيخ، ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن واد إلّا بقضاء من الله وقدر.

فقال له الشيخ: عند الله أحتسب عنائي يا أميرالمؤمنين. فقال له: مَه ياشيخ، فوالله لقد عظّم لكم الأجر في مسيركم وأنتم سائرون، وفي مقامكم وأنتم مقيمون، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليه مضطرين»، فقال له الشيخ: وكيف لم نكن في شيء من حالاتنا مكرهين، ولا إليه مضطرين، وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا ومنصرفنا؟ فقال له: وتظنّ أنّه كان قضاءً حتماً وقدراً لازماً، إنّه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر من الله، وسقط معنىٰ الوعد والوعيد، فلم تكن لائمة للمذنب، ولا محمدة للمحسن، ولكان المذنب أولىٰ بالإحسان من المحسن، ولكان المحسن أولىٰ بالعقوبة من المذنب، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان، وخصماء الرحمن، وحزب الشيطان، وقدرية هذه الأمة ومجوسها، إنّ الله كلّف تخييراً ونهىٰ تحذيراً وأعطىٰ علىٰ القليل كثيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم يطع مكرهاً، ولم يملك مفوّضاً، ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً، ولم يبعث النبيين مبشّرين ومنذرين عبثاً، ذلك ظنّ الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

فأنشأ الشيخ يقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته ... يوم النجاة من الرحمن غفرانا
أوضحت من أمرنا ما كان ملتبساً ... جزاك ربّك بالإحسان إحسانا[1]»

---

١. الكافي ١: ١٥٥ / ١.

◁ بيان

«عند الله أحتسب عنائي» أي من الله أطلب أجر مشقّتي في هذا السفر مع وقوع ذلك بقضائه وقدره، كأنه استبعد ذلك وزعم أن فيه تضادّاً، وزيد في بعض الروايات: «ولا أرىٰ لي في ذلك أجراً» فردعه وذكر أنّه ليس حتماً يبلغ حدّ الإكراه والاضطرار، وذلك لأنّه إنّما وقع بالأسباب التي من جملتها اختيار العبد وسعيه، وإن كان ذلك أيضاً مقضيّاً، ثم بيّن ذلك ببيان مفاسد الجبر، وإنّما كان المذنب أولىٰ بالإحسان؛ لأنّه لا يرضىٰ بالذنب، كما يدلّ عليه جبره عليه، فجبره عليه يستدعي إحساناً في مقابلته، والمحسن أولىٰ بالعقوبة؛ لأنّه لا يرضىٰ بالإحسان لدلالة الجبر عليه، ومن لا يرضىٰ بالإحسان أولىٰ بالعقوبة من الذي يرضىٰ به.

وقوله: «ومجوسها» إشارة إلىٰ الحديث النبويّ المشهور: «القدريّة مجوس هذه الأمّة[1]» ووجه تسميتهم بالمجوس مشاركتهما في سلب الفعل عن العبد، فإنّ المجوس يسندون الخيرات إلىٰ الله تعالىٰ، والشرور إلىٰ إبليس.

وتحقيق هذا المقام يحتاج إلىٰ بسط من الكلام، فنقول وبالله التوفيق: إعلم أنّ القدر في الأفعال وخلق الأعمال من الأسرار والغوامض التي تحيّرت فيها الأفهام، واضطربت فيها آراء الأنام، ولم يرخّص في إفشائها بالكلام، فلا يدوّن إلّا مرموزاً، ولايعلم إلّا مكنوناً، لما في إظهاره من إفساد العامّة وهلاكهم، ولهذا لم يرد في بيانه إلّا مجملات، وترىٰ أئمتنا عليهم السلام تارة يقولون في مثله: «هكذا خرج إلينا» كما مرّ، وأُخرىٰ يقولون: «لا جبر ولا قدر ولكن منزلة بينهما فيها الحق التي بينهما لا يعلمها إلّا العالم أو من علّمها إياه العالم[2]» كما يأتي.

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «القدر سرّ الله فلا تظهروا سرّ الله[3]» وفي معناه أخبار، فالغور فيه ممنوع منه، إلّا أنّه يمكن الإشارة إلىٰ لمعة منه لمن كان أهله بنقل المذاهب وبيانها، فإنّ الآراء أربعة: اثنان فاسدان، هما: الجبر والتفويض اللّذان هلك بهما كثير من الناس، و اثنان دائران حول التحقيق ومرجعهما إلىٰ الأمر بين الأمرين، أحدهما أقرب إلىٰ الحقّ والنّقول، وأبعد من الأفهام والعقول، وهو طريقة أهل الشّهود العارفين بأسرار الأخبار، والآخر بالعكس، وهو طريقة أهل العقول والأنظار، وبيان الأول عسير لغموضه جدّاً، فلنطوها طيّاً، ونكتفي ببيان الثاني، وإن لم

---

١. عوالي اللآلي ١: ١٠/١٦٦.
٢. الكافي ١: ١٠/١٥٩.
٣. التوحيد: ٦٠/٣٨٣.

نرتضه لتضمّنه أكثر ما يترتّب على الجبر من المفاسد في بادئ النظر وعند النظر القاصر، إلّا أنّه يخرج عقول الخواصّ من بعض أسباب الحيرة، ولهذا مال إليه فحول العلماء، ولنذكر في بيانه ما ذكره بعض المحقّقين موافقاً لما حقّقه المحقّق الطوسي نصير الملّة والدّين ﷺ في بعض رسائله المعمول في ذلك.

قال: قد ثبت أنّ ما يوجد في هذا العالم فقد قدّر بهيئته وزمانه في عالم آخر فوق هذا العالم قبل وجوده، وقد ثبت أنّ الله عزّوجلّ قادر على جميع الممكنات، ولم يخرج شيء من الأشياء عن مصلحته وعلمه وقدرته وإيجاده بواسطة أو بغير واسطة، وإلّا لم يصلح لمبدئيّة الكلّ، فالهداية والضلالة والإيمان والكفر والخير والشرّ والنفع والضر وسائر المتقابلات، كلّها منتهية إلى قدرته وتأثيره وعلمه وإرادته ومشيئته، إمّا بالذات أو بالعرض، فأعمالنا وأفعالنا كسائر الموجودات وأفاعيلها بقضائه وقدره، وهي واجبة الصدور منّا بذلك، ولكن بتوسّط أسباب وعلل من إدراكاتنا وإراداتنا وحركاتنا وسكناتنا وغير ذلك من الأسباب العالية الغائبة عن علمنا وتدبيرنا، الخارجة عن قدرتنا وتأثيرنا، فاجتماع تلك الأُمور التي هي الأسباب والشرائط مع ارتفاع الموانع علّة تامّة يجب عندها وجود ذلك الأمر المدبّر المقضيّ المقدّر، وعند تخلّف شيء منها أو حصول مانع بقي وجوده في حيّز الامتناع ويكون ممكناً وقوعيّاً بالقياس إلى كلّ واحد من الأسباب الكونية، ولمّا كان من جملة الأسباب وخصوصاً القريبة منها إرادتنا وتفكّرنا وتخيّلنا، وبالجملة ما يختار به أحد طرفي الفعل والترك، فالفعل إختياري لنا، فإنّ الله تعالى أعطانا القوة والقدرة والاستطاعة ليبلونا أيّنا أحسن عملاً مع إحاطة علمه، فوجوبه لا ينافي إمكانه، واضطراريّته لا تدافع كونه اختيارياً، كيف وإنّه ما وجب إلّا بالاختيار!

ولا شكّ أنّ القدرة والاختيار كسائر الأسباب من الإدراك والعلم والإرادة والتفكّر والتخيّل وقواها وآلاتها كلّها بفعل الله تعالى لا بفعلنا واختيارنا، وإلّا لتسلسلت القدر والإرادات إلى غير النهاية، وذلك لأنّا وإن كنّا بحيث إن شئنا فعلنا وإن لم نشأ لم نفعل؛ لكنّا لسنا بحيث إن شئنا شئنا، وإن لم نشأ لم نشأ، بل إذا شئنا فلم تتعلّق مشيئتنا بمشيئتنا، بل بغير مشيئتنا، فليست المشيئة إلينا، إذ لو كانت إلينا لأحتجنا إلى مشيئة أُخرى سابقة وتسلسل الأمر إلى غير النهاية.

ومع قطع النظر عن استحالة التسلسل نقول: جملة مشيئاتنا غير المتناهية بحيث لا يشذّ عنها مشيئة، لا تخلو إمّا أن يكون وقوعها بسبب أمر خارج عن

مشيّتنا، أو بسبب مشيّتنا. والثاني باطل لعدم إمكان مشيئة أُخرىٰ خارجة عن تلك الجملة، والأوّل هو المطلوب، فقد ظهر أنّ مشيئتنا ليست تحت قدرتنا كما قال الله: ﴿وما تشاؤون إلّا أن يشاء الله﴾[١].

فإذن نحن في مشيئتنا مضطرّون، وإنّما تحدث المشيئة عقيب الداعي وهو تصوّر الشيء الملائم تصوراً ظنيّاً أو تخيّليّاً أو علميّاً، فإنا إذا أدركنا شيئاً، فإن وجدنا ملائمته أو منافرته لنا دفعةً بالوهم أو ببديهة العقل، انبعث منّا شوق إلىٰ جذبه أو دفعه، وتأكّد هذا الشوق هو العزم الجازم المسمىٰ بالإرادة، وإذا انضمّت إلىٰ القدرة التي هي هيئة للقوة الفاعلة انبعثت تلك القوة لتحريك الأعضاء الأدوية من العضلات وغيرها فيحصل الفعل.

فإذن إذا تحقق الداعي للفعل الذي تنبعث منه المشيئة تحققت المشيئة، وإذا تحقّقت المشيئة التي تصرف القدرة إلىٰ مقدورها انصرفت القدرة لا محالة، ولم يكن لها سبيل إلىٰ المخالفة، فالحركة لازمة ضرورة القدرة، والقدرة محرّكة ضرورة عند انجزام المشيئة والمشيئة، تحدث ضرورة في القلب عقيب الداعي.

فهذه ضروريات يترتّب بعضها علىٰ بعض، وليس لنا أن ندفع وجود شيء منها عند تحقّق سابقه، فليس يمكن لنا أن ندفع المشيئة عند تحقق الداعي للفعل، ولا انصراف القدرة إلىٰ المقدور بعدها، فنحن مضطرّون في الجميع، فنحن في عين الاختيار مجبورون، فنحن إذن مجبورون علىٰ الاختيار، هذا ملخّص ما ذكره، والحق فيه أمر آخر لا يصل إليه إلّا من هو من أهله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

[٣٢٦] ٢. الكافي: عن النبيﷺ: «من زعم أنّ المعاصي بغير قوّة الله، فقد كذب علىٰ الله، ومن كذب علىٰ الله أدخله الله النار»[٢].

◁ بيان

وذلك لأنّ الأول قصّر نظره علىٰ السبب الأول، وقطع النظر عن الأسباب القريبة للفعل مطلقاً، ولم يفرّق بين أعمال الانسان وأعمال الجمادات، والله تعالىٰ أعدل من أن يجبر خلقه ثم يعذّبهم، وأكرم من أن يكلّف الناس ما لا يطيقون، والثاني قصّر

---

١. الانسان / ٣٠، التكوير / ٢٩.
٢. الكافي ١: ١٥٨ / ٦.

نظره علىٰ الأسباب القريبة وقطع النظر عن السبب الأول، والله أحكم من أن يهمل عبده ويكله إلىٰ نفسه، وأعزّ من أن يكون في سلطانه ما لا يريد، وكذلك الثالث.

[٣٢٧] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «الله أكرم من أن يكلّف الناس ما لا يطيقون، والله أعزّ من أن يكون في سلطانه ما لا يريد»[1].

[٣٢٨] ٤. الكافي: قيل للرّضا عليه السلام: الله فوّض الأمر إلىٰ العباد؟ قال: «الله أعزّ من ذلك» قيل: فجبرهم علىٰ المعاصي؟ قال: «الله أعدل وأحكم من ذلك»، ثم قال: «قال الله تعالىٰ: يابن آدم، أنا أولىٰ بحسناتك منك، وأنت أولىٰ بسيّئاتك منّي، عملت المعاصي بقوّتي التي جعلتها فيك»[2].

◁ **بيان**

أمّا أولويّته سبحانه بالحسنات، فلأنّه سبحانه أمر بها ووهب القوّة عليها ووفّقلها، وأمّا أولوية العبد بالسيّئات، فلأنّ الله عزّوجل نهىٰ عنها وأوعد عليهاووهب القوّة ليصرفها العبد في الطاعات فصرفها في المعاصي، وفيه وجه آخر وقد مضىٰ.

[٣٢٩] ٥. الكافي: يونس بن عبدالرحمن، قال: قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام: «يايونس، لا تقل بقول القدرية، فإنّ القدرية لم يقولوا بقول أهل الجنة، ولا بقول أهل النار، ولا بقول إبليس، فإنّ أهل الجنة قالوا: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾[3] **وقال أهل النار: ﴿ربّنا غلبت علينا شقوتنا وكُنا قوماً ضالّين﴾**[4] **وقال إبليس: ﴿ربّ بما أغويتني﴾**[5]**».**

فقلت: والله ما أقول بقولهم، ولكنّي أقول: لا يكون إلّا بما شاء الله، وأراد، وقدّر، وقضىٰ، فقال: «يايونس ليس هكذا، لا يكون إلّا ما شاء الله وأراد وقدّر وقضىٰ، يايونس تعلم ما المشيئة؟» **قلت: لا، قال:** «هي الذّكر الأول، فتعلم ما الإرادة؟» **قلت: لا، قال:** «هي العزيمة

---

١. الكافي ١: ١٦٠ / ١٤.
٢. الكافي ١: ١٥٧ / ٣.
٣. الأعراف (٧): ٤٣.
٤. المؤمنون (٢٣): ١٠٦.
٥. الحجر (١٥): ٣٩.

علىٰ ما يشاء، فتعلم ما القدر؟» **قلت: لا، قال:** «هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء» **قال: ثم قال:** «والقضاء هو الإبرام وإقامة العين» **قال: فاستأذنته أن أقبل رأسه، وقلت: فتحت لي شيئاً كنت عنه في غفلة**[1].

◁ **بيان**

المراد بالقدرية في هذا الحديث المفوّضة القائلون بقدرة العبد واستقلاله، فإنّ أهل الجنّة سلبوا الفعل عنهم بإسناد الهداية إلىٰ الله، وأهل النار سلبوه عنهم بإسناده إلىٰ غلبة الشقوة عليهم، وإبليس سلبه عنه بإسناد الإغواء إلىٰ الله.

والفرق بين قول يونس: «بما شاء الله» وقول الامام عليه السلام: «ما شاء الله»، أنّ الأول جبر محض، ولهذا نهاه عنه، والثاني أعمّ منه ومن الأمر بين الأمرين ولهذا أثبته، وإنّما يصحّ إذا أُريد به ما لا يكون جبراً.

والذكر الأول هو اللوح المحفوظ، وإنّما سمّاه مشيئته؛ لأنه مرتبة تعيّن العلم بالنظام الأوفق المعنيّ بالمشيئة، كما أشرنا إليه في باب الصفات من كتاب التوحيد، وأُريد بالبقاء والفناء مدد أعمار الأشياء وآجالها.

[٣٣٠] ٦. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ الله خلق الخلق فعلم ما هم صائرون إليه وأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلىٰ أخذه، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلىٰ تركه، ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلّا بإذن الله»[2].

[٣٣١] ٧. الكافي: عنه عليه السلام قيل له: أجبَر الله العباد علىٰ المعاصي؟ قال: «لا» **قيل: ففوّض إليهم الأمر؟ قال:** «لا» **قيل: فماذا؟ قال:** «لطف من ربّك بين ذلك»[3].

◁ **بيان**

يعني هو معنىٰ دقيق غامض من صنع الله يلطف إدراكه عن العقول والأفهام، هو أمر بين الجبر والتفويض.

[٣٣٢] ٨. الكافي: عنهما عليهما السلام «إنّ الله تعالىٰ أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه علىٰ الذنوب ثم

---

١. الكافي ١: ١٥٧ / ٤.
٢. الكافي ١: ١٥٨ / ٥.
٣. الكافي ١: ١٥٩ / ٨.

يعذّبهم عليها، والله أعزّ من أن يريد أمراً فلا يكون»، فسُئلا عليهما السلام: **هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة؟ قالا:** «نعم، أوسع ما بين السماء والأرض»[١].

وفي رواية أخرىٰ: «لو فوّض إليهم لم يحصرهم بالأمر والنهي»[٢].

[٣٣٣] ٩. الكافي: سئل الصادق عليه السلام عن الجبر والقدر، فقال: «لا جبر ولا قدر، ولكن منزلة بينهما فيها الحق التي بينهما لا يعلمها إلّا العالم أو من علّمها إيّاه العالم»[٣].

[٣٣٤] ١٠. الكافي: عنه عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين» **قيل: وما أمر بين أمرين؟ قال:** «مثل ذلك رجل رأيته علىٰ معصية فنهيته فلم ينته فتركته، ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية»[٤].

◁ **بيان**

هذا مثال حسن لمخاطبة العامّي الضعيف الذي قصر فهمه عن درك كيفية الأمر بين الأمرين تقريباً لفهمه وحفظاً لاعتقاده في أفعال العباد، حتىٰ لا يعتقد كون العبد مجبوراً في فعله، ولا مفوّضاً إليه اختياره.

❖ ❖ ❖

باب
الاستطاعة

[٣٣٥] ١. الكافي: سئل الرضا عليه السلام عن الاستطاعة، فقال: «يستطيع العبد بعد أربع خصال: أن يكون مخلّىٰ السّرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح، له سبب وارد من الله».

قيل: جعلت فداك، فسّر لي هذا. قال: «أن يكون العبد مخلّىٰ السّرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح، يريد أن يزني فلا يجد امرأة، ثم يجدها فإمّا أن يعصم نفسه فيمتنع كما امتنع يوسف عليه السلام، أو يخلّي بينه وبين إرادته فيزني فيسمىٰ زانياً، ولم يطع الله بإكراه،

---

١. الكافي ١: ١٥٩ / ٩.
٢. الكافي ١: ١٥٩ / ١١.
٣. الكافي ١: ١٥٩ / ١٠.
٤. الكافي ١: ١٦٠ / ١٣.

ولم يعصه بغلبة»[1].

[٣٣٦] ٢. الكافي: سئل الصادق عليه السلام عن الاستطاعة، فقال: «أتستطيع أن تعمل ما لم يكوّن؟» قيل: لا، قال: «فتستطيع أن تنتهي عما قد كوّن؟» قيل: لا، فقال: «متىٰ أنت مستطيع؟» قيل: لا أدري، فقال عليه السلام: «إنّ الله خلق خلقاً فجعل فيهم آلة الاستطاعة، ثمّ لم يفوّض إليهم، فهم مستطيعون للفعل وقت الفعل مع الفعل إذا فعلوا ذلك الفعل، فإذا لم يفعلوه لم يكونوا مستطيعين أن يفعلوا فعلاً لم يفعلوه؛ لأنّ الله تعالىٰ أعزّ من أن يضادّه في ملكه أحد» قيل: فالناس مجبورون؟ قال: «لو كانوا مجبورين كانوا معذورين» قيل: ففوّض إليهم؟ قال: «لا» قيل: فما هم؟ قال: «علم منهم فعلاً فجعل فيهم آلة الفعل، فإذا فعلوا كانوا مع الفعل مستطيعين» قيل: أشهد أنه الحق وأنكم أهل بيت النبوة والرسالة[2].

◁ بيان

ظاهر هذا الحديث يدلّ علىٰ نفي الاستطاعة، وظاهر الحديث السابق يدلّ علىٰ إثباتها، والجمع بينهما بأن يقال: إنّ الاستطاعة في الحال لا ينافي عدمها في الاستقبال ولا العكس، فنجيب عن قول القائل: أتستطيع أن تؤثر حال عدم الأثر، أو لا تؤثر حال وجوده؟ نعم نستطيع، لكن معنىٰ استطاعتنا أنّا نتمكّن من الفعل أو الترك في ثاني الحال، فلا ينافيه عدم استطاعتنا في الحال، بمعنىٰ عدم تمكّننا من التأثير في وجود الأثر حال عدمه، ولا في عدمه حال وجوده، ولا في وجوده حال وجوده، ولا في عدمه حال عدمه، لأنّ في الأوّلَين تناقضاً، وفي الآخرين تحصيلاً للحاصل.

ومعنىٰ قوله عليه السلام «فجعل فيهم آلة الاستطاعة» إلىٰ قوله: «في ملكه أحد» إنّ العبد لا يفعل إلّا ما أراد الله منه، فهو مستطيع في وقت الفعل للفعل لا للترك، ومستطيع في وقت الترك للترك لا للفعل، فلا يستطيع في كلّ وقت إلّا لما جعل الله فيه آلة الاستطاعة لأجله، ثم أشار عليه السلام إلىٰ أنّ الناس مع ذلك ليسوا مجبورين ولا مفوّضاً إليهم أيضاً.

[٣٣٧] ٣. الكافي: عنه عليه السلام سئل: هل للعباد من الاستطاعة شيء؟ قال: «إذا فعلوا الفعل كانوا

---

١. الكافي ١: ١٦٠ / ١.
٢. الكافي ١: ١٦١ / ٢.

مستطيعين بالاستطاعة التي جعلها الله فيهم» قيل: وما هي؟ قال: «الآلة، مثل الزاني إذا زنىٰ كان مستطيعاً للزنا حين زنىٰ، ولو أنّه ترك الزنا ولم يزن كان مستطيعاً لتركه إذا ترك» ثم قال: «ليس له من الاستطاعة قبل الفعل قليل ولا كثير، ولكن مع الفعل والترك كان مستطيعاً».

قيل: فعلىٰ ماذا يعذّبه؟ قال: «بالحجة البالغة والآلة التي ركّبها فيهم، إنّ الله لم يجبر أحداً علىٰ معصيته، ولا أراد إرادة حتم الكفر من أحد، ولكن حين كفر كان في إرادة الله أن يكفر، و هم في إرادة الله وفي علمه ألّا يصيروا إلىٰ شيء من الخير[1]».

قيل: أراد منهم أن يكفروا؟ قال: «ليس هكذا أقول، ولكنّي أقول: علم أنهم سيكفرون، فأراد الكفر لعلمه فيهم، وليست إرادة حتم، إنما هي إرادة اختيار»[2].

◁ **بيان**

قوله: «ليس له من الاستطاعة قبل الفعل قليل ولا كثير» إشارة إلىٰ نفي وقوع الفعل بالأولوية، وتقريراته ما لم يجب لم يوجد.

وقول السائل: فعلىٰ ماذا يعذّبه؟ يعني إذا كان جميع ما يتوقف عليه فعل العبد من قدرته واستطاعته بخلق الله وجعله فيه، فلماذا يعذّب الكافر ويعاقب العاصي؟ فأجاب عليه السلام بأنّ تعذيب الله لعباده ليس من جهة غرض له فيه؛ لأنّه سبحانه بريٌ من الغرض، غنيّ عمّا سواه، بل انساقت حجتّه البالغة وحكمته الكاملة إلىٰ تعذيب فريق وتنعيم فريق بما ركّب في كلّ واحد منهم من الآلات، وخلق لهم من الدواعي والإرادات، وغيرها من أسباب المعاصي والطاعات، والشرور والخيرات، فانقسمت أفعال الله إلىٰ ما ينساق إلىٰ الغاية المطلوبة بالذات، وإلىٰ ما ينساق إلىٰ غاية أُخرىٰ مرادة بالفرض، فأطلق علىٰ الأول اسم المحبوب، وعلىٰ الثاني اسم المكروه، وانقسم عباده الذين هم أيضاً من فعله واختراعه إلىٰ من سبقت لهم العناية بالحسنىٰ بتسليط الدواعي والبواعث عليه، لسياقتهم إلىٰ غاية الحكمة، وإلىٰ من سبقت لهم المشيئة بالردي، لسياقتهم إلىٰ غاية الحكمة، فلكل منهما نسبة إلىٰ المشيئة الربّانية.

أمّا قوله «انّ الله لم يجبر أحداً علىٰ معصيته» فالوجه فيه أنّ المجبور هو الذي لم

---

١. في النسخة: الجبر، والتصحيح من المصدر.
٢. الكافي ١: ١٦٢ / ٣.

يترتّب فعله علىٰ قدرته وفعله وإرادته، وهاهنا تتوقف المعصية علىٰ تلك الأُمور كما دريت.

[٣٣٨] ٤. الكافي: عنه عليه السلام قيل له: إنّي أقول: إن الله تبارك وتعالىٰ لم يكلّف العباد ما لا يستطيعون، ولم يكلّفهم إلّا ما يطيقون، وأنّهم لا يصنعون شيئاً من ذلك إلّا بارادة الله ومشيئته وقضائه وقدره. فقال: «هذا دين الله الذي أنا عليه وآبائي» **أوكما قال**[١].

❖ ❖ ❖

باب
البيان والتعريف ولزوم الحجة

[٣٣٩] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ أمر الله كلّه عجب، إلّا أنه قد احتجّ عليكم بما عرّفكم من نفسه»[٢].

وفي رواية: «إحتجّ علىٰ الناس بما آتاهم وعرّفهم»[٣].

وفي أُخرىٰ: «ما حجب الله عن العباد، فهو موضوع عنهم»[٤].

◁ **بيان**

يعني أنّ في صفات الله سبحانه وأفعاله عجائب وغرائب لا يدرك أسرارها ولا يصل إلىٰ أغوارها إلّا الأقلّون، ولكن الله سبحانه لم يطلب منكم البلوغ إليها، ولم يطلب ممّن لم يبلغ إليها أن يعبده بحسبها، بل بحسب ما بلغ إليه منها وعرّفه الله تعالىٰ من نفسه فحسب، وإنّما احتجّ عليكم بقدر معرفتكم التي أعطاكم لا أزيدمنه «بما آتاهم» يعني من العقل والفهم، وعرّفهم من الخير والشّر دون ما لم يؤتهم ولم يعرفهم من ذلك، ولا ينافي هذا لزوم بذل الجهد بالمقدّر المقدور، فإنّه أيضاً من الأسباب، إلّا أنّ ترتّب حصول المعرفة علىٰ السعي في حيّز الإمكان، وبحسب مشيئة الله، وعلىٰ اختلاف درجات الناس في الهمّة والاستعداد، وليس عليهم إلّا

---

١. الكافي ١: ١٦٢ / ٤.
٢. الكافي ١: ٨٦ / ٣.
٣. الكافي ١: ١٦٢ / ١.
٤. الكافي ١: ١٦٤ / ٣.

التعرّض لها بتحصيل مقدّماتها، كما ورد في الحديث النبوي: «إنّ لربكم في أيام دهركم نفحات، ألا فتعرّضوا لها»[١] و «كلّ ميسّر لما خلق له»[٢] فالعبد إنما يستحق العذاب والعقوبة في ترك واجب أو فعل محرّم، إذا كان قد أُوتي له التكليف وعرف المكلّف به، وبالجملة كان في ذاته استعداد فضيلة أو داعية، ثم تكاسل في تحصيله، أو انحرف عن قصد سبيله بقدر ما قصّر في ذلك وبحسبه.

[٣٤٠] ٢. الكافي: عنه عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتّىٰ يبيّن لهم ما يتّقون﴾[٣] قال: «حتىٰ يعرّفهم ما يرضيه وما يسخطه» وقال: **﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾**[٤] قال: «بيّن لها ما تأتي وما تترك» وقال: **﴿إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً﴾**[٥] قال: «عرّفناه إمّا آخذ وإما تارك» وفي قوله تعالىٰ: **﴿وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمىٰ علىٰ الهدىٰ﴾**[٦] قال: «عرّفناهم فاستحبوا العمىٰ علىٰ الهدىٰ وهم يعرفون»[٧].

وفي رواية: «بيّنا لهم»[٨].

[٣٤١] ٣. الكافي: عنه عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿وهديناه النجدين﴾[٩] قال: «نجد الخير والشر»[١٠].

[٣٤٢] ٤. الكافي: عنه عليه السلام قيل له: أصلحك الله، هل جعل في الناس أداة ينالون بها المعرفة؟ فقال: «لا» قيل: فهل كلّفوا المعرفة؟ قال: «لا، علىٰ الله البيان ﴿لايكلّف الله نفساً إلّا وسعها﴾[١١] **و ﴿لايكلّف الله نفساً إلّا ما آتاها﴾**[١٢]»[١٣].

---

١. عوالي اللآلي ٤: ١١٨.
٢. بحارالانوار ٤: ٤/٢٨٢.
٣. التوبة (٩): ١١٥.
٤. الشمس (٩١): ٨.
٥. الانسان (٧٦): ٣.
٦. فصلت (٤١): ١٧.
٧. الكافي ١: ٣/١٦٣.
٨. الكافي ١: ١٤٣/ذيل ٣.
٩. البلد (٩٠): ١٠.
١٠. الكافي ١: ٤/١٦٣.
١١. البقرة (٢): ٢٨٦.
١٢. الطلاق (٦٥): ٧.

◁ بيان

«أداة ينالون بها» أي في أنفسهم من دون استعانة برسول منه أو وحي من عنده، «فهل كلّفوا المعرفة» أي من قبل إرسال الرسل وإلزام الحجة، «إلّا وسعها» أي دون طاقتها.

[٣٤٣] ٤. الكافي: عنه ﷺ: «إن الله لم ينعم على عبد نعمة إلّا وقد ألزمه فيها الحجة من الله، فمن منّ الله عليه فجعله قوياً فحجّته عليه القيام بما كلّفه واحتمال من هو دونه ممّن هو أضعف منه، ومن منّ الله عليه فجعله موسّعاً عليه فحجّته عليه ماله، ثم تعاهده الفقراء بعد بنوافله، ومن منّ الله عليه فجعله شريفاً في بيته جميلاً في صورته، فحجّته عليه أن يحمد الله على ذلك ولا يتطاول على غيره، فيمنع حقوق الضعفاء لحال شرفه وجماله»[١٤].

◁ بيان

«وقد ألزمه فيها الحجة» يعني أوجب عليه شكره عليها بأن يصرفها فيما خلقت لأجله «القيام بما كلّفه» أي يقول له عند الاحتجاج عليه: هل قمت بما كلّفتك؟ أو على حذف المضاف، أي قدرة القيام «من هو دونه» أي مؤنة من هو دونه، والقوة تشمل الصورية والمعنوية، أعني الجاه والمنزلة بين الناس «فحجتّه عليه ماله» إلى آخره أي حجتّه إعطاؤه إيّاه المال، وتمكينه له من أن يتعاهد الفقراء ويصرف إليهم ما يزيد عن مؤنة نفسه.

[٣٤٤] ٥. الكافي: عنه ﷺ: «ستّة أشياء ليس للعباد فيها صنع: المعرفة، والجهل، والرضا، والغضب، والنوم، واليقظة»[١٥].

◁ بيان

ليس ذكر العدد للحصر لوجود أشياء أُخر كثيرة من هذا القبيل كالمرض، والصحة والبكاء، والضحك، وغير ذلك، وإنما ليس لهم فيها صنع بعد حصول الأسباب وارتفاع الموانع، أو في تحصيل جميع الأسباب ورفع الموانع، أمّا في

---

١٣. الكافي ١: ١٦٣ / ٥.
١٤. الكافي ١: ١٦٣ / ٦.
١٥. الكافي ١: ١٦٤ / ١.

تحصيل بعضها الذي من جملته السعي والكسب لبعض ما يتوقف عليه، فلهم فيه مدخل، وإن لم يكف في حصول المطلوب، ولهذا نفىٰ عنهم الصنع رأساً.

فإن قيل: فكيف يصحّ التكليف بمعرفة الله والرضا من الله؟

قلنا: التكليف إنما يتوجه إلىٰ مقدماتهما فإنّ المعرفة نور من الله سبحانه، إنّما يفيضه علىٰ قلب من يتهيّأ له بالحركات النفسانية والانتقالات الذهنية، أو بالرياضات البدنية والتهذيبات النفسانية، فإن كان بواسطة معلّم بشريّ فهو إنّما يلقىٰ عليه الألفاظ والعبارات حتىٰ يستعدّ المتعلّم بما يعلّمه بنفسه، أو يسمعه من أُستاده، لأن يفيض عليه من الله صورة علمية أو ملكة نورية يحصل بهما المعرفة، فليس له فيها صنع إلّا بالتهيئة والإعداد دون الإفاضة والإيجاد، فلا تكليف عليه إلّا بالإعداد وتحصيل الاستعداد، وكذلك الرضا عن الله سبحانه إنّما يحصل بمعرفة أن ما يفعله سبحانه بعبده المؤمن هو خير له وفيه صلاحه، وهذه المعرفة إنّما تحصل بالتّهيّؤ لها وإعداد النفس لحصولها اللذين هما من المقدّمات.

[٣٤٥] ٦. الكافي: عنه عليه السلام قيل له: «أُولئك كتب في قلوبهم الايمان»[1] هل لهم فيما كتب في قلوبهم صنع؟ قال: «لا»[2].

[٣٤٦] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «ليس لله علىٰ خلقه أن يعرفوا، وللخلق علىٰ الله أن يعرّفهم، ولله علىٰ الخلق إذا عرّفهم أن يقبلوا»[3].

◁ بيان

«ليس لله علىٰ خلقه أن يعرفوا» يعني من قبل أن يخلق فيهم آلات الاستطاعة للمعرفة من العقل والفهم وإرسال الرسل «وللخلق علىٰ الله أن يعرّفهم» لأنّ من دأب العناية الإلهيّة أن لا يهمل أمراً ضرورياً يحتاج إليه كلّ نوع في وجوده وبقائه، ولا سيّما نوع الإنسان المخلوق للأبد.

[٣٤٧] ٨. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الله يحتج علىٰ العباد بما آتاهم وعرّفهم، ثم أرسل إليهم رسولاً، وأنزل عليهم الكتاب فأمر فيه ونهىٰ، أمر فيه بالصلاة والصيام، فنام رسول‌الله

---

١. المجادلة (٨٥): ٢٢.

٢. الكافي ٢: ١٥ / ٢.

٣. الكافي ١: ١٦٤ / ١.

عليهم السلام عن الصلاة، فقال: أنا أُنيمك وأنا أُوقضك، فإذا قمت فصلّ، ليعلموا إذا أصابهم ذلك كيف يصنعون. ليس كما يقولون: إذا نام عنها هلك. وكذلك الصيام، أنا أُمرضك وأنا أُصحّك، فإذا شفيتك فاقضه».

ثم قال عليه السلام: «وكذلك إذا نظرت في جميع الأشياء لم تجد أحداً في ضيق، ولم تجد أحداً إلّا ولله عليه الحجة، ولله فيه المشيئة، ولا أقول إنهم ما شاء واصنعوا» ثم قال: «إنّ الله يهدي ويضلّ» وقال: «وما أمروا إلّا بدون سعتهم، وكلّ شيء أمر الناس به فهم يسعون له، وكل شيء لا يسعون له فهو موضوع عنهم، ولكن الناس لا خير فيهم، ثم تلا عليه السلام: ﴿ليس علىٰ الضعفاء ولا علىٰ المرضىٰ ولا علىٰ الذين لا يجدون ما ينفقون حرج فوضع عنهم ﴿ما علىٰ المحسنين من سبيل والله غفور رحيم * ولا علىٰ الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾[1]» قال: «فوضع عنهم لأنّهم لا يجدون»[2].

◁ **بيان**

«ولا أقول إنهم ما شاءوا صنعوا» هذا بيان لقوله «ولله المشيئة» وإزاحة لما يتوهّم من قوله عليه السلام: «ولله عليه الحجّة من شبهة التفويض» وقوله عليه السلام: «إنّ الله يهدي ويضلّ» تأكيد لهذا البيان والإزاحة «بدون سعتهم» فضلاً عن طاقتهم «فهم يسعون» له يطيقون فوقه «لا خير فيهم» لضلالهم عن الطاعة بعد الهداية والبيان والإقدار، وإساءتهم بالعصيان بعد الإحسان إليهم بالتعريف والإنذار ﴿ما علىٰ المحسنين﴾ بنيّة الخير وإرادة الطاعة ﴿من سبيل﴾ فإنّما يثيب الله عباده بالنيّات.

❖ ❖ ❖

باب

أنّ الهداية من الله تعالىٰ

[٣٤٨] ١. **الكافي: عن الصادق عليه السلام**: «ما لكم وللناس! كفّوا عن الناس، ولا تدعوا أحداً إلىٰ أمركم، فوالله لو أنّ أهل السموات وأهل الأرضين اجتمعوا علىٰ أن يهدوا عبداً يريد

---

١. التوبة (٩): ٩١ و٩٢.
٢. الكافي ١: ١٦٤ / ٤.

الله ضلالته، ما استطاعوا علىٰ أن يهدوه، ولو أنّ أهل السموات وأهل الأرضين اجتمعوا علىٰ أن يضلّوا عبداً يريد الله هداه، ما استطاعوا أن يضلّوه، كفّوا عن الناس، ولا يقول أحد: عمّي وأخي وابن عمّي وجاري، فإنّ الله إذا أراد بعبد خيراً طيّب روحه، فلا يسمع معروفاً إلّا عرّفه، ولا منكراً إلّا أنكره، ثم يقذف الله في قلبه كلمة يجمع بها أمره»[1].

◁ **بيان**

«إلىٰ أمركم» يعني التشيّع والدين الحق «ولا يقول أحد عمّي» أي لا يتأسّف علىٰ ضلالة أقربائه وجيرانه.

[٣٤٩] ٢. الكافي: عنه ﷺ: «إنّ الله إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة من نور، وفتح مسامع قلبه، ووكّل به ملكاً يسدّده، وإذا أراد بعبد سوءاً نكت في قلبه نكتة سوداء، وسدّ مسامع قلبه، ووكّل به شيطاناً يضلّه» ثم تلا هذه الآية: ﴿**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً كأنّما يصّعد في السماء**﴾[2].

◁ **بيان**

«نكت في قلبه نكتة من نور» ألقىٰ في قلبه نيّة صالحة أو خاطر خير يؤثّر فيه من فعلٍ فعل أو قولٍ سمع «وفتح مسامع قلبه» بتكرير الإدراكات النورية الناشئة من تكثير الأعمال الصالحة وسماع الأقوال الفاتحة من جنس ما يتأثّر منه قلبه أو لا فيقوىٰ بها استعداده لأن يصير بها ملكة نفسانية، ويخرج بها نور قلبه من الضعف إلىٰ الكمال، ومن القوّة إلىٰ الفعل، فيستعدّ أن يصير ذاتاً جوهرية نورانية قائمة بذاتها فاعلة للخير والهداية، وإليها أشار بقوله: «ووكّل به ملكاً يسدده» فهذا الملك خلقه الله من مادّة تلك النيّة الصالحة والحالة النفسانية واستعدادها بتكرّر النيّات والإدراكات التي تناسبها، وتولّد هذا الملك في عالم المعنىٰ من تلك النيّة وما تتقوّىٰ به في رحم النفس، كتولّد الحيوان في عالم الصورة من ماء مهين يتغذّىٰ ويتقوّىٰ مدّة بدم الحيض في رحم الأُم حتىٰ يصير شخصاً حيوانياً مستقلّاً بذاته، وقس عليه معنىٰ إرادة السوء، والنكتة السوداء، وسدّ المسامع، وتوكيل الشيطان

---

١. الكافي ١: ١٦٥ / ١.

٢. الكافي ١: ١٦٦ / ٢؛ والآية من سورة الأنعام (٦): ١٢٥.

وإضلاله إياه.

[٣٥٠] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «إجعلوا أمركم لله ولا تجعلوه للناس، فإنّه ما كان لله فهو لله، وما كان للناس فلا يصعد إلىٰ الله، ولا تخاصموا الناس لدينكم، فإنّ المخاصمة ممرضة للقلب، إنّ الله تبارك وتعالىٰ قال لنبيّه صلى الله عليه وآله: «إنّك لا تهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء»[١] وقال: «أفأنت تكره الناس حتىٰ يكونوا مؤمنين»[٢] ذروا الناس، فإنّ الناس أخذوا عن الناس، وإنكم أخذتم عن رسول الله صلى الله عليه وآله، إنّي سمعت أبي عليه السلام يقول: إنّ الله عزّوجلّ إذا كتب علىٰ عبد أن يدخل في هذا الأمر، كان أسرع إليه من الطير إلىٰ وكره»[٣].

وفي رواية: «إذا أراد الله بعبد خيراً أمر ملكاً فأخذ بعنقه، فأدخله في هذا الأمر طائعاً أو كارهاً»[٤].

◁ بيان

«اجعلوا أمركم لله» أي أخلصوا دينكم وانقيادكم لمن أمركم الله بانقياده لله تعالىٰ «ولا تجعلوه للناس» ولا تراؤوا به، فإنّ الرياء شرك خفيّ مردود إلىٰ صاحبه.

[٣٥١] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ خلق قوماً للحقّ، فإذا مرّ بهم الباب من الحقّ قبلته قلوبهم وإن كانوا لا يعرفونه، وإذا مرّ بهم الباطل أنكرته قلوبهم وإن كانوا لا يعرفونه، وخلق قوماً لغير ذلك، فإذا مرّ بهم الباب من الحقّ أنكرته قلوبهم وإن كانوا لا يعرفونه، وإذا مرّ بهم الباب من الباطل قبلته قلوبهم وإن كانوا لا يعرفونه»[٥].

آخر كتاب الصنّع والإبداع والحمد لله أولاً وآخراً.

■

---

١. القصص (٢٨): ٥٦.
٢. يونس (١٠): ٩٩.
٣. الكافي ١: ١٦٦ / ٣ و ٢: ٢١٣.
٤. الكافي ١: ١٦٧ / ٤.
٥. الكافي ٢: ٢١٤ / ٥.

كتاب
النبوة والإمامة

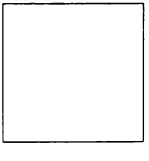

باب

إثبات النبيّ والإمام

[٣٥٢] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام أنّه قال للزنديق الذي سأله: من أين أثبتَ الأنبياء والرسل؟ قال: «إنّا لمّا أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً، لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه، فيباشرهم ويباشروه، ويحاجّهم ويحاجّوه، ثبت أنّ له سفراء في خلقه يعبّرون عنه إلىٰ خلقه وعباده، ويدلّونهم علىٰ مصالحهم ومنافعهم، وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبّرون عنه جلّ وعزّ، وهم الأنبياء وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبين في الحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس علىٰ مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب في شيء من أحوالهم، مؤيّدون عند الحكيم العليم بالحكمة، ثم ثبت ذلك في كلّ دهر وزمان ممّا أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين، لكيلا تخلو أرض الله من حجّة يكون معه علم يدلّ علىٰ صدق مقالته وجواز عدالته»[1].

[٣٥٣] ٢. الكافي: عنه عليه السلام كان عنده جماعة من أصحابه فيهم هشام بن الحكم وهو شابّ، فقال عليه السلام: «ياهشام، ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد، وكيف سألته؟» قال هشام: يابن رسول الله، إني أُجلّك وأستحييك، ولا يعمل لساني بين يديك، فقال: «إذا أمرتكم بشيء فافعلوا».

قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة، فعظم ذلك عليّ، فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة، فأتيت مسجد البصرة، فإذا أنا بحلقة عظيمة فيها عمرو بن عبيد، وعليه شملة سوداء متّزر بها من صوف، وشملة مرتد بها، والناس يسألونه، فاستفرجت الناس، فأفرجوا لي، ثمّ قعدت في آخر القوم على ركبتي، ثم قلت: أيّها العالم إنّي رجل غريب، تأذن لي في مسألة؟ فقال لي: نعم. فقلت له: ألك عين؟ فقال لي: يابنيّ، أيّ شيء هذا من السؤال! وشيء تراه كيف

---

١. الكافي ١: ١٦٨ / ١.

تسأل عنه؟ فقلت: هكذا مسألتي، فقال: يابنيّ، سل وإن كانت مسألتك حمقاء، قلت: أجبني فيها، قال لي: سل. قلت: ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرىٰ بها الألوان والأشخاص. قلت: فلك أنف؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أشمّ به الرائحة، قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعم، قلت: ألك أذن؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت، قلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أميّز به كلّ ما ورد على هذه الجوارح والحواس.

قلت: أوليس في هذه الجوارح غنىً عن القلب؟ فقال: لا، قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة؟! قال: يابني، إنّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمّته، أو رأته، أو ذاقته، أو سمعته، ردّته إلىٰ القلب، فتستيقن اليقين وتبطل الشكّ.

قال هشام: فقلت له: فإنّما أقام الله القلب لشكّ الجوارح؟ قال: نعم، قلت: لابدّ من القلب، وإلّا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم.

فقلت له: ياأبا مروان، فإن الله تعالى لم يترك جوارحك حتىٰ جعل لها إماماً يصحّح لها الصحيح، ويتيقّن به ما شكّت فيه، ويترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم وشكّهم واختلافهم لا يقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم وحيرتهم، ويقيم لك إماماً لجوارحك تردّ إليه حيرتك وشكّك؟.

قال: فسكت ولم يقل لي شيئاً.

ثمّ التفت إليّ فقال: أنت هشام بن الحكم؟ فقلت: لا، فقال: أمن جلسائه؟ قلت: لا، قال: فمن أين أنت؟ قال: قلت: من أهل الكوفة، قال: فإذن أنت هو، ثمّ ضمّني إليه، وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه وما نطق حتى قمت.

قال: فضحك أبو عبدالله عليه السلام وقال: «يا هشام من علّمك هذا؟» قلت: شيء أخذته منك وألفْتُه، فقال: «هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى»[1].

[٣٥٤] ٣. الكافي: عنه عليه السلام في حديث الشامي الذي جاء لمناظرة أصحابه عليه السلام وقد خصم نفسه قبل أن يتكلّم، ثم كلّم واحداً واحداً من أصحابه، قال له أبوعبدالله عليه السلام: «كلّم هذا الغلام» يعني هشام بن الحكم، فقال: نعم.

فقال لهشام: سلني في إمامة هذا، فغضب هشام حتىٰ ارتعد، ثم قال للشامي: ياهذا، أربّك أنظر

---

١. الكافي ١: ١٦٩ / ٣.

لخلقه أم خلقه لأنفسهم؟ فقال الشامي: بل ربّي أنظر لخلقه، قال: ففعل بنظره ماذا؟ قال: أقام لهم حجّة ودليلاً كيلا يتشتّتوا أو يختلفوا، يتألّفهم ويقيم أودهم ويخبرهم بفرض ربّهم، قال: فمن هو؟ قال: رسول‌الله ﷺ، قال هشام: فبعد رسول الله ﷺ من؟ قال: الكتاب والسنّة، قال هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنّة في رفع الاختلاف عنّا؟ قال الشامي: نعم، قال: فلم اختلفت أنا وأنت وصرت إلينا من الشام في مخالفتنا إيّاك؟ قال: فسكت الشامي. فقال أبو عبدالله عليه السلام للشامي: «ما لك لا تتكلم؟» قال الشامي: إن قلت: لم نختلف كذبت، وإن قلت: إنّ الكتاب والسنّة يرفعان عنّا الاختلاف أبطلت، لأنّهما يحتملان الوجوه، وإن قلت: قد اختلفنا وكلّ واحد منّا يدعي الحقّ، فلم ينفعنا إذاً الكتاب والسنّة إلاّ أن لي عليه هذه الحجّة. فقال أبو عبدالله عليه السلام: «سله تجده مليّاً».

فقال الشامي: يا هذا، من أنظر للخلق أربّهم أو أنفسهم؟ فقال هشام: ربّهم أنظر لهم منهم لأنفسهم، فقال الشامي: فهل أقام لهم من يجمع لهم كلمتهم، ويقيم أودهم، ويخبرهم بحقّهم من باطلهم؟ فقال هشام: في وقت رسول‌الله ﷺ أو الساعة؟ قال الشامي: في وقت رسول الله رسولُ الله ﷺ، والساعة من؟ فقال هشام: هذا القاعد الذي يشدّ إليه الرحال ويخبرنا بأخبار السماء وراثة عن أب عن جدّ. فقال الشامي: فكيف لي أن أعلم ذلك؟ قال هشام: سله عمّا بدا لك، قال الشامي: قطعت عذري فعليّ السؤال.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: «ياشامي، أُخبرك كيف كان سفرك، وكيف كان طريقك، كان كذا وكان كذا» فأقبل الشامي يقول: صدقت، أسلمت لله الساعة.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: «بل آمنت بالله الساعة، إنّ الاسلام قبل الإيمان، وعليه يتوارثون ويتناكحون، والإيمان عليه يثابون».

فقال الشامي: صدقت، وأنا الساعة أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وأنّك وصيّ الأوصياء[1].

◁ بيان

صدر هذا الخبر المذكور في (الكافي) مع ذيل له، وقد حذف هنا للاختصار، ولعلّ غضب هشام كان لسوء أدبه مع الإمام، أو استهزائه بهشام «إلاّ أنّ لي عليه هذه الحجّة» يعني الحجّة التي كانت له عليّ.

---

١. الكافي ١: ١٧١ / ٤.

[٣٥٥] ٤. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «يامعشر الشيعة، خاصموا بسورة (إنا أنزلناه) تفلحوا، فوالله إنّها لحجة الله على الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّها لسيدة دينكم، وإنّها لغاية علمنا. يامعشر الشيعة، خاصموا بـ ﴿حٰم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنّا منذرين﴾[1]، فإنّها لولاة الأمر خاصّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، يامعشر الشيعة، يقول الله تعالى: ﴿وإن من أُمّةٍ إلّا خلا فيها نذير﴾[2]».

قيل: يأبا جعفر، نذيرها محمّد صلى الله عليه وآله؟ فقال: «صدقت، فهل كان نذير وهو حيّ من البعثة في أقطار الأرض؟» فقال السائل: لا، قال أبو جعفر عليه السلام: «أرأيت بعثه أليس نذيره؟ كما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله في بعثته من الله نذير؟» فقال: بلى، قال: «فكذلك لم يمت محمّداً إلّا وله بعيث نذير» قال: «فإن قلت: لا، فقد ضيّع رسول الله صلى الله عليه وآله من في أصلاب الرجال من أُمّته».

قال: وما يكفيهم القرآن؟ قال: «بلىٰ إن وجدوا له مفسّراً» قال: وما فسره رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: «بلىٰ، قد فسّره لرجل واحد، وفسّر للأُمة شأن ذلك الرجل، وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام».

قال: يا أباجعفر، كان هذا أمر خاصّ لا يحتمله العامّة، قال: «أبىٰ الله أن يعبد إلّا سرّاً حتىٰ يأتي إبّان أجله الذّي يظهر فيه دينه، كما أنّه كان رسول الله صلى الله عليه وآله مع خديجة عليها السلام مستتراً حتىٰ أمر بالإعلان».

قال السائل: ينبغي لصاحب هذا الدّين أن يكتم؟ قال: «أو ما كتم علي بن أبي طالب عليه السلام يوم أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتىٰ ظهر أمره؟» قال: بلىٰ، قال: «فكذلك أمرنا حتىٰ يبلغ الكتاب أجله»[3].

◁ **بيان**

«إنّها لحجّة الله علىٰ الخلق» وذلك لأنّ تنزّل الملائكة والروح في ليلة القدر من كلّ أمر ببيان وتأويل سنة فسنة، كما هو المعني بإنزاله فيها، وكما يدلّ عليه فعل المستقبل الدّالّ على التجدّد في الاستقبال، وبقاء ليلة القدر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله

---

١. الدخان (٤٤): ١ ـ ٣.
٢. فاطر (٣٥): ٢٤.
٣. الكافي ١: ٢٤٩ / ٦.

يقتضي وجود المنزل إليه بذلك بعده، وقد بيّن ذلك في أخبار أُخر.

«لسيّدة دينكم»[١] يعني لسيّدة حجج دينكم «لغاية علمنا» أي نهاية ما يحصل لنا من العلم لكشفها عن ليلة القدر التي يحصل لنا فيها غرائب العلم ومكنوناته «فإنّها لولاة الأمر خاصّة» يعني هذه الآيات إنّما هي للأئمة المعصومين بعد النبيّ ﷺ وفي شأنهم، ليست لغيرهم.

يعني هذا الإنزال إنّما هو عليهم بعده، وهذا الإنذار إنما يكون بهم بعده. وإرسال الأمر المذكور إنّما هو إليهم خاصةً، وممّا ينبّه على هذا قوله تعالى: ﴿إنّ علينا جمعه وقرآنه﴾ أي حين أنزلناه نجوماً، ﴿فإذا قرأناه﴾ عليك حينئذ ﴿فاتّبع قرآنه﴾ أي جملته ﴿ثم إنّ علينا بيانه﴾[٢] يعني في ليلة القدر بإنزال الملائكة والروح فيها عليك وعلى أهل بيتك من بعدك من كلّ أمر بتفريق المحكم من المتشابه وبتقدير الأشياء وتبيين أحكام خصوص الوقائع التي تصيب الخلق في تلك السنة إلىٰ ليلة القدر الآتية، وبالجملة تتميم إنزاله بحيث يكون هدىً للناس وبيّنات من الهدى والفرقان كما قال سبحانه: ﴿شهر رمضان الّذي أُنزل فيه القرآن﴾ يعني في ليلة القدر منه ﴿هدىً للناس وبيّنات من الهدىٰ والفرقان﴾[٣] تثنية لقوله عزوجلّ: ﴿إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين * فيها يفرّق كل أمر حكيم﴾ أي محكم ﴿أمراً من عندنا إنا كنّا مرسلين﴾[٤] فقوله: ﴿يفرق فيها﴾ وقوله: ﴿والفرقان﴾ معناهما واحد.

وفي (الكافي) و (معاني الأخبار): عن الصادق ﷺ: «إنّ القرآن جملة الكتاب، والفرقان المحكم الواجب العمل به»[٥] والذي قلناه كلّه مستفاد من أخبارهم ﷺ وفيها: «أنّه لو رفعت ليلة القدر لرفع القرآن»[٦] وفي (الفقيه): «تكامل نزول القرآن ليلة القدر»[٧] ﴿وإن من أُمّة إلّا خلا فيها نذير﴾[٨] يعني لابدّ لكلّ أُمّة من نذير حيّ يكون بين أظهرهم ينذرهم في كلّ زمان وكذلك كان ما كانت الدنيا «نذيرها محمّد» يعني نذير

---

١. الكافي ١: ٢٤٩ / ب في شأن سورة القدر... .
٢. القيامة (٧٥): ١٧ ـ ١٩.
٣. البقرة (٢): ١٨٥.
٤. الدخان (٤٤): ٣ ـ ٥.
٥. الكافي ٢: ٦٣٠ / ب النوادر، معاني الاخبار: ١٨٩.
٦. الكافي ٤: ١٥٨ / باب ليلة القدر.
٧. الفقيه ٢: ٩٩ / باب شهر رمضان.
٨. فاطر (٣٥): ٢٤.

هذه الأُمّة محمّدﷺ صدّقت صدقه باعتبار نذارتهﷺ للأُمّة كافّة بلا واسطة بينه وبين الله سبحانه.

ثم أخذ في الاحتجاج علىٰ السائل للاضطرار إلىٰ النذير في كلّ قرن حتى في قرنهﷺ لمن كان في أقطار الأرض بعيداً منه «من البعثة» أي من جهة بعثتهﷺ أصحابه إلىٰ أقطار الأرض أو هي بفتحتين جمع (بعيث) بمعنىٰ المبعوث، فأخطأ السّائل حين أنكر ذلك، فنبّهه على خطئه بقوله: «أرأيت بعيثه أليس نذيره» يعني بل إنما يكون من يبعثه من أصحابه إلىٰ أقطار الأرض نيابة عن نفسه نذيره في بعثته، كما أنّه نذير من الله في بعثته «وكذلك لم يمت محمّد إلا وله بعيث نذير» يعني كما كان الأمر في حال حياة الرسول(ص) كذلك كان بعد موته، فلم يمت محمّد(ص) إلّا وله خليفة قد بعثه إلىٰ الخلق لإنذارهم، وهكذا كلّ خليفة ما بقيت الدنيا، وإلّا لزم أن يكون الرسول قد ضيّع من في أصلاب الرجال من أُمّته، كما أنّه لو لم يبعث في حال حياته إلىٰ من غاب عنه في أقطار الأرض لكان قد ضيّعهم.

[٣٥٦] ٥. **الكافي: عنه**ﷺ: «لقد خلق الله تعالى ليلة القدر أوّل ما خلق الدنيا، ولقد خلق فيها أوّل نبيّ يكون وأول وصيّ يكون، ولقد قضىٰ أن يكون في كلّ سنة ليلة يهبط فيها بتفسير الأُمور إلىٰ مثلها من السنة المقبلة، من جحد ذلك فقد ردّ على الله علمه، لأنّه لا يقوم الأنبياء والرسل والمُحَدَّثون إلّا أن يكون عليهم حجّة بما يأتيهم في تلك الليلة مع الحجّة التي يأتيهم بها جبرئيلﷺ»[1] **الحديث بطوله.**

◁ **بيان**

«المُحَدَّث» بفتح الدّال المشدّدة: الذي يحدّثه الملك، وأُريد بالمحدّثين الأئمةﷺ.

ولعلّ السرّ في كون خلق ليلة القدر مع أوّل خلق الدنيا، وخلق أوّل نبيّ أو وصيّ يكون فيها، أنّ ليلة القدر يدبّر فيها كلّ أمر يكون في الدنيا، ويقدّر فيها كلّ شيء يوجد في العالم، وتنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربّهم من كل أمر إلىٰ نبيّ أو وصيّ، كما تقرّر ذلك كلّه في النصوص، وتعيين الوصيّ للنبيّ إنما يكون في تلك الليلة، فلو كانت الدنيا متقدّمة علىٰ ليلة القدر لزم أن يكون إمضاؤها قبل تدبيرها وتقديرها، ولو كانت ليلة القدر متقدّمة على الدنيا لزم أن لا تتنزّل الملائكة والروح فيها لفقد المنزل إليه.

---

١. الكافي ١: ٢٥٠ / ٧.

ثم إنّ الدنيا إنما كانت دنياً لدنوّها من الإنسان بالإضافة إلىٰ الآخرة، فهما حالتان للإنسان، فلا دنيا قبل إنسان، ولا إنسان قبل نبيّ أو وصي، إذ لا يقوم هذا النوع إلّا بحجّة، كما يأتي بيانه في الأخبار، فخلق النبيّ الأوّل والوصيّ الأوّل من حيث كونه وصياً إنّما يكون في ليلة القدر، ولا ليلة قدر ولا دنياً إلّا وفيهما نبي أو وصي، ولا نبي ولا وصي، إلّا ولهما ليلة قدر.

«فقد ردّ على الله علمه» لأنّ علم الله في الأُمور المتجدّدة في كلّ سنة لابدّ أن ينزل في ليلة القدر إلىٰ الأرض، ليكون حجّةً على الأنبياء والمحدّثين لنبوّتهم وولايتهم، فالرادّ لليلة القدر هو الرادّ علىٰ الله علمه، الجاحد أن يكون علمه في الأرض.

[٣٥٧] ٦. الكافي: عن النبيّ: ﷺ قال لأصحابه: «آمنوا بليلة القدر إنّها تكون لعليّ بن أبي طالب ﷺ ولولده الأحد عشر من بعدي»[١].

◆ ◆ ◆

باب
أنّ الأرض لاتخلو من حجّة

[٣٥٨] ١. الكافي: عن الصادق ﷺ: «ما زالت الأرض إلّا ولله فيها الحجّة، يعرف الحلال والحرام، ويدعو الناس إلىٰ سبيل الله»[٢].

[٣٥٩] ٢. الكافي: عنه ﷺ: «إنّ الأرض لا تخلو إلّا وفيها إمام، كيما إن زاد المؤمنون شيئاً ردّهم، وإن نقصوا شيئاً أتمّه لهم»[٣].

[٣٦٠] ٣. الكافي: عن أحدهما ﷺ: «إنّ الله لم يدع الأرض بغير عالم، ولولا ذلك لم يعرف الحقّ من الباطل»[٤].

[٣٦١] ٤. الكافي: عن الباقر ﷺ: «والله ما ترك الله أرضاً منذ قبض الله آدم ﷺ إلّا وفيها إمام

---

١. الكافي ١: ٥٣٣ / ١٢.
٢. الكافي ١: ١٧٨ / ٣.
٣. الكافي ١: ١٧٨ / ٢.
٤. الكافي ١: ١٧٨ / ٥.

يهتدىٰ به إلىٰ الله، وهو حجتّه علىٰ عباده، ولاتبقىٰ الأرض بغير إمام حجة لله على عباده»[١].

وفي رواية: سئل: يكون إمامان؟ قال: «لا، إلّا وأحدهما صامت»[٢].

[٣٦٢] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «لو أنّ الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله»[٣].

وفي رواية: «لساخت»[٤].

[٣٦٣] ٦. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «لو كان الناس رجلين لكان أحدهما الإمام». وقال: «إنّ آخر من يموت الإمام، لئلّا يحتجّ أحد على الله أنه تركه بغير حجّة لله»[٥].

[٣٦٤] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «الحجّة قبل الخلق، ومع الخلق، وبعد الخلق»[٦].

❖ ❖ ❖

باب

الفرق بين الرسول والنبيّ والإمام

[٣٦٥] ١. الكافي: عن الباقر عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿وكان رسولاً نبيّاً﴾[٧] ما الرسول وما النبي؟ قال: «النبيّ الذي يرىٰ في منامه، ويسمع الصوت، ولا يعاين الملك، والرسول الذي يسمع الصوت، ويرىٰ في المنام، ويعاين الملك».

قيل: والإمام ما منزلته؟ قال: «يسمع الصوت، ولا يرىٰ، ولا يعاين الملك» ثم تلا هذه الآية: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ ولا محدّث[٨].

---

١. الكافي ١: ١٧٨ / ٨.
٢. الكافي ١: ١٧٨ / ١.
٣. الكافي ١: ١٧٩ / ١٢.
٤. الكافي ١: ١٧٩ / ١٠ و ١١ و ١٣.
٥. الكافي ١: ١٨٠ / ٣.
٦. الكافي ١: ١٧٧ / ٤.
٧. مريم (١٩): ٥١ و ٥٤.
٨. الكافي ١: ١٧٦ / ١؛ والآية من سورة الحج (٢٢): ٥٢.

وفي رواية: سئل: كيف يعلم إنّه كلام الملك؟ قال: «إنّه يعطى السّكينة والوقار حتىٰ يعلم أنّه كلام ملك»[١].

◁ بيان

قوله: «ولا محدّث» إنّما هو في قراءة أهل البيت عليهم السلام، وقد مرّ معناه، وإنّ المراد به الإمام.

[٣٦٦] ٢. الكافي: عنه عليه السلام سئل عن الرسول والنبيّ والمحدّث، قال: «الرسول الذي يأتيه جبرئيل قبلاً فيراه ويكلّمه فهذا الرسول، وأما النبيّ فهو الذي يرىٰ في منامه نحو رؤيا إبراهيم ونحو ما كان رأىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله من أسباب النبوّة قبل الوحي حتىٰ أتاه جبرئيل عليه السلام من عند الله بالرسالة، وكان محمّد صلى الله عليه وآله حين جمع له النبوّة وجاءته الرسالة من عند الله يجيئه بها جبرئيل ويكلّمه بها قبلاً، ومن الأنبياء من جمع له النبوّة ويرىٰ في منامه ويأتيه الروح ويكلّمه ويحدّثه من غير أن يكون يرىٰ في اليقظة، وأمّا المحدّث فهو الذي يُحدَّث فيسمع، ولا يعاين ولا يرىٰ في منامه»[٢].

◁ بيان

«قُبلاً» أي عياناً ومقابلة «نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام» يعني رؤياه في ذبح ابنه «جمع له النبوة» أي تمّت.

[٣٦٧] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ أوصياء محمّد مُحَدَّثون»[٣].

[٣٦٨] ٤. الكافي: عن أبي الحسن عليه السلام: «الأئمة علماء مفهّمون مُحَدَّثون»[٤].

[٣٦٩] ٥. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «الأئمة بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أنهم ليسوا بأنبياء، ولا يحلّ لهم من النساء ما يحلّ للنبيّ، فأمّا ما خلا ذلك فهم بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله»[٥].

---

١. الكافي ١: ٢٧١ / ٤.
٢. الكافي ١: ١٧٦ / ٣.
٣. الكافي ١: ٢٧٠ / ١.
٤. الكافي ١: ٢٧١ / ٣.
٥. الكافي ١: ٢٧٠ / ٧.

[٣٧٠] ٦. الكافي: عنهما عليهما السلام سئلا: ما منزلتكم؟ ومن تشبهون ممّن مضىٰ؟ قالا: «صاحب موسىٰ و ذوالقرنين كانا عالمين ولم يكونا نبيّين»[١].

وفي رواية: «وصاحب سليمان»[٢].

◁ بيان

أُريد بصاحب موسىٰ: يوشع بن نون، وبصاحب سليمان: آصف بن برخيا عليه السلام.

وجملة القول في تحقيق حصول العلم في قلوب المستعدّين له: إنّ حقائق الأشياء كلّها مسطورة في اللوح المحفوظ، وإنّما يفيض علىٰ قلوبنا من ذلك العالم بواسطة القلم العقلي الكاتب في ألواح نفوسنا، كما قال عزّ وجل: ﴿أُولئك كتب في قلوبهم الايمان﴾[٣] وقال سبحانه: ﴿علّم بالقلم علّم الانسان ما لم يعلم﴾[٤] وقلب الانسان صالح لأن تنتقش فيه العلوم كلّها، وهو كمرآة مستعدة لأن يتجلّىٰ فيه حقيقة الحقّ في الأُمور كلّها من اللوح المحفوظ، وإنّما خلّا عمّا خلا عنه من العلوم. إمّا لنقصانٍ في ذاته كقلب الصبي، وهو يشبه نقصان صورة المرأة كجوهر الحديد قبل أن يصيقل، أو لكثرة المعاصي والخبث الذي تراكم عليه من كثرة الشهوات المانعة من صفائه وجلائه، وهذا يشبه خبث المرآة وصداها، أو لعدوله عن جهة الحقيقة المطلوبة لاستيعاب همّته بتهيئة أسباب المعيشة وتفصيل الأعمال البدنية المانعة من التأمل في الحضرة الربوبية والحقائق الحقّية الإلهية، فلا ينكشف له إلّا ما هو متفكّر فيه، وهذا يشبه كون المرآة معدولاً بها عن جهة الصورة، والحجاب بينه وبين المطلوب من اعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظنّ، فإنّ ذلك يحول بينه وبين حقائق الحقّ، ويمنع أن ينكشف في قلبه خلاف ما تلقّفه من ظاهر التقليد، وهذا يشبه الحجاب المرسل بين المرآة وبين الصورة المطلوب رؤيتها، أو لجهل بالجهة التي يقع فيها العثور على المطلوب، فإن طالب العلم ليس يمكنه أن يحصّل العلم المطلوب إلّا بتذكّر العلوم التي تناسب مطلوبه، حتىٰ إذا ذكرها ورتّبها في نفسه ترتيباً مخصوصاً حصل له المطلوب، فإذا لم يكن عنده العلوم المناسبة لذلك

---

١. الكافي ١: ٢٦٩ / ٤.
٢. الكافي ١: ٢٦٨ / ١.
٣. المجادلة ٥٨: ٢٢.
٤. العلق ٩٦: ٤.

لم يحصل له المطلوب، وهذا يشبه الجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة، فهذه هي الأسباب المانعة لإدراك الحقائق.

ثم إنّ العلوم التي ليست ضرورية إنما تحصل في القلب تارة بالاكتساب بطريق الاستدلال والتعلّم، ويسمّىٰ اعتباراً واستبصاراً، ويختصّ بالعلماء والحكماء، وتارة بهجومه علىٰ القلب كأنه أُلقي فيه من حيث لا يدري سواء كان عقيب طلب وشوق أو لا، وسواء كان مع الاطّلاع علىٰ السبب الذي منه أُستفيد ذلك العلم أو لا، فإنّه قد يكون بمشاهدة الملك الملقي في القلب نكتاً، أو يلهم إلهاماً، وقد يكون ذلك الهجوم في النوم كما يكون في اليقظة، والمشاهدة تختص بالأنبياء والرسل، وخصّ باسم الوحي عرفاً، وغيرها قد يكون لغيرهم، وكما أنّ الحجاب بين المرآة والصورة يزال تارة بتعمّل اليد المتصرّفة، وتارة بهبوب ريح تحرّكه، فكذلك استفادة العلوم بالقلم الإلهي للإنسان قد تكون بقوّة فكرته المتصرّفة في تجريد الصور عن الغواشي والانتقال من بعضها إلىٰ بعض، وقد تهبّ رياح الألطاف الإلهيّة، فتكشف الحجب والغواشي عن عين بصيرته، فيتجلّىٰ فيها بعض ما هو مثبت في اللوح الأعلىٰ، فيكون تارة عند المنام، فيظهر به ما سيكون في المستقبل، وتارة ينقشع الحجاب بلطف خفيّ من الله، فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب أسرار الملكوت في اليقظة، فربما يدوم، وربما يكون كالبرق الخاطف ودوامه في غاية الندور، فلم يفارق الإلهام وحديث الملك الاكتساب في العلم، ولا في محلّه، ولا في سببه، ولكن يفارقه في طريقة زوال الحجاب وجهته، ولم يفارق الوحي الإلهام والحديث في شيء من ذلك، بل في شدة الوضوح والنورية، ومشاهدة الملك المفيد للعلم، والكلّ مشتركة في أنّها بواسطة الملك الذي هو القلم، كما قال عزّوجلّ: ﴿علّم بالقلم﴾ ولعلّ الإشارة إلىٰ هذه المراتب الثلاث في قوله سبحانه: ﴿**وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلّا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً**﴾[1].

قال بعض العلماء: السرّ في اطّلاع النبيّ علىٰ الملك الموحى دون غيره أنّه لمّا صقل روحه بصقالة العقل للعبودية التّامة، وزالت عنه غشاوة الطبيعة ورين المعصية بالكلّية، وكانت نفسه قدسية شديدة القوىٰ قوية الإنارة لما تحتها، لم تشغلها جهة فوقها عن جهة تحتها فتضبط الطرفين وتسع الجانبين، ولا

---

١. الشورى ٤٢: ٥١.

يستغرقها حسّها الباطن عن حسّها الظاهر، فإذا توجّهت إلىٰ الأفق الأعلىٰ. وتلقّت أنوار المعلومات بلا تعليم بشري من الله، يتعدّىٰ تأثيرها إلىٰ قواها. وتتمثّل صورة ما تشاهده لروحها البشري ومنها إلىٰ ظاهر الكون. فتمثّل للحواس الظاهرة سيّما السمع والبصر، لكونهما أشرف الحواس الظاهرة وألطفها، فيرىٰ شخصاً محسوساً، ويسمع كلاماً منظوماً في غاية الجودة والفصاحة، أو يرىٰ صحيفة مكتوبة.

فالشخص هو الملك النازل الحامل للوحي الإلهيّ، والكلام هو كلام الله. والكتاب كتابه، وقد نزل كلّ منها من عالم الأمر القولي القضائي وذاته الحقيقية وصورته الأصلية إلىٰ عالم الخلق الكتابي القدري، في أحسن صورة وأجمل كسوة، كتمثّل جبرئيل لنبيّنا ﷺ في صورة دحية بن خليفة الكلبي الذي كان أجمل أهل زمانه.

ويقال: ما رآه في صورته الحقيقية إلّا مرّتين، وذلك أنّه ﷺ سأله أن يريه نفسه على صورته، فواعده ذلك بحراء، فطلع له جبرئيل ﷺ فسدَّ الأُفق من المشرق إلىٰ المغرب[1]، وفي رواية: «كان له ستّمائة جناح»[2] ورآه مرّة أُخرىٰ على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهىٰ.

❖ ❖ ❖

باب
طبقات الأنبياء والرّسل

[٣٧١] ١. الكافي: عن الصادق ﷺ: «الأنبياء والمرسلون علىٰ أربع طبقات: فنبيّ منبّأ في نفسه لا يعدو غيرها، ونبيّ يرىٰ في النوم ويسمع الصوت ولايعاينه في اليقظة ولم يبعث علىٰ أحد وعليه إمام مثل ما كان إبراهيم علىٰ لوط ﷺ، ونبيّ يرىٰ في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك، وقد أُرسل إلىٰ طائفة قلّوا أو كثروا، كيونس، قال الله تعالىٰ ليونس: ﴿وأرسلناه إلىٰ مائة ألف أو يزيدون﴾[3] قال: يزيدون ثلاثين ألفاً وعليه إمام.

---

١. بحارالانوار ١٨: ٢٤٥.

٢. امالي المفيد: ٢٧/٢٣٩.

٣. الصافات (٣٧): ١٤٧.

والذي يرىٰ في منامه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو إمام مثل أُولي العزم، وقد كان إبراهيم عليه السلام نبيّاً وليس بإمام، حتىٰ قال الله تعالىٰ له: ﴿إنّي جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي﴾ فقال الله: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾[1] من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً»[2].

◁ بيان

«منّبأ» أي أنبأه الملك في نومه، إمّا بأن يراه فيه، أو يسمع صوته «في نفسه لا يعدو غيرها» يعني أنه يوحىٰ إليه أمر نفسه فقط لا يتجاوز حكمه إلىٰ غيره «ويسمع الصوت» أي صوت الملك في المنام واليقظة.

[٣٧٢] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «إن الله تعالىٰ اتّخذ إبراهيم عليه السلام عبداً قبل أن يتّخذه نبيّاً، وإنّ الله اتخذه نبيّاً قبل أن يتخذه رسولاً، وإنّ الله اتخذه رسولاً قبل أن يتخذّه خليلاً، وانّ الله اتخذّه خليلاً قبل أن يجعله إماماً، فلما جمع له الأشياء قال: ﴿إنّي جاعلك للناس إماماً﴾ قال: فمن عظمها في عين إبراهيم قال: ﴿ومن ذريتي﴾؟ قال: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ قال: لا يكون السفيه إمام التقي»[3].

◁ بيان

إنما ترتّب هذه الخصال والمكارم بعضها علىٰ بعض؛ لأن كلّ لاحق منها يشمل علىٰ سابقه مع زيادة خصلة عليه، وذلك لأنّ النبوّة لا تحصل إلّا بعد العبودية، والرسالة لا تتأتّى إلّا بعد النبوّة أو ما يقوم مقامها من التحديث والتفهيم، والخلّة لا تكون إلّا بعد الرسالة أو ما في حكمها من فرض الطاعة، والإمامة لا تعطى إلّا بعد الخلّة، فهي أشرف المقامات.

[٣٧٣] ٣. الكافي: سئل الباقر عليه السلام: أكان عيسىٰ بن مريم حين تكلّم في المهد حجّة الله علىٰ أهل زمانه؟ فقال: «كان يومئذ نبيّاً حجّةً لله غير مرسل، أما تسمع لقوله حين قال: ﴿إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيّاً﴾[4]!»

قيل: فكان يومئذ حجّة لله علىٰ زكريا في تلك الحال وهو في المهد؟ فقال: «كان عيسىٰ في

---

١. البقرة (٢): ١٢٤.
٢. الكافي ١: ١٧٤ / ١.
٣. الكافي ١: ١٧٥ / ٢.
٤. مريم (١٩): ٣١.

تلك الحال آية للناس ورحمة من الله لمريم حين تكلّم فعبّر عنها، وكان نبيّاً حجّة علىٰ من سمع كلامه في تلك الحال، ثم صمت فلم يتكلّم حتىٰ مضت له سنتان، وكان زكريا الحجّة لله تعالىٰ علىٰ الناس بعد صمت عيسىٰ بسنتين، ثمّ مات زكريا فورثه ابنه يحيىٰ الكتاب والحكمة وهو صبيّ صغير، أما تسمع لقوله عزّوجل: ﴿يايحيىٰ خذالكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيّاً﴾[1]، فلما بلغ عيسىٰ عليه السلام سبع سنين تكلّم بالنبوّة والرسالة حين أوحىٰ الله إليه، فكان عيسىٰ الحجّة علىٰ يحيىٰ وعلىٰ الناس أجمعين، وليس تبقىٰ الأرض يوماً واحداً بغير حجّة لله علىٰ الناس منذ يوم خلق الله آدم عليه السلام وأسكنه الأرض».

فقيل: جعلت فداك، أكان عليّ عليه السلام حجّة من الله ورسوله علىٰ هذه الأمة في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: «نعم، يوم أقامه للناس ونصبه علماً ودعاهم إلىٰ ولايته وأمرهم بطاعته».

قيل: فكانت طاعة عليّ عليه السلام واجبة علىٰ الناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد وفاته؟ فقال: «نعم، ولكنّه صمت فلم يتكلّم مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله، علىٰ أُمّته وعلىٰ عليّ عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت الطاعة من الله ومن رسوله علىٰ الناس كلّهم لعليّ عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وكان علي عليه السلام حكيماً عليماً»[2].

[٣٧٤] ٤. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «سادة النبيّين والمرسلين خمسة، وهم أُولو العزم من الرسل، وعليهم دارت الرحىٰ: نوح، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ومحمّد صلى الله عليه وآله وعلىٰ جميع الأنبياء».[3]

[٣٧٥] ٥. الكافي: عنه عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿فاصبر كما صبر أُولو العزم من الرّسل﴾[4] قال: «نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمّد صلى الله عليه وآله».

قيل: كيف صاروا أُولي العزم؟ قال: «لأنّ نوحاً بعث بكتاب وشريعة، وكلّ من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه، حتىٰ جاء إبراهيم بالصحف وبعزيمة ترك

---

١. مريم (١٩): ١٢.
٢. الكافي ١: ٣٨٢ / ١.
٣. الكافي ١: ١٧٥ / ٣.
٤. الأحقاف ٤٦: ٣٥.

كتاب نوح لا كفراً به، فكلّ نبيّ جاء بعد إبراهيم أخذ بشريعة إبراهيم ومنهاجه وبالصحف حتىٰ جاء موسىٰ بالتوراة وشريعته ومنهاجه وبعزيمة ترك الصحف، فكلّ نبيّ جاء بعد موسىٰ أخذ بالتوراة وبشريعته ومنهاجه حتىٰ جاء المسيح بالإنجيل وبعزيمة ترك شريعة موسىٰ ومنهاجه، فكلّ نبي جاء بعد المسيح أخذ بشريعته ومنهاجه حتىٰ جاء محمّد ﷺ بالقرآن وبشريعته ومنهاجه، فحلاله حلال إلىٰ يوم القيامة، وحرامه حرام إلىٰ يوم القيامة، فهؤلاء أولو العزم من الرسل عليهم السلام»[1].

[٣٧٦] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الله أعطىٰ محمّداً شرائع نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ عليهم السلام التوحيد والإخلاص وخلع الأنداد والفطرة الحنيفيّة السمحة، لا رهبانية ولا سياحة، أحلّ فيها الطيّبات وحرّم فيها الخبائث، ووضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، ثم افترض عليه فيها الصلاة والزكاة والصيام والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحلال والحرام والمواريث والحدود والفرائض والجهاد في سبيل الله وزيادة الوضوء، وفضّله بفاتحة الكتاب وبخواتيم سورة البقرة والمفصّل، وأحلّ له المغنم والفيء، ونصره بالرعب، وجعل له الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسله كافّة إلىٰ الأبيض والأسود والجنّ والإنس، وأعطاه الجزية وأسر المشركين وفداهم، ثم كلّفه ما لم يكلّف أحداً من الأنبياء، وأنزل عليه سيف من السماء من غير غمد، وقيل له: ﴿**قاتل في سبيل الله لا تكلّف إلّا نفسك**﴾»[2].

◁ بيان

قوله عليه السلام: «والفطرة الحنيفيّة» عطف علىٰ قوله: «شرائع نوح» لا قوله «التوحيد» لأنّ أكثر ما ذكر بعدها مختصّ به وليس في شرائع من تقدّمه ﷺ «والرهبانية» من الرهبة بمعنىٰ الخوف، كانوا يترهّبون بالتخلّي من أشغال الدنيا وترك ملاذّها والزهد فيها والعزلة عن أهلها، وتعمّد مشاقّها حتىٰ أنّ منهم من كان يخصي نفسه ويضع السلسلة في عنقه، وإليها أُشير بالأغلال، والإصر: الحبس والضيق.

❖ ❖ ❖

---

١. الكافي ٢: ٣/١٧.

٢. الكافي ٢: ١٧ / ١، والآية من سورة النساء (٤): ٨٤.

باب

العلّة في تخصيص بعض المعجزات ببعض الأنبياء

[٣٧٧] ١. الكافي: سأل ابن السكّيت أبا الحسن عليه السلام: لماذا بعث الله موسىٰ بن عمران بالعصا ويده البيضاء وآلة السحر، وبعث عيسىٰ بآلة الطب، وبعث محمّداً صلى الله عليه و آله وعلىٰ جميع الأنبياء بالكلام والخطب؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ لما بعث موسىٰ عليه السلام كان الغالب علىٰ أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجّة عليهم، وإنّ الله بعث عيسىٰ عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلىٰ الطبّ، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيىٰ لهم الموتىٰ وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت به الحجّة عليهم، وإنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله في وقت كان الغالب علىٰ عصره الخطب والكلام ـ وأظنّه قال: الشعر ـ فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم وأثبت به الحجّة عليهم».

فقال ابن السكّيت: تالله ما رأيت مثلك قطّ، فما الحجّة علىٰ الخلق اليوم؟ فقال عليه السلام: «العقل، يعرف به الصادق علىٰ الله فيصدّقه، والكاذب علىٰ الله فيكذبه».

فقال ابن السكّيت: هذا والله هو الجواب[1].

◁ بيان

«السحر» ما لطف مأخذه ودقّ وخفي سببه وتخيّل علىٰ غير حقيقته، والمراد بآلتي السحر والطبّ ما يناسب آليتهما، وإلّا فليس ذلك سحراً ولا ذاك طبّاً، بل هما مما يبطل السحر والطب، والمعنىٰ أنهم عليهم السلام إنما أتوا بالغالب علىٰ أهل العصر لأنه أقوىٰ وأتمّ في إثبات المقصود حيث عرفوا نهاية المقدور لهم فيه، فإذا جاوزه حصل لهم العلم بأنه ليس من فعل أشباههم، بخلاف غيره فإنّه ربما يتوهّم أنهم لو تناولوه وسعوا فيه بلغوا مبلغه.

«الزمانات» الآفات الواردة علىٰ بعض الأعضاء فيمنعها عن الحركة كالفالج واللقوة، وربما يطلق المزمن على مرض طال زمانه، والزَّمِن علىٰ من طال مرضه.

---

١. الكافي ١: ٢٤، ٢٠.

«اليوم» أي هذا الزمان الذي ليس الغالب على الخلق غريزة الفصاحة حتى يعرفوا حجّية القرآن.

«العقل» فيه تنبيه على ترقّي الاستعدادات وتلطّف القرائح في هذه الأُمة حتى استغنوا بعقولهم عن مشاهدة المعجزات المحسوسة، فإن الإيمان بالمعجزة دين اللئام ومنهج العوام، وأهل البصيرة لا يقنعون إلّا بانشراح الصدر بنور اليقين ﴿أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربّه﴾[1].

«يعرف به الصادق على الله» بعلمه بكتاب الله ومراعاته له وتمسّكه بالسنّة وحفظه لها «والكاذب على الله» بجهله بالكتاب وتركه له ومخالفة السنة وعدم مبالاته بها.

قال في كتاب (الاحتجاج): قد ضمّن الرضا عليه السلام في كلامه هذا أنّ العالم لا يخلو في زمان التكليف من صادق من قبل الله يلتجئ المكلّف إليه فيما اشتبه عليه من أمر الشريعة، صاحب دلالة تدلّ على صدقه عليه تعالى، يتوصّل المكلّف إلى معرفته بالعقل، ولولاه لما عرف الصادق من الكاذب، فهو حجّة الله على الخلق أولاً[2].

❖ ❖ ❖

باب

فضل نبيّنا و أوصيائه الأئمة عليهم السلام

[٣٧٨] ١. **الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام:** «إنّ خير الخلق يوم يجمعهم الله سبعة من ولد عبدالمطّلب لا ينكر فضلهم إلّا كافر، ولا يجحد به إلّا جاحد».

فقام عمّار بن ياسر فقال: سمّهم لنا يا أمير المؤمنين لنعرفهم، فقال: «إنّ خير الخلق يوم يجمعهم الله الرسل، وإنّ أفضل الرّسل محمّد صلى الله عليه وآله، وإنّ أفضل كلّ أُمّة بعد نبيّها وصيّ نبيّها حتى يدركه نبيّ، ألا وإنّ أفضل الأوصياء وصيّ محمد صلى الله عليه وآله، ألا وإنّ أفضل الخلق بعد الأوصياء الشهداء ألا وإنّ أفضل الشهداء، حمزة بن عبدالمطّلب وجعفر بن أبي طالب له جناحان خضيبان يطير بهما في الجنّة، لم يجعل لأحد من هذه الأُمة جناحان

---

١. سورة الزمر (٣٩): ٢٢.
٢. الاحتجاج ٢: ٤٣٢.

غيره، شيء كرّم الله به محمّداً ﷺ وشرّفه، والسبطان الحسن والحسين والمهديّ عليه السلام يجعله الله من شاء منّا أهل البيت، ثم تلا هذه الآية: ﴿ومن يُطع الله والرسول فأولئك مع الّذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصّديقين والشهداء والصالحين وحَسن أُولئك رفيقاً﴾[1] ذلك الفضل من الله وكفىٰ بالله عليماً»[2].

[٣٧٩] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام قيل له: كان رسول الله ﷺ سيّد ولد آدم؟ فقال: «كان والله سيّد من خلق الله، وما برأ الله برّية خيراً من محمّد ﷺ»[3].

[٣٨٠] ٣. الكافي: عنه عليه السلام سئل: كم عرج برسول الله ﷺ؟ قال: «مرّتين، فأوقفه جبرئيل موقفاً فقال له: مكانك يامحمّد، فلقد وقفت موقفاً ما وقفه ملك قطّ ولا نبي، إنّ ربّك يصلّي، فقال: ياجبرئيل، وكيف يصلّي؟ قال: يقول: سبّوح قدوس أنا ربّ الملائكة والروح سبقت رحمتي غضبي، فقال: اللهمّ عفوك عفوك، قال: وكان كما قال الله: ﴿قاب قوسين أو أدنىٰ﴾[4].

فقيل له: جعلت فداك، ما قاب قوسين أو أدنىٰ؟ قال: «ما بين سيتها إلىٰ رأسها» قال: «فكان بينهما حجاب يتلألأ بخفق[5] ـ ولا أعلمه إلّا وقد قال: زبرجد ـ فنظر في مثل سم الإبرة إلىٰ ما شاء الله من نور العظمة، فقال الله تبارك وتعالىٰ: يامحمد. فقال: لبّيك ربي. قال: من لأُمتك من بعدك؟ فقال: الله أعلم، قال: عليّ بن أبي طالب أميرالمؤمنين وسيّد المسلمين وقائد الغرّ المحجّلين».

ثم قال عليه السلام: «والله ما جاءت ولاية عليّ من الأرض، ولكن جاءت من السماء مشافهة»[6].

◁ بيان

لعلّ معنىٰ قوله: «إنّ ربّك يصلّي» أنّ الاسم الذي يربيك من الأسماء الربوبية يصلّي

---

١. النساء (٤): ٧٠ و ٧١.
٢. الكافي ١: ٤٥٠ / ٣٤.
٣. الكافي ١: ٤٤٠ / ١.
٤. النجم ٥٣: ٩.
٥. في الكافي: يخفق.
٦. الكافي ١: ٤٤٣ / ١٣.

للذات المقدّسة الإلهية بتنزيهه عمّا لا يليق بجنابه أبلغ تسبيح وتقديسه أشدّ تقديس ويقول: كما أني ربك يامحمد فإني ربّ الملائكة الذين من جملتهم من يأتيك بالوحي من عندي، وربّ الروح الذي يسدّدك بإذني. وإنك كنت تحتاج إلىٰ مربوبيّ هذين في بلوغك هذا المقام الذي لن يبلغاه. فما أحرىٰ بك أن لا تقصد ما فوقه ولا تتمنّاه!

ويقول أيضاً: لولا ما كان من سبق الرحمة الغضب وغلبة الأسماء الجمالية الأسماء الجلالية، لما كان لك أن تصل إلىٰ ما وصلت وتنال ما نلت.

فلمّا تنبّه عليه السلام لذلك واستشعره، فعند ذلك طلب العفو من الله سبحانه عمّا كاد يقع فيه مما ليس له. وبالجملة لما بلغ عليه السلام الموقف الذي ما وقفه غيره كان بمحلّ أن يخطر بباله ما فيه ضيره بأن يذهل عن البشرية بما كان قد بقي فيه من البغية، فكان بالحري أن ينبّه دون وقوعه في ذلك علىٰ أنّ فوقه ما هو منزّه عما هنالك، فقيل له ما قيل، فطلب العفو من الله الجليل.

و «القاب» المقدار، و «سية القوس» بكسر المهملة قبل المثنّاة التحتانية المخفّفة: ما عطف من طرفيها، وهو تمثيل للمقدار المعنوي الروحاني بالمقدار الصوري الجسماني والقرب المكاني بالدنوّ المكاني، فسّر الامام عليه السلام مقدار القوسين بمقدار طرفي القوس الواحد المنعطفين، كأنّه جعل كلّاً منهما قوساً علىٰ حدة، فيكون مقدار مجموع القوسين مقدار قوس واحد، وهي المسماة بقوس الحلقة، وهي قبل أن تهيّأ للرمي، فإنها حينئذ تكون شبه دائرة، والدائرة تنقسم بما يسمّىٰ بالقوس، وفي التعبير عن هذا المعنىٰ بمثل هذه العبارة إشارة لطيفة إلىٰ أنّ السائر بهذا السير منه سبحانه نزل وإليه صعد، وأنّ الحركة الصعودية كانت إنعطافية، وأنّها لم تقع علىٰ نفس المسافة النزولية بل علىٰ مسافة أخرىٰ كما مضىٰ تحقيقه في حديث إقبال العقل وإدباره، فسيره كان من الله وإلىٰ الله وفي الله وبالله ومع الله سبحانه.

«فكان بينهما حجاب» وهو حجاب البشرية «يتلألأ» لانغماسه في نور الربّ تعالىٰ «بخفق» أي باضطراب وتحرّك، وذلك لما كاد أن يفنى عن نفسه بالكلّية في نور الأنوار بغلبة سطوات الجلال «وقد قال: زبرجد» أي قال: حجاب زبرجد، يعني أخضر، وذلك لأن النور الالهي الذي يشبه لون البياض كان قد شابته ظلمة بشرية فصار يتراءىٰ كأنّه أخضر علىٰ لون الزبرجد.

«فنظر» أي من وراء الحجاب «من لأمّتك» إنما سأله عن ذلك لأنه عليه السلام كان قد

أهمّه أمر الأمّة، وكان في قلبه أن يخلّف فيهم خليفة إذا ارتحل عنهم، وقد علم الله ذلك منه، ولذلك سأله عنه، ولما كان الخليفة متعيّناً عند الله تعالىٰ وعند رسوله ﷺ قال الله ما قال ووصفه بأوصاف لم يكن لغيره أن ينال.

[٣٨١] ٤. الفقيه: عن النّبيّ ﷺ: «لما بعث الله موسىٰ بن عمران فاصطفاه نجيّاً وفلق له البحر ونجّىٰ بني إسرائيل وأعطاه التوراة والألواح، رأىٰ مكانه من ربّه عزّوجلّ، فقال: ياربّ، لقد أكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحداً من قبلي. فقال الله جلّ جلاله: يا موسىٰ أما علمت أنّ محمّداً أفضل عندي من جميع ملائكتي وجميع خلقي؟

قال موسىٰ: يا ربّ، فان كان محمّداً ﷺ أكرم عندك من جميع خلقك، فهل في آل الأنبياء أكرم من آلي؟ قال الله تعالىٰ: ياموسىٰ، أو ما علمت أنّ فضل آل محمّد علىٰ جميع النبيّين كفضل محمّد علىٰ جميع المرسلين؟

فقال: ياربّ، فإن كان آل محمّد كذلك، فهل في أُمم الأنبياء أفضل عندك من أُمتي، ظلّلت عليهم الغمام، وأنزلت عليهم المنّ والسلوىٰ، وفلقت لهم البحر؟ فقال الله جلّ جلاله: ياموسىٰ، أما علمت أنّ فضل أُمّة محمد علىٰ جميع الأُمم كفضله علىٰ جميع خلقي؟

فقال موسىٰ: ربّ ليتني أراهم، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: ياموسىٰ، إنّك لن تراهم، فليس هذا أوان ظهورهم، ولكن سوف تراهم في الجنّات جنّات عدن والفردوس بحضرة محمّد، في نعيمها يتقلبون، وفي خيراتها يتبحبحون، أفتحب أن أُسمعك كلامهم؟ قال: نعم ياإلهي. قال جلّ وعزّ: قم بين يدي واشدد مئزرك قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، ففعل ذلك موسىٰ، فنادىٰ ربّنا عزّوجلّ: ياأُمة محمّد، فأجابوه كلّهم وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أُمهاتهم: لبّيك اللهم لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبّيك. قال: فجعل الله عزّوجل تلك الإجابة شعار الحج»[1] والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة، وقد أخرجته في تفسير القرآن.

---

١. الفقيه ٢: ٣٣٧ / ٢٥٨٦.

◁ **بيان**

«التبحبح» التمكّن في المقام والحلول.

[٣٨٢] ٥. الكافي: عن الصادق ﷺ: «إنّ الله تعالىٰ أدّب نبيه فأحسن أدبه، فلما أكمل له الأدب، قال: **﴿إنك لعلىٰ خلق عظيم﴾**[1]، ثم فوّض إليه أمر الدين والأُمة ليسوس عباده، **فقال تعالىٰ: ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**[2] وإنّ رسول الله ﷺ كان مسدّداً موفّقاً مؤيداً بروح القدس، لايزلّ ولايخطىء في شيء ممّا يسوس به الخلق، فتأدّب بآداب الله، ثم إنّ الله تعالىٰ فرض الصلاة ركعتين ركعتين عشر ركعات، فأضاف رسول الله ﷺ إلىٰ الركعتين ركعتين، وإلىٰ المغرب ركعة، فصارت عديل الفريضة، لا يجوز تركهنّ إلّا في سفر، وأفرد الركعة في المغرب، فتركها قائمة في السفر والحضر، فأجاز الله له ذلك كلّه، فصارت الفريضة سبع عشرة ركعة.

ثم سنّ رسول الله ﷺ النوافل أربعاً وثلاثين ركعة مثلي الفريضة، فأجاز الله تعالىٰ له ذلك، والفريضة والنافلة إحدىٰ وخمسون ركعة، منها ركعتان بعد العتمة جالساً تعدّ بركعة مكان الوتر.

وفرض الله في السنة صوم شهر رمضان، وسنّ رسول الله ﷺ صوم شعبان، وثلاثة أيام في كلّ شهر، مثلي الفريضة، فأجاز الله تعالىٰ له ذلك، وحرّم الله تعالىٰ الخمر بعينها، وحرّم رسول الله ﷺ المسكر من كلّ شراب، فأجاز الله تعالىٰ له ذلك.

وعاف رسول الله ﷺ أشياء وكرهها لم ينه عنها نهي حرام، إنما نهىٰ عنها نهي إعافة وكراهة، ثم رخّص فيها فصار الأخذ برخصته واجباً علىٰ العباد كوجوب ما يأخذون بنهيه وعزائمه، ولم يرخّص لهم رسول الله ﷺ فيما نهاهم عنه نهي حرام، ولا فيما أمر به أمر فرض لازم، فكثير المسكر من الأشربة نهاهم عنه نهي حرام لم يرخّص فيه لأحد، ولم يرخّص رسول الله ﷺ لأحد تقصير الركعتين اللتين ضمّهما إلىٰ ما فرض الله تعالىٰ، بل لزمهم ذلك إلزاماً واجباً، لم يرخّص لأحد في شيء من ذلك إلّا للمسافر، وليس لأحد أن يرخّص شيئاً لم يرخّصه رسول الله ﷺ، فوافق أمر

---

١. القلم ٦٨: ٤.

٢. الحشر (٥٩): ٧.

رسول‌الله ﷺ أمر الله تعالىٰ ونهيه نهي الله تعالىٰ، ووجب علىٰ العباد التسليم له كالتسليم لله تعالىٰ»[١].

وفي رواية: «فما فوّض إلىٰ رسول الله ﷺ فقد فوّضه إلينا»[٢].

وفي أخرىٰ: «لا والله ما فوّض الله إلىٰ أحد من خلقه إلّا إلىٰ رسول الله ﷺ وإلىٰ الأئمة عليهم السلام، قال تعالىٰ: ﴿إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾[٣] وهي جارية في الأوصياء»[٤].

[٣٨٣] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «ما جاء به، علي عليه السلام أُخذ به، وما نهىٰ عنه انتهي عنه، جرىٰ له من الفضل مثل ما جرىٰ لمحمد ﷺ، ولمحمد ﷺ الفضل علىٰ جميع من خلق الله، المتعقّب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقّب علىٰ الله وعلىٰ رسوله، والرادّ عليه في صغيرة أو كبيرة علىٰ حدّ الشرك بالله.

كان أمير المؤمنين عليه السلام باب الله الذي لا يؤتىٰ إلّا منه، وسبيله الذي من سلك بغيره هلك، وكذلك يجري لأئمة الهدىٰ واحداً بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها، وحجّته البالغة علىٰ من فوق الأرض ومن تحت الثرىٰ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً ما يقول: أنا قسيم الله بين الجنّة والنار، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا صاحب العصا والميسم، ولقد أقرّت لي جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقرّوا به لمحمّد ﷺ، ولقد حملت علىٰ مثل حمولته، وهي حمولة الربّ، وإنّ رسول الله ﷺ يدعىٰ فيكسىٰ وأُدعىٰ فأُكسىٰ، ويستنطق [فينطق] وأُستنطق فأنطق علىٰ حدّ منطقه، ولقد أُعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي: علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عنّي ما غاب عنّي، أُبشّر بإذن الله وأؤدّي عنه كلّ ذلك من الله مكنّني فيه بعلمه»[٥].

وفي رواية: «ولقد أُعطيت الستّ: علم المنايا، والبلايا، والوصايا، وفصل

---

١. الكافي ١: ٢٦٦ / ٤.
٢. الكافي ١: ٢٦٨ / ٩.
٣. النساء (٤): ١٦٠.
٤. الكافي ١: ٢٦٧ / ٨.
٥. الكافي ١: ١٩٦ / ١.

الخطاب، وإنّي لصاحب الكرّات ودولة الدول، وإني لصاحب العصا والميسم والدابّة التي تكلّم الناس»[١].

◁ **بيان**

«المتعقّب» الطاعن والمعترض «قسيم الله» وذلك لأنّ حبّه موجب للجنّة، وبغضه موجب للنار، فبه يقسّم الفريقان وبه يتفرقان «وأنا الفاروق الأكبر» إذ به يفرق بين الحق والباطل وأهليهما «صاحب العصا» أي عصا موسىٰ التي صارت إليه من شعيب، وإلىٰ شعيب من آدم، يعني هي عندي أقدر بها على ما قدر عليه موسىٰ «والميسم» بالكسر: المكواة، لمّا كان بحبّه وبغضهﷺ يتميّز المؤمن عن المنافق، فكأنّه كان يسم علىٰ جبين المنافق بكيّ النّفاق «والحمولة» بالضم: الأحمال، يعني كلّفني الله ربي مثل ما كلّف محمداًﷺ من أعباء التبليغ والهداية «وهي حمولة الربّ» أي الأحمال التي وردت من الله سبحانه لتربية الناس وتكميلهم.

«يدعى فيكسىٰ» كأن الدعوة كناية عن الاقبال الذي مرّ بيانه في شرح حديث جنود العقل والجهل، وهو السير إلىٰ الله في سلسلة العود «والكسوة» كناية عن تغشّيهما بنور الجبار وغفران اينتهما في الجليل الغفّار، واضمحلال وجودهما في الواحد القهّار كما ورد في الحديث النبوي: «عليّ ممسوس في ذات الله».[٢]

قال العلامة المحقق نصير الدين محمد الطوسي طاب ثراه إشارة إلىٰ هذا المعنىٰ: العارف إذا انقطع عن نفسه واتّصل بالحق، رأىٰ بكل قدرة مستغرقة في قدرته المتعلّقة بجميع المقدورات، وكلّ علم مستغرقاً في علمه الذي لا يعزب عنه شيء من الموجودات، وكل إرادة مستغرقة في إرادته التي لا يتأبّىٰ عنها شيء من الممكنات، بل كلّ وجود وكلّ كمال وجود فهو صادر عنه فائض من لدنه، فصار الحق حينئذ بصره الذي به يبصر، وسمعه الذي به يسمع، وقدرته التي بها يفعل، وعلمه الذي به يعلم، ووجوده الذي به يوجد، فصار العارف حينئذ متخلّقاً بأخلاق الله بالحقيقة.

واستنطاقهما ونطقهما عبارة عن ثنائهما بحمد ربهما، وشفاعتهما لأُولي الألباب[٣] كما مضىٰ بيانه في شرح حديث العقل.

---

١. الكافي ١: ١٩٧ / ٣.
٢. البحار ١١٠: ٣١.
٣. في نسخة: لأولي الكبائر.

«المنايا والبلايا» آجال الناس ومصائبهم «وفصل الخطاب» الخطاب المفصول غير المشتبه «لم يفتني ما سبقني» أي علم ما مضىٰ «ما غاب عني» أي علم ما يأتي.

وأُريد بالوصايا وصايا الأنبياء عليهم السلام، وبالكرّات الرجعات إلىٰ الدنيا، وقد ورد في رجعتهم عليهم السلام إلىٰ الدنيا أخبار كثيرة، حتىٰ قالوا: «من لم يؤمن بكرّتنا ولم يقرّ بمتعتنا فليس منّا» و «دولة الدول» غلبة الغلبات، وأشار بالدّابة إلىٰ قوله سبحانه: **«وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابّة من الأرض تكلّمهم انّ الناس كانوا بآياتنا لايوقنون»**[1].

[٣٨٤] ٧. الكافي: عن أبي الحسن عليه السلام: «ولاية عليّ عليه السلام مكتوبة في جميع صحف الأنبياء عليهم السلام، ولن يبعث الله رسولاً إلّا بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله ووصيّه عليّ عليه السلام»[2].

[٣٨٥] ٨. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «والله إنّ في السماء لسبعين صفّاً من الملائكة لو اجتمع أهل الأرض كلّهم يحصون عدد كلّ صف منهم ما أحصوهم، وإنّهم ليدينون بولايتنا»[3].

[٣٨٦] ٩ ـ الكافي: عن الصادق عليه السلام: «ما من نبي جاء قط إلّا بمعرفة حقّنا وتفضيلنا علىٰ من سوانا»[4].

[٣٨٧] ١٠ ـ الكافي: عنه عليه السلام: «نحن شجرة النبوة، وبيت الرحمة، ومفاتيح الحكمة، ومعدن العلم، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وموضع سرّ الله، ونحن وديعة الله في عباده، ونحن حرم الله الأكبر، ونحن ذمة الله، ونحن عهد الله، فمن وفىٰ بعهدنا فقد وفىٰ بعهد الله، ومن خفرها فقد خفر ذمة الله وعهده»[5].

وفي رواية: «نحن خزّان علم الله، ونحن تراجمة وحي الله».[6]

---

١. النمل ٢٧: ٨٢.
٢. الكافي ١: ٤٣٧ / ٦.
٣. الكافي ١: ٤٣٧ / ٥.
٤. الكافي ١: ٤٣٧ / ٤.
٥. الكافي ١: ٢٢١ / ٣.
٦. الكافي ١: ١٩٢ / ٣.

وفي أخرىٰ: «وبعبادتنا عبدالله، ولولا نحن ما عبد الله»[1].

❖ ❖ ❖

باب
جملة صفات الإمام و خصائصه

[٣٨٨] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام في خطبة له يذكر حال الأئمة عليهم السلام وصفاتهم: «إنّ الله أوضح بأئمة الهدىٰ من أهل بيت نبيّنا عن دينه، وأبلج بهم عن سبيل منهاجه، وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه، فمن عرف من أمّة محمد صلى الله عليه وآله واجب حق إمامه، وجد طعم حلاوة إيمانه، وعلم فضل طلاوة إسلامه، لأن الله تعالىٰ نصب الإمام علماً لخلقه، وجعله حجّة علىٰ أهل موادّه وعالمه، ألبسه الله تاج الوقار، وغشّاه من نور الجبّار، يمدُّ بسبب إلىٰ السماء لا ينقطع عنه موادّه، ولا ينال ما عند الله إلّا بجهة أسبابه، ولا يقبل الله أعمال العباد إلّا بمعرفته، فهو عالم بما يرد عليه من ملتبسات الدجىٰ، ومعميّات السنن، ومشبّهات الفتن، فلم يزل الله يختارهم لخلقه من ولد الحسين عليه السلام من عقب كل إمام، يصطفيهم لذلك ويجتبيهم، ويرضىٰ بهم لخلقه ويرتضيهم، كلّما مضىٰ منهم إمام نصب لخلقه من عقبه إماماً، علماً بيّناً، وهادياً نيّراً، وإماماً قيّماً، وحجّة عالماً، أئمة من الله، يهدون بالحق وبه يعدلون، حجج الله ودعاته ورعاته على خلقه، يدين بهم العباد، ويستهلّ بنورهم البلاد، وينمو ببركتهم التّلاد، جعلهم الله حياة للأنام، ومصابيح للظلام، ومفاتيح للكلام، ودعائم للإسلام، جرت بذلك فيهم مقادير الله على محتومها.

فالإمام هو المنتجب المرتضىٰ، والهادي المنتجىٰ، والقائم المرتجىٰ، اصطفاه الله بذلك واصطنعه علىٰ عينه في الذّر حين ذرأه، وفي البرية حين برأه ظلاً قبل خلق نسمة عن يمين عرشه، محبوّاً بالحكمة في علم الغيب عنده، اختاره بعلمه، وانتجبه لطهره، بقية من آدم، وخيرة من ذرية نوح، ومصطفىٰ من آل إبراهيم، وسلالة من إسماعيل، وصفوة من عترة محمد صلى الله عليه وآله، لم يزل مرعيّاً بعين الله، يحفظه ويكلأه بستره،

---

١. الكافي ١: ١٩٣ ـ ١٣.

مطروداً عنه حبائل إبليس وجنوده، مدفوعاً عنه وقوب الغواسق، ونفوث كلّ فاسق، مصروفاً عنه قوارف السوء، مُبَرّءاً عن العاهات، محجوباً عن الآفات، معصوماً من الزّلات، مصوناً من الفواحش كلّها، معروفاً بالحلم والبرّ في يفاعه، منسوباً إلىٰ العفاف والعلم والفضل عند انتهائه، مسنداً إليه أمر والده، صامتاً عن المنطق في حياته.

فإذا انقضت مدة والده إلىٰ أن انتهت به مقادير الله إلىٰ مشيئة، وجاءت الإرادة من الله فيه إلىٰ محبتّه، وبلغ منتهى مدّة والده فمضىٰ وصار أمر الله إليه من بعده، وقلّده دينه، وجعله الحجة علىٰ عباده، وقيّمه في بلاده، وأيّده بروحه، وآتاه علمه وأنبأه فصل بيانه، واستودعه سرّه، وانتدبه لعظيم أمره، وأنبأه فصل بيان علمه، ونصبه علماً لخلقه، وجعله حجّة على أهل عالمه، وضياءً لأهل دينه، والقيّم علىٰ عباده، رضي الله به إماماً لهم، استودعه سرّه، واستحفظه علمه، واستخبأه حكمته، واسترعاه لدينه، وانتدبه لعظيم أمره، وأحيا به مناهج سبيله وفرائضه وحدوده، فقام بالعدل عند تحيّر أهل الجهل، وتحيير أهل الجدل، بالنور الساطع، والشفاء النافع، بالحق الأبلج، والبيان اللائح من كل مخرج، على طريق المنهج الذي مضىٰ عليه الصادقون من آبائه عليهم السلام، فليس يجهل حقّ هذا العالم إلّا شقيّ، ولا يجحده إلّا غويّ، ولا يصدّ عنه إلّا جريءٌ على الله تعالىٰ»[1].

◁ **بيان**

«أبلج» أوضح «والطلاوة» الحسن والبهجة والقبول «أهل موادّه» أهل زياداته المتصلة وتكميلاته المتواترة غير المنقطعة مطيعاً كان أو عاصياً «ويستهلّ» يتنور «والتّلاد» المال القديم، وهو نقيض الطارف، و «المنتجىٰ» صاحب السر «واصطنعه علىٰ عينه» اختاره على شهود منه بحاله «في الذّر» في عالم الذّر «والسلالة» بالضم: الولد، وما استخرج من شيء برفق «والوقوب» دخول الظلام «والغاسق» الليل المظلم «والنفوث» كالنفخ «والقرفة» التهمة والهجنة «في يفاعه» أوائل سنّه «عند انتهائه» أي بلوغه «واستخباه» بالخاء المعجمة: أودع عنده وأمره بالكتمان.

[٣٨٩] ٢. الكافي: عبدالعزيز بن مسلم قال: كنّا مع الرضا عليه السلام بمرو فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في

---

١. الكافي ١: ٢٠٣ / ٢.

بدو مقدمنا، فأداروا أمر الإمامة، وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت علىٰ سيّدي عليه السلام، فأعلمته خوض الناس فيه، فتبسّم عليه السلام، ثم قال: «ياعبدالعزيز، جهل القوم وخدعوا عن آرائهم، إنّ الله تعالىٰ لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتىٰ أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كلّ شيء، بيّن فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه الناس كملاً، فقال تعالىٰ: ﴿**ما فرّطنا في الكتاب من شيء**﴾[1] وأنزل في حجّة الوداع وهي آخر عمرة: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[2] وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض صلى الله عليه وآله حتىٰ بيّن لأمّته معالم دينهم، وأوضح لهم سبيلهم، وتركهم علىٰ قصد سبيل الحق، وأقام لهم علياً عليه السلام علماً وإماماً، وما ترك شيئاً يحتاج إليه الأمّة إلّا بيّنه، فمن زعم أنّ الله لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله تعالىٰ، ومن ردّ كتاب الله تعالىٰ فهو كافر به.

هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأُمّة فيجوز فيها اختيارهم! إنّ الإمامة أجلّ قدراً وأعظم شأناً وأعلىٰ مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم، إنّ الإمامة خصّ الله بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوّة والخلّة مرتبة ثالثة وفضيلة شرّفه بها وأشاد بها ذكره فقال: ﴿**اني جاعلك للناس إماما**﴾[3] فقال الخليل عليه السلام سروراً بها: ﴿**ومن ذريتي**﴾ قال الله تعالىٰ: ﴿**لا ينال عهدي الظالمين**﴾. فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلىٰ يوم القيامة وصارت في الصفوة، ثم أكرمه الله تعالىٰ بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال: ﴿**ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلّاً جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين**﴾[4].

فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً حتىٰ ورثها الله تعالىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال جلّ وعز: ﴿**انّ أولى الناس بإبراهيم للذين اتّبعوه وهذا النبي والذين آمنوا**

---

١. الأنعام (٦): ٣٨.
٢. المائدة (٥): ٣.
٣. البقرة (٢): ١٢٤.
٤. الأنبياء (٢١): ٧٣.

والله ولي المؤمنين»[1] فكانت له خاصة، فقلّدها ﷺ علياً عليه السلام بأمر الله تعالىٰ علىٰ رسم ما فرض الله، فصارت في ذرّيته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان، بقوله تعالىٰ: «والذين أُوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلىٰ يوم البعث»[2] فهي في ولد علي عليه السلام خاصة إلىٰ يوم القيامة، إذ لا نبيّ بعد محمّد ﷺ، فمن أين يختار هؤلاء الجهّال!

إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء، إنّ الامامة خلافة الله وخلافة الرسول ﷺ ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام، إنّ الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين، إنّ الإمامة أُسّ الإسلام النامي، وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف.

الإمام يحلّ حلال الله، ويحرّم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذبّ عن دين الله، ويدعو إلىٰ سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجّة البالغة، الإمام كالشمس الطالعة المجلّلة بنورها للعالم، وهي في الأُفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار.

الإمام البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياهب الدجىٰ وأجواز البلدان والقفار ولجج البحار، الإمام الماء العذب علىٰ الظمأ، والدالّ علىٰ الهدىٰ، والمنجي من الردىٰ، الإمام النار علىٰ اليفاع، الحار لمن اصطلىٰ به، والدليل في المهالك، من فارقه فهالك، الإمام السحاب الماطر، والغيث الهاطل، والشمس المضيئة، والسماء الظليلة، والأرض البسيطة، والعين الغزيرة، والغدير و الروضة.

الإمام الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشقيق، والأُم البرّة بالولد الصغير، ومفزع العباد في الداهية والنّآد، الإمام أمين الله في خلقه وحجّته علىٰ عباده، وخليفته في بلاده، والداعي إلىٰ الله، والذّابّ عن حرم الله، الإمام المطّهر من الذنوب، والمبرّأ عن العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم بالحلم، نظام الدين، وعزّ المسلمين، وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين.

---

١. آل عمران (٣): ٦٨.
٢. الروم (٣٠): ٥٦.

الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كلّه من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضّل الوهّاب.

فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره؟! هيهات، هيهات ضلّت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الألباب، وخسئت العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيّرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألبّاء، وكلّت الشعراء، وعجزت الأُدباء، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله، وأقرّت بالعجز والتقصير، وكيف يوصف بكلّه، أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه، لا كيف وأنّىٰ؟ وهو بحيث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟

أتظنّون أنّ ذلك يوجد في غير آل محمّدﷺ؟! كذبتهم والله أنفسهم، ومنّتهم الأباطيل، فارتقوا مرتقاً صعباً دحضاً، تزلّ عنه إلىٰ الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة، وآراء مضلّة، فلم يزدادوا منه إلّا بعداً ﴿قاتلهم الله أنّىٰ يؤفكون﴾[1] ولقد راموا صعباً، وقالوا إفكاً، وضلّوا ضلالاً بعيداً، ووقعوا في الحيرة إذ تركوا الإمام عن بصيرة ﴿وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين﴾[2].

رغبوا عن اختيار الله واختيار رسوله ﷺ وأهل بيته إلىٰ اختيارهم، والقرآن يناديهم: ﴿وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالىٰ عمّا يشركون﴾[3] وقال الله عزّوجل: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضىٰ الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾[4] وقال: ﴿ما لكم كيف تحكمون * أم لكم كتاب فيه تدرسون * إنّ لكم فيه لما تخيّرون * أم لكم ايمان علينا بالغة إلىٰ يوم القيامة إنّ لكم لما تحكمون * سَلهم أيّهم بذلك زعيم * أم لهم

---

١. المنافقون (٦٣): ٤.
٢. العنكبوت (٢٩): ٣٨.
٣. القصص (٢٨): ٦٨.
٤. الأحزاب (٣٣): ٣٦.

شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين»[١] وقال تعالىٰ: «أفلا يتدبرّون القرآن أم على قلوب أقفالها»[٢] أم «طبع الله علىٰ قلوبهم فهم لا يفقهون»[٣] أم «قالوا سمعنا وهم لا يسمعون * انّ شرّ الدواب عند الله الصمّ البكم الذين لا يعقلون * ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون»[٤] أم «قالوا سمعنا وعصينا»[٥] بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فكيف لهم باختيار الإمام والإمام عالم لا يجهل، وداع[٦] لا ينكل، معدن القدس والطهارة، والنسك والزهادة، والعلم والعبادة، مخصوص بدعوة الرسول، ونسل المطهّرة البتول، لا مغمز فيه في نسب، ولا يدانيه ذو حسب، في البيت من قريش، والذروة من هاشم، والعترة من الرسول، والرضا من الله تعالىٰ، شرف الأشراف، والفرع من عبد مناف، نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله.

إنّ الأنبياء والأئمة عليهم السلام يوفّقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل أزمانهم[٧] في قوله تعالىٰ: «أفمن يهدي إلىٰ الحق أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدّي إلّا أن يهدىٰ فما لكم كيف تحكمون»[٨] وقوله تعالىٰ: «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً»[٩] وقوله في طالوت: «انّ الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم»[١٠] وقال لنبيّه صلى الله عليه وآله: «أنزل عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً»[١١] وقال في الأئمة من

---

١. القلم (٦٨): ٣٦ ـ ٤١.
٢. محمد صلى الله عليه وآله (٤٧): ٢٤.
٣. التوبة (٩): ٨٧.
٤. الأنفال (٨): ٢١ ـ ٢٣.
٥. النساء (٤): ٤٦.
٦. في المصدر: «راع».
٧. في المصدر: «الزمان».
٨. يونس (١٠): ٣٥.
٩. البقرة (٢): ٢٦٩.
١٠. البقرة (٢): ٢٤٧.
١١. النساء (٤): ١١٣.

أهل بيت نبيّه وعترته وذريته ﷺ: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً * فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه وكفى بجهنم سعيراً﴾[1].

وإنّ العبد إذا اختاره الله تعالىٰ لأمور عباده شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعْيَ بعده بجواب، ولا يحير فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيد، موفق مسدّد، قد أمن من الخطايا والزلل والعثار، يخصّه الله بذلك ليكون حجّته علىٰ عباده، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فهل يقدرون على مثل هذا فيختارونه، أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدّمونه؟! تعدّوا ـ وبيت الله الحق ـ ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، وفي كتاب الله الهدىٰ والشفاء، فنبذوه واتّبعوا أهواءهم، فذمّهم الله ومقتهم وأتعسهم، فقال جلّ وتعالىٰ: ﴿ومن أضلّ ممن اتّبع هواه بغير هدىً من الله إنّ الله لا يهدي القوم الظالمين﴾[2] وقال تعالىٰ: ﴿فتعساً لهم وأضلّ أعمالهم﴾[3] وقال: ﴿كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله علىٰ كلّ قلب متكبّر جبّار﴾[4] وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وسلم»[5].

◁ بيان

«أمنع جانباً» جانبه أشدّ منعاً من أن يصل إليه يد أحد «أشاد» رفع «والساطع» المرتفع «والغيهب» الظلمة «والدجىٰ» ظلمة الليل «والجوز» وسط الشيء ومعظمه «والقفار» الخالي من الماء والكلأ «واليفاع» ما ارتفع من الأرض «والهاطل» المطر المتتابع المتفرق العظيم القطر «والغزيرة» بإعجام الغين وتقديم المعجمة بعدها: الكثيرة الدرّ «والمفزع» الملجأ «والداهية» الأمر العظيم «النآد» كسحاب بمعناها «والبوار» الهلاك «خسئت العيون» كلّت «عييت» عجزت «منّتهم» أضعفتهم وأعجزتهم «دحضاً» زلقاً «يؤفكون» يصرفون «إفكاً» كذباً «لا ينكل» لا يضعف ولا يجبن «لا

---

١. النساء (٤): ٥٤ ـ ٥٥.
٢. القصص (٢٨): ٥٠.
٣. محمد ﷺ (٤٧): ٨.
٤. غافر (٤٠): ٣٥.
٥. الكافي ١: ١٩٨ ـ ١.

مغمز فيه» أي لا مطعن أو مطمع «مضطلع بالإمامة» أي قويّ عليها ﴿ملكاً عظيماً﴾ هو الطاعة المفروضة، كما ورد في تفسيره، وهو إلزام لهم بما عرفوه من إيتاء الله الكتاب والحكمة آل إبراهيم الذين هم أسلاف آل محمد وإنه ليس ببدع أن يؤتيهم الله مثل ما أُوتي أسلافهم عليهم السلام «والتعس» الهلاك والبعد والسقوط.

❖ ❖ ❖

باب

بدو خلق الإمام وعلاماته وعلمه وآياته

[٣٩٠] ١. الكافي عن الصادق عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالىٰ إذا أحبّ أن يخلق إلامام أمر ملكاً فأخذ شربة من ماء تحت العرش، فيسقيها أباه، فمن ذلك يخلق إلامام، فيمكث أربعين يوماً وليلة في بطن أُمّه لا يسمع الصوت، ثم يسمع بعد ذلك الكلام، فإذا ولد بعث ذلك الملك فيكتب بين عينيه: ﴿وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم﴾[1] فإذا مضىٰ إلامام الذي كان قبله رفع لهذا منار من نور ينظر به إلىٰ أعمال الخلائق، فبهذا يحتجّ الله علىٰ خلقه»[2].

وفي رواية قال: «إذا سكنت النطفة في الرحم أربعة أشهر، وأنشأ فيها الروح، بعث الله تعالىٰ ملكاً يقال له حيوان، فكتب علىٰ عضده الأيمن: ﴿وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم﴾ وإذا وقع من بطن أمه وقع واضعاً يديه علىٰ الأرض، رافعاً رأسه إلىٰ السماء، فأما وضعه يديه علىٰ الأرض فأنّه يقبض كلّ علم لله أنزله من السماء إلىٰ الأرض، وأمّا رفعه رأسه إلىٰ السماء، فإنّ منادياً ينادي به من بطنان العرش من قبل ربّ العزّة من الأفق الأعلىٰ باسمه واسم أبيه يقول: يافلان ابن فلان أثبت تثبت، فلعظيم ما خلقتك، أنت صفوتي من خلقي، وموضع سرّي، وعيبة علمي، وأميني علىٰ وحيي، وخليفتي في أرضي، لك ولمن تولّاك أوجبت رحمتي، ومنحت جناني، وأحللت جواري، ثمّ وعزّتي وجلالي لأصلين من عاداك أشدّ عذابي، وإن

---

١. الأنعام ٦: ١١٥.
٢. الكافي ١: ٣٨٧/ ٢.

وسّعت عليه في دنياي من سعة رزقي.

فإذا انقضىٰ الصوت ـ صوت المنادي ـ أجابه هو واضعاً يديه رافعاً رأسه إلىٰ السماء يقول: **﴿شهد الله أنّه لا إله إلّا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلّا هو العزيز الحكيم﴾**[1] قال: فإذا قال ذلك أعطاه الله العلم الأوّل والعلم الآخر، فاستحق زيادة الروح في ليلة القدر»[2].

[٣٩١] ٢. الفقيه: عن الرضا عليه السلام: «للإمام علامات يكون أعلم الناس، وأحكم الناس، وأتقىٰ الناس،، وأحلم الناس، وأشجع الناس وأعبد الناس، وأسخىٰ الناس، ويولد مختوناً، ويكون مطهّراً، ويرىٰ من خلفه كما يرىٰ من بين يديه، ولا يكون له ظلّ، وإذا وقع علىٰ الأرض من بطن أمه وقع علىٰ راحتيه، رافعاً صوته بالشهادتين، ولا يحتلم، وتنام عينه ولا ينام قلبه، ويكون مُحَدَّثاً، ويستوي عليه درع رسول‌الله صلى الله عليه وآله، ولا يرىٰ له بول ولا غائط، لأنّ الله تعالىٰ وكّل الأرض بابتلاع ما يخرج منه، وتكون رائحته أطيب من المسك، ويكون أولىٰ بالناس منهم بأنفسهم، وأشفق عليهم من آبائهم وأمّهاتهم، ويكون أشدّ الناس تواضعاً لله عزّوجلّ، ويكون آخذ الناس بما يأمر به، وأكفّ الناس عمّا ينهىٰ عنه، ويكون دعاؤه مستجاباً حتىٰ أنّه لو دعا علىٰ صخرة لانشقّت بنصفين، ويكون عنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه ذو الفقار، ويكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعته إلىٰ يوم القيامة، وصحيفة فيها أسماء أعدائه إلىٰ يوم القيامة، ويكون عنده الجامعة؛ وهي صحيفة طولها سبعون ذراعاً، فيها جميع ما يحتاج إليه ولد آدم، ويكون عنده الجفر الأكبر والأصغر؛ إهاب ماعز وإهاب كبش فيهما جميع العلوم حتىٰ أرش الخدش وحتىٰ الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة، ويكون عنده مصحف فاطمة عليها السلام»[3].

◁ **بيان**

معنىٰ مصحف فاطمة عليها السلام ما ورد أنّها عليها السلام دخلها حزن شديد علىٰ أبيها، وكان

---

١. آل عمران ٣: ٧.

٢. بصائر الدرجات: ٢٢٣ / ٣ ب ما يلقى الى الأئمة....

٣. الفقيه ٤: ٤١٨ / ٥٩١٤.

يأتيها جبرئيل فيحسن عزاءها على أبيها ويطيّب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذرّيتها، وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك، وفي رواية: «ليس من مَلِك يملك إلّا وهو مكتوب فيه باسمه واسم أبيه»[١].

[٣٩٢] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ عندنا ما لا نحتاج معه إلى الناس، وإنّ الناس ليحتاجون إلينا، وإنّ عندنا كتاباً بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطّ عليّ عليه السلام، صحيفة فيها كلّ حلال وحرام، وإنكّم لتأتونا بالأمر، فنعرف إذا أخذتم به، ونعرف إذا تركتموه»[٢].

[٣٩٣] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «كلّ كتاب منزل[٣] فهو عند أهل العلم، ونحن هم»[٤].

[٣٩٤] ٥. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «ما يستطيع أحد أن يدّعي أنّ عنده جميع القرآن كلّه ظاهره وباطنه غير الأوصياء»[٥].

وفي رواية: «لو وجدنا أوعية أو مستراحاً لقلنا والله المستعان»[٦].

[٣٩٥] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، وعندنا نحن من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم»[٧].

وفي رواية: «إنّ عيسى بن مريم عليه السلام أُعطي حرفين كان يعمل بهما، وأُعطي موسى أربعة أحرف، وأُعطي إبراهيم ثمانية أحرف، وأُعطي نوح خمسة عشر حرفاً، وأُعطي

---

١. الكافي ١: ٢٤٢/ذكر الصحيفة.
٢. الكافي ١: ٢٤١ / ٦.
٣. في المصدر: «نزل».
٤. الكافي ١: ٢٢٥ / ٦.
٥. الكافي ١: ٢٢٨ / ٢.
٦. الكافي ١: ٢٢٩ / ٣.
٧. الكافي ١: ٢٣٠ / ١.

آدم خمسة وعشرين حرفاً، وإنّ الله تعالىٰ جمع ذلك كلّه لمحمّدﷺ»[١].

[٣٩٦] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «كانت عصا موسىٰ لآدم فصارت إلىٰ شعيب، ثم صارت إلىٰ موسىٰ بن عمران، وإنّها لعندنا، وإنّ عهدي بها آنفاً، وهي خضراء كهيئتها حين انتزعت من شجرتها، وإنّها لتنطق إذا استنطقت[٢]، أُعدّت لقائمنا عليه السلام يصنع بها ما كان يصنع موسىٰ، وإنّها لتروّع وتلقف ما يأفكون، وتصنع ما تؤمر به، و إنّها حيث أقبلت تلقف ما يأفكون، يفتح لها شعبتان، إحداهما في الأرض، والأخرىٰ في السقف، وبينهما أربعون ذراعاً تلقف ما يأفكون بلسانها»[٣].

[٣٩٧] ٨. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «ألواح موسىٰ عندنا وعصا موسىٰ عندنا ونحن ورثة النبيّين عليهم السلام»[٤].

وفي رواية: «كل نبي ورث علماً أو غيره فقد انتهىٰ إلىٰ آل محمّدﷺ»[٥].

[٣٩٨] ٩. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ لله علمين: علماً أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورسله، فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه فقد علمناه، وعلماً استأثر به، فإذا بدا لله في شيء منه أعلمنا ذلك، وعرض علىٰ الأئمة الذين كانوا من قبلنا»[٦].

[٣٩٩] ١٠. الكافي: عنه عليه السلام سئل عن الامام يعلم الغيب؟ فقال: «لا، ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء أعلمه الله ذلك»[٧].

[٤٠٠] ١١. الكافي: عنه عليه السلام: «أي إمام لا يعلم ما يصيبه وإلىٰ ما يصير، فليس ذلك بحجة لله علىٰ خلقه»[٨].

---

١. الكافي ١: ٢٣٠ / ٢.
٢. في نسخة: اشتقّت.
٣. الكافي ١: ٢٣١ / ١.
٤. الكافي ١: ٢٣١ / ٢.
٥. الكافي ١: ٢٣٢ / ٥.
٦. الكافي ١: ٢٥٥ / ١.
٧. الكافي ١: ٢٥٧ / ٤.
٨. الكافي ١: ٢٥٨ / ١.

[٤٠١] ١٢. الكافي: عنه عليه السلام: «إذا كان ليلة الجمعة وافىٰ رسول الله العرش، ووافىٰ الأئمة عليهم السلام معه، ووافينا معهم، فلا تردّ أرواحنا إلىٰ أبداننا إلّا بعلم مستفاد، ولولا ذلك لأنفدنا»[١].

[٤٠٢] ١٣. الكافي: عنه عليه السلام: «لأنني لأعلم ما في السموات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنّة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون». ثم مكث هنيئة، فرأىٰ أنّ ذلك كبر علىٰ من سمعه منه، فقال: «علمت ذلك من كتاب الله تعالىٰ، إنّ الله تعالىٰ يقول: ﴿فيه تبيان كل شيء﴾[٢]».

وفي رواية: «وربّ الكعبة وربّ البنيّة ـ ثلاث مرّات ـ لو كنت بين موسىٰ والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما، ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما، لأن موسىٰ والخضر عليهما السلام أُعطيا علم [ما] كان، ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتىٰ تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثة»[٣].

[٤٠٣] ١٤. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله برمّانتين من الجنّة، فأعطاه إياهما، فأكل واحدة وكسر الأخرىٰ بنصفين، فأعطىٰ عليّاً عليه السلام نصفها فأكلها، فقال: ياعليّ، أمّا الرمّانة الأولىٰ التي أكلتها، فالنبوّة ليس لك فيها شيء، وأمّا الأخرىٰ فهو العلم فأنت شريكي فيه»[٤].

وفي رواية: سئل: كيف كان يكون شريكه فيه؟ قال: «لم يعلّم الله محمداً صلى الله عليه وآله علماً إلّا وأمره أن يعلّمه علياً عليه السلام»[٥].

وفي أخرىٰ: «ثم انتهىٰ العلم إلينا» ثم وضع يده علىٰ صدره[٦].

[٤٠٤] ١٥. الكافي: عنه عليه السلام: «لو كان لألسنتكم أوكية لحدّثت كلّ امرئ بما له وعليه»[٧].

---

١. الكافي ١: ٢٥٤ / ٢.
٢. الكافي ١: ٢٦١ / ٢؛ والآية من سورة النمل (١٦): ٨٩.
٣. الكافي ١: ٢٦٠ / ١.
٤. الكافي ١: ٢٦٣/ ٢.
٥. الكافي ١: ٢٦٣ / ١.
٦. الكافي ١: ٢٦٣ / ٣.
٧. الكافي ١: ٢٦٤ / ١.

[٤٠٥] ١٦. **الكافي: عنه** عليه السلام: «إنّا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق»[١].

[٤٠٦] ١٧. **الكافي: سئل الكاظم** عليه السلام **عن قول أبيه:** «إنّ علمنا غابر ومزبور ونكت في القلوب ونقر في الأسماع»؟ فقال: «أمّا الغابر فما تقدّم من علمنا، وأمّا المزبور فما يأتينا، وأمّا النكت في القلوب فإلهام، وأمّا النقر في الأسماع فأمر الملك»[٢].

وفي رواية: «وهو أفضل علمنا، ولا نبيّ بعد نبيّنا»[٣].

◁ **بيان**

لمّا كان هذا القول منه عليه السلام يوهم ادّعاء النبوّة، فإن الأخبار عن الملك عند الناس مخصوص بالأنبياء، ردّ ذلك الوهم بقوله: «**ولا نبي بعد نبيّنا**» و ذلك لما دريت من الفرق بين النبي والمحدّث.

[٤٠٧] ١٨. **الكافي: عن السجاد** عليه السلام: «ما من ملك يهبطه الله في أمر ما يهبطه إلّا بدأ بالإمام فعرض ذلك عليه، وإنّ مختلف الملائكة من عند الله تبارك وتعالىٰ إلىٰ صاحب هذا الأمر»[٤].

[٤٠٨] ١٩. **الكافي: أبو حمزة الثمالي، قال:** دخلت علىٰ **عليّ بن الحسين** عليهما السلام **فاحتبست في الدار ساعة، ثم دخلت البيت وهو يلتقط شيئاً، وأدخل يده من وراء الستر فناوله من كان في البيت، فقلت: جعلت فداك، هذا الذي أراك تلتقطه أيّ شيء هو؟ فقال:** «فضلة من زغب الملائكة نجمعه إذا خلونا، نجعله سبحاً لأولادنا»، فقلت: جعلت فداك، وإنّهم ليأتونكم؟ **فقال:** «يا أبا حمزة، إنّهم ليزاحموننا علىٰ تكآتنا»[٥].

◁ **بيان**

«إذا خلونا» من التخلية يعني إذا انصرفوا وتركونا «والزّغب» بالمعجمتين والتحريك: الشعيرات الصفر من ريش الفراخ «والسبحة» بالضم: خرزات يسبّح

---

١. الكافي ١: ٤٣٨ / ٢.
٢. الكافي ١: ٢٦٤ / ٣.
٣. الكافي ١: ٢٦٤ / ١.
٤. الكافي ١: ٣٩٤ / ٤.
٥. الكافي ١: ٣٩٣ / ٣.

بها وتعلّق على الصبيان للعوذة.

[٤٠٩] ٢٠. الكافي: سعد الاسكاف، قال: دخلت [على] أبي جعفر عليه السلام فقلت: جعلت فداك، أبطأ إذنك عليّ اليوم، ورأيت قوماً خرجوا عليّ متعمّمين بالعمائم فأنكرتهم! فقال: «وتدري من أولئك ياسعد؟» **قال: قلت: لا، فقال:** «أولئك إخوانكم من الجنّ، يأتونا فيسألونا عن حلالهم وحرامهم ومعالم دينهم»[١].

وفي رواية: «أنّ لنا خدماً من الجنّ، فإذا أردنا السرعة بعثناهم»[٢].

❖ ❖ ❖

باب
وجوب معرفة الإمام

[٤١٠] ١. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّما يعبد الله من يعرف الله، فأمّا من لا يعرفه فإنما يعبده هكذا ضلالاً». قيل: جعلت فداك فما معرفة الله؟ قال: «تصديق الله تعالىٰ وتصديق رسوله صلى الله عليه وآله، وموالاة عليّ عليه السلام، والإئتمام به وبأئمة الهدىٰ عليهم السلام، والبراءة إلىٰ الله تعالىٰ من عدوّهم، هكذا يعرف الله عزّوجلّ»[٣].

◁ بيان

كأنّه أشار بقوله: «هكذا» إلىٰ عبادة جماهير الناس، وإنّما فسّر المعرفة بالأمور الستة لأنها لا تتمّ إلّا بها.

[٤١١] ٢. الكافي: عنه عليه السلام سئل عن معرفة الامام منكم واجبة على جميع الخلق؟ فقال: «إنّ الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله إلىٰ الناس أجمعين رسولاً وحجّة لله علىٰ جميع خلقه في أرضه، فمن آمن بالله وبمحمّد صلى الله عليه وآله رسول الله و اتّبعه وصدّقه، فإنّ معرفة الإمام منّا واجبة عليه، و من لم يؤمن بالله وبرسوله ولم يتّبعه ولم يصدّقه ويعرف حقّهما، فكيف يجب عليه

---

١. الكافي ١: ٣٩٥ / ٣.
٢. الكافي ١: ٣٩٥ / ٤.
٣. الكافي ١: ١٨٠ / ١.

معرفة إلامام وهو لا يؤمن بالله ورسوله ويعرف حقّهما؟!»

قيل: فما تقول فيمن يؤمن بالله ورسوله ويصدّق رسوله في جميع ما أنزل الله، أيجب علىٰ أولئك حقّ معرفتكم؟ قال: «نعم، أليس هؤلاء يعرفون فلاناً وفلاناً؟» قيل: بلىٰ، قال: «أترىٰ أنّ الله هو الذي أوقع في قلوبهم معرفة هؤلاء، والله ما أوقع ذلك في قلوبهم إلّا الشيطان، لا والله ما ألهم المؤمنين حقّنا إلّا الله»[1].

◁ **بيان**

أرادﷺ أنّهم لما تفطّنوا بوجوب الخليفة و تمكّنوا من معرفته، فما المانع لهم من الاهتداء لما هو الحقّ فيه؟ ليس المانع إلّا الشيطان؛ لأن الله عزّوجلّ أقدرهم علىٰ ذلك وأعطاهم آلة المعرفة، فوجب عليهم تحصيل معرفة إلامام، وفي هذا الحديث دلالة علىٰ أنّ الكفّار ليسوا مكلّفين بشرائع الإسلام، كما هو الحق، خلافاً لما اشتهر بين متأخري أصحابنا.

[٤١٢] ٣. الكافي: عن الصادقﷺ: «إنّكم لا تكونون صالحين حتىٰ تعرفوا، ولا تعرفون حتىٰ تصدّقوا، ولا تصدّقون حتىٰ تسلّموا أبواباً أربعة لا يصلح أولها إلّا بآخرها، ضلّ أصحاب الثلاثة وتاهوا تيهاً عظيماً[2]، إنّ الله لا يقبل إلّا العمل الصالح، ولا يقبل الله إلّا الوفاء بالشروط والعهود، فمن وفىٰ لله تعالىٰ بشرط واستعمل ما وصف في عهده نال ما عنده واستكمل وعده، إنّ الله تعالىٰ أخبر العباد بطرق الهدىٰ، وشرع لهم فيها المنار، وأخبرهم كيف يسلكون، فقال: **﴿وإني لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدىٰ﴾**[3] وقال: **﴿إنما يتقبّل الله من المتقين﴾**[4]، فمن إتقىٰ الله فيما أمره لقي الله مؤمناً بما جاء به محمّدﷺ، هيهات هيهات فات قوم و ماتوا قبل أن يهتدوا، وظنّوا أنهم آمنوا و أشركوا من حيث لا يعلمون.

إنّه من أتىٰ البيوت من أبوابها اهتدىٰ، و من أخذ في غيرها سَلك طريق الردىٰ، وصل الله طاعة وليّ أمره بطاعة رسوله، و طاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاة

---

١. الكافي ١: ١٨٠ / ٣.
٢. في المصدر: «بعيداً».
٣. طه (٢٠): ٨٢.
٤. المائدة (٥): ٢٧.

الأمر لم يطع الله ولا رسوله، و هو الاقرار بما أنزل من عند الله تعالىٰ: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾[١] والتمسوا البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فإنّه أخبركم أنّهم ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله و إقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والأبصار﴾[٢]، إنّ الله قد استخلص الرسل لأمره، ثم استخلصهم مصدّقين بذلك في نذره، فقال: ﴿و إن من أُمّة إلّا خلا فيها نذير﴾[٣].

تاه من جهل، و اهتدىٰ من أبصر و عقل، إنّ الله تعالىٰ يقول: ﴿فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾[٤] و كيف يهتدي من لم يبصر؟ وكيف يبصر من لم يتدبّر؟ اتّبعوا رسول الله و أهل بيته، و أقرّوا بما نزل من عند الله، واتبعوا آثار الهدىٰ، فإنهم علامات الإمامة و التقىٰ، و اعلموا أنّه لوأنكر رجل عيسىٰ بن مريمؑ و أقرّ بمن سواه من الرسل، لم يؤمن، اقتصّوا الطريق بالتماس المنار، والتمسوا من وراء الحجب الآثار، تستكملوا أمر دينكم وتؤمنوا بالله ربكم»[٥].

◁ **بيان**

يعني أنّ الصلاح موقوف علىٰ المعرفة، والمعرفة موقوفة علىٰ التصديق، والتصديق موقوف علىٰ تسليم أبواب أربعة لا يتمّ بعضها بدون بعض وهي: التوبة عن الشرك، وإلايمان بالتوحيد، والعمل الصالح، والاهتداء بإلامام. فصاحب الثلاثة الأُول من دون الاهتداء بإلامام ضالّ تائه لا تقبل توبته ولاتوحيده ولا عمله، لعدم وفائه بجميع الشروط والعهود، أجملؑ هذا المعنىٰ أولاً، ثم فصّل بقوله: «إنّ الله أخبر العباد بطرق الهدىٰ» إلىٰ آخر ما قال، وكنّىٰ بالمنار عن الأئمةؑ، فإنّها صيغة جمع، و بتقوىٰ الله فيما أمره عن الاهتداءإلىٰ الامام والاقتداء به، و بإتيان البيوت من أبوابها عن الدخول في المعرفة من جهة الامامؑ.

وأشار بقوله: «وصل الله» إلىٰ قوله: «بطاعته» إلىٰ قوله عزّوجل: ﴿يأيها الذين

---

١. الأعراف ٧: ٣١.
٢. النور ٢٤: ٣٧.
٣. فاطر (٣٥): ٢٤.
٤. الحج (٢٢): ٤٦.
٥. الكافي ١: ١٨١ / ٦.

آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم»[1] وأوّل الزينة بمعرفة الإمام، والمسجد بمطلق العبادة، والبيوت ببيوت أهل العصمة عليهم السلام. والرجال بهم. والمراد بعدم إلهائهم بالبيع والتجارة عن الذكر أنّهم يجمعون بين ذين وذا لا أنهم يتركونهما رأساً، كما ورد النص عليه في خبر آخر، و (ثمّ) في قوله: «ثم استخلصهم» للتراخي في الرتبة دون الزمان، يعني وقع ذلك الاستخلاص لهم حال كونهم مصدّقين لذلك الاستخلاص في سائر نذره أيضاً، ويعني بالنذر الأنبياء، بمعنىٰ تصديق كلّ منهم لذلك في الباقين، واستشهد علىٰ وجودهم المستمر بالآية، وبيّن الآيةَ بتوقف الاهتداء علىٰ الأبصار، وتوقف الأبصار علىٰ الإنذار، وتوقف الإنذار علىٰ وجود النذير.

وأشار بآثار الهدىٰ إلىٰ الأئمة عليهم السلام، ونبّه بقوله: «لو أنكر رجل عيسىٰ» علىٰ وجوب إلايمان بهم جميعاً من غير تخلّف عن أحد منهم، ثم كرّر الوصية بالاقتداء بهم معلّلاً بأنهم منار طريق الله، وأمر بالتماس آثارهم إن لم يتيسّر الوصول إليهم.

[٤١٣] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «أبىٰ الله أن يجري الأشياء إلّا بأسباب، فجعل لكلّ شيء سبباً ولكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح علماً، وجعل لكلّ علم باباً ناطقاً، عرفه من عرفه وجهله من جهله، ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن»[2].

◁ **بيان**

يعني ذلك الباب رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن، فمن الباب يمكن الدخول إلىٰ العلم، ومن العلم يمكن الوصول إلىٰ الشرح، ومن الشرح يعرف السبب، ومن السبب يعلم المسبّب، فالعلم بالأشياء كلّها موقوف علىٰ معرفة إلامام والأخذ منه.

[٤١٤] ٥. الكافي: عنه عليه السلام **في قول الله تعالىٰ: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً﴾**[3] **فقال: «طاعة الله ومعرفة الامام»**[4].

[٤١٥] ٦. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنما كلّف الناس ثلاثة: معرفة الأئمة، والتسليم لهم فيما

---

١. النساء (٤): ٥٩.
٢. الكافي ١: ١٨٣ / ٧.
٣. البقرة (٢): ٢٧٣.
٤. الكافي ١: ١٨٥ / ١١.

ورد عليهم، والردّ إليهم فيما اختلفوا فيه»[١].

❖ ❖ ❖

باب
فرض طاعة الإمام عليه السلام

[٤١٦] ١. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن تعالىٰ الطاعة للإمام بعد معرفته» ثم قال: «إنّ الله تعالىٰ يقول: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولّىٰ فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾»[٢].

◁ بيان

يعني كما أنّ طاعة الرسول صلى الله عليه وآله طاعة الله، كذلك طاعة إلإمام طاعة الله؛ لأنّه يدعو إلىٰ ما يدعو إليه الرسول، لأنّه خليفته.

[٤١٧] ٢. الكافي: سئل الصادق عليه السلام: الأوصياء طاعتهم مفترضة؟ قال: «نعم، هم الذين قال الله تعالىٰ: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾[٣] وهم الذين قال الله تعالىٰ: ﴿إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾»[٤].

◁ بيان

حديث إعطاء أمير المؤمنين عليه السلام خاتمه للسائل في الركوع مشهور، وأما نسبة ذلك إلىٰ سائر الأئمّة عليهم السلام فهي إما باعتبار أنه إذا فعل واحد من قوم فعلاً جاز أن ينسب ذلك الفعل إليهم جملة، وإمّا باعتبار أنه وقع ذلك من كلّ منهم عليهم السلام، كما ورد في بعض الروايات.

[٤١٨] ٣. الكافي: سئل عليه السلام عن أفضل ما يتقرّب به العباد إلىٰ الله تعالىٰ قال: «أفضل ما يتقرّب به

---

١. الكافي ١: ٣٩٠ / ١.
٢. الكافي ١: ١٨٥ / ١؛ والآية من سورة النساء (٤): ٨٠.
٣. النساء (٤): ٥٩.
٤. الكافي ١: ١٨٧ / ٧؛ والآية من سورة المائدة (٥): ٥٥.

العباد إلىٰ الله تعالىٰ طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة أُولي الأمر»[١].

[٤١٩] ٤. **الكافي: عن الصادق عليه السلام: «نحن الذين فرض الله طاعتنا، لا يسع الناس إلّا معرفتنا، ولا يعذر الناس بجهالتنا، من عرفنا كان مؤمناً، ومن أنكرنا كان كافراً، ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالّاً حتىٰ يرجع إلىٰ الهدىٰ، افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة، فإن يمت علىٰ ضلالته يفعل الله به ما يشاء»**[٢].

[٤٢٠] ٥. **الكافي: عنه عليه السلام: «والله لو أنّ إبليس سجد لله تعالىٰ بعد المعصية والتكبّر عمر الدنيا ما نفعه ذلك ولا قبله الله تعالىٰ ما لم يسجد لآدم، كما أمر الله أن يسجد له، وكذلك هذه الأُمّة العاصية المفتونة بعد نبيّها صلى الله عليه وآله وبعد تركهم الإمام الذي نصبه نبيهم صلى الله عليه وآله، فلن يقبل الله تعالىٰ لهم عملاً ولن يرفع لهم حسنة حتىٰ يأتوا الله تعالىٰ من حيث أمرهم، ويتولّوا الإمام الذي أُمروا بولايته، ويدخلوا في الباب الذي فتحه الله ورسوله لهم»**[٣].

❖ ❖ ❖

باب

وجوب النصيحة لهم واللزوم لجماعتهم

[٤٢١] ١. **الكافي: رجل من قريش من أهل مكة قال: قال سفيان الثوري: إذهب بنا إلىٰ جعفر بن محمد، قال: فذهبت معه إليه فوجدناه قد ركب دابّته، فقال له سفيان: ياأبا عبدالله، حدّثنا بحديث خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف قال: «دعني حتىٰ أذهب في حاجتي، فإني قد ركبت، فإذا جئت حدّثتك» فقال: أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا حدّثتني، قال: فنزل فقال له سفيان: مر لي بدواة وقرطاس حتىٰ أُثبته، فدعا به، ثم قال: «اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف: نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، وبلّغها من لم**

---

١. الكافي ١: ١٨٧ / ١٢.
٢. الكافي ١: ١٨٧ / ١١.
٣. الكافي ٨: ٢٧٠ / ٣٩٩.

تبلغه. يأيها الناس، ليبلّغ الشاهد الغائب، فربّ حامل فقه ليس بفقيه، وربّ حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله تعالىٰ، والنصيحة لأئمّة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم، المؤمنون أُخوة تتكافئ دماؤهم، وهم يد علىٰ من سواهم، يسعىٰ بذمّتهم أدناهم».

فكتبه سفيان ثم عرضه عليه، وركب أبو عبدالله عليه السلام، وجئت أنا وسفيان، فلما كنا في بعض الطريق قال لي: كما أنت حتىٰ أنظر في هذا الحديث، فقلت له: قد والله ألزم أبو عبدالله عليه السلام رقبتك شيئاً لا يذهب من رقبتك أبداً فقال: وأي شيء ذلك؟ فقلت: «ثلاث لا يغل عليهنّ قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله» قد عرفناه، والنصيحة لأئمة المسلمين، من هؤلاء الأئمة الذين يجب علينا نصيحتهم؟ معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وكلّ من لا تجوز شهادته عندنا ولا تجوز الصلاة خلفهم؟ وقوله «واللزوم لجماعتهم» فأيّ الجماعة مرجئ يقول، من لم يصلّ و من لم يصم ولم يغتسل من جنابة، وهدم الكعبة، ونكح أُمّه، فهو علىٰ إيمان جبرئيل وميكائيل؟ أو قدري يقول: لا يكون ما شاء الله، ويكون ما شاء إبليس؟ أو حروريّ يبرأ من عليّ بن أبي طالب عليه السلام ويشهد عليه بالكفر؟ أو جهمي يقول: إنما هي معرفة الله وحده ليس الإيمان شيء غيرها؟ قال: ويحك وأي شيء يقولون؟ فقلت: يقولون: إنّ علي بن أبي طالب عليه السلام والله الإمام الذي يجب علينا نصيحته ولزوم جماعتهم أهل بيته، قال: فأخذ الكتاب فخرقه، ثم قال: لا تخبر بها أحداً[1].

◁ **بيان**

«لا يغلّ» لا يخون «محيطة من ورائهم» شاملة كلّهم لا يشذّ عنها أحد منهم «بذمّتهم» لعهدهم وأمانهم، يعني إذا أعطىٰ أحدهم عدّواً أماناً جاز ذلك علىٰ جميعهم وليس لهم أن يخفروه «يد علىٰ من سواهم» أي هم مجتمعون علىٰ أعدائهم لا يسعهم التخاذل، بل يعاون بعضهم بعضاً علىٰ جميع الأديان والملل، كأنه جعل أيديهم يداً واحدة، وفعلهم فعلاً واحداً، ولمّا كان المراد بأئمّة المسلمين خافياً علىٰ جماهير الناس صدّر الحديث بما صدّر ومهّد له ما مهّد عليه السلام «والمرجئ» من يقول بأن الإيمان لا يضرّ معه معصية «والقدريّ» من يقول بالتفويض «والحروريّ» الخارجي منسوب إلىٰ قرية بالكوفة كانت مجمع الخوارج تسمّىٰ بحروراء «والجهمي» أصحاب جهم بن صفوان، ولعمري أن الثوري بخرقه الكتاب قد أتىٰ

---

١. الكافي ١: ٢/٤٠٣.

بالغلول في ثلاثتهنّ جميعاً، وخرج من الإسلام بالنص النبويّ، كما لا يخفىٰ علىٰ أُولي النهىٰ.

[٤٢٢] ٢. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تختانوا ولاتكم، ولا تغشّوا هداتكم، ولا تجهلوا أئمتكم، ولا تصدعوا عن حبلكم، فتفشلوا وتذهب ريحكم، وعلىٰ هذا فليكن تأسيس أموركم، والزموا هذه الطريقة، فإنّكم لو عاينتم ما عاين من قد مات منكم ممّن خالف ما قد تدعون إليه، لبدرتم وخرجتم ولسمعتم، ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا، وقريباً ما يطرح الحجاب»[1].

◁ بيان

«لا تصدعوا عن حبلكم» لا تفرّقوا عن عهدكم وأمانكم وبيعتكم «فتفشلوا» فتضعفوا وتكسلوا وتجبنوا «ريحكم» قوّتكم وغلبتكم ونصرتكم ودولتكم «لبدرتم وخرجتم» يعني إلىٰ ما تدعون إليه «ولسمعتم» سماع إجابة.

[٤٢٣] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من فارق جماعة المسلمين قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»[2].

[٤٢٤] ٤. الكافي: عن النبي صلى الله عليه وآله: «ما نظر الله عزّوجلّ إلىٰ ولي له يجهد نفسه بالطاعة لإمامه والنصيحة إلّا كان معنا في الرفيق الأعلىٰ»[3].

❖ ❖ ❖

باب

وجوب موالاتهم والاقتداء بهم

[٤٢٥] ١. الكافي: عن النبي صلى الله عليه وآله: «من سرّه أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنة التي وعدنيها ربّي ويتمسّك بقضيب غرسه ربّي بيده، فليتولّ عليّ بن أبي طالب

---

١. الكافي ١: ٤٠٥ / ٣.
٢. الكافي ١: ٤٠٤ / ٤.
٣. الكافي ١: ٤٠٤ / ٣.

وأوصياءه من بعده، فإنّهم لا يدخلونكم في باب ضلال ولا يخرجونكم من باب هدىً، فلا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم، وإني سألت ربّي أن لا يفرّق بينهم وبين الكتاب حتىٰ يردا عليّ الحوض هكذا ـ وضمّ بين إصبعيه ـ وعرضه ما بين صنعاء إلىٰ أيلة، فيه قدحان فضّة وذهب عدد النجوم»[1].

وفي رواية: «فانّهم عترتي من لحمي ودمي، أعطاهم الله فهمي وعلمي، إلىٰ الله أشكو أمر أُمّتي، المنكرين لفضلهم، القاطعين فيهم صلتي، وأيم الله ليقتلنّ ابني، لا أنالهم الله شفاعتي»[2].

◁ **بيان**

لعلّه ﷺ كنّىٰ بالقضيب المغروس بيد الرب عن شجرة علم أهل البيت عليهم السلام، وأُريد بالكتاب القرآن، وبعدم الفرق بينهم وبينه عدم مزايلتهم عن علمه وعدم مزايلته عن وصف شأنهم، وبالحوض الكوثر، وتأويله العلم «وصنعاء» بلد باليمن كثيرة الأشجار والمياه تشبه دمشق، وقرية بباب دمشق «وأيلة» بالفتح والمثناة التحتانية: جبل بين مكة والمدينة، وبلد بين ينبع ومصر «وقدحان» جمع قدح، قاله في (المهذّب) «عدد النجوم» أي كلّ واحد من نوعي القدحان بعدد النجوم، أو كلاهما معاً بعددها، وكأنّ اختلاف جوهري النوعين في الشرف بحسب اختلاف جوهري التحقيق والتقليد في العلم.

[٤٢٦] ٢. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «لما نزلت هذه الآية: ﴿يوم ندعو كلّ أُناس بإمامهم﴾[3] قال المسلمون: يارسول الله، ألست إمام الناس كلّهم أجمعين؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: أنا رسول الله إلىٰ الناس أجمعين، ولكن سيكون من بعدي أئمّة علىٰ الناس من الله من أهل بيتي يقومون في الناس، فيُكَذَّبون ويظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم، فمن والاهم واتّبعهم وصدّقهم فهو منّي ومعي وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وكذّبهم فليس مني ولا معي وأنا منه بريءٌ»[4].

---

١. الكافي ١: ٢٠٩ / ٦.
٢. الكافي ١: ٢٠٩ / ٥.
٣. الاسراء (١٧): ٧١.
٤. الكافي ١: ٢١٥ / ١.

[٤٢٧] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الروحة والراحة والفلج والعون والنجاح والبركة والكرامة والمغفرة والمعافاة واليسر والبشرىٰ والرضوان والقرب والنصر والتمكّن والرجاء والمحبّة من الله تعالىٰ لمن تولّىٰ علياً عليه السلام وائتم به، وبرئ من عدوّه، وسلّم لفضله وللأوصياء من بعده، حقّاً عليّ أن أدخلهم في شفاعتي، وحقّ علىٰ ربي تبارك وتعالىٰ أن يستجيب لي فيهم، فإنّهم أتباعي، ومن تبعني فإنّه منّي»[١].

[٤٢٨] ٤. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إن الأئمة في كتاب الله إمامان: قال الله تعالىٰ: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾[٢] لا بأمر الناس يقدّمون أمر الله قبل أمرهم، وحكم الله قبل حكمهم، قال: ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾[٣] يقدّمون أمرهم قبل أمر الله، وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله تعالىٰ»[٤].

[٤٢٩] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «من سرّه أن يستكمل الإيمان كلّه، فليقل القول منّي في جميع الأشياء قول آل محمد صلى الله عليه وآله فيما أسرّوا وما أعلنوا، وفيما بلغني عنهم و فيما لم يبلغني»[٥].

❖ ❖ ❖

باب

من دان الله بغير إمام من الله

[٤٣٠] ١. الكافي: عن أبي الحسن عليه السلام، في قول الله تعالىٰ: ﴿ومن أضلّ ممّن اتّبع هواه بغير هدىً من الله﴾[٦] قال: «يعني من اتخذ دينه رأيه بغير إمام من أئمة الهدىٰ»[٧].

[٤٣١] ٢. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «كلّ من دان الله بعبادة يجهد فيها نفسه، ولا إمام له من الله،

---

١. الكافي ١: ٢١٠/ ٧.
٢. الأنبياء (٢١): ٧٣.
٣. القصص (٢٨): ٤١.
٤. الكافي ١: ٢١٦/ ٢.
٥. الكافي ١: ٣٩١/ ٦.
٦. القصص (٢٨): ٥٠.
٧. الكافي ١: ٣٧٤/ باب فيمن دان الله بغير امام.

فسعيه غير مقبول، وهو ضالّ متحيّر، والله شانئ لأعماله، ومثله كمثل شاة ضلّت عن راعيها وقطيعها، فهجمت ذاهبة وجائية يومها، فلمّا جنّها الليل بصرت بقطيع مع غير راعيها، فحنّت إليها، واغترّت بها، وباتت معها في مربضها، فلمّا أن ساق الراعي قطيعه أنكرت راعيها وقطيعها، فهجمت متحيّرة تطلب راعيها وقطيعها، فبصرت بغنم مع راعيها، فحنّت إليها واغترّت بها، فصاح بها الراعي: إلحقي براعيك وقطيعك، فإنّك تائهة متحيّرة عن راعيك وقطيعك. فهجمت ذعرة متحيّرة نادّة لا راعي لها يرشدها إلىٰ مرعاها أو يردّها، فبينا هي كذلك إذ اغتنم الذئب ضيعتها فأكلها.

وكذلك والله من أصبح من هذه الأُمّة لا إمام له من الله جلّ وعزّ ظاهراً عادلاً أصبح ضالّاً تائهاً، وإن مات علىٰ هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق، و اعلم أنّ أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله، قد ضلّوا وأضلّوا، فأعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدّت به الريح في يوم عاصف، لا يقدرون ممّا كسبوا علىٰ شيء، ذلك هو الضلال البعيد»[1].

[٤٣٢] ٣. الكافي: ابن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إني أُخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتولّونكم ويتولّون فلاناً وفلاناً، لهم أمانة وصدق ووفاء، و أقوام يتولّونكم ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء والصدق! قال: فاستوى أبو عبدالله عليه السلام جالساً فأقبل عليّ كالغضبان، ثم قال: «لا دين لمن دان الله بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عتب علىٰ من دان بولاية إمام عادل من الله».

قلت: لا دين لأُولئك، ولا عتب علىٰ هؤلاء؟ قال: «نعم، لا دين لأُولئك، ولا عتب علىٰ هؤلاء ـ ثمّ قال: ـ ألا تسمع لقول الله عزّوجلّ: **﴿الله ولّي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾**»![2] يعني ظلمات الذنوب إلىٰ نور التوبة والمغفرة لولايتهم كلّ إمام عادل من الله، وقال: **﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾** إنّما عنى بهذا أنهم كانوا علىٰ نور الإسلام، فلمّا أن تولّوا كلّ إمام جائر ليس من الله عزّوجلّ خرجوا بولايتهم من نور الإسلام إلىٰ ظلمات الكفر، فأوجب الله لهم النار مع الكفّار **﴿فأُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾**»[3].

---

١. الكافي: ٢/٣٧٥.
٢. البقرة (٢): ٢٥٧.
٣. الكافي ١: ٣٧٥/ ٣.

◁ **بيان**

لعلّ السرّ فيه أن إيمان المهتدين لمّا كان مبنيّاً علىٰ أصل أصيل ومتابعتهم لإمام معصوم مطهّر من الذنب، فالذنب الذي يصدر منهم إنما يصدر علىٰ وجل وخوف، فلذلك يوفّقون للتوبة والمغفرة، بخلاف مخالفيهم فإنّه ليس بناء إيمانهم علىٰ أصل ثابت ولا متابعتهم لمعصوم، فالطاعة التي تصدر عنهم إنّما تصدر مع عدم خلوص نيّة ولا صفاء طوية، فتصير سبباً للإعجاب والغرور والذنب الذي يصدر منهم إنّما يصدر مع عدم مبالاة به وقلّة خوف، لأنّ أئمّتهم كانوا كذلك، فلذلك يصير ذلك سبب تراكم الظلمة علىٰ قلوبهم حتىٰ يؤدّي إلىٰ الكفر والجحود واستحقاق النار مع الخلود.

[٤٣٣] ٤. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «قال الله تعالىٰ: لأعذّبن كلّ رعية في الإسلام دانت بولاية كل إمام جائر ليس من الله، وإن كانت الرعية في أعمالها برّة تقية، ولأعفونّ عن كلّ رعية في الإسلام دانت بولاية كلّ إمام عادل من الله، وإن كانت الرعية في أنفسها ظالمة مسيئة»[١].

[٤٣٤] ٥. الكافي: ابن أبي يعفور، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول رسول‌الله صلى الله عليه وآله: «من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية» **قال: فقلت: ميتة كفر؟ قال:** «ميتة ضلال» **قلت: فمن مات اليوم وليس له إمام، فميتته ميتة جاهلية؟ فقال:** «نعم»[٢].

❖ ❖ ❖

باب

دلائل الإمامة

[٤٣٥] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «يعرف صاحب هذا الأمر بثلاث خصال لاتكون في غيره: هو أولىٰ الناس بالذي قبله، و هو وصيّه، و عنده سلاح رسول‌الله صلى الله عليه وآله و وصيّته و ذلك عندي لا أُنازع فيه».

---

١. الكافي ١: ٣٧٦ / ٤.
٢. الكافي ١: ٣٧٦ / ٢.

قيل: إنَ ذلك مستور مخافة السلطان؟ قال: «لا يكون في ستر إلّا وله حجّة ظاهرة، إنّ أبي استودعني ما هناك، فلمّا حضرته الوفاة قال: ادع لي شهوداً، فدعوت أربعةً من قريش، فيهم نافع مولىٰ عبدالله بن عمر، قال اكتب: هذا ما أوصىٰ به يعقوب بنيه: ﴿يابنيّ إنّ الله إصطفىٰ لكم الدين فلا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون﴾[1] وأوصىٰ محمّد بن علي إلىٰ جعفر بن محمّد، وأمره أن يكفّنه في برده الذي كان يصلي فيه الجُمَع، وأن يعمّمه بعمامته، وأن يربّع قبره، ويرفعه أربع أصابع ثم يخلّي عنه، فقال: اطووه، ثم قال للشهود: انصرفوا رحمكم الله، فقلت بعد ما انصرفوا: ما كان في هذا يا أبه أن يشهد عليه؟ فقال: إنّي كرهت أن تغلب وأن يقال إنه لم يوص، فأردت أن يكون لك حجّة، فهو الذي إذا قدم الرجل البلد قال: من وصيّ فلان؟ قيل: فلان، قيل: فإنّ أُشرك في الوصية قال: تسألونه فإنّه سيبيّن لكم»[2].

[٤٣٦] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّما مثل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل، كانت بنو إسرائيل أيّ أهل بيت وجد التابوت علىٰ بابهم أُوتوا النبوة، فمن صار إليه السلاح منّا أُوتي الإمامة»[3].

[٤٣٧] ٣. الكافي: عنه عليه السلام قيل له: بأيّ شيء يعرف الإمام؟ قال: «بالوصية الظاهرة، وبالفضل، إنّ الإمام لا يستطيع أحد أن يطعن عليه في فم ولا بطن ولا فرج، فيقال كذّاب، ويأكل أموال الناس، و ما أشبه هذا»[4].

[٤٣٨] ٤. الكافي: أبو بصير، قال قلت لأبي الحسن عليه السلام: جعلت فداك، بم يعرف الإمام؟ قال، فقال: «بخصال؛ أمّا أوّلها: فإنّه بشيء قد تقدّم من أبيه فيه، وبإشارة إليه فيكون عليهم حجّة، ويُسأل فيجيب، وإن سكت عنه ابتدأ، ويخبر بما في غد، ويكلّم الناس بكلّ لسان». ثم قال لي: «يا أبا محمد، أُعطيك علامة قبل أن تقوم» فلم ألبث أن دخل علينا رجل من أهل

---

١. البقرة (٢): ١٣٢.
٢. الكافي ١: ٢/٣٧٩.
٣. الكافي ١: ٢٣٨ / ٤.
٤. الكافي ١: ٢٨٤ / ٣.

خراسان، فكلّمه الخراساني بالعربية، فأجابه عليه السلام بالفارسية، فقال له الخراساني: والله جعلت فداك، ما منعني أن أكلّمك بالخراسانية غير أنّي ظننت أنك لا تحسنها، فقال: «سبحان الله، إذا كنت لا أُحسن أُجيبك، فما فضلي عليك؟» ثم قال لي: «يا أبامحمد، انّ الإمام لا يخفىٰ عليه كلام أحد من الناس، ولا طير، ولا بهيمة، ولا شيء فيه الروح، فمن لم يكن هذه الخصال فيه فليس هو بإمام»[1].

[٤٣٩] ٥. الكافي: حبابة الوالبية عن أمير المؤمنين عليه السلام قالت: قلت له: ياأمير المؤمنين، ما دلالة الإمامة يرحمك الله؟ قالت: فقال: «ائتيني بتلك الحصاة» وأشار بيده إلىٰ حصاة، فأتيته بها، فطبع لي فيها بخاتمه، ثمّ قال لي: «ياحبابة، إذا ادّعىٰ مدّعٍ الإمامة، فقدر أن يطبع كما رأيت فاعلمي انه إمام مفترض الطاعة، والإمام لا يعزب عنه شيء يريده».

قالت: ثم انصرفت حتىٰ قبض أمير المؤمنين عليه السلام، فجئت إلىٰ الحسن عليه السلام وهو في مجلس[2] أمير المؤمنين صلوات الله عليه، والناس يسألونه، فقال: «ياحبابة الوالبية» فقلت: نعم ياسولاي، فقال: «هاتي ما معك» قالت: فأعطيته فطبع فيها كما طبع أمير المؤمنين عليه السلام.

قالت: ثم أتيت الحسين عليه السلام وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقرّب ورحّب، ثم قال لي: «إنّ في الدلالة دليلاً ما تريدين، أفتريدين دلالة الامامة؟» فقلت: نعم ياسيدي، فقال: «هاتي ما معك» فناولته الحصاة، فطبع لي فيها.

قالت: ثم أتيت عليّ بن الحسين عليه السلام وقد بلغ بي الكبر إلىٰ أن أرعشت وأنا أعدّ يومئذ مائة وثلاث عشرة سنة، فرأيته راكعاً وساجداً ومشغولاً بالعبادة، فينست من الدلالة، فأومأ إليّ بالسبابة، فعاد إليّ شبابي، قالت: فقلت: ياسيدي، كم مضىٰ من الدنيا، وكم بقي؟ فقال: «أمّا ما مضىٰ فنعم، وأمّا ما بقي فلا» قالت: ثم قال لي: «هاتي ما معك» فأعطيته الحصاة، فطبع فيها.

ثم أتيت أبا جعفر عليه السلام فطبع لي فيها، ثم أتيت أبا عبدالله عليه السلام فطبع لي فيها، ثم أتيت أبا الحسن موسىٰ عليه السلام فطبع لي فيها، ثم أتيت الرضا عليه السلام فطبع لي فيها[3].

وعاشت حبابة بعد ذلك تسعة أشهر علىٰ ما ذكر محمّد بن هشام.

---

١. الكافي ١: ٢٨٥ / ٧.
٢. في نسخة: مسجد.
٣. الكافي ١: ٣٤٦ / ٣.

[٤٤٠] ٦. الكافي: داوود بن القاسم الجعفري، قال: كنت عند أبي محمدﷺ فاستؤذن لرجل من أهل اليمن عليه، فدخل رجل عبل طويل جسيم، فسلّم عليه بالولاية، فردّ عليه بالقبول، وأمره بالجلوس، فجلس ملاصقاً لي، فقلت في نفسي: ليت شعري من هذا؟ فقال أبو محمدﷺ: «هذا من ولد الأعرابية صاحبة الحصاة التي طبع آبائيﷺ فيها بخواتيمهم فانطبعت، وقد جاء بها معه يريد أن أطبع فيها». ثم قال: «هاتها» فأخرج حصاة، وفي جانب منها موضع أملس، فأخذها أبو محمدﷺ، ثم أخرج خاتمه فطبع فيها فانطبع، فكأنّي أرىٰ نقش خاتمه الساعة: الحسن بن عليﷺ.

فقلت لليماني: رأيته قبل هذا قط؟ قال: لا والله، وإني لمنذ دهر حريصٌ علىٰ رؤيته حتىٰ كان الساعة أتاني شاب لست أراه، فقال لي: قم فادخل، فدخلت. ثم نهض اليماني وهو يقول: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ذرية بعضها من بعض، أشهد بالله أنّ حقّك لواجب كوجوب حقّ أمير المؤمنين والأئمة من بعدهﷺ، ثم مضىٰ فلم أره بعد ذلك[1].

◁ بيان

وأمّا إخبارهمﷺ عمّا في الضمائر والمغيبات وسائر خوارقهم للعادات وما يفصل به بين المحقّ والمبطل، فأكثر من أن تحصىٰ، وقد صنّف في ذلك المخالف والمؤالف كتباً كثيرة، وقد ذكر طرف منها في «الوافي».

❖ ❖ ❖

باب

أنّ الإمامة عهد من الله تعالىٰ معهود

[٤٤١] ١. الكافي: عن الصادقﷺ: «أترون الموصي منّا يوصي إلىٰ من يريد؟ لا والله، ولكن عهد من الله ورسوله ﷺ لرجل فرجل حتىٰ ينتهي الأمر إلىٰ صاحبه»[2].

[٤٤٢] ٢. الكافي: عنهﷺ: «إنّ الله تعالىٰ أنزل علىٰ نبيّه ﷺ كتاباً قبل وفاته، فقال:

---

١. الكافي ١: ٣٤٧ / ٤.
٢. الكافي ١: ٢٧٧ / ٢.

يامحمّد، هذه وصيّتك إلىٰ النجبة من أهلك، قال: وما النجبة، ياجبرئيل؟ فقال: علي ابن أبي طالب وولده عليه السلام، وكان علىٰ الكتاب خواتيم من ذهب، فدفعه النبي صلى الله عليه وآله إلىٰ أميرالمؤمنين عليه السلام، وأمره أن يفكّ خاتماً منه ويعمل بما فيه، ففكّ أمير المؤمنين عليه السلام خاتماً وعمل بما فيه، ثمّ دفعه إلىٰ ابنه الحسن عليه السلام ففكّ خاتماً وعمل بما فيه، ثمّ دفعه إلىٰ الحسين عليه السلام، ففكّ خاتماً فوجد فيه: أن اخرج بقوم إلىٰ الشهادة، فلا شهادة لهم إلّا معك واشرِ نفسك لله تعالىٰ ففعل، ثم دفعه إلىٰ عليّ بن الحسين عليه السلام، ففكّ خاتماً فوجد فيه: أن أطرق واصمت والزم منزلك وأعبد ربّك حتىٰ يأتيك اليقين ففعل، ثمّ دفعه إلىٰ محمد بن علي عليه السلام، ففك خاتماً فوجد فيه: حدّث الناس وأفتهم و لاتخافنّ إلاّ الله عزّوجل فإنّه لا سبيل لأحد عليك، ثم دفعه إلىٰ ابنه جعفر ففكّ خاتماً فوجد فيه: حدّث الناس و أفتهم و انشر علوم أهل بيتك وصدّق آبائك الصالحين، ولا تخافنّ إلّا الله تعالىٰ، وأنت في حرز وأمان ففعل، ثم دفعه إلىٰ ابنه موسىٰ عليه السلام، وكذلك يدفعه موسىٰ إلىٰ الذي بعده، ثم كذلك أبداً إلىٰ قيام المهدي صلوات الله عليهم»[1].

وفي رواية: «أنّه أشهد علىٰ عليّ عليه السلام جبرئيل وميكائيل وهما حاضران معهما الملائكة المقرّبون، وكان فيما اشترط عليه النبي صلى الله عليه وآله بأمر جبرئيل فيما أمره الله عزّوجلّ أن قال له: ياعلي، تفي بما فيها من موالاة من والىٰ الله ورسوله والبراءة والعداوة لمن عادىٰ الله ورسوله والبراءة منهم علىٰ الصبر منك علىٰ كظم الغيظ وعلىٰ ذهاب حقّك وغصب خمسك وانتهاك حرمتك، فقال: نعم يارسول الله.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لقد سمعت جبرئيل يقول للنبي صلى الله عليه وآله: يامحمّد عرّفه أنه يُنتهك الحرمة، وهي حرمة الله سبحانه وحرمة رسول‌الله صلى الله عليه وآله. وعلىٰ أن تُخضَب لحيته من رأسه بدم عبيط، قال أمير المؤمنين عليه السلام، فصعقت حين فهمت الكلمة من الأمين جبرئيل حتىٰ سقطت علىٰ وجهي وقلت: نعم قبلت ورضيت، وإن انتهكت الحرمة، وعطلّت السنن، ومزّق الكتاب، وهدمت الكعبة، وخضبت لحيتي من رأسي بدم عبيط صابراً محتسباً أبداً حتىٰ أقدم عليك.

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأعلمهم مثل ما أعلم

---

١. الكافي ١: ٢٨٠ / ٢.

أميرالمؤمنين عليه السلام فقالوا مثل قوله، فخُتِمت الوصية بخواتيم من ذهب لم تمسّه النار، ودُفِعت إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام»[1].

[٤٤٣] ٣. الكافي: عن الباقر عليه السلام قال له رجل: حدّثني عن ولاية علي عليه السلام، أمن الله، أو من رسوله؟ فغضب، ثم قال: «ويحك، كان رسول الله صلى الله عليه وآله أخوف لله من أن يقول ما لم يأمره الله، بل افترضه كما افترض الله الصلاة والزكاة والصوم والحج»[2].

❖ ❖ ❖

باب

ما نصّ الله و رسوله عليهم

[٤٤٤] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام، في قول الله تعالىٰ: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾[3]. **قال:** «نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام».

فقيل له: إنّ الناس يقولون: فما له لم يسمّ علياً وأهل بيته عليهم السلام في كتاب الله عزّوجل؟ قال: «قولوا لهم: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت عليه الصلاة ولم يسمّ الله لهم ثلاثاً ولا أربعاً حتىٰ كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسّر ذلك لهم، ونزلت عليه الزكاة ولم يسمّ لهم من كلّ أربعين درهماً درهم حتىٰ كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسّر ذلك لهم، ونزل الحجّ فلم يقل لهم طوفوا أسبوعاً حتىٰ كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسّر ذلك لهم، ونزلت **﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾** ونزلت في علي والحسن والحسين عليهم السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله في علي: من كنت مولاه فعلي مولاه، وقال صلى الله عليه وآله: أُوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي، فإنّي سألت الله عزّوجل أن لا يفرّق بينهما حتىٰ يوردهما عليّ الحوض فأعطاني ذلك، وقال: لا تعلّموهم فهم أعلم منكم، وقال: إنهم لن يخرجوكم من باب هدىً ولن يدخلوكم في باب ضلالة.

---

١. الكافي ١: ٢٨١ / ٤.
٢. الكافي ١: ٢٩٠ / ٥.
٣. النساء (٤): ٥٩.

فلو سكت رسول‌الله ﷺ فلم يبيّن من أهل بيته، لادّعاها آل فلان وآل فلان، ولكنّ الله عزّوجلّ أنزل في كتابه تصديقاً لنبيّه ﷺ: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[1] فكان عليّ والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام، فأدخلهم رسول الله ﷺ تحت الكساء في بيت أُمّ سلمة، ثم قال: اللهم انّ لكل نبي أهلاً وثقلاً، وهؤلاء أهل بيتي وثقلي. فقالت أُم سلمة: ألست من أهلك؟ فقال: إنّك إلىٰ خير، ولكن هؤلاء أهلي وثقلي، فلما قبض رسول الله ﷺ كان علي أولى الناس بالناس، لكثرة ما بلّغ فيه رسول الله ﷺ وإقامته للناس وأخذه بيده.

فلمّا مضىٰ عليّ عليه السلام لم يكن يستطيع علي عليه السلام ولم يكن ليفعل أن يدخل محمّد بن علي ولا العباس بن علي ولا واحداً من ولده، إذاً لقال الحسن والحسين: إنّ الله تبارك وتعالىٰ أنزل فينا كما أنزل فيك، وأمر بطاعتنا كما أمر بطاعتك، وبلّغ فينا رسول‌الله ﷺ كما بلّغ فيك، وأذهب عنّا الرجس كما أذهبه عنك.

فلمّا مضىٰ عليّ عليه السلام كان الحسن أولىٰ بها لكبره، فلمّا توفّي لم يستطع أن يدخل ولده، ولم يكن ليفعل ذلك، والله عزّوجلّ يقول: ﴿وأُولوا الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض في كتاب الله﴾[2] فيجعلها في ولده إذاً لقال الحسين: أمر الله بطاعتي كما أمر بطاعتك وطاعة أبيك، وبلّغ فيّ رسول‌الله ﷺ كما بلّغ فيك وفي أبيك، وأذهب الله عني الرجس كما أذهب عنك وعن أبيك، فلمّا صارت إلىٰ الحسين لم يكن أحدٌ من أهل بيته يستطيع أن يدّعي عليه كما كان هو يدّعي على أخيه وعلىٰ أبيه، لو أراد أن يصرف الأمر عنه، ولم يكونا ليفعلا.

ثمّ صارت حين أفضت إلىٰ الحسين عليه السلام، فجرىٰ تأويل هذه الآية: ﴿وأُولوا الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض في كتاب الله﴾، ثم صارت من بعد الحسين لعليّ بن الحسين، ثم صارت من بعد عليّ بن الحسين إلىٰ محمّد بن علي، وقال: الرجس هو الشك، والله لا نشكّ في ربنا أبداً»[3].

---

١. الأحزاب (٣٣): ٣٣.
٢. الأنفال ٨: ٧٥.
٣. الكافي ١: ٢٨٦ / ١.

[٤٤٥] ٢. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «فرض الله على العباد خمساً، أخذوا أربعاً وتركوا واحدة».

قيل: أتسمّيهنّ لي، جعلت فداك؟ فقال: «الصلاة، وكان الناس لا يدرون كيف يصلّون، فنزل جبرئيل فقال: يامحمّد، أخبرهم بمواقيت صلاتهم، ثم نزلت الزكاة فقال: يامحمّد، أخبرهم من زكاتهم ما أخبرتهم من صلاتهم، ثمّ نزل الصوم فكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان يوم عاشوراء بعث إلى ما حوله من القرى فصاموا ذلك اليوم، فنزل شهر رمضان بين شعبان وشوّال، ثم أنزل الحج فنزل جبرئيل فقال: أخبرهم من حجّهم ما أخبرتهم من صلاتهم وزكاتهم وصومهم.

ثمّ نزلت الولاية، وإنما أتاه ذلك في يوم الجمعة بعرفة، أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي**﴾[1] وكان كمال الدين بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال عند ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله: أمتّي حديث عهد بالجاهلية، ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمّي يقول قائل ويقول قائل، فقلت في نفسي من غير أن ينطق به لساني، فأتتني عزيمة من الله عزّوجلّ بتلة، أوعدني إن لم أبلّغ أن يعذّبني، فنزلت: ﴿**يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس انّ الله لا يهدي القوم الكافرين**﴾[2] فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد عليّ عليه السلام وقال: ياأيها الناس، إنه لم يكن نبيّ من الأنبياء ممّن كان قبلي إلّا وقد عمّره الله ثم دعاه فأجابه، فأُوشك أن أُدعى فأجيب وأنا مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟

فقالوا: نشهد انّك قد بلّغت ونصحت وأدّيت ما عليك، فجزاك الله أفضل جزاء المرسلين. فقال: اللهم اشهد ثلاث مرّات، ثم قال: يامعشر المسلمين، هذا وليّكم من بعدي، فليبلّغ الشاهد منكم الغائب».

قال أبو جعفر عليه السلام: «كان والله أمين الله على خلقه وغيبه ودينه الذي ارتضاه لنفسه، ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حضره الذي حضره، فدعا علياً عليه السلام فقال: ياعلي، إنّي أُريد أن أئتمنك على ما أئتمنني الله عليه من غيبه وعلمه ومن خلقه ومن دينه الذي ارتضاه لنفسه، فلم يشرك والله فيها أحداً من الخلق، ثم إنّ علياً عليه السلام حضره الذي حضره فدعا ولده وكانوا

---

١. المائدة ٥: ٣.

٢. المائدة (٥): ٦٧.

اثني عشر ذكراً، فقال لهم: يابنيّ، إنّ الله عزّوجلّ قد أبىٰ إلّا أن يجعل فيّ سنّة من يعقوب، وإنّ يعقوب دعا ولده وكانوا اثني عشر ذكراناً، فأخبرهم بصاحبهم، ألا وإني أخبركم بصاحبكم، ألا إنّ هذين ابنا رسول الله ﷺ الحسن والحسين فاسمعوا لهما وأطيعوا ووازروهما، فإني قد ائتمنتهما علىٰ ما ائتمنني عليه رسول الله ﷺ ممّا ائتمنه الله عليه من خلقه ومن غيبه ومن دينه الذي ارتضاه لنفسه، فأوجب الله لهما من عليؑ ما أوجب لعليؑ من رسول الله ﷺ، فلم يكن لأحد منهما فضل علىٰ صاحبه إلّا بكبره، وإنّ الحسينؑ كان إذا حضر الحسنؑ لم ينطق في ذلك المجلس حتىٰ يقوم، ثم إنّ الحسنؑ حضره، الذي حضره فسلّم ذلك إلىٰ الحسينؑ، ثم إنّ حسيناًؑ حضره الذي حضره فدعا ابنته الكبرىٰ فاطمة بنت الحسين فدفع إليها كتاباً ملفوفاً و وصيّة ظاهرة، وكان علي بن الحسينؑ مبطوناً لا يرون إلّا أنّه لما به، فدفعت فاطمة الكتاب إلىٰ عليّ بن الحسينؑ، ثمّ صار والله ذلك الكتاب إلينا»[1].

◁ بيان

إنما كان كمال الدين بولاية عليؑ؛ لأنه لما نصب للناس وليّاً وأُقيم لهم إماماً، صار معوّلهم علىٰ أقواله وأفعاله في جميع ما يحتاجون إليه في أمر دينهم، ثم علىٰ خليفته من بعده، وهكذا إلىٰ يوم القيامة، فلم يبق لهم من أمر دينهم ما لا يمكنهم الوصول إلىٰ علمه؛ لأنّ كلّاً منهم صلوات الله عليهم مليّ بإصدار ما ورد عليه من أمر الدين كائناً ما كان، فكمّل الدين بهم، وتمت النعمة بوجودهم واحداً بعد واحد، سلام الله عليهم، ولله الحمد علىٰ ما هدانا، وله الشكر علىٰ ما أولانا.

«يقول قائل ويقول قائل» يعني يعترضون عليّ باللِمَ والكيف حسداً وحميّة «عزيمة» آية حتم لا رخصة فيها «بتلة» جازمة مقطوع بها «كان والله أمين الله» يعني رسول الله ﷺ «فلم يشرك والله فيها» أي في هذه الأمانة «أحداً من الخلق» لا هواه ولا غيره «كتاباً ملفوفاً» كان قد كتب فيه كلّ ما يحتاج إليه الناس، كما ورد في حديث آخر «ووصية ظاهرة»[2] أي كتاباً كتب فيه أنّه وصيّه وهو أولىٰ بالأمور من غيره، كما مرّ بيانه «لا يرون إلّا أنّه لما به» أي لا يعتقدون إلّا أنّه مُتَهيىءٌ لما ينزل به من الموت، وهذه الكلمة كناية عن الإشراف علىٰ الموت.

---

١. الكافي ١: ٢٩٠ / ٦.

٢. الكافي ١: ٢٩٠/باب ما نص الله و رسوله على الأئمّة.

[٤٤٦] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «لما أن قضىٰ محمّد صلى الله عليه وآله نبوّته واستكمل أيّامه، أوحى الله عزّوجلّ إليه: أن يامحمد قد قضيت نبوتك، واستكملت أيامك، فاجعل العلم الذي عندك والايمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة في أهل بيتك عند علي ابن أبي طالب عليه السلام فإنّي لن أقطع العلم والايمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة من العقب من ذريّتك، كما لم أقطعها من ذريّات الأنبياء»[1].

◁ بيان

يشبه أن يكون المراد بالعلم الذي عندك: المعرفة بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر علىٰ سبيل المشاهدة والعيان، و بالايمان: التصديق بهذه الأُمور مع الانقياد المقرون بالإيقان، و بالاسم الأكبر: الكتاب الذي يعلم به علم كلّ شيء الذي يكون مع الأنبياء عليهم السلام، كما فسّر به في حديث آخر و بميراث العلم: التخلّق بأخلاق الله، وبآثار علم النبوة: علم الشرائع والأحكام[2].

[٤٤٧] ٤. الفقيه عن النبي صلى الله عليه وآله: «أنا سيد النبيّين، ووصيي سيد الوصيّين، و أوصياؤه سادة الأوصياء، إنّ آدم سأل الله أن يجعل له وصيّاً صالحاً، فأوحىٰ الله تعالىٰ ذكره إليه: إني أكرمت الأنبياء بالنبوة، ثم اخترت خلقاً، وجعلت خيارهم الأوصياء، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: ياآدم، أوص إلىٰ شيث، فأوصىٰ آدم إلىٰ شيث وهو هبة الله بن آدم، وأوصىٰ شيث إلىٰ ابنه شبان، وهو ابن بركة الحوراء التي أنزلها الله عزّوجلّ علىٰ آدم عليه السلام من الجنّة، فزوّجها ابنه شيثاً، وأوصىٰ شبان إلىٰ مجلث، وأوصىٰ مجلث إلىٰ محوق، وأوصىٰ محوق إلىٰ عثميشا، وأوصىٰ عثميشا إلىٰ أخنوخ، وهو إدريس النبيّ عليه السلام، وأوصىٰ إدريس إلىٰ ناخور، ودفعها ناخور إلىٰ نوح عليه السلام، وأوصىٰ نوح إلىٰ سام، وأوصىٰ سام إلىٰ عثامر، وأوصىٰ عثامر إلىٰ برغيثاشا، وأوصىٰ برغيثاشا إلىٰ يافث، وأوصىٰ يافث إلىٰ بره، وأوصىٰ بره إلىٰ خفسية، وأوصىٰ خفسية إلىٰ عمران، ودفعها عمران إلىٰ إبراهيم الخليل عليه السلام، وأوصىٰ إبراهيم إلىٰ ابنه إسماعيل، وأوصىٰ إسماعيل إلىٰ إسحاق، وأوصىٰ إسحاق إلىٰ يعقوب، وأوصىٰ يعقوب إلىٰ يوسف، وأوصىٰ يوسف إلىٰ بثريا، وأوصىٰ

---

١. الكافي ١: ٢٩٣ / ٢.

٢. راجع الكافي ١: ٢٩٥/باب الاشارة والنص على امير المؤمنين عليه السلام.

بثريا إلىٰ شعيب، وأوصىٰ شعيب إلىٰ موسىٰ بن عمران، وأوصىٰ موسىٰ بن عمران إلىٰ يوشع بن نون، وأوصىٰ يوشع بن نون إلىٰ داود، وأوصىٰ داود إلىٰ سليمان، وأوصىٰ سليمان إلىٰ آصف بن برخيا، وأوصىٰ آصف بن برخيا إلىٰ زكريا، ودفعها زكريا إلىٰ عيسىٰ بن مريم، وأوصىٰ عيسىٰ إلىٰ شمعون بن حمون الصّفا، وأوصىٰ شمعون إلىٰ يحيىٰ بن زكريا، وأوصىٰ يحيىٰ بن زكريا إلىٰ منذر، وأوصىٰ منذر إلىٰ سليمة، وأوصىٰ سليمة إلىٰ بردة.

ثم قال رسول الله ﷺ: ودفعها إليّ بردة، وأنا أدفعها إليك ياعليّ وأنت تدفعها إلىٰ وصيّك، ويدفعها وصيّك إلىٰ أوصيائك من ولدك واحد بعد واحد حتىٰ تدفع إلىٰ خير أهل الأرض بعدك، ولتكفرنّ بك الأمّة، ولتختلفنّ عليك اختلافاً شديداً، الثابت عليك كالمقيم معي، والشاذّ عنك في النار، والنار مثوىٰ للكافرين»[1].

❖ ❖ ❖

باب

ما ورد من النصوص علىٰ عددهم و أسمائهم عليهم السلام

[٤٤٨] ١. **الكافي: عن الصادق عليه السلام قال:** «قال أبي لجابر بن عبدالله الأنصاري: إنّ لي إليك حاجة، فمتىٰ يخفّ عليك أن أخلو بك فأسألك عنها؟ فقال له جابر: أي الأوقات أحببته، فخلا به في بعض الأيام، فقال له: ياجابر، أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أُمّي فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ وما أخبرتك به أُمّي أنّه في ذلك اللوح مكتوب. فقال جابر: أشهد بالله أني دخلت علىٰ أُمك فاطمة عليها السلام في حياة رسول الله ﷺ، فهنّيتها بولادة الحسين عليه السلام فرأيت في يديها لوحاً أخضر ظننت أنّه من زمرّد، ورأيت فيه كتاباً أبيض شبه لون الشمس، فقلت لها: بأبي وأُمي أنت يابنت رسول الله ﷺ، ما هذا اللوح؟ فقالت: هذا لوح أهداه الله تعالىٰ إلىٰ رسوله ﷺ، فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابني واسم الأوصياء من ولدي وأعطانيه أبي ليبشّرني بذلك.

---

١. الفقيه ٤: ١٧٥ / ٥٤٠٢.

قال جابر: فأعطتنيه أُمّك فاطمةﷺ، فقرأته واستنسخته.

فقال أبي: فهل لك ياجابر أن تعرضه عليّ؟ قال: نعم، فمشىٰ معه أبـي إلىٰ مـنزل جابر، فأخرج صحيفة من رقّ، فقال: ياجابر، انظر في كتابك لأقرأ عليك، فنظر جابر في نسخته، فقرأه أبي فما خالف حرف حرفاً.

فقال جابر: أشهد بالله أني هكذا رأيته في اللوح مكتوباً: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمّد نبيّه ونوره وسفيره وحجابه ودليله، نزل به الروح الأمين من عند ربّ العالمين، عـظّم يـامحمّد أسـمائي، وأشكـر نـعمائي، ولا تجحد آلائي، إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا قاصم الجبّارين ومديل المظلومين وديّان الدّين، إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا، فمن رجا غير فضلي أو خاف غير عدلي عذّبته عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين، فإياي فاعبد، وعليّ فتوكّل.

إني لم أبعث نبيّاً فأكملت أيامه وانقضت مدّته إلّا جعلت له وصيّاً، وإني فضّلتك علىٰ الأنبياء، وفضّلت وصيّك علىٰ الأوصياء، وأكـرمتك بشـبليك وسـبطيك حسـن وحسين، فجعلت حسناً معدن علمي بعد انقضاء مدة أبيه، وجـعلت حسـيناً خـازن وحيي، وأكرمته بالشهادة، وختمت له بـالسعادة، فـهو أفـضل مـن اسـتشهد، وأرفـع الشهداء درجة، و جعلت كلمتي التّامة مـعه، وحـجّتي البـالغة عـنده، بـعترته أُثـيب وأُعاقب، أوّلهم عليّ سيد العابدين وزين أوليائي الماضين، وابنه شبه جدّه المحمود محمّد الباقر علمي والمعدن لحكمتي، سيهلك المرتابون في جعفر، الرّاد عليه كالرّاد عليّ، حقّ القول مني لأُكرمنّ مثوى جعفر، ولأُسرنّه في أشـياعه وأنـصاره وأوليـائه، انتجب بعده موسىٰ فتنة عمياء حندس، لانّ خيط فرضي لا ينقطع، وحجّتي لا تخفىٰ، وأنّ أوليائي يسقون بالكأس الأوفىٰ، من جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي، ومـن غيّر آية من كتابي فقد افترىٰ عليّ، ويل للمفترين الجاحدين، عند انقضاء مدّة موسى عبدي وحبيبي وخيرتي.

علي وليّ وناصري، ومن أضع عليه أعباء النبوّة، وأمتحنه بالاضطلاع بها، يـقتله عفريت مستكبر يدفن في المدينة التي بناها العبد الصالح[1] إلىٰ جنب شرّ خلقي، حقّ

---

١. هو ذو القرنين لأن طوس من بنائه كما صرّح به النعماني عند روايته لهذا الخبر راجع الفقيه ٤: ١٧٥ ـ ٥٤٠٢.

القول منّي لأسرّنه بمحمّد ابنه وخليفته من بعده و وارث علمه، فهو معدن علمي، وموضع سرّي، وحجّتي علىٰ خلقي، لا يؤمن عبد به إلّا جعلت الجنة مثواه، وشفّعته في سبعين من أهل بيته كلّهم قد استوجبوا النار، وأختم بالسعادة لابنه عليّ وليي وناصري، والشاهد في خلقي، وأميني علىٰ وحيي، اخرج منه الداعي إلىٰ سبيلي، والخازن لعلمي الحسن.

وأكمل ذلك بابنه م ح م د رحمة للعالمين، عليه كمال موسىٰ، وبهاء عيسىٰ، وصبر أيوب، فتذلّ أوليائي في زمانه، وتتهادىٰ رؤوسهم كما تتهادىٰ رؤوس الترك والديلم، فيقتلون ويحرقون، ويكونون خائفين مرعوبين وجلين، تصبغ الأرض بدمائهم ويفشو الويل والرّنة في نسائهم، أولئك أوليائي حقّاً، بهم أدفع كلّ فتنة عمياء حندس، وبهم أكشف الزلازل، وأدفع الآصار والأغلال، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون»[1].

قال الراوي: لو لم تسمع في دهرك إلّا هذا الحديث لكفاك قصته إلّا عن أهله.

◁ **بيان**

«لوحاً أخضر» كأنه من عالم الملكوت البرزخي، وخضرته كناية عن توسطه بين بياض نور عالم الجبروت وسواد ظلمة عالم الشهادة، وإنما كان مكتوبه أبيض لأنه كان من العالم الأعلى النوري المحض «ولأسرّنه» من المسرّة «انتجب» اختار «فتنة» أي في فتنة، ووصف الفتنة بالعمياء تجوّز، فإنّ الموصوف بالعمىٰ إنما هو أهلها «والحندس» بالكسر: المظلم، وإنما كانت الفتنة به عليه السلام عمياء حندس لخفاء أمره أكثر من خفاء أمر آبائه، لشدة الخوف الذي كان من جهة طاغي زمانه «والفرض» الحجّة «وإنّ أوليائي» تعليل للافتتان لشدة الابتلاء، فإنّ الابتلاء كلّما كان أشد كان الكأس الذي هو جزاء أوفىٰ «والاضطلاع» القيام بالأمر «والعفريت» الخبيث المنكر، وهو كناية عن المأمون الخليفة «والعبد الصالح» كناية عن ذي القرنين، فإنّ بناء طوس يُنسَب إليه «وشرّ الخلق» كناية عن هارون الخليفة، فإنّه مدفون هناك، وإنما كتب اسم الصاحب عليه السلام بالحروف المفردة لعدم جواز التنطّق باسمه وكنيته كما ورد في الأخبار.

---

١. الكافي ١: ٥٢٧ / ٣.

[٤٤٩] ٢. الكافي: عن الجواد عليه السلام: «أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ومعه الحسن بن علي عليه السلام وهو متكئ علىٰ يد سلمان، فدخل المسجد الحرام فجلس، إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللباس، فسلّم علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام، فردّ عليه السّلام فجلس، ثم قال: يا أميرالمؤمنين، أسألك عن ثلاث مسائل إن أخبرتني بهنّ علمت أنّ القوم ركبوا من أمرك ما قضىٰ عليهم وأن ليسوا بمأمونين في دنياهم وآخرتهم، و إن تكن الأُخرى علمت أنّك وهم شرع سواء، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: سلني عمّا بدا لك.

قال: أخبرني عن الرجل إذا نام أين يذهب روحه؟ وعن الرجل كيف يذكر وينسىٰ؟ وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال؟ فالتفت أميرالمؤمنين عليه السلام إلىٰ الحسن عليه السلام فقال: ياأبا محمد أجبه، قال: فأجابه الحسن عليه السلام فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلّا الله ولم أزل أشهد بها وأشهد أنّ محمداً رسول الله ولم أزل أشهد بذلك، وأشهد أنّك وصيّ رسول الله والقائم بحجّته ـ وأشار إلىٰ أميرالمؤمنين عليه السلام ـ ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنّك وصيّه والقائم بحجّته ـ وأشار إلىٰ الحسن عليه السلام ـ وأشهد أنّ الحسين بن عليّ وصيّ أخيه والقائم بحجّته بعده، وأشهد علىٰ عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه القائم بأمر الحسين بعده، وأشهد علىٰ محمّد بن علي انّه القائم بأمر عليّ بن الحسين، وأشهد علىٰ جعفر بن محمّد بأنه القائم بأمر محمّد بن علي، وأشهد علىٰ موسىٰ أنّه القائم علىٰ أمر جعفر بن محمد، وأشهد علىٰ عليّ بن موسىٰ أنّه القائم بأمر موسىٰ بن جعفر، وأشهد علىٰ محمد بن علي أنّه القائم بأمر عليّ بن موسىٰ، وأشهد علىٰ عليّ بن محمد بأنه القائم بأمر محمد بن عليّ، وأشهد علىٰ الحسن بن عليّ بأنه القائم بأمر عليّ بن محمّد، وأشهد علىٰ رجل من ولد الحسن لا يكنّىٰ ولا يسمّىٰ حتىٰ يظهر أمره فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً، والسلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ثم قام فمضىٰ.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ياأبا محمّد اتبعه، فانظر أين يقصد، فخرج الحسن بن عليّ عليه السلام فقال: ما كان إلّا أن وضع رجله خارجاً من المسجد، فما دريت أين أخذ من أرض الله، فرجعت إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فأعلمته، فقال ياأبا محمد: أتعرفه؟ قلت: الله

ورسوله وأمير المؤمنين أعلم، قال: هو الخضر عليه السلام»[١].

[٤٥٠] ٣. الكافي: سليم بن قيس قال: سمعت عبدالله بن جعفر الطيّار يقول: كنّا عند معاوية أنا والحسن والحسين وعبدالله بن عباس وعمر بن أمّ سلمة وأُسامة بن زيد، فجرىٰ بيني وبين معاوية كلام، فقلت لمعاوية: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «أنا أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم، ثم أخي عليّ بن أبي طالب عليه السلام أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد علي عليه السلام فالحسن بن علي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم، ثم ابني الحسين عليه السلام من بعده أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابنه علي بن الحسين أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه ياعلي، ثم ابنه محمد بن علي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه ياحسين، ثم يكمله اثنىٰ عشر إماماً تسعة من ولد الحسين».

قال عبدالله بن جعفر: واستشهدت الحسن والحسين وعبدالله بن عباس وعمر بن أُمّ سلمة وأُسامة بن زيد، فشهدوا لي عند معاوية، قال سليم: وقد سمعت ذلك من سلمان وأبي ذرّ والمقداد، وذكروا أنهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

[٤٥١] ٤. الكافي: أبو الطفيل: سأل يهودي من ولد هارون أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن محمّد صلى الله عليه وآله كم له من إمام عدل؟ وفي أي جنّة يكون؟ ومن ساكنه معه في جنّته؟ فقال: «ياهاروني، إنّ لمحمّد اثني عشر إمام عدل، لا يضرّهم خذلان من خذلهم، ولا يستوحشون بخلاف من خالفهم، و إنّهم في الدين أرسب من الجبال الرواسي في الأرض، ومسكن محمّد في جنته، معه أولئك الاثني عشر الإمام العدل»، فقال: صدقت والله الذي لا إله إلّا هو، إني لأجدها في كتب أبي هارون، كتبه بيده، وأملاه موسىٰ عمّي عليه السلام[٣].

[٤٥٢] ٥. الكافي: عن الجواد عليه السلام: «إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لأبي بكر يوماً: ﴿لاتحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين﴾[٤] وأشهد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله

---

١. الكافي ١: ٥٢٦ / ١.
٢. الكافي ١: ٥٢٩ / ٤.
٣. الكافي ١: ٥٢٩ / ٥.
٤. آل‌عمران (٣): ١٦٩.

مات شهيداً، والله ليأتينّك، فأيقن إذا جاءك، فإن الشيطان غير متمثّل به، فأخذ عليّ بيد أبي بكر فأراه النبيّ ﷺ فقال له: ياأبا بكر، آمن بعليّ وبأحد عشر من ولده، إنّهم مثلي إلّا النبوة، وتب إلىٰ الله ممّا في يدك، فإنّه لاحقّ لك فيه، قال: ثم ذهب فلم يُر»[1].

[٤٥٣] ٦. **الكافي: عن النبيّ ﷺ**: «إنّي واثنا عشر من ولدي وأنت ياعلي زرّ الأرض ـ يعني أوتادها وجبالها ـ بنا أوتد الله تعالىٰ الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا»[2].

◁ **بيان**

«اثنا عشر من ولدي» منهم فاطمة عليها السلام «زرّ الأرض» بتقديم الزاي المكسورة علىٰ الراء المشددة: قوامها.

[٤٥٤] ٧. **الفقيه: عنه ﷺ**: «الأئمة بعدي اثنا عشر، أوّلهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم القائم، فهم خلفائي وأوصيائي وأوليائي وحجج الله علىٰ أُمّتي بعدي، المقرّ بهم مؤمن والمنكر لهم كافر»[3].

❖ ❖ ❖

باب

ما ورد من وصيّة كلّ سابق منهم إلىٰ لاحقه

[٤٥٥] ١. **الكافي: عن الصادق عليه السلام**: «أوصىٰ موسىٰ عليه السلام إلىٰ يوشع بن نون، وأوصىٰ يوشع إلىٰ ولد هارون، ولم يوص إلىٰ ولده ولا إلىٰ ولد موسىٰ، إنّ الله تعالىٰ له الخيرة يختار من يشاء ممّن يشاء، وبشّر موسىٰ ويوشع بالمسيح عليه السلام، فلمّا أن بعث الله عزّوجلّ المسيح عليه السلام قال المسيح لهم: إنّه سوف يأتي من بعدي نبيّ اسمه أحمد من ولد إسماعيل، يجيء بتصديقي وتصديقكم وعذري وعذركم، وجرت من بعده في

---

١. الكافي ١: ٥٣٣ / ١٣.
٢. الكافي ١: ٥٣٤ / ١٧.
٣. الفقيه ٤: ١٧٩ / ٥٤٠٦.

الحواريين في المستحفظين، وإنّما سمّاهم الله المستحفظين؛ لأنهم استحفظوا الاسم الأكبر، وهو الكتاب الذي يعلم به علم كل شيء، الذي كان مع الأنبياء، يقول الله: ﴿لقد أرسلنا رسلاً من قبلك وأنزلنا معهم الكتاب والميزان﴾[1] الكتاب الاسم الأكبر، وإنما عرف ممّا يدعىٰ الكتاب التوراة والانجيل والفرقان، فيها كتاب نوح، وفيها كتاب صالح وشعيب وإبراهيم، فأخبر الله عزّوجلّ ﴿انّ هذا لفي الصحف الأولىٰ صحف إبراهيم وموسىٰ﴾ فأين صحف إبراهيم، إنما صحف إبراهيم الاسم الأكبر، وصحف موسىٰ الاسم الأكبر.

فلم تزل الوصية في عالم بعد عالم حتىٰ دفعوها إلىٰ محمّد ﷺ، فلما بعث الله تعالىٰ محمّداً ﷺ أسلم له العقب من المستحفظين، وكذّبه بنو إسرائيل، ودعا إلىٰ الله تعالىٰ، وجاهد في سبيله، ثم أنزل الله تعالىٰ عليه أن أعلن فضل وصيّك فقال: ربّ إنّ العرب قوم جُفاة، لم يكن فيهم كتاب، ولم يبعث إليهم نبي، ولا يعرفون فضل نبوّات الأنبياء عليهم السلام ولا شرفهم، ولا يؤمنون بي إن أنا أخبرتهم بفضل أهل بيتي، فقال الله تعالى: ﴿ولا تحزن عليهم﴾[2] ﴿وقل سلام فسوف يعلمون﴾[3] فذكر من فضل وصيّه ذكراً، فوقع النفاق في قلوبهم، فعلم رسول الله ﷺ ذلك وما يقولون، فقال الله تعالىٰ: ﴿ولقد نعلم انّك يضيق صدرك بما يقولون فانهم لا يكذّبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾[4] ولكنهم يجحدون بغير حجّة لهم.

وكان رسول الله ﷺ يتألّفهم، ويستعين ببعضهم علىٰ بعض، ولا يزال يخرج لهم شيئاً في فضل وصيّه حتىٰ نزلت هذه السورة، فاحتجّ عليهم حين أعلم بموته ونعيت إليه نفسه، فقال الله تعالىٰ: ﴿فإذا فرغت فانصب * وإلىٰ ربّك فارغب﴾[5] يقول: فإذا فرغت فانصب علمك، وأعلن وصيّك، فاعلمهم فضله علانية، فقال ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، ثلاث مرات، ثم قال: لأبعثنّ رجلاً

---

١. الحديد (٥٧): ٢٥.
٢. النحل (١٦): ١٢٧.
٣. الزخرف (٤٣): ٨٩.
٤. الانعام ٦: ٣٣.
٥. الانشراح (٩٤): ٧ و ٨.

يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، ليس بفرّار يعرّض بمن رجع، يجبنّ أصحابه ويجبّنونه، وقالﷺ: عليّ سيد المؤمنين، وقال: عليّ عمود الدين، وقال: هذا الذي يضرب الناس بالسيف علىٰ الحق بعدي، وقال: الحق مع علي أينما مال، وقال: إنّي تارك فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله وأهل بيتي عترتي، أيها الناس اسمعوا قد بلّغت انكم سترودون عليّ الحوض فأسألكم عمّا فعلتم في الثقلين، والثقلان كتاب الله وأهل بيتي فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم.

فوقعت الحجّة بقول النبّيﷺ وبالكتاب الذي يقرأه الناس، فلم يزل يلقي فضل أهل بيته بالكلام ويبيّن لهم بالقرآن ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[1] وقال تعالى: ﴿واعلموا أنّما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربىٰ﴾[2]، ثم قال: ﴿وآت ذا القربىٰ حقّه﴾[3] فكان عليعليه السلام وكان حقّه الوصية التي جعلت له والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة، فقال: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربىٰ﴾[4] ثم قال: ﴿وإذا المؤدة سئلت بأي ذنب قتلت﴾[5] يقول: أسألكم عن المودّة التي أنزلت عليكم فضلها مودة القربىٰ بأي ذنب قتلتموه، وقال تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[6] قال: الكتاب الذكر، وأهله آل محمّد، أمر الله تعالىٰ بسؤالهم ولم يؤمروا بسؤال الجهّال، وسمّىٰ الله تعالىٰ القرآن ذكراً فقال تبارك وتعالىٰ: ﴿وأنزلنا إليك الذّكر لتبيّن للناس ما نزل إليهم ولعلّهم يتفكّرون﴾[7] وقال تعالى: ﴿وإنّه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾[8] وقال تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[9] وقال تعالى: ﴿ولو ردّوه إلىٰ الرسول وإلىٰ أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه

---

١. الاحزاب (٣٣): ٣٣.
٢. الأنفال (٨): ٤٢.
٣. الاسراء (١٧): ٢٦.
٤. الشورىٰ (٤٢): ٢٢.
٥. التكوير (٨١): ٩.
٦. النحل (١٦): ٤٣؛ والأنبياء (٢١): ٧.
٧. النحل (١٦): ٤٦.
٨. الزخرف (٤٣): ٤٣.
٩. النساء (٤): ٥٩.

منهم»[1] فردّ الأمر أمر الناس إلىٰ أولي الأمر منهم الذين أمر بطاعتهم وبالرد إليهم.

فلما رجع رسول الله ﷺ من حجّة الوداع نزل عليه جبرئيل فقال: **«يأيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس انّ الله لا يهدي القوم الكافرين»**[2] فنادىٰ الناس فاجتمعوا، وأمر بسمرات فقمّ شوكهنّ، ثم قال ﷺ: يأيها الناس من وليّكم وأولىٰ بكم من أنفسكم؟ فقالوا: الله ورسوله، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، ثلاث مرّات، فوقعت حسكة النفاق في قلوب القوم، وقالوا: ما أنزل الله هذا علىٰ محمد قط، وما يريد إلّا أن يرفع بضبع ابن عمّه.

فلمّا قدم المدينة أتاه الأنصار فقالوا: يارسول الله، انّ الله تعالى قد أحسن إلينا وشرفّنا بك وبنزولك بين ظهرانينا، فقد فرّح الله صديقنا وكبت عدوّنا، وقد يأتيك وفود فلا تجد ما تعطيهم فيشمت بك العدوّ، فنحبّ أن تأخذ ثلث أموالنا حتىٰ إذا قدم عليك وفد مكة وجدت ما تعطيهم، فلم يردّ رسول الله ﷺ عليهم شيئاً، وكان ينتظر ما يأتيه من ربّه، فنزل عليه جبرئيل ﷺ وقال: **«قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربىٰ»**[3] ولم يقبل أموالهم، قال المنافقون: ما أنزل الله هذا علىٰ محمد، وما يريد إلّا أن يرفع بضبع ابن عمّه، ويحمل علينا أهل بيته، يقول أمس: من كنت مولاه فعلي مولاه، واليوم **«قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربىٰ»**.

ثم نزل عليه آية الخمس فقالوا: يريد أن نعطيهم أموالنا وفيئنا، ثم أتاه جبرئيل فقال: يامحمّد، إنّك قد قضيت نبوّتك، واستكملت أيّامك، فاجعل الاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة عند عليّ، فإنّي لم أترك الأرض الّا ولي فيها عالم تعرف به طاعتي وتعرف به ولايتي، ويكون حجّة لمن يولد بين قبض النبي إلىٰ خروج النبي الآخر.

قال: فأوصىٰ إليه بالاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة، وأوصىٰ إليه بألف

---

١. النساء (٤): ٨٣.
٢. المائدة (٥): ٦٧.
٣. الشورى (٤٢): ٢٣.

كلمة وألف باب يفتح كل كلمة وكل باب ألف كلمة وألف باب»[١].

◁ **بيان**

«عذري وعذركم» حجّتي وحجّتكم من قولهم: أعذر، إذا احتجّ لنفسه «حتى نزلت هذه الآية» يعني آية **«فإذا فرغت فانصب»** والمشهور فيها فتح الصاد من النصب بمعنى التعب والاجتهاد، يعني إذا فرغت من عبادة عقّبها بأُخرىٰ وواصل بعضها ببعض، ولا تخل وقتاً من أوقاتك تكون فارغاً فيه لم تشغله بعبادة، والمستفاد من هذا الحديث أنّه بكسر الصاد من النّصب بالتسكين بمعنى الرفع والوضع، يعني فإذا فرغت من أمر تبليغ الرسالة وما يجب عليك إنهاؤه من الأحكام والشرائع، فانصب عَلَمك بفتح اللام، أي ارفع علم هدايتك للناس، وضع من تقوم به خلافتك موضعك حتىٰ يكون قائماً مقامك من بعدك بتبليغ الأحكام وهداية الأنام، لئلّا ينقطع خيط الهداية والرسالة بين الله وبين عباده، ويكون ذلك مستمراً بقيام إمام مقام إمام أبداً إلىٰ يوم القيامة.

«يعرض بمن رجع» يعني به الأوّلين «بألف كلمة وألف باب» يعني بقواعد كليّة وقوانين مضبوطة جمليّة، أمكنه أن يستنبط منها أحكاماً جزئية ومسائل فرعية تفصيلية، مثال ذلك ما رواه الصفار ﷺ في (بصائر الدرجات) بإسناده عن موسىٰ بن بكر قال: قلت لأبي عبدالله ﷺ: الرجل يغمىٰ عليه اليوم واليومين أو ثلاثة أو أكثر من ذلك، كم يقضي من صلاته؟ فقال: «ألا أخبرك بما ينتظم به هذا وأشباهه؟» فقال: «كلّ ما غلب الله عليه من أمر فالله أعذر لعبده» وزاد فيه غيره، قال: قال أبو عبدالله ﷺ: «وهذا من الأبواب التي يفتح كلّ باب منها ألف باب»[٢].

[٤٥٦] ٢. الكافي: عنه ﷺ: «لما حضر رسول الله ﷺ الموت دخل عليه علي ﷺ فأدخل رأسه، ثم قال: ياعليّ، إذا أنا متّ فغسّلني وكفّني، ثم أقعدني وسلني واكتب»[٣].

وفي رواية: «فوالله لا تسألني عن شيء إلّا أجبتك فيه»[٤].

[٤٥٧] ٣. الفقيه: عن النبي ﷺ: «انّ لله تعالىٰ مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي، أنا

---

١. الكافي ١: ٢٩٣ / ٣.
٢. بصائر الدرجات: ١٦/٣٠٦.
٣. الكافي ١: ٢٩٧ / ٨.
٤. الكافي ١: ٢٩٦ / ٧.

سيدهم وأفضلهم وأكرمهم علىٰ الله عزّوجلّ»[١].

[٤٥٨] ٤. الكافي: سليم بن قيس قال: شهدت وصية أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصىٰ إلىٰ ابنه الحسن عليه السلام وأشهد علىٰ وصيّته الحسين عليه السلام و محمّداً (بن الحنفيه) و جميع ولده و رؤساء شيعته و أهل بيته، ثم رفع إليه الكتاب و السلاح و قال لابنه الحسن عليه السلام: «يابني، أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أُوصي إليك، و أن أدفع إليك كتبي وسلاحي، كما أوصىٰ إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله و دفع إليّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلىٰ أخيك الحسين عليه السلام، ثم أقبل علىٰ ابنه الحسين عليه السلام فقال له: وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها إلىٰ ابنك هذا، ثم أخذ بيد علي بن الحسين عليه السلام، ثم قال: لعلي بن الحسين عليه السلام: وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها إلىٰ ابنك محمد بن علي عليه السلام واقرأه من رسول الله صلى الله عليه وآله ومني السلام»[٢].

[٤٥٩] ٥. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «لما حضر الحسن بن علي عليه السلام الوفاة، قال: ياقنبر انظر هل ترىٰ من وراء بابك مؤمناً من غير آل محمّد، فقال: الله ورسوله وابن رسوله أعلم به مني، قال: ادع لي محمّد بن علي، فأتيته، فلمّا دخلت عليه، قال: هل حدث إلّا خير؟ قلت: أجب أبا محمد، فعجّل عن شسع نعله فلم يسوّه وخرج معي يعدو، فلمّا قام بين يديه سلّم فقال له الحسن عليه السلام: اجلس، فإنّه ليس مثلك يغيب عن سماع كلام يحيىٰ به الأموات ويموت به الأحياء، كونوا أوعية العلم ومصابيح الهدىٰ، فإنّ ضوء النهار بعضه أضوأ من بعض، أما علمت أنّ الله تعالىٰ جعل ولد إبراهيم أئمة وفضّل بعضهم على بعض وآتىٰ داود زبوراً؟ وقد علمت بما استأثر الله به محمّداً صلى الله عليه وآله.

يامحمّد بن علي، إنّي أخاف عليك الحسد، وإنما وصف الله به الكافرين، فقال الله تعالىٰ: ﴿كفّاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحق﴾[٣] ولم يجعل الله للشيطان عليك سلطاناً.

يامحمّد بن علي، الا أُخبرك بما سمعت من أبيك فيك؟ قال: بلىٰ، قال: سمعت أباك عليه السلام يقول يوم البصرة: من أحبّ أن يبرّني في الدنيا والآخرة فليبرّ محمّداً ولدي.

---

١. الفقيه ٤: ١٨٠/ ٥٤٠٧.
٢. الكافي ١: ٢٩٧/ ١.
٣. البقرة (٢): ١٠٩.

يامحمّد بن علي، لو شئت أن أخبرك وأنت نطفة في ظهر أبيك لأخبرتك.

يامحمّد بن علي، أما علمت أنّ الحسين بن علي بعد وفاة نفسي ومفارقة روحي جسمي إمامٌ من بعدي؟ وعند الله في الكتاب وراثة من النبيّ ﷺ أضافها الله تعالىٰ له في وراثة أبيه و أُمّه ﷺ، فعلم الله أنّكم خيرة خلقه فاصطفىٰ منكم محمّداً ﷺ واختار محمّد علّياً ﷺ، واختارني عليّ بالإمامة، واخترت أنا الحسين، فقال له محمّد بن علي: أنت إمام، وأنت وسيلتي إلىٰ محمّد ﷺ، والله لوددت أنّ نفسي ذهبت قبل أن أسمع منك هذا الكلام، ألا وإنّ في رأسي كلاماً لا تنزفه الدّلاء ولا تغيّره نغمة الرياح، كالكتاب المعجم في الرقّ المنهم[1]، أهمّ بإبدائه فأجدني سبقت إليه سبق الكتاب المنزل، أو ما خلت به الرسل، وإنّه لكلام يكلّ به لسان الناطق ويد الكاتب حتىٰ لا يجد قلماً ويؤتىٰ بالقرطاس حمماً ولا يبلغ فضلك، وكذلك يجزي الله المحسنين ولا قوة إلّا بالله، الحسين أعلمنا علماً، وأثقلنا حلماً، وأقربنا من رسول‌الله ﷺ رحماً، كان فقيهاً قبل أن يخلق، وقرأ الوحي قبل أن ينطق، ولو علم الله في أحد غير محمّد خيراً ما اصطفىٰ محمّداً ﷺ، فلما اختار الله محمّداً واختار محمّد علياً واختارك علي إماماً واخترت الحسين، سلّمنا ورضينا من هو الرضا ومن كنا نسلم به من مشكلات أمرنا»[2].

◁ **بيان**

«محمّد بن علي» يعني به أخاه ابن الحنفية «يحيى به الأموات» أي أموات الجهل «ويموت به الأحياء» أي بالموت الإرادي عن لذات هذه النشأة، الذي هو حياة أُخروية في دار الدنيا «أضوء من بعض» يعني لا تستنكفوا من التعلّم وإن كنتم علماء، فانّ فوق كلّ ذي علم عليم «في الكتاب» يعني في أُمّ الكتاب واللوح المحفوظ «أضافها الله» أي أضاف وراثة النبيّ «لا تنزفه» لا تنزحه ولا تفنيه، كناية عن كثرته «ولا تغيّره» كناية عن ثباته وعذوبته «كالكتاب المعجم» أمّا من الإعجام بمعنىٰ التقفيل، أو بمعنىٰ عدم الافصاح، أشار به إلىٰ أنه من الأسرار والرموز، أو من التعجيم بمعنىٰ إزالة العجمة بالنقط، أشار به إلىٰ إبانته عن المكنونات «في الرّق

---

١. في المصدر: المنمنم أي المزيّن.

٢. الكافي ١: ٣٠١ / ٢. و فيه: و رضينا من [هو] بغيره يرضىٰ و [من غيره] كنا نسلم به من مشكلات أمرنا.

المنهم» أي الممتلي، فإنّ النهمة بلوغ الهمّة في الشيء «سبقت إليه» أي أنت سبقتني إليه وأخوك «سبق الكتاب المنزل» القرآن، فإنّ فيه كلّ شيء.

[٤٦٠] ٦. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّ الحسين عليه السلام لما حضره، الذي حضره دعا ابنته الكبرىٰ فاطمة بنت الحسين عليها السلام، فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصيّة ظاهرة، وكان علي بن الحسين عليه السلام مبطوناً معهم لا يرون إلّا أنّه لما به، فدفعت فاطمة الكتاب إلىٰ عليّ بن الحسين عليه السلام، ثم صار والله ذلك الكتاب إلينا».

قيل: ما في ذلك الكتاب؟ قال: «فيه والله ما يحتاج إليه ولد آدم منذ خلق الله آدم إلىٰ أن تفنى الدنيا، والله إنّ فيه الحدود وحتىٰ أنّ فيه أرش الخدش»[١].

[٤٦١] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «لما حضر عليّ بن الحسين عليه السلام الوفاة قبل ذلك أخرج سفطاً ـ أو صندوقاً ـ عنده فقال: يامحمّد، أحمل هذا الصندوق، قال: فحمل بين أربعة، فلما توفّي جاء إخوته يدّعون في الصندوق، قالوا: أعطنا نصيبنا من الصندوق، فقال: والله ما لكم فيه شيء، ولو كان لكم فيه شيء ما دفعه إليّ، وكان في الصندوق سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وكتبه»[٢].

وفي رواية: «أما إنّه لم يكن فيه دينار ولا درهم، ولكنّه كان مملوءاً علماً»[٣].

[٤٦٢] ٨. الكافي: أبو الصباح الكناني، قال: نظر أبو جعفر عليه السلام إلىٰ أبي عبدالله عليه السلام يمشي فقال: «ترىٰ هذا؟ هذا من الذين قال الله تعالىٰ: ﴿ونريد أن نمنّ علىٰ الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾»[٤].

وفي رواية قال: «هذا خير البرية»[٥].

[٤٦٣] ٩. الكافي: جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سئل عن القائم عليه السلام: فضرب بيده علىٰ أبي عبدالله عليه السلام فقال: «هذا والله قائم آل محمّد صلى الله عليه وآله».

---

١. الكافي ١: ٣٠٣ / ١.
٢. الكافي ١: ٣٠٥ / ١.
٣. الكافي ١: ٣٠٥ / ٢.
٤. الكافي ١: ٣٠٦ / ١؛ والآية من سورة القصص (٢٨): ٥.
٥. الكافي ١: ٣٠٦ / ٤.

قال عنبسة: فلمّا قبض أبو جعفر عليه السلام دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فأخبرته بذلك، ثمّ قال: «لعلّكم ترون أن ليس كلّ إمام هو القائم بعد الإمام الذي كان قبله؟»[1].

[٤، ٤] ١٠. الكافي: الفيض بن المختار، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: خذ بيدي من النار، من لنا بعدك؟ فدخل عليه أبو إبراهيم عليه السلام وهو يومئذ غلام فقال: «هذا صاحبكم، فتمسّكوا به»[2].

[٤٦٥] ١١. الكافي: سليمان بن خالد، قال: دعا أبو عبدالله عليه السلام أبا الحسن عليه السلام يوماً ونحن عنده فقال لنا: «عليكم بهذا، فهو والله صاحبكم بعدي»[3].

◁ **بيان**

وفي معنى هذا الحديث أخبار كثيرة.

[٤٦٦] ١٢. الكافي: داود الرقي، قال: قلت لأبي إبراهيم عليه السلام: جعلت فداك، إنّي قد كبر سنّي، فخذ بيدي من النار، قال: فأشار إلى إبنه أبي الحسن عليه السلام فقال: «هذا صاحبكم من بعدي»[4].

[٤٦٧] ١٣. الكافي: المخزومي، وكانت أمّه من ولد جعفر بن أبي طالب، قال: بعث إلينا أبو الحسن موسى عليه السلام فجمعنا، ثم قال لنا: «أتدرون لم دعوتكم؟» فقلنا: لا، فقال: «اشهدوا أنّ ابني هذا وصيي والقيّم بأمري وخليفتي من بعدي، من كان له عندي دين فليأخذه من ابني هذا، ومن كانت له عندي عدة فلينتجزها منه، ومن لم يكن بدّ من لقائي فلا يلقني إلّا بكتابه»[5].

◁ **بيان**

كأنّ تلك الوصية كانت عند خروجه عليه السلام إلى بغداد بأمر هارون.

[٤٦٨] ١٤. الكافي: نعيم القابوسي، عن أبي الحسن عليه السلام أنّه قال: «إنّ ابني عليّ أكبر ولدي، وأبرّهم عندي، وأحبّهم إليّ، وهو ينظر معي في الجفر، و لم ينظر فيه إلّا نبي أو

---

١. الكافي ١: ٧/٣٠٧.
٢. الكافي ١: ١/٣٠٧.
٣. الكافي ١: ١٢/٣١٠.
٤. الكافي ١: ١٣٠، ٣١٢/ ٣.
٥. الكافي ١: ٧/٣١٢.

وصيّ نبي»[1].

[٤٦٩] ١٥. الكافي: يزيد بن سليط، قال: لقيت أبا إبراهيم عليه السلام و نحن نريد العمرة في بعض الطريق، فقلت: جعلت فداك، هل تثبت هذا الموضع الذي نحن فيه؟ قال: «نعم، فهل تثبت أنت؟» قلت: نعم أنا و أبي لقيناك هاهنا و أنت مع أبي عبدالله عليه السلام ومعه إخوتك، فقال له أبي: بأبي أنت وأمي، أنتم كلكم أئمة مطهّرون، والموت لا يعرى منه أحد، فأحدث إليّ شيئاً أُحدّث به من يخلفني من بعدي فلا يضلّ، قال: «نعم ياأبا عبدالله، هؤلاء ولدي، وهذا سيّدهم ـ وأشار إليك ـ وقد علّم الحكم والفهم والسخاء والمعرفة بما يحتاج إليه الناس، وما اختلفوا فيه من أمر دينهم ودنياهم، وفيه حسن الخلق وحسن الجواب، وهو باب من أبواب الله تعالىٰ، وفيه أُخرىٰ خير من هذا كلّه».

فقال له أبي: وما هي بأبي أنت وأمي؟ قال عليه السلام: «يخرج الله تعالىٰ منه غوث هذه الأمة وغياثها وعلمها ونورها وفضلها وحكمها، خير مولود وخيرنا شيء، يحقن الله به الدماء، ويصلح به ذات البين، ويلّم به الشعث، ويشعب به الصدع، ويكسو به العاري، ويشبع به الجائع،ويؤمن به الخائف، وينزل به القطر، ويرحم به العباد، خير كهل، وخير ناش، قوله حكم، وصمته علم، يبيّن للناس ما يختلفون فيه، ويسود عشيرته من قبل أوان حلمه».

فقال له أبي: بأبي أنت وأُمّي، وهل له ولد؟ قال: «نعم» ومرّت به سنون، قال يزيد: فجاءنا من لم نستطع معه كلاماً.

قال يزيد: فقلت لأبي إبراهيم عليه السلام: فأخبرني أنت بمثل ما أخبرني به أبوك عليه السلام؟ فقال لي: «نعم، إنّ أبي عليه السلام كان في زمان ليس هذا زمانه»، فقلت له: فمن يرضىٰ منك بهذا فعليه لعنة الله، قال: فضحك أبو إبراهيم عليه السلام ضحكاً شديداً. ثم قال: «أخبرك يا أبا عمارة أنّي خرجت من منزلي فأوصيت إلىٰ ابني فلان، وأشركت معه بنيّ في الظاهر، وأوصيته في الباطن، وأفردته وحده، ولو كان الأمر إليّ لجعلته في القاسم ابني لحبّي إياه ورأفتي عليه، ولكن ذلك إلىٰ الله عزّوجلّ يجعله حيث يشاء، ولقد جاءني بخبره رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم أرانيه

---

١. الكافي ١: ٢/٣١١.

وأراني من يكون معه، وكذلك لا يوصىٰ إلىٰ أحد منّا حتىٰ يأتي بخبره رسول الله ﷺ وجدّي عليّ ﷺ، ورأيت مع رسول الله ﷺ خاتماً وسيفاً وعصاً وكتاباً وعمامة، فقلت: ما هذا يارسول الله ؟ فقال لي: أمّا العمامة فسلطان الله عزّوجلّ، وأمّا السيف فعزّ الله، وأمّا الكتاب فنور الله عزّوجلّ، وأمّا العصا فقوّة الله عزّوجلّ، وأمّا الخاتم فجامع هذه الأمور، ثم قال لي: والأمر قد خرج منك إلىٰ غيرك، فقلت: يارسول الله، أرنيه أيّهم هو؟ فقال رسول الله ﷺ: ما رأيت من الأئمّة أحداً أجزع علىٰ فراق هذا الأمر منك، ولو كانت الإمامة بالمحبّة لكان إسماعيل أحبّ إلىٰ أبيك منك، ولكن ذلك من الله عزّوجلّ.»

ثم قال أبو إبراهيم ﷺ: «ورأيت ولدي جميعاً الأحياء منهم والأموات، فقال لي أمير المؤمنين ﷺ: هذا سيدهم وأشار إلىٰ ابني علي، فهو مني وأنا منه والله مع المحسنين».

قال يزيد: ثم قال أبو إبراهيم ﷺ: «يايزيد، إنّها وديعة عندك، فلا تخبر بها إلّا عاقلاً، أو عبداً تعرفه صادقاً، وإن سئلت عن الشهادة فاشهد بها، وهو قول الله عزّوجلّ: ﴿إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلىٰ أهلها﴾[1] وقال لنا أيضاً: ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله﴾[2]».

قال: فقال أبو إبراهيم ﷺ: «فأقبلت علىٰ رسول الله ﷺ فقلت: قد جمعتهم لي بأبي وأُمّي، فأيّهم هو؟ فقال: هو الذي ينظر بنور الله عزّوجلّ، ويسمع بفهمه، وينطق بحكمته، يصيب ولا يخطئ، ويعلم فلا يجهل، معلّماً حكماً وعلماً، هو هذا ـ وأخذ بيد عليّ ابني ـ ثم قال: ما أقلّ مقامك معه! فإذا رجعت من سفرك فأوص وأصلح أمرك وأفرغ ممّا أردت، فإنّك منتقل عنهم ومجاور غيرهم، فإذا أردت فادع عليّاً فليغسّلك وليكفّنك فإنّه طهر لك، ولا يستقيم إلّا ذلك، وذلك سنّة قد مضت، فاضطجع بين يديه، وصفّ إخوته خلفه وعمومته، ومره فليكبّر عليك تسعاً، فإنّه قد استقامت وصيّته و وليك وأنت حي، ثم اجمع له من تعدّهم[3] فأشهد عليهم، وأشهد الله، وكفىٰ بالله شهيداً».

---

١. النساء (٤): ٥٨.

٢. البقرة (٢): ١٤٠.

٣. في المصدر: ثمّ اجمع له ولدك من بعدهم.

قال يزيد: ثم قال لي أبو إبراهيم عليه السلام: «إني أُوخذ في هذه السنة، والأمر هو إلىٰ ابني عليّ، سميّ عليّ وعليّ: فأمّا عليّ الأول فعليّ بن أبي طالب عليه السلام وأمّا الآخر فعلي بن الحسين عليه السلام، أُعطي فهم الأول وحلمه ونصره وودّه ودينه ومحبّته، ومحنة الآخر وصبره علىٰ ما يكره، وليس له أن يتكلم إلّا بعد موت هارون بأربع سنين».

ثم قال لي: «يايزيد، وإذا مررت بهذا الموضع ولقيته وستلقاه فبشّره أنّه سيولد له غلام أمين مأمون مبارك، وسيعلّمك أنّك قد لقيتني، فأخبره عند ذلك أنّ الجارية التي يكون منها هذا الغلام جارية من أهل بيت مارية جارية رسول الله صلى الله عليه وآله أُمّ إبراهيم، فإن قدرت أن تبلّغها منّي السلام فافعل».

قال يزيد: فلقيت بعد مضي أبي إبراهيم عليه السلام علياً عليه السلام فبدأني فقال لي: «يايزيد ما تقول في العمرة؟» فقلت: بأبي أنت وأُمّي ذلك إليك وما عندي نفقة، فقال: «سبحان الله! ما كنّا نكلّفك ولا نكفيك» فخرجنا حتى انتهينا إلىٰ ذلك الموضع، فابتدأني فقال: «يا يزيد، إنّ هذا الموضع كثيراً ما لقيت جيرتك وعمومتك» قلت: نعم، ثم قصصت عليه الخبر فقال لي: «أمّا الجارية فلم تجئ بعد، فإذا جاءت بلّغتها منه السلام» فانطلقنا إلىٰ مكة فاشتراها في تلك السنة، فلم تلبث إلّا قليلاً حتىٰ حملت فولدت ذلك الغلام.

قال يزيد: وكان إخوة علي يرجون أن يرثوه، فعادوني إخوته من غير ذنب، فقال لهم إسحاق بن جعفر: والله لقد رأيته وإنّه ليقعد من أبي إبراهيم عليه السلام بالمجلس الذي لا أجلس فيه أنا[1].

◁ **بيان**

«هل تثبت هذا الموضع» تعرفه حقّ المعرفة «غوث هذه الأُمّة» يعني أبا الحسن الرضا عليه السلام «ويلمّ به الشعث» يجمع به انتشار الأمر «ويشعب به الصدع» يجمع به التفرّق، قوله: «حكم» بضم الحاء: أي حكمة «وسود» من السيادة، أي يصير سيّدهم «حلمه» عقله «في زمان» يعني زماناً لا تقية فيه «ليس هذا زمانه» أي زماناً مثله؛ لأنّه كان زمان التقية الشديدة «ولقد جاءني بخبره رسول الله» هذا المجئ والاراءة يجوز أن يكونا في المنام، وأن يكونا في اليقظة؛ لأن للأرواح الكاملة أن يتمثّلوا في صور أبدانهم عياناً لمن شاءوا في هذه النشأة الدنياوية، كما تمثّل رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي بكر حين أنكر حقّ علي عليه السلام كما مرّ «أجزع علىٰ فراق هذا الأمر»

---

١. الكافي ١: ٣١٣/ ١٤.

وذلك لأنه عليه السلام كان يحبّ أن يجعله في القاسم، كما صرّح به.

«فإذا رجعت من سفرك» يعني به سفره الذي كان متوجهاً فيه إلىٰ مكة، «فإذا أردت» يعني إذا أردت مفارقتهم في السفر الأخير متوجّهاً من المدينة إلىٰ بغداد «فإنّه طهر لك» أي تغسيله إياك في حياتك طهر لك من غير حاجة إلىٰ تغسيل آخر بعد موتك «ولا يستقيم إلّا ذلك» أي لا يستقيم تطهيرك إلّا بهذا النحو، وذلك لأن المعصوم لا يجوز أن يغسّله إلّا معصوم مثله، كما ورد في الأخبار[1]، ولم يكن غير عليّ عليه السلام وهو غير شاهد إذ حضره الموت «فإنّه قد استقامت وصيّته» تعليل لجواز فعل ذلك كلّه له، إذ لا ينبغي ذلك إلّا لوصيّ «ووليّك» وليّ كرضيّ: أي وليّ أمرك «من تعدّهم» من تعتني بشأنهم من التعداد «أُوْخذ» يعني يأخذني الظالم للطاغي «فعادوني إخوته» وذلك لإخباره عليّاً بقصة ابنه في البشارة بالولد الذي صار سبباً لمحروميتهم من الميراث.

[٤٧٠] ١٦. الكافي: سئل الرضا عليه السلام عن الإمام بعده، فقال: «الإمام ابني» ثم قال: «هل يتجرّىٰ أحد أن يقول ابني وليس له ولد؟!»[2].

[٤٧١] ١٧. الكافي: أبو يحيىٰ الصنعاني، قال: كنت عند أبي الحسن الرضا عليه السلام، فجيء بابنه أبي جعفر عليه السلام وهو صغير فقال: «هذا المولود الذي لم يولد مولود أعظم بركة على شيعتنا منه»[3].

[٤٧٢] ١٨. الكافي: الخيراني، عن أبيه، قال: كنت واقفاً بين يدي أبي الحسن عليه السلام بخراسان، فقال له قائل: ياسيدي، إن كان كون فإلىٰ من؟ قال: «إلىٰ أبي جعفر ابني» فكأنّ القائل استصغر سنّ أبي جعفر عليه السلام فقال أبو الحسن عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالىٰ بعث عيسىٰ بن مريم رسولاً نبياً صاحب شريعة مبتدأة في أصغر من السنّ الذي فيه أبو جعفر عليه السلام»[4].

[٤٧٣] ١٩. الكافي: إسماعيل بن مهران، قال: لما خرج أبو جعفر عليه السلام من المدينة إلىٰ بغداد في الدفعة الأُولىٰ من خرجيته قلت له عند خروجه: جعلت فداك، إني أخاف عليك في هذا الوجه، فإلىٰ من الأمر بعدك؟ فكرّ بوجهه إليّ ضاحكاً وقال: «ليس الغيبة حيث ظننت في هذه السنة».

---

١. راجع: بحارالانوار، ٨/٣٠٢/٧٨.
٢. الكافي ١: ٣٢٠/ ٥.
٣. الكافي ١: ٣٢١/ ٩.
٤. الكافي ١: ٣٢٢/ ١٣.

فلما أُخرج به الثانية إلىٰ المعتصم صرت إليه، فقلت له: جعلت فداك، أنت خارج، فإلىٰ من هذا الأمر من بعدك؟ فبكىٰ حتىٰ اخضلّت لحيته، ثم التفت إليّ فقال: «عند هذه يخاف عليّ، الأمر من بعدي إلىٰ ابني عليّ»[١].

وفي رواية: إنّه جاءه رسول أبي جعفر عليه السلام فقال له: إنّ مولاك يقرأ عليك السلام ويقول لك: «إنّي ماضٍ، والأمر صار إلىٰ ابني عليّ، وله عليكم بعدي ما كان لي عليكم بعد أبي»[٢].

[٤٧٤] ٢٠. الكافي: يحيىٰ بن يسار القنبري، قال: أوصىٰ أبو الحسن عليه السلام إلىٰ ابنه الحسن عليه السلام قبل مضيّه بأربعة أشهر، وأشهدني علىٰ ذلك وجماعة من الموالي[٣].

[٤٧٥] ٢١. الكافي: علي بن عمر النوفلي، قال: كنت مع أبي الحسن عليه السلام في صحن داره، فمرّ بنا محمّد ابنه، فقلت له: جعلت فداك، هذا صاحبنا بعدك؟ فقال: «لا، صاحبكم بعدي الحسن»[٤].

[٤٧٦] ٢٢. الكافي: علي بن جعفر، قال: كنت حاضراً أبا الحسن عليه السلام لمّا توفّي ابنه محمّد، فقال للحسن: «يابني، أحدث لله شكراً، فقد أحدث فيك أمراً»[٥].

◁ بيان

يعني جعلك الله إماماً للناس بموت أخيك قبلك، بدا لله فيك بعده، كما ورد في أخبارٍ أُخر[٦].

[٤٧٧] ٢٣. الكافي: أبو بكر الفهفكي، قال: كتب لي أبو الحسن عليه السلام: «أبو محمّد ابني أفصح آل محمّد غريزة، وأوثقهم حجّة، وهو الأكبر من ولدي، و هو الخلف، وإليه ينتهي عرىٰ الإمامة وأحكامها، فما كنت سائلي فسله عنه، فعنده ما يحتاج إليه»[٧].

[٤٧٨] ٢٤. الكافي: أحمد بن محمّد بن عبدالله قال: خرج إليّ عن أبي محمّد عليه السلام حين قتل الزبيري

---

١. الكافي ١: ٣٢٣ / ١.
٢. الكافي ١: ٣٢٤ / ٢.
٣. الكافي ١: ٣٢٥ / ١.
٤. الكافي ١: ٧٥ / ٣٢٥ / ٢.
٥. الكافي ١: ٣٢٦ / ٤.
٦. راجع: الكافي ١ / ١٤٨ و ٢٥٥ و ٣٢٧ و ٤ / ٥٧٨ ب البداء....
٧. الكافي ١: ٣٢٧ / ١١.

لعنه الله: «هذا جزاء من اجترئ علىٰ الله تعالىٰ في أوليائه، يزعم أنّه يقتلني وليس لي عقب، فكيف رأىٰ قدرة الله جلّ وعزّ فيه؟ وولد له ولد سمّاه م ح م د في سنة ستّ وخمسين ومائتين»[١].

[٤٧٩] ٢٥. الكافي: عمرو الأهوازي قال: أراني أبو محمّدﷺ ابنه وقال: «هذا صاحبكم من بعدي»[٢].

[٤٨٠] ٢٦. الكافي: ضوء بن علي العجلي، عن رجل من أهل فارس سمّاه، قال: أتيت سامراء، ولزمت باب أبي محمّدﷺ، فدعاني فدخلت عليه وسلّمت، فقال: «ما الذي أقدمك؟» قال: قلت: رغبة في خدمتك، قال: فقال لي: «فالزم الباب» قال: فكنت في الدار مع الخدم، ثم صرت أشتري لهم الحوائج من السوق، وكنت أدخل عليهم من غير إذن، إذا كان في الدار رجال، قال: فدخلت عليه يوماً وهو في دار الرجال، فسمعت حركة في البيت فناداني: «مكانك لا تبرح»، فلم أجسر أن أدخل ولا أخرج، فخرجت عليّ جارية معها شيء مغطّىٰ، ثم ناداني: «أُدخل» فدخلت ونادىٰ الجارية، فرجعت إليه، فقال لها: «اكشفي عمّا معكِ»، فكشفت عن غلام أبيض حسن اللون حسن الوجه، وكشف عن بطنه، فإذا شعر نابت من لبّته إلىٰ سرّته أخضر ليس بأسود، فقال: «هذا صاحبكم» ثم أمرها فحملته، فما رأيته بعد ذلك حتىٰ مضىٰ أبو محمّدﷺ[٣].

وفي رواية: فقال ضوء بن عليّ: قلت للفارسي: كم كنت تقدّر له من السنين؟ قال: سنتين، قال العبدي: فقلت لضوء: كم تقدّر له أنت؟ قال: أربع عشرة سنة، قال أبو عليّ وأبو عبدالله: «ونحن نقدّر له إحدىٰ وعشرين سنة[٤]».

[٤٨١] ٢٧. الكافي: حمدان القلانسي، قال: قلت للعمري: قد مضىٰ أبو محمّدﷺ؟ فقال لي: قد مضىٰ، ولكن قد خلّف فيكم من رقبته مثل هذه، وأشار بيده[٥].

---

١. الكافي ١: ٣٢٩ / ٥.
٢. الكافي ١: ٣٢٨ / ٣.
٣. الكافي ١: ٣٢٩ / ٦.
٤. الوافي ٢: ٣٩٣: ذيل ٥.
٥. الكافي ١: ٣٢٩ / ٤.

◁ بيان
«رقبته» قدّه وقامته.

[٤٨٢] ٢٨. الكافي: أيوب بن نوح، قال: قلت لأبي الحسن الرضاﷺ: إنّي أرجو أن تكون صاحب هذا الأمر، وأن يسوقه الله إليك بغير سيف، فقد بويع لك وضربت الدراهم باسمك، فقال: «ما منّا أحد اختلفت إليه الكتب، وأُشير إليه بالأصابع، وسئل عن المسائل، وحملت إليه الأموال، إلّا اغتيل أو مات علىٰ فراشه، حتىٰ يبعث الله لهذا الأمر غلاماً منّا خفيّ الولادة والمنشأ، غير خفيّ في نسبه»[١].

[٤٨٣] ٢٩. الكافي: وعن الجوادﷺ: «انظروا من عمي علىٰ الناس ولادته، فذاك صاحبكم»[٢].

◁ بيان
روىٰ الصدوق في (إكمال الدين وإتمام النعمة) بإسناده عن معاوية بن حكيم ومحمّد بن أيوب بن نوح ومحمّد بن عثمان العمري، قالوا: عرض علينا أبو محمّد الحسن بن عليﷺ ابنهﷺ ونحن في منزله وكنّا أربعين رجلاً، فقال: «هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرّقوا بعدي فتهلكوا في أديانكم، أما إنّكم لا ترونه بعد يومكم هذا» قالوا: فخرجنا من عنده فما مضت إلّا أيام قلائل حتىٰ مضىٰ أبو محمّدﷺ[٣].

و بإسناده عن يعقوب بن منقوش، قال: دخلت علىٰ أبي محمّد الحسن بن عليّﷺ وهو جالس علىٰ دكّان في الدار، وعن يمينه بيت، وعليه ستر مسبل، فقلت له: ياسيدي، من صاحب هذا الأمر؟ فقال: «ارفع الستر» فرفعته، فخرج إلينا غلام خماسي له عشر أو ثمان أو نحو ذلك، واضح الجبين، أبيض الوجه، درّي المقلتين، شَثْنُ الكفّين، معطوف الركبتين، في خدّه الأيمن خال، وفي رأسه ذؤابة، فجلس علىٰ فخذ أبي محمّدﷺ، ثم قال لي: «هذا هو صاحبكم»، ثم وثب فقال له: «يابني، ادخل إلىٰ الوقت المعلوم» فدخل البيت وأنا أنظر إليه، ثم قال لي: «يايعقوب انظر من في البيت» فدخلت فما رأيت أحداً[٤].

---

١. الكافي ١: ٣٤١ / ٢٥.
٢. الكافي ١: ٣٤٢ / ٢٦.
٣. اكمال الدين ٢: ٤٣٥ / ٤٣.
٤. إكمال الدين ٢: ٤٣٦ / ٢.

وبإسناده عن أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري قال: دخلت إلىٰ أبي محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام وأنا أُريد أن أسأله عن الخلف من بعده، فقال لي مبتدئاً: «يا أحمد بن إسحاق، إنّ الله تبارك وتعالىٰ لم يخل الأرض منذ خلق آدم عليه السلام ولا يخليها إلىٰ أن تقوم الساعة من حجّة الله علىٰ خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث، وبه يخرج بركات الأرض».

قال فقلت له: يابن رسول الله، فمن الإمام والخليفة بعدك؟ فنهض عليه السلام مسرعاً فدخل البيت، ثم خرج وعلىٰ عاتقه غلام كأنّ وجهه القمر ليلة البدر من أبناء ثلاث سنين فقال: «ياأحمد بن إسحاق، لولا كرامتك علىٰ الله وعلىٰ حججه ما عرضت عليك ابني هذا، إنّه سميّ رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيّه الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. يا أحمد بن إسحاق، مثله في هذه الأُمّة مثل الخضر عليه السلام، ومثله مثل ذي القرنين، والله ليغيبنّ غيبة لا ينجو من الهلكة فيها إلّا من ثبّته الله عزّوجلّ علىٰ القول بإمامته ووفّقه للدعاء بتعجيل فرجه».

قال أحمد بن إسحاق: فقلت له: يامولاي، فهل من علامة يطمئن إليها قلبي؟ فنطق الغلام عليه السلام بلسان عربي فصيح فقال: «أنا بقية الله في أرضه، والمنتقم من أعدائه، ولا تطلب أثراً بعد عين ياأحمد بن إسحاق».

قال أحمد بن إسحاق: فخرجت مسروراً فرحاً، فلمّا كان من الغد عدت إليه فقلت: يابن رسول الله، لقد عظم سروري بما مننت عليّ، فما السنّة الجارية فيه من الخضر وذي القرنين؟ قال: «طول الغيبة ياأحمد».

قلت: يابن رسول الله، فإنّ غيبته لتطول؟ قال: «أي وربي حتىٰ يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به، فلا يبقىٰ إلّا من أخذ الله عزّوجلّ عهده لولايتنا، وكتب في قلبه الإيمان، وأيّده بروح منه. ياأحمد ابن إسحاق، هذا أمر من أمر الله، وسرّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله، فخذ ما آتيتك واكتمه، وكن من الشاكرين، تكن معنا غداً في علّيين»[1].

وبإسناده عن أبي عليّ بن همام قال: سمعت محمّد بن عثمان العمري رضي الله عنه قال: سمعت أبي يقول: سئل أبو محمّد الحسن بن علي عليه السلام وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه عليهم السلام: «إنّ الأرض لا تخلو من حجة لله علىٰ خلقه إلىٰ يوم القيامة، وإنّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية». فقال عليه السلام: «إنّ هذا حقّ كما أنّ النهار حقّ»[2].

---

١. إكمال الدين ٢: ٤٣٦ / ٥.

٢. اكمال الدين ٢: ٤٠٩ / ب ذكر ما ورى عن أبي محمد....

فقيل له: يابن رسول الله، فمن الحجّة والإمام بعدك؟ فقال: «ابني م ح م د، وهو الإمام والحجّة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية، أما إنّ له غيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذّب فيها الوقّاتون، ثم يخرج فكأنـي أنـظر إلىٰ الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة»[1].

❖ ❖ ❖

باب

غيبة صاحبنا عليه السلام و من رآه فيها

[٤٨٤] ١. **الكافي: عن الصادق عليه السلام**: «إنّ لصاحب هذا الأمر غـيبة المـتمسّك فـيها بـدينه كالخارط للقتاد» **ثم قال هكذا بيده: «فأيّكم يمسك بشوك القتاد بيده؟!»**. ثم أطرق مليّاً، ثم قال: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة، فليتّق الله عبد، وليتمسك بدينه»[2].

[٤٨٥] ٢. **الكافي: عنه عليه السلام**: «إنّ للغلام غيبة قبل أن يـقوم» **قيل: ولم؟ قال: «يـخاف»** وأومـىٰ بيده إلىٰ بطنه[3].

وفي رواية: يعني القتل، ثم قال: «وهو المنتظر، وهو الذي يشكّ في ولادته، منهم مـن يقول: مات أبوه بلا خلف، ومنهم من يقول: حمل، و منهم من يقول: إنه ولد قبل موت أبيه بسنتين، وهو المنتظر، غير أنّ الله تعالى يـحبّ أن يـمتحن الشـيعة، فـعند ذلك يرتاب المبطلون»[4].

[٤٨٦] ٣. **الكافي: عنه عليه السلام**: «إن بلغكم عن صاحب هذا الأمر غيبة فلا تنكروها»[5].

[٤٨٧] ٤. **الكافي: عنه عليه السلام**: «إنّ في صاحب هذا الأمر شبهاً من يوسف عليه السلام»، **قيل له: كأنّك تذكر حياته أو غيبته؟ قال:** «وما ينكر من ذلك؟ هذه الأُمّة أشباه الخنازير، إنّ أخوة يوسف كانوا

---

١. إكمال الدين ٢: ٤٠٩.
٢. الكافي ١: ٣٣٥ / ١.
٣. الكافي ١: ٣٣٧ / ٥.
٤. الكافي ١: ٥/٣٣٧.
٥. الكافي ١: ٣٣٨ / ١٠ و ١٥.

أسباطاً أولاد الأنبياء تاجروا يوسف وبايعوه وخاطبوه وهم إخوته وهو أخوهم، فلم يعرفوه حتىٰ قال: أنا يوسف وهذا أخي، فما تنكر هذه الأمة الملعونة أن يفعل الله عزّوجلّ بحجّته في وقت من الأوقات كما فعل بيوسف؟ إنّ يوسف عليه السلام كان إليه ملك مصر وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً، فلو أراد أن يعلمه لقدر علىٰ ذلك، لقد سار يعقوب وولده عند البشارة تسعة أيام من بدوهم إلىٰ مصر، فما تنكر هذه الأمة أن يفعل الله بحجّته كما فعل بيوسف؟ أن يمشي في أسواقهم ويطأ بسطهم حتىٰ يأذن الله في ذلك كما أذن ليوسف، فقالوا: أنت لأنت يوسف؟ قال: أنا يوسف»[1].

◁ بيان

روىٰ الصدوق رحمه الله في «اكمال الدين» باسناده عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «في القائم منّا سنن من الأنبياء: سنّة من نوح، وسنّة من إبراهيم، وسنّة من موسىٰ، وسنّة من عيسىٰ، وسنّة من أيوّب، وسنّة من محمّد صلى الله عليه وآله، فأمّا من نوح فطول العمر، وأمّا من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس، وأمّا من موسىٰ فالخوف والغيبة، وأمّا من عيسىٰ فاختلاف الناس فيه، وأمّا من أيّوب فالفرج بعد البلوىٰ، وأمّا من محمّد صلى الله عليه وآله فالخروج بالسيف»[2].

وفي رواية أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام: «وسنّة من يوسف» قال: «وأمّا سنّته من يوسف فالستر، يجعل الله بينه وبين الخلق حجاباً يرونه ولا يعرفونه، وأمّا سنته من محمّد صلى الله عليه وآله فيهتدي بهداه ويسير بسيرته»[3].

وبإسناده عن عبدالله بن الفضل الهاشمي، قال: سمعت الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام يقول: «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لابدّ منها يرتاب فيها كلّ مبطل».

فقلت له: ولِم جعلت فداك؟ قال: «لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم».

قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال: «وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالىٰ ذكره، إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلّا بعد ظهوره، كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار

---

١. الكافي ١: ٣٣٦ / ٤.
٢. إكمال الدين ١: ٣٢١/ ٣.
٣. إكمال الدين ٢: ٣٥٠/ ٤٦.

لموسىٰ عليه السلام إلّا وقت افتراقهما. يابن الفضل، إنّ هذا الأمر أمر من أمر الله، وسرّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله، ومتىٰ علمنا أنّه عزّوجلّ حكيم صدّقنا بأن أفعاله كلّها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف لنا»[1].

وبإسناده عن إبراهيم الكرخي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام ـ أو قال له رجل ـ: أصلحك الله، ألم يكن عليّ عليه السلام قوياً في دين الله؟ قال: «بلىٰ» قال: «وكيف ظهر عليه القوم؟ وكيف لم يدفعهم؟ وما منعه من ذلك؟ قال: آية في كتاب الله عزّوجلّ منعته»، قال: قلت: وأيّة آية هي؟ قال: «قوله عزّوجلّ: ﴿لو تزيّلوا لعذّبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً﴾[2] وإنه كان لله ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين، ولم يكن عليّ عليه السلام ليقتل الآباء حتىٰ يخرج الودائع، فلمّا خرجت الودائع ظهر علىٰ من ظهر فقاتله، وكذلك قائمنا أهل البيت لن تظهر أبداً حتىٰ يظهر ودائع الله عزّوجل، فإذا ظهرت ظهر صلوات الله عليه علىٰ من ظهر فيقتلهم»[3].

وبإسناده عن إسحاق بن يعقوب في التوقيع الذي ورد إليه عن مولانا صاحب الزمان عليه السلام: «وأمّا علة ما وقع من الغيبة، فانّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم﴾[4] إنّه لم يكن أحد من آبائي صلوات الله عليهم إلّا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإنّي أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي، وأمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبتها عن الأبصار السحاب، وإنّي لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، فأغلقوا باب السؤال عمّا لا يعنيكم، ولا تتكلّفوا علم ما قد كفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج، فإنّ ذلك فرجكم، والسلام عليك ياإسحاق بن يعقوب وعلىٰ من اتّبع الهدىٰ»[5].

[٤٨٨] ٥. الكافي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية: ﴿فلا أقسم بالخنّس الجوار الكنّس﴾[6] قال: «الخنّس إمام يخنس في زمانه عند انقطاع من علمه عند الناس سنة ستين ومائتين، ثم يبدو كالشهاب الواقد في ظلمة الليل، فإن أدركت ذلك قرّت عينك»[7].

---

١. إكمال الدين ٢: ١١/٤٨١.
٢. الفتح (٤٨): ٢٥.
٣. كمال الدين ٢: ٥٤/٦٤٢.
٤. المائدة (٥): ١٠١.
٥. كمال الدين ٢: ٤/٤٨٣.
٦. التكوير ٨١: ١٥.
٧. الكافي ١: ٢٣/٣٤١.

[٤٨٩] ٦. الكافي: عن الصادق عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: «فإذا نقر في الناقور»[١] قال: «إنّ منّا إماماً مظفّراً مستتراً، فإذا أراد الله عزّ ذكره إظهار أمره نكت في قلبه نكتة فظهر فقام بأمر الله تبارك وتعالىٰ»[٢].

[٤٩٠] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «للقائم عليه السلام غيبتان: إحداهما قصيرة، والأُخرىٰ طويلة، الغيبة الأولىٰ لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصة شيعته، والأُخرىٰ لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصة مواليه»[٣].

◁ **بيان**

كأنّه يريد بالموالي الذين يخدمونه؛ لأن سائر الشيعة ليس لهم فيها إليه سبيل، وأمّا الغيبة الأولىٰ فكان له عليه السلام فيها سفراء يخرج إلىٰ شيعته بأيديهم توقيعات، وكان أوّلهم الشيخ أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه، فلمّا مات عثمان أوصىٰ إلى ابنه أبي جعفر محمّد بن عثمان، وأوصىٰ أبو جعفر إلىٰ أبي القاسم الحسين بن روح، وأوصىٰ أبو القاسم إلىٰ أبي الحسن علي بن محمّد السّمري رضي الله عنهم، فلمّا حضرت السّمري الوفاة سئل أن يوصي، فقال: «لله أمر هو بالغه» فالغيبة الكبرىٰ هي التي وقعت بعد مضي السّمري رضي الله عنه.

[٤٩١] ٨. الكافي: عنه عليه السلام: «يفقد الناس إمامهم، يشهد الموسم فيراهم ولا يرونه»[٤].

[٤٩٢] ٩. الكافي: بعض أهل المدائن، قال: كنت حاجّاً مع رفيق لي، فوافينا الموقف، فإذا شابّ قاعد، عليه إزار ورداء، وفي رجليه نعل صفراء، قوّمت الإزار والرداء بمائة وخمسين ديناراً، وليس عليه أثر السفر، فدنا منّا سائل فرددناه، فدنا من الشاب فسأله، فحمل شيئاً من الأرض وناوله، فدعا له السائل واجتهد في الدعاء وأطال، فقام الشاب وغاب عنّا، فدنونا من السائل فقلنا له: ويحك ما أعطاك؟ فأرانا حصاة ذهب مضرّسة قدّرناها عشرين مثقالاً، فقلت لصاحبي: مولانا عندنا ونحن لا ندري! ثم ذهبنا في طلبه، فدرنا الموقف كلّه فلم نقدر عليه، فسألنا من كان حوله من أهل مكة والمدينة فقالوا: شابّ علويّ

---

١. المدثر (٧٤): ٨.
٢. الكافي ١: ٣٤٣/ باب في الغيبة.
٣. الكافي ١: ٣٤٠/ ١٩.
٤. الكافي ١: ٣٣٧/ ٦.

يحجّ في كلّ سنة ماشياً[1].

◁ **بيان**

قد رآه عليه السلام غير واحد من الناس، و شاهدوا منه المعجزات و الكرامات، و لهم قصص و حكايات في ذلك، و قد ذكر محمّد بن أبي عبدالله الكوفي عدد من انتهىٰ إليه و وقف علىٰ معجزاته، و قد أورد الصدوق عليه السلام أسماءهم في كتاب «إكمال الدين وإتمام النعمة» مع نبذ من توقيعاته وحكاياته. وقد ذكر الشيخ أحمد بن أبي طالب عليه السلام أيضاً بعض توقيعاته في كتاب «الاحتجاج» وكذا الشيخ أبو جعفر الطوسي في كتاب «الغيبة».

وفي الحديث المتّفق بين أهل الإسلام قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «لم ينقض الأيام والليالي حتىٰ يبعث الله رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[2]، وقوله صلى الله عليه وآله: «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتىٰ يبعث الله فيه رجلاً من ولدي يواطئ اسمه اسمي يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[3].

ويأتي تمام الكلام في غيبته عليه السلام في كتاب الابتلاء والتمحيص إن شاء الله تعالىٰ.

❖ ❖ ❖

باب

علامات ظهوره عليه السلام

[٤٩٣] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «خمس علامات قبل قيام القائم: الصيحة، والسفياني، والخسف، وقتل النفس الزكية، واليماني»[4].

◁ **بيان**

«الصيحة» هي التي تأتي من السماء بأنّ الحقّ فيه وفي شيعته، و هي صيحتان كما يأتي «والسفياني» رجل من آل أبي سفيان يخرج بالشام يملك ثمانية أشهر

---

١. الكافي ١: ٣٣٢/ ١٥.
٢. الارشاد ٢: ٣٤٠/باب ذكر الامام القائم.
٣. الافصاح: ١٠٢.
٤. الكافي ٨: ٣١٠/ ٤٨٣.

«والخسف» هو ذهاب جيش السفياني إلىٰ باطن الأرض بالبيداء، وهو موضع فيمابين مكّة والمدينة، وفي بعض الروايات: «خسف بالبيداء، وخسف بالمشرق، وخسف بالمغرب[1]» «والنفس الزكية» غلام من آل محمّد يقتل بين الركن والمقام اسمه محمّد بن الحسن، وزاد في بعض الأخبار «قتل نفس زكية أُخرىٰ بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين[2]» وفي رواية زرارة: «إنّه لابدّ من قتل غلام بالمدينة[3]» «واليماني» رجل يخرج من اليمن يدعو إلىٰ المهدي عليه السلام.

[٤٩٤] ٢. الكافي: عنه عليه السلام قيل له، متىٰ فرج شيعتكم؟ قال: «إذا اختلف ولد العباس ووهىٰ سلطانهم وطمع فيهم من لم يكن يطمع فيهم، وخلعت العرب أعنّتها، ورفع كلّ ذي صيصية صيصية، وظهر الشامي، وأقبل اليماني، وتحرّك الحسني، خرج صاحب هذا الأمر من المدينة إلىٰ مكة بتراث رسول الله صلى الله عليه وآله».

فقيل: ما تراث رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: «سيف رسول الله صلى الله عليه وآله ودرعه وعمامته وبرده وقضيبه ورايته ولأمته وسرجه حتىٰ ينزل مكة، فيخرج السيف من غمده، ويلبس الدرع، وينشر الراية والبردة والعمامة، ويتناول القضيب بيده، ويستأذن الله في ظهوره، فيطّلع على ذلك بعض مواليه، فيأتي الحسني فيخبره الخبر، فيبتدر الحسني إلىٰ الخروج، فيثب عليه أهل مكّة فيقتلونه، ويبعثون برأسه إلىٰ الشامي، فيظهر عند ذلك صاحب هذا الأمر، فيبايعه الناس ويتبعونه، ويبعث الشامي عند ذلك جيشاً إلىٰ المدينة فيهلكهم الله دونها، فيهرب يومئذ من كان بالمدينة من ولد عليّ عليه السلام إلىٰ مكّة، فيلحقون بصاحب هذا الأمر، ويقبل صاحب هذا الأمر نحو العراق ويبعث جيشاً إلىٰ المدينة فيأمر أهلها ويرجعون إليها»[4].

◁ **بيان**

«خلعت العرب أعنّتها» أي تصير مخلوعة العنان تفعل ما تشاء، «والشامي» هو السفياني.

---

١. ارشاد القلوب ١: ٦/٦٦.
٢. بحارالانوار ٥٢: ٢١٩ / ٢٥.
٣. الكافي ١: ٣٣٧/ب في الغيبة... .
٤. الكافي ٨: ٢٢٤ / ٢٨٥.

[٤٩٥] ٣. **الكافي: عنه عليه السلام: «اختلاف بني العباس من المحتوم، والنداء من المحتوم، وخروج القائم من المحتوم».**

قيل: وكيف النداء؟ قال: «ينادي منادٍ من السماء أول النهار: ألا إنّ علياً عليه السلام وشيعته هم الفائزون، قال: فينادي مناد آخر النهار: ألا إنّ عثمان وشيعته هم الفائزون»[1].

◁ **بيان**

«اختلاف بني العباس» أي فيما بينهم في الملك والدولة، وهو من علامات ظهوره عليه السلام «من المحتوم» يعني ليس بموقوف للبداء، إذ ليس مما يلحقه البداء، والمنادي من السماء جبرئيل عليه السلام، ومن الأرض إبليس الملعون، كما ورد في الأخبار وفي كثير منها أنّ منادي السماء ينادي باسم القائم عليه السلام، وعلىٰ هذا يحتمل أن يكون المراد بعثمان السفياني، فإنّ اسمه عثمان بن عنبسة.

[٤٩٦] ٤. **الكافي: عن الباقر عليه السلام: «آيتان تكونان قبل قيام القائم عليه السلام لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام إلىٰ الأرض: تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان، والقمر في آخره».**

فقال رجل: يابن رسول الله، تنكسف الشمس في آخر الشهر، والقمر في النصف؟ فقال عليه السلام: «إنّي أعلم ما تقول، ولكنّهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم»[2].

❖ ❖ ❖

باب

دلائله عليه السلام إذا ظهر

[٤٩٧] ١. **الكافي: عن الباقر عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً﴾**[3] **«الخيرات الولاية، و قوله تعالىٰ: ﴿أينما تكونوا يأتِ بكم الله جميعاً﴾ يعني أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً» قال: «وهم والله الأُمّة المعدودة» قال: «يجتمعون والله في ساعةٍ واحدةٍ قزع كقزع الخريف»**[4].

---

١. الكافي ٨: ٣١٠ / ٤٨٤.
٢. الكافي ٨: ٢١٢ / ٢٥٨.
٣. البقرة (٢): ١٤٨.
٤. الكافي ٨: ٣١٣ / ٤٨٧.

◁ **بيان**

«القزع» قطع السحاب.

[٤٩٨] ٢. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «إنّ قائمنا إذا قام مدّ الله تعالىٰ لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتىٰ لا يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلّمهم فيسمعون، وينظرون إليه وهو في مكانه»[١].

وفي رواية: «لو قد كان ذلك أُعطي الرجل منكم قوة أربعين رجلاً، وجعلت قلوبكم كزبر الحديد، لو قذف بها الجبال لقلعتها، وكنتم قوام الأرض وخزّانها»[٢].

[٤٩٩] ٣. **الكافي: عن الباقر** عليه السلام: «إذا قام قائمنا وضع الله يده علىٰ رؤس العباد، فجمع بها عقولهم، وكملت به أحلامهم»[٣].

[٥٠٠] ٤. **الكافي: عنه** عليه السلام: «إذا قام القائم عرض الإيمان علىٰ كلّ ناصب، فان دخل فيه بحقيقته وإلّا ضرب عنقه، أو يؤدّي الجزية كما يؤدّيها اليوم أهل الذمة، ويشدّ علىٰ وسطه الهميان، ويخرجهم من الأمصار إلىٰ السواد»[٤].

[٥٠١] ٥. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «إذا تمنّىٰ أحدكم القائم فليتمنّه في عافية، فإنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله رحمة، ويبعث القائم نقمة»[٥].

❖ ❖ ❖

باب

سيرتهم عليهم السلام إذا ظهر أمرهم

[٥٠٢] ١. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «لا تذهب الدنيا حتىٰ يخرج رجل منّي يحكم بحكومة آل داود، ولا يسأل بيّنة، يعطي كلّ نفس حقّها»[٦].

---

١. الكافي ٨: ٢٤١ / ٣٣٩.
٢. الكافي ٨: ٢٩٤ / ٤٤٩.
٣. الكافي ١: ٢٥ / ٢١.
٤. الكافي ٨: ٢٢٧ / ٢٨٨.
٥. الكافي ٨: ٢٣٣ / ٣٠٦.
٦. الكافي ١: ٣٩٨ / ٢.

[٥٠٣] ٢. الكافي: عنه عليه السلام قيل له: بما تحكمون إذا حكمتم؟ قال: «بحكم الله وحكم داود، فإذا ورد علينا الشيء الذي ليس عندنا تلقّانا به روح القدس»[١].

◁ بيان

«إذا حكمتم» أي إذا صار الحكم إليكم.

[٥٠٤] ٣. الكافي: عن الباقر عليه السلام سئل: ما حقّ الإمام على الناس؟ قال: «حقّه عليهم أن يسمعوا له ويطيعوه».

قيل: فما حقّهم عليه؟ قال: «يقسّم بينهم بالسوية، ويعدل في الرعية»[٢].

◁ بيان

القسمة بالسوية أن يعطي الشريف والوضيع سواء على عدد الرؤوس، وهذه كانت سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد غيّرها بعده من غيّرها معلّلاً بأنه كيف يسوّى الشريف بالوضيع، فلمّا ولي أمير المؤمنين عليه السلام الناس جدّد سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وقام فيها على سيرته صلى الله عليه وآله، فاعتذر بأن الشرف إنّما هو بحسب الدين والتقوى، ويعطى الشريف بحسبهما أجره في الآخرة، وهو والوضيع بحسب الدنيا في الحاجة سواء.

[٥٠٥] ٤. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «نعيت إلى النبي صلى الله عليه وآله نفسه وهو صحيح ليس به وجع قال: نزل به الروح الأمين فنادى صلى الله عليه وآله: الصلاة جامعة، وأمر المهاجرين والأنصار بالسلاح، واجتمع الناس، فصعد النبي صلى الله عليه وآله المنبر، فنعى إليهم نفسه، ثم قال: أذكّر الله الوالي من بعدي على أُمّتي. ألا ترحم على جماعة المسلمين، فأجلّ كبيرهم، ورحم ضعيفهم، ووقّر عالمهم، ولم يضرّبهم فيذلّهم، ولم يفقرهم فيكفرهم، ولم يغلق بابه دونهم فيأكل قوّيهم ضعيفهم، ولم يخبزهم في بعوثهم فيقطع نسل أُمّتي، ثم قال: بلّغت ونصحت فاشهدوا».

قال أبو عبدالله عليه السلام: «هذا آخر كلام تكلّم به رسول الله صلى الله عليه وآله على منبره»[٣].

---

١. الكافي ١: ٣٩٨ / ٣.
٢. الكافي ١: ٤٠٥ / ١.
٣. الكافي ١: ٤٠٦ / ٤.

◁ **بيان**

«ولم يفقرهم» لم يجعلهم فقراء، وفي بعض النسخ «ولم يفرّقهم» أي لم يصر سبب تفرّقهم واختلاف كلمتهم «ولم يغلق بابه دونهم» كناية عن ترك الاهتمام بأُمورهم وعدم المبالاة بقضاء حوائجهم «ولم يخبزهم في بعوثهم» بالخاء المعجمة والباء الموحدة والزاي: أي لم يسقهم سوقاً شديداً، ولم يجمعهم كلّهم في بعثهم إلىٰ جهاد الأعداء، وفي بعض النسخ بالجيم والراء من الإجبار.

[٥٠٦] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: أنا أولىٰ بكلّ مؤمن من نفسه، و عليّ أولىٰ به من بعدي».

فقيل له: ما معنىٰ ذلك؟ فقال: «قول النبي صلى الله عليه وآله: من ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ، ومن ترك مالاً فلورثته، فالرجل ليست له علىٰ نفسه ولاية إذا لم يكن له مال، وليس له علىٰ عياله أمر ولا نهي إذا لم يجر عليهم النفقة، والنبيّ وأمير المؤمنين ومن بعدهما ألزمهم هذا، فمن هناك صاروا أولىٰ بهم من أنفسهم، وما كان سبب إسلام عامّة اليهود إلّا من بعد هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّهم آمنوا علىٰ أنفسهم وعلىٰ عيالاتهم»[1].

◁ **بيان**

«الضياع» بالفتح: العيال، وإنما لم يكن لعديم المال علىٰ نفسه ولاية لعدم إنفاقه علىٰ نفسه، وإنّما الولاية لوليّ النعمة.

[٥٠٧] ٦. الكافي: عن النبي صلى الله عليه وآله: «أيّما مؤمن أو مسلم مات وترك ديناً لم يكن في فساد ولا إسراف، فعلىٰ الإمام أن يقضيه، فإن لم يقضه فعليه إثم ذلك، إنّ الله تعالىٰ يقول: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾[2] **فهو من الغارمين، وله سهم عند الإمام، فإن حبسه فإثمه عليه»**[3].

[٥٠٨] ٧. الكافي ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الله جعلني إماماً لخلقه، ففرض عليّ التقدير في

---

١. الكافي ١: ٤٠٦ / ٦.
٢. التوبة (٩): ٦٠.
٣. الكافي ١: ٤٠٧ / ٧.

نفسي ومطعمي ومشربي وملبسي كضعفاء الناس، كي يقتدي الفقير بفقري، ولا يطغي الغنيّ غناه»[1].

◁ **بيان**

«التقدير» التضييق، أرادﷺ أنّ الفقير إذا رأىٰ إمامه قد رضي بالدون من المعيشة رضي بفقره واقتدىٰ به، وكذلك الغني إذا رآه فقيراً لم يطغه غناه، وعلم أنّه لو كان في الغنىٰ خير لكان الإمام أولىٰ به.

[٥٠٩] ٨. الكافي: معلّىٰ بن خنيس قال: قلت لأبي عبدالله ﷺ يوماً: جعلت فداك، ذكرت آل فلان وما هم فيه من النعيم؟ فقلت: لو كان هذا إليكم لعشنا معكم، فقال: «هيهات هيهات يامعلّىٰ، أما والله أن لو كان ذلك ما كان إلّا سياسة الليل، وسياحة النهار، ولبس الخشن، وأكل الجشب، فزوي ذلك عنّا، فهل رأيت ظلامة قطّ صيّرها الله نعمة إلّا هذه!»[2]

◁ **بيان**

«فلان» كناية عن العباس، وهذا إشارة إلىٰ أمر الخلافة والإمامة «سياسة اللّيل» رياضة النفس فيه بالاهتمام لأُمور الأنام وتدبير معاشهم ومعادهم، مضافاً إلىٰ العبادات البدنية لله «وسياحة النهار» رياضتها فيه بالدعوة والجهاد والسعي في قضاء حوائج الناس ابتغاء مرضاة الله «والجشب» الغليظ، أو بلا أدم «فزوىٰ» فصرف «فهل رأيت» تعجب منهﷺ في صيرورة الظلم عليهم نعمة لهم، وحصر لمثله فيه لهم.

آخر كتاب النبوة والإمامة والحمد لله أولاً وآخراً.

■

---

١. الكافي ١: ٤١٠ / ١.
٢. الكافي ١: ٤١٠ / ٢.

كتاب

الابتلاء والتمحيص

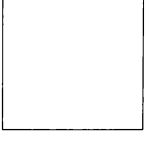

باب

ابتلاء رسول الله ﷺ بأصحابه

[٥١٠] ١. الكافي: عن أحدهما عليه السلام: «أصبح رسول ﷺ يوماً كئيباً حزيناً فقال له علي عليه السلام: ما لي أراك يارسول الله كئيباً حزيناً؟ فقال: وكيف لا أكون كذلك وقد أُريت في ليلتي هذه أنّ بني تيم وبني عديّ وبني أميّة يصعدون منبري هذا، يردّون الناس عن الإسلام القهقرىٰ، فقلت: ياربّ في حياتي أو بعد موتي؟ فقال: بعد موتك»[1].

◁ بيان

هذا الخبر ممّا روته العامّة أيضاً، إلّا أنهم حذفوا منه لفظتي بني تيم وبني عديّ،وتيم جدّ الأول، وعدي جدّ الثاني، وإنّما أُري ﷺ ردّ الناس عن الإسلام القهقرىٰ؛ لأن الناس كانوا يظهرون الإسلام وكانوا يصلّون إلىٰ القبلة،ومع هذا كانوا يخرجون من الإسلام شيئاً فشيئاً، كالذي يرتدّ عن الصراط السويّ القهقرىٰ، ويكون وجهه إلىٰ الحق حتىٰ إذا بلغ غاية سعيه، رأىٰ نفسه في الجحيم.

[٥١١] ٢. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «لولا أني أكره أن يقال أنّ محمّداً استعان بقوم حتىٰ إذا ظفر بعدوّه قتلهم، لضربت أعناق قوم كثير»[2].

[٥١٢] ٣. الكافي: عنهما عليهما السلام: «إنّ الناس لمّا كذّبوا برسول الله ﷺ همّ الله بهلاك أهل الأرض إلّا عليّاً عليه السلام فما سواه بقوله: **﴿فتولّ عنهم فما أنت بملوم﴾** ثم بدا له فرحم المؤمنين، ثم قال لنبيّه ﷺ: **﴿وذكّر فإنّ الذكرىٰ تنفع المؤمنين﴾**»[3].

---

١. الكافي ٨: ٣٤٥/ ٥٤٣.

٢. الكافي ٨: ٣٤٥/ ٥٤٤.

٣. الكافي ٨: ١٠٣/ ٧٨؛ والآية من سورة الذاريات (٥١): ٥٥.

◁ **بيان**

تكذيبهم به إشارة إلىٰ قولهم: إنّه ينطق عن الهوىٰ في نصبه ابن عمّه، وكأنّ المراد بما سواه: سائر أهل البيت عليهم السلام.

[٥١٣] ٤. الكافي ـ عن الباقر عليه السلام: «كنت دخلت مع أبي الكعبة، فصلّىٰ على الرخامة الحمراء بين العمودين، فقال: في هذا الموضع تعاقد القوم: إن مات رسول‌الله صلى الله عليه وآله أو قتل أن لا يردّوا هذا الأمر في أحد من أهل بيته أبداً».

قيل: ومن كان؟ قال: «الأول والثاني وأبو عبيدة بن الجراح وسالم بن الحبيبة»[١].

[٥١٤] ٥. الكافي: الفقيه، التهذيب ـ حسّان الجمّال، قال: حملت أبا عبدالله عليه السلام من المدينة إلىٰ مكة، فلمّا انتهينا إلىٰ مسجد الغدير نظر إلىٰ ميسرة المسجد، فقال: «ذاك موضع قدم رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

ثم نظر إلىٰ الجانب الآخر، فقال: «ذاك موضع فسطاط أبي فلان، وفلان، وسالم مولىٰ أبي حذيفة، وأبي عبيدة بن الجراح، فلمّا أن رأوه رافعاً يديه، قال بعضهم: انظروا إلىٰ عينيه تدوران كأنّهما عينا مجنون، فنزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: **«وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لمّا سمعوا الذكر ويقولون إنّه لمجنون وما هو إلّا ذكر للعالمين»**»[٢].

[٥١٥] ٦. الكافي ـ عن الباقر عليه السلام: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أقبل يقول لأبي بكر في الغار: اسكن فانّ الله معنا، وقد أخذته الرّعدة وهو لا يسكن، فلما رأىٰ رسول‌الله صلى الله عليه وآله حاله، قال له: تريد أن أُريك أصحابي من الأنصار في مجالسهم يتحدّثون، وأُريك جعفراً وأصحابه في البحر يغوصون؟ قال: نعم، فمسح رسول‌الله صلى الله عليه وآله بيده علىٰ وجهه، فنظر إلىٰ الأنصار يتحدّثون، ونظر إلىٰ جعفر وأصحابه في البحر يغوصون، فأضمر تلك الساعة أنّه ساحر»[٣].

[٥١٦] ٧. الكافي ـ عن الصادق عليه السلام: «لمّا نفّروا برسول الله صلى الله عليه وآله ناقته، قالت له الناقة: والله لا

---

١. الكافي ٤: ٥٤٥ / ٢٨.

٢. الكافي ٤: ٥٦٦ / ٢؛ الفقيه ٢: ٥٥٩ / ٣١٤٤؛ التهذيب ٣: ٢٦٣ / ٧٤٦؛ والآية من سورة القمر (٥٤): ٥١.

٣. الكافي ٨: ٢٦٢ / ٣٧٧.

أزلت خفّاً عن خفّ ولو قطّعت إرباً إرباً»[1].

◁ **بيان**

هذا النفر كان بعقبة هرشي، والقصة مشهورة رواها العامة والخاصة جميعاً. إلّا أنّ العامّة كتموا ذكر المنفّرين بأسمائهم، وإنّما اقتصروا على ذكر عددهم.

❖ ❖ ❖

باب

ابتلاء أمير المؤمنين عليه السلام بالصحابة

[٥١٧] ١. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة الوسيلة التي خطبها بعد سبعة أيام من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله حين فرغ من جمع القرآن وتأليفه، قال بعد حمد الله والثناء على رسول الله صلى الله عليه وآله والمواعظ البليغة، وذكر الوسيلة الموعودة، ووجوب طاعة النبيّ ومحبّة الوصيّ: «فإنّ الله امتحن بي عباده، وقتل بيدي أضداده، وأفنى بسيفي جحّاده، وجعلني زلفة للمؤمنين وحيّاض موت على الجبّارين، وسيفه على المجرمين، وشدّ بي أزر رسوله، وأكرمني بنصره، وشرّفني بعلمه، وحباني بأحكامه، واختصّني بوصيّته، واصطفاني بخلافته في أمته، فقال وقد حشده المهاجرون والأنصار وانغصّت به المحافل: أيها الناس، إنّ عليّاً منّي كهارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي، فعقل المؤمنون عن الله نطق الرّسول إذ عرفوني أنّي لست بأخيه لأبيه وأمّه كما كان هارون أخا موسى لأبيه وأمّه، ولا كنت نبيّاً فأقتضي نبوّة، ولكن كان ذلك منه استخلافاً لي كما استخلف موسى هارون حيث يقول: **﴿اخلفني في قومي وأصلح ولا تتّبع سبيل المفسدين﴾**[2].

وقوله صلى الله عليه وآله حين تكلّمت طائفة وقالت: نحن موالي رسول الله صلى الله عليه وآله، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى حجّة الوداع، ثم صار إلى غدير خم، فأمر فأُصلح له شبه المنبر، ثم علاه وأخذ بعضدي حتى رؤي بياض إبطيه رافعاً صوته قائلاً في محفله: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وكانت على ولايتي ولاية الله، وعلى

---

١. الكافي ٨: ١٦٥ / ١٧٨.
٢. الأعراف (٧): ١٤٢.

عداوتي عداوة الله، وأنزل الله تعالىٰ في ذلك: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾[1] فكانت ولايتي كمال الدين ورضا الرب تعالىٰ.

وأنزل الله تعالىٰ اختصاصاً لي وتكريماً لحلنيه، وإعظاماً وتفضيلاً من رسول الله ﷺ منحنيه، وهو قوله تعالىٰ: ﴿ثم ردّوا إلىٰ الله مولاهم الحَقُّ ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾[2] في مناقب لو ذكرتها لعظم بها الارتفاع، وطال لها الاستماع.

ولئن تقمصّها دوني الأشقيان ونازعاني فيما ليس لهما بحقّ، وركباها ضلالة، واعتقداها جهالة، فلبئس ما عليه وردا، ولبئس ما لأنفسهما مهّدا، يتلاعنان في دورهما، ويتبرّأ كلّ واحد منهما من صاحبه، يقول لقرينه إذا التقيا: يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين. فيجيبه الأشقىٰ علىٰ وثوبه: ياليتني لم أتخذك خليلاً لقد أضللتني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً. فأنا الذكر الذي عنه ضلّ، والسبيل الذي عنه مال، والإيمان الذي به كفر، والقرآن الذي إيّاه هجر، والدّين الذي به كذّب، والصّراط الذي عنه نكب، ولئن رتعا في الحطام المنصرم والغرور المنقطع، وكانا منه علىٰ شفا حفرة من النار، لهما علىٰ شرّ ورود، في أخيب وفود، وألعن مورود، يتصارخان باللعنة، ويتناعقان بالحسرة، ما لهما من راحة، ولا عن عذابهما من مندوحة.

إنّ القوم لم يزالوا عبّاد أصنام وسدنة أوثان، يقيمون لها المناسك، وينصبون لها العتائر، ويتّخذون لها القربان، ويجعلون لها البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ويستقسمون بالأزلام عامهين عن الله عزّ ذكره، حائرين عن الرشاد، مهطعين إلىٰ البعاد، قد استحوذ عليهم الشيطان، وغمرتهم سوداء الجاهلية، ورضعوا جهالة، وانفطموا ضلالة، فأخرجنا الله إليهم رحمةً، وأطلعنا عليهم رأفةً، وأسفر بنا عن الحجب نوراً لمن اقتبسه، وفضلاً لمن اتّبعه، وتأييداً لمن صدّقه، فتبوّؤوا العزّ بعد الذلّة، والكثرة بعد القلّة، وهابتهم القلوب والأبصار، وأذعنت لهم الجبابرة وطواغيتها، وصاروا أهل نعمة مذكورة، وكرامة منشورة، وأمن بعد خوف، وجمع بعد حوب،

---

١. المائدة (٥): ٣.
٢. الأنعام (٦): ٦٢.

وأضاءت بنا مفاخر معدٍّ بن عدنان، وأولجناهم باب الهدىٰ، وأدخلناهم دار السلام، وأشملناهم ثوب الإيمان، وفلجوا بنا في العالمين.

وأثبت لهم أيام الرّسول ﷺ آثار الصالحين من حام مجاهدٍ، ومصلٍّ قانتٍ ومعتكفٍ زاهد، يظهرون الأمانة ويأتون المثابة، حتىٰ إذا دعا الله نبيّه ﷺ ورفعه إليه؛ لم يك ذلك بعده إلّا كلمحة من خفقة، أو وميض من برقة، إلىٰ أن رجعوا علىٰ الأعقاب، وانتكصوا علىٰ الأدبار، وطلبوا بالأوتار، وأظهروا الكتائب، وردموا الباب، وفلّوا الديار، وغيّروا آثار رسول الله ﷺ، ورغبوا عن أحكامه، وبعدوا عن أنواره، واستبدلوا بمستخلفه بديلاً اتّخذوه وكانوا ظالمين، وزعموا أنّ من اختاروا من آل أبي قحافة أولىٰ بمقام رسول الله ﷺ ممّن اختاره الرسول ﷺ لمقامه، وأنّ مهاجر آل أبي قحافة خير من المهاجريّ الأنصاري الربّاني ناموس هاشم بن عبد مناف.

ألا وإنّ أول شهادة زور وقعت في الإسلام شهادتهم أنّ صاحبهم مستخلَف رسول الله ﷺ، فلمّا كان من أمر سعد بن عبادة ما كان، رجعوا عن ذلك فقالوا: إنّ رسول الله ﷺ مضىٰ ولم يستخلف، وكان رسول الله ﷺ الطيّب المبارك أوّل مشهودٍ عليه بالزور في الإسلام، وعن قليل يجدون غبّ ما يعملون، وسيجد التّالون غبّ ما أسّسه الأوّلون، ولئن كانوا في مندوحةٍ من المهل، وشقاء من الأجل، وسعة من المنقلب، واستدراج من الغرور، وسكون من الحال، وإدراك من الأمل، فقد أمهل لله تعالىٰ شدّاد بن عاد، وثمود بن عبود، وبلعم بن باعورا، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، وأمدّهم بالأموال والأعمار، وأتتهم الأرض ببركاتها، ليذكروا آلاء الله، وليعرفوا الإهابة له والإنابة إليه، ولينتهوا عن الاستكبار، فلمّا بلغوا المدّة، واستتمّوا الأكلة، أخذهم الله تعالىٰ واصطلمهم فمنهم من حُصِب، ومنهم من أخذته الصّيحة، ومنهم من أحرقته الظلّة، ومنهم من أودته الرجفة، ومنهم من أردته الخسفة ﴿وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾[1].

ألا وإنّ لكلّ أجلٍ كتاباً، فإذا بلغ الكتاب أجله، لو كشف لك عمّا هوىٰ إليه الظالمون، وآل إليه الأخسرون، لهربت إلىٰ الله تعالىٰ ممّا هم عليه مقيمون

---

١. العنكبوت (٢٩): ٤٠.

وإليه صائرون.

ألا وإنّي فيكم أيّها الناس كهارون في آل فرعون، وكباب حطّة في بني إسرائيل، وكسفينة نوح في قوم نوح، وإنّي النّبأ العظيم، والصدّيق الأكبر، وعن قليل ستعلمون ما توعدون، وهل هي إلّا كلعقة الآكل ومذقة الشارب وخفقة الوسنان، ثم تلزمهم المعرّات خزياً في الدنيا، ويوم القيامة يردّون إلىٰ أشدّ العذاب، وما الله بغافل عمّا يعملون، فما جزاء من تنكّب محجّته، وأنكر حجّته، وخالف هداته، وحاد عن نوره، واقتحم في ظلمه، واستبدل بالماء السراب، وبالنعيم العذاب، وبالفوز الشقاء، وبالسّراء الضرّاء، وبالسعة الضنك، إلّا جزاء اقترافه، وسوء خلافه، فليوقنوا بالوعد علىٰ حقيقته، وليستيقنوا بما يوعدون ﴿**يوم يَسمعونَ الصيحة بالحقّ ذلك يوم الخروج * إنّا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير * يوم تشقّق الأرض عنهم سراعاً**﴾ إلىٰ آخر السورة»[1].

◁ بيان

«الحيّاض» السّيال، «والأزر» القوة «حشده المهاجرون» اجتمعوا إليه وأطافوا به «وانغضّت» بالمعجمة ثم المهملة: امتلأت، «والبارز» في تقمصّها يعود إلىٰ الخلافة للعلم بها، أي جعلاها مشتملة علىٰ أنفسهما كالقميص «والعتائر» جمع العتيرة، وهي شاة كانوا يذبحوها في رجب لآلهتهم «والبحيرة والسائبة» ناقتان مخصوصتان كانوا يحرّمون الانتفاع بهما، «والوصيلة» شاة مخصوصة يذبحونها على بعض الوجوه، ويحرّمونها على بعض، «والحام» الفحل من الإبل الذي طال مكثه عندهم فلا يركب ولا يمنع من كلأ وماء «والاستقسام بالأزلام» طلب معرفة ما قسم لهم ممّا لم يقسم بالأقداح، «والعمه» التحيّر والتردّد «والإهطاع» الإسراع «والاستحواذ» الاستيلاء، «والحوب» الوحشة والحزن، «معدّ بن عدنان» أبو العرب «والمثابة» موضع الثواب، ومجتمع الناس بعد تفرّقهم «والخفقة» النعاس «والوميض» اللمع الخفيّ «والانتكاص» الرجوع «والرّدم» السد.

«فلمّا كان من أمر سعد بن عبادة ماكان» كأنّه أشار ﷺ بذلك إلىٰ إباء سعد عن بيعة أبي بكر واحتجاجه عليهم بمخالفتهم الرسول ﷺ، وكان من جملة كلامه لعمر

---

١. الكافي ٨: ٢٦ / ٤ والآيات من سورة ق (٥٠): ٤٢ ـ ٤٤.

أنّه قال له: «يابن الصهّاك الحبشيّة، أما والله لو أنّ لي قوة على النهوض ـ وكان مريضاً ـ لسمعت منّي في سككها زأراً يزعجك وأصحابك. ولألحقنّكم بقوم كنتم فيهم أذناباً أذلّاء تابعين غير متبوعين، فلقد اجترأتم على الله وخالفتم رسوله، ياآل الخزرج احملوني من مكان الفتنة» فحمل.

«والغِبّ» بكسر المعجمة: العاقبة «والاصطلام» الاستئصال «حُصِب» رمي بالحصباء «والظلّة» في ﴿عذاب يوم الظلّة﴾[1] قيل: كانت غيماً تحته سموم «والايداء والإرداء» الإهلاك «والوسنان» من أخذته السنة «والمعرّة» الإثم والغرم والأذى «والحيد» العدول.

وقال عليه السلام في خطبة أُخرى: «سبق فيه الرجلان، وقام الثالث كالغراب همّته بطنه، ويله لو قصّ جناحاه وقطع رأسه كان خيراً له، شُغِل عن الجنّة والنار أمامه»[2].

وأمثال هذه من شكاياته عليه السلام كثيرة، وخطبته الشقشقية في ذلك مشهورة وفي (نهج البلاغة) مذكورة[3].

[٥١٨] ٢. الكافي: عنه عليه السلام في خطبته التي عاب فيها أصحابه، قال بعد الحمد والثناء: «أيّتها الأمة التي خدعت فانخدعت، وعرفت خديعة من خدعها فأصرّت على ما عرفت، واتّبعت أهواءها، وضربت في عشواء غوايتها، وقد استبان لها الحق فصدّت عنه، والطريق الواضح فتنكّبته.

أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو اقتبستم العلم من معدنه، وشربتم الماء بعذوبته، وادّخرتم الخير من موضعه، وأخذتم من الطريق واضحه، وسلكتم من الحق نهجه، لتنهجت بكم السبل، وبدت لكم الأعلام، وأضاء لكم الإسلام، فأكلتم رغداً، وما عال فيكم عائل، ولا ظلم منكم مسلم ولا معاهد، ولكن سلكتم سبيل الظلام، فأظلمت عليكم دنياكم برحبها، وسدّت عليكم أبواب العلم، فقلتم بأهوائكم، واختلفتم في دينكم، فأفتيتم في دين الله بغير علم، واتبعتم الغواة فأغوتكم، وتركتم الأئمة فتركوكم، فأصبحتم تحكمون بأهوائكم، إذا ذكر الأمر سألتم أهل الذكر، فإذا أفتوكم قلتم: هو العلم بعينه، فكيف وقد تركتموه ونبذتموه وخالفتموه؟! رويداً عمّا قليل تحصدون

---

١. الشعراء (٢٦): ١٨٩.

٢. الكافي ٨: ٦٧/ خطبة امير المؤمنين عليه السلام.

٣. نهج البلاغة: خ ٣.

جميع ما زرعتم وتجدون وخيم ما اجترمتم وما اجتنيتم.

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد علمتم إنّي صاحبكم، والذي بـه أُمـرتم، وإنـي عالمكم والذي بعلمه نجاتكم، ووصيّ نبيكم، وخيرة ربّكم، ولسان نوركم، والعالم بما يصلحكم، فعن قليل رويداً ينزل بكم ما وعدتم، وما نزل بالأُمم قبلكم، وسيسألكم الله تعالىٰ عن أنمتكم، معهم تحشرون، وإلىٰ الله غداً تصيرون.

أما والله لو كان لي عدّة أصحاب طالوت، أو عدّة أهل بدر وهم أعدادكم، لضربتكم بالسيف حتىٰ تؤلوا إلىٰ الحق، وتنيبوا للصدق، وكان أرتق للفتق، وآخذ بالرفق، اللهم فاحكم بيننا بالحق وأنت خير الحاكمين».

ثم خرج من المسجد، فمرّ بصيرة فيها نحو من ثلاثين شاة، فقال: «لو أنّ لي رجالاً ينصحون لله تعالىٰ ولرسوله بعدد هذه الشياه، لأزلت ابن آكلة الذبان عن ملكه». فلمّا أمسىٰ بايعه ثلاثمائة وستّون رجلاً علىٰ الموت، فـقال أمـير المـؤمنين عليه السلام: «أُغـدوا بـنا إلىٰ أحـجار الزيت محلّقين» وحلّق أمير المؤمنين عليه السلام، فما وافىٰ من القوم محلّقاً إلّا أبو ذرّ والمقداد وحذيفة بن اليـمان وعمّار بن ياسر، وجاء سلمان فـي آخـر القـوم، فـرفع يـده إلىٰ السـماء فـقال: «اللـهم إنّ القـوم استضعفوني كما استضعفت بنو إسرائيل هارون، اللهم فإنّك تعلم ما نخفي وما نعلن، وما يخفىٰ عليك مـن شـيء فـي الأرض ولا فـي السـماء تـوفّني مسـلماً وألحـقني بالصالحين، أما والبيت والمفضي إلىٰ البيت ـ وفي نسخة: والمـزدلفة والخـفاف إلىٰ التجمير ـ لولا عهد عهده إليّ النـبيّ الأمّـيّ صلى الله عليه وآله لأوردت المـخالفين خـليج المـنيّة، ولأرسلت عليهم شآبيب صواعق الموت، وعن قليل سيعلمون»[1].

◁ بيان

أراد عليه السلام بقوله: «إذا ذكر الأمر» إلىٰ آخره، إنّكم تعرفون أهل العلم بفتواهم في الأُمور، ومع هذا نبذتموهم وخالفتموهم، وأراد بالنور في قوله: «ولسـان نـوركم» القـرآن «وأعداد» جمع عديد، وهو الندّ والقرن «والصيرة» بالمهملة ثـم المـثناة التـحتانية، ثم الراء: حظيرة للغنم والبقر «والذبّـان» بـتشديد البـاء جـمع ذبـاب، وكـنّىٰ «بـابن

١. الكافي ٨: ٣٢ / ٥.

آكلتها» عن معاوية[١]، فإنهم كانوا في الجاهلية يأكلون من كلّ خبيث نالوه «وأحجار الزيت» موضع داخل المدينة و «المفضي إلىٰ البيت» ماسّه بيده «والخفاف» سرعة الحركة، ولعلّ المراد بالتجمير رمي الجمار «والخليج» النهر «والشؤبوب» دفعة المطر وغيره.

[٥١٩] ١. الكافي: سدير، قال: كنّا عند أبي جعفر عليه السلام فذكرنا ما أحدث الناس بعد نبيّهم صلى الله عليه وآله واستذلالهم أمير المؤمنين عليه السلام، فقال رجل من القوم: أصلحك الله، فأين كان عزّ بني هاشم، وما كانوا فيه من العدد؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: «من كان بقي من بني هاشم؟ إنما كان جعفر وحمزة فمضيا، وبقي معه رجلان ضعيفان ذليلان حديثا عهد بالإسلام؛ عباس وعقيل، وكانا من الطّلقاء، أما والله لو أنّ حمزة وجعفراً كانا بحضرتهما ما وصلا إلىٰ ما وصلا إليه، ولو كانا شاهديهما لأتلفا أنفسهما»[٢].

[٥٢٠] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الناس لما صنعوا ما صنعوا إذ بايعوا أبابكر، لم يمنع أمير المؤمنين من أن يدعو إلىٰ نفسه إلّا نظراً للناس، وتخوّفاً عليهم أن يرتدّوا عن الإسلام، فيعبدوا الأوثان، ولا يشهدوا أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وكان الأحبّ إليه أن يقرّهم علىٰ ما صنعوا من أن يرتدّوا عن جميع الإسلام، وإنّما هلك الذين ركبوا ما ركبوا، فأمّا من لم يصنع ذلك ودخل فيما دخل فيه الناس علىٰ غير علم ولا عداوة لأمير المؤمنين عليه السلام، فإنّ ذلك لا يكفّره ولا يخرجه من الإسلام، فلذلك كتم عليّ عليه السلام أمره، وبايع مكرهاً حيث لم يجد أعواناً»[٣].

[٥٢١] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «الناس صاروا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة من اتّبع هارون، ومن اتّبع العجل، وإنّ أبا بكر دعا فأبىٰ عليّ عليه السلام إلّا القرآن، وإنّ عمر دعا فأبىٰ عليّ عليه السلام إلّا القرآن، وإنّ عثمان دعا فأبىٰ عليّ عليه السلام إلّا القرآن، وإنّه ليس من أحد يدعو إلىٰ أن يخرج

---

١. الظاهر من الحديث أن المراد بقوله: «ابن آكلة الذبان» هو خليفة الوقت، أي حين رحيل الرسول صلى الله عليه وآله، وقال المجلسي في المرآة ٢٥: ٧٦: المراد به أبوبكر.
٢. الكافي ٨: ١٨٩ / ٢١٦.
٣. الكافي ٨: ٢٩٥ / ٤٥٤.

الدجّال إلّا سيجد من يبايعه، ومن رفع راية ضلال فصاحبها طاغوت»[١].

[٥٢٢] ٤. الكافي: عنه عليه السلام قيل له: إنّ العامّة يزعمون أنّ بيعة أبي بكر حيث اجتمع الناس كانت رضاً لله تعالىٰ، وما كان الله ليفتن أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله من بعده؟ فقال عليه السلام: «أو ما يقرأون كتاب الله؟ أوليس الله يقول: ﴿وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرّسل أفإن مات أو قتل انقلبتم علىٰ أعقابكم ومن ينقلب علىٰ عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾[٢]».

قيل: إنّهم يفسّرون علىٰ وجه آخر: قال: «أوليس قد أخبر الله عن الذين من قبلهم من الأُمم أنّهم قد اختلفوا من بعد ما جاءتهم البيّنات حيث قال: ﴿وآتينا عيسىٰ بن مريم البيّنات وأيّدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البيّنات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكنّ الله يفعل ما يريد﴾[٣] وفي هذا ما يستدلّ به علىٰ أنّ أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله قد اختلفوا من بعده، فمنهم من آمن ومنهم من كفر»[٤].

[٥٢٣] ٥. الكافي: عنه عليه السلام قيل له: إنّ الناس يفزعون إذا قلنا: إنّ الناس ارتدّوا؟ فقال: «إنّ الناس عادوا بعد ما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله أهل جاهلية، إنّ الأنصار اعتزلت فلم تعتزل بخير، جعلوا يبايعون سعداً وهم يرتجزون ارتجاز الجاهلية: ياسعد، أنت المرجوّ، وشعرك المرجّل، وفحلك المرجّم»[٥].

◁ **بيان**

المرجّل من الشعر: ما لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطة، بل بينهما، وكان المراد بالفحل: الشاعر الذي هاجاه، وبالمرجّم المرميّ بالحجارة أو بالهجو، فإنّ الفحول يقال للشعراء الغالبين بالهجاء من هاجاهم.

[٥٢٤] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «كان الناس أهل ردّة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله إلّا ثلاثة». فقيل: ومن الثلاثة

١. الكافي ٨: ٢٩٦ / ٤٥٦.
٢. آل عمران: ١٤٤.
٣. البقرة (٢): ٢٥٣.
٤. الكافي ٨: ٢٧٠ / ٣٩٨.
٥. الكافي ٨: ٢٩٦ / ٤٥٥.

فقال: «المقداد بن الأسود، وأبو ذرّ الغفاري، وسلمان الفارسي (رضي الله عنهم) ثم عرف أُناس بعد يسير وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحىٰ، وأبوا أن يبايعوا حتىٰ جاؤا بأمير المؤمنين عليه السلام مكرهاً فبايع، وذلك قول الله تعالىٰ: ﴿**وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم علىٰ أعقابكم ومن ينقلب علىٰ عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين**﴾»[1].

◁ **بيان**

أي دارت عليهم رحىٰ الإسلام، روىٰ الكشّي بإسناده عن الباقر عليه السلام أنّه قال: «**ارتدّ الناس إلّا ثلاثة نفر: سلمان، وأبو ذرّ، والمقداد**». قيل: فعمّار؟ قال: «**كان جاض جيضة ثم رجع**» ثم قال: «**إن أردت الذي لم يشكّ ولم يدخله شيء فالمقداد، فأمّا سلمان فإنّه عرض في قلبه أنّ عند أمير المؤمنين عليه السلام اسم الله الأعظم لو تكلّم به لأخذتهم الأرض، وهو هكذا، وأمّا أبوذرّ فأمره أمير المؤمنين عليه السلام بالسكوت، ولم يأخذه في الله لومة لائم، فأبىٰ إلّا أن يتكلّم**»[2].

وبإسناده: عنه، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ عليه السلام قال: «**ضاقت الأرض بسبعة، بهم ترزقون، وبهم تنصرون، وبهم تمطرون، منهم سلمان الفارسي، والمقداد، وأبوذرّ، وعمّار، وحذيفة رضي الله عنهم، وكان عليّ عليه السلام يقول: وأنا إمامهم، وهم الذين صلّوا علىٰ فاطمة عليها السلام**»[3].

[٥٢٥] ٧. الكافي: عنه عليه السلام، قيل له: ما كان ولد يعقوب أنبياء؟ قال: «لا، ولكنّهم كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء، ولم يكن فارقوا الدنيا إلّا سعداء، تابوا وتذكّروا ما صنعوا، وإنّ الشيخين فارقا الدنيا ولم يتوبا، ولم يتذكّرا ما صنعا بأمير المؤمنين عليه السلام، فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[4].

وفي رواية: «والله ما أُهريق محجمة من دم، ولاأُخذ مال من غير حلّه، ولا قلب حجر عن حجر إلّا ذاك في أعناقهما»[5].

---

١. الكافي ٨: ٢٤٥ / ٣٤١؛ والآية من سورة آل عمران (٣): ١٤٤.
٢. رجال الكشيّ: ١١.
٣. رجال الكشيّ: ٦.
٤. الكافي ٨: ٢٤٦ / ٣٤٣.
٥. الكافي ٨: ٦٣ / ٢٢.

[٥٢٦] ٨. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «خطب أمير المؤمنين عليه السلام بالمدينة، فحمد الله وأثنىٰ عليه، وصلّىٰ علىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله، ثم قال: أمّا بعد، فإنّ الله تعالىٰ لم يقصم جبّاري دهر إلّا من بعد تمهيل ورخاء، ولم يجبر كسر عظم من الأمم إلّا بعد أزل وبلاء.

أيّها النّاس، في دون ما استقبلتم من خطب واستدبرتم من خطب معتبر، وما كلّ ذي قلب بلبيب، ولا كلّ ذي سمع بسميع، ولا كلّ ذي ناظر عين ببصير.

عباد الله، أحسنوا فيما يغنيكم النظر فيه، ثم انظروا إلىٰ عرصات من قد أقاده الله بعلمه، كانوا علىٰ سنّة من آل فرعون، أهل جنّات وعيون، وزروع ومقام كريم، ثم انظروا بما ختم الله لهم بعد النضرة والسرور، والأمر والنهي، ولمن صبر منكم العاقبة في الجنان والله مخلّدون ولله عاقبة الأمور.

فياعجباً! وما لي لا أعجب من خطأ هذه الفرق علىٰ اختلاف حججها في دينها، لا يقتصّون أثر نبيّ، ولا يقتدون بعمل وصيّ، ولا يؤمنون بغيب، ولا يعفون عن عيب، المعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا، وكلّ امرئٍ منهم إمام نفسه، أخذ منها فيما يرىٰ بعرى وثيقات، وأسباب محكمات، فلا يزالون بجور ولن يزدادوا إلّا خطأً، ولا ينالون تقرّباً، ولن يزدادوا إلّا بعداً، قسمتهم من الله أُنس بعضهم ببعض، وتصديق بعضهم لبعض، كلّ ذلك وحشة ممّا ورّث النبيّ الأُمّيّ صلى الله عليه وآله، ونفوراً ممّا أدّىٰ إليهم من أخبار فاطر السموات والأرض، أهل حسرات، وكهوف شبهات، وأهل عشوات وضلالة وريبة، من وكله الله إلىٰ نفسه ورأيه فهو مأمون عند من يجهله، غير المتّهم عند من لا يعرفه، فما أشبه هؤلاء بأنعام قد غاب عنها رعاؤها! و واأسفاً من فعلات شيعتي من بعد قرب مودّتها اليوم، كيف يستذلّ بعدي بعضها بعضاً، وكيف يقتل بعضها بعضاً، المتشتّتة غداً عن الأصل، النازلة بالفرع، المؤمّلة الفتح من غير جهته، كلّ حزب منهم آخذ منه بغصن، أينما مال الغصن مال معه، مع أنّ الله ـ وله الحمد ـ سيجمع هؤلاء لشرّ يوم لبني أُميّة كما يجمع قزع الخريف، يؤلّف الله بينهم، ثم يجعلهم ركاماً كركام السحاب، ثم يفتح لهم أبواباً يسيلون من مستثارهم كسيل الجنّتين ـ سيل العرم ـ حيث نقب[1] عليه فأرة فلم يثبت عليه أكمة، ولم يردّ سنّته[2]

---

١. في المصدر: بعث.

رض‌طود، يذعذعهم الله في بطون أودية، ثم يسلكهم ينابيع في الأرض، يأخذ بهم من قوم حقوقَ قوم، ويمكّن بهم قوماً في ديار قوم، تشريداً لبني أُميّة، ولكيلا يغتصبوا ما غُصبوا، يضعضع الله بهم ركناً، وينقض بهم طيّ الجنادل من إرم، ويملأ منهم بطنان الزيتون.

فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ليكوننّ ذلك، وكأنّي أسمع صهيل خيلهم وطمطمة رجالهم، وأيم الله ليذوبنّ ما في أيديهم بعد العلوّ والتمكّن في البلاد، كما تذوب الألية علىٰ النار، من مات منهم مات ضالاً، وإلىٰ الله تعالىٰ يفضي منهم من درج، ويتوب الله تعالىٰ علىٰ مرتاب، ولعلّ الله يجمع شيعتي بعد التشتّت لشرّ يوم لهؤلاء، وليس لأحد علىٰ الله عزّ ذكره الخيرة، بل لله الخيرة والأمر جميعاً.

أيّها الناس، إنّ المنتحلين للإمامة من غير أهلها كثير، ولو لم تتخاذلوا عن مرّ الحقّ ولم تهنوا عن توهين الباطل؛ لم يشجع عليكم من ليس مثلكم، ولم يقو من قوي عليكم، وعلىٰ هضم الطاعة وإزوائها عن أهلها، لكن تهتم كما تاهت بنو إسرائيل علىٰ عهد موسىٰ عليه السلام، ولعمري ليضاعفنّ عليكم التّيه من بعدي أضعاف ما تاهت بنو إسرائيل.

ولعمري أن لو قد استكملتم من بعدي مدّة سلطان بني أُميّة، لقد اجتمعتم علىٰ سلطان الداعي إلىٰ الضلالة، وأحييتم الباطل، وخلّفتم الحق خلف ظهوركم، وقطعتم الأدنىٰ من أهل بدر، ووصلتم الأبعد من أبناء الحرب لرسول الله.

ولعمري أن لو قد ذاب ما في أيديهم لدنا التمحيص للجزاء، وقرب الوعد، وانقضت المدّة، وبدا بكم النجم ذو الذنب من قبل المشرق، ولاح لكم القمر المنير، فإذا كان ذلك فراجعوا التوبة، واعلموا أنكم إن اتّبعتم طالع المشرق سلك بكم مناهج الرسول صلى الله عليه وآله، فتداويتم من العمىٰ والصمم والبكم، وكفيتم مؤنة الطلب والتعسف، ونبذتم الثقل الفادح عن الأعناق، ولا يبعد الله إلّا من أبىٰ وظلم واعتسف وأخذ ما ليس له «**وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون**»[٣].

---

٢. في المصدر: سننه.

٣. الكافي ٨: ٦٣ / ٢٢؛ والآية من سورة الشعراء ٢٦: ٢٢٧.

◁ **بيان**

«الأزل» الشدة والضيق «فيما يغنيكم النظر فيه» كذا وجدناه في النسخ، بإعجام العين، والصواب إهمالها، أي: يهمّكم. ولعلّه ممّا صحّف، «أقاده الله» من القود، فإنّهم قد أصابوا دماءً بغير حقّ «والاقتصاص» الاقتفاء والاتّباع فيما يرىٰ من الرأي، وهذا نصّ في المنع عن الاجتهاد في الأحكام الشرعيّة واستنباطها من المتشابهات بالرأي، وترك النصوص، ولعلّه عليه السلام أراد بالأصل الإمام الحقّ، وبالفرع أولاده المدّعين للإمامة، وبالفتح ظهور دولة الحقّ، وبالغصن كلّ مدّع منهم «والقزع» بالقاف ثم الزاي ثم العين المهملة: قطع السّحاب، وإنّما خصّ الخريف لأنّه أوّل الشتاء، والسّحاب يكون فيه متفرقاً غير متراكم ولا مطبق، ثم يجتمع بعضه إلىٰ بعض بعد ذلك، كذا في (النهاية).

«والرّكام» المتراكب بعضه فوق بعض «من مستثارهم» أي محلّ انبعاثهم وتهيّجهم، وكأنّه أشار عليه السلام بذلك إلىٰ فتن أبي مسلم المروزي واستئصاله لبني أميّة، وإنّما شبّههم بسيل العرم لتخريبهم البلاد وأهلها الذين كانوا في خفض ودعة، وأُريد بالجنتين جماعتان من البساتين: جماعة عن يمين بلدتهم، وجماعة عن شمالها، رُوي أنها كانت أخصب البلاد وأطيبها، لم يكن فيها عاهة ولاهامّة، وفسّر العرم تارة بالصعب، وأُخرىٰ بالمطر الشديد، وأُخرىٰ بالجرذ، وأُخرىٰ بالوادي، وأُخرىٰ بالأحباس التي تبنى في الأودية، ومنه قيل: إنه اصطرخ أهل سبأ، قيل: إنما أُضيف السيل إلىٰ الجرذ، لأنه نقب عليهم سدّاً ضربته لهم بلقيس، فحفّت به الماء، وتركت فيه ثقباً علىٰ مقدار ما يحتاجون إليه، أو المسنّاة التي عقدت سدّاً، علىٰ أنّه جمع عرمة: وهي الحجارة المركومة، وكان ذلك بين عيسىٰ ومحمّد عليهما السلام.

«والأكمة» التّل «والرضّ» الدّقّ الجريش «والطود» الجبل، وفي بعض النسخ: رص طود، بالصاد المهملة، فيكون بمعنىٰ الإلزاق والضمّ، ولعلّه الصواب، والضمير في «سنته» يرجع إلىٰ السيل، أو إلىٰ الله تعالىٰ «والذعذعة» بالذالين المعجمتين والعينين المهملتين: التفريق «والتضعضع» الهدم والإذلال «وإرم» دمشق والاسكندرية، ويقال لحجارة تنصب علماً في المفازة «وبطنان» جمع بطن، وهو الغامض من الأرض «وزيتون» مسجد دمشق، أو جبال الشام. و الطمطمة فى الكلام أن يكون فيه عجمة «يفضي منهم من درج» أي يرجع من مات «والإزواء» الصرف «والفادح» المثقل الصعب، ولعلّ طالع المشرق كناية عن القائم (صلوات الله عليه)

وأمثال هذه الكلمات عنه عليه السلام أكثر من أن تحصىٰ.

◆ ◆ ◆

باب

ابتلاء الصحابة بعضهم ببعض ثمّ بابليس ثمّ بالتمحيص

[٥٢٧] ١. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «لمّا أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد عليّ عليه السلام يوم الغدير، صرخ إبليس في جنوده صرخة، فلم يبق منهم أحد في بحر ولا برّ إلّا أتاه، فقالوا: ياسيّدهم ومولاهم، ماذا دهاك؟ فما سمعنا لك صرخة أوحش من صرختك هذه؟ فقال لهم: فعل هذا النبيّ فعلاً إن تمّ لم يعص الله أبداً. فقالوا: ياسيّدهم، أنت كنت لآدم، فلمّا قال المنافقون: إنّه ينطق عن الهوىٰ، وقال أحدهما لصاحبه: أما ترىٰ عينيه تدوران في رأسه كأنّه مجنون ـ يعنون رسول‌الله صلى الله عليه وآله ـ صرخ إبليس صرخة تطرب، فجمع أولياءه، ثم قال: أما علمتم أنّي كنت لآدم من قبل؟ قالوا: نعم، قال: آدم نقض العهد ولم يكفر بالربّ، وهؤلاء نقضوا العهد وكفروا بالرّسول.

فلمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وأقام الناس غير عليّ عليه السلام، لبس إبليس تاج الملك ونصب منبراً وقعد في ألوثبة[1] وجمع خيله ورجله، ثم قال لهم: أطربوا، لا يطاع الله حتىٰ يقوم إمام».

وتلا أبو جعفر عليه السلام: ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنّه فاتّبعوه إلّا فريقاً من المؤمنين﴾[2] فقال عليه السلام: «كان تأويل هذه الآية لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، والظنّ من إبليس حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله إنّه ينطق عن الهوىٰ، فظنّ بهم إبليس ظنّاً فصدّقوا ظنّه»[3].

[٥٢٨] ٢. الكافي: سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت سلمان الفارسي رحمه الله يقول: لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وصنع النّاس ما صنعوا، وخاصم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح الأنصاري فخصموهم بحجّة عليّ عليه السلام، قالوا: يامعشر الأنصار، قريش أحقّ منكم بالأمر، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله من

---

١. في بعض النسخ: الزينة، والوثبة: الوسادة.
٢. سبأ (٣٤): ٢٠.
٣. الكافي ٨: ٣٤٤ / ٥٤٢.

قريش، والمهاجرون منهم، إنّ الله عزّوجلّ بدأ بهم في كتابه وفضّلهم، وقد قال رسول الله ﷺ: «الأئمّة من قريش».

قال سلمان رضي الله عنه: فأتيت عليّاً عليه السلام وهو يغسّل رسول الله ﷺ، فأخبرته بما صنع الناس، وقلت: إنّ أبا بكر الساعة على منبر رسول الله ﷺ، والله ما يرضى أن يبايعوه بيد واحدة، إنّهم ليبايعونه بيديه جميعاً بيمينه وشماله، فقال لي: «ياسلمان، هل تدري من أوّل من بايعه على منبر رسول الله ﷺ؟» قلت: لا أدري، إلّا أنّي رأيت في ظلّة بني ساعدة حين خصمت الأنصار، وكان أول من بايعه بشر بن سعد، وأبو عبيدة بن الجراح، ثم عمر، ثم سالم، قال: «لست أسألك عن هذا، ولكن تدري أوّل من بايعه حين صعد على منبر رسول الله ﷺ؟» قلت: لا، ولكّني رأيت شيخاً كبيراً متوكّئاً على عصاه، بين عينيه سجّادة، شديد التشمير، صعد إليه أوّل من صعد وهو يبكي ويقول: الحمد لله الذي لم يمتني من الدنيا حتى رأيتك في هذا المكان، أبسط يدك، فبسط يده فبايعه، ثم نزل فخرج من المسجد، فقال عليّ عليه السلام: «هل تدري من هو؟» قلت: لا، ولقد ساءتني مقالته، كأنّه شامت بموت النبيّ ﷺ.

فقال: «ذاك إبليس لعنه الله، أخبرني رسول الله ﷺ أنّ إبليس ورؤساء أصحابه شهدوا نصب رسول الله ﷺ إيّاي للنّاس بغدير خمّ بأمر الله عزّوجلّ، فأخبرهم أنّي أولى بهم من أنفسهم، وأمرهم أن يبلّغ الشاهد الغائب، فأقبل إلى إبليس أبالسته ومردة أصحابه، فقالوا: إنّ هذه أُمّة مرحومة ومعصومة، وما لك وما لنا عليهم سبيل، قد أُعلموا إمامهم ومفزعهم بعد نبيّهم، فانطلق إبليس لعنه الله كئيباً حزيناً. وأخبرني رسول الله ﷺ أنّه لو قبض أنّ الناس يبايعون أبا بكر في ظلّة بني ساعدة بعد ما يختصمون، ثم يأتون المسجد فيكون أوّل من يبايعه على منبري إبليس في صورة رجل شيخ مشمّر يقول كذا وكذا، ثم يخرج فيجمع شياطينه وأبالسته فينخر ويكسع ويقول: كلّا، زعمتم أن ليس لي عليهم سبيل، فكيف رأيتم ما صنعت بهم حتى تركوا أمر الله عزّ ذكره وطاعته وما أمرهم به رسول الله ﷺ»[1].

◁ **بيان**

«الكسع» ضرب الدبر باليد أو بصدر القدم.

---

١. الكافي ٨: ٣٤٣ / ٥٤١.

[٥٢٩] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لما بويع بعد مقتل عثمان، صعد المنبر وخطب بخطبة ذكرها يقول فيها: ألا إنّ بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله عزّوجلّ نبيّه صلى الله عليه وآله، والذي بعثه بالحقّ لتبلبلنّ بلبلة ولتغربلنّ غربلة حتىٰ يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم، وليسبقنّ سبّاقون كانوا قصروا، وليقصرنّ سبّاقون كانوا سبقوا، والله ما كتمت وشمة، ولا كذبت كذبة، ولقد نبّئت بهذا المقام وهذا اليوم»[1].

◁ **بيان**

«إنّ بليّتكم قد عادت» يعني صرتم أهل جاهلية حيارىٰ في أمر دينكم، مضطرين إلىٰ من يحملكم علىٰ الهدىٰ ويسلك بكم طريق الاستقامة طوعاً منكم أو كرهاً كما كنتم حين بعث النبيّ صلى الله عليه وآله كذلك، كما قال عليه السلام في خطبته له: **«بعثه والناس ضلّال في حيرة، وحاطبون في فتنة، قد استهوتهم الأهواء، واستزلّتهم الكبراء، واستخفّتهم الجاهلية الجهلاء، حيارىٰ في زلزال من الأمر، وبلاء من الجهل، فبالغ في النصيحة ومضىٰ علىٰ الطريقة، ودعا إلىٰ الحكمة والموعظة»**[2].

و **«البلبلة»**: اختلاط الألسنة وتفريق الآراء وشدّة الهمّ والوسواس، وأراد بها هاهنا اختلاف أهوائهم عن الشبهات التي كان يلقيها إليهم الشيطان، فإنّ ذلك الأمر يشبه ما كانوا عليه حين بعث الرسول صلى الله عليه وآله.

«والغربلة»: نخل الدقيق ونحوه، وإنما يغربلون غربلة ليتميّز محسنهم من مسيئهم **﴿ليميّز الله الخبيث من الطيّب ويجعل الخبيث بعضه علىٰ بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم﴾**[3] وقيل: لفظ الغربلة مستعار لالتقاط آحادهم بالقتل والأذىٰ، كما فعلوا بكثير من الصحابة والتابعين.

«حتىٰ يعود أسفلكم أعلاكم» أصاغركم أكابر، وأذلاؤكم أعزّاء **«وليسبقنّ سبّاقون»** كان من حقّهم السبق **«كانوا قصّروا»** تأخّروا ظلماً **«وليقصرنّ سبّاقون»** لم يكن من حقّهم السبق، قيل: أشار به إلىٰ ما علمه من سرّ القدر من تقصير من كان له سبق في الدين وتقدّم رتبة فيه، أو إلىٰ سبق من كان قصر فيه في أوّله أو سبق من كان قاصراً في أول الإسلام عن الخلافة والإمارة في آخر الزمان إليها وتقصير

---

١. الكافي ١: ٣٦٩ / ١.
٢. نهج البلاغة: خ ٩٥.
٣. الأنفال (٨): ٣٧.

من سبق إليها عن بلوغها.

«والوشمة» بالمعجمة: الكلمة، أراد أنّه لم يكتم كلمة مما أخبره به النبيّ ﷺ، وتعيّن عليه بتبليغه، وهذا المقام هو مقام بيعة الناس له، وهذا اليوم يوم اجتماعهم عليه.

❖ ❖ ❖

باب

ابتلاء أهل البيت عليهم السلام بالناس

[٥٣٠] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ أعفىٰ نبيّكم أن يلقىٰ من أمّته ما لقيت الأنبياء من أُممها، وجعل ذلك علينا»[١].

◁ بيان

يعني أعفاه عن أذىٰ أُمّته إياه قدر ما آذت الأُمم الأُخر أنبياءهم، وجعل أذىٰ هذه الأمة علينا دونه ﷺ، وكأنّه عليه السلام أراد بذلك الأذىٰ الجسماني، لأنّه ﷺ قد أُوذي من قبل منافقي هذه الأُمة من الأذىٰ الروحاني أكثر مما أُوذيت الأنبياء قبله، كما ورد عنه ﷺ أنّه قال: «ما أُوذي نبيّ مثل ما أُوذيت»[٢] إلّا أن يقال: إنّه ﷺ جعل أذىٰ أهل بيته أذىٰ نفسه في هذا الخبر، إن صحّ نقله عنه.

[٥٣١] ٢. الكافي: أبو هاشم، قال: لمّا أُخرج بعليّ عليه السلام خرجت فاطمة عليها السلام واضعة قميص رسول الله ﷺ علىٰ رأسها، آخذة بيد ابنيها، فقالت: «ما لي ولك ياأبابكر، تريد أن توتم ابنيّ وترمّلني من زوجي؟! والله لولا أن تكون سيئة لنشرت شعري ولصرخت إلىٰ ربّي» فقال رجل من القوم: ما تريد إلّا هذا، ثم أخذت بيده، وانطلقت به[٣].

◁ بيان

إنّما أُخرج بعليّ عليه السلام ليأخذوا منه البيعة لأبي بكر، «ما تريد إلّا هذا» يعني ما تريد فاطمة إلّا علياً عليه السلام أن تأخذه منهم خوفاً عليه أن يقتل.

---

١. الكافي ٨: ٢٥٢ / ٣٥٢.
٢. كشف الغمة ٢: ٥٣٧.
٣. الكافي ٨: ٢٣٨ / ٣٣٠.

[٥٣٢] ٣. **الكافي: عن الباقر** عليه السلام: «والله لو نشرت شعرها ماتوا طرّاً»[١].

وفي رواية أنّها قالت: «والله يابن الخطّاب، لولا أنّي أكره أن يصيب البلاء من لا ذنب له؛ لعلمت أنّي سأقسم على الله، ثمّ أجده سريع الإجابة»[٢].

[٥٣٣] ٤. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «جاءت فاطمة عليها السلام إلى سارية في المسجد وهي تقول وتخاطب النبيّ صلى الله عليه وآله:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختلّ قومك وأشهدهم ولا تغب»[٣]

◁ بيان

«السارية» الأُسطوانة، «والهنبثة» بالنون والباء الموحدة ثم الثاء المثلثة: الأمر الشديد، والاختلاط في القول.

[٥٣٤] ٥. **الكافي: عنه** عليه السلام **أنّه قال:** «ياليتنا سيّارة مثل آل يعقوب حتى يحكم الله بيننا وبين خلقه»[٤].

◁ بيان

إنما تمنّى عليه السلام أن يكون مسافراً في البلاد مثل أولاد يعقوب، لكثرة ما لقيه من الأذى في بلده من العشائر والسلطان الجائر، وخروج بني عمّه واحد بعد واحد على السلطان، وهلاكه على يديه إلى غير ذلك.

[٥٣٥] ٦. **الكافي: عنه** عليه السلام: **إذا ذكر رسول الله** صلى الله عليه وآله **قال:** «بأبي وأمّي وقومي وعشيرتي، عجب للعرب كيف لا تحملنا على رؤوسهم، والله تعالى يقول: ﴿وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ فبرسول الله صلى الله عليه وآله أُنقذوا»[٥].

[٥٣٦] ٧. **الفقيه: عنه** عليه السلام: «بليّة الناس علينا عظيمة، إن دعوناهم لم يجيبونا، وإن تركناهم لم

---

١. الكافي ٨: ٢٣٨ / ٣٢١.
٢. الكافي ٨: ٣٧٦ / ٥٤٦.
٣. الكافي ٨: ٣٧٥/ باب خطبة امير المؤمنين.
٤. الكافي ٨: ١٦٦ / ١٧٩.
٥. الكافي ٨: ٢٦٦ / ٣٨٨.

يهتدوا بغيرنا»[١].

[٥٣٧] ٨. الكافي: عن السّجاد عليه السلام: «ما ندري كيف نصنع بالناس، إن حدّثناهم بما سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله ضحكوا، وإن سكتنا لم يسعنا».

فقال ضمرة بن معبد: حدّثنا، فقال: «هل تدرون ما يقول عدّو الله إذا حمل علىٰ سريره؟» قال: فقلنا: لا، قال: «فإنّه يقول لحملته: ألا تسمعون أنّي أشكو إليكم عدّو الله خدعني وأوردني ثمّ لم يصدرني؟ وأشكو إليكم إخواناً واخيتهم فخذلوني، وأشكو إليكم أولاداً حاميت عليهم فأسلموني[٢]، وأشكو إليكم داراً أنفقت فيها حريبتي وصار سكّانها غيري، فارفقوا بي ولا تستعجلوا».

فقال ضمرة: ياأبا الحسن، إن كان هذا يتكلّم بهذا الكلام، يوشك أن يثب علىٰ أعناق الذين يحملونه؟ فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: «اللهم إن كان ضمرة هزء من حديث رسولك فخذه أخذة أسف».

فمكث أربعين يوماً ثم مات، فحضره مولىٰ له، فلما دفن أتىٰ عليّ بن الحسين عليه السلام، فجلس إليه، فقال له: «من أين جئت يافلان؟» قال: جئت من عند قبر ضمرة، فوضعت وجهي عليه حين سوّي عليه فسمعت صوته والله أعرفه كما كنت أعرفه وهو حيّ، يقول: ويلك ياضمرة بن معبد اليوم خذلك كلّ خليل وصار مصيرك إلىٰ الجحيم، فيها مسكنك ومبيتك والمقيل.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: «أسأل الله العافية، هذا جزاء من يهزأ من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله»[٣].

[٥٣٨] ٩. الكافي: عنه عليه السلام: «والله لا يخرج واحد منّا قبل خروج القائم إلّا كان مثله مثل فرخ طار من وكره قبل أن يستوي جناحاه، فأخذه الصبيان فيعبثوا به»[٤].

[٥٣٩] ١٠. الكافي: شهاب بن عبد ربّه، قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «ياشهاب، يكثر القتل في أهل بيت من قريش حتىٰ يدعىٰ الرجل منهم إلىٰ الخلافة فيأباها».

---

١. الفقيه ٤: ٤٠٥ / ٥٨٧٥.
٢. في الكافي: «فخذلوني».
٣. الكافي ٣: ٢٣٤ / ٤.
٤. الكافي ٨: ٢٦٤ / ٣٨٢.

ثم قال: «ياشهاب، ولا تقل أنّي عنيت بني عمي هؤلاء». قال شهاب: أشهد أنّه قد عناهم[١].

◁ بيان

إنما نهاه عن قول ذلك إتّقاءً للفتنة، هذا ابتلاؤهم ببني أعمامهم حيث كانوا يخرجون علىٰ سلاطين الضلال فيقتلون، ولسنا نحن بمأذونين في أن نتكلّم في ذلك وندخل فيما بينهم، مع أنّه أشدّ ابتلائهم، فجزاهم الله علىٰ مصائبهم خير الجزاء بما صبروا وكانوا بأيام الله موقنين، و صلوات الله وسلامه علىٰ نبيّنا وعليهم أجمعين.

[٥٤٠] ١١. الكافي: عنه: «انّ الله تعالىٰ جعل الدّين دولتين؛ دولة لآدم، ودولة لإبليس، فدولة آدم هي دولة الله تعالىٰ، فإذا أراد الله تعالىٰ أن يعبد علانية أظهر دولة آدم، وإذا أراد الله أن يعبد سرّاً كانت دولة إبليس، فالمذيع لما أراد الله تعالىٰ ستره مارق من الدّين»[٢].

[٥٤١] ١٢. الكافي: عنه: «ولد المرداس من تقرّب منهم أكفروه، ومن تباعد منهم أفقروه، ومن ناواهم قتلوه، ومن تحصّن منهم أنزلوه، ومن هرب منهم أدركوه، حتّىٰ تنقضي دولتهم»[٣].

◁ بيان

لعلّ «المرداس» كناية عن العبّاس، «أنزلوه» أي من الحصن.

[٥٤٢] ١٣. الكافي: عنه: «أشكو إلىٰ الله وحدتي وتقلقلي بين أهل المدينة حتىٰ تقدموا وأراكم وآنس بكم، فليت هذا الطاغية أذن لي فأتّخذ قصراً في الطائف فسكنته، وأسكنتكم معي، وأضمن له أن لا يجيء من ناحيتنا مكروه أبداً»[٤].

❖ ❖ ❖

---

١. الكافي ٨: ٢٩٥ / ٤٥٣.
٢. الكافي ٨: ١٥٨ / ١٥٣.
٣. الكافي ٨: ٣٤١ / ٥٣٩.
٤. الكافي ٨: ٢١٥ / ٢٦١.

باب
ابتلاء الأئمة عليهم السلام بأصحابهم

[٥٤٣] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «لآخذنّ البريء منكم بذنب السقيم، ولم لا أفعل ويبلغكم عن الرجل ما يشينكم ويشينني فتجالسونهم وتحدّثونهم، فيمرّ بكم المارّ فيقول: هؤلاء شرّ من هذا، فلو أنّكم إذا بلغكم ما تكرهون زبرتموهم ونهيتموهم كان أبرّ بكم وبي»[١].

وفي رواية أخرىٰ، قيل له: إذاً لا يطيعونا ولا يقبلون منّا، فقال: «اهجروهم واجتنبوا مجالسهم»[٢].

[٥٤٤] ٢. الكافي: عنه عليه السلام إنّه كتب إلىٰ الشيعة: «ليعطفنّ ذو السنّ منكم والنهي علىٰ ذوي الجهل وطلّاب الرئاسة، أو لتصيبنّكم لعنتي أجمعين»[٣].

[٥٤٥] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «رحم الله عبداً حبّبنا إلىٰ النّاس ولم يبغّضنا إليهم، أما والله لو يروون محاسن كلامنا لكانوا به أعزّ، وما استطاع أحد أن يتعلّق عليهم بشيء، ولكّن أحدهم يسمع الكلمة فيحطّ إليها عشراً»[٤].

[٥٤٦] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «خلق في المسجد يشعرونا ويشهرون أنفسهم، أُولئك ليسوا منّا، ولا نحن منهم، انطلق فأداري وأستر، فيهتكون ستري، هتك الله سترهم، يقرلون: إمام، أما والله ما أنا بإمام إلّا لمن أطاعني، فأمّا من عصاني فلست له بإمام، لم يتعلّقون باسمي، ألا يلقون اسمي من أفواههم؟ فوالله لا يجمعني الله وإيّاهم في دار»[٥].

❖ ❖ ❖

---

١. الكافي ٨: ١٥٨ / ١٥٠.
٢. الكافي ٨: ١٦٢ / ١٦٩.
٣. الكافي ٨: ١٥٨ / ١٥٢.
٤. الكافي ٨: ٢٢٩ / ٢٩٣.
٥. الكافي ٨: ٣٧٤ / ٥٦٢.

باب

ابتلاء الأولياء بالتقية والخوف وكتمان الحديث في الجوف

[٥٤٧] ١. الكافي: عن أمير المؤمنين ﷺ في خطبة له: «اللهم وإنّي لأعلم أنّ العلم لا يأرز كلّه، ولا تنقطع موادّه، وأنّك لا تخلي أرضك من حجّة لك على خلقك، ظاهر ليس بالمطاع أو خائف مغمور، كيلا تبطل حججك ولا يضلّ أولياؤك بعد إذ هديتهم، بل أين هم وكم أولئك؟ الأقلّون عدداً، والأعظمون عند الله جلّ ذكره قدراً، المتّبعون لقادة الدّين الأئمة الهادين، الذين يتأدّبون بآدابهم، وينهجون نهجهم، فعند ذلك يهجم بهم العلم، على حقيقة الإيمان، فتستجيب أرواحهم لقادة العلم ويستلينون من حديثهم ما استوعر على غيرهم، ويأنسون بما استوحش منه المكذّبون وأباه المسرفون، أُولئك أتباع العلماء، صحبوا أهل الدّنيا بطاعة الله تعالى وأوليائه، ودانوا بالتقيّة عن دينهم، والخوف من عدوّهم، فأرواحهم معلّقة بالمحلّ الأعلى، فعلماؤهم وأتباعهم خرس صمت في دولة الباطل، ينتظرون لدولة الحقّ، وسيحقّ الله الحقّ بكلماته ويبطل الباطل.

هاه، هاه، طوبى لهم على صبرهم على دينهم في حال هدنتهم، وياشوقاه إلى رؤيتهم في حال ظهور دولتهم، وسيجمعنا الله وإيّاهم في جنات عدن ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريّاتهم»[1].

◁ **بيان**

«لا يأرز كلّه» بتقديم المهملة: لا ينضمّ بعضه إلى بعض، ولا يجتمع عند أهله، «هجم بهم العلم» يرد عليهم وروداً من حيث لا يشعرون «ما استوعر» ما استصعب، يعني من الأسرار المكنونة «فأرواحهم معلّقة بالمحلّ الأعلى» يعني نفضوا عن أذيال قلوبهم غبار التعلّق بهذه الخربة الموحشة الدنيّة، وتوجّهت أرواحهم إلى مشاهدة حضرة الربوبيّة، فهم مصاحبون بأشباحهم لأهل هذه الدار، وبأرواحهم للملائكة المقرّبين والأخيار.

---

١. الكافي ١: ٣٣٥ / ٣.

[٥٤٨] ٢. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «إنّ حديث آل محمّد صعب مستصعب، لا يؤمن به إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمّد فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه، وما اشمأزّت منه قلوبكم وأنكرتموه فردّوه إلىٰ الله والرسول وإلىٰ العالم من آل محمّد، وإنّما الهلاك أن يحدّث أحدكم بشيء منه لا يحتمله، فيقول: والله ما كان هذا، والله ما كان هذا، والإنكار هو الكفر»[1].

[٥٤٩] ٣. الكافي: عن السّجاد ﷺ وذكرت التقيّة يوماً عنده، فقال: «والله لو علم أبو ذرّ ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخىٰ رسول الله ﷺ بينهما، فما ظنّكم بسائر الخلق؟ إنّ علم العلماء صعب مستصعب لا يحتمله إلّا نبيّ مرسل أو ملك مقرّب أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، فقال: إنما صار سلمان من العلماء لأنّه امرؤ منّا أهل البيت، فلذلك نسبته إلىٰ العلماء»[2].

◁ **بيان**

«لقتله» وفي رواية أُخرىٰ: «لكفّره»[3] وذلك لأن مكنون العلم عزيز المنال دقيق المدرك صعب الوصول، يقصر عن بلوغه الفحول من العلماء فضلاً عن الضعفاء، ولهذا إنّما يخاطب الجمهور بظواهر الشرع ومجملاته دون أسراره وأغواره، لقصور أفهامهم عن إدراكها، وضيق حواصلهم عن احتمالها، إذ لا يسعهم الجمع بين الظاهر والباطن، فيظنّون تخالفهما وتنافيهما، فينكرون وينكرون ويكفّرون فيقتلون، «امرؤ منّا» لفرط اختصاصه بنا وانقطاعه إلينا واقتباسه من أنوارنا.

[٥٥٠] ٤. الكافي: عن الصادق ﷺ: «إنّ حديثنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلّا صدور منيرة، أو قلوب سليمة أو أخلاق حسنة، إنّ الله أخذ من شيعتنا الميثاق كما أخذ علىٰ بني آدم «ألست بربكم»[4] فمن وفىٰ لنا وفىٰ الله له بالجنة، ومن أبغضنا ولم يؤدّ إلينا حقّنا ففي النار خالداً مخلّداً»[5].

---

١. الكافي ١: ٤٠١ / ١.
٢. الكافي ١: ٤٠١ / ٢.
٣. رجال الكشّيّ: ١١.
٤. الاعراف (٧): ١٧٢.
٥. الكافي ١: ٤٠١ / ٣.

◁ **بيان**

يعني أخذ من شيعتنا الميثاق بكتمان سرّنا، كما أخذ علىٰ سائر بني آدم الميثاق بربوبيته «فمن وفىٰ لنا وفىٰ الله له بالجنة»[1] يدلّ علىٰ هذا قوله عليه السلام في حديث آخر: «إنّ أمرنا سرّ مستور في سرّ مقنّع بالميثاق من هتكه أذلّه الله»[2] ويحتمل أن يكون هذاالميثاق من توابع الميثاق بالولاية، وأن يكون السرّ الثاني إشارة إلىٰ الميثاق بالولاية.

[٥٥١] ٥. الكافي: سئل الهادي عليه السلام ما معنىٰ قول الصادق عليه السلام: «حديثنا لا يحتمله ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان؟» فجاء الجواب: «إنّما معنىٰ قول الصادق عليه السلام، أي: لا يحتمله ملك ولا نبيّ ولا مؤمن، إنّ الملك لا يحتمله حتىٰ يخرجه إلىٰ ملك غيره، والنبيّ لا يحتمله حتىٰ يخرجه إلىٰ نبيّ غيره، والمؤمن لا يحتمله حتىٰ يخرجه إلىٰ مؤمن غيره، فهذا معنىٰ قول جدّي»[3].

[٥٥٢] ٦. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ عندنا والله سرّاً من سرّ الله، وعلماً من علم الله، والله ما يحتمله ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، والله ما كلّف الله ذلك أحداً غيرنا، ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا، وإنّ عندنا سرّاً من سرّ الله، وعلماً من علم الله، أمرنا الله بتبليغه، فبلّغنا عن الله عزّوجلّ ما أمرنا بتبليغه، فلم نجد له موضعاً ولا أهلاً ولا حمّالة يحتملونه، حتىٰ خلق الله لذلك أقواماً خلقوا من طينة خلق منها محمّداً وآله وذرّيته عليهم السلام، ومن نور خلق الله منه محمّداً وذرّيته، وصنعهم بفضل صنع رحمته التي صنع منها محمّداً وذرّيته، فبلّغنا عن الله تعالىٰ ما أمرنا بتبليغه، فقبلوه واحتملوا ذلك، فبلغهم ذلك عنّا فقبلوه واحتملوه، وبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلىٰ معرفتنا وحديثنا، فلولا أنّهم خلقوا من هذا لما كانوا كذلك، لا والله ما احتملوه».

ثم قال: «إنّ الله تعالىٰ خلق أقواماً لجهنّم والنار، فأمرنا أن نبلّغهم كما

---

١. الكافي ١: ٤٠٦/باب ان حديثهم صعب مستصعب.
٢. بصائر الدرجات: ٢٨.
٣. الكافي ١: ٤٠١ / ٤.

بلّغناهم، واشمأزّوا من ذلك ونفرت قلوبهم، وردّوه علينا، ولم يحتملوه وكذّبوا به، وقالوا: ساحر كذّاب، فطبع الله على قلوبهم وأنساهم ذلك، ثم أطلق الله تعالىٰ لسانهم ببعض الحق، فهم ينطقون به وقلوبهم منكرة، ليكون ذلك رفعاً عن أوليائه وأهل طاعته، ولولا ذلك ما عبد الله في أرضه، فأمرنا بالكفّ عنهم والسرّ والكتمان، فاكتموا عمّن أمر الله بالكفّ عنه، واستروا عمّن أمر الله بالستر والكتمان عنه».

ثم رفع يده وبكىٰ، وقال: «اللهم إنّ هؤلاء لشرذمة قليلون، فاجعل محيانا محياهم، و مماتنا مماتهم، ولا تسلّط عليهم عدوّاً لك فتفجعنا بهم، فإنك إن أفجعتنا بهم لم تعبد أبداً في أرضك، وصلىٰ الله علىٰ محمّد وآله وسلّم تسليماً»[1].

◁ **بيان**

«ان نبلّغهم كما بلّغناهم» يعني كما بلّغنا الأولين، وفي الكلام حذف، يعني فبلّغناهم فما قبلوه واشمأزّوا وردّوه علينا، ولو كانوا ردّوه إليهم لكان خيراً لهم، ولكّنهم لسوء طينتهم ردّوه عليهم وكذّبوا به «وأنساهم ذلك» نبّه بذلك علىٰ أنّهم لو كانوا ذاكرين لما سمعوه منهم ﷺ لما نطقوا به أبداً لفرط عنادهم لهمﷺ وبغضهم إيّاهم، ولكّنهم لمّا أنساهم الله ذلك نطقوا ببعضه عن طريق آخر بإنطاق الله إيّاهم له، وإطلاقه لسانهم به لحكمة له سبحانه في ذلك، وهو الدفع عن أوليائه، فإنّهم إذا كانوا شركاء لهم في النطق به، فلا يسعهم الأذىٰ لهم بسببه، فقوله: «ليكون ذلك» أي ليكون نطقهم ببعض الحق لا إنكارهم بقلوبهم، فإنّها جملة معترضة، وإنّما كانت قلوبهم منكرة لأهل هذا العلم والسرّ بأعيانهم حسداً منهم عليهم وعداوة لهم، وليست منكرة للعلم نفسه، ولهذا ينطقون ببعضه، وهذا مثل طائفة من أهل الخلاف الناطقين ببعض الأسرار الإلهية المنكرين لفضل أهل البيت، الجاهلين لعلوّهم ورتبتهم، وربّما يوجد فيهم من يظنّ بنفسه أنّه خير منهم وأعلم وأكمل، فأمرونا ﷺ بالكفّ عنهم وستر أمرنا وأمرهم «إنّ هؤلاء» إشارة إلىٰ العارفين بهذا العلم والسرّ كما هو حقّه.

❖ ❖ ❖

باب

ابتلاء المؤمنين بغيبة إمامهم وفقد التوقيت لها

[٥٥٣] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إيّاكم والتنويه، أما والله ليغيبنّ إمامكم سنيناً من دهركم، ولتمحصنّ حتىٰ يقال: مات، قتل، هلك، بأيّ واد سلك؟ ولتدمعنّ عليه عيون المؤمنين، ولتكفأنّ كما تكفأ السفن في أمواج البحر، فلا ينجو إلّا من أخذ الله ميثاقه، وكتب في قلبه الإيمان، وأيّده بروح منه، ولترفعنّ اثنتا عشرة راية مشتبهة، لا يدري أيّ من أيّ».

قال المفضّل بن عمر: فبكيت، ثم قلت: فكيف نصنع؟ قال: فنظر إلىٰ شمس داخلة في الصفّة، فقال: «ياأبا عبدالله، ترىٰ هذه الشمس؟» قلت: نعم، فقال: «والله لأمرنا أبين من هذه الشمس»[1].

◁ بيان

«التنويه» التشهير ورفع الذكر، والرايات المشتبهة: من أشراط ظهوره.

[٥٥٤] ٢. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ قد كان وقّت هذا الأمر في السبعين، فلمّا أن قتل الحسين عليه السلام اشتدّ غضب الله عزّوجلّ علىٰ أهل الأرض فأخّره إلىٰ أربعين ومائة، فحدّثناكم فأذعتم الحديث فكشفتم قناع الستر، ولم يجعل الله عزّوجلّ له بعد ذلك وقتاً عندنا و ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾»[2].

◁ بيان

«في السبعين» يعني من الهجرة النبويّة، أو الغيبة المهدويّة، والتأخير إنّما يكون بالبداء والمحو والإثبات كما مضىٰ تحقيقه، ويؤيد كون ابتداء المدة من الهجرة طلب أبي عبدالله الحسين عليه السلام حقّه بحوالي السبعين من الهجرة، واستشراف ظهور أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام فيما بعد أربعين ومائة بقليل.

[٥٥٥] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام، سئل: أخبرني عن هذا الأمر الذي ننتظره متىٰ هو؟ فقال: «كذب

---

١. الكافي ١: ٣٣٦ / ٣.

٢. الكافي ١: ٣٦٨ / ١.

الوقّاتون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلّمون»[١].

وفي رواية: «إنّا أهل بيت لا نوقّت»[٢].

[٥٥٦] ٤. الكافي: عن الباقر ﷺ سئل: لهذا الأمر وقت؟ فقال: «كذب الوقّاتون، كذب الوقّاتون، كذب الوقّاتون، إنّ موسىٰ ﷺ لمّا خرج وافداً إلىٰ ربّه واعدهم ثلاثين يوماً، فلمّا زاده الله علىٰ الثلاثين عشراً، قال قومه: قد أخلفنا موسىٰ، فصنعوا ما صنعوا، فإذا حدّثناكم الحديث فجاء علىٰ ما حدّثناكم، فقولوا: صدق الله، وإذا حدّثناكم الحديث فجاء علىٰ خلاف ما حدّثناكم به، فقولوا: صدق الله، تؤجروا مرتين»[٣].

◁ **بيان**

إنما يجيء علىٰ خلاف ما حدّثوا لاطّلاعهم عليه في كتاب المحو والإثبات قبل إثبات المحو ومحو الإثبات، كما مرّ تحقيقه، وإنّما يؤجرون مرّتين لإيمانهم بصدقهم أولاً، وثباتهم عليه بعد ظهور خلاف ما أخبروا به ثانياً.

❖ ❖ ❖

باب

التمحيص وفوائد زمان الغيبة

[٥٥٧] ١. الكافي: عن الصادق ﷺ: «ويل لطغاة العرب، من أمر قد اقترب». **قيل: جعلت فداك، كم مع القائم من العرب؟ قال:** «نفر يسير». **قيل: والله إنّ من يصف هذا الأمر منهم لكثير، قال:** «لابدّ للناس من أن يمحّصوا ويميّزوا ويغربلوا، ويستخرج في الغربال خلق كثير»[٤].

[٥٥٨] ٢. الكافي: عنه ﷺ: «لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتىٰ تغربلوا، ألا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتىٰ تمحّصوا، لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتىٰ تميزوا، لا والله ما يكون ما تمدّون إليه أعينكم إلّا بعد إياس، لا والله ما يكون ما

---

١. الكافي ١: ٣٦٨ / ٢.
٢. الكافي ١: ٣٦٨ / ٣.
٣. الكافي ١: ٣٦٨ / ٥.
٤. الكافي ١: ٣٧٠ / ٢.

تمدّون إليه أعينكم حتىٰ يشقىٰ مَن يشقىٰ ويسعد من يسعد»[١].

[٥٥٩] ٣. الكافي: عنه ـ، سئل: أيّما أفضل، العبادة في السرّ مع الإمام منكم المستتر في دولة الباطل، او العبادة في ظهور الحقّ و دولته مع الإمام منكم الظاهر؟ فقال: «الصدقة في السر والله أفضل من الصدقة في العلانية، وكذلك والله عبادتكم في السرّ مع إمامكم المستتر في دولة الباطل، وتخوّفكم من عدوّكم في دولة الباطل وحال الهدنة، أفضل ممّن يعبد الله عزّ ذكره في ظهور الحقّ مع إمام الحقّ الظاهر في دولة الحقّ، وليست العبادة مع الخوف في دولة الباطل مثل العبادة والأمن في دولة الحقّ.

واعلموا أنّ من صلّىٰ منكم اليوم صلاة فريضة في جماعة مستتراً بها من عدوّه في وقتها وأتمّها كتب الله له خمسين صلاة فريضة في جماعة، ومن صلّىٰ منكم صلاة فريضة وحده مستتراً بها من عدوّه في وقتها فأتمّها كتب الله له بها خمساً وعشرين صلاة فريضة وحدانية، ومن صلّىٰ منكم صلاة نافلة لوقتها فأتمها كتب الله له بها عشر صلوات نوافل، ومن عمل منكم حسنة كتب الله له بها عشرين حسنة، ويضاعف الله عزّوجلّ حسنات المؤمن منكم إذا أحسن أعماله ودان بالتقيّة علىٰ دينه وإمامه ونفسه وأمسك من لسانه أضعافاً مضاعفة، إنّ الله عزّوجلّ كريم».

قيل: جعلت فداك، قد والله رغّبتني في العمل وحثثتني عليه، ولكن أحبّ أن أعلم كيف صرنا نحن اليوم أفضل أعمالاً من أصحاب الإمام الظاهر منكم في دولة الحقّ ونحن علىٰ دين واحد؟

فقال: «إنّكم سبقتموهم إلىٰ الدخول في دين الله وإلىٰ الصلاة والصوم والحجّ وإلىٰ كلّ خير وفقه، وإلىٰ عبادة الله سرّاً من عدوّكم مع إمامكم المستتر، مطيعين له، صابرين معه، منتظرين لدولة الحقّ، خائفين علىٰ إمامكم وأنفسكم من الملوك الظلمة، تنظرون إلىٰ حقّ إمامكم وحقوقكم في أيدي الظلمة، قد منعوكم ذلك، واضطرّوكم إلىٰ حرث الدنيا وطلب المعاش، مع الصبر علىٰ دينكم وعبادتكم وطاعة إمامكم والخوف من عدوّكم، فبذلك ضاعف الله عزّوجل لكم الأعمال فهنيئاً لكم».

قيل: جعلت فداك، فما نتمنّىٰ إذاً أن نكون من أصحاب القائم ويظهر الحقّ، ونحن اليوم في إمامتك

---

١. الكافي ١: ٦/٣٧٠.

وطاعتك أفضل أعمالاً من أصحاب دولة الحق والعدل؟

فقال: «سبحان الله! أما تحبّون أن يظهر الله تعالىٰ الحقّ والعدل في البلاد، ويجمع الله الكلمة، ويؤلّف الله بين قلوب مختلفة، ولا يعصون الله تعالىٰ في أرضه، وتقام حدوده في خلقه، ويردّ الله الحقّ إلىٰ أهله فيظهر حتىٰ لا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق؟! أما والله لا يموت منكم ميت علىٰ الحال التي أنتم عليها إلّا كان أفضل عند الله من كثير من شهداء بدر وأُحد فأبشروا»[١].

[٥٦٠] ٤. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إعلموا أنّ المنتظر لهذا الأمر له مثل أجر الصائم القائم»[٢].

[٥٦١] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ القائل منكم إذا قال: إن أدركت قائم آل محمّد نصرته، كالمقارع معه بسيفه، والشهادة معه شهادتان»[٣].

◁ **بيان**

إحداهما لقوله هذا، والأُخرىٰ لوقوعها.

[٥٦٢] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية، ومن مات وهو عارف لإمامه لم يضرّه تقدّم هذا الأمر أو تأخّر، ومن مات وهو عارف لإمامه كان كمن هو مع القائم في فسطاطه»[٤].

[٥٦٣] ٧. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «أقرب ما يكون العباد من الله تعالىٰ وأرضىٰ ما يكون عنهم إذا افتقدوا حجة الله ولم يظهر لهم ولم يعلموا مكانه، وهم في ذلك يعلمون أنّه لم تبطل حجّة الله تعالىٰ ولا ميثاقه، فعند ذلك فتوقّعوا الفرج صباحاً ومساءً، وإن أشدّ ما يكون غضب الله علىٰ أعدائه إذا افتقدوا حجّته ولم يظهر لهم، وقد علم أنّ أولياءه لا يرتابون، ولو علم أنّهم يرتابون ما غيّب حجّته عنهم طرفة عين، ولا يكون ذلك إلّا علىٰ رأس شرار الناس»[٥].

---

١. الكافي ١: ٣٣٣ / ٢.
٢. الكافي ٢: ٢٢٢ / ٤.
٣. الكافي ٨: ٨١ / ٣٧.
٤. الكافي ١: ٣٧١ / ٥.
٥. الكافي ١: ٣٣٣ / ١.

◁ **بيان**

مما يؤيّد هذه الأخبار، ما رواه الصدوق ﷺ في «إكمال الدين» بإسناده عن أبي الحسن ﷺ عن آبائه ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «أفضل أعمال أمّتي انتظار الفرج»[١].

❖ ❖ ❖

باب
الابتلاء بالنعم

[٥٦٤] ١. الكافي: عن الصادق ﷺ: «ما من عبد تظاهرت عليه من الله نعمة إلّا اشتدّت مؤنة الناس عليه، فمن لم يقض للناس حوائجهم فقد عرّض النعمة للزوال» قيل: ومن يقدر أن يقوم لهذا الخلق بحوائجهم؟ فقال: «إنّما الناس في هذا الموضع والله المؤمنون»[٢].

[٥٦٥] ٢. الكافي: الفقيه: عنه ﷺ: «من عظمت نعم الله عليه اشتدّت مؤنة الناس عليه، فاستديموا النعمة باحتمال المؤنة، ولا تعرّضوها للزوال، فقلّ من زالت عنه النعمة فكادت تعود إليه»[٣].

[٥٦٦] ٣. الكافي: عنه ﷺ: «أحسنوا جوار النعم» قيل: وما حسن جوار النعم؟ قال: «الشكر لمن أنعم بها، وأداء حقوقها»[٤].

[٥٦٧] ٤. الكافي: عن الرضا ﷺ: «والله لما أخّر الله عن المؤمن في هذه الدنيا خير ممّا عجّل له فيها». ثم صغّر الدنيا، وقال: «أي شيء هي؟!» ثمّ قال: «إنّ صاحب النعمة على خطر، إنّه يجب عليه حقوق الله فيها»[٥].

❖ ❖ ❖

---

١. كمال الدين ٢: ٦٤٤ / ٥٥.
٢. الكافي ٤: ٣٧ / ٢.
٣. الكافي ٤: ٣٧ / ١؛ الفقيه ٢: ١٧٠٥.
٤. الكافي ٤: ٣٨ / ٢.
٥. الكافي ٣: ٥٠٢ / ١٩.

باب

الابتلاء بالفقر

[٥٦٨] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «كلّما ازداد العبد إيماناً ازداد ضيقاً في معيشته»[١].

[٥٦٩] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «لولا إلحاح المؤمنين علىٰ الله في طلب الرزق، لنقلهم من الحال التي هم فيها إلىٰ حال أضيق منها»[٢].

[٥٧٠] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «ما أعطي عبد من الدنيا إلّا اعتباراً، ولا زوي عنه إلّا اختباراً»[٣].

[٥٧١] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «ليس لمصاص شيعتنا في دولة الباطل إلّا القوت، شرّقوا إن شئتم أو غرّبوا لن ترزقوا إلّا القوت»[٤].

◁ بيان

«المصاص» خالص كلّ شيء.

[٥٧٢] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «ما كان من ولد آدم مؤمن إلّا فقيراً، ولا كافراً إلّا غنياً، حتىٰ جاء إبراهيم عليه السلام، فقال: ﴿ربّنا لا تجعلنا فتنةً للذين كفروا﴾ فصيّر الله في هؤلاء أموالاً وحاجة، وفي هؤلاء أموالاً وحاجة»[٥].

[٥٧٣] ٦. الكافي: عن السجاد عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿لو لا أن يكون الناس أمة واحدة﴾[٦] قال: «عنى بذلك أمة محمّد صلى الله عليه وآله أن يكونوا علىٰ دين واحد كفّاراً كلّهم ﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضّة﴾ ولو فعل الله ذلك بأمّة محمّد، لحزن المؤمنون وغمّهم ذلك، ولم يناكحوهم ولم يوارثوهم»[٧].

---

١. الكافي ٢: ٢٦١ / ٤.
٢. الكافي ٢: ٢٦١ / ٥.
٣. الكافي ٢: ٢٦١ / ٦.
٤. الكافي ٢: ٢٦١ / ٧.
٥. الكافي ٢: ٢٦٢ / ١٠.
٦. الزخرف ٤٣: ٣٣.
٧. الكافي ٢: ٢٦٥ / ٢٣.

◁ **بيان**

معنىٰ الآية لولا كراهة أن يجتمع الناس علىٰ الكفر، لجعلنا للكفّار سقوفاً من فضّة إلىٰ آخرها، ومعنىٰ الحديث أنّها نزلت في هذه الأُمّة خاصّة، يعني: لولا كراهة أن تجتمع هذه الأُمّة ـ يعني عامّتهم وجمهورهم ـ علىٰ الكفر فيلحقوا بسائر الكفّار ويكونوا جميعاً أمّةً واحدةً ولا يبقىٰ إلّا قليل ممّن محض الإيمان محضاً، فعبّر بالناس عن الأكثرين لقلّة المؤمنين، فكأنّهم ليسوا منهم.

[٥٧٤] ٧. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «وكّل الرزق بالحمق، ووكّل الحرمان بالعقل، ووكّل البلاء بالصبر»[١].

[٥٧٥] ٨. الكافي: عن النبي صلى الله عليه وآله: «ما أشدّ حزن النساء، وأبعد فراق الموت! وأشدّ من ذلك كلّه فقر يتملّق صاحبه ثم لا يعطىٰ شيئاً»[٢].

❖ ❖ ❖

باب

الابتلاء بالدّين وبوار الايّم

[٥٧٦] ١. الكافي: الفقيه، التهذيب: عن الصادق عليه السلام: «تعوّذ بالله من غلبة الدَّين وغلبة الرجال وبوار الأيّم»[٣].

◁ **بيان**

«الأيم» من لا زوج لها وبوارها كسادها، وفي (معاني الأخبار) عن الصادق عليه السلام: **«إنّ المتعوَّذ منه بوارها من جهة العاهة بها لا مطلق البوار»**[٤].

[٥٧٧] ٢. الكافي: عن النبي صلى الله عليه وآله: «لا وجع إلّا وجع العين، ولا همّ إلّا همّ الدَّين»[٥].

---

١. الكافي ٨: ٢٢١ / ٢٧٧.
٢. الكافي ٨: ٢٢٠ / ٢٧٣.
٣. الكافي ٥: ٩٢ / ١؛ الفقيه ٣: ١٨١ / ٣٦٧٩؛ التهذيب ٦: ١٨٣؛ باب الديون.
٤. معاني الأخبار: ٣٤٣ / ١.
٥. الكافي ٥: ١٠١ / ٤.

[٥٧٨] ٣. **الكافي: عنه** ﷺ: «الدَّين ربقة الله عزّوجلّ في الأرض، فإذا أراد الله جلّ اسمه أن يذلّ عبداً وضعه في عنقه»[١].

◁ **بيان**

«الربقة» عروة في حبل يجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها.

[٥٧٩] ٤. **الكافي: الفقيه، التهذيب: عن أمير المؤمنين** ﷺ: «إيّاكم والدَّين، فإنّه مذلّة بالنّهار ومهمّة بالليل، وقضاء في الدّنيا وقضاء في الآخرة»[٢].

وفي رواية: «إنّه شين للمَدين»[٣].

[٥٨٠] ٥. **الفقيه: عن الكاظم** ﷺ: «من طلب الرزّق من حلّه فغلب، فليستقرض على الله وعلىٰ رسوله ﷺ»[٤].

◁ **بيان**

«فغلب» أي غلبه الفقر والعيلة.

[٥٨١] ٦. **الكافي: الفقيه، عن النبيّ** ﷺ: «من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، وجبت له الجنّة» فقيل: يارسول الله، واثنتين؟ فقال: «واثنتين» فقيل: يارسول الله، وواحدة؟ فقال: «وواحدة»[٥].

[٥٨٢] ٧. **الفقيه قال الصادق** ﷺ: «من عال ابنتين أو أُختين أو عمّتين أو خالتين، حجبتاه من النار»[٦].

[٥٨٣] ٨. **الفقيه: وقال** ﷺ: «إذا أصاب الرجل ابنةً بعث الله عزّوجلّ إليها ملكاً فأمرّ جناحه علىٰ رأسها وصدرها وقال: ضعيفة خلقت من ضعف، المنفق عليها معان»[٧].

---

١. الكافي ٥: ١٠١ / ٥.
٢. الكافي ٥: ٩٥ / ١١؛ والفقيه ٣: ١٨٢ / ٣٦٨٢؛ التهذيب ٦: ١٨٣ / ٨١ / باب الديون.
٣. الفقيه ٣: ٢ / ٣٦٨٠.
٤. الفقيه ٣: ١٨٢ / ٣٦٨٤.
٥. الكافي ٦: ٦ / ١٠؛ الفقيه ٣: ٤٨٢ / ٤٦٩٨.
٦. الفقيه ٣: ٤٨٢ / ٤٧٠٠.
٧. الفقيه ٣: ٤٨٢ / ٤٦٩٩.

[٥٨٤] ٩. الكافي: الفقيه، قال: أُتي رجل وهو عند النبيّ ﷺ فأُخبر بمولود أصابه فتغيّر وجه الرجل، فقال النبيّ ﷺ: «ما لك»؟ فقال: خير، فقال له: «قل» قال: خرجت والمرأة تمخض، فأُخبرت أنّها ولدت جارية، فقال النبيّ ﷺ: «الأرض تقلّها والسماء تظلّها، والله يرزقها، وهي ريحانة تشمّها» ثم أقبل على أصحابه، فقال: «من كانت له ابنة فهو مفدوح، ومن كانت له اثنتان فياغوثاه بالله، ومن كانت له ثلاث وضع عنه الجهاد وكلّ مكروه، ومن كان له أربع فياعباد الله أعينوه، ياعباد الله أقرضوه، ياعباد الله ارحموه»[١].

◁ بيان

«تقلّها» تحملها «مفدوح» بالفاء: ذو تعب وثقل وصعوبة، وفي (الفقيه): مقروح، أي مقروح القلب.

◆ ◆ ◆

باب

الابتلاء بموت الولد والأحبّاء

[٥٨٥] ١. الكافي: عن الباقر ﷺ: «دخل رسول الله ﷺ على خديجة حين مات القاسم ابنها وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: درّت دريرة فبكيت، فقال: ياخديجة، أما ترضين إذا كان يوم القيامة أن يجيء إلى باب الجنة وهو قائم، فيأخذ بيدك فيدخلك الجنّة، وينزلك أفضلها، وذلك لكل مؤمن، إنّ الله تعالى أحكم وأكرم أن يسلب المؤمن ثمرة فؤاده ثم يعذّبه بعدها أبداً»[٢].

◁ بيان

«درّت دريرة» بالمهملتين: أي سالت سائلة، أرادت بها الدّمع.

[٥٨٦] ٢. الكافي: عن الجواد ﷺ، كتب إليه رجل يشكو إليه مصابه بولده وشدّة ما دخله، فكتب إليه: «أما علمت أنّ الله تعالى يختار من مال المؤمن ومن ولده أنفسه ليأجره على ذلك؟»[٣].

---

١. الكافي ٦: ٦ / ٦؛ الفقيه ٣: ٤٨٢ / ٤٦٩٧.
٢. الكافي ٣: ٢١٨ / ٢.
٣. الكافي ٣: ٢٦٣ / ٤٦.

[٥٨٧] ٣. الكافي: الفقيه عن النبيّ ﷺ: «إذا قبض ولد المؤمن، والله أعلم بما قال العبد، قال الله تعالىٰ لملائكته: قبضتم ولد فلان المؤمن؟ فيقولون: نعم ربّنا قال: «فيقول: فماذا قال عبدي؟ قالوا: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالىٰ لملائكته: أخذتم ثمرة قلبه وقرّة عينه فحمدني واسترجع، ابنوا له بيتاً في الجنّة وسمّوه بيت الحمد»[١].

[٥٨٨] ٤. الكافي: عن الصادق ﷺ: «إنّ الله تعالىٰ إذا أحبّ عبداً قبض أحبّ ولده إليه»[٢].

[٥٨٩] ٥. الكافي: عنه ﷺ: «من قدّم من المسلمين ولدين يحتسبهما عند الله، حجباه من النار بإذن الله تعالىٰ»[٣].

[٥٩٠] ٦. الكافي: الفقيه: عنه ﷺ: «ولد يقدّمه الرجل أفضل من سبعين ولداً يخلّفهم بعده كلّهم قد ركبوا الخيل وجاهدوا في سبيل الله»[٤].

[٥٩١] ٧. الكافي: الفقيه عنه ﷺ: «ثواب المؤمن من ولده إذا مات الجنّة صبر أو ولم يصبر»[٥].

[٥٩٢] ٨. الفقيه: عنه ﷺ: «لمّا مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ قال النبيّ ﷺ: حزناً عليك ياإبراهيم، وإنّا لصابرون، يحزن القلب وتدمع العين ولا نقول ما يسخط الربّ»[٦].

[٥٩٣] ٩. الكافي: الفقيه: لما مات ذرّ بن أبي ذرّ مسح أبو ذرّ القبر بيده، ثم قال: رحمك الله ياذرّ، والله إنّك كنت بي باراً، ولقد قبضت وإنّي عنك لراض، أما والله ما بي فقدك، وما عليّ من غضاضة، وما لي إلىٰ أحد سوىٰ الله من حاجة، ولولا هول المطّلع لسرّني أن أكون مكانك، ولقد شغلني الحذر لك من الحذر عليك، والله ما بكيت لك ولكن بكيت عليك، فليت شعري، ماذا قلت وماذا قيل لك!

ثم قال: اللهمّ إنّي قد وهبت له ما افترضت عليه من حقّي، فهب له ما افترضت عليه من حقّك، فأنت

---

١. الكافي ٣: ٢١٨ / ٤؛ الفقيه ١: ١٧٧ / ٥٢٣.
٢. الكافي ٣: ٢١٩ / ٥.
٣. الكافي ٣: ٢١٩ / ٦.
٤. الكافي ٣: ٢١٨ / ١؛ والفقيه ١: ١٧٦ / ٥١٩.
٥. الكافي ٣: ٢١٩ / ٨؛ الفقيه ١: ١٧٦ / ٥١٨.
٦. الفقيه ١: ١٧٧ / ٥٢٦.

أحقّ بالجود منّي والكرم[١].

◁ بيان

«ما بي فقدك» يعني: أنت لي الآن كما كنت قبل «والغضاضة»: الزلّة والمنقصة.

[٥٩٤] ١٠. الفقيه: قال ابن أبي ليلىٰ للصادق عليه السلام: أيّ شيء أحلىٰ ممّا خلق الله عزّوجلّ؟ فقال: «الولد الشاب» فقال: أيّ شيء أمرّ ممّا خلق الله تعالىٰ؟ فقال: «فقده» فقال: أشهد أنّكم حجج الله علىٰ خلقه[٢].

[٥٩٥] ١١. الفقيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يدخل الجنّة من ليس له فرط». فقال له رجل: فمن لم يولد له ولم يقدّم ولداً يارسول الله، أو لكلّنا فرط؟ فقال: «نعم، إنّ من فرط الرجل أخاه في الله عزّوجلّ»[٣].

❖ ❖ ❖

باب

الابتلاء بالمصيبة كانت ماكانت

[٥٩٦] ١. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إن أُصبت بمصيبةٍ في نفسك أو في مالك أوفي ولدك، فاذكر مصابك برسول الله صلى الله عليه وآله فإنّ الخلائق لم يصابوا بمثله قط»[٤].

[٥٩٧] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «لمّا مات النبيّ صلى الله عليه وآله سمعوا صوتاً ولم يروا شخصاً، يقول: ﴿كلّ نفس ذائقة الموت وإنما توفّون أُجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز﴾[٥] وقال: إنّ في الله خلفاً من كلّ هالك، وعزاءً من كلّ مصيبة، ودركاً ممّا فات، فبالله فثقوا، وإيّاه فارجوا، وإنّما المحروم من حرم الثواب»[٦].

---

١. الكافي ٣: ٢٥٠ / ٤؛ الفقيه ١: ١٨٥ / ٥٥٨.
٢. الفقيه ١: ١٨٨ / ٥٦٩.
٣. الفقيه ١: ١٧٦ / ٥٢٠.
٤. الكافي ٣: ٢٢٠ / ٢.
٥. آل عمران (٣): ١٨٥.
٦. الكافي ٣: ٢٢١ / ٤.

[٥٩٨] ٣. الفقيه: قال الصادق عليه السلام: «من خاف علىٰ نفسه من وجدٍ بمصيبته فليفض من دموعه فإنّه يسكن عنه»[١].

[٥٩٩] ٤. الفقيه: عنه عليه السلام: «لولا أنّ الصبر خُلق قبل البلاء لتفطّر المؤمن كما تتفطّر البيضة علىٰ الصفا»[٢].

[٦٠٠] ٥. الكافي، الفقيه: عن الباقر عليه السلام: «ما من عبد يصاب بمصيبة فيسترجع عند مصيبته ويصبر حين يفجأه، إلّا غفر الله له ما تقدّم من ذنبه، وكلّما ذكر مصيبة فاسترجع عند ذكر المصيبة، غفر له كلّ ذنب اكتسب فيما بينهما»[٣].

وفي رواية (الفقيه) استثنىٰ الكبائر في الموضعين[٤].

[٦٠١] ٦. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من ذكر مصيبته ولو بعد حين فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين، اللهمّ أجرني علىٰ مصيبتي، واخلف عليّ أفضل منها؛ كان له من الأجر مثل ما كان عند أوّل صدمة»[٥].

[٦٠٢] ٩. الكافي: عنه عليه السلام كان يقول عند المصيبة: «الحمد لله الذي لم يجعل مصيبتي في ديني، والحمد لله الذي لو شاء أن تكون مصيبتي أعظم ممّا كانت، والحمد لله علىٰ الأمر الذي شاء أن يكون فكان»[٦].

[٦٠٣] ١٠. الكافي: عنه عليه السلام: «لا تعدّنّ مصيبة أُعطيت عليها الصبر واستوجبت عليها من الله الثواب، إنّما المصيبة التي يحرم صاحبها أجرها وثوابها إذا لم يصبر عند نزولها»[٧].

[٦٠٤] ١١. الفقيه: عنه عليه السلام: «من أُصيب بمصيبة جزع عليها أو لم يجزع، صبر عليها أو لم

---

١. الفقيه ١: ١٨٧ / ٥٦٨.
٢. الفقيه ١: ١٧٥ / ٥١٣.
٣. الكافي ٣: ٢٢٤ / ٥؛ والفقيه ١: ١٧٥ / ٥١٥.
٤. الفقيه ١: ١٧٥/ ٥١٥.
٥. الكافي ٣: ٢٢٤ / ٦.
٦. الكافي ٣: ٢٦٢ / ٤٢.
٧. الكافي ٣: ٢٢٤ / ٧.

يصبر، كان ثوابه من الله تعالىٰ الجنّة»[١].

[٦٠٥] ١٢. **الكافي: عن النبيّ** ﷺ: «ضربُ المسلم يده علىٰ فخذه عند المصيبة إحباط لأجره»[٢].

[٦٠٦] ١٣. **الكافي: سئل الباقر** ﷺ **: ما الجزع؟ قال:** «أشدّ الجزع الصراخ بالويل والعويل، ولطم الوجه والصدر، وجزّ الشعر من النواصي، ومن أقام النواحة فقد ترك الصبر وأخذ في غير طريقه، ومن صبر واسترجع وحمد الله فقد رضي بما صنع الله ووقع أجره علىٰ الله، ومن لم يفعل ذلك جرىٰ عليه القضاء وهو ذميم، وأحبط الله أجره»[٣].

[٦٠٧] ١٤. **الفقيه: قال الصادق** ﷺ: «إنّا أهل بيت نجزع قبل المصيبة، فإذا وقع أمر الله رضينا بقضائه وسلّمنا لأمره، وليس لنا أن نكره ما أحبّ الله»[٤].

❖ ❖ ❖

باب

الابتلاء بالكبر والمرض

[٦٠٨] ١. **الكافي: عن النبيّ** ﷺ: «إنّ المؤمن إذا غلبه ضعف الكبر أمر الله تعالىٰ الملك أن يكتب له في حاله تلك مثل ما كان يعمل وهو شابّ نشيط صحيح، ومثل ذلك إذا مرض وكّل الله به ملكاً فيكتب له في سقمه ما كان يعمل من الخير حتىٰ يرفعه الله ويقبضه، وكذلك الكافر إذا اشتغل بسقم في جسده كتب الله له ما كان يعمل من شرّ في صحّته»[٥].

[٦٠٩] ٢. **الكافي: عنه** ﷺ: «يقول الله عزّوجلّ للملك الموكّل بالمؤمن إذا مرض: اكتب له

---

١. الكافي ٣: ٢٢٤ / ٤.
٢. الفقيه ١: ١٧٦ / ٥١٧.
٣. الكافي ٣: ٢٢٢ / ١.
٤. الفقيه ١: ١٨٧ / ٥٦٧.
٥. الكافي ٣: ١١٣ / ٢.

ما كنت تكتب له في صحّته، فإنّي أنا الذي صيّرته في حبالي»[١].

[٦١٠] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إذا صعد ملكا العبد المريض إلىٰ السّماء عند كلّ مساء، يقول الربّ تعالىٰ: ماذا كتبتما لعبدي في مرضه؟ فيقولان: الشكاية، فيقول: ما أنصفت عبدي إذ حبسته في حبس من حبسي ثم أمنعه الشكاية، اكتبا لعبدي مثل ما كنتما تكتبان له من الخير في صحّته، ولا تكتبا عليه سيّئةً حتّىٰ أطلقه من حبسي، فإنّه في حبس من حبسي»[٢].

[٦١١] ٤. الكافي: عن الكاظم عليه السلام: «إذا مرض المؤمن أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ صاحب الشّمال: لا تكتب علىٰ عبدي ما دام في حبسي ووثاقي ذنباً، ويوحي إلىٰ صاحب اليمين أن اكتب لعبدي ما كنت تكتبه في صحّته من الحسنات»[٣].

[٦١٢] ٥. الكافي: عن أحدهما عليهما السلام: «سهر ليلةٍ من مرض أو وجع أفضل وأعظم أجراً من عبادة سنة»[٤].

[٦١٣] ٦. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «حمّىٰ ليلة تعدل عبادة سنة، وحمّىٰ ليلتين تعدل عبادة سنتين، وحمّىٰ ثلاث تعدل عبادة سبعين سنة»[٥].

[٦١٤] ٧. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «حمّىٰ ليلة كفّارة لما قبلها ولما بعدها»[٦].

[٦١٥] ٨. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «قال الله تعالىٰ: من مرض ثلاثاً فلم يشك إلىٰ أحدٍ من عوّاده؛ أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه، فإن عافيته عافيته ولا ذنب له، وإن قبضته قبضته إلىٰ رحمتي»[٧].

---

١. الكافي ٣: ١١٣ / ٣.
٢. الكافي ٣: ١١٤ / ٥.
٣. الكافي ٣: ١١٤ / ٧.
٤. الكافي ٣: ١١٤ / ٤.
٥. الكافي ٣: ١١٤ / ٩.
٦. الكافي ٣: ١١٥ / ١٠.
٧. الكافي ٣: ١١٥ / ١.

وفي رواية: «يبدله لحماً وشعراً ودماً وبشراً لم يذنب فيها»[١].

[٦١٦] ٩. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من اشتكىٰ ليلة فقبلها بقبولها وأدّىٰ إلىٰ الله شكرها كانت كعبادة ستّين سنة». قيل: ما قبولها؟ قال: «يصبر عليها ولا يخبر بما كان فيها، فإذا أصبح حمد الله علىٰ ما كان»[٢].

[٦١٧] ١٠. الكافي: عنه عليه السلام سئل عن حدّ الشكاية للمريض، قال: «إنّ الرجل يقول: حممت اليوم وسهرت البارحة، وقد صدق، وليس هذا شكاية، وإنّما الشكوىٰ أن يقول: لقد ابتليت بما لم يُبتل به أحد، ويقول: لقد أصابني ما لم يصب أحداً»[٣].

❖ ❖ ❖

باب

الابتلاء بجار السوء

[٦١٨] ١. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «أعوذ بالله من جار السوء في دار إقامة، تراه عيناك ويرعاك قلبه، إن رآك بخير ساءه، وإن رآك بشرّ سرّه»[٤].

[٦١٩] ٢. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «من القواصم الفواقر التي تقصم الظهر جار السوء، إن رأىٰ حسنةً أخفاها، وإن رأىٰ سيّئةً أفشاها»[٥].

◁ بيان

«الفاقرة» الداهية التي تكسر فقار الظهر.

[٦٢٠] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «جاء رجل إلىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله فشكا إليه أذىٰ جاره، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إصبر، ثم أتاه ثانيةً، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: إصبر، ثمّ عاد إليه فشكاه ثالثةً، فقال

---

١. الكافي ٣: ٦/١١٦.
٢. الكافي ٣: ١١٦/ ٥.
٣. الكافي ٣: ١١٦/ ١.
٤. الكافي ٢: ١٦/٦٦٩.
٥. الكافي ٢: ٦٦٨/ ١٥.

رسول الله ﷺ للرجل الذي شكا: إذا كان عند رواح الناس إلى الجمعة، فأخرج متاعك إلى الطريق حتى يراه من يروح إلى الجمعة، فإذا سألوك فأخبرهم» قال: «ففعل، فأتاه جاره المؤذي له، فقال له: ردّ متاعك، فلك الله عليّ أن لا أعود»[1].

❖ ❖ ❖

باب

الابتلاء بزمان السوء

[٦٢١] ١. الكافي: عن أمير المؤمنين ﷺ في خطبة له خطبها بذي قار: «سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس في ذلك الزمان شيء أخفى من الحقّ، ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ، وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تُلي حقّ تلاوته، ولا سلعة أنفق بيعاً ولا أغلى ثمناً من الكتاب إذا حرّف عن مواضعه، وليس في العباد ولا في البلاد شيء هو أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر، وليس فيها فاحشة أنكر ولا عقوبة أنكى من الهدى عند الضلال في ذلك الزمان، فقد نبذ الكتاب حملته، وتناساه حفظته، حتّى تمالت بهم الأهواء، وتوارثوا ذلك من الآباء، وعملوا بتحريف الكتاب كذباً وتكذيباً، فباعوه بالبخس وكانوا فيه من الزاهدين، فالكتاب وأهل الكتاب في ذلك الزمان طريدان منفيّان، وصاحبان مصطحبان في طريق واحد، لا يؤويهما مؤوٍ، فحبّذا ذانك الصاحبان واهاً لهما ولما يعملان له.

فالكتاب وأهل الكتاب في ذلك الزمان في الناس وليسوا فيهم، ومعهم وليسوا معهم، وذلك لأنّ الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا، وقد اجتمع القوم على الفرقة، وافترقوا عن الجماعة، قد ولّوا أمرهم وأمر دينهم من يعمل فيهم بالمكر والمنكر والرشاء والقتل لم يعظهم على تحريف الكتاب تصديقاً لما يفعل، وتزكية لفضله، ولم يولّوا أمرهم من يعلم الكتاب ويعمل بالكتاب، ولكن يولّيهم من يعمل بعمل أهل

---

١. الكافي ٢: ٦٦٨ / ١٣.

النار، كأنّهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم، لم يبق عندهم من الحق إلّا اسمه، ولم يعرفوا من الكتاب إلّا خطّه وزبره، يدخل الداخل لما يسمع من حكم القرآن فلا يطمئنّ جالساً حتىٰ يخرج من الدّين، ينتقل من دين ملك إلىٰ دين ملك، ومن ولاية ملك إلىٰ ولاية ملك، ومن طاعة ملك إلىٰ طاعة ملك، ومن عهود ملك إلىٰ عهود ملك، فاستدرجهم الله من حيث لا يعلمون، وإنّ كيده متين بالأمل والرجاء حتىٰ توالدوا في المعصية، ودانوا بالجور، والكتاب لم يضرب عن شيء منه صفحاً، ضلّالاً تائهين قد دانوا بغير دين الله تعالىٰ وأدانوا لغير الله.

مساجدهم في ذلك الزمان عامرة من الضلالة، خربة من الهدىٰ، قد بدّل ما فيها من الهدىٰ، فقرّاؤها وعمّارها أخائب خلق الله وخليقته، من عندهم جرت الضلالة وإليهم تعود، فحضور مساجدهم والمشي إليها كفر بالله العظيم، إلّا من مشىٰ إليها وهو عارف بضلالهم، فصارت مساجدهم من فعالهم علىٰ ذلك النحو، خربة من الهدىٰ عامرة من الضلالة، قد بدّلت سنّة الله، و تعدّيت حدوده، لايدعون إلى الهدىٰ، ولايقسمون الفيء ولا يوفون بذمّة، يدعون القتيل منهم علىٰ ذلك شهيداً، فدانوا بالافتراء والجحود، واستغنوا بالجهل عن العلم، ومن قبل ما مثّلوا بالصالحين كلّ مثلة، وسمّوا صدقهم علىٰ الله تعالىٰ فرية، وجعلوا في الحسنة العقوبة السيئة، وقد بعث الله تعالىٰ إليكم رسولاً من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، صلىٰ الله عليه وآله وسلم، وأنزل عليه كتاباً عزيزاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، قرآناً غير ذي عوج لينذر من كان حيّاً ويحقّ القول علىٰ الكافرين»[1].

◁ بيان

«ذوقار» موضع بين الكوفة وواسط «والنفاق» الرواج «والنكاية» الجرح والقرح «والبخس» الناقص «واها» كلمة تلهّف وتوجّع «لم يعظهم» يعني الوالي «تصديقاً» متعلّق بالتحريف أو بترك العظة «والزبر» بالكسر: المكتوب، وبالفتح: مصدر «لم يضرب عن شيء منه صفحاً» أي لم يعرض عنه إعراضاً، بل بيّن ذلك جميعاً، فإنّ فيه

---

١. الكافي ٨: ٣٨٧ / ٥٨٦.

تبيان كلّ شيء «وأخائب» جمع أخيب «وعلىٰ» في قوله «علىٰ الله» متعلّق بفرية «من أنفسكم» أي من جنسكم عربيّ مثلكم، وقرئ (من أنْفَسكم) أي من أشرافكم «عزيز عليه» شديد شاقّ «ما عنتّم» عنّتكم ولقّاكم المكروه «من كان حيّاً» أي عاقلاً فهماً. فإنّ الغافل كالميّت، أو مؤمناً في علم الله تعالىٰ.

❖ ❖ ❖

باب
الابتلاء بالذنب

[٦٢٢] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من جاءنا يلتمس الفقه والقرآن وتفسيره فدعوه، ومن جاءنا يبدي عورة قد سترها الله تعالىٰ فنحّوه».

فقال له رجل من القوم: جعلت فداك، والله إنّي لمقيم علىٰ ذنبٍ منذ دهر، أُريد أن أتحوّل عنه إلىٰ غيره فما أقدر عليه؟ فقال له: «إن كنت صادقاً فإنّ الله يحبّك، وما يمنعه أن ينقلك عنه إلىٰ غيره إلّا لكي تخافه»[١].

[٦٢٣] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ علم أنّ الذّنب خير للمؤمن من العجب، ولولا ذلك ما ابتلىٰ مؤمناً بذنب أبداً»[٢].

[٦٢٤] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «ما من ذنب إلّا وقد طبع عليه عبد مؤمن يهجره الزمان، ثم يلمّ به، وهو قول الله سبحانه: ﴿الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلّا اللمم﴾[٣] قال: «اللمم من العبد الذي يلمّ بالذنب ليس من سليقته» أي من طبيعته[٤].

◁ **بيان**

«وقد طبع عليه» يعني لعارض عرض له يمكن زواله عنه، ولهذا يمكنه الهجرة عنه، ولو كان مطبوعاً عليه في أصل الخلقة وكان من سجيّته وسليقته لما أمكنه

---

١. الكافي ٢: ٤٤٢ / ٤.
٢. الكافي ٢: ٣١٣ / ١.
٣. النجم (٥٣): ٣٢.
٤. الكافي ٢: ٤٤٢ / ٥.

الهجرة عنه زماناً، فلا تنافي بين أوّل الحديث وآخره.

[٦٢٥] ٤. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ داود: أن ائت عبدي دانيال، فقل له: إنّك عصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، فإنّ أنت عصيتني الرابعة لم أغفر لك، فأتاه داود، فقال: يادانيال، إنّي رسول الله إليك، وهو يقول: يادانيال، إنّك عصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، فإن أنت عصيتني الرابعة لم أغفر لك.

فقال له دانيال: قد بلّغت يانبيّ الله. فلمّا كان في السحر قام دانيال فناجىٰ ربّه، فقال: ياربّ، إنّ داود نبيّك أخبرني عنك أنّي قد عصيتك فغفرت لي، وعصيتك فغفرت لي، وعصيتك فغفرت لي، وأخبرني عنك أنّي إن عصيتك الرابعة لم تغفر لي، فوعزّتك وجلالك لئن لم تعصمني فإنّي لأعصينّك ثم لأعصينّك ثم لأعصينّك»[1].

[٦٢٦] ٥. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «لا وجع أوجع للقلوب من الذّنوب»[2].

◆ ◆ ◆

باب

ابتلاء المؤمن بابليس

[٦٢٧] ١. الكافي: عن الباقر عليه السلام قال له زرارة: قوله سبحانه: ﴿لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾[3]؟ فقال عليه السلام: «يازرارة، إنّه إنّما صمد لك ولأصحابك، فأمّا الآخرون فقد فرغ منهم»[4].

[٦٢٨] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام قال ليعقوب بن شعيب: «من أشدّ الناس عليكم؟» قال: قلت: جعلت فداك كلّ، قال: «أتدري وممّا ذاك يايعقوب؟» قال: قلت: لا أدري، جعلت فداك، قال: «إنّ

---

١. الكافي ٢: ٤٣٥ / ١١.
٢. الكافي ٢: ٢٧٥ / ٢٨.
٣. الأعراف (٧): ١٦ - ١٧.
٤. الكافي ٨: ١٤٥ / ب حديث محاسبة النفس....

إبليس دعاهم فأجابوه، وأمرهم فأطاعوه، ودعاكم فلم تجيبوه، وأمركم فلم تطيعوه، فأغرىٰ بكم الناس»[١].

[٦٢٩] ٣. الكافي: عنه ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم * إنّه ليس له سلطان علىٰ الذين آمنوا وعلىٰ ربّهم يتوكّلون﴾[٢] قال: «تسلّطه والله من المؤمن علىٰ بدنه، ولا يسلّط علىٰ دينه، وقد سلّط علىٰ أيّوب ﷺ فشوّه خلقه ولم يسلّط علىٰ دينه، وقد يسلّط من المؤمنين علىٰ أبدانهم ولا يسلّط علىٰ دينهم».

وفي قوله تعالىٰ: ﴿إنما سلطانه علىٰ الذين يتولّونه والذين هم به مشركون﴾[٣] قال: «الذين هم بالله مشركون يسلّط علىٰ أبدانهم وعلىٰ أديانهم»[٤].

[٦٣٠] ٤. الكافي: عنه ﷺ: «إنّ لإبليس عوناً يقال له تمريح، إذا جاء الليل ملأ ما بين الخافقين»[٥].

◁ **بيان**

إنما خصّ الليل «بالتمريح» لأن ظلمته ساترة للقبائح، ولهذا يكون أكثر المعاصي بالليل، إذ بالنهار يستحيي بعضهم من بعض وفي «ملأ ما بين الخافقين» إشارة إلىٰ الخيالات المموّهة المستولية علىٰ الإنسان في الليل المائلة ما بين مطلعها من القلب ومغربها.

❖ ❖ ❖

باب

أخذ ميثاق المؤمن علىٰ البلاء ما عدا الضّنائن

[٦٣١] ١. الكافي: عن الصادق ﷺ: «أخذ الله ميثاق المؤمن علىٰ أن لا يصدّق مقالته ولا

---

١. الكافي ٨: ١٤١ / ١٠٥.
٢. النحل (١٦): ٩٨، ٩٩.
٣. النحل (١٦): ١٠٠.
٤. الكافي ٨: ٢٨٨ / ٤٣٣.
٥. الكافي ٨: ٢٣٢ / ٣٠٤.

ينتصف من عدوّه، وما من مؤمن يشفي نفسه إلّا بفضيحتها لأنّ كلّ مؤمن ملجم»[١].

◁ **بيان**

يعني: إذا أراد المؤمن أن يشفي غيظه بالانتقام من عدوّه افتضح، وذلك لأنّه ليس بمطلق العنان خليع العذار يقول ما يشاء ويفعل ما يريد، إذ هو مأمور بالتقيّة والكتمان والخوف من العصيان والخشية من الرحمن، ولأنّ زمام أمره بيد الله سبحانه لأنّه فوّض أمره إليه فيفعل به ما يشاء ممّا فيه مصلحة.

[٦٣٢] ٢. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «إنّ الله أخذ ميثاق المؤمن علىٰ بلايا أربع، أشدّها عليه مؤمن يقول بقوله يحسده، أو منافق يقفو أثره، أو شيطان يغويه، أو كافر يرىٰ جهاده، فما بقاء المؤمن بعد هذا؟»[٢].

[٦٣٣] ٣. الكافي: عن الصادق ﷺ: «ما أفلت المؤمن من واحدة من ثلاث، ولربّما اجتمعت الثلاثة عليه: إمّا بغض من يكون معه في الدار، يغلق عليه بابه [يؤذيه]، أو جار يؤذيه، أو من في طريقه إلىٰ حوائجه يؤذيه، ولو أنّ مؤمناً علىٰ قُلّة جبل لبعث الله تعالىٰ إليه شيطاناً يؤذيه، ويجعل الله من إيمانه أُنساً لا يستوحش معه إلىٰ أحد»[٣].

[٦٣٤] ٤. الكافي: عنه ﷺ: «ما كان ولا يكون وليس بكائن مؤمن إلّا وله جار يؤذيه، ولو أنّ مؤمناً في جزيرة من جزائر البحر لانبعث له من يؤذيه»[٤].

[٦٣٥] ٥. الكافي: عن الباقر ﷺ: «إذا مات المؤمن خلّىٰ علىٰ جيرانه من الشياطين عدد ربيعة ومضر، كانوا مشتغلين به»[٥].

[٦٣٦] ٦. الكافي: عن الصادق ﷺ: «إنّ الله جعل وليّه في الدنيا غرضاً لعدوّه»[٦].

[٦٣٧] ٧. الكافي: عنه ﷺ شكا إليه رجل الحاجة، فقال: «اصبر، فإن الله سيجعل لك فرجاً» ثم

---

١. الكافي ٢: ٢٤٩ / ١.
٢. الكافي ٢: ٢٤٩ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٢٤٩ / ٣.
٤. الكافي ٢: ٢٥١ / ١١.
٥. الكافي ٢: ٢٥١ / ١٠.
٦. الكافي ٢: ٣٤٦ / ٣.

سكت ساعةً، ثم أقبل علىٰ الرجل، فقال: «أخبرني عن سجن الكوفة كيف هو؟» فقال: أصلحك الله ضيّق مننن وأهله بأسوأ حال، قال: «فإنّما أنت في السجن، فتريد أن تكون في السعة، أما علمت أنّ الدنيا سجن المؤمن؟»[١].

وفي رواية: «فأيّ سجن جاء منه خير؟!»[٢].

[٦٣٨] ٨. الكافي: عنه عليه السلام: «المؤمن مكفّر»[٣].

وفي رواية أخرىٰ: «وذلك أنّ معروفه يصعد إلىٰ الله تعالىٰ فلا ينتشر في الناس، والكافر مشكور»[٤].

[٦٣٩] ٩. الكافي: عنه عليه السلام: «المؤمن لا يمضي عليه أربعون ليلة إلّا عرض له أمر يخزيه يذكر به»[٥].

[٦٤٠] ١٠. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ المؤمن من الله تعالىٰ لبأفضل مكان، إنّ المؤمن من الله تعالىٰ لبأفضل مكان ـ ثلاثاً ـ إنّه ليبتليه بالبلاء، ثم ينزع نفسه عضواً عضواً من جسده، وهو يحمد الله علىٰ ذلك»[٦].

[٦٤١] ١١. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ أهل الحقّ لم يزالوا منذ كانوا في شدّة، أما إنّ ذلك إلىٰ مدّة قليلة وعافية طويلة»[٧].

[٦٤٢] ١٢. الكافي: الحسين بن شاذان الواسطي، قال: كتبت إلىٰ أبي الحسن الرضا عليه السلام أشكو جفاء أهل واسط وحملهم عليّ، وكانت عصابة من العثمانية تؤذيني، فوقّع بخطّه عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ ذكره أخذ ميثاق أوليائنا علىٰ الصبر في دولة الباطل، فاصبر لحكم ربّك، فلو قد قام سيّد الخلق

---

١. الكافي ٢: ٢٥٠ / ٥.
٢. الكافي ٢: ٢٥٠ / ٧.
٣. الكافي ٢: ٢٥١ / ٨.
٤. الكافي ٢: ٢٥١ / ٨.
٥. الكافي ٢: ٢٥٤ / ١١.
٦. الكافي ٢: ٢٥٤ / ١٣.
٧. الكافي ٢: ٢٥٥ / ١٦.

لقالوا: ﴿ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾»[١].

[٦٤٣] ١٣. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّ لله تعالىٰ ضنائن يضنّ بهم عن البلاء، فيحييهم في عافية، ويرزقهم في عافية، ويميتهم في عافية، ويبعثهم في عافية، ويسكنهم الجنّة في عافية»[٢].

وفي رواية أخرىٰ: «تمرّ بهم البلايا والفتن لا تضرّهم شيئاً»[٣].

◁ بيان

«الضنائن» الخصائص المختصّون بالمكانة والقبول، وإحياؤهم في عافية يشمل عدم تأذّيهم بالبلاء لفرط محبّتهم لله، وفي الرواية الأخيرة إشعار بذلك.

❖ ❖ ❖

باب

أنّ الكرامة علىٰ الله إنّما هي بالابتلاء

[٦٤٤] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ المؤمن ليكرم علىٰ الله حتىٰ لو سأله الجنّة بما فيها أعطاه ذلك من غير أن ينقص من ملكه شيئاً، وإنّ الكافر ليهون علىٰ الله حتىٰ لو سأله الدنيا بما فيها أعطاه ذلك من غير أن ينقص من ملكه شيئاً، وإنّ الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الغائب أهله بالطرف، وإنّه ليحميه الدنيا كما يحمي الطبيب المريض»[٤].

[٦٤٥] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّه ليكون للعبد منزلة عند الله فما ينالها إلّا بإحدىٰ خصلتين؛ إمّا بذهاب ماله، أو ببلّية في جسده»[٥].

[٦٤٦] ٣. الكافي: عبدالله بن أبي يعفور، قال: شكوت إلىٰ أبي عبدالله عليه السلام ما ألقىٰ من الأوجاع ـ وكان

---

١. الكافي ٨: ٢٤٧ / ٣٤٦، والآية من سورة يس: ٥١.
٢. الكافي ٢: ٤٦٢ / ١.
٣. الكافي ٢: ٤٦٢ / ٣.
٤. الكافي ٢: ٢٥٨ / ٢٨.
٥. الكافي ٢: ٢٥٧ / ٢٣.

مسقاماً ـ فقال لي: «ياعبدالله، لو يعلم المؤمن ما له من الأجر في المصائب لتمنّى أنّه قرض بالمقاريض»[١].

[٦٤٧] ٤. عن النبيّ ﷺ: «مثل المؤمن كمثل خامة الزرع تكفأها الرياح كذا وكذا، وكذلك المؤمن تكفأه الأوجاع والأمراض، ومثل المنافق كمثل الإرزبّة المستقيمة التي لا يصيبها شيء حتىٰ يأتيه الموت فيقصفه قصفاً»[٢].

◁ بيان

«الإرزبّة» بتقديم المهملة وتشديد الباء الموحدة: العصيّة من الحديد، والقصف الكسر.

[٦٤٨] ٥. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «قال الله تعالىٰ: لولا أن يجد عبدي المؤمن في قلبه، لعصّبت رأس الكافر بعصابة حديد لا يصدع رأسه أبداً»[٣].

◁ بيان

يعني: لولا مخافة إنكسار قلب المؤمن بوجده علىٰ ما يراه في الكافر من العافية المستمرّة لقوّيت رأس الكافر حتىٰ لا يصدع أبداً.

[٦٤٩] ٦. الكافي: عنه عليه السلام سئل: أيبتلىٰ المؤمن بالجذام والبرص وأشباه هذا؟ قال: «وهل كتب البلاء إلّا علىٰ المؤمن»[٤].

◆ ◆ ◆

باب

أنّ الابتلاء علىٰ قدر الاصطفاء

[٦٥٠] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ في كتاب عليّ عليه السلام: إنّ أشدّ الناس بلاء النبيّون، ثم

---

١. الكافي ٢: ٢٥٥ / ١٥.
٢. الكافي ٢: ٢٥٧ / ٢٥.
٣. الكافي ٢: ٢٥٧ / ٢٤.
٤. الكافي ٢: ٢٥٨ / ٢٧.

الوصيّون، ثم الأمثل فالأمثل، وإنما يبتلىٰ المؤمن علىٰ قدر أعماله الحسنة، فمن صحّ دينه وحسن عمله اشتدّ بلاؤه، وذلك أنّ الله تعالىٰ لم يجعل الدنيا ثواباً لمؤمن ولا عقوبة لكافر، ومن سخف دينه وضعف عمله قلّ بلاؤه، وإنّ البلاء أسرع إلىٰ المؤمن التقيّ من المطر إلىٰ قرار الأرض»[1].

◁ **بيان**

قوله: «وذلك أنّ الله تعالىٰ» دفع لما يتوهّم أنّ المؤمن لكرامته علىٰ الله كان ينبغي أن لا يبتلىٰ، أو يكون بلاؤه أقلّ من غيره، وتوجيهه أنّ المؤمن لّما كان محلّ ثوابه الآخرة دون الدنيا، فينبغي أن لا يكون له في الدنيا إلّا ما يوجب الثواب في الآخرة، وكلّما كان البلاء في الدنيا أعظم كان الثواب في الآخرة أعظم، فينبغي أن يكون بلاؤه في الدنيا أشدّ.

[٦٥١] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّما المؤمن بمنزلة كفّة الميزان، كلّما زيد في إيمانه زيد في بلائه»[2].

[٦٥٢] ٣. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ إذا أحبّ عبداً غتّه بالبلاء غتّاً، وثجّه بالبلاء ثجّاً، فإذا دعاه قال: لبيك عبدي لئن عجلت لك ما سألت إنّي علىٰ ذلك لقادر، ولئن ادّخرت لك فما ادّخرت لك خير لك»[3].

وفي رواية: «وإنّا وإيّاكم لنصبح به ونمسي»[4].

◁ **بيان**

«غتّه بالبلاء» غمسه فيه «ثجّه بالبلاء» صبّه عليه وأسال.

[٦٥٣] ٤. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ عظيم البلاء يكافئ به عظيم الجزاء، فإذا أحبّ الله عبداً ابتلاه بعظيم البلاء، فمن رضي فله عند الله تعالىٰ الرضا، ومن سخط البلاء

---

١. الكافي ٢: ٢٥٢ / ١.
٢. الكافي ٢: ٢٥٤ / ١٠.
٣. الكافي ٢: ٢٥٣ / ٧.
٤. الكافي ٢: ٢٥٣ / ٦.

فله السخط»[١].

[٦٥٤] ٥. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ لله تعالىٰ عباداً في الأرض من خالص عباده ما ينزل من السماء تحفة إلىٰ الأرض إلّا صرفها عنهم إلىٰ غيرهم، ولا بليّة إلّا صرفها إليهم»[٢].

❖ ❖ ❖

باب
انّه لا خير فيمن لا يبتلىٰ

[٦٥٥] ١. الكافي: عن السجاد عليه السلام: «إنّي لأكره للرجل أن يعافىٰ في الدنيا فلا يصيبه شيء من المصائب»[٣].

[٦٥٦] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «دعي النبيّ صلى الله عليه وآله إلىٰ طعام، فلما دخل منزل الرجل نظر إلىٰ دجاجة فوق حائط، قد باضت فوقعت البيضة علىٰ وتد في حائط، فثبتت عليه ولم تسقط ولم تنكسر، فتعجّب النبيّ صلى الله عليه وآله منها فقال الرجل: أعجبت من هذه البيضة؟ فوالذي بعثك بالحقّ ما رُزيت شيئاً قطّ، فنهض رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يأكل من طعامه شيئاً وقال: من لم يرزأ فما لله فيه من حاجة»[٤].

◁ **بيان**

«الرّزء» بتقديم المهملة: المصيبة.

[٦٥٧] ٣. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «لا حاجة لله فيمن ليس له في ماله وبدنه نصيب»[٥].

◁ **بيان**

نصيب الله سبحانه في مال عبده وبدنه ما يأخذه منهما ليبلوه فيهما، وهو زكاتهما، قال الله تعالىٰ: ﴿لتبلونّ في أموالكم وأنفسكم ولتسمعنّ من الذين أوتوا

---

١. الكافي ٢: ٢٥٣ / ٨.
٢. الكافي ٢: ٢٥٣ / ٥.
٣. الكافي ٢: ٢٥٦ / ١٩.
٤. الكافي ٢: ٢٥٦ / ٢٠.
٥. الكافي ٢: ٢٥٦ / ٢١.

الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فانّ ذلك من عزم الأمور»»[١].

[٦٥٨] ٤. الكافي: عنه ﷺ: «ملعون كلّ مال لا يزكّىٰ، ملعون كلّ جسد لا يزكّىٰ ولو في كل أربعين يوماً مرّة».

فقيل: يارسول الله: أمّا زكاة المال فقد عرفناها، فما زكاة الأجساد؟ فقال لهم: «أن يصاب بآفة» **قال: فتغيّرت وجوه الذين سمعوا ذلك منه، فلمّا رآهم قد تغيّرت ألوانهم قال لهم:** «هل تدرون ما عنيت بقولي؟» **قالوا: لا يارسول الله، قال:** «بلىٰ، الرجل يخدش الخدشة، وينكب النكبة، ويعثر العثرة، ويمرض المرضة، ويشاكّ الشوكة، وما أشبه هذا». **حتىٰ ذكر في حديثه اختلاج العين**[٢].

❖ ❖ ❖

باب

أنّ ابتلاء المؤمن إنّما هو كفّارة ذنوبه

[٦٥٩] ١. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «قال الله تعالىٰ: وعزّتي وجلالي لا أُخرج عبداً من الدنيا وأنا أُريد أن أرحمه حتىٰ استوفي منه كلّ خطيئة عملها، إمّا بسقم في جسده، وإمّا بضيق في رزقه، وإمّا بخوف في دنياه، فإن بقيت عليه بقيّة شددت عليه عند الموت، وعزّتي وجلالي لا أُخرج عبداً من الدنيا وأنا أُريد أن أُعذّبه حتىٰ أوفيّه كلّ حسنة عملها، إمّا بسعة في رزقه، وإمّا بصحة في جسده، وإمّا بأمن في دنياه، فإن بقيت عليه بقية هوّنت بها عليه الموت»[٣].

[٦٦٠] ٢. الكافي: عن الصادق ﷺ: «إنّ المؤمن ليهوّل عليه في نومه فيغفر له ذنوبه، وإنّه ليمتهن في بدنه فيغفر له ذنوبه»[٤].

---

١. آل عمران ٣: ١٨٦.
٢. الكافي ٢: ٢٥٨ / ٢٦.
٣. الكافي ٢: ٤٤٤ / ٣.
٤. الكافي ٢: ٤٤٥ / ٤.

[٦٦١] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «إذا أراد الله بعبد خيراً عجّل عقوبته في الدنيا، وإذا أراد بعبد سوءاً أمسك عليه ذنوبه حتىٰ يوافي بها يوم القيامة»[١].

[٦٦٢] ٤. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾[٢]: «ليس من التواء عرق ولا نكبة حجر ولا عثرة قدم ولا خدش عود إلّا بذنب، ولما يعفو الله تعالىٰ أكثر، فمن عجّل الله عقوبة ذنبه في الدنيا فإنّ الله أجلّ وأكرم وأعزّ من أن يعود في عقوبته في الآخرة»[٣].

[٦٦٣] ٥. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ العبد إذا كثرت ذنوبه، ولم يكن عنده من العمل ما يكفّرها، ابتلاه بالحزن ليكفّرها»[٤].

[٦٦٤] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ للحقّ دولة وللباطل دولة، وكلّ واحد منهما في دولة صاحبه ذليل، وإنّ أدنىٰ ما يصيب المؤمن في دولة الباطل العقوق من ولده والجفاء من إخوانه، وما من مؤمن يصيب شيئاً من الرفاهية في دولة الباطل إلّا ابتلي قبل موته إمّا في بدنه وإمّا في ولده وإمّا في ماله، حتىٰ يخلّصه الله تعالىٰ مما اكتسب في دولة الباطل، ويوفّر له حظّه في دولة الحقّ، فاصبر وأبشر»[٥].

[٦٦٥] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «قال الله تعالىٰ: إنّ العبد من عبيدي المؤمنين ليذنب الذنب العظيم ممّا يستوجب عقوبتي في الدنيا والآخرة، فأنظر له بما فيه صلاحه في آخرته، فاعجّل له العقوبة عليه في الدنيا لأُجازيه بذلك الذنب، واقدّر عقوبة ذلك الذنب وأقضيه وأتركه عليه موقوفاً غير ممضيّ، ولي وفي إمضائه المشيئة، وما يعلم عبدي به، فأتردد لذلك مراراً علىٰ إمضائه، ثم أمسك عليه فلا أُمضيه كراهيةٍ لمساءته وحيداً عن إدخال المكروه عليه، فأتطول عليه بالعفو عنه والصفح محبّة لمكافاته لكثير نوافله التي يتقرّب بها إليّ في ليله ونهاره، فأصرف ذلك البلاء عنه، وقد قدّرته

---

١. الكافي ٢: ٤٤٥ / ٥.
٢. الشورىٰ (٤٢): ٣٠.
٣. الكافي ٢: ٤٤٥ / ٦.
٤. الكافي ٢: ٤٤٤ / ٢.
٥. الكافي ٢: ٤٤٧ / ١٢.

وقضيته وتركته موقوفاً، ولي في إمضائه المشيئة، ثمّ أكتب له عظيم أجر نزول ذلك البلاء وأدّخره وأوفرّ له أجره، ولم يشعر به ولم يصل إليه أذاه، وأنا الله الكريم الرؤوف الرحيم»[1].

◁ **بيان**

«وأقدّر عقوبة ذلك الذنب» يعني ربما أعجّل وربّما أقدّر، فالواو بمعنىٰ أو «والحَيْد» الميل عن الشيء والعدول «محبّة لمكافاته» يعني إنّما أتطوّل عليه بالعفو والصفح لمحبّتي أن أكافئ نوافله الكثيرة المتقرّب بها إليّ، ثم لا أكتفي بذلك العفو والصفح في مكافاته تلك حتىٰ أكتب له أجر ذلك البلاء مضافاً إلىٰ العفو والصفح.

[٦٦٦] ٨. الكافي: عنه عليه السلام: «إذا أراد الله بعبد خيراً فأذنب ذنباً اتبعه بنقمة ويذكّره الاستغفار، وإذا أراد الله بعبد شرّاً فأذنب ذنباً اتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادىٰ بها، وهو قول الله تعالىٰ: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾[2] بالنعم عند المعاصي»[3].

◁ **بيان**

في كتاب (التمحيص): عن عمر بن يزيد، قال: «ما من مؤمن إلّا وبه وجع في شيء من بدنه لا يفارقه حتىٰ يموت، يكون ذلك كفّارة لذنوبه»[4].

وفيه عن جابر: أنّ عليّ بن الحسين عليه السلام كان إذا رأىٰ المريض قد برئ قال له: «يهنئك الطهور من الذنوب»[5].

❖ ❖ ❖

باب

أنّ مصائب الأولياء إنّما هي لزيادة الأجر

[٦٦٧] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام في قوله الله تعالىٰ: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم

---

١. الكافي ٢: ٤٤٩ / ١.
٢. الأعراف (٧): ١٨٢.
٣. الكافي ٢: ٤٥٢ / ١.
٤. التمحيص: ٣/٤٢.
٥. التمحيص: ٣/٤٢.

ويعفو عن كثير»[١]، أرأيت ما أصاب عليّاً وأهل بيته: من هؤلاء من بعده، أهو بما كسبت أيديهم وهم أهل بيت طهارة معصومون؟ فقال: «إنّ رسول الله ﷺ كان يتوب إلىٰ الله ويستغفره في كلّ يوم وليلة مائة مرّة من غير ذنب، انّ الله يخصّ أولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب»[٢].

[٦٦٨] ٢. الكافي: لمّا حمل عليّ بن الحسين عليه السلام إلىٰ يزيد بن معاوية وأوقف بين يديه، فقال يزيد: «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم» فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: «ليس هذه الآية فينا، إنّ فينا قول الله تعالىٰ: «ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلّا في كتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلك علىٰ الله يسير»»[٣].

آخر كتاب الابتلاء والتمحيص والحمد لله أولاً وآخراً.

■

١. الشورى (٤٢): ٣٠.
٢. الكافي ٢: ٢/٤٥٠.
٣. الكافي ٢: ٣/٤٥٠/١٩٩؛ والآية من سورة الحديد (٥٧): ٢٢.

كتاب
الإيمان وما يقابله

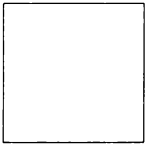

باب

معنىٰ الإيمان وأنّه أخصّ من الإسلام

[٦٦٩] ١. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «الإيمان ما استقرّ في القلب وأفضىٰ به إلىٰ الله، وصدّقه العمل بالطاعة لله، والتسليم لأمر الله، والإسلام ما ظهر من قول أو فعل، وهو الذي عليه جماعة الناس من الفرق كلّها، وبه حقنت الدماء، وعليه جرت المواريث، وجاز النكاح، واجتمعوا علىٰ الصلاة والزكاة والصوم والحج، فخرجوا بذلك من الكفر وأُضيفوا إلىٰ الإيمان، والإسلام، لا يشرك الإيمان، والإيمان يشرك الإسلام، وهما في القول والفعل يجتمعان، كما صارت الكعبة في المسجد والمسجد ليس في الكعبة، فكذلك الإيمان يشرك الإسلام والإسلام لا يشرك الإيمان، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم**﴾[1] فقول الله أصدق القول».

قيل: فهل للمؤمن فضل علىٰ المسلم في شيء من الفضائل والأحكام والحدود وغير ذلك؟ فقال: «لا، هما يجريان في ذلك مجرىً واحداً، ولكن للمؤمن فضل علىٰ المسلم في أعمالهما وما يتقرّبان به إلىٰ الله تعالىٰ».

قيل: أليس الله تعالىٰ يقول: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾[2] وزعمت أنهم مجتمعون علىٰ الصلاة والزكاة والصوم والحج مع المؤمن؟ قال: «أليس قد قال الله تعالىٰ: ﴿**يضاعفه له أضعافاً كثيرة**﴾[3] فالمؤمنون هم الذين يضاعف الله لهم حسناتهم لكلّ حسنة سبعين ضعفاً، فهذا فضل المؤمن ويزيده الله في حسناته علىٰ قدر صحّة إيمانه أضعافاً كثيرة ويفعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير».

---

١. الحجرات (٤٩): ١٤.
٢. الأنعام (٦): ١٦٠.
٣. البقرة (٢): ٢٤٥.

قيل: أرأيت من دخل في الإسلام، أليس هو داخلاً في الإيمان؟ فقال: «لا، ولكنّه قد أُضيف إلىٰ الإيمان وخرج من الكفر، وسأضرب لك مثلاً تعقل به فضل الإيمان علىٰ الإسلام، أرأيت لو أبصرت رجلاً في المسجد أكنت تشهد أنك رأيته في الكعبة؟» **قيل: لا يجوز لي ذلك، قال: «فلو أبصرت رجلاً في الكعبة، أكنت شاهداً أنّه قد دخل المسجد الحرام؟» قيل: نعم، قال: «كيف ذلك؟» قيل: إنّه لا يصل دخول الكعبة حتىٰ يدخل المسجد الحرام، فقال: «أصبت وأحسنت» ثم قال: «كذلك الإيمان والإسلام»**[1].

◁ **بيان**

«وأفضىٰ به إلىٰ الله» أي جعل وجه القلب إلىٰ الله **«من الفضائل والأحكام»** أي الفضائل الدنيوية والأحكام الشرعية، وأراد السائل بقوله: أليس الله يقول: **﴿من جاء بالحسنة﴾** أنّه إذا كانا مجتمعين في الحسنات، والحسنة بالعشر، فكيف يكون له فضل عليه في الأعمال والقربات؟ فأجابه عليه السلام بأنهما شريكان في العشر، والمؤمن يفضل بما زاد عليها، وأراد بـ«ما يشاء من الخير» إيتاء العلم والحكمة وزيادة اليقين والمعرفة.

[٦٧٠] ٢. الكافي: سئل الصادق عليه السلام عن قول المرجئة في الكفر والإيمان، وقيل: إنهم يحتجّون علينا، ويقولون: كما أنّ الكافر عندنا هو الكافر عند الله، فكذلك نجد المؤمن إذا أقرّ بإيمانه أنّه عند الله مؤمن؟ فقال: «سبحان الله، وكيف يستوي هذان، والكفر إقرار من العبد، فلا يكلّف بعد إقراره بيّنة، والإيمان دعوىٰ لا يجوز إلّا ببيّنة، وبيّنة عمله ونيّته، فإذا اتّفقا فالعبد عند الله مؤمن، والكفر موجود بكلّ جهة من هذه الجهات الثلاث من نيّة أو قول أو عمل، والأحكام تجري علىٰ القول والعمل، فما أكثر من يشهد له المؤمنون بالإيمان، ويجري عليه أحكام المؤمنين، وهو عند الله كافر، وقد أصاب من أجري عليه أحكام المؤمنين بظاهر قوله وعمله»[2].

[٦٧١] ٣. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: من شهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، كان مؤمناً؟ قال: فأين فرائض الله؟ قال: وكان عليّ عليه السلام يقول: لو كان

---

١. الكافي ٢: ٢٦ / ٥.
٢. الكافي ٢: ٣٩ / ٨.

الإيمان كلاماً لم ينزل فيه صوم ولا صلاة ولا حلال ولا حرام».

قيل للباقر عليه السلام: إنّ عندنا قوماً يقولون: إذا شهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله فهو مؤمن؟ قال: «فلم يضربون الحدود، ولم تقطع أيديهم؟ وما خلق الله تعالىٰ خلقاً أكرم علىٰ الله من مؤمن، لأنّ الملائكة خدّام المؤمنين، وإنّ جوار الله للمؤمنين، وإنّ الجنّة للمؤمنين، وإنّ الحور العين للمؤمنين» **ثم قال:** «فما بال من جحد الفرائض كان كافراً؟»[1].

◁ **بيان**

يعني لو لم يعتبر الفرائض في الإيمان لما كان جاحدها كافراً. فإن قيل: إن أردتم باعتبار الفرائض في الإيمان اعتبار الاعتقاد بها، فذلك داخل في الشهادة بالرسالة، وإن أردتم اعتبار العمل بها، فلا يتمّ المدّعىٰ إذ تركها لا يستلزم جحودها.

قلنا: كما أنّ من عرف أنّ شرب السّم يقتله لا يجترىء علىٰ شربه، كذلك من عرف أنّ ترك الفرائض يوجب النار لا يجترئ علىٰ تركها، فتركها ينبئ عن عدم اعتقاده بها، وخصوصاً إذا لم يكن له شهوة في تركها، وإنما كان مجرّد استخفاف، كما في ترك الصلاة، ولذا ورد: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[2].

[٦٧٢] ٤. الكافي: عن الرضا عليه السلام: «الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوىٰ فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوىٰ بدرجة، وما قسّم في الناس شيء أقل من اليقين»[3].

وفي رواية: «فإذا أتىٰ العبد كبيرة من كبائر المعاصي أو صغيرة من صغائر المعاصي التي نهىٰ الله تعالىٰ عنها؛ كان خارجاً من الإيمان، ساقطاً عنه اسم الإيمان، وثابتاً عليه اسم الإسلام، فإن تاب واستغفر عاد إلىٰ دار الإيمان، ولا يخرجه إلىٰ الكفر إلّا الجحود، والاستحلال أن يقول للحلال هذا حرام، وللحرام هذا حلال، ودان بذلك، فعندها يكون خارجاً من الإسلام والإيمان داخلاً في الكفر، وكان بمنزلة من دخل الحرم، ثم دخل الكعبة، وأحدث في الكعبة حدثاً، فأخرج عن الكعبة وعن الحرم، فضربت عنقه وصار إلىٰ النار»[4].

---

١. الكافي ٢: ٣٣ / ٢.
٢. الكافي ٢: ٣١/باب الكبائر.
٣. الكافي ٢: ٥٢ / ٦.
٤. الكافي ٢: ٢٧ / ١.

[٦٧٣] ٥. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «الإيمان أن يطاع الله فلا يعصىٰ»[١].

[٦٧٤] ٦. الكافي: قيل لأبي الحسن عليه السلام: الكبائر تخرج من الإيمان؟ قال: «نعم، وما دون الكبائر، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن»[٢].

وفي رواية: «إذا كان علىٰ بطنها سلب الإيمان، فإذا قام ردّ إليه، فإن عاد سلب».

قيل: فإنّه يريد أن يعود؟ فقال: «ما أكثر من يريد أن يعود فلا يعود إليه أبداً»[٣].

وفي أخرىٰ: سئل: أرأيت إنْ هَمّ؟ قال: «لا، أرأيت إنْ همّ أن يسرق أتقطع يده؟»[٤].

[٦٧٥] ٧. الكافي: عن أحدهما عليهما السلام: «الإيمان إقرار وعمل، والإسلام إقرار بلا عمل»[٥].

وفي رواية: «الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس، شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت، وصيام شهر رمضان، فهذا الإسلام، والإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا، فإن أقرّ بها ولم يعرف هذا الأمر، كان مسلماً، وكان ضالاً»[٦].

❖ ❖ ❖

باب

دعائم الإسلام

[٦٧٦] ١. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «بني الإسلام علىٰ خمس: علىٰ الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه» يعني الولاية[٧].

وفي رواية: «ولم يناد بشيءٍ ما نودي بالولاية يوم الغدير»[٨].

---

١. الكافي ٢: ٣٣ / ٣.
٢. الكافي ٢: ٢٨٤ / ٢١.
٣. الكافي ٢: ٢٧٨ / ٦.
٤. الكافي ٢: ٢٨١ / ١٢.
٥. الكافي ٢: ٢٤ / ٢.
٦. الكافي ٢: ٢٤ / ٤.
٧. الكافي ٢: ١٨ / ٣.
٨. الكافي ٢: ٢١ / ٨.

[٦٧٧] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ فرض علىٰ خلقه خمساً، فرخّص في أربع ولم يرخّص في واحدة»[١].

◁ بيان

لعلّ الرخصة في الأربع سقوط الصلاة عن فاقد الطهورين، والزكاة عمّن لم يبلغ ماله النصاب، والحج عمّن لم يستطع، والصوم عن الذين لا يطيقونه.

[٦٧٨] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام قيل له: حدّثني عمّا بنيت عليه دعائم الإسلام، إذا أنا أخذت بها زكا عملي، ولم يضرّني جهل ما جهلت بعده، فقال: «شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وحقّ في الأموال الزكاة، والولاية التي أمر الله بها ولاية آل محمّد، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، قال الله تعالىٰ: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[٢] فكان عليّ، ثم صار من بعده الحسن، ثم من بعده الحسين، ثم من بعده عليّ بن الحسين، ثم من بعده محمّد بن عليّ، ثم هكذا يكون الأمر، إنّ الأرض لا تصلح إلّا بإمام، ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، وأحوج ما يكون أحدكم إلىٰ معرفته إذا بلغت نفسه هاهنا ـ وأهوىٰ بيده إلىٰ صدره ـ يقول حينئذ: لقد كنت علىٰ أمر حسن»[٣].

❖ ❖ ❖

باب

اختلاف معنىٰ الإيمان بحسب الأزمان

[٦٧٩] ١. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّ أُناساً تكلّموا في هذا القرآن بغير علم، وذلك أنّ الله تعالىٰ يقول: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأُخر متشابهات فأمّا الذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم

---

١. الكافي ٢: ٢٢ / ١٢.
٢. النساء (٤): ٥٩.
٣. الكافي ٢: ٢١ / ٩.

تأويله إلّا الله»[1] فالمنسوخات من المتشابهات، والمحكمات من الناسخات، إنّ الله بعث نوحاً إلىٰ قومه «أن اعبدوا الله واتّقوه وأطيعون»[2]، ثم دعاهم إلىٰ الله وحده وأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثم بعث الأنبياء عليهم السلام علىٰ ذلك إلىٰ أن بلغوا محمّداً صلى الله عليه وآله، فدعاهم إلىٰ أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً وقال: «شرع لكم من الدين ما وصّىٰ به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه كبر علىٰ المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب»[3].

فبعث الأنبياء إلىٰ قومهم بشهادة أن لا إله إلّا الله والإقرار بما جاء من عند الله، فمن آمن مخلصاً ومات علىٰ ذلك أدخله الله الجنة بذلك، وذلك أنّ الله ليس بظلام للعبيد، وذلك أنّ الله لم يكن يعذّب عبداً حتىٰ يغلّظ عليه في القتل والمعاصي التي أوجب الله عليه بها النار لمن عمل بها، فلما استجاب لكلّ نبيّ من استجاب له من قومه من المؤمنين، جعل لكلّ نبيّ منهم شِرعةً ومنهاجاً والشرعة والمنهاج سبيل وسنّة.

وقال الله لمحمّد صلى الله عليه وآله: «إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلىٰ نوح والنبيّين من بعده»[4] وأمر كلّ نبيّ بالأخذ بالسبيل والسنّة، وكان من السبيل والسنّة التي أمر الله تعالىٰ بها موسىٰ عليه السلام أن جعل عليهم السبت، فكان من أعظم السبت ولم يستحلّ أن يفعل ذلك من خشية الله أدخله الله الجنة، ومن استخفّ بحقّه واستحلّ ما حرّم الله عليه من العمل الذي نهاه الله عنه فيه أدخله الله النار، وذلك حيث استحلّوا الحيتان واحتبسوها وأكلوها يوم السبت، غضب الله عليهم من غير أن يكونوا أشركوا بالرحمن ولا شكّوا في شيء ممّا جاء به موسىٰ عليه السلام، قال الله تعالىٰ: «ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين»[5].

ثم بعث الله عيسىٰ عليه السلام بشهادة أن لا إله إلّا الله، والإقرار بما جاء من عند الله، وجعل لهم شرعة ومنهاجاً، فهدمت السبت الذي أمروا به أن يعظّموه قبل ذلك، وعامّة ما

---

١. آل عمران (٣): ٧.
٢. نوح (٧١): ٣.
٣. الشورىٰ (٤٢): ١٣.
٤. النساء (٤): ١٦٣.
٥. البقرة (٢): ٦٢.

كانوا عليه من السبيل والسنّة التي جاء بها موسىٰ ﷺ، فمن لم يتّبع سبيل عيسىٰ أدخله الله النار، وإن كان الذي جاء به النبيّون جميعاً أن لا يشرك بالله شيئاً.

ثم بعث الله محمّداً ﷺ وهو بمكّة عشر سنين، فلم يَمُت بمكة في تلك العشر سنين أحد يشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله إلّا أدخله الله الجنّة بإقراره وهو إيمان التصديق، ولم يعذّب الله أحداً ممّن مات وهو متّبع لمحمّد ﷺ علىٰ ذلك، إلّا من أشرك بالرحمن، وتصديق ذلك أنّ الله تعالىٰ أنزل عليه في سورة بني إسرائيل بمكّة: ﴿وقضىٰ ربك ألّا تعبدوا إلّا إياه وبالوالدين إحساناً﴾ إلىٰ قوله: ﴿إنّه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾[1] أدب وعظة وتعليم ونهي تخفيف ولم يعد عليه ولم يتواعد علىٰ اجتراح شيء ممّا نهىٰ عنه، وأنزل نهياً عن أشياء حذّر عنها، ولم يغلّظ فيها، ولم يتواعد عليها، وقال: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإيّاكم إنّ قتلهم كان خطأً كبيراً * ولا تقربوا الزنىٰ إنّه كان فاحشة وساء سبيلاً * ولا تقتلوا النّفس التي حرّم الله إلّا بالحق ومن قُتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنّه كان منصوراً * ولا تقربوا مال اليتيم إلّا بالتي هي أحسن حتىٰ يبلغ أشدّه وأوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسئولاً * وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً * ولا تقف ما ليس لك به علم إنّ السمع والبصر والفؤاد كل أُولئك كان عنه مسئولاً * ولا تمش في الأرض مرحاً انّك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً * كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروهاً * ذلك مما أوحىٰ إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقىٰ في جهنم ملوماً مدحوراً﴾[2].

وأنزل في ﴿والليل إذا يغشىٰ﴾، ﴿فأنذرتكم ناراً تلظّىٰ، لا يصلاها إلّا الأشقىٰ الذي كذّب وتولّىٰ﴾[3] فهذا مشرك، وأنزل في ﴿إذا السّماء انشقّت﴾، ﴿وأمّا من أوتي كتابه وراء ظهره، فسوف يدعو ثبوراً *، ويصلىٰ سعيراً * إنّه كان في أهله مسروراً * إنّه ظنّ أن لن يحور بلىٰ﴾[4]، فهذا مشرك، وأنزل في تبارك: ﴿كلّما أُلقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير *

---

١. الإسراء (١٧): ٢٣ ـ ٣٠.
٢. الاسراء (١٧): ٣١ ـ ٣٩.
٣. الليل (٩٢): ١٦.
٤. الإنشقاق (٨٤): ١٠ ـ ١٤.

قالوا بلىٰ قد جاءنا نذير فكذّبنا وقلنا ما نزّل الله من شيء»[1] فهؤلاء مشركون، وأنزل في الواقعة: «وأمّا أن كان من المكذّبين الضّالّين * فنُزل من حميم * وتصلية جحيم»[2] فهؤلاء مشركون، وأنزل في الحاقّة: «وأمّا من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أُوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه * ياليتها كانت القاضية * ما أغنىٰ عنّي ماليه» إلىٰ قوله «إنّه كان لا يؤمن بالله العظيم»[3] فهذا مشرك، وأنزل في طسم: «وبرّزت الجحيم للغاوين * وقيل لهم أينما كنتم تعبدون * من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون * فكبكبوا فيها هم والغاوون * وجنود إبليس أجمعون»[4] جنود إبليس ذرّيته من الشياطين.

وقوله: «وما أضلّنا إلّا المجرمون»[5] يعني المشركين الذين اقتدوا بهم هؤلاء، فاتبعوهم علىٰ شركهم، وهم قوم محمّدﷺ ليس فيهم من اليهود والنصارىٰ أحد، وتصديق ذلك قول الله تعالىٰ: «كذّبت قبلهم قوم نوح و عاد و فرعون ذوالأوتاد * و ثمود و قوم لوط وأصحاب الأيكة»[6] ليس هم اليهود الذين قالوا عزير ابن الله، ولا النصارىٰ الذين قالوا المسيح ابن الله، سيدخل الله اليهود والنصارىٰ النّار ويدخل كلّ قوم بأعمالهم، وقولهم: «وما أضلّنا إلّا المجرمون»[7] إذ دعونا إلىٰ سبيلهم، ذلك قول الله تعالىٰ فيهم حين جمعهم إلىٰ النار: «قالت أُخراهم لأُولاهم ربّنا هؤلاء أضلّونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النّار»[8] وقوله: «كلّما دخلت أُمّة لعنت أُختها حتىٰ إذا أدّاركوا فيها جميعاً»[9] برئ بعضهم من بعض ولعن بعضهم بعضاً، يريد بعضهم أن يحجّ بعضاً رجاء الفلج، فيفلتوا من عظيم ما نزل بهم، وليس بأوان بلوى ولا اختبار ولا قبول معذرة ولات حين نجاة.

والآيات وأشباههنّ ممّا نزل بمكّة، ولا يدخل الله النار إلّا مشركاً، فلمّا أذن الله

---

١. الملك (٦٧): ٨ ـ ٩.
٢. الواقعة (٥٦): ٩٢ ـ ٩٤.
٣. الحاقّة (٦٩): ٢٥ ـ ٣٣.
٤. الشعراء (٢٦): ٩١ ـ ٩٥.
٥. الشعراء (٢٦): ٩٩.
٦. ص (٣٨): ١٢ ـ ١٣.
٧. الشعراء (٢٦): ٩٩.
٨. الأعراف (٧): ٣٨.
٩. الأعراف (٧): ٣٨.

لمحمّد ﷺ في الخروج من مكة إلىٰ المدينة بنىٰ الإسلام علىٰ خمس: شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت، وصيام شهر رمضان، وأنزل عليه الحدود وقسمة الفرائض، وأخبره بالمعاصي التي أوجب الله عليها وبها النار لمن عمل بها، وأنزل في بيان القاتل: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنّم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً﴾[1] ولا يلعن الله مؤمناً، قال الله تعالىٰ: ﴿إنّ الله لعن الكافرين وأعدّ لهم سعيراً خالدين فيها أبداً لا يجدون وليّاً ولا نصيراً﴾[2] وكيف يكون في المشيئة وقد ألحق به حين جزاء جهنم الغضب واللعنة؟ قد بيّن ذلك من الملعونون في كتابه.

وأنزل في مال اليتيم من أكله ظلماً ﴿إنّ الذين يأكلون أموال اليتامىٰ ظلماً إنّما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾[3] وذلك أنّ آكل مال اليتيم يجيء يوم القيامة والنار تلتهب في بطنه حتىٰ يخرج لهب النار من فيه يعرفه أهل الجمع أنّه آكل مال اليتيم، وأنزل في الكيل: ﴿ويل للمطفّفين﴾[4] ولم يجعل الويل لأحدٍ حتىٰ يسمّيه كافراً، قال الله تعالىٰ: ﴿فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾[5].

وأنزل في العهد: ﴿إنّ الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلّمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم﴾[6] والخلاق: النصيب، فمن لم يكن له نصيب في الآخرة فبأيّ شيء يدخل الجنة؟ وأنزل بالمدينة: ﴿الزاني لا ينكح إلّا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلّا زان أو مشرك وحرّم ذلك علىٰ المؤمنين﴾[7]، فلم يسمّ الله الزاني مؤمناً ولا الزانية مؤمنة. وقال رسول الله ﷺ: ـ ليس يمتري فيه أهل العلم، أنّه قال ـ: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، فإنّه إذا فعل ذلك خلع الله عنه

---

١. النساء (٤): ٩٣.
٢. الاحزاب (٣٣): ٦٥.
٣. النساء (٤): ١٠.
٤. المطففين: ١.
٥. مريم (١٩): ٣٧.
٦. آل عمران (٣): ٧٧.
٧. النور (٢٤): ٣.

الإيمان كخلع القميص.

وأنزل بالمدينة: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون* إلّا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإنّ الله غفور رحيم﴾[1] فبراه الله ما كان مقيماً على الفرية من أن يسمى بالإيمان، قال الله تعالىٰ: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾[2] وجعله الله منافقاً، قال الله تعالىٰ: ﴿إنّ المنافقين هم الفاسقون﴾[3] وجعله الله تعالىٰ من أولياء إبليس، قال: ﴿إلّا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربّه﴾[4] وجعله ملعوناً فقال: ﴿إنّ الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم * يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾[5] وليست تشهد الجوارح على مؤمن، إنّما تشهد على من حقّت عليه كلمة العذاب، فأمّا المؤمن فيعطىٰ كتابه بيمينه، قال الله عزّوجلّ: ﴿فأمّا من أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلاً﴾[6].

وسورة النور أُنزلت بعد سورة النّساء، وتصديق ذلك أنّ الله تعالىٰ أنزل عليه في سورة النساء: ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهنّ أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهنّ في البيوت حتىٰ يتوفهنّ الموت أو يجعل الله لهنّ سبيلاً﴾[7] فالسبيل الذي قال الله تعالىٰ: ﴿سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بيّنات لعلّكم تذكّرون * الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما ماءة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾[8][9].

---

١. النور (٢٤): ٤ ـ ٥.
٢. السجدة (٣٢): ١٨.
٣. التوبة (٩): ٦٧.
٤. التوبة (٩): ٦٧.
٥. النور (٢٤): ٢٣ ـ ٢٤.
٦. الاسراء (١٧): ٧١.
٧. النساء (٤): ١٥.
٨. النور (٢٤): ١ ـ ٢.
٩. الكافي ٢: ٢٨ / ١.

◁ **بيان**

«المحكم» ما لا يحتمل غير المعنىٰ المقصود منه و **«المتشابه»** بخلافه، ولمّا كان بعض المحكمات مقصور الحكم علىٰ الأزمنة السابقة منسوخاً بآيات أُخر، وكان نسخها خافياً علىٰ أكثر الناس، فيزعمون بقاء حكمها، صارت متشابهة من هذه الجهة، ولهذا قال ﷺ: **«فالمنسوخات من المتشابهات»** وإنّما غيّر الأسلوب في أُختها، وقال: **«والمحكمات من الناسخات»**. دون أن يقول: والناسخات من المحكمات، لأنّ المحكم أخصّ من الناسخ من وجه، بخلاف المتشابه فإنّه أعمّ من المنسوخ مطلقاً.

«أدخله الله النار، وإن كان الذي جاء به النبيّون جميعاً» كان هاهنا تامّة، يعني وإن كان منه الإقرار بما جاء به النبيّون، وهو التوحيد ونفي الشّرك، فقوله: **«أن لا يشرك»** بدل من الذي جاء **«ولم يعذّب الله أحداً»** إلى آخرة، وذلك لأنهم لم يكلّفوا بعد إلّا بالشهادتين فحسب، وإنّما نهوا عن أشياء نهي أدب وعظة وتخفيف، ثم نسخ ذلك بالتغليظ في الكبائر والتواعد عليها، ولم يكن التغليظ والتواعد يومئذ إلّا في الشرك خاصة، فلمّا جاء التغليظ والإيعاد بالنار في الكبائر، ثبت الكفر والعذاب بالمخالفة فيها.

«والمرح» الاختيال والتبختر **«والحور»** الرجوع **«والكبكبة»** الرمي في الهوّة، من الكبّ، جعل التكوير في اللفظ دليلاً علىٰ التكوير في المعنىٰ، كأنه إذا أُلقي في النار يكبّ مرّة بعد مرّة حتىٰ يستقرّ في قعر جهنّم، أعاذنا الله منها **«وهم قوم محمّد ﷺ»** لعلّ المراد أنّ القائلين بهذا القول، أعني قولهم: **﴿وما أضلّنا إلّا المجرمون﴾**[1] هم مشركو قوم نبيّنا ﷺ الذين اتّبعوا آباءهم المكذّبين للأنبياء، بدليل أنّ الله سبحانه ذكر عقيب ذلك في مقام التفصيل المكذّبين للأنبياء طائفة بعد طائفة، وليس المراد بهم أحداً من اليهود والنصارىٰ الذين صدّقوا نبيّهم، وإنّما أشركوا من جهة أُخرىٰ، وإن كان الفريقان يدخلان النار أيضاً، فقوله: **«سيدخل الله»** استدراك لدفع توهّم عدم دخولهما النار وعدم دخول غيرهما ممّن أساء العمل **«إذا ادّاركوا»** الحق آخرهم بأوّلهم **«أن يحجّ بعضاً»** يغلبه بالحجّة **«والإفلات»** التخلّص **«وليس بأوان بلوىٰ»** يعني أنّهم يطمعون في غير مطمع، (والتاء) **«في ولات حين نجاة»** كما يوجد في بعض النسخ زائدة **«وكيف يكون في المشية»** يعني كيف يكون أمر القائل في

---

١. الشعراء: ٩٩.

مشيئة الله إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له، والحال أنّه قد الحق به بعد أن جزاء جهنّم الغضب واللعنة المختصّين بالكفّار.

❖ ❖ ❖

باب

درجات الإيمان ومنازله

[٦٨٠] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ الله وضع الإيمان على سبعة أسهم: على البرّ و الصدق واليقين والرضا والوفاء والعلم والحلم، ثم قسّم ذلك بين الناس، فمن جعل فيه هذه السبعة الأسهم فهو كامل محتمل، وقسّم لبعض الناس السهم، ولبعض السهمين، ولبعض الثلاثة حتّى انتهوا إلى سبعة».

ثم قال: «لاتحملوا على صاحب السهم سهمين، وعلى صاحب السهمين ثلاثة فتبهظوهم» ثم قال: «كذلك حتى ينتهي إلى سبعة»[١].

[٦٨١] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الإيمان عشر درجات بمنزلة السلّم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولنّ صاحب الاثنين لصاحب الواحد: لست على شيء حتى ينتهي إلى العاشرة، فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق، ولا تحملنّ عليه ما لا يطيق فتكسره، فإنّ من كسر مؤمناً فعليه جبره»[٢].

◁ **بيان**

لمّا كان تعدّد درجات الإيمان ومنازله تارة بحسب مراتب العقل والفهم والبصيرة والعلم، وتارة بحسب الأخلاق الحسنة كثرة وقلّة، شدّة وضعفاً، وتارة بحسب الاعتقادات الحقّة قوة وضعفاً، كلّاً وبعضاً، وتارة بحسب الأعمال الصالحة كثرة وقلّة، خالصة ومشوبة، ولا يدخل شيء من ذلك تحت الحصر والعدّ، وإنّما يتعيّن عددها باعتبار المعتبر بإدخال بعضها في بعض، جاز أن يخبر عنها تارة بالسبعة

---

١. الكافي ٢: ٤٢ / ١.
٢. الكافي ٢: ٤٥ / ٢.

أسهم، وأُخرىٰ بالعشر درجات، وأُخرىٰ بغير ذلك، فلا منافاة.

[٦٨٢] ٣. الكافي: عنه ﷺ: «ما أنتم والبراءة، يبرأ بعضكم من بعض، إنّ المؤمنين بعضهم أفضل من بعض، وبعضهم أكثر صلاة من بعض، وبعضهم أنفذ بصراً من بعض، وهي درجات»[١].

[٦٨٣] ٤. الكافي: عن الباقر ﷺ: «إنّ المؤمنين علىٰ منازل، منهم علىٰ واحدة، ومنهم علىٰ اثنتين، ومنهم علىٰ ثلاث، ومنهم علىٰ أربع، ومنهم علىٰ خمس، ومنهم علىٰ ستّ، ومنهم علىٰ سبع، فلو ذهبت تحمل علىٰ صاحب الواحدة ثنتين لم يقو، وعلىٰ صاحب الثنتين ثلاثاً لم يقو، وعلىٰ صاحب الثلاث أربعاً لم يقو، وعلىٰ صاحب الأربع خمساً لم يقو، وعلىٰ صاحب الخمس ستاً لم يقو، وعلىٰ صاحب الست سبعاً لم يقو، وعلىٰ هذه الدرجات»[٢].

وفي رواية: «ولو علم الناس أنّ الله تعالىٰ خلق الخلق علىٰ هذا، لم يلم أحد أحداً»[٣].

[٦٨٤] ٥. الكافي: قيل للصادق ﷺ: إنّ للإيمان درجات ومنازل يتفاضل المؤمنون فيها عند الله؟ قال: «نعم». قيل: صفه لي ـ رحمك الله ـ حتىٰ أفهمه، قال: «إنّ الله سبّق بين المؤمنين كما يسبّق بين الخيل يوم الرهان، ثم فضّلهم علىٰ درجاتهم في السبق إليه، فجعل كلّ امرئ منهم علىٰ درجة سبقه، لا ينقصه فيها من حقّه، ولا يتقدّم مسبوق سابقاً ولا مفضول فاضلاً، تفاضل بذلك أوائل هذه الأُمّة أواخرها، ولو لم يكن للسابق إلىٰ الإيمان فضل علىٰ المسبوق، إذن للحق آخر هذه الأُمة أوّلها، نعم، ولتقدّموهم إذا لم يكن لمن سبق إلىٰ الإيمان الفضل علىٰ من أبطأ عنه، ولكن بدرجات الإيمان قدّم الله السابقين، وبالإبطاء عن الإيمان أخّر الله المقصّرين، لأنّا نجد من المؤمنين من الآخرين من هو أكثر عملاً من الأولين وأكثرهم صلاةً وصوماً وحجّاً وزكاةً وجهاداً وإنفاقاً، ولو لم يكن سوابق يفضل بها المؤمنون بعضهم بعضاً عند الله لكان الآخرون بكثرة العمل مقدّمين علىٰ

---

١. الكافي ٢: ٢١ / ٤٥ / ٤.
٢. الكافي ٢: ٤٥ / ٣.
٣. الكافي ٢: ٤٤ / ١.

الأولين، ولكن أبىٰ الله أن يدرك آخر درجات الإيمان أوّلها، وتقدّم فيها من أخّر الله، أو يؤخّر فيها من قدّم الله».

قيل: أخبرني عمّا ندب الله تعالىٰ المؤمنين إليه من الاستباق إلىٰ الإيمان، فقال: «قول الله تعالىٰ: ﴿سابقوا إلىٰ مغفرة من ربّكم وجنّة عرضها كعرض السماء والأرض أعدّت للذين آمنوا بالله ورسله﴾[1] وقال: ﴿والسابقون السابقون أولئك المقرّبون﴾[2] وقال: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾[3] فبدأ بالمهاجرين الأولين علىٰ درجة سبقهم، ثم ثنّىٰ بالأنصار، ثم ثلّث بالتابعين لهم بإحسان، فوضع كلّ قوم علىٰ قدر درجاتهم ومنازلهم عنده، ثم ذكر ما فضّل الله تعالىٰ به أولياءه بعضهم علىٰ بعض، فقال: ﴿تلك الرّسل فضّلنا بعضهم علىٰ بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات﴾[4] إلىٰ آخر الآية، وقال: ﴿ولقد فضّلنا بعض النبيّين علىٰ بعض﴾[5] وقال: ﴿انظر كيف فضّلنا بعضهم علىٰ بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾[6] وقال: ﴿هم درجات عند الله﴾[7] وقال: ﴿يؤت كل ذي فضل فضله﴾[8] وقال: ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله﴾[9] وقال: ﴿فضّل الله المجاهدين علىٰ القاعدين أجراً عظيماً درجات منه ومغفرة ورحمة﴾[10] وقال: ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أُولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾[11].

وقال: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلم درجات﴾[12] وقال: ﴿ذلك بأنهم لا

---

١. الواقعة (٥٦): ١١.
٢. الحديد (٥٧): ٢١.
٣. التوبة (٩): ١٠٠.
٤. البقرة (٢): ٢٥٣.
٥. الاسراء (١٧): ٥٥.
٦. الاسراء (١٧): ٢١.
٧. آل عمران (٣): ١٦٣.
٨. هود (١١): ٣.
٩. التوبة (٩): ٢٠.
١٠. النساء (٤): ٩٥.
١١. الحديد (٥٧): ١٠.
١٢. المجادلة (٥٨): ١١.

يصيبهم ظمأ ولا نصبٌ ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئاً يغيظ الكفّار ولا ينالون من عدوّ نيلاً إلّا كتب لهم به عمل صالح»[١] وقال: «وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله»[٢] وقال: «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره»[٣] فهذا ذكر درجات الإيمان ومنازله عند الله تعالىٰ»[٤].

◁ بيان

لعلّه عليه السلام أراد بالسبق السبق في الرتبة والمنزلة والتقدم بالعلم والحكمة وزيادة العقل والبصيرة في الدين ووفور سهام الإيمان التي مرّ ذكرها ولا سيّما اليقين، وهو بعينه السبق بالإجابة حين أخذ الميثاق، كما يدلّ عليه الحديث الآتي ذكره، فالمراد بأوائل هذه الأمة وأواخرها المتقدّمون والمتأخّرون بهذا المعنىٰ لا السبق في الزمان، والدليل علىٰ هذا قوله عليه السلام: «ولو لم يكن سوابق يفضّل بها المؤمنون» إلىٰ قوله: «من قدّم الله» ولا سيّما قوله: «ولكن أبىٰ الله أن يدرك آخر درجات الإيمان أولها» ومن تأمل في تتمّة الحديث أيضاً حقّ التأمل، يظهر له صحة ما قلناه إن شاء الله.

وعلىٰ تقدير أن يكون المراد بالسبق السبق الزماني عند دعوة النبيّ صلى الله عليه وآله إيّاهم إلىٰ الإيمان، أو عند بلوغ الدعوة، وكون المراد بأوائل هذه الأُمة وأواخرها أوائلها وأواخرها في الاجابة للنبيّ صلى الله عليه وآله وقبول الإسلام والتسليم بالقلب والانقياد للتكاليف الشرعية طوعاً، فيكون الوجه في فضل السابق بهذا المعنىٰ أنّ السبق في الاجابة للحق دليل علىٰ زيادة البصيرة والعقل والشرف التي هي الفضيلة والكمال، فيرجع إلىٰ المعنىٰ الأول.

وإن كان المراد بالأوائل من كان من زمن النبيّ صلى الله عليه وآله، وبالأواخر من كان بعد ذلك، يكون سبب فضل الأوائل صعوبة قبول الإسلام وترك ما نشأوا عليه في ذلك الزمن وسهولته فيما بعد استقرار الأمر وظهور الإسلام وانتشاره في البلاد، مع أنّ الأوائل سبب لاهتداء الأواخر، إذ بهم وبنصرتهم استقرّ ما استقرّ وقوي ما قوي وبان ما استبان.

[٦٨٥] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «إن بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: بأيّ شيء سبقت الأنبياء

---

١. التوبة (٩): ١٢٠.
٢. البقرة (٢): ١١٠.
٣. الزلزلة (٩٩): ٨.
٤. الكافي ٢: ٤٠ / ١.

وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ فقال: إنّي كنت أوّل من آمن بربّي، وأول من أجاب حين أخذ الله ميثاق النبيّين وأشهدهم على أنفسهم «ألست بربكم»[1] فكنت أول نبي قال: بلىٰ، فسبقتهم بالإقرار بالله تعالىٰ»[2].

❖ ❖ ❖

باب

طبقات الناس في الإيمان بحسب الأرواح

[٦٨٦] ١. الكافي: جاء رجل إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ياأمير المؤمنين، إنّ ناساً زعموا أنّ العبد لا يزني وهو مؤمن، ولا يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن، ولا يأكل الرّبا وهو مؤمن، ولا يسفك الدم الحرام وهو مؤمن، فقد ثقل عليّ هذا وحرج منه صدري حين أزعم أنّ هذا العبد يصلّي صلاتي ويدعو دعائي وينا كحني وأُناكحه ويوارثني وأُوارثه، وقد خرج من الإيمان من أجل ذنب يسير أصابه؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «صدقت، سمعت رسول‌الله صلى الله عليه وآله يقول: والدليل عليه كتاب الله: خلق الله عزّوجلّ الناس علىٰ ثلاث طبقات، وأنزلهم ثلاث منازل، وذلك قول الله عزّوجلّ في الكتاب: **«أصحاب الميمنة»** و **«أصحاب المشئمة»** و **«السابقون»**[3] فأمّا ما ذكره من أمر السابقين، فإنّهم أنبياء مرسلون وغير مرسلين، جعل الله فيهم خمسة أرواح: روح القدس، وروح الإيمان، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح البدن، فبروح القدس بعثوا أنبياء مرسلين وغير مرسلين، وبها علموا الأشياء، وبروح الإيمان عبدوا الله ولم يشركوا به شيئاً، وبروح القوّة جاهدوا عدوّهم وعالجوا معاشهم، وبروح الشهوة أصابوا لذيذ الطعام، ونكحوا الحلال من شباب النساء، وبروح البدن دبّوا ودرجوا، فهؤلاء مغفور لهم مصفوح عن ذنوبهم».

ثم قال: «قال الله تعالى: **«تلك الرّسل فضّلنا بعضهم علىٰ بعض منهم من كلّم الله ورفع**

---

١. الأعراف (٧): ١٧٢.

٢. الكافي ٢: ١٠ / ١.

٣. راجع سورة التوبة (٥٦)، الآيات: ٨ و ٩ و ١٠.

بعضهم درجات وآتينا عيسىٰ بن مريم البيّنات وأيدناه بروح القدس»[١]، ثم قال في جماعتهم: «وأيدّهم بروح منه»[٢] يقول: أكرمهم بها ففضّلهم علىٰ من سواهم، فهؤلاء مغفور لهم مصفوح عن ذنوبهم، ثم ذكر أصحاب الميمنة وهم المؤمنون حقّاً بأعيانهم، جعل الله فيهم أربعة أرواح: روح الإيمان وروح القوة وروح الشهوة وروح البدن، فلا يزال العبد يستكمل هذه الأرواح الأربعة حتىٰ تأتي عليه حالات».

فقال الرجل: ياأمير المؤمنين، ما هذه الحالات؟

فقال: «أما أُولاهنّ فهو كما قال الله عزّوجلّ: «ومنكم من يردّ إلىٰ أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً»[٣] فهذا ينتقص منه جميع الأرواح، وليس بالذي يخرج من دين الله؛ لأن الفاعل به ردّه إلىٰ أرذل العمر، فهو لا يعرف للصلاة وقتاً، ولا يستطيع التهجّد بالليل ولا بالنهار، ولا القيام في الصفّ مع الناس، فهذا نقصان من روح الإيمان وليس يضرّه شيئاً، ومنهم من ينتقص منه روح القوة، ولا يستطيع جهاد عدوّه، ولا يستطيع طلب المعيشة، ومنهم من ينتقص منه روح الشهوة، فلو مرّت به أصبح بنات آدم لم يحنّ إليها ولم يقم، وتبقىٰ روح البدن فيه، فهو يدبّ ويدرج حتىٰ يأتيه ملك الموت، فهذا بحال خير لأنّ الله عزّوجلّ هو الفاعل به، وقد يأتي عليه حالات في قوّته وشبابه، فيهمّ بالخطيئة فتشجّعه روح القوة، وتزيّن له روح الشهوة، وتقوده روح البدن حتىٰ توقعه في الخطيئة، فإذا لامسها نقص من الإيمان وتفصّىٰ منه، فليس يعود فيه حتّىٰ يتوب، فإذا تاب تاب الله عليه، وإن عاد أدخله الله نار جهنّم، فأمّا أصحاب المشئمة فهم اليهود والنصارىٰ، يقول الله عزّوجلّ: «الذّين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» يعرفون محمّداً والولاية في التوراة والإنجيل، كما يعرفون أبناءهم في منازلهم «وإنّ فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون * الحق من ربك» إنّك الرسول إليهم «فلا تكونن من الممترين»[٤] فلمّا جحدوا ما عرفوا ابتلاهم بذلك فسلبهم روح الإيمان، وأسكن أبدانهم ثلاثة أرواح: روح القوة، وروح الشهوة، وروح البدن، ثم أضافهم إلىٰ الأنعام،

---

١. البقرة ٢: ٢٥٣.
٢. المجادلة ٥٨: ٢٢.
٣. النمل ١٦: ٧٠.
٤. البقرة ٢: ١٤٦ - ١٤٧.

فقال: «ان هم إلّا كالأنعام» لأنّ الدابة إنما تحمل بروح القوة، وتعتلف بروح الشهوة، وتسير بروح البدن».

فقال السائل: أحييت قلبي بإذن الله يا أمير المؤمنين[1].

◁ **بيان**

«صُدّقت»: على البناء للمفعول: أي صدقوك فيما زعموا، وليس بالذي يخرج من دين الله.

إن قيل: قد ثبت أنّ الإنسان إنما يبعث على ما مات عليه، فإذا مات الكبير على غير معرفة، فكيف يبعث عارفاً؟

قلنا: لما كان مانعه عن الالتفات إلى معارفه أمراً عارضاً، فلمّا زال ذلك بالموت برّزت له معارفه التي كانت كامنةً في ذاته بخلاف من لم يحصل المعرفة أصلاً، فإنّه ليس في ذاته شيء ليبرز له.

❖ ❖ ❖

باب

آنّ الإيمان مبثوث في الجوارح

[٦٨٧] ١. **الكافي: عن الصادق عليه السلام سئل: أيّ الأعمال أفضل عند الله؟ قال:** «ما لا يقبل الله شيئاً إلّا به». **قيل: وما هو؟ قال:** «الإيمان بالله الذي لا إله إلّا هو أعلى الأعمال درجة، وأشرفها منزلة، وأسناها حظّاً».

قيل: ألا تخبرني عن الإيمان؟ أقول هو وعمل، أم قول بلا عمل؟ فقال: «الإيمان عمل كلّه، والقول بعض ذلك العمل بفرض من الله بيّن في كتابه، واضح نوره، ثابتة حجّته، يشهد له به الكتاب ويدعوه إليه».

قيل: صفه لي جعلت فداك حتى أفهمه. قال: «الإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل، فمنه التامّ المنتهي تمامه، ومنه الناقص البيّن نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه». قيل: إنّ الإيمان ليتمّ وينقص ويزيد؟ قال: «نعم».

---

١. الكافي ٢: ١٦/٢٨١.

قيل: كيف ذاك؟ قال: «لأن الله تعالىٰ فرض الإيمان علىٰ جوارح ابن آدم وقسّمه عليها وفرّقه فيها، فليس من جوارحه جارحة إلّا وقد وكّلت من الإيمان بغير ما وكّلت به أختها، فمنها قلبه الذي به يعقل ويفقه، ويفهم وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلّا عن رأيه وأمره، ومنها عيناه اللّتان يبصر بهما، وأذناه اللتان يسمع بهما، ويداه اللتان يبطش بهما، ورجلاه اللتان يمشي بهما، وفرجه الذي الباءة من قبله، ولسانه الذي ينطق به، ورأسه الذي فيه وجهه، فليس من هذه جارحة إلّا وقد وكّلت من الإيمان بغير ما وكّلت به أختها، بفرضٍ من الله تبارك وتعالىٰ اسمه، ينطق به الكتاب لها، ويشهد به عليها.

ففرض علىٰ القلب غير ما فرض علىٰ السمع، وفرض علىٰ السمع غير ما فرض علىٰ العينين، وفرض علىٰ العينين غير ما فرض علىٰ اللسان، وفرض علىٰ اللسان غير ما فرض علىٰ اليدين، وفرض علىٰ اليدين غير ما فرض علىٰ الرجلين، وفرض علىٰ الرجلين غير ما فرض علىٰ الفرج.

وفرض علىٰ الفرج غير ما فرض علىٰ الوجه، فأمّا ما فرض علىٰ القلب من الإيمان؛ فالإقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بأن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً، وأنّ محمّداً عبده ورسوله صلوات الله عليه، والإقرار بما جاء من الله من نبيّ أو كتاب، فذلك ما فرض الله علىٰ القلب من الإقرار والمعرفة، وهو عمله، وهو قول الله تعالىٰ: **﴿إلّا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً﴾**[1] وقال: **﴿ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب﴾**[2] وقال: **﴿الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾**[3] وقال: **﴿إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء﴾**[4]، فذلك ما فرض الله تعالىٰ علىٰ القلب من الإقرار والمعرفة، وهو عمله، وهو رأس الإيمان.

وفرض الله علىٰ اللسان القول والتعبير عن القلب بما عقد عليه وأقرّ به، قال الله

---

١. النحل (١٦): ١٠٦.
٢. الرعد (١٣): ٢٨.
٣. المائدة (٥): ٤١.
٤. البقرة (٢): ٢٨٤.

تعالىٰ: ﴿وقولوا للناس حُسناً﴾[١] وقال: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أُنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾[٢] فهذا ما فرض الله تعالىٰ علىٰ اللسان، وهو عمله.

وفرض علىٰ السمع أن يتنزّه عن الاستماع إلىٰ ما حرّمه الله، وأن يعرض عمّا لا يحلّ له ممّا نهىٰ الله سبحانه عنه، والإصغاء إلىٰ ما أسخط الله تعالىٰ، فقال في ذلك: ﴿وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزئ بها فلا تقعدوا معهم حتىٰ يخوضوا في حديث غيره﴾[٣] ثم استثنىٰ الله تعالىٰ موضع النسيان، فقال: ﴿وإمّا ينسينّك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾[٤] وقال: ﴿فبشّر عبادي الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾[٥] وقال تعالىٰ: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون﴾[٦] وقال: ﴿إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾[٧] وقال: ﴿إذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً﴾[٨] فهذا ما فرض الله علىٰ السمع من الإيمان أن لا يصغي إلىٰ ما لا يحلّ له، وهو عمله، وهو من الإيمان.

وفرض علىٰ البصر أن لا ينظر إلىٰ ما حرّم الله عليه وأن يعرض عمّا نهىٰ الله عنه مما لا يحلّ له، وهو عمله، وهو من الإيمان، فقال تبارك وتعالىٰ: ﴿قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾[٩] فنهاهم عن أن يُنظَر إلىٰ عوراتهم وأن ينظر المرء إلىٰ فرج أخيه ويحفظ فرجه أن ينظر إليه، وقال: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهنّ ويحفظن فروجهنّ﴾[١٠] من أن تنظر إحداهنّ إلىٰ فرج أُختها، وتحفظ فرجها من أن ينظر إليها» وقال: «كلّ شيء في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا إلّا هذه الآية فإنها من النظر.

---

١. البقرة (٢): ٨٣.
٢. البقرة (٢): ١٣٣.
٣. النساء (٤): ١٤٠.
٤. الأنعام (٦): ٦٨.
٥. الزمر (٣٩): ١٨.
٦. المؤمنون (٢٣): ١ ـ ٣.
٧. القصص (٢٨): ٥٥.
٨. الفرقان (٢٥): ٧٢.
٩. النور (٢٤): ٣٠.
١٠. النور (٢٤): ٣١.

ثمّ نظم ما فرض علىٰ القلب واللسان والسمع والبصر في آية أُخرى، فقال: ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾[1] يعني بالجلود الفروج والأفخاذ، وقال: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إنّ السمع والبصر والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسئولاً﴾[2] فهذا ما فرض الله علىٰ العينين من غضّ البصر عمّا حرّم الله، وهو عملهما، وهو من الإيمان.

وفرض علىٰ اليدين أن لا يبطش بهما إلىٰ ما حرّم الله تعالىٰ، وأن يبطش بهما إلىٰ ما أمر الله عزّوجلّ، وفرض عليهما من الصدقة وصلة الرحم والجهاد في سبيل الله والطّهور للصلوات، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلىٰ الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلىٰ المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلىٰ الكعبين﴾[3] وقال: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتىٰ إذا اثخنتموهم فشدّوا الوثاق فإمّا منّاً بعد وإمّا فداءً حتىٰ تضع الحرب أوزارها﴾[4]. فهذا ما فرض الله علىٰ اليدين؛ لأن الضرب من علاجها.

وفرض علىٰ الرجلين أن لا يمشي بهما إلىٰ شيء من معاصي الله، وفرض عليهما المشي إلىٰ ما يرضي الله تعالىٰ، فقال: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً﴾[5] وقال: ﴿واقصد في مشيك واغضض من صوتك إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾[6] و قال فيما شهدت الأيدي والأرجل في أنفسهما وعلىٰ أربابهما من تضييعهما لما أمر الله به وفرضه عليهما: ﴿اليوم نختم علىٰ أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾[7]، فهذا أيضاً ممّا فرض الله علىٰ اليدين وعلىٰ الرجلين، وهو عملهما، وهو من الإيمان. وفرض علىٰ الوجه السجود له بالليل والنهار في مواقيت الصلاة، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربّكم وافعلوا الخير لعلّكم

---

١. فصلت (٤١): ٢٢.
٢. الاسراء(١٧): ٣٦.
٣. المائدة (٥): ٦.
٤. محمد ﷺ (٤٧): ٤.
٥. الاسراء (١٧): ٣٧.
٦. لقمان (٣١): ١٩.
٧. يس (٣٦): ٦٥.

تفلحون»[١] وهذه فريضة جامعة علىٰ الوجه واليدين والرجلين، وقال في موضع آخر: «وأنّ المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً»[٢] وقال فيما فرض علىٰ الجوارح من الطهور والصلاة بها، وذلك أنّ الله تعالىٰ لما صرف نبيّه ﷺ إلىٰ الكعبة عن بيت المقدس فأنزل الله: «وما كان الله ليضيع إيمانكم إنّ الله بالناس لرؤف رحيم»[٣] فسمّىٰ الصلاة إيماناً، فمن لقي الله حافظاً لجوارحه، موفياً كلّ جارحة من جوارحه ما فرض الله تعالىٰ عليها، لقي الله مستكملاً لإيمانه، وهو من أهل الجنة، ومن خان في شيء منها أو تعدّىٰ ما أمر الله عزّوجلّ فيها، لقي الله عزّوجلّ ناقص الإيمان».

قيل: قد فهمت نقصان الإيمان وتمامه، فمن أين جاءت زيادته؟ فقال: «قول الله تعالىٰ: «وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيّكم زادته هذه إيماناً فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون * وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادهم رجساً إلىٰ رجسهم»[٤] وقال: «نحن نقصّ عليك نبأهم بالحق إنّهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدىً»[٥] ولو كان كلّه واحداً لا زيادة فيه ولا نقصان، لم يكن لأحد منهم فضل علىٰ الآخر، ولاستوت النعم فيه، ولاستوىٰ الناس وبطل التفضيل، ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة، وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله، وبالنقصان دخل المفرّطون النار»[٦].

❖ ❖ ❖

باب

أركان الإيمان وشعبه

[٦٨٨] ١. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الإيمان له أركان أربعة: التوكّل علىٰ الله، وتفويض

---

١. الحج (٢٢): ٧٧.
٢. الجن (٧٢): ١٨.
٣. البقرة (٢): ١٤٣.
٤. التوبة (٩): ١٢٤ ـ ١٢٥.
٥. الكهف (١٨): ١٣.
٦. الكافي ٢: ٣٣/ ١.

الأمر إلىٰ الله، والرّضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله تعالىٰ»[1].

[٦٨٩] ٢. الكافي: عنه عليه السلام سئل عن الإيمان، فقال: «إنّ الله تعالىٰ جعل الإيمان علىٰ أربع دعائم: علىٰ الصبر، واليقين، والعدل، والجهاد.

فالصبر من ذلك علىٰ أربع شعب: علىٰ الشوق، والإشفاق، والزهد، والترقّب، فمن اشتاق إلىٰ الجنّة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرّمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ومن راقب الموت سارع إلىٰ الخيرات.

واليقين علىٰ أربع شعب: تبصرة الفطنة، وتأوّل الحكمة، ومعرفة العبرة، وسنّة الأوّلين، فمن أبصر الفطنة عرف الحكمة، ومن تأوّل الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة عرف السنّة، ومن عرف السنّة فكأنّما كان مع الأوّلين واهتدىٰ للتي هي أقوم، ونظر إلىٰ من نجا بما نجا، ومن هلك بما هلك، وإنّما أهلك الله من أهلك بمعصيته، وأنجىٰ من أنجىٰ بطاعته.

والعدل علىٰ أربع شعب: غامض الفهم، وغمر العلم، وزهرة الحكم، وروضة الحلم، فمن فهم فسّر جميع العلم، ومن علم عرف شرائع الحكم، ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش في الناس حميداً.

والجهاد علىٰ أربع شعب: علىٰ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشنآن الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شدّ ظهر المؤمنين، ومن نهىٰ عن المنكر أرغم أنف المنافق وأمن كيده، ومن صدّق في المواطن قضىٰ الذي عليه، ومن شنأ الفاسقين غضب لله، ومن غضب لله غضب الله له، فذلك الإيمان ودعائمه وشعبه»[2].

❖ ❖ ❖

---

١. الكافي ٢: ٤٧ / ٢.
٢. الكافي ٢: ٥٠ / ١.

باب
فضائل الإيمان والإسلام

[٦٩٠] ١. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة: «أمّا بعد، فإنّ الله تعالىٰ شرع الإسلام، وسهّل شرائعه لمن ورده، وأعزّ أركانه لمن حاربه، وجعله عزّاً لمن تولّاه، وسلماً لمن دخله، وهدىً لمن ائتمّ به، وزينة لمن تجلّله، وعذراً لمن انتحله، وعروةً لمن اعتصم به، وحبلاً لمن استمسك به، وبرهاناً لمن تكلّم به، ونوراً لمن استضاء به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاجّ به، وعلماً لمن وعاه، وحديثاً لمن روىٰ، وحكماً لمن قضىٰ، وحلماً لمن جرّب، ولباساً لمن تدثّر، وفهماً لمن تفطّن، ويقيناً لمن عقل، وبصيرة لمن عزم، وآية لمن توسّم، وعبرة لمن اتّعظ، ونجاة لمن صدّق، وتؤدة[١] لمن أصلح، وزلفىٰ لمن اقترب، وثقةً لمن توكّل، ورجاءً لمن فوّض، وسبقة لمن أحسن، وخيراً لمن سارع، وجنّةً لمن صبر، ولباساً لمن اتقىٰ، وظهيراً لمن رشد، وكهفاً لمن آمن، وأمنةً لمن أسلم، وروحاً[٢] لمن صدّق، وغنىً لمن قنع.

فذلك الحقّ، سبيله الهدىٰ، ومأثرته المجد، وصفته الحسنىٰ، فهو أبلج المنهاج، مشرق المنار، ذاكي المصباح، رفيع الغاية، يسير المضمار، جامع الحلبة، سريع السبقة، أليم النقمة، كامل العدّة، كريم الفرسان، فالإيمان منهاجه، والصالحات مناره، والفقه مصابيحه، والدنيا مضماره، والموت غايته، والقيامة حلبته، والجنّة سبقته، والنار نقمته، والتقوىٰ عدّته، والمحسنون فرسانه.

فبالإيمان يستدلّ علىٰ الصالحات، وبالصالحات يعمل الفقه، وبالفقه يرهب الموت، وبالموت تختم الدنيا، وبالدنيا تجاز القيامة، وبالقيامة تزلف الجنّة، والجنّة حسرة أهل النار، والنار موعظة للمتقين، والتقوىٰ سنخ الإيمان»[٣].

◁ **بيان**

«تجلّله» بالجيم: من الجلل، بمعنىٰ الغطاء والستر، «وعذراً لمن انتحله» أي ادّعاه

---

١. التؤدة: بفتح الهمزة وسكونها: الرزانة والتأنّي.
٢. في الكافي: «رجاءً».
٣. الكافي ٢: ٤٩ / ١.

كاذباً «والحلبة» بالمهملة والموحّدة: خيل تجمع للسباق من كلّ أوب «فبالإيمان يستدلّ علىٰ الصالحات» أي يستدلّ بوجوده في قلب العبد علىٰ ملازمته لها، ويعمر بصدورها منه فقهه وإيمانه، وبفقهه وقوّة إيمانه يرهب الموت الذي يحول بينه وبين العمل له ولما بعده.

❖ ❖ ❖

باب

حقيقة الإيمان واليقين

[٦٩١] ١. **الكافي: عن الباقر**عليه السلام: «بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض أسفاره إذ لقيه ركب، فقالوا: السلام عليك يارسول الله، فقال: ما أنتم؟ فقالوا: نحن مؤمنون يارسول الله، قال: فما حقيقة إيمانكم؟ قالوا: الرضا بقضاء الله، والتفويض إلىٰ الله، والتسليم لأمر الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: علماء حلماء، كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء، فإن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون»[1].

وفي رواية: أنه صلى الله عليه وآله قال لهم: «وما بلغ من إيمانكم؟ قالوا: الصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بالقضاء»[2].

[٦٩٢] ٢. **الكافي: عن الصادق**عليه السلام: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلّىٰ بالناس الصبح، فنظر إلىٰ شابّ في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه مصفرّاً لونه، قد نحف جسمه، وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: كيف أصبحت يافلان؟ قال: أصبحت يارسول الله موقناً، فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله، وقال له: إنّ لكلّ يقين حقيقة، فما حقيقة يقينك؟

فقال: إنّ يقيني ـ يارسول الله ـ هو الذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري، فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتىٰ كأني أنظر إلىٰ عرش ربّي وقد نصب بالحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم، وكأنّي أنظر إلىٰ أهل الجنة يتنعّمون في الجنّة

---

١. الكافي ٢: ٥٣ / ١.
٢. الكافي ٢: ٤٨ / ٤.

ويتعارفون علىٰ الأرائك متّكئون، وكأني أنظر إلىٰ أهل النار وهم فيها معذّبون مصطرخون، وكأنّي الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي.

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: هذا عبد نوّر الله قلبه بالإيمان، ثم قال له: إلزم ما أنت عليه، فقال الشاب: أُدع الله لي يارسول الله أن أُرزق الشهادة معك، فدعا له رسول‌الله ﷺ، فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبيّ ﷺ فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر»[1].

وفي رواية: استقبل رسول الله ﷺ حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاري، فقال له: «كيف أنت ياحارثة بن مالك؟»، فقال: يارسول الله، مؤمن حقّاً، فقال له رسول‌الله ﷺ: «لكلّ شيء حقيقة، فما حقيقة قولك؟». ثم ذكر ما يقرب من الحديث السابق، فقال له رسول الله ﷺ: «عبد نوّر الله قلبه، أبصرت فاثبت»[2] الحديث.

◁ **بيان**

«الحقيقة» ما يثبت به الشيء ويتضّح، ومثل هذا الاطّلاع علىٰ حقائق الأشياء هو العلم والحكمة الحقيقية التي من أُوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً، وإليه أشار أمير‌المؤمنين ﷺ بقوله: «هجم بهم العلم علىٰ حقائق الأمور، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعر منه المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى»[3].

❖ ❖ ❖

باب

صفات المؤمن وعلاماته

[٦٩٣] ١. الكافي: عن الصادق ﷺ: «قام رجل يقال له همام ـ وكان عابداً ناسكاً مجتهداً ـ إلىٰ أمير المؤمنين ﷺ وهو يخطب، فقال: ياأمير المؤمنين، صف لنا صفة المؤمن كأننا ننظر إليه.

---

١. الكافي ٢: ٥٣ / ٢.
٢. الكافي ٢: ٥٤ / ٣.
٣. امالي الطوسي: ٢٠ / المجلس الاوّل.

فقال: ياهمام، المؤمن هو الكيّس الفطن، بشره في وجهه، وحزنه في قلبه، أوسع شيء صدراً، وأذلّ شيء نفساً، زاجراً عن كلّ فان، حاضّ علىٰ كلّ حسن، لا حقود ولا حسود، ولا وثّاب ولا سبّاب، ولا عيّاب ولا مغتاب، يكره الرفعة ويشنأ السمعة، طويل الغمّ، بعيد الهمّ، كثير الصمت، وقور ذكور، صبور شكور، مغموم بفكره، مسرور بفقره، سهل الخليقة، ليّن العريكة، رصين الوفاء، قليل الأذىٰ، لا متأفّك ولا متهتّك، إن ضحك لم يخرق، وإن غضب لم ينزق، ضحكه تبسّم، واستفهامه تعلّم، ومراجعته تفهّم.

كثير علمه، عظيم حلمه، كثير الرحمة، لا يبخل ولا يعجل، ولا يضجر ولا يبطر، ولا يحيف في حكمه، ولا يجوز في علمه، نفسه أصلب من الصلد، ومكادحته أحلىٰ من الشهد، لاجشع ولا هلع، ولا عنف ولا صلف، ولا متكلّف ولا متعمّق، جميل المنازعة، كريم المراجعة، عدل إن غضب، رفيق إن طلب، لا يتهوّر ولا يتهتّك، ولا يتجبّر، خالص الودّ، وثيق العهد، وفيّ العقد، شفيق وصول، حليم حمول، قليل الفضول، راضٍ عن الله تعالىٰ، مخالف لهواه، لا يغلظ علىٰ من يؤذيه، و لا يخوض فيما لا يعنيه، ناصر للدين، محامٍ عن المؤمنين، كهف للمسلمين، لا يخرق الثناء سمعه، ولا ينكي الطمع قلبه، ولا يصرف اللعب حكمه، ولا يطّلع الجاهل علمه.

قوّال عمّال، عالم حازم، لا بفحّاش ولا بطيّاش، وصول في غير عنف، بذول في غير سرف، ولا بختّار ولا بغدّار، ولا يقتفي أثراً، ولا يحيف بشراً، رفيق بالخلق، ساع في الأرض، عون للضعيف، غوث للملهوف، لا يهتك ستراً، ولا يكشف سرّاً، كثير البلوىٰ، قليل الشكوى، إن رأىٰ خيراً ذكره، وإن عاين شرّاً ستره، ويستر العيب ويحفظ الغيب ويقيل العثرة ويغفر الزلّة.

لا يطلع علىٰ نصح فيذره، ولا يدع جنح حيف فيصلحه، أمين رصين، تقيّ نقيّ، زكيّ رضيّ، يقبل العذر، ويجمل الذكر، ويحسن بالناس الظنّ، ويتّهم علىٰ العيب نفسه، يحبّ في الله بفقه وعلم، ويقطع في الله بحزم وعزم، لا يخرق به فرح، ولا يطيش به مرح، مذكّر للعالم، معلّم للجاهل، لا يتوقّع له بائقة، ولا يخاف له غائلة، كلّ سعي أخلص عنده من سعيه، وكلّ نفس أصلح عنده من نفسه، عالم بعيبه، شاغل بغمّه، لا يثق بغير ربّه.

قريب، وحيد، حزين، يحبّ في الله ويجاهد في الله ليتبع رضاه، ولا ينتقم لنفسه بنفسه، ولا يوالي في سخط ربّه، مجالس لأهل الفقر، مصادق لأهل الصدق، مؤازر لأهل الحقّ، عون للغريب، أب لليتيم، بعل للأرملة، حفيّ بأهل المسكنة، مرجوّ لكلّ كريهة، مأمول لكلّ شدّة، هشّاش بشّاش، لا بعبّاس ولا بجسّاس، صليب كظّام بسّام، دقيق النظر، عظيم الحذر، لا يبخل، وإن بُخل عليه صبر.

عقل فاستحيىٰ، وقنع فاستغنىٰ، حياؤه يعلو شهوته، وودّه يعلو حسده، وعفوه يعلو حقده، لا ينطق بغير صواب، ولا يلبس إلّا الاقتصاد، مشيه التواضع، خاضع لربّه بطاعته، راضٍ عنه في كلّ حالاته، نيّته خالصة، أعماله ليس فيها غشّ ولا خديعة.

نظره عبرة، وسكوته فكرة، وكلامه حكمة، مناصحاً متباذلاً متواخياً، ناصح في السر والعلانية، لا يهجر أخاه، ولا يغتابه، ولا يمكر به، ولا يأسف علىٰ ما فاته، ولا يحزن علىٰ ما أصابه، ولا يرجو ما لا يجوز له الرجاء، ولا يفشل في الشدة، ولا يبطر في الرخاء، يمزج العلم بالحلم، والعقل بالصبر.

تراه بعيداً كسله، دائماً نشاطه، قريباً أمله، قليلاً زلله، متوقعاً لأجله، خاشعاً قلبه، ذاكراً ربّه، قانعة نفسه، منفيّاً جهله، سهلاً أمره، حزيناً لذنبه، ميّتة شهوته، كظوماً غيظه، صافياً خلقه، آمناً منه جاره، ضعيفاً كبره، قانعاً بالذي قدرّ له، متيناً صبره، محكماً أمره، كثيراً ذكره، يخالط الناس ليعلم، ويصمت ليسلم، ويسأل ليفهم، ويتّجر ليغنم، لا ينصت للخير ليفخر به[1]، ولا يتكلّم ليتجبّر به علىٰ من سواه، نفسه في عناء والناس منه في راحة، أتعب نفسه لآخرته، فأراح الناس من نفسه.

إن بُغي عليه صبر حتىٰ يكون الله الذي ينتصر له، بعده ممّن تباعد منه بغض ونزاهة، ودنوّه ممّن دنا منه لين ورحمة، ليس تباعده تكبّراً ولا عظمة، ولا دنوّه خديعة ولا خلابة، بل يقتدي بمن كان قبله من أهل الخير، فهو إمام لمن بعده من أهل البرّ».

قال: «فصاح همام صيحة ثم وقع مغشيّاً عليه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أما والله لقد كنت أخافها عليه، وقال: هكذا تصنع الموعظة البالغة بأهلها، فقال له قائل: فما بالك ياأمير المؤمنين؟ فقال: إنّ لكلٍّ أجلاً لن يعدوه وسبباً لا يجاوزه، فمهلاً لا تعد فإنّما

---

١. في الكافي: «ليفجر به».

نفث علىٰ لسانك شيطان»[١].

◁ **بيان**

«الوثبة» الطيّش «والعريكة» الطبيعة «والرصين» المحكم الثابت «والخرق» الحمق «والنزق» الطيّش «والكدح» الكدّ، وحلاوة مكادحته لحلاوة ثمرتها، فإنّ التعب في سبيل المحبوب راحة «والجَشَعَ» محرّكة: شدّة الحرص «والهلع» الجزع «والحكم» الحكمة «والختر» الغدر «والجنح» الجانب «والمرح» شدّة الفرح، يعني لا يحمله الفرح علىٰ الحماقة، ولا شدّته علىٰ عدوله عن الحقّ والميل إلىٰ الباطل، يقال: طاش السّهم عن الهدف، أي عدل «والبائقة» الشرّ «والغائلة» الشدّة «مرجوّ لكلّ كريهة» أي رَفْعُها، وكذا في أختها «والبشاشة» الارتياح والخفّة «بغض ونزاهة» أي بغض له في الله، أو بغض لما في أيدي الناس من متاع الدنيا ونزاهة عنه، وفي رواية: «زهد ونزاهة» وهو أوضح «والخلابة» الخديعة باللسان، وهذه الصفات والعلامات قد يتداخل بعضها في بعض، ولكن تورد بعبارة أخرىٰ أو تذكر مفردة، ثم تذكر ثانياً مركّبة مع غيرها.

قوله: «فما بالك» أي لم تقع مغشيّاً عليك إذا ذكرت له ذلك، وفي (نهج البلاغة): «فصعق هماء صعقة كانت نفسه فيها»[٢] يعني مات منها.

[٦٩٤] ٢. **الكافي:** عنه عليه السلام: «المؤمن له قوّة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وحرص في فقه، ونشاط في هدىٰ، وبرّ في استقامة، وعلم في حلم، وكيس في رفق، وسخاء في حق، وقصد في غنىٰ، وتحمّل في فاقة، وعفو في قدرة، وطاعة لله في نصيحة، وانتهاء في شهوة، وورع في رغبة، وحرص في جهاد، وصلاة في شغل، وصبر في شدّة.

في الهزاهز وقور، وفي المكان صبور، وفي الرخاء شكور، لا يغتاب ولا يتكبّر، ولايقطع الرّحم، وليس بواهن، ولا فظّ ولا غليظ، لا يسبقه بصره، ولايفضحه بطنه، ولا يغلبه فرجه، ولا يحسد الناس، يعيَّر ولا يعيِّر، ولا يسرف، ينصر المظلوم، ويرحم المسكين، نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة، لا يرغب في عزّ الدنيا، ولا يجزع

---

١. الكافي ٢: ٢٢٦ / ١.

٢. نهج البلاغه: خطبه ١٤٨/١٠.

من ذلّها، للناس همّ قد أقبلوا عليه وله همّ قد شغله، لا يرىٰ في حكمه نقص، ولا في رأيه وهن، ولا في دينه ضياع، يرشد من استشار، ويساعد من ساعد، ويكتع[1] عن الخناء والجهل»[2].

◁ **بيان**

لعلّ المراد بالصلاة في الشغل ذكر الله في أشغاله، أو أنّ المراد أنّه لاتشغله أشغاله عن إتيان الصلاة، بل يدع الشغل ويأتي الصلاة، ثم يعود إليه، ويشملهما قوله تعالىٰ: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾[3] «ويكتع» أي يهرب إن كان بالمثناة الفوقانية، ويتجنّب إن كان بالتحتانية.

[٦٩٥] ٣. **الكافي: عن أحدهما عليه السلام**: «مرّ أمير المؤمنين عليه السلام بمجلس من قريش، فإذا هو بقوم بيض ثيابهم، صافية ألوانهم، كثير ضحكهم، يشيرون بأصابعهم إلىٰ من يمرّ بهم. ثم مرّ بمجلس للأوس والخزرج، فإذا أقوام بليت منهم الأبدان، ودقّت منهم الرّقاب، واصفرّت منهم الألوان، وقد تواضعوا بالكلام.

فتعجّب عليّ عليه السلام من ذلك، ودخل علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: بأبي أنت وأُمّي، إنّي مررت بمجلس لآل فلان ـ ثم وصفهم ـ ومررت بمجلس للأوس والخزرج ـ فوصفهم ثمّ قال ـ: وجميع مؤمنون، فأخبرني يارسول الله بصفة المؤمن.

فنكس رسول الله صلى الله عليه وآله ثم رفع رأسه، فقال: عشرون خصلة في المؤمن، فإن لم تكن فيه لم يكمل إيمانه، إنّ من أخلاق المؤمنين ياعليّ، الحاضرون الصلاة، والمسارعون إلىٰ الزكاة، والمطعمون المسكين، الماسحون رأس اليتيم، المطهّرون أطمارهم[4]، المتزّرون علىٰ أوساطهم، الذين إن حدّثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإن تكلّموا صدقوا، رهبان بالليل أشدّاء بالنهار، صائمون النهار، قائمون الليل، لا يؤذون جاراً، ولا يتأذّىٰ بهم جار، الذين مشيهم علىٰ الأرض هون، وخطاهم إلىٰ بيوت الأرامل وعلىٰ أثر الجنائز، جعلنا الله

---

١. في الكافي: «يكيع».
٢. الكافي ٢: ٢٣١ / ٤.
٣. النور (٢٤): ٣٧.
٤. أي ثيابهم البالية بالغسل أو بالتشمير.

وإياكم من المتّقين»[١].

[٦٩٦] ٤. الكافي: عن النبي ﷺ: «ثلاث خصال من كنّ فيه استكمل خصال الإيمان: إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا غضب لم يخرجه الغضب من الحقّ، وإذا قدر لم يتعاط ما ليس له»[٢].

[٦٩٧] ٥. الكافي: عنه ﷺ: «ألا أُنبّئكم بالمؤمن؟ من ائتمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم، ألا أنبّئتكم بالمسلم؟ من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السيّئات، وترك ما حرّم الله»[٣].

[٦٩٨] ٦. الكافي: عنه ﷺ: «المؤمن كمثل شجرة لا يتحاتّ ورقها في شتاء ولا صيف» قالوا: يارسول الله وما هي؟ قال: «النخلة»[٤].

◁ بيان

يعني انّه مستقيم الأحوال، ينتفع منه دائماً.

[٦٩٩] ٧. الكافي: عن الصادق ﷺ: «من سرّته حسنة وساءته سيئة، فهو مؤمن»[٥].

[٧٠٠] ٨. الكافي: عنه ﷺ: «ثلاث من علامات المؤمن: علمه بالله، ومن يحبّ، ومن يبغض»[٦].

◁ بيان

يعني ويعلم من ينبغي حبّه ومن ينبغي بغضه، يعني حبّه لمن يحبّ وبغضه لمن يبغض على بصيرة وعلم.

[٧٠١] ٩. الكافي: مرفوعاً، قال: سمعته يقول: «المؤمنون هيّنون ليّنون كالجمل الألف[٧]، إن قيد

---

١. الكافي ٢: ٢٣٢ / ٥.
٢. الكافي ٢: ٢٣٩ / ٢٩.
٣. الكافي ٢: ٢٣٥ / ١٩.
٤. الكافي ٢: ٢٣٥ / ١٦.
٥. الكافي ٢: ٢٣٢ / ٦.
٦. الكافي ٢: ١٢٦ / ٩.
٧. في الكافي: «الأنف».

انقاد، وإن أُنيخ علىٰ صخرة استناخ»[١].

◁ **بيان**

التخفيف في الكلمتين أصوب «والهين» السكينة والوقار والسهولة «والألف» ككتف وصاحب، باللام من الأُلفة، وبالنون بمعنىٰ الذلول المنقاد، والحديث من طرق العامّة نبويّ.

[٧٠٢] ١٠. **الكافي: عنه** ﷺ: «المؤمن من طاب مكسبه، وحسنت خليقته، وصحّت سريرته، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من كلامه، وكفىٰ الناس شرّه، وأنصف الناس من نفسه»[٢].

[٧٠٣] ١١. **الكافي: عنه** ﷺ: «المؤمن حسن المعونة، خفيف المؤنة، جيّد التدبير لمعيشته، لا يلسع من جحر مرّتين»[٣].

◁ **بيان**

يعني: لا يقع في آفة بعد وقوعه فيها، بل يكون شديد التيقّظ في أمر قد عقل عنه يوماً مّا.

[٧٠٤] ١٢. **الكافي: عن السجّاد** ﷺ: «من أخلاق المؤمن الإنفاق علىٰ قدر الإقتار، والتوسّع علىٰ قدر التوسّع، وإنصاف الناس من نفسه، وابتداؤه إيّاهم بالسلام عليهم»[٤].

[٧٠٥] ١٣. **الكافي: عن الرضا** ﷺ: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتىٰ يكون فيه ثلاث خصال: سنّة من ربّه، وسنّة من نبيّه، وسنّة من وليّه، فأمّا السنّة من ربّه فكتمان سرّه، قال الله تعالىٰ: ﴿عالم الغيب فلا يظهر علىٰ غيبه أحداً * إلّا من ارتضىٰ من رسول﴾[٥]، وأمّا السنّة من نبيّه فمداراة الناس، فإنّ الله تعالىٰ أمر نبيّه ﷺ بمداراة الناس فقال: ﴿خذ العفو وأمر

---

١. الكافي ٢: ٢٣٤ / ١٤.
٢. الكافي ٢: ٢٣٥ / ١٨.
٣. الكافي ٢: ٢٤١ / ٣٨.
٤. الكافي ٢: ٢٤١ / ٣٦.
٥. الجنّ (٧٢): ٢٦ ـ ٢٧.

بالعرف»[١] وأمّا السنّة من وليّه فالصبر في البأساء والضرّاء»[٢].

[٧٠٦] ١٤. التهذيب: عن أبي محمّد العسكري عليه السلام: «علامات المؤمن خمس: صلاة الخمسين، وزيارة الأربعين، والتختّم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم»[٣].

◆ ◆ ◆

باب
قلّة المؤمن وغربته

[٧٠٧] ١. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «الناس كلّهم بهائم ـ ثلاثاً ـ إلّا قليل من المؤمنين، والمؤمن غريب ـ ثلاث مرات ـ»[٤].

[٧٠٨] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «المؤمنة أعزّ من المؤمن، والمؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر، فمن رأىٰ منكم الكبريت الأحمر!»[٥].

[٧٠٩] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «أما والله لو أنّي أجد منكم ثلاثة مؤمنين يكتمون حديثي، ما استحللت أن أكتمهم حديثاً»[٦].

وعنه عليه السلام ونظر إلىٰ غلام يرعىٰ جداء: «والله لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود».

قيل: عطفت إلىٰ الجداء فعددتها، فإذا هي سبعة عشر[٧].

[٧١٠] ٤. الكافي: سماعة، قال: قال لي عبد صالح عليه السلام: «ياسماعة، أمنوا علىٰ فرشهم وأخافوني،

---

١. الأعراف (٧): ١٩٩.
٢. الكافي ٢: ٢٤١ / ٣٩.
٣. التهذيب ٦: ٥٢ / ١٢٢.
٤. الكافي ٢: ٢٤٢ / ٢.
٥. الكافي ٢: ٢٤٢ / ١.
٦. الكافي ٢: ٢٤٢ / ٣.
٧. الكافي ٢: ٢٤٢ / ٤.

أما والله لقد كانت الدنيا وما فيها إلّا واحد يعبد الله ولو كان معه غيره لأضافه الله إليه حيث يقول: «إنّ إبراهيم كان أمّة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين»[1] فغبر بذلك ما شاء الله، ثم إنّ الله آنسه بإسماعيل وإسحاق فصاروا ثلاثة، أما والله إنّ المؤمن لقليل، وإنّ أهل الكفر لكثير، أتدري لم ذاك؟» فقلت: لا أدري جعلت فداك، فقال: «صيّروا أُنساً للمؤمنين، يبثّون إليهم ما في صدورهم فيستريحون إلىٰ ذلك ويسكنون إليه»[2].

◁ بيان

«أمنوا علىٰ فرشهم» لعلّه عليه السلام أراد بذلك الذين يدّعون ولايته وإنّهم من شيعته، ثم خذلوه ولم يعينوه «فغبر» بالمعجمة والموحّدة أي مكث «وإنّ أهل الكفر لكثير» يعني بهم من كان في زيّ المؤمنين وفي عدادهم «لم ذاك» أي لم جعل أهل الكفر في زيّ المؤمنين ومن عدادهم في الظاهر.

[٧١١] ٥. الكافي: عن الكاظم عليه السلام: «ليس كلّ من قال بولايتنا مؤمناً، ولكن جعلوا أُنساً للمؤمنين»[3].

[٧١٢] ٦. الكافي: حمران بن أعين، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك، ما أقلّنا! لو اجتمعنا علىٰ شاة ما أفنيناها. فقال: «ألا أُحدّثك بأعجب من ذلك. المهاجرون والأنصار ذهبوا إلّا ـ وأشار بيده ـ ثلاثة[4]». قال حمران: فقلت: جعلت فداك، ما حال عمّار؟ قال: «رحم الله عمّاراً أبا اليقظان بايع وقتل شهيداً». فقلت في نفسي: ما شيء أفضل من الشهادة، فنظر إليّ فقال: «لعلّك ترىٰ أنّه مثل الثلاثة أيهات أيهات»[5].

[٧١٣] ٧. الكافي: عنه عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾[6]: «المسلّمون، إنّ المسلّمين هم النجباء، فالمؤمن غريب، فطوبىٰ للغرباء»[7].

---

١. النحل (١٦): ١٢٠.
٢. الكافي ٢: ٢٤٣ / ٥.
٣. الكافي ٢: ٢٤٤ / ٧.
٤. والمراد بالثلاثة: سلمان و أبو ذر والمقداد كما في رجال الكشي ص ٨.
٥. الكافي ٢: ٢٤٤ / ٦، وقوله: «أيهات» لغة في هيهات. أي بعد عن الحق رأيك.
٦. المؤمنون (٢٣): ١.
٧. الكافي ١: ٣٩١ / ٥.

◁ **بيان**

إنما فرّع غربة المؤمن علىٰ تفسيره بالمسلّم ووصف المسلّم بالنجيب لقلّة المسلّم والنجيب فيما بين الناس وشذوذه جدّاً، وهذا معنىٰ الغربة كما قيل:

وللناس فيما يعشقون مذاهبٌ ولي مذهبٌ فرد أعيش به وحدي

[٧١٤] ٨. **الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: «قال عيسىٰ عليه السلام: اشتدّت مؤنة الدنيا ومؤنة الآخرة، أمّا مؤنة الدنيا فإنّك لا تمدّ يدك إلىٰ شيء منها إلّا وجدت فاجراً قد سبقك إليها، وأمّا مؤنة الآخرة فإنّك لا تجد أعواناً يعينونك عليها»**[1].

◁ **بيان**

قد مضى في باب ابتلائهم عليهم السلام بأصحابهم ما يناسب هذا الباب.

◆ ◆ ◆

باب

عزّة المؤمن واصطفائه

[٧١٥] ١. **الكافي: عن الصادق عليه السلام قال لرفاعة: «أتدري يارفاعة لم سمّي المؤمن مؤمناً؟» قال: قلت: لا أدري، قال: «لأنه يؤمّن علىٰ الله تعالىٰ فيجيز الله له أمانه ذلك»**[2].

[٧١٦] ٢. **الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّ الله أعطىٰ المؤمن ثلاث خصال: العزّ في الدنيا والآخرة، والفلج في الدنيا والآخرة، والمهابة في صدور الظالمين»**[3].

[٧١٧] ٣. **الكافي: عنه عليه السلام: «لمّا أُسري بالنّبيّ صلى الله عليه وآله قال: ياربّ ما حال المؤمن عندك؟ قال: يامحمّد، من أهان لي وليّاً فقد بارزني بالمحاربة، وأنا أسرع شيء إلىٰ نصرة أوليائي، وما تردّدت عن شيء أنا فاعله كتردّدي عن وفاة المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، وإنّ من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلّا الغنىٰ ولو صرفته**

---

١. الكافي ٨: ١٤٤ / ١١٢.
٢. الكافي ٨: ١٦٠ / ١٦١.
٣. الكافي ٨: ٤٣ / ٢٣٤ / ٣١٠.

إلىٰ غير ذلك لهلك، وإنّ من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلّا الفقر ولو صرفته إلىٰ غير ذلك لهلك، وما يتقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضت عليه، وإنّه ليتقرب إليّ بالنافلة حتىٰ أحبّه، فإذا أحببته، كنت إذن سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته»[1].

وفي رواية: «ما ترددت في شيء أنا فاعله كتردّدي في عبدي المؤمن، أنا أحبّ لقاءه فيكره الموت فأصرفه عنه، وإنّه ليدعوني في الأمر فأستجيب له بما هو خير له»[2].

وفي رواية أخرىٰ: «قلت: ياربّ من وليّك هذا فقد علمت أنّ من حاربك حاربته؟ قال: ذاك من أخذت ميثاقه لك ولوصيّك وذريّتكما بالولاية»[3].

◁ **بيان**

معنىٰ نسبة التردّد إلىٰ الله سبحانه قد مضىٰ تحقيقه في باب البداء، وكراهة الموت لا ينافي حبّ لقاء الله، مع أنّه قد ورد أنّ حال الاحتضار يحبّب الله إلىٰ المؤمن لقاءه حتىٰ يشتاق إلىٰ الموت.

«والنافلة» كلّ ما يفعل لوجه الله ممّا لم يفترض، وتخصيصها بالصلوات المندوبة عرف طارٍ، وأما معنىٰ التقرّب إلىٰ الله سبحانه ومحبة الله للعبد وكون الله سمع المؤمن وبصره ولسانه ويده، ففيه غموض لا يناله أفهام الجمهور. وقد أودعناه في كتابنا الموسوم بـ(الكلمات المكنونة) وإنما يرزق فهمه من كان أهله.

قال شيخنا البهائي ﷺ في (أربعينه): معنىٰ محبّة الله سبحانه للعبد هو كشف الحجاب عن قلبه وتمكينه من أن يطأ علىٰ بساط قربه، فإنّ ما يوصف به سبحانه إنّما يؤخذ باعتبار الغايات لا باعتبار المبادئ، وعلامة حبّه سبحانه للعبد توفيقه للتجافي عن دار الغرور، والترقّي إلىٰ عالم النور، والأُنس بالله، والوحشة ممّا

---

١. الكافي ٢: ١٤٥ / ٣٥٢ / ٨.
٢. الكافي ٢: ٣٥٤ / ١١.
٣. الكافي ٢: ٣٥٣ / ١٠.

سواه، وصيرورة جميع الهموم همّاً واحداً.

قال بعض العارفين: إذا أردت أن يعرف مقامك فانظر فيما أقامك.

قال ﷺ: فالمراد ـ والله أعلم ـ أنّي إذا أحببت عبدي جذبته إلىٰ محلّ الأُنس، وصرفته إلىٰ عالم القدس، وصيّرت فكره مستغرقاً في أسرار الملكوت، وحواسّه مقصورة علىٰ اجتلاء أنوار الجبروت، فتثبت حينئذ في مقام القرب قدمه، ويمتزج بالمحبة لحمه ودمه إلىٰ أن يغيب عن نفسه ويذهل عن حبّه، فيتلاشىٰ الأغيار في نظره، حتىٰ أكون له بمنزلة سمعه وبصره، كما قال من قال:

جنوني فيك لا يخفىٰ ... وناري منك لا تخبو

فأنت السمع والأبصار ... والأركان والقلب

انتهىٰ كلامه.

ولعلّ المراد بالمأخوذ ميثاقه في الحديث الأخير: الذي أقرّ به وثبت علىٰ إقراره حتىٰ وفىٰ به، وذلك لأنّ منهم من كذّب وأنكر، ومنهم من أقرّ ولم يثبت عليه ولم يف به، كما مرّ بيانه.

[٧١٨] ٤. الكافي: عن الصادق ﷺ: «إنّ الله تعالىٰ يعطي الدنيا من يحبّ ويبغض ولا يعطي هذا الأمر إلّا صفوته من خلقه، أنتم والله علىٰ ديني ودين آبائي إبراهيم وإسماعيل، لا أعني عليّ بن الحسين، ولا محمّد بن عليّ، وإن كان هؤلاء علىٰ دين هؤلاء»[1].

❖ ❖ ❖

باب

أُنس المؤمن بإيمانه وبالمؤمن

[٧١٩] ١. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «قال الله تعالىٰ: لو لم يكن في الأرض إلّا مؤمن واحد لاستغنيت به عن جميع خلقي، ولجعلت له من إيمانه أُنساً لا يحتاج إلىٰ أحد»[2].

---

١. الكافي ٢: ٢/٢١٤.

٢. الكافي ٢: ٢/٢٤٥.

[٧٢٠] ٢. **الكافي: عن الباقر** عليه السلام: «ما يبالي من عرّفه الله هذا الأمر أن يكون على قُلّة جبل يأكل من نبات الأرض حتى يأتيه الموت»[١].

وفي رواية: «ما يضرّ رجلاً إذا كان على ذا الرأي ما قال له الناس ولو قالوا مجنون»[٢].

[٧٢١] ٣. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «من كان همّه همّاً واحداً كفى الله همّه، ومن كان همّه في كلّ وادٍ لم يبال الله بأيّ واد هلك»[٣].

[٧٢٢] ٤. **الكافي: عنه** عليه السلام: «إنّ المؤمن ليسكن إلى المؤمن كما يسكن الظمآن إلى الماء البارد»[٤].

◆ ◆ ◆

باب
إنّ المؤمن إما شافع أو مشفوع له

[٧٢٣] ١. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «المؤمن مؤمنان: مؤمن وفى لله بشروطه التي اشترطها عليه فذلك مع النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وذلك ممّن يشفع ولا يشفع له، وذلك ممن لا تصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة، ومؤمن زلّت به قدم فذلك كخامة الزرع كيفما كفأته الريح انكفأ، وذلك ممّن تصيبه أهوال الدنيا وأهوال الآخرة، ويشفع له، وهو على خير»[٥].

◁ **بيان**

«الخامة من الزرع» أول ما نبت على ساق «كفأته» صرفته.

◆ ◆ ◆

---

١. الكافي ٢: ٣/٢٤٥.
٢. الكافي ٢: ١/٢٤٥.
٣. الكافي ٢: ٥/٢٤٦.
٤. الكافي ٢: ١٠٢/٢٤٧/١.
٥. الكافي ٢: ٢/٢٤٨.

باب

أنّ الله لم يأذن للمؤمن أن يذلّ نفسه

[٧٢٤] ١. الكافي، التهذيب: عن الصادق عليه السلام: «إنّ الله عزّوجلّ فوّض إلىٰ المؤمن أموره كلّها، ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلاً، أما تسمع الله يقول: ﴿ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين﴾[١] فالمؤمن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً»[٢].

وفي رواية: «يعزّه الله بالإيمان والإسلام»[٣].

[٧٢٥] ٢. الكافي، التهذيب: عنه عليه السلام: «لا ينبغي للمؤمن أن يذلّ نفسه» قيل له: كيف يذلّ نفسه؟ قال: «يتعرّض لما لا يطيق»[٤].

وفي رواية: قيل: بما يذلّ نفسه؟ قال: «يدخل فيما يعتذر منه»[٥].

[٧٢٦] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «ما ينبغي للمؤمن أن يستوحش إلىٰ أخيه فمن دونه، المؤمن عزيز في دينه»[٦].

◁ بيان

ضمّن الاستيحاش معنىٰ الاستيناس فعدّاه بإلىٰ. وإنّما لا ينبغي له ذلك لأنّه ذلّ، فلعلّ أخاه الذي ليس في مرتبته لا يرغب في صحبته.

❖ ❖ ❖

باب

صلابة المؤمن في دينه

[٧٢٧] ١. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «المؤمن أصلب من الجبل، الجبل يستقلّ منه والمؤمن لا

---

١. المنافقون (٦٣): ٧.
٢. الكافي ٥: ٦٣ / ٢، والتهذيب ٦: ١٧٩ / ٨٠.
٣. الكافي ٥: ٦٣ / ٢.
٤. الكافي ٥: ٦٤ / ٤، والتهذيب ٦: ١٨٠ / ٨٠.
٥. الكافي ٥: ٦٤ / ٥.
٦. الكافي ٢: ٢٤٥ / ٤.

يستقلّ من دينه شيء»[١].

[٧٢٨] ٢. **الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ حواريّ عيسىٰ عليه السلام كانوا شيعته، وإنّ شيعتنا حواريّونا، وما كان حواريّ عيسىٰ بأطوع له من حواريّينا لنا، وإنّما قال عيسىٰ للحواريين: «من أنصاري إلىٰ الله قال الحواريون نحن أنصار الله»**[٢] فلا والله ما نصروه من اليهود ولا قاتلوهم دونه، وشيعتنا والله لم يزالوا منذ قبض الله تعالىٰ رسوله صلى الله عليه وآله ينصرونا ويقاتلون دوننا ويحرّقون ويعذّبون ويشرّدون في البلدان، جزاهم الله عنّا خيراً، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: والله لو ضربت خيشوم محبّينا بالسيف ما أبغضونا، ووالله لو أدنيت إلىٰ مبغضينا وحثوت لهم من المال ما أحبّونا»[٣].

◁ **بيان**

«حثوت» أعطيت.

[٧٢٩] ٣. **الكافي: عنه عليه السلام: «عاديتم فينا الآباء والأبناء والأزواج، وثوابكم علىٰ الله، أما إنّ أحوج ما تكونوا إذا بلغت الأنفس إلىٰ هذه، وأومأ بيده إلىٰ حلقه»**[٤].

[٧٣٠] ٤. **الكافي: أبان بن تغلب وعدّة، قالوا: كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام جلوساً. فقال: «لا يستحقّ عبد حقيقة الإيمان حتىٰ يكون الموت أحبّ إليه من الحياة، ويكون المرض أحبّ إليه من الصحّة، ويكون الفقر أحبّ إليه من الغنىٰ، فأنتم كذا؟» فقالوا: لا والله ـ جعلنا الله فداك ـ وسقط في أيديهم، ووقع اليأس في قلوبهم، فلمّا رأىٰ ما دخلهم من ذلك، قال: «أيسرّ أحدكم أنّه عمّر ما عمرّ ثم يموت علىٰ غير هذا الأمر؟ أو يموت علىٰ ما هو عليه؟» قالوا: بل يموت علىٰ ما هو عليه الساعة، قال: «فأرىٰ الموت أحبّ إليكم من الحياة».**

ثم قال: «أيسرّ أحدكم إن بقي ما بقي لا يصيبه شيء من هذه الأمراض والأوجاع حتىٰ يموت علىٰ غير هذا الأمر؟» قالوا: لا يابن رسول الله، قال: «فأرىٰ المرض أحبّ

---

١. الكافي ٢: ٢٤١ / ٣٧.
٢. الصف (٦١): ١٤.
٣. الكافي ٨: ٢٦٨ / ٣٩.
٤. الكافي ٨: ٣٣٣ / ٥١٩.

إليكم من الصحّة».

ثم قال: «أيسّر أحدكم أنّ له ما طلعت عليه الشمس وهو علىٰ غير هذا الأمر؟» قالوا: لا يابن رسول الله، قال: «فأرىٰ الفقر أحبّ إليكم من الغنىٰ»[1].

◁ بيان

«سقط في أيديهم» أي ندموا، لأنّ من شأن من اشتدّت حسرته أنّ يعضّ علىٰ يده غمّاً فتصير يده مسقوطاً فيها؛ لأنّ فاه قد وقع فيها.

❖ ❖ ❖

باب

ما يدفع الله بالمؤمن

[٧٣١] ١. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّ الله ليدفع بالمؤمن الواحد عن القرية الفناء»[2].

[٧٣٢] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «لا يصيب قرية عذاب وفيها سبعة من المؤمنين»[3].

[٧٣٣] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ يدفع بمن يصلّي من شيعتنا عمّن لا يصلّي من شيعتنا، فلو اجتمعوا علىٰ ترك الصلاة لهلكوا، وإنّ الله تعالىٰ ليدفع بمن يزكّي من شيعتنا عمّن لا يزكّي، ولو اجتمعوا علىٰ ترك الزكاة لهلكوا، وإنّ الله ليدفع بمن يحجّ من شيعتنا عمّن لا يحجّ، ولو اجتمعوا علىٰ ترك الحجّ لهلكوا، وهو قول الله تعالىٰ: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكنّ الله ذو فضل علىٰ العالمين﴾[4] فوالله ما نزلت إلّا فيكم، ولا عنىٰ بها غيركم»[5].

❖ ❖ ❖

---

١. الكافي ٨: ٢٥٣ / ٣٥٧.
٢. الكافي ٢: ٢٤٧ / ١.
٣. الكافي ٢: ٢٤٧ / ١.
٤. البقرة ٢: ٢٥١.
٥. الكافي ٢: ٤٥١ / ١.

باب
أنّه لا يتقبّل الله إلّا من المؤمن

[٧٣٤] ١. الكافي: أبو شبل، قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «يا أبا الشّبل، أما ترضون أن تصلّوا ويصلّوا فتقبل منكم ولا تقبل منهم؟ أما ترضون أن تزكّوا ويزكّوا فتقبل منكم ولا تقبل منهم؟ أما ترضون أن تحجّوا ويحجّوا فيقبل الله تعالىٰ منكم ولا يقبل منهم؟ والله ما تقبل الصلاة إلّا منكم، ولا الزكاة إلّا منكم، ولا الحجّ إلّا منكم.

فاتقّوا الله فإنّكم في هدنة، وأدّوا الأمانة، فإذا تميّز الناس فعند ذلك ذهب كلّ قوم بهواهم وذهبتم بالحق ما أطعتمونا، أليس القضاة والأمراء وأصحاب المسائل منهم؟». قلت: بلىٰ، قال: «فاتقّوا الله، فإنّكم لا تطيقون الناس كلّهم، إنّ الناس أخذوا هاهنا و هاهنا وإنّكم أخذتم حيث أخذ الله، إنّ الله تعالىٰ اختار من عباده محمّداً صلى الله عليه وآله فاخترتم خيرة الله، فاتقوا الله وأدّوا الأمانات إلىٰ الأسود والأبيض وإن كان حروريّاً وإن كان شاميّاً»[1].

◁ **بيان**

«فإنّكم في هدنة» أي مسالمة ومصالحة معهم لا حرب بينكم وبينهم ولا قتال، وعند التميّز يظهر أنّهم عبدة الهوىٰ وأنتم عبيد الحقّ «أليس القضاة والأمراء وأصحاب المسائل» يعني الفقهاء والمفتين منهم، هذا تمهيد لبيان أنّهم لا يطيقونهم ولا يقاومونهم «أخذوا هاهنا وهاهنا» يعني خرجوا عن أهل بيت النبوّة والرسالة «حيث أخذ الله» يعني أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله فإنّهم خيرة الله من عباده.

[٧٣٥] ٢. الكافي: معاذ بن كثير، قال: نظرت إلىٰ الموقف والناس فيه كثير، فدنوت إلىٰ أبي عبدالله عليه السلام فقلت له: إنّ أهل الموقف لكثير، قال: فصرف ببصره فأداره فيهم، ثم قال: «أدن منّي يا أبا عبدالله، غثاء يأتي به الموج من كلّ مكان، لا والله ما الحج إلّا لكم، لا والله ما يتقبّل الله إلّا منكم»[2].

---

١. الكافي ٨: ٢٣٦ / ٣١٦.
٢. الكافي ٨: ٢٣٧ / ٣١٨.

[٧٣٦] ٣. الكافي: عنه عليه السلام سئل: هل لأحدٍ على ما عمل ثواب موجوب إلّا المؤمنين؟ قال: «لا»[١].

[٧٣٧] ٤. الكافي: عنه عليه السلام قيل له: حديث روي لنا أنك قلت: «إذا عرفت فاعمل ما شئت»؟ قال: «قد قلت ذلك». قيل: وإن زنوا أو سرقوا أو شربوا الخمر؟ فقال: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والله ما أنصفونا أن نكون أخذنا بالعمل ووضعنا عنهم، إنّما قلت: إذا عرفت فاعمل ما شئت من قليل الخير وكثيره فإنّه يقبل منك»[٢].

[٧٣٨] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «كان أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً ما يقول في خطبته: يأيها الناس، دينكم دينكم فإنّ السيّئة فيه خير من الحسنة في غيره، والسيّئة فيه تغفر والحسنة في غيره لا تقبل»[٣].

❖ ❖ ❖

باب

أنّ المؤمن ناجٍ على ما كان

[٧٣٩] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «لا يضرّ مع الإيمان عمل، ولا ينفع مع الكفر عمل، ألا ترىٰ إنّه قال: ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلّا انهم كفروا بالله وبرسوله وماتوا وهم كافرون﴾»[٤].

[٧٤٠] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «كان رجل يبيع الزيت، وكان يحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله حبّاً شديداً، كان إذا أراد أن يذهب في حاجة لم يمض حتىٰ ينظر إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، قد عرف ذلك منه، فإذا جاء تطاول له حتىٰ ينظر إليه، حتىٰ إذا كان ذات يوم دخل فتطاول له رسول الله صلى الله عليه وآله حتىٰ نظر إليه، ثم مضىٰ في حاجته، فلم يكن بأسرع من أن رجع، فلمّا رآه رسول الله صلى الله عليه وآله قد فعل ذلك: أشار إليه بيده: اجلس، فجلس بين يديه، فقال: مالك

---

١. الكافي ٢: ٤٦٣ / ١.
٢. الكافي ٢: ٤٦٤ / ٥.
٣. الكافي ٢: ٤٦٤ / ٦.
٤. الكافي ٢: ٤٦٤ / ٣، والآية من سورة التوبة (٩): ٥٤.

قد فعلت اليوم شيئاً لم تكن تفعله قبل ذلك؟

فقال: يارسول‌الله، والذي بعثك بالحقّ نبيّاً لغشىٰ قلبي شيء من ذكرك حتىٰ ما استطعت أن أمضي في حاجتي حتىٰ رجعت إليك، فدعا له، وقال له خيراً.

ثم مكث رسول‌الله ﷺ أياماً لا يراه، فلمّا فقده سأل عنه، فقيل له: يارسول الله، ما رأيناه منذ أيام، فانتعل رسول‌الله ﷺ وانتعل معه أصحابه، فانطلق حتىٰ أتىٰ سوق الزيت، فإذا دكان الرجل ليس فيه أحد، فسأل عنه جيرته، فقالوا: يارسول الله، مات، ولقد كان عندنا أميناً صدوقاً إلّا أنّه قد كان فيه خصلة، قال: وما هي؟ قالوا: كان يرهق ـ يعنون يتبع النساء ـ فقال رسول الله ﷺ: رحمه الله، والله لقد كان يحبّني حبّاً لو كان بخّاساً[1] لغفر الله له»[2].

◁ **بيان**

«فتطاول له» مدّ عنقه لينظر إليه، «والرهق» غشيان المحارم «والبخس» النقص في المكيال والميزان.

[٧٤١] ٣. الكافي: عنه ﷺ: «إنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ الله تعالىٰ مثّل لي أُمّتي في الطّين، وعلّمني أسماءهم كما علّم آدم الأسماء كلّها، فمرّ بي أصحاب الرايات فاستغفرت لعليّ وشيعته، إنّ ربّي وعدني في شيعة عليّ خصلة، قيل: يارسول الله، وما هي؟ قال: المغفرة لمن آمن منهم وإن كان لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، ولهم تبدّل السيّئات حسنات»[3].

◁ **بيان**

أريد «بأصحاب الرايات» رؤساء الأديان المختلفة.

[٧٤٢] ٤. الكافي: عمّار بن ياسر، قال: بينا أنا عند رسول الله ﷺ إذ قال رسول‌الله ﷺ: «إنّ الشيعة الخاصّة الخالصة منّا أهل البيت». فقال عمر: يارسول الله، عرّفناهم حتى نعرفهم، فقال رسول الله ﷺ: «ما قلت لكم إلّا وأنا أُريد أن أخبركم».

---

١. في الكافي «بخّاساً» أي بايع الرقيق والدوابّ.

٢. الكافي ٨: ٧٨ / ٣١.

٣. الكافي ١: ٤٤٣ / ١٥.

قال: ثم قال رسول الله ﷺ: «أنا الدليل على الله تعالىٰ، وعليّ نصر الدين، ومناره أهل البيت، وهم المصابيح الذين يستضاء بهم».

فقال عمر: يا رسول الله ﷺ فمن لم يكن قلبه موافقاً لهذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «ما وضع القلب في ذلك الموضع إلّا ليوافق أو ليخالف، فمن كان قلبه موافقاً لنا أهل البيت كان ناجياً، ومن كان قلبه مخالفاً لنا أهل البيت كان هالكاً»[1].

[٧٤٣] ٥. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إذا استقرّ أهل النار في النار يفقدونكم فلا يرون منكم أحداً، يقول بعضهم لبعض: ﴿ما لنا لا نرىٰ رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار * اتّخذناهم سخريًا أم زاغت عنهم الأبصار﴾[2] قال: وذلك قول الله تعالىٰ: ﴿إنّ ذلك لحقّ تخاصم أهل النار﴾[3] يتخاصمون فيكم كما كانوا يقولون في الدنيا»[4].

[٧٤٤] ٦. الكافي: بريد العجلي، قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام في فسطاط له بمنىٰ، فنظر إلىٰ زياد الأسود منقلع الرجلين، فرثىٰ له، فقال له: «ما لرجليك هكذا؟» **قال: جئت علىٰ بكر لي نضو، فكنت أمشي عنه عامة الطريق، فرثىٰ له، وقال له عند ذلك زياد: إنّي ألمّ بالذنوب حتىٰ إذا ظننت أنّي قد هلكت ذكرت حبّكم فرجوت النجاة وتجلّىٰ عنّي.**

فقال أبو جعفر عليه السلام: «وهل الدين إلّا الحبّ، وهل الدين إلّا الحبّ؟ قال الله تعالىٰ: ﴿حبّب إليكم الإيمان وزيّنه في قلوبكم﴾[5] وقال: ﴿إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله﴾[6] وقال: ﴿يحبّون من هاجر إليهم﴾[7] إنّ رجلاً أتىٰ النبيّ ﷺ فقال: يارسول الله أُحبّ المصلّين ولا أُصلّي، وأُحبّ الصوّامين ولا أصوم[8]، فقال له رسول الله ﷺ: أنت مع من أحببت، ولك ما اكتسبت».

---

١. الكافي ٨: ٣٣٣ / ٥١٨.
٢. ص (٣٨): ٦٢ و ٦٣.
٣. ص (٣٨): ٦٤.
٤. الكافي ٨: ١٤١ / ١٠٤.
٥. الحجرات (٤٩): ٧.
٦. الحشر (٥٩): ٩.
٧. آل عمران (٣): ٣١.
٨. المراد بها النوافل، وكذا في أُختها المراد بها التطوّع كما تشعر بها لفظة «الصوّامين».

وقال: «ما تبغون وما تريدون؟ أما إنّها لو كانت فزعة من السماء فزع كلّ قوم إلىٰ مأمنهم، وفزعنا إلىٰ نبيّنا، وفزعتم إلينا»[1].

◁ بيان

«منقلع الرجلين» أي لم يثبت قدماه علىٰ الأرض «فرثىٰ له» أي رحمه ورقّ له «والبكر» الفتىٰ من الإبل «والنضو» المهزول «والإلمام بالشيء» النزول إليه «ولا أُصلّي» يعني زيادة على الفرائض، وكذا قوله: «ولا أصوم» و «الفزعة» بالضم ما يخاف منه «فزع كلّ قوم» استغاث ولجأ.

[٧٤٥] ٧. الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: «قال موسىٰ للخضر عليه السلام: قد تحرّمت بصحبتك فأوصني، فقال له: الزم ما لا يضرّك معه شيء، كما لا ينفعك مع غيره شيء»[2].

◁ بيان

«الحرمة» ما لا يحلّ انتهاكه «تحرّمت بصحبتك» أي صرت بها ذا حرمة.

◆ ◆ ◆

باب

أنّ المؤمن شهيد وإن مات علىٰ فراشه

[٧٤٦] ١. الكافي: أبو بصير، قال: قلت له: جعلت فداك، أرأيت الرادّ عليّ هذا الأمر الأمر فهو كالرادّ عليكم؟ فقال: «يا أبامحمّد، من ردّ عليك هذا الأمر فهو كالرادّ علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وعلىٰ الله تعالىٰ. يا أبامحمّد، إنّ الميّت منكم علىٰ هذا الأمر شهيد».

قال: قلت: وإن مات علىٰ فراشه؟ فقال: «أي والله [و إن مات] علىٰ فراشه، حيّ عند ربّه يرزق»[3].

[٧٤٧] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «أما ترضون أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتكفّوا وتدخلوا الجنّة؟ إنّه ليس من قوم ائتمّوا بإمام في الدّنيا إلّا جاء يوم القيامة يلعنهم

---

١. الكافي ٨: ٨٠ / ٣٥.
٢. الكافي ٢: ٤٦٤ / ٢.
٣. الكافي ٨: ١٤٦ / ١٢٠.

ويلعنونه إلّا أنتم ومن كان علىٰ مثل حالكم، ثمّ إنّ الميت والله منكم علىٰ هذا الأمر لشهيد بمنزلة الضارب بسيفه في سبيل الله»[1].

◁ **بيان**

«**وتكفّوا**» يحتمل معان، أحدها: الكفّ عن المعاصي، والثاني كفّ اللسان عن الناس بترك مجادلتهم ودعوتهم إلىٰ الحق، والثالث الكفّ عن إظهار الدين الحق ومراعاة التقيّة فيه، وتصديق الخبرين قوله تعالىٰ: ﴿**والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصّديقون والشهداء لهم أجرهم ونورهم**﴾[2].

روىٰ البرقي في (محاسنه): بإسناده عن زيد بن أرقم، عن الحسين بن عليّ عليه السلام قال: «**ما من شيعتنا إلّا صدّيق شهيد**». قال: جعلت فداك، أنّىٰ يكون ذلك وعامّتهم يموتون علىٰ فرشهم؟ فقال: «**أما تتلو كتاب الله في الحديد: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصّديقون والشهداء﴾**[3]؟». قال: فقلت: كأنّي لم أقرأ هذه الآية من كتاب الله عزّوجلّ قط، قال: «**لو كان الشهداء ليس إلّا كما تقول كان الشهداء قليلاً**»[4].

أقول: كان الوجه في ذلك أنّ المؤمن إنّما يقبض روحه علىٰ حضور من قلبه وتهيئ منه للموت، كما أنّ الشهيد متهيّىء للشهادة محضر قلبه للرحيل، ولذا سمّي شهيداً.

ووجه آخر وهو: أنّ الأعمال إنّما هي بالنيّات، والمؤمن يودّ دائماً أن لو كان مع إمامه الظاهر في دولة الحق يجاهد مع عدوّه ويستشهد في سبيل الله، فيعامل معه علىٰ حسب نيّته ويثاب ثواب الشهيد، ويدلّ علىٰ هذا الحديث الآتي.

ووجه ثالث: وهو أنّ من رضي أمراً فقد دخل فيه، ومن سخط فقد خرج منه، كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**والمؤمن قد رضي وسلّم لإمامه الحقّ والجهاد مع عدوّه، فهو كأنّه معه**»[5].

روىٰ هذا المعنىٰ البرقي في (محاسنه): بإسناده عن الحكم بن عتيبة، قال: لمّا قتل أمير المؤمنين عليه السلام الخوارج يوم النهروان قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين،

---

١. الكافي ٨: ١٤٦ / ١٢٢.
٢. الحديد (٥٧): ١٩.
٣. الحديد (٥٧): ١٩.
٤. المحاسن: ١٦٣ / ١١٥.
٥. البحار ٥٢: ١٣١ / ٣٢.

طوبىٰ لنا إذ شهدنا معك هذا الموقف، وقتلنا معك هؤلاء الخوارج، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، لقد شهدنا في هذا الموقف أُناس لم يخلق الله آباءهم ولا أجدادهم بعد». فقال الرجل: وكيف شهدنا قوم لم يخلقوا؟ قال: «بل قوم يكونون في آخر الزمان يشركوننا فيما نحن فيه ويسلّمون لنا، فأولئك شركاؤنا فيه حقّاً حقّاً»[1].

❖ ❖ ❖

باب
أنّ المؤمن لا يقاس بالناس

[٧٤٨] ١. **الكافي: عن الصادق عليه السلام**: «الحمد لله، صارت فرقة مرجئة، وصارت فرقة حروريّة، وصارت فرقة قدَرِيّة، وسمّيتم الترابية شيعة عليّ، أما والله ما هو إلّا الله وحده لا شريك له ورسوله صلى الله عليه وآله وآل رسول الله وشيعة آل رسول الله صلى الله عليه وآله وما الناس إلّا هم، كان عليّ أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأولىٰ الناس بالناس» حتىٰ قالها ثلاثاً[2].

◁ **بيان**

قد مرّ تفسير المرجئة والحروريّة، وقد يطلق المرجئة في مقابلة الشيعة، من الإرجاء بمعنىٰ التأخير لتأخيرهم أمير المؤمنين عليه السلام عن درجته، والترابيّة منسوبة إلىٰ أبي تراب وهو كنية أمير المؤمنين عليه السلام، كنّاه به رسول الله صلى الله عليه وآله حين رآه نائماً لاصقاً بالتراب فنفض عنه التراب، وقال له: «قم، قم أبا تراب» فصار كنية له عليه السلام، وكان عليه السلام يحبّ أن يكنّىٰ به[3].

[٧٤٩] ٢. **الكافي: عنه عليه السلام**: «نحن بنو هاشم، وشيعتنا العرب، وسائر الناس الأعراب»[4].

وفي رواية: «وسائر الناس علوج»[5].

---

١. المحاسن ١: ٢٦١ / ٣٣.
٢. الكافي ٨: ٨٠ / ٣٦.
٣. الصراط المستقيم ٢: ٥٧ / ٧.
٤. الكافي ٨: ١٦٦ / ١٨٣.
٥. الكافي ٨: ١٦٦ / ١٨٤.

◁ **بيان**

«العرب» يقال لأهل الأمصار «والأعراب» لسكّان البادية، والمراد بالعرب هاهنا العارف بمراسم الشرع والدين؛ لأنّ الغالب على أهل الأمصار ذلك، وبالأعراب الجاهل بها؛ لأن الغالب في سكّان البوادي ذلك.

[٧٥٠] ٣. **الكافي: عن السجاد** عليه السلام: «إنّ رجلاً جاء إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني إن كنت عالماً عن الناس، وعن أشباه الناس، وعن النَّسناس، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: ياحسين، أجب الرجل، فقال له الحسين عليه السلام: أمّا قولك: أخبرني عن الناس، فنحن الناس، ولذلك قال الله تعالىٰ ذكره في كتابه: ﴿ثمّ أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾[١] فرسول الله صلى الله عليه وآله الذي أفاض بالناس، وأمّا قولك: أشباه الناس، فهم شيعتنا وهم موالينا وهم منّا، ولذلك قال إبراهيم عليه السلام: ﴿فمن تبعني فإنّه منّي﴾[٢]، وأمّا قولك: النسناس، فهم السواد الأعظم، وأشار بيده إلىٰ جماعة الناس، ثم قال: ﴿إن هم إلّا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً﴾»[٣].

[٧٥١] ٤. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «والله لا يحبّنا من العرب والعجم إلّا أهل البيوتات والشرف والمعدن، ولا يبغضنا من هؤلاء وهؤلاء إلّا كلّ دنس ملصق»[٤].

◁ **بيان**

«الملصق» كمعظم: المتّهم في نسبه.

❖ ❖ ❖

باب
البشارات للمؤمن

[٧٥٢] ١. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام **أنّه دخل عليه أبو بصير وقد حفزه النَّفَس، فلمّا أخذ مجلسه، فقال له: «يا أبامحمّد، ما هذا النَّفَس العالي؟» فقال: جعلت فداك، يابن رسول الله، كبر سنّي ودقّ عظمي،**

---

١. البقرة (٢): ١٩٩.
٢. ابراهيم (١٤): ٣٦.
٣. الكافي ٨: ٢٤٤ / ٣٣٩.
٤. الكافي ٨: ٣١٦ / ٤٩٧.

واقترب أجلي، مع أنّني لست أدري ما أرد عليه من أمر آخرتي، فقال عليه السلام: «يا أبامحمّد، وإنّك لتقول هذا؟» قال: قلت: جعلت فداك، وكيف لا أقول؟ فقال: «يا أبامحمّد، أما علمت أنّ الله تعالىٰ يكرم الشباب منكم، ويستحيي من الكهول؟» قال: قلت: جعلت فداك فكيف يكرم الشباب ويستحيي من الكهول؟ فقال: «يكرم والله الشباب أن يعذّبهم، ويستحيي من الكهول أن يحاسبهم».

قال: قلت: جعلت فداك، هذا لنا خاصّة أم لأهل التوحيد؟ قال فقال: «لا والله إلّا لكم خاصة دون العالم». قال: قلت: جعلت فداك فإنّا قد نُبزنا نبزاً انكسرت له ظهورنا، وماتت له افئدتنا، واستحلّت له الولاة دماءنا، في حديث رواه لهم فقهاؤهم؟ قال: فقال أبو عبدالله عليه السلام: «الرافضة؟» قال: قلت: نعم، قال: «لا والله ما هم سمّوكم به، بل الله سمّاكم به، أما علمت يا أبا محمّد أنّ سبعين رجلاً من بني إسرائيل رفضوا فرعون وقومه لما استبان لهم ضلالهم، فلحقوا بموسىٰ عليه السلام لمّا استبان لهم هداه، فسمّوا في عسكر موسىٰ «الرافضة» لأنهم رفضوا فرعون، وكانوا أشدّ أهل ذلك العسكر عبادة، وأشدّهم حبّاً لموسىٰ وهارون وذريّتهما عليهم السلام، فأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليه السلام أن أثبت لهم هذا الاسم في التوراة، فإنّي قد سمّيتهم به ونحلتهم إيّاه. فأثبت موسىٰ عليه السلام الاسم لهم، ثم ذخر الله تعالىٰ لكم هذا الاسم حتىٰ نحلكموه.

يا أبامحمّد، رفضوا الخير ورفضتم الشرّ، افترق النّاس كلّ فرقة وتشعّبوا كلّ شعبة فانشعبتم مع أهل بيت نبيّكم، وذهبتم حيث ذهبوا، واخترتم من اختار الله لكم وأردتم من أراد الله، فأبشروا ثم أبشروا، فأنتم والله المرحومون المتقبّل من محسنكم، والمتجاوز عن مسيئكم، من لم يأت الله تعالىٰ بما أنتم عليه يوم القيامة لم يتقبّل منه حسنة، ولم يتجاوز له عن سيّئة.

يا أبا محمّد فهل سررتك؟». قال: قلت: جعلت فداك، زدني، فقال: «يا أبا محمّد، إنّ لله عزّوجلّ ملائكة يسقطون الذنوب عن ظهور شيعتنا كما تسقط الريح الورق في أوان سقوطه، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون للذين آمنوا﴾[1] استغفارهم والله لكم دون هذا الخلق، يا أبا محمّد فهل سررتك؟». قال: قلت: جعلت فداك زدني، قال: «يا أبا محمّد، لقد ذكركم الله في كتابه فقال: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضىٰ نحبه ومنهم من ينتظر وما

---

١. المؤمن (٤٠): ٧.

بدّلوا تبديلاً»[١] إنّكم وفيتم بما أخذ الله عليكم ميثاقكم من ولايتنا، وإنّكم لم تبدّلوا بنا غيرنا، ولو لم تفعلوا لعيّركم الله كما عيّرهم حيث يقول جلّ ذكره: «**وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين**»[٢] ياأبا محمّد فهل سررتك؟».

قال: قلت: جعلت فداك زدني، فقال: «ياأبا محمّد، لقد ذكركم الله في كتابه فقال: «**إخواناً علىٰ سرر متقابلين**»[٣] والله ما أراد بهذا غيركم، ياأبا محمّد فهل سررتك؟».

قال: قلت: جعلت فداك، زدني، فقال: «ياأبا محمّد: «**الأخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتقين**»[٤] والله ما أراد بهذا غيركم، ياأبا محمّد فهل سررتك؟».

قال: قلت: جعلت فداك، زدني، قال: «ياأبا محمد، لقد ذكرنا الله وشيعتنا وعدوّنا في آية من كتابه فقال: «**هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنّما يتذكّر أولوا الألباب**»[٥] فنحن الذين يعلمون وعدوّنا الذين لا يعلمون، وشيعتنا أولوا الألباب، ياأبا محمّد فهل سررتك؟»

قال: قلت: جعلت فداك زدني، فقال: «ياأبا محمّد، والله ما استثنىٰ الله عزّ ذكره بأحد من أوصياء الأنبياء ولا أتباعَهم ما خلا أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته، فقال في كتابه وقوله الحقّ: «**يوم لا يغني مولىً عن مولىً شيئاً ولا هم ينصرون * إلّا من رحم الله**»[٦] يعني بذلك عليّاً عليه السلام وشيعته، ياأبا محمّد فهل سررتك؟».

قال: قلت: جعلت فداك زدني، فقال: «ياأبا محمّد، لقد ذكركم الله تعالىٰ في كتابه إذ يقول: «**ياعبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً إنّه هو الغفور الرحيم**»[٧] والله ما أراد بهذا غيركم، فهل سررتك ياأبا محمّد؟».

قال: قلت: جعلت فداك زدني، فقال: «ياأبا محمّد، لقد ذكركم الله في كتابه، فقال:

---

١. الأحزاب (٣٣): ٢٣.
٢. الأعراف (٧): ١٠٢.
٣. الحجر (١٥): ٤٧.
٤. الزخرف (٤٣): ٦٧.
٥. الزمر (٣٩): ٩.
٦. الدخان (٤٤): ٤١ و ٤٢.
٧. الزمر (٣٩): ٥٣.

﴿إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾[1] والله ما أراد بهذا إلّا الأئمّةﷺ وشيعتهم، فهل سررتك ياأبا محمدّ؟».

قال: قلت: جعلت فداك، زدني، قال: «يا أبامحمّد لقد ذكركم الله في كتابه، فقال: ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾[2] فرسول الله في الآية النبيّون، ونحن في هذا الموضع الصديقون والشهداء، وأنتم الصالحون، فتسمّوا بالصلاح كما سمّاكم الله تعالىٰ، ياأبا محمّد فهل سررتك؟».

قال: قلت: جعلت فداك، زدني، قال: «ياأبا محمّد، لقد ذكركم الله إذ حكىٰ عن عدوّكم في النار بقوله: ﴿وقالوا ما لنا لا نرىٰ رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار واتّخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار﴾[3] والله ما عنىٰ الله ولا أراد بهذا غيركم، صرتم عند هذا العالم أشرار الناس وأنتم والله في الجنّة تحبرون، وفي النار تطلبون، ياأبا محمّد فهل سررتك؟».

قال: قلت: جعلت فداك، زدني، قال: «ياأبا محمّد، ما من آية نزلت تقود إلىٰ الجنة ولا تذكر أهلها بخير إلّا وهي فينا وفي شيعتنا، وما من آية والله نزلت تذكر أهلها بشّر ولا تسوق إلىٰ النار إلّا وهي في عدوّنا ومن خالفنا، فهل سررتك ياأبا محمّد؟».

قال: قلت: جعلت فداك، زدني، قال: «ياأبا محمّد، ليس على ملّة إبراهيم إلّا ونحن وشيعتنا، وسائر الناس من ذلك براء، ياأبا محمّد، فهل سررتك».

وفي رواية أخرىٰ: فقال: حسبي[4].

◁ بيان

«حفزه النّفس» بالمهلمة والفاء والزاي: أي حثّه وأعجله «قضىٰ نحبه» اي مات علىٰ الوفاء بالعهد «تحبرون» تسرّون سروراً يظهر حباره ـ أي أثره ـ في وجوهكم.

[٧٥٣] ٢. الكافي: الحكم بن عتيبة، قال: بينا أنا مع أبي جعفرﷺ والبيت غاصّ بأهله، إذ أقبل شيخ يتوكّأ علىٰ عنزة له حتىٰ وقف علىٰ باب البيت، فقال: السلام عليك يابن رسول الله ورحمة الله وبركاته،

---

١. الحجر (١٥): ٤٢.
٢. النساء (٤): ٦٩.
٣. ص (٣٨): ٦٢ و ٦٣.
٤. الكافي ٨: ٦/٣٣.

ثم سكت، فقال أبو جعفر عليه السلام: «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته». ثم أقبل الشيخ بوجهه على أهل البيت وقال: السلام عليكم، ثم سكت حتى أجابه القوم جميعاً، وردّوا عليه السلام، ثم أقبل بوجهه على أبي جعفر عليه السلام ثم قال: يابن رسول الله، أدنني منك جعلني الله فداك، فوالله إنّي لأُحبّكم وأُحبّ من يحبّكم، ووالله ما أُحبّكم وما أُحبّ من يحبّكم لطمع في دنيا، وإنّي لأبغض عدوّكم وأبرأ منه، ووالله ما أبغضه وأبرأ منه لوتر كان بيني وبينه، والله إنّي لأُحلّ حلالكم وأُحرّم حرامكم، وأنتظر أمركم، فهل ترجو لي جعلني الله فداك؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: «إليّ إليّ» حتى أقعده إلى جنبه، ثم قال:

«أيها الشيخ، إنّ أبي عليّ بن الحسين عليه السلام أتاه رجل فسأله عن مثل الذي سألتني عنه، فقال له أبي: إن تَمُت ترد على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى عليّ، والحسن، والحسين، وعليّ بن الحسين عليهم السلام، ويثلج قلبك، ويبرد فؤادك، وتقرّ عينك، وتستقبل بالرّوح والريحان مع الكرام الكاتبين، لو قد بلغت نفسك هاهنا ـ وأهوى بيده إلى حلقه ـ وإن تعش تر ما يقرّ الله به عينك، وتكون معنا في السّنام الأعلى».

فقال الشيخ: كيف قلت ياأبا جعفر؟ فأعاد عليه الكلام، فقال الشيخ: الله أكبر، ياأبا جعفر إن أنا متّ أرد على رسول الله وعلى عليّ والحسن والحسين وعليّ بن الحسين عليهم السلام، وتقرّ عيني، ويثلج قلبي، ويبرد فؤادي، وأُستقبل بالرّوح والريحان مع الكرام الكاتبين لو قد بلغت نفسي هاهنا وإن أعش أر مايقرّ الله به عيني فأكون معكم في السنام الأعلى! ثم أقبل الشيخ ينتحب بنشيج: هاهاها، حتى لصق بالأرض، فأقبل أهل البيت ينتحبون وينشجون لما يرون من حال الشيخ، وأقبل أبو جعفر عليه السلام يمسح بإصبعه الدموع من حماليق عينيه وينفضها، ثم رفع الشيخ رأسه فقال لأبي جعفر عليه السلام: يابن رسول الله، ناولني يدك جعلني الله فداك، فناوله يده فقبّلها ووضعها على عينيه وخدّه، ثم حسر عن بطنه وصدره، فوضع يده على بطنه وصدره، ثم قام فقال: السلام عليكم.

وأقبل أبو جعفر عليه السلام ينظر في قفاه وهو مدبر، ثم أقبل بوجهه على القوم، فقال: «من أحبّ أن ينظر إلى رجل من أهل الجنّة فلينظر إلى هذا». فقال الحكم بن عتيبة: لم أر مأتماً قط يشبه ذلك المجلس[1].

◁ بيان

«النشج» بالنون والمعجمة والجيم: صوت معه توجّع وبكاء يردّد في الصدر،

---

١. الكافي ٨: ٧٦/ ٣٠.

«وحملاق العين» باطن أجفانها.

[٧٥٤] ٣. الكافي: عمرو بن أبي المقدام، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «خرجت أنا وأبي حتىٰ إذا كنّا بين القبر والمنبر، إذا هو بأُناس من الشيعة فسلّم عليهم، ثم قال: إنّي والله لأحبّ رياحكم وأرواحكم، فأعينوني علىٰ ذلك بورع واجتهاد، واعلموا أنّ ولايتنا لا تنال إلّا بالورع والاجتهاد، ومن ائتمّ منكم بعبدٍ فليعمل بعمله، أنتم شيعة الله، وأنتم أنصار الله، وأنتم السابقون الأوّلون، والسابقون الآخرون، والسابقون في الدنيا إلىٰ ولايتنا، والسابقون في الآخرة إلىٰ الجنّة، قد ضمنّا لكم الجنّة بضمان الله وضمان رسول الله، والله ما علىٰ درجة الجنّة أكثر أزواجاً منكم، فتنافسوا في فضائل الدرجات، أنتم الطيبون ونساؤكم الطيّبات، كلّ مؤمنة حوراء عيناء، وكلّ مؤمن صدّيق، ولقد قال أمير المؤمنين عليه السلام لقنبر: ياقنبر، أبشر وبشّر واستبشر، فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وهو علىٰ أمّته ساخط إلّا الشيعة.

ألا وإنّ لكلّ شيء عزّاً وعزّ الإسلام الشيعة، ألا وإنّ لكلّ شيء دعامة ودعامة الإسلام الشيعة، ألا وإنّ لكلّ شيء ذروة وذروة الإسلام الشيعة، ألا وإنّ لكلّ شيء شرفاً وشرف الإسلام الشيعة، ألا وإنّ لكلّ شيء سيداً وسيّد المجالس مجالس الشيعة، ألا وإنّ لكلّ شيء إماماً وإمام الأرض أرض يسكنها الشيعة.

والله لولا ما في الأرض منكم ما رأيت بعين عشباً أبداً، والله لولا ما في الأرض منكم ما أنعم الله علىٰ أهل خلافكم ولا أصابوا الطيّبات، ما لهم في الدنيا ولا لهم في الآخرة من نصيب، كلّ ناصب وإن تعبّد واجتهد منسوب إلىٰ هذه الآية: ﴿عاملة ناصبة * تصلىٰ ناراً حامية﴾[1] كلّ ناصب مجتهد فعمله هباء.

شيعتنا ينطقون بنور الله، ومن خالفهم ينطق بتفلّت، والله ما من عبد من شيعتنا ينام إلّا أصعد الله روحه إلىٰ السماء فيبارك عليها، فإن كان قد أتىٰ عليها أجلها جعلها في كنوز رحمته وفي رياض جنّته وفي ظلّ عرشه، وإن كان أجلها متأخّراً بعث بها مع أمنة

---

١. الغاشية (٨٨): ٣ ـ ٤.

من الملائكة ليردّوها إلىٰ الجسد الذي خرجت منه لتسكن فيه.

والله إنّ حاجّكم وعمّاركم لخاصّة الله تعالىٰ، وإن فقراءكم لأهل الغنىٰ، وإن أغنياءكم لأهل القناعة، وإنكم كلّكم لأهل دعوته وأهل إجابته.

ألا وإنّ لكلّ شيء جوهراً، وجوهر ولد آدم محمّدﷺ ونحن وشيعتنا بعدنا، حبّذا شيعتنا، ما أقربهم من عرش الله وأحسن صنع الله إليهم يوم القيامة! والله لولا أن يتعاظم الناس ذلك أو يدخلهم زهو لسلّمت عليهم الملائكة قبلاً.

والله ما من عبد من شيعتنا يتلو القرآن في صلاته قائماً إلّا وله بكلّ حرف مائة حسنة، ولا قرأ في صلاته جالساً إلّا وله بكلّ حرف خمسون حسنة، ولا في غير صلاة إلّا وله بكلّ حرف عشر حسنات، وإنّ للصّامت من شيعتنا لأجر من قرأ القرآن ممّن خالفه، أنتم والله علىٰ فرشكم نيام لكم أجر المجاهدين، وأنتم والله في صلاتكم لكم أجر الصافّين في سبيله، أنتم والله الذين قال الله تعالىٰ: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلّ إخواناً علىٰ سرر متقابلين﴾[1] إنما شيعتنا أصحاب الأربعة الأعين: عينان في الرأس، وعينان في القلب، ألا والخلائق كلّهم كذلك إلّا أنّ الله تعالىٰ فتح أبصاركم وأعمىٰ أبصارهم»[2].

وفي رواية: «وما من شيعتنا أحد يقوم إلىٰ الصلاة إلّا اكتنفه فيها عدد من خالفه من الملائكة يصلّون عليه جماعة حتىٰ يفرغ من صلاته، وإنّ الصائم منكم ليرتع في رياض الجنّة، تدعو له الملائكة حتىٰ يفطر».

وسمعته يقول: «أنتم أهل تحيّة الله بسلامه، وأهل أثرة الله برحمته، وأهل توفيق الله بعصمته، وأهل دعوة الله بطاعته، لا حساب عليكم ولا خوف ولا حزن، أنتم للجنة والجنة لكم، أسماؤكم عندنا الصالحون والمصلحون، وأنتم أهل الرضا عن الله برضاه عنكم، والملائكة إخوانكم في الخير، فإذا اجتهدتم ادعوا، وإذا غفلتم اجتهدوا، وأنتم خير البريّة، دياركم لكم جنّة، وقبوركم لكم جنّة، للجنة خلقتم، وفي الجنّة نعيمكم،

---

١. الحجر (١٥): ٤٧.

٢. الكافي ٨: ٢١٢ / ٢٥٩ و ٢٦٠.

وإلىٰ الجنّة تصيرون»[١].

[٧٥٥] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «أنتم والله نور في ظلمات الأرض، والله إنّ أهل السماء لينظرون إليكم في ظلمات الأرض كما تنظرون أنتم إلىٰ الكوكب الدرّي في السماء، وإنّ بعضهم ليقول لبعض: يافلان، عجباً لفلان كيف أصاب هذا الأمر؟ وهو قول أبي عليه السلام: والله ما أعجب ممّن هلك كيف هلك، ولكن أعجب ممّن نجا كيف نجا»[٢].

[٧٥٦] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «إذا بلغ المؤمن أربعين سنة أمنه الله من الأدواء الثلاثة: البرص، والجذام، والجنون، فإذا بلغ الخمسين خفّف الله تعالىٰ حسابه، فإذا بلغ الستّين سنة رزقه الله الإنابة إليه، فإذا بلغ السبعين أحبّه أهل السماء، فإذا بلغ الثمانين أمر الله بإثبات حسناته وإلقاء سيّئاته، فإذا بلغ التسعين غفر الله تعالىٰ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وكتب: أسير الله في أرضه»[٣].

وفي رواية أخرىٰ: «فإذا بلغ المائة، فذلك أرذل العمر»[٤].

[٧٥٧] ٦. الفقيه: عن الباقر عليه السلام قيل له: ما بال المؤمن أحدّ شيء؟ فقال: «لأن عزّ القرآن في قلبه، ومحض الإيمان في صدره، وهو بعد مطيع لله ولرسوله مصدّق».

قيل له: فما بال المؤمن قد يكون أشحّ شيء؟ قال: «لأنه يكسب الرّزق من حلّه، ومطلب الحلال عزيز، فلا يحبّ أن يفارقه شيئه لما يعلم من عسر مطلبه، وإن هو سخت نفسه لم يضعه إلّا في موضعه».

قيل: فما بال المؤمن قد يكون أنكح شيء؟ قال: «لحفظ فرجه عن فروج لا تحلّ له، ولكيلا تميل به شهوته هكذا ولا هكذا، فإذا ظفر بالحلال اكتفىٰ به واستغنىٰ به عن غيره».

وقال عليه السلام: «إنّ قوة المؤمن في قلبه، ألا ترون أنكم تجدونه ضعيف البدن نحيف

---

١. الكافي ٨: ٣٦٥ / ٥٥٦.
٢. الكافي ٨: ٢٧٥ / ٤١٥.
٣. الكافي ٨: ١٠٧/٨/٨٣.
٤. الكافي ٨: ١٠٧ / ٨٣.

الجسم وهو يقوم الليل ويصوم النهار؟»[١].

[٧٥٨] ٧. الكافي: قال أبو عبدالله ﷺ لرجل: «ما الفتىٰ عندكم؟». فقال له: الشاب، فقال: «ألا الفتىٰ: المؤمن، إنّ أصحاب الكهف كانوا شيوخاً فسمّاهم الله فتية بإيمانهم»[٢].

❖ ❖ ❖

باب

بدو خلق المؤمن وصونه من الشرّ

[٧٥٩] ١. الكافي: عن الصادق ﷺ: «إنّ في الجنة لشجرة تسمّىٰ المزن، فإذا أراد الله تعالىٰ أن يخلق مؤمناً أقطر منها قطرة فلا تصيب بقلة ولا ثمرة أكل منها مؤمن أو كافر إلّا أخرج الله من صلبه مؤمناً»[٣].

[٧٦٠] ٢. الكافي: عنه ﷺ: «إنّ نطفة المؤمن لتكون في صلب المشرك فلا يصيبه من الشرّ شيء، حتىٰ إذا صار في رحم المشركة لم يصبه من الشرّ شيء حتىٰ تضعه، فإذا وضعته لم يصبه من الشر شيء حتىٰ يجري عليه القلم»[٤].

◁ **بيان**

وذلك لأنّ الله سبحانه يحفظ من أن يصيبه آفة والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

[٧٦١] ٣. الكافي: عن الكاظم ﷺ: «إنما المؤمن في صلب الكافر بمنزلة الحصاة في اللبنة يجيء المطر فيغسل اللبنة ولا يضرّ الحصاة شيئاً»[٥].

❖ ❖ ❖

---

١. الفقيه ٣: ٥٦٠ / ٤٩٢٤.
٢. الكافي ٨: ٣٩٥ / ٥٩٥.
٣. الكافي ٢: ١٤ / ١.
٤. الكافي ٢: ١٣ / ١.
٥. الكافي ٢: ١٣ / ٢.

باب
طينة المؤمن والكافر

[٧٦٢] ١. الكافي: عن السجّاد عليه السلام: «إنّ الله عزّوجلّ خلق النبيّين من طينة علّيين قلوبهم وأبدانهم، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة، وجعل خلق أبدان المؤمنين من دون ذلك، وخلق الكفّار من طينة سجّين، قلوبهم وأبدانهم فخلط بين الطينتين، فمن ذلك يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن، ومن هٰهنا يصيب المؤمن السيئة ومن هاهنا يصيب الكافر الحسنة، فقلوب المؤمنين تحنّ إلىٰ ما خلقوا منه وقلوب الكافرين تحنّ إلىٰ ما خلقوا منه»[١].

◁ بيان

«الطينة» الخلقة الجبلّة و«علّيين» يقال للجنة وللسماء السابعة، ولعلّه كناية عن عالم الملكوت المجرد عن المادّة، فإن خلق قلوب النبيّين من الملكوت الأعلىٰ، أعني عالم العقول والأرواح وخلق أبدانهم من الملكوت الأسفل، أعني عالم النفوس والأشباح، وإنّما خلق أبدانهم منه لأنّ أبدانهم الحقيقيّة هي التي لهم في باطن هذه الأبدان من الملكوت التي هي مدبّرة لهذه الأبدان، وإنّما أبدانهم العنصرية أبدان أبدانهم لا علاقة لهم بها، فكأنهم وهم في جلابيب من هذه الأبدان قد نفضوها وتجرّدوا عنها لعدم ركونهم إليها وشدّة شوقهم إلىٰ النشأة الأُخرىٰ، ولهذا نعموا بالوصول إلىٰ الآخرة ومفارقة هذا الأدنىٰ، ومن هنا ورد في الحديث: «الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر»[٢].

وتصديق هذا ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الزّهاد: «كانوا قوماً من أهل الدّنيا وليسوا من أهلها، فكانوا فيها كمن ليس منها، عملوا فيها بما يبصرون، وبادروا فيها ما يحذرون، تقلّب أبدانهم بين ظهرانيّ أهل الآخرة، يرون أهل الدنيا يعظّمون موت أجسادهم وهم أشدّ إعظاماً لموت قلوب أحيائهم»[٣].

وإنّما نسب خلق أبدان المؤمنين إلىٰ ما دون ذلك لأنها مركّبة من هذه وهذه،

---

١. الكافي ٢: ٢ / ١.
٢. الكافي ٢: ٦/٢٥٠.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٨.

لتعلّقهم بهذه الأبدان العنصرية أيضاً ما داموا فيها.

و «سجّين» من السجن، ويقال للنار وللأرض السفلىٰ، ويشبه أن يكون المراد به حقيقة الدنيا وباطنها التي هي مخبوءة تحت عالم الملك، أعني هذا العالم العنصري، فإنّ الأرواح مسجونة فيه، ولهذا ورد في الحديث: «المسجون من سجنته الدنيا عن الآخرة»[1].

وخلق أبدان الكفّار من هذا العالم ظاهر، وإنّما نسب خلق قلوبهم إليه لشدّة ركونهم إليه، وإخلادهم إلىٰ الأرض، وتثاقلهم إليها، فكأنه ليس لهم من الملكوت نصيب لاستغراقهم في الملك، والخلط بين الطينتين إشارة إلىٰ تعلّق الأرواح الملكوتية بالأبدان العنصرية، بل نشؤها منها شيئاً فشيئاً، فكلّ من النشأتين غلبت عليه صار من أهلها، فيصير مؤمناً حقيقياً، أو كافراً حقيقياً، أو بين الأمرين علىٰ حسب مراتب الإيمان والكفر.

[٧٦٣] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ خلق المؤمن من طينة الجنّة، وخلق الكافر من طينة النار».

وقال: «إذا أراد الله بعبد خيراً طيّب روحه وجسده، فلا يسمع شيئاً من الخير إلّا عرفه، ولا يسمع شيئاً من المنكر إلّا أنكره».

ثم قال: «الطينات ثلاثة: طينة الأنبياء والمؤمن من تلك الطينة إلّا أنّ الأنبياء من صفوتها، هم الأصل ولهم فضلهم، والمؤمنون الفرع من طين لازب كذلك، لا يفرّق الله تعالىٰ بينهم وبين شيعتهم».

وقال: «طينة الناس من حمأ مسنون، وأمّا المستضعفون فمن تراب لايتحوّل مؤمن عن إيمانه، ولا ناصب عن نصبه، ولله المشيئة فيهم»[2].

◁ **بيان**

إنما كانت طينة المؤمنين لازبة للزومها لطينة أئمّتهم، ولصوقها بها لخلطها بها وتركّبها من العالمين جميعاً، ألا ترىٰ إلىٰ شوقهم إلىٰ أئمّتهم وحنينهم إليهم، وكما أنّ الأمر كذلك، كذلك لا يفرّق الله بين أئمّتهم وبينهم.

---

١. الكافي ٢: ٩/٤٥٥.
٢. الكافي ٢: ٣/ ٢.

«والحمأ» الطين الأسود «والمسنون» المنتن، وهو كناية عن باطن الدنيا وحقيقة تلك العجوزه الشوهاء، وأمّا خلق المستضعفين من التراب، أعني ما له قبول الأشكال المختلفة وحفظها، فذلك لعدم لزومهم لطريقة أهل الإيمان ولا لطريقة أهل الكفر، وعدم تقيّدهم بعقيدة لا حقّ ولا باطل، ليس لهم نور الملكوت ولا ظلمة باطن الملك، بل لهم قبول كلّ من الأمرين، بخلاف الآخرين فإنّهما لا يتحولان عمّا خلقوا له.

وأمّا قوله: «ولله المشيئة فيهم» فهو ردّ لتوهّم الايجاب في فعله سبحانه، وفيه إشارة إلىٰ قوله عزّوجلّ: **«ولو شاء لهداكم أجمعين»**[1].

[٧٦٤] ٣. **الكافي: عن الباقر عليه السلام:** «إنّ الله تعالىٰ خلقنا من أعلىٰ علّيين، وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا منه، وخلق أبدانهم من دون ذلك، وقلوبهم تهوىٰ إلينا لأنّها خلقت ممّا خلقنا».

ثم تلا هذه الآية: **«كلّا إنّ كتاب الأبرار لفي علّيين * وما أدراك ما علّيون * كتاب مرقوم * يشهده المقرّبون»**[2] وخلق عدوّنا من سجّين، وخلق قلوب شيعتهم ممّا خلقهم منه، وأبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إليهم لأنّها خلقت ممّا خلقوا منه، ثم تلا هذه الآية: **«كلّا إنّ كتاب الفجّار لفي سجّين * وما أدراك ما سجّين * كتاب مرقوم، ويل يومئذ للمكذبين»**[3].

◁ **بيان**

«الكتاب» كناية عن النفوس الإنسانية التي هي بمنزلة الألواح، ويقال لها صحائف الأعمال، لأنّها يكتب فيها كلّ خير وشرّ من الأفاعيل المتكرّرة والاعتقادات الراسخة التي هي بمنزلة النفوس الكتابية، فما خلق من علّيين فكتابه في عليين، وما خلق من سجّين فكتابه في سجّين.

[٧٦٥] ٤. **الكافي: عن الصادق عليه السلام:** «إنّ الله أخذ طينة من الجنّة وطينة من النار فخلطهما جميعاً، ثم نزع هذه من هذه، وهذه من هذه، فما رأيت في أُولئك من الأمانة وحسن

---

١. النحل (١٦): ٩.
٢. المطففين (٨٣): ١٨ ـ ٢١.
٣. الكافي ١: ٣٩٠ / ٤؛ والآية من سورة المطففين (٨٣): ٧ ـ ١٠.

الخلق وحسن السَّمت فما مسّهم من طينة الجنّة، وهم يعودون إلىٰ ما خلقوا منه، وما رأيت من هؤلاء من قلّة الأمانة وسوء الخلق والزّعارة فما مسّهم من طينة النار، وهم يعودون إلىٰ ما خلقوا منه»[1].

◁ **بيان**

معنىٰ قوله ﷺ: «ثم نزع هذه من هذه، وهذه من هذه» إنّه نزع طينة الجنّة من طينة النار وطينة النّار من طينة الجنّة، بعد ما مسّت إحداهما الأخرىٰ، فخلق أهل الجنّة من طينة الجنّة، وخلق أهل النار من طينة النار «وأولئك» إشارة إلىٰ الأعداء «وهؤلاء» إلىٰ الأولياء «وما خلقوا منه» في الأوّل طينة النار، وفي الثاني طينة الجنّة «والزعارة» سوء الخلق.

ومما يناسب ذكره في هذا المقام ما رواه أبو إسحاق الليثي، عن الباقر ﷺ في حديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة قال: قال ﷺ: «يا إبراهيم، إقرأ هذه الآية: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلّا اللّمم إنّ ربّك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض﴾[2] أتدري ما هذه الأرض؟». قلت: لا؟ قال ﷺ: «اعلم أنّ الله عزّوجلّ خلق أرضاً طيّبة طاهرة، وفجّر فيها ماءً عذباً زلالاً فراتاً سائغاً، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فقبلتها، فأجرىٰ عليها ذلك الماء سبعة أيام، ثم نضب عنها ذلك الماء بعد السابع، فأخذ من صفوة ذلك الطين طيناً، فجعله طين الأئمّة ﷺ، ثم أخذ جلّ جلاله ثفل ذلك الطين، فخلق منه شيعتنا ومحبّونا من فضل طينتنا، فلو ترك طينتكم ـ يا إبراهيم ـ كما ترك طينتنا لكنتم أنتم ونحن سواء».

قلت: يابن رسول الله، ما صنع بطينتنا؟ قال: «مزج طينتكم ولم يمزج طينتنا». قلت: يابن رسول الله، وبماذا مزج طينتنا؟ قال ﷺ: «خلق الله عزّوجلّ أيضاً أرضاً سبخة خبيثة منتنة، وفجّر منها ماءً أُجاجاً مالحاً آسناً، ثم عرض عليها جلّت عظمته ولاية أمير المؤمنين ﷺ فلم تقبلها، وأجرىٰ ذلك الماء عليها سبعة أيام، ثم نضب ذلك الماء عنها، ثمّ أخذ من كدورة ذلك الطين المنتن الخبيث و خلق منه أئمّة الكفر والطغاة والفجرة، ثم عمد إلىٰ بقيّة ذلك الطين فمزجه بطينتكم، ولو ترك طينتهم علىٰ حالها ولم يمزج بطينتكم، ما عملوا أبداً عملاً صالحاً، ولا أدّوا أمانة إلىٰ أحدٍ، ولا شهدوا الشهادتين، ولا صاموا ولا صلّوا ولا زكّوا ولا حجّوا، ولا أشبهوكم في الصور أيضاً.

---

١. الكافي ٢: ٤/ ٥.

٢. النجم (٥٣): ٣٢.

يا إبراهيم، ليس شيء أعظم على المؤمن من أن يرى صورة حسنة في عدوّ من أعداء الله عزّوجلّ، والمؤمن لا يعلم أنّ تلك الصورة من طين المؤمن ومزاجه.

يا إبراهيم، ثم مزج الطينتان بالماء الأول والماء الثاني، فما تراه من شيعتنا ومحبّينا من رباً وزناً ولواطةً وخيانةً وشربَ خمرٍ وتركَ صلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ وحجٍ وجهادٍ، فهي كلّها من عدوّنا الناصب وسنخه ومزاجه الذي مزج بطينته، وما رأيته في هذا العدوّ الناصب من الزهدِ والعبادةِ والمواظبةِ على الصلاةِ وأداءِ الزكاة والصوم والحج والجهاد وأعمال البرّ والخير، فذلك كلّه من طين المؤمن وسنخه ومزاجه، فإذا عرض أعمال المؤمن وأعمال الناصب على الله عزّوجلّ يقول الله جلّ وعزّ: أنا عدل لا أجور، ومنصف لا أظلم، وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني ما أظلم مؤمناً بذنب مرتكب من سنخ الناصب وطينته ومزاجه، هذه الأعمال الصالحة كلّها من طين المؤمن ومزاجه، والأعمال الرديّة التي كانت من المؤمن من طين العدو الناصب، ويلزم الله تعالى كلّ واحد منهم ما هو من أصله وجوهره وطينته، وهو أعلم بعباده من الخلائق كلّهم، أفترى هاهنا ـ يا إبراهيم ـ ظلماً أو جوراً أو عدواناً؟!» ثم قرأ عليه السلام: ﴿معاذ الله أن نأخذ إلّا من وجدنا متاعنا عنده إنّا إذاً لظالمون﴾[1].

يا إبراهيم، إنّ الشمس إذا طلعت فبدا شعاعها في البلدان كلّها، أهو بائن من القرصة أم هو متّصل بها؟ شعاعها يبلغ في الدنيا في المشرق والمغرب حتى إذا غابت يعود الشعاع ويرجع إليها، أليس ذلك كذلك؟». قلت: بلى يا ابن رسول الله، قال: «فكذلك كلّ شيء يرجع إلى أصله وجوهره وعنصره، فإذا كان يوم القيامة ينزع الله من العدوّ الناصب سنخ المؤمن ومزاجه وطينته وجوهره وعنصره مع جميع أعماله الصالحة ويردّه إلى المؤمن، وينزع الله تعالى من المؤمن سنخ الناصب ومزاجه وطينته وجوهره وعنصره مع جميع أعماله السيّئة الردية ويردّه إلى الناصب عدلاً منه جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه، ويقول للناصب: لا ظلم عليك، هذه الأعمال الخبيثة من طينك ومزاجك وأنت أولى بها، وهذه الأعمال الصالحة من طين المؤمن ومزاجه وهو أولى بها ﴿اليوم تجزى كلّ نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إنّ الله سريع الحساب﴾[2] أفترى هاهنا ظلماً وجوراً؟». قلت: لا يا ابن رسول الله، بل أرى حكمة بالغة فاضلة، وعدلاً بيّناً واضحاً.

---

١. يوسف (١٢): ٧٩.

٢. غافر (٤٠): ١٧.

ثم قال عليه السلام: «أزيدك بياناً في هذا المعنىٰ من القرآن؟» قلت: بلىٰ يابن رسول الله. قال عليه السلام: «أليس الله عزّوجلّ يقول: ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرّؤن ممّا يقولون لهم مغفرة ورزق كريم﴾[1] وقال عزّوجلّ: ﴿والذين كفروا إلىٰ جهنم يحشرون * ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه علىٰ بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنّم أولئك هم الخاسرون﴾[2]».

فقلت: سبحان الله العظيم، ما أوضح ذلك لمن فهمه وما أعمىٰ قلوب هذا الخلق المنكوس عن معرفته!

فقال عليه السلام: «ياإبراهيم، من هذا قال الله تعالىٰ: ﴿إن هم إلّا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً﴾[3] ما رضي الله تعالىٰ أن يشبههم بالحمير والبقر والكلاب والدوابّ حتىٰ زادهم، فقال: ﴿بل هم أضل سبيلاً﴾ ياإبراهيم، قال الله تعالىٰ في أعدائنا الناصبة: ﴿وقدمنا إلىٰ ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾[4] وقال عزّوجلّ: ﴿يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً﴾[5] وقال جلّ جلاله: ﴿يحسبون أنهم علىٰ شيء ألا إنّهم هم الكافرون﴾[6] وقال جلّ وعزّ: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتىٰ إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾[7] كذلك الناصب يحسب ما قدّم من عمله نافعه حتىٰ إذا جاءه لم يجده شيئاً، ثم ضرب مثلاً آخر: ﴿أو كظلمات في بحر لُجّيّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب * ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾[8]».

ثمّ قال عليه السلام: «ياإبراهيم، أزيدك في هذا المعنىٰ من القرآن؟» قلت: بلىٰ يابن رسول الله، قال عليه السلام: «قال الله تعالىٰ: ﴿يبدّل الله سيّئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾[9] يبدّل الله سيّئات شيعتنا حسنات، وحسنات أعدائنا سيّئات، يفعل الله ما يشاء، و يحكم

---

١. النور (٢٤): ٢٦.
٢. الأنفال (٨): ٣٦ ـ ٣٧.
٣. الفرقان (٢٥): ٤٤.
٤. الفرقان (٢٥): ٢٣.
٥. الكهف (١٨): ١٠٤.
٦. المجادله (٥٨): ١٨.
٧. النور (٢٣): ٣٩.
٨. النور (٢٣): ٤٠.
٩. الفرقان (٢٥): ٧٠.

ما يريد، لا معقّب لحكمه، ولا رادّ لقضائه ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسألون﴾[١] هذا ـ يا إبراهيم ـ من باطن علم الله المكنون، ومن سرّه المخزون»[٢].

أقول: السرّ في ذلك أنّ الناصب والكافر بحسب مقتضىٰ طبيعتة الخبيثة، إنما يحنّ وينزع إلىٰ المعاصي بطبعه وسجيّته، وضميره معقود علىٰ فعلها دائماً إن تيسّر له لأنّه من أهلها، كما قال الله تعالىٰ في مثله: ﴿ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه﴾[٣] والأفعال الحسنة غريبة منه، ليس صدورها من طينته الأصلية، وهذا بخلاف المؤمن، فإنّه بحسب مقتضىٰ طينته الطيّبة إنّما يرتكب القبيح بكره من عقله ووجل من قلبه وخوف من ربّه، لأنّ صدوره منه غريب من سجيّته وطبعه الأصليّ، إذ ليس هو من أهله، ولهذا لا يعاقب عليه، بل يثاب بما لم يفعل من الخيرات لحنينه إليها، وحرصه عليها، وعقد ضميره علىٰ فعلها دائماً إن تيسّر له «فإنّ الأعمال بالنيّات، وإنّما لكلّ امرئ ما نوىٰ» وإنما نوىٰ كلّ ما يناسب طينته الأصلية، وتقتضيه جبلّته التي خلق عليها، قال الله تعالىٰ: ﴿قل كلّ يعمل علىٰ شاكلته فربّكم أعلم بمن هو أهدىٰ سبيلاً﴾[٤] ولهذا ورد في الحديث: «إنّ كلّاً من أهل الجنّة والنار إنّما يخلّدون فيما يخلّدون علىٰ نياتهم»[٥].

■

١. الأنبياء (٢١): ٢٣.
٢. الوافي: ٣: ٤٥.
٣. الأنعام (٦): ٢٨.
٤. الاسراء: ٨٣.
٥. بحارالانوار ٦٤: ١٠٩ / ٣.

أبواب ما يقابل الإيمان

باب
وجوه الكفر وأدناه

[٧٦٦] ١. الكافي: قيل للصادق عليه السلام: أخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله، قال: «الكفر في كتاب الله تعالىٰ علىٰ خمسة أوجه؛ فمنها كفر الجحود، والجحود علىٰ وجهين؛ والكفر بترك ما أمر الله، وكفر البراءة، وكفر النعمة، فأمّا كفر الجحود فهو الجحود بالربوبية، وهو قول من يقول: لا ربّ ولا جنّة ولا نار، وهو قول صنفين من الزنادقة، يقال لهم الدهريّة، وهم الذين يقولون: ﴿وما يهلكنا إلّا الدهر﴾[١] وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان منهم علىٰ غير تثبّت منهم ولا تحقيق لشيء ممّا يقولون، قال الله تعالىٰ: ﴿إن هم إلّا يظنّون﴾[٢] أنّ ذلك كما يقولون، وقال: ﴿إنّ الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾[٣] يعني بتوحيد الله تعالىٰ، فهذا أحد وجوه الكفر، وأمّا الوجه الآخر من الجحود علىٰ معرفة؛ وهو أن يجحد الجاحد وهو يعلم أنه حقّ قد استيقن عنده، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً﴾[٤] وقال الله عزّوجلّ: ﴿وكانوا من قبل يستفتحون علىٰ الذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله علىٰ الكافرين﴾[٥].

فهذا تفسير وجهي الجحود، والوجه الثالث من الكفر؛ كفر النعمة، وذلك قول الله تعالىٰ يحكي قول سليمان عليه السلام: ﴿هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنّما

---

١. الجاثية (٤٥): ٢٣.
٢. الجاثية (٤٥): ٢٤.
٣. البقرة (٢): ٦.
٤. النمل (٢٧): ١٤.
٥. البقرة (٢): ٨٩.

يشكر لنفسه ومن كفر فإنّ ربّي غنيّ كريم»[١] وقال: «لئن شكرتم لأزيدنّكم ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد»[٢] وقال: «فاذكروني أذكركم وأشكروا لي ولا تكفرون»[٣].

والوجه الرابع من الكفر؛ ترك ما أمر الله تعالىٰ به، وهو قول الله تعالىٰ: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من دیارهم» إلىٰ قوله تعالى: «وتكفرون ببعض»[٤] فكفّرهم بترك ما أمر الله تعالىٰ به ونسبهم إلىٰ الإيمان ولم يقبله منهم ولم ينفعهم عنده، فقال: «فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلّا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردّون إلىٰ أشدّ العذاب وما الله بغافل عمّا تعملون»[٥].

والوجه الخامس من الكفر، كفر البراءة، وذلك قوله تعالىٰ يحكي قول إبراهيم عليه السلام: «كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتىٰ تؤمنوا بالله وحده»[٦] يعني تبرّأنا منكم، وقال يذكر إبليس وتبرّيه من أوليائه من الإنس يوم القيامة: «إنّي كفرت بما أشركتموني من قبل»[٧] وقال: «إنّما اتّخذتم من دون الله أوثاناً» إلىٰ قوله: «ويلعن بعضكم بعضاً»[٨] يعني يتبرّأ بعضكم من بعض»[٩].

[٧٦٧] ٢. الكافي: عنه عليه السلام سئل: سنن رسول الله صلى الله عليه وآله كفرائض الله تعالىٰ؟ فقال: «إنّ الله تعالىٰ فرض فرائض موجبات علىٰ العباد، فمن ترك فريضة من الموجبات فلم يعمل بها وجحدها كان كافراً، وأمر الله تعالىٰ بأمور كلّها حسنة، فليس من ترك بعض ما أمر الله به عباده من الطاعة بكافر، ولكنّه تارك للفضل منقوص من الخير»[١٠].

---

١. النمل (٢٧): ٤٠.
٢. إبراهيم (١٤): ٧.
٣. البقرة (٢): ١٥٢.
٤. البقرة (٢): ٨٤.
٥. البقرة (٢): ٨٥.
٦. الممتحنة (٦٠): ٤.
٧. إبراهيم (١٤): ٢٢.
٨. العنكبوت (٢٩): ٢٥.
٩. الكافي ٢: ٣٨٩ / ١.
١٠. الكافي ٢: ٣٨٣ / ١.

[٧٦٨] ٣. الكافي: عنه عليه السلام سئل: ما بال الزاني لا تسمّيه كافراً، وتارك الصلاة قد سمّيته كافراً، وما الحجّة في ذلك؟ فقال: «إنّ الزاني إنّما يفعل ذلك لمكان الشهوة لأنها تغلبه، وتارك الصلاة لا يتركها إلّا استخفافاً بها، وذلك أنّ الزاني لا يأتي المرأة إلّا وهو مستلذّ لإتيانه إيّاها قاصداً إليها، وكلّ من ترك الصلاة قاصداً إليها فليس يكون قصده بتركها اللذّة، فإذا نفيت اللذة وقع الاستخفاف، فإذا وقع الاستخفاف وقع الكفر»[١].

[٧٦٩] ٤. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «والله إنّ الكفر أقدم من الشرك وأخبث وأعظم، ثم ذكر كفر إبليس حين قال الله تعالىٰ له: أسجد لآدم، فأبىٰ أن يسجد، فالكفر أعظم من الشرك، فمن اختار علىٰ الله وأبىٰ الطاعة وأقام علىٰ الكبائر فهو كافر، ومن نصب ديناً غير دين المؤمنين فهو مشرك»[٢].

وفي رواية: «فمن اجترىٰ علىٰ الله وأبىٰ الطاعة وأقام علىٰ الكبائر فهو كافر» يعني مستخفاً كافراً[٣].

[٧٧٠] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ نصب عليّاً عليه السلام علماً بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، ومن جهله كان ضالّاً، ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً، ومن جاء بولايته دخل الجنّة، ومن جاء بعداوته دخل النار»[٤].

[٧٧١] ٦. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «لو أنّ العباد إذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا لم يكفروا»[٥].

[٧٧٢] ٧. الكافي: عنه عليه السلام، قيل له: رجل علىٰ هذا الأمر إن حدّث كذب، وإن وعد أخلف، وإن ائتمن خان، ما منزلته؟ قال: «هي أدنىٰ المنازل من الكفر وليس بكافر»[٦].

❖ ❖ ❖

---

١. الكافي ٢: ٣٨٦ / ٩.
٢. الكافي ٢: ٣٨٣ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٣٨٤ / ٣.
٤. الكافي ٢: ٣٨٨ / ٢٠.
٥. الكافي ٢: ٣٨٨ / ١٩.
٦. الكافي ٢: ٢٩٠ / ٥.

باب
وجوه الشرك وأدناه

[٧٧٣] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون﴾ قال: «يطيع الشيطان من حيث لا يعلم، فيشرك»[١].

وفي رواية، قال: «شرك طاعة وليس بشرك عبادة»[٢].

◁ بيان

«شرك العبادة» أن يعبد غير الله و «شرك الطاعة» أن يطيع غير الله فيما لا يرضى الله.

[٧٧٤] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «لو أنّ قوماً عبدوا الله تعالىٰ وحده لا شريك له وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحجّوا البيت وصاموا شهر رمضان، ثم قالوا لشيء صنعه الله أو صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا صنع بخلاف الذي صنع؟ أو وجدوا ذلك في قلوبهم؛ لكانوا بذلك مشركين» ثم تلا هذه الآية: ﴿فلا وربّك لا يؤمنون حتّىٰ يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرَجاً ممّا قضيت ويسلّموا تسليماً﴾[٣]، ثم قال: «فعليكم بالتسليم»[٤].

[٧٧٥] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «أُمر الناس بمعرفتنا والرّد إلينا والتسليم لنا» ثم قال: «وإن صاموا وصلّوا وشهدوا أن لا إله إلّا الله وجعلوا في أنفسهم ألّا يردّوا إلينا كانوا بذلك مشركين»[٥].

[٧٧٦] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «من أطاع رجلاً في معصيةٍ فقد عبده»[٦].

[٧٧٧] ٥. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «من أصغىٰ إلىٰ ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق يروي عن

---

١. الكافي ٢: ٣٩٧ / ٣.
٢. الكافي ٢: ٣٩٧ / ٤.
٣. النساء (٤): ٦٤.
٤. الكافي ٢: ٣٩٨ / ٦.
٥. الكافي ٢: ٣٩٨ / ٥.
٦. الكافي ٢: ٣٩٨ / ٨.

الله فقد عبد الله عزّوجلّ، وإن كان الناطق يروي عن الشيطان فقد عبد الشيطان»[١].

[٧٧٨] ٦. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «سئل عن أدنىٰ ما يكون به العبد مشركاً، فقال: «من ابتدع رأياً فأحبّ عليه أو أبغض»[٢].

وفي رواية: «من قال للنواة أنّها حصاة، وللحصاة هي نواة ثم دان به»[٣].

[٧٧٩] ٧. **الكافي: عنه** عليه السلام: «إنّ بني أمية أطلقوا للناس تعليم الإيمان، ولم يطلقوا تعليم الشرك، لكي إذا حملوهم عليه لم يعرفوه»[٤].

◁ بيان

يعني أنّهم لحرصهم علىٰ إطاعة النّاس إيّاهم اقتصروا لهم علىٰ تعريف الإيمان، ولم يعرّفوهم معنىٰ الشرك لكي إذا حملوهم علىٰ إطاعتهم إيّاهم لم يعرفوا أنّها من الشرك، فإنّهم إذا عرفوا أنّ إطاعتهم شرك لم يطيعوهم.

❖ ❖ ❖

باب

وجوه الضلال وأدناه وأصناف الناس

[٧٨٠] ١. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «الناس علىٰ ستّ فرق، يؤولون كلّهم إلىٰ ثلاث فرق: الإيمان، والكفر، والضلال، وهم أهل الوعدين اللذين وعدهم الله تعالىٰ الجنة والنار: المؤمنون والكافرون والمستضعفون، والمرجون لأمر الله إمّا يعذبهم وإمّا يتوب عليهم، والمعترفون بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً، وأهل الأعراف»[٥].

◁ بيان

يعني أنّ الناس ينقسمون أوّلاً إلىٰ ثلاث فرق بحسب الإيمان والكفر والضلال، ثم

---

١. الكافي ٦: ٤٣٤ / ٢٤.
٢. الكافي ٢: ٣٩٧ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٣٩٧ / ١.
٤. الكافي ٢: ٤١٥ / ١.
٥. الكافي ٢: ٣٨١ / ٢.

أهل الضلال ينقسمون إلىٰ أربع، فيصير المجموع ستّ فرق:

الأولىٰ: أهل الوعد بالجنة، وهم المؤمنون، وأُريد بهم من آمن بالله وبالرسول وبجميع ما جاء به الرسول بلسانه وقلبه وأطاع الله بجوارحه.

والثانية: أهل الوعيد بالنار، وهم الكافرون، وأُريد بهم من كفر بالله أو برسوله أو بشيء ممّا جاء به الرسول إمّا بقلبه أو بلسانه، أو خالف الله في شيء من كبائر الفرائض استخفافاً.

والثالثة: المستضعفون، وهم الذين لا يهتدون إلىٰ الإيمان سبيلاً لعدم استطاعتهم كالصبيان والمجانين والبُله، ومن لم تصل الدعوة إليه.

والرابعة: المرجون لأمر الله، وهم المؤخّر حكمهم إلىٰ يوم القيامة، من الإرجاء بمعنىٰ التأخير، يعني لم يأت لهم وعدٌ ولا وعيد في الدنيا، وإنّما أخّر أمرهم إلىٰ مشيئة الله، فهم إمّا يعذبهم وإمّا يتوب عليهم، وهم الذين تابوا من الكفر ودخلوا في الإسلام، إلّا أنّ الإسلام لم يتقرّر في قلوبهم ولم يطمئنّوا إليه بعد، ومنهم المؤلّفة قلوبهم ومن يعبد الله علىٰ حرف قبل أن يستقرّوا علىٰ الإيمان أو الكفر، وهذا التفسير للمرجين بحسب هذا التقسيم الذي في هذا الحديث، وإلّا فأهل الضلال كلّهم مرجون لأمر الله، كما يأتي الإشارة إليه في حديث آخر.

والخامسة: فسّاق المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً، ثم اعترفوا بذنوبهم، فعسىٰ الله أن يتوب عليهم.

والسادسة: أصحاب الأعراف، وهم قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم، لا ترجح إحداهما علىٰ الأخرىٰ ليدخلوا به الجنة أو النار، فيكونون في الأعراف حتىٰ يرجح أحد الأمرين بمشيئة الله سبحانه، وهذا التفسير والتفصيل يظهر من الأخبار الآتية إن شاء الله تعالىٰ.

[٧٨١] ٢. الكافي: سئل الباقر عليه السلام عن المستضعف، قال: «هو الذي لا يستطيع حيلة إلىٰ الكفر فيكفر، ولا يهتدي سبيلاً إلىٰ الإيمان، لا يستطيع أن يؤمن ولا يستطيع أن يكفر، فيهم الصبيان ومن كان من الرجال والنساء علىٰ مثل عقول الصبيان مرفوع عنهم القلم»[١].

وفي رواية: «لا يستطيع حيلة يدفع عنه بها الكفر، ولا يهتدي بها إلىٰ سبيل الإيمان»[٢].

---

١. الكافي ٢: ٤٠٤ / ١.

٢. الكافي ٢: ٤٠٤ / ٣.

وفي أخرىٰ، قيل من هم؟ قال: «نساؤكم وأولادكم» ثم قال: «أرأيت أُمّ أيمن، فإنّي أشهد أنها من أهل الجنّة وما كانت تعرف ما أنتم عليه»[١].

وفي أخرىٰ: «من عرف اختلاف الناس فليس بمستضعف»[٢].

[٧٨٢] ٢. الكافي: عنه عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿وآخرون مرجون لأمر الله﴾[٣] قال: «قوم كانوا مشركين فقتلوا مثل حمزة وجعفر وأشباههما من المؤمنين رحمة الله عليهم، ثم إنّهم دخلوا في الإسلام فوحّدوا الله وتركوا الشرك، ولم يعرفوا الإيمان بقلوبهم فيكونوا من المؤمنين فتجب لهم الجنّة، ولم يكونوا علىٰ جحودهم فيكفروا فتجب لهم النار، وهم علىٰ تلك الحال إمّا يعذّبهم وإمّا يتوب عليهم»[٤].

[٧٨٣] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «المؤلّفة قلوبهم قوم وحّدوا الله تعالىٰ وخلعوا عبادة من دون الله، ولم تدخل المعرفة في قلوبهم أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله نبيّ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتآلفهم ويعرّفهم لكيما يعرفوا»[٥].

وفي رواية: «ويؤلّفهم المؤمنون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لكيما يعرفوا»[٦].

[٧٨٤] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «المؤلّفة قلوبهم لم يكونوا قطّ أكثر منهم اليوم»[٧].

وفي رواية: «هم أكثر من ثلثي الناس»[٨].

◁ بيان

وذلك لأنّ أكثر المسلمين في أكثر الأزمنة والبلاد دينهم مبتنٍ علىٰ دنياهم، إن أعطوا منها رضوا، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون.

[٧٨٥] ٥. الكافي: عنه عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿ومن الناس من يعبد الله علىٰ حرف فإن أصابه خير

---

١. الكافي ٢: ٤٠٥ / ٦.
٢. الكافي ٢: ٤٠٥ / ٧.
٣. التوبة (٩): ١٠٧.
٤. الكافي ٢: ٤٠٧ / ١.
٥. الكافي ٢: ٤١١ / ٢.
٦. الكافي ٢: ٤١٢ / ٥.
٧. الكافي ٢: ٤١١ / ٣.
٨. الكافي ٢: ٤١٢ / ٤.

اطمأنّ به وإن أصابته فتنة انقلب علىٰ وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين»[١] قال: «هؤلاء قوم عبدوا الله وخلعوا عبادة من يعبد من دون الله، وشكّوا في محمّد وما جاء به، فتكلّموا بالإسلام، وشهدوا أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وأقرّوا بالقرآن، وهم في ذلك شاكّون في محمّدﷺ وما جاء به، فليسوا شكّاكاً في الله، قال الله تعالىٰ: **«ومن الناس من يعبد الله علىٰ حرف»** يعني علىٰ شكّ في محمّد وما جاء به **«فإن أصابه خير اطمأنّ به»** يعني عافية في نفسه وماله وولده اطمأنّ به ورضي، **«وإن أصابته فتنة»** بلاء في جسده أو ماله تطيّر وكره المقام علىٰ الإقرار بالنبيّﷺ، فرجع إلىٰ الوقوف والشكّ ونصب العداوة لله ولرسوله ﷺ والجحود بالنبيّ وما جاء به[٢].

وفي رواية: «يدعو من دون الله ما لا يضرّه وما لا ينفعه»[٣] **قال:** «ينقلب مشركاً، يدعو غير الله ويعبد غيره، فمنهم من يعرف فيدخل الإيمان قلبه فيؤمن ويصدّق ويزول عن منزلته من الشكّ إلىٰ الإيمان، ومنهم من يثبت علىٰ شكّه، ومنهم من ينقلب علىٰ الشرك»[٤].

[٧٨٦] ٦. الكافي: عنه ﷺ: «الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً فأولئك قوم مؤمنون، يحدثون في إيمانهم من الذنوب التي يعيها المؤمنون ويكرهونها، فأولئك عسىٰ الله أن يتوب عليهم»[٥].

[٧٨٧] ٧. الكافي: سئل الصادق ﷺ: وما أصحاب الأعراف؟ قال: «قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم، فإن أدخلهم النّار فبذنوبهم، وإن أدخلهم الجنة فبرحمته»[٦].

وفي رواية، قال: «والله ما هم بمؤمنين ولا كافرين، ولو كانوا مؤمنين لدخلوا الجنّة كما دخلها المؤمنون، ولو كانوا كافرين لدخلوا النار كما دخلها الكافرون، ولكنهم قوم

---

١. الحج (٢٢): ١١.
٢. الكافي ٢: ٤١٣ / ١.
٣. الحج (٢٢): ١٢.
٤. الكافي ٢: ٤١٣ / ٢.
٥. الكافي ٢: ٤٠٨ / ٢.
٦. الكافي ٢: ٣٨١ / ١.

استوت حسناتهم وسيّئاتهم، فقصرت بهم الأعمال، وإنّهم لكما قال الله تعالىٰ»[١].

وفي رواية: «حقّاً علىٰ الله أن يدخل الضلّال الجنة»[٢].

[٧٨٨] ٨. الكافي: عنه ﷺ سئل: بين الضلال والكفر منزلة؟ قال: «ما أكثر عرىٰ الإيمان»[٣].

◁ **بيان**

أراد السائل: هل يوجد ضالّ ليس بكافر، أو كلّ من كان ضالّاً فهو كافر؟ فأشار ﷺ في جوابه باختيار الشقّ الأول، وبيّن ذلك بأن عرىٰ الإيمان كثيرة، منها ما هو بحيث من يتركها يصير كافراً، ومنها ما هو بحيث من يتركها لا يصير كافراً. بل يصير ضالّاً، فقد تحقّق المنزلة بينهما بتحقق بعض عرىٰ الإيمان دون بعض.

[٧٨٩] ٩. الكافي: سئل أمير المؤمنين ﷺ: ما أدنىٰ ما يكون به العبد مؤمناً، وأدنىٰ ما يكون به العبد كافراً، وأدنىٰ ما يكون به العبد ضالّاً؟ فقال: «أمّا أدنىٰ ما يكون به العبد مؤمناً أن يعرّفه الله نفسه فيقرّ له بالطاعة، ويعرّفه نبيّه ﷺ فيقرّ له بالطاعة، ويعرّفه إمامه وحجّته في أرضه وشاهده علىٰ خلقه فيقرّ له بالطاعة».

قيل: يا أمير المؤمنين، وإن جهل جميع الأشياء إلّا ما وصفت؟ قال: «نعم، إذا أُمر أطاع، وإذا نهي انتهىٰ، وأدنىٰ ما يكون العبد به كافراً من زعم أن شيئاً نهىٰ الله تعالىٰ عنه أنّ الله أمر به ونصبه ديناً يتولىٰ عليه، ويزعم أنّه يعبد الذي أمره به، وإنّما يعبد الشيطان، وأدنىٰ ما يكون به العبد ضالّاً أن لا يعرف حجة الله وشاهده علىٰ عباده الذي أمر الله بطاعته وفرض ولايته».

قيل: يا أمير المؤمنين، صفهم لي، فقال: «الذين قرنهم الله بنفسه ونبيّه، فقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾[٤]».

قيل: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك، أوضح لي، قال: «الذين قال رسول الله ﷺ في آخر خطبته يوم قبضه الله إليه: إنّي قد تركت فيكم أمرين لن تضلّوا بعدي ما إن

---

١. الكافي ٢: ٢/٤٠٣.
٢. الكافي ٢: ٣/٣٨٣.
٣. الكافي ٢: ٧/٢٧٨.
٤. المائدة (٥): ٩٥.

تمسّكتم بهما؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّ اللطيف الخبير قد عهد إليّ أنّهما لن يفترقا حتّىٰ يردا عليّ الحوض ـ وجمع بين مسبّحتيه، ولا أقول كهاتين، وجمع بين المسبّحة والوسطىٰ فتسبق إحداهما الأُخرىٰ ـ فتمسّكوا بهما لا تزلّوا ولا تضلّوا ولا تقدّموهم فتضلّوا»[1].

◁ **بيان**

أُريد بالكافر في هذا الحديث ما يعمّ المشرك كما يظهر من الجواب.

[٧٩٠] ١٠. **الكافي: قيل للصادق عليه السلام: إنّا نخاف أن ننزل بذنوبنا منازل المستضعفين، قال: «لا والله لا يفعل الله ذلك بكم أبداً»**[2].

◁ **بيان**

وذلك لأنّ منازل المؤمنين في الجنّة أرفع من منازل المستضعفين، وإن كانوا جميعاً يدخلونها، وكان مذنبو المؤمنين إنّما يدخلونها بعد التمحيص والتطهير.

❖ ❖ ❖

باب
الشكّ

[٧٩١] ١. **الكافي: سئل الكاظم عليه السلام إني شاكّ، وقد قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ربّ أرني كيف تحيي الموتىٰ﴾**[3] وإنّي أريد أن تريني شيئاً، فكتب عليه السلام إليه: «إنّ إبراهيم كان مؤمناً وأحبّ أن يزداد إيماناً، وأنت شاكّ، والشاكّ لا خير فيه».

وكتب عليه السلام: «إنما الشكّ ما لم يأت اليقين، فإذا جاء اليقين لم يجز الشكّ، إنّ الله تعالىٰ يقول: ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾[4]. قال: «نزلت

---

١. الكافي ٢: ٤١٤ / ١.
٢. الكافي ٢: ٤٠٦ / ٩.
٣. البقرة (٢): ٢٦٠.
٤. الأعراف (٧): ١٠١.

في الشكّاك»[١].

◁ **بيان**

«ما لم يأت اليقين» يعني ما يوجب اليقين، فإنّ الشكّ بعد ذلك تشاكك.

[٧٩٢] ٢. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: «لا ترتابوا فتشكّوا، ولا تشكّوا فتكفروا»[٢].

[٧٩٣] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾[٣] **قال:** «بشكّ»[٤].

[٧٩٤] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الشكّ والمعصية في النار ليسا منّا ولا إلينا»[٥].

[٧٩٥] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «من شكّ في الله تعالىٰ بعد مولده علىٰ الفطرة لم يفئ إلىٰ خير أبداً»[٦].

[٧٩٦] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «من شكّ أو ظنّ فأقام علىٰ أحداهما أحبط الله عمله، إنّ حجّة الله تعالىٰ هي الحجّة الواضحة»[٧].

[٧٩٧] ٧. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «لا ينفع مع الشكّ والجحود عمل»[٨].

❖ ❖ ❖

باب
النفّاق

[٧٩٨] ١. الكافي: عن أبي الحسن عليه السلام: ﴿إنّ المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلىٰ

---

١. الكافي ٢: ٣٩٩ / ١.
٢. الكافي ٢: ٣٩٩ / ٢.
٣. الأنعام (٦): ٨٢.
٤. الكافي ٢: ٣٩٩ / ٤.
٥. الكافي ٢: ٤٠٠ / ٥.
٦. الكافي ٢: ٤٠٠ / ٦.
٧. الكافي ٢: ٤٠٠ / ٨.
٨. الكافي ٢: ٤٠٠ / ٧.

الصلاة قاموا كسالىٰ»[١] إلىٰ آخر الآيتين: «ليسوا من الكافرين، وليسوا من المؤمنين، وليسوا من المسلمين، يظهرون الإيمان ويصيرون إلىٰ الكفر والتكذيب، لعنهم الله»[٢].

◁ بيان

إنّما لم يكونوا من الكافرين لإظهارهم الشهادتين والإيمان، وإنّما لم يكونوا من المؤمنين والمسلمين لإنكار قلوبهم.

[٧٩٩] ٢. الكافي: عن السجّاد عليه السلام: «إنّ المنافق ينهىٰ ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي، وإذا قام إلىٰ الصلاة اعترض» قيل: يابن رسول الله، وما الاعتراض؟ قال: «الالتفاف، فإذا ركع ربض، يمسي وهمّه العشاء وهو مفطر، ويصبح وهمّه النوم ولم يسهر، إن حدّثك كذّبك، وإن ائتمنته خانك، وإن غبت اغتابك، وإن وعدك أخلفك»[٣].

وفي رواية: «إذا ركع ربض، وإذا سجد نقر، وإذا جلس شغر»[٤].

◁ بيان

«الربوض» استقرار الغنم وشبهه علىٰ الأرض، وكأنّ المراد به أنه يسقط نفسه علىٰ الأرض من قبل أن يرفع رأسه من الركوع كإسقاط الغنم عند ربوضها «والنقر» التقاط الطائر الحبّ بمنقاره «والشغر» بالغين المعجمة: رفع عند الرجلين، وكأنّ المراد أنّه يجلس مستوفزاً ليس علىٰ الأرض إلّا إحدىٰ رجليه.

[٨٠٠] ٣. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «ما زاد خشوع الجسد علىٰ ما في القلب فهو عندنا نفاق»[٥].

[٨٠١] ٤. الكافي: عنه صلى الله عليه وآله: «ثلاث من كنّ فيه كان منافقاً وإن صام وصلّىٰ وزعم أنّه مسلم: من إذا ائتمن خان، وإذا حدّث كذّب، وإذا وعد أخلف، إنّ الله تعالىٰ قال في كتابه: ﴿إنّ الله لا يحبّ الخائنين﴾[٦] وقال: ﴿إنّ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين﴾[٧] وفي قوله: ﴿واذكر في

---

١. النساء (٤): ١٤٢.
٢. الكافي ٢: ٣٩٥/ ٢.
٣. الكافي ٢: ٣٩٦/ ٣.
٤. الكافي ٢: ٣٩٦/ ٤.
٥. الكافي ٢: ٣٩٦/ ٦.
٦. الأنفال (٨): ٥٨.

الكتاب إسماعيل إنّه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيّاً»[٨].

[٨٠٢] ٥. **الكافي: عنه** ﷺ: «مثل المنافق مثل جذع النخل، أراد صاحبه أن ينتفع به في بعض بنائه فلم يستقم له في الموضع الذي أراد، فحوّله في موضع آخر فلم يستقم له، وكان آخر ذلك أن أحرقه بالنار»[٩].

❖ ❖ ❖

باب
المستودع والمعاد

[٨٠٣] ١. **الكافي: عن الصادق** ﷺ: «إنّ الله تعالىٰ جبل النبيّين علىٰ نبوّتهم فلا يرتدّون أبداً، وجبل الأوصياء علىٰ وصاياهم فلا يرتدّون أبداً، وجبل بعض المؤمنين علىٰ الإيمان فلا يرتدّون أبداً، ومنهم من أُعير الإيمان عارية فإذا هو دعا وألحّ في الدعاء مات علىٰ الإيمان»[١٠].

وفي رواية: «وأعار قوماً إيماناً، فإن شاء تمّمه لهم، وإن شاء سلبهم إيّاه» **قال:** «وفيهم جرت **﴿فمستقرّ ومستودع﴾**»[١١].

[٨٠٤] ٢. **الكافي: عنه** ﷺ: «إنّ العبد يصبح مؤمناً ويمسي كافراً، ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً، وقوم يعارون الإيمان ثم يسلبونه ويسمّون المعارين»[١٢].

[٨٠٥] ٣. **الكافي: عنه** ﷺ: «إنّ الحسرة والندامة والويل كلّه لمن لم ينتفع بما أبصره، ولم يدر ما الأمر الذي هو عليه مقيم أنفع له أم ضرّ».

قيل: فبم يعرف الناجي من هؤلاء؟ قال: «من كان فعله لقوله موافقاً فأثبت له الشهادة

---

٧. النور (٢٤): ٧.
٨. الكافي ٢: ٢٩/ باب في اصول الكفر.
٩. الكافي ٢: ٣٩٦/ ٥.
١٠. الكافي ٢: ٤١٩/ ٥.
١١. الكافي ٢: ٤١٨/ ٤؛ والآية من سورة الأنعام (٦): ٩٨.
١٢. الكافي ٢: ٤١٨/ ٥.

بالنجاة، ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً فإنما ذلك مستودع»[١].

◆ ◆ ◆

باب
سهو القلب وأصناف القلوب

[٨٠٦] ١. **الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ القلب ليكون في الساعة من الليل والنهار ليس فيه إيمان ولا كفر كالثوب الخلق» ثم قال: «أما تجد ذلك من نفسك؟» قال: «ثمّ تكون النكتة**[٢] **من الله في القلب بما شاء الله من كفر وإيمان»**[٣].

وفي رواية: «شبه الخرقة البالية أو العظم النخر» قال: «ليس يعرىٰ منه أحد» قال: «فإذا كان ذلك فاذكروا الله»[٤].

[٨٠٧] ٢. **الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ القلب ليترجّج فيما بين الصدر والحنجرة حتىٰ يعقد علىٰ الإيمان، فإذا عقد علىٰ الإيمان قرّ، وذلك قول الله تعالىٰ: ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾»**[٥].

وفي رواية: «إنّ القلب ليتجلجل في الجوف بطلب الحقّ، فإذا أصابه اطمأنّ وقرّ، ثم تلا عليه السلام: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ إلىٰ قوله: ﴿كأنما يصّعّد في السماء﴾»[٦].

◁ **بيان**

«يترجّج» بالجيمين أي يضطرب ويتحرّك، ويقرب منه «يتجلجل» بالجيمين والخاءين المعجمتين.

[٨٠٨] ٣. **الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ خلق قلوب المؤمنين مبهمة علىٰ الإيمان، فإذا**

---

١. الكافي ٢: ٤١٩ / ١.
٢. النكت: أن تنكت في الأرض بقضيب ونحوه أي تضرب فتؤثر فيها.
٣. الكافي ٢: ٤٢٠ / ١.
٤. الكافي ٨: ١٦٧ / ١٨٨.
٥. الكافي ٢: ٤٢١ / ٤؛ والآية من سورة التغابن (٦٤): ١١.
٦. الكافي ٢: ٤٢١ / ٥؛ والآية من سورة الأنعام (٦): ١٢٥.

أراد استنارة ما فيها فتحها بالحكمة وزرعها بالعلم، والزّارع لها والقيّم ربّ العالمين»[١].

[٨٠٩] ٤. الكافي: عنه ﷺ: «تجد الرجل لا يخطىء بلام ولا واو خطيباً مسقعاً، ولقلبه أشدّ ظلمة من الليل المظلم، وتجد الرجل لا يستطيع تعبيراً عمّا في قلبه بلسانه وقلبه يزهر كما يزهر المصباح»[٢].

◁ بيان

«المسقع» بالسّين والصاد: البليغ، أو العالي الصوت، أو من لم يرتجّ عليه في كلامه ولا يتتعتع.

[٨١٠] ٥. الكافي: عن الباقر ﷺ: «القلوب ثلاثة: قلب منكوس لا يعي شيئاً من الخير وهو قلب الكافر، وقلب فيه نكتة سوداء فالخير والشرّ فيه يعتلجان، فأيّهما كانت منه غلب عليه، وقلب مفتوح فيه مصابيح يزهر لا يطفى نوره إلىٰ يوم القيامة وهو قلب المؤمن»[٣].

◁ بيان

«الاعتلاج» المصارعة ومايشبهها.

[٨١١] ٦. الكافي: عنه ﷺ قيل له: إنّا نأتيك فما نخرج من عندك حتىٰ ترقّ قلوبنا، وتسلو أنفسنا عن الدّنيا، ويهون علينا ما في أيدي النّاس من هذه الأموال، ثم نخرج من عندك فإذا صرنا مع النّاس والتجّار أحببنا الدنيا.

فقال ﷺ: «إنّما هي القلوب، مرّة تصعب ومرّة تسهل» ثم قال: «أما إنّ أصحاب محمّد ﷺ قالوا: يارسول الله، نخاف علينا النّفاق» قال: «فقال لهم: ولم تخافون ذلك؟ قالوا: إذا كنّا عندك فذكّرتنا ورغّبتنا، وجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا حتىٰ كأنّا نعاين الآخرة والجنّة والنار ونحن عندك، وإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل، نكاد أن نحوّل عن الحال التي كنّا عليها عندك، وحتىٰ كأنّا لم

---

١. الكافي ٢: ٤٢٢ / ٧.
٢. الكافي ٢: ٤٢٢ / ١.
٣. الكافي ٢: ٤٢٣ / ٣.

نكن علىٰ شيء، أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقاً؟

فقال لهم رسول الله ﷺ: كلّا، إنّ هذه خطوات الشيطان فيرغّبكم في الدنيا، والله لو تدومون علىٰ الحال التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم علىٰ الماء، ولولا أنكّم تذنبون فتستغفرون الله تعالىٰ لأتىٰ الله تعالىٰ بخلق يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم، إنّ المؤمن مفتّن توّاب، أما سمعت قول الله: ﴿إنّ الله يحبّ التوابين﴾[1] وقال: ﴿استغفروا ربّكم ثم توبوا إليه﴾[2].

◁ **بيان**

المفتّن: الواقع في الإثم.

❖ ❖ ❖

باب
الوسوسة وحديث النفس

[٨١٢] ١. **الكافي: عن الباقر** ﷺ: «إنّ رجلاً أتىٰ رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله، إنّي نافقت، فقال: والله ما نافقت، ولو نافقت لما أتيتني تعلمني، ما الذي رابك؟ أظنّ العدو الحاضر إيّاك، فقال: من خلقك؟ فقلت: الله خلقني، فقال لك: من خلق الله! فقال: إي والذي بعثك بالحقّ لكان كذا، فقال: إنّ الشيطان أتاكم من قبل الأعمال فلم يقو عليكم، فأتاكم من هذا الوجه لكي يستزلّكم، فإذا كان كذلك فليذكر أحدكم الله تعالىٰ وحده»[3].

وفي رواية: «فقال رسول الله ﷺ: ذاك والله محض الإيمان»[4].

وعن الصادق ﷺ: «إنّما عنىٰ بقوله: ذاك والله محض الإيمان، خوفه أن يكون قد هلك حيث عرض ذلك في قلبه»[5].

---

١. البقرة (٢): ٢٢٢.
٢. الكافي ٢: ٤٢٣ / ١؛ والآية من سورة هود (١١): ٣.
٣. الكافي ٢: ٤٢٥ / ٥.
٤. الكافي ٢: ٤٢٥ / ٣.
٥. الكافي ٢: ٤٢٥ / ذيل ٣.

[٨١٣] ٢. الكافي: عنه ﷺ كتب إليه رجل يشكو إليه لمماً يخطر على باله، فأجابه في بعض كلامه: «إنّ الله إن شاء ثبّتك فلا تجعل لإبليس عليك طريقاً، قد شكا قوم النبيّ ﷺ لمماً يعرض لهم لأن تهوي بهم الريح أو تقطّعوا أحبّ إليهم من أن يتكلّموا به، فقال رسول الله ﷺ: أتجدون ذلك؟ قالوا: نعم، قال: والذي نفسي بيده إنّ ذلك لصريح الإيمان، فإذا وجدتموه فقولوا: آمنّا بالله ورسوله ولا حول ولا قوّة إلّا بالله»[١].

❖ ❖ ❖

باب

دعائم الكفر والنفاق وشعبهما

[٨١٤] ١. الكافي: عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «بني الكفر على أربع دعائم: الفسق، والغلوّ، والشكّ، والشبهة، والفسق على أربع شعب: الجفاء، والعمى، والغفلة، والعتوّ، فمن جفا احتقر الحقّ، ومقت الفقهاء، وأصرّ على الحنث العظيم، ومن عمي نسي الذكر، واتّبع الظنّ، وبارز خالقه، وألحّ عليه الشيطان، وطلب المغفرة بلا توبة ولا استكانة، ومن غفل جنى على نفسه، وانقلب على ظهره، وحسب غيّه رشده، وغرّته الأمانيّ، وأخذته الحسرة والندامة إذا قضي الأمر وانكشف عنه الغطاء وبدا له ما لم يكن يحتسب، ومن عتا عن أمر الله شكّ، ومن شكّ تعالى الله عليه فأذلّه بسلطانه وصغّره بجلاله كما اغترّ بربّه الكريم ففرّط في أمره.

والغلوّ على أربع شعب: على التعمّق في الرأي، والتنازع فيه، والزّيغ والشقاق، فمن تعمّق لم ينب إلى الحقّ، ولم يزدد إلّا غرقاً في الغمرات، ولم تنحسر عنه فتنة إلّا غشيته أُخرى وانخرق دينه فهو يهوي في أمر مريج، ومن نازع في الرأي وخاصم، شهر بالفشل من طول اللّجاج، ومن زاغ قبحت عنده الحسنة وحسنت عنده السيّئة، ومن شاقّ أوعرت عليه طرقه، واعترض عليه أمره، فضاق عليه مخرجه، ولم يتّبع سبيل المؤمنين.

---

١. الكافي ٢: ٤٢٥ / ٤.

والشكّ على أربع شعب: على المرية، والهوىٰ، والتردّد، والاستسلام، وهو قول الله تعالىٰ: ﴿فبأيّ آلاء ربّك تتمارىٰ﴾[1].

وفي رواية أخرىٰ: «علىٰ المرية، والهول من الحق، والتردّد، والاستسلام للجهل وأهله.

فمن هاله ما بين يديه نكص علىٰ عقبيه، ومن امترىٰ في الدّين تردّد في الرّيب، وسبقه الأوّلون من المؤمنين وأدركه الآخرون، ووطئته سنابك الشيطان، ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما، ومن نجا من ذلك فمن فضل اليقين، ولم يخلق الله خلقاً أقلّ من اليقين.

والشبهة علىٰ أربع شعب: إعجاب بالزينة، وتسويل النفس، وتأوّل المعوّج[2]، ولبس الحقّ بالباطل، وذلك بأن الزينة تصدف عن البيّنة، وأنّ تسويل النفس يقحم علىٰ الشهوة، وأنّ العوج يميل بصاحبه ميلاً عظيماً، وأنّ اللبس ظلمات بعضها فوق بعض، فذلك الكفر ودعائمه وشعبه».

قال: «والنفاق علىٰ أربع دعائم: الهوىٰ، والهوينا، والحفيظة، والطمع. فالهوىٰ علىٰ أربع شعب: علىٰ البغي، والعدوان، والشهوة، والطغيان، فمن بغىٰ كثرت غوائله وتخلّي منه ونُصر[3] عليه، ومن اعتدىٰ لم يؤمن بوائقه، ولم يسلم قلبه، ولم يملك نفسه عن الشهوات، ومن لم يعذل[4] نفسه في الشهوات، خاض في الخبيثات، ومن طغىٰ ضلّ علىٰ عمد بلا حجّة.

والهوينا علىٰ أربع شعب: علىٰ الغرّة، والأمل، والهيبة، والمماطلة، وذلك بأنّ الهيبة تردّ عن الحقّ، والمماطلة تفرط في العمل حتىٰ يقدم عليه الأجل، ولولا الأمل علم الإنسان حسب ما هو فيه، ولو علم حسب ما هو فيه مات خُفاتاً من الهول والوجل، والغرّة تقصر بالمرء عن العمل.

---

١. النجم (٥٣): ٥٥.
٢. في المصدر: العوج.
٣. في المصدر: و قصّر.
٤. في نسخة والمصدر: يعدل.

والحفيظة علىٰ أربع شعب: علىٰ الكبر، والفخر، والحميّة، والعصبيّة، فمن استكبر أدبر عن الحقّ، ومن فخر فجر، ومن حمىٰ أصرّ علىٰ الذنب، ومن أخذته العصبيّة جار عن الصراط، فشرّ الأُمور أمر بين إدبار وفجور وإصرار وجور علىٰ الصراط.

والطمع علىٰ أربع شعب: الفرح، والمرح، واللجاجة، والتكاثر، والفرح مكروه عندالله، والمرح خيلاء، واللجاجة بلاء لمن اضطرّته إلىٰ حمل الآثام، والتكاثر لهو ولعب وشغل واستبدال الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير، فذلك النفاق ودعائمه وشعبه.

والله قاهر فوق عباده، تعالىٰ ذكره، وجلّ وجهه، وأحسن كلّ شيء خلقه، وانبسطت يداه، ووسعت كلّ شيء رحمته، وظهر أمره، وأشرق نوره، وفاضت بركته، واستضاءت حكمته، وهيمن كتابه، وفلجت حجّته، وخلص دينه، واستظهر سلطانه، وحقّت كلمته، وأقسطت موازينه، وبلّغت رسله، فجعل السيئة ذنباً، والذنب فتنةً، والفتنة دنساً، وجعل الحسنىٰ عتبىٰ، والعتبىٰ توبة، والتوبة طهوراً، فمن تاب اهتدىٰ، ومن افتتن غوىٰ، ما لم يتب إلىٰ الله ويعترف بذنبه، ولا يهلك علىٰ الله إلّا هالك.

الله الله، فما أوسع ما لديه من التوبة والرحمة والبشرىٰ والحلم العظيم! وما انكل ما عنده من الأنكال والجحيم والبطش الشديد، فمن ظفر بطاعته اجتلب كرامته، ومن دخل في معصيته ذاق وبال نقمته، وعمّا قليل ليصبحنّ نادمين»[1].

◁ **بيان**

«الجفاء» الغلظة **«والذكر»** ما جاء في الكتاب والسنّة **«والزّيغ»** الميل والرجوع عن الحق **«والشقاق»** الخلاف والعداوة **«والانحسار»** الانكشاف و **«أمر مريج»** أي مختلط **«والفشل»** الضعف والجبن، وإنّما شهر بالفشل لأنّ خصمه المبطل لا ينقاد للحقّ، بل لا يزال يجادل بالباطل ليدحض به الحقّ، فيظهر ضعف هذا المحقّ فيشهر، **«والوغر»** ضدّ السهل **«والاعتراض»** المنع.

---

١. الكافي ٢: ١/٣٩١.

«نكص علىٰ عقبيه» أي رجع القهقرىٰ عمّا كان عليه من خير «والسنبك» كقنفذ: طرف الحافر «والتسويل» التزيين «وتأوّل المعوّج» أي التأويل غير المستقيم «والصدف» عن البيّنة: الصرف عنها «وقحم في الأمر قحوماً» رمىٰ بنفسه فيه فجأة بلا رويّة «والهوينا» تصغير الهوناء، تأنيث أهون «والحفيظة» الغضب «والغوائل» الدواهي، وكذا البوائق «والعذل» اللوم «والهيبة» أريد بها من غير الله «والمماطلة» التسويف «حسب ما هو فيه» محركة: أي عدده وقدره، وقد يسكّن «وخفت خفاتاً» مات.

«والمرح» الأشر والبطر والاختيال والنشاط والتبختر «والتكاثر» يعني في الأموال والأولاد وفضول المعاش، ويعني «بالذي هو أدنىٰ الدنيا» و «بالذي هو خير» الآخرة «هيمن كتابه» أي جعله شاهداً ورقيباً ومؤتمناً «وفلجت حجّته» أي قامت وظهرت «والعتبىٰ» الرجوع عن الذنب والإساءة «وجعل الحسنىٰ عتبىٰ» ناظر إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إنّ الحسنات يذهبن السيّئات﴾[1].

و«علىٰ» في قوله: «لا يهلك علىٰ الله» للإصرار، أو علىٰ تضمين معنىٰ الاجتراء ونحوه، أي حين كونه خصماً له جلّ جلاله ومضاداً له في طاعته غير معترف بذنبه وإساءته «إلّا هالك» لا تُرجىٰ نجاته، وذلك يسر التكليف وتمام الحجّة وقرب الأمر ودنوّ المسافة وسهولة الوصول والعناية البالغة والرأفة السابغة والفضل العظيم والرحمة الواسعة.

[٨١٥] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «أصول الكفر ثلاثة: الحرص، والاستكبار، والحسد، فأمّا الحرص فإنّ آدم حين نهي عن الشجرة حمله الحرص علىٰ أن أكل منها. وأما الاستكبار فإبليس حين أُمر بالسجود لآدم فأبىٰ، وأمّا الحسد فابنا آدم حيث قتل أحدهما صاحبه»[2].

[٨١٦] ٣. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «أركان الكفر أربعة: الرغبة، والرهبة، والسخط، والغضب»[3].

---

١. هود (١١): ١١٤.
٢. الكافي ٢: ٢٨٩ / ١.
٣. الكافي ٢: ٢٨٩ / ٢.

◁ **بيان**

لعلّ المراد «بالرغبة» الرغبة في فضول الشهوات، «وبالرهبة» الرهبة من الناس في مخالفتهم في النواميس والعادات، «وبالسخط» السخط لقضاء الله فيما يخالف الهوىٰ، «وبالغضب» الغضب لغير الله فيما لا يرضىٰ.

قال بعض الحكماء: رؤساء الشياطين ثلاثة: شوائب الطبيعة، ونواميس العامّة، ووساوس العادة.

[٨١٧] ٤. **الكافي:** عنه ﷺ: «خمسة لعنتُهم وكلّ نبيّ مجاب: الزائد في كتاب الله، والتارك لسنّتي، والمكذّب بقدر الله، والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله، والمستأثر بالفيْ المستحلّ له»[1].

آخر كتاب الإيمان وما يقابله والحمد لله أوّلاً وآخراً

■

١. الكافي ٢: ٢٩٣ / ١٤.

كتاب
الفضائل والرذائل

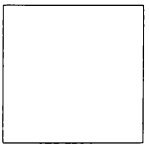

باب
جوامع الفضائل

[٨١٨] ١. الفقيه: سئل الصادق عليه السلام عن الفرائض التي فرض الله على العباد، ما هي؟ قال: «شهادة أن لا إله إلّا الله، وأن محمّداً رسول الله، وإقام الصلاة، والخمس، وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت، وصيام شهر رمضان، والولاية، فمن أقامهنّ وسدّد وقارب واجتنب كلّ مسكر دخل الجنّة.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إنّ أفضل ما يتوسّل به المتوسّلون؛ الإيمان بالله والرسول، والجهاد في سبيل الله، وكلمة الإخلاص، فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فإنّها الملّة، وإيتاء الزكاة فإنّها من فرائض الله تعالىٰ، والصوم فإنّه جنّة من عذابه، وحجّ البيت فإنّه منفاة للفقر ومدحضة للذنب، وصلة الرّحم فإنّها مثراة في المال ومنسأة في الأجل، وصدقة السرّ فإنها تطفئ الخطيئة وتطفئ غضب الربّ عزّوجلّ، وصنائع المعروف فإنها تدفع ميتة السوء وتقي مصارع الهوان، ألا فاصدقوا فإنّ الله مع الصادقين، وجانبوا الكذب فإنّه يجانب الإيمان، ألّا إنّ الصادق علىٰ شفا منجاة وكرامة، ألا إنّ الكاذب علىٰ شفا مخزاة وهلكة، ألا وقولوا خيراً تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، وأدّوا الأمانة إلىٰ من ائتمنكم، وصلوا أرحام من قطعكم، وعودوا بالفضل علىٰ من حرمكم»[1].

◁ **بيان**

«سدّد وقارب» أي اقتصد في أموره كلّها، وترك الغلوّ والتقصير.

[٨١٩] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّا لنحبّ من كان عاقلاً فهماً فقيهاً حليماً مداريا صبوراً

---

١. الفقيه ١: ٢٠٤/ ٦١٢.

صدوقاً وفياً، إنّ الله خصّ الأنبياء بمكارم الأخلاق، فمن كانت فيه فليحمد الله علىٰ ذلك، ومن لم تكن فيه فليتضرّع إلىٰ الله وليسأله إيّاها».

قيل: وما هنّ؟ قال: «هنّ الورع، والقناعة، والصبر، والشكر، والحلم، والحياء، والسخاء، والشجاعة، والغيرة والبرّ، وصدق الحديث، وأداء الأمانة»[1].

[٨٢٠] ٣. الكافي: عنه ﷺ: «المكارم عشر، فإن استطعت أن تكون فيك فلتكن، فإنّها تكون في الرجل ولا تكون في ولده، وتكون في الولد ولا تكون في أبيه، وتكون في العبد ولا تكون في الحرّ.

قيل: وما هنّ؟ قال: «صدق البأس[2]، وصدق اللسان، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وإقراء الضيف، وإطعام السائل، والمكافاة علىٰ الصنائع والتذمّم للجار، والتذمّم للصاحب، ورأسهنّ الحياء»[3].

◁ **بيان**

أريد «بصدق البأس» موافقة خشوع ظاهره لخشوع باطنه و «الأمانة» تعمّ المال والعرض والسرّ وغيرها و «إقراء الضيف» طلبه الضيافة و «الصنيعة» العطيّة والكرامة والإحسان و «التذمّم» الاستنكاف.

[٨٢١] ٤. الكافي: عنه ﷺ: «أربع من كنّ فيه كمل إيمانه، وإن كان من قرنه إلىٰ قدمه ذنوباً لم ينقصه ذلك» **قال:** «وهو: الصدق، وأداء الأمانة، والحياء، وحسن الخلق»[4].

وفي رواية: «الشكر»[5] **بدل** «أداء الأمانة».

[٨٢٢] ٥. الكافي، الفقيه: عن أمير المؤمنين ﷺ: «كانت الفقهاء والعلماء إذا كتب بعضهم إلىٰ بعض كتبوا بثلاث ليس معهنّ رابعة: من كان همّته آخرته كفاه الله همّه من الدنيا، ومن

---

١. الكافي ٢: ٥٦ / ٣.

٢. البأس: الشجاعة الحسنة الصادقة في الجهاد في سبيل الله وإظهار الحق والنهي عن المنكر، وفي الكافي: «اليأس».

٣. الكافي ٢: ٥٥ / ١.

٤. الكافي ٢: ٩٩ / ٣.

٥. الكافي ٢: ١٠٧ / ٧.

أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح فيما بينه وبين الله تعالىٰ أصلح الله تعالىٰ فيما بينه وبين الناس»[١].

وفي رواية الفقيه: «الحكماء»[٢] مكان «العلماء».

[٨٢٣] ٦. **الفقيه: عنه عليه السلام: «جمع الخير كلّه في ثلاث خصال: النظر، والسكوت، والكلام، فكلّ نظر ليس فيه اعتبار فهو سهو، وكلّ سكوت ليس فيه فكرة فهو غفلة، وكلّ كلام ليس فيه ذكر فهو لغو، طوبىٰ لمن كان نظره عبراً، وسكوته فكراً، وكلامه ذكراً، وبكىٰ علىٰ خطيئته، وأمن الناس شرّه»**[٣].

[٨٢٤] ٧. **الكافي: سئل النبيّ صلى الله عليه وآله عن خيار العباد، فقال: «الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استغفروا، وإذا أُعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا غفروا»**[٤].

[٨٢٥] ٨. **الكافي: عنه صلى الله عليه وآله: «ألا أُخبركم بخير رجالكم؟» قيل: بلىٰ يارسول الله، قال: «إنّ من خير رجالكم التقيّ النقيّ، السمح الكفّين، النقيّ الطرفين، البرّ بوالديه، ولا يلجئ عياله إلىٰ غيره»**[٥].

◁ **بيان**

«السماحة» الجود و «طرفا الإنسان» لسانه وذكره.

[٨٢٦] ٩. **الكافي: سئل الصادق عليه السلام: أيّ الخصال بالمرء أجمل؟ قال: «وقار بلا مهابة، وسماح بلا طلب مكافاة، وتشاغل بغير متاع الدنيا»**[٦].

❖ ❖ ❖

---

١. الكافي ٨: ٣٠٧ / ٤٧٧؛ والفقيه ٤: ١٧٥ / ٣٩٦ / ٥٨٤٥.
٢. الفقيه ٤: ٣٩٦ / ٥٨٤٥.
٣. الفقيه ٤: ٤٠٥ / ٥٨٧٦.
٤. الكافي ٢: ٢٤٠ / ٣١.
٥. الكافي ٢: ٥٧ / ٧.
٦. الكافي ٢: ٢٤٠ / ٣٣.

باب
اليقين

[٨٢٧] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «ليس شيء إلّا وله حدّ» قيل: فما حدّ التوكّل؟ قال: «اليقين». قيل: فما حدّ اليقين؟ قال: «أن لا تخاف مع الله شيئاً»[١].

[٨٢٨] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «من صحّة يقين المرء المسلم أن لا يرضي الناس بسخط الله، ولا يلومهم علىٰ ما لم يؤته الله، فإنّ الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يردّه كراهية كاره، ولو أنّ أحدكم فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت، لأدركه رزقه كما يدركه الموت» ثم قال: «إنّ الله تعالىٰ بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا، وجعل الهمّ والحزن في الشكّ والسّخط»[٢].

◁ بيان

لعلّ المراد بقوله: «ولا يلومهم» علىٰ ما لم يؤته الله أن لا يشكوهم علىٰ ترك صلتهم إياه بالمال ونحوه، فإنّ ذلك شيء لم يقدّر الله له ولا يرزقه إيّاه، ومن كان من أهل اليقين عرف أنّ ذلك كذلك فلا يلوم أحداً بذلك، وعرف أنّ ذلك ممّا اقتضته ذاته بحسب استحقاقه، وممّا أوجبته حكمة الله تعالىٰ في أمره.

[٨٢٩] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ العمل الدائم القليل علىٰ اليقين أفضل عند الله تعالىٰ من العمل الكثير علىٰ غير يقين»[٣].

[٨٣٠] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لا يجد عبد طعم الإيمان حتىٰ يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنّ الضارّ النافع هو الله تعالىٰ»[٤].

[٨٣١] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ أمير المؤمنين عليه السلام جلس إلىٰ حائط مائل يقضي بين الناس،

---

١. الكافي ٢: ٥٧ / ١.
٢. الكافي ٢: ٥٧ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٥٧ / ٣.
٤. الكافي ٢: ٥٨ / ٧.

فقال بعضهم: لا تقعد تحت هذا الحائط فإنّه معور، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: حرس امرءاً أجله، فلمّا قام سقط الحائط.

قال: «وكان أمير المؤمنين عليه السلام ممّا يفعل هذا وأشباهه، وهذا اليقين»[١].

◁ **بيان**

«معور» أي ذو خلل وشقّ، من العورة.

[٨٣٢] ٦. الكافي: سعيد بن قيس الهمداني، قال: نظرت يوماً في الحرب إلىٰ رجل عليه ثوبان، فحرّكت فرسي، فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام، فقلت: ياأمير المؤمنين، في مثل هذا الموضع؟ فقال: «نعم ياسعيد بن قيس، إنّه ليس من عبد إلّا وله من الله حافظ وواقية معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع في بئر، فإذا نزل القضاء خلّيا بينه وبين كلّ شيء»[٢].

[٨٣٣] ٧. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «كان قنبر غلام عليّ عليه السلام يحبّ علياً عليه السلام حبّاً شديداً، فإذا خرج عليّ عليه السلام خرج علىٰ أثره بالسّيف، فرآه ذات ليلة، فقال: ياقنبر، ما لك؟ قال: جئت لأمشي خلفك ياأمير المؤمنين، قال: ويحك أمن أهل السماء تحرسني أو من أهل الأرض؟ قال: لا، بل من أهل الأرض، قال: إنّ من أهل الأرض لا يستطيعون لي شيئاً إلّا بإذن الله من السماء، فارجع، فرجع»[٣].

[٨٣٤] ٨. الكافي: قيل للرضا عليه السلام: إنّك تتكلّم بهذا الكلام والسيف يقطر دماً، فقال: «إنّ لله تعالىٰ وادياً من ذهب، حماه بأضعف خلقه: النّمل، فلو رامه البخاتي[٤] لم تصل إليه»[٥].

◁ **بيان**

يعني بالسيف سيف السلطان.

[٨٣٥] ٩. الكافي: عنه عليه السلام: «كان في الكنز الذي قال الله تعالىٰ: **﴿وكان تحته كنز لهما﴾**[٦] كان

---

١. الكافي ٢: ٥٨ / ٥.
٢. الكافي ٢: ٥٨ / ٨.
٣. الكافي ٢: ٥٩ / ١٠.
٤. البخت، بالضمّ: الإبل الخراسانية.
٥. الكافي ٢: ٥٩ / ١١.
٦. الكهف (١٨): ٨٢.

فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن رأىٰ الدنيا وتقلّبها بأهلها كيف يركن إليها»[١].

❖ ❖ ❖

باب
الرّضا بالقضاء

[٨٣٦] ١. الكافي: عن السجّاد عليه السلام: «الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله، ومن صبر ورضي عن الله فيما قضىٰ عليه فيما أحبّ أو كره لم يقض الله فيما أحبّ أو كره إلّا ما هو خير له»[٢].

[٨٣٧] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله تعالىٰ»[٣].

[٨٣٨] ٣. الكافي: عن الكاظم عليه السلام: «ينبغي لمن عقل عن الله أن لا يستبطئه في رزقه، ولا يتّهمه في قضائه»[٤].

[٨٣٩] ٤. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «أحقّ خلق الله أن يسلّم لما قضىٰ الله تعالىٰ، من عرف الله تعالىٰ ومن رضي بالقضاء أتىٰ عليه القضاء وعظّم الله أجره، ومن سخط القضاء مضىٰ عليه القضاء وأحبط الله أجره»[٥].

[٨٤٠] ٥. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «قال الله تبارك وتعالىٰ: إنّ من عبادي المؤمنين عباداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلّا بالغنىٰ والسعة والصحة في البدن، فابلوهم بالغنىٰ والسعة وصحة البدن فيصلح عليهم أمر دينهم، وإنّ من عبادي المؤمنين لعباداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلّا بالفاقة والمسكنة والسّقم في أبدانهم، فابلوهم بالفاقة والمسكنة والسقم،

---

١. الكافي ٢: ٥٩ / ٩.
٢. الكافي ٢: ٦٠ / ٣.
٣. الكافي ٢: ٦٠ / ٢.
٤. الكافي ٢: ٦٢ / ٩.
٥. الكافي ٢: ٦٢ / ٥.

فيصلح عليهم أمر دينهم، وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادي المؤمنين.

وأنّ من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادتي، فيقوم من رقاده، ولذيذ وساده، فيتهجّد لي الليالي، فيتعب نفسه في عبادتي، فاضربه بالنعاس الليلة والليلتين نظراً منّي له وابقاءً عليه، فينام حتىٰ يصبح، فيقوم وهو ماقت لنفسه زارئ عليها، ولو أُخلي بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله العجب من ذلك، فيصيّره العجب إلىٰ الفتنة بأعماله، فيأتيه من ذلك ما فيه هلاكه، لعجبه بأعماله، ورضاه عن نفسه حتىٰ يظنّ أنّه قد فاق العابدين، وجاز في عبادته حدّ التقصير، فيتباعد منّي عند ذلك، وهو يظنّ أنّه يتقرّب إليّ، فلا يتّكل العاملون لي علىٰ أعمالهم التي يعملونها لثوابي، فإنّهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم وأفنوا أعمارهم في عبادتي، كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جنّاتي ورفيع درجات العلىٰ في جواري، ولكن فبرحمتي فليثقوا، وبفضلي فليفرحوا، وإلىٰ حسن الظنّ بالله فليطمئنّوا، فإنّ رحمتي عند ذلك تدّاركهم، ومنّي يبلغهم رضواني ومغفرتي، ويلبسهم عفوي، فإنّي أنا الله الرحمن الرحيم، وبذلك تسمّيت»[1].

[٨٤١] ٦. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «إنّ فيما أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ بن عمران، ياموسىٰ بن عمران؛ ما خلقت خلقاً أحبّ إليّ من عبدي المؤمن، وإنّي إنّما ابتليه لما هو خير له، وأزوي عنه لما هو خير له، وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدي، فليصبر علىٰ بلائي، وليشكر نعمائي، وليرض بقضائي، أكتبه في الصّديقين عندي إذا عمل برضاي وأطاع أمري»[2].

[٨٤٢] ٧. **الكافي: عنه** عليه السلام: «عجبت للمرء المسلم لا يقضي الله عليه بقضاء إلّا كان خيراً له، إن قرض بالمقاريض كان خيراً له، وإن ملك مشارق الأرض ومغاربها كان خيراً له»[3].

[٨٤٣] ٨. **الكافي: عن السجّاد** عليه السلام: «الزهد عشرة أجزاء، أعلىٰ درجة الزهد أدنىٰ

---

١. الكافي ٢: ٦٠ / ٤.
٢. الكافي ٢: ٦١ / ٧.
٣. الكافي ٢: ٦٢ / ٨.

درجة الورع، وأعلىٰ درجة الورع أدنىٰ درجة اليقين، وأعلىٰ درجة اليقين أدنىٰ درجة الرضا»[١].

[٨٤٤] ٩. **الكافي: عن الصادق عليه السلام**: «لقي الحسن بن عليّ عبدالله بن جعفر فقال: ياعبدالله، كيف يكون المؤمن مؤمناً وهو يسخط قِسمه ويحقر منزلته والحاكم عليه الله! وأنا الضامن لمن لم يهجس في قلبه إلّا الرضا أن يدعو الله فيستجاب له»[٢].

◁ **بيان**

«القسم» بالكسر: الحظّ والنصيب، والعائد فيه وفي منزلته للمؤمن «لم يهجس» لم يخطر. وقد مرّ أنّ التسليم لله والرّضا من علامات الإيمان وأركانه.

[٨٤٥] ١٠. **الكافي: عنه عليه السلام**: «لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لشيء قد مضىٰ: لو كان غيره»[٣].

❖ ❖ ❖

باب
التفويض إلىٰ الله والتوكّل عليه

[٨٤٦] ١. **الكافي: عن الصادق عليه السلام**: «أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ داود: ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي؛ عرفت ذلك من نيّته، ثم تكيده السموات والأرض ومن فيهنّ إلّا جعلت له المخرج من بينهنّ، وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من نيّته، إلّا قطعت أسباب السموات من يديه، وأسخت الأرض من تحته، ولم أبال بأيّ واد هلك»[٤].

◁ **بيان**

«أسختُ» من الإساخة بمعنىٰ الخسف.

---

١. الكافي ٢: ٦٢ / ١٠.
٢. الكافي ٢: ٦٢ / ١١.
٣. الكافي ٢: ٦٣ / ١٣.
٤. الكافي ٢: ٦٣ / ١.

[٨٤٧] ٢. الكافي: عن السجّاد عليه السلام قال: «خرجت حتىٰ انتهيت إلىٰ هذا الحائط فاتّكيت عليه، فإذا رجل عليه ثوبان أبيضان ينظر في تجاه وجهي، ثم قال: ياعليّ بن الحسين، ما لي أراك كئيباً حزيناً؟ أعلىٰ الدنيا؛ فرزق الله حاضر للبرّ والفاجر؟! قلت: ما علىٰ هذا أحزن وإنّه لكما تقول. قال: فعلىٰ الآخرة؟ فوعد صادق يحكم فيه ملك قاهر ـ أو قال: قادر، قلت: ما علىٰ هذا أحزن، وإنّه لكما تقول، فقال: فممّ حزنك؟ قلت: ممّا نتخوّف من فتنة ابن الزبير وما فيه الناس، قال: فضحك، ثم قال: ياعليّ بن الحسين؛ هل رأيت أحداً دعا الله فلم يجبه؟ قلت: لا، قال: فهل رأيت أحداً توكّل علىٰ الله فلم يكفه؟ قلت: لا، قال: فهل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه؟ قلت: لا، ثم غاب عنّي»[١].

[٨٤٨] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ الغنىٰ والعزّ يجولان، فإذا ظفرا بمواضع التوكّل أوطنا»[٢].

[٨٤٩] ٤. الكافي: عن الكاظم عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿ومن يتوكّل علىٰ الله فهو حسبه﴾[٣] فقال: «التوكّل علىٰ الله درجات منها أن تتوكّل علىٰ الله في أمورك كلّها، فما فعل بك كنت عنه راضياً، تعلم أنّه لا يألوك خيراً وفضلاً، وتعلم أنّ الحكم في ذلك له، فتوكّل علىٰ الله بتفويض ذلك إليه، وثق به فيها وفي غيرها»[٤].

◁ بيان

لعلّ سائر درجات التوكّل أن يتوكّل علىٰ الله في بعض أموره دون بعض وتعدّدها بحسب كثرة الأمور المتوكّل فيها وقلّتها.

[٨٥٠] ٥. الكافي: عن الصادق عليه السلام أنّه قرأ في بعض الكتب: «إنّ الله تعالىٰ يقول: وعزّتي وجلالي ومجدي وارتفاعي علىٰ عرشي، لأقطّعنّ أمل كلّ مؤمّل غيري باليأس، ولأكسونّه ثوب المذلّة عند الناس، ولأُنحّينّه من قربي، ولأُبعدنّه من وصلي، أيؤمّل غيري في الشدائد والشدائد بيدي، ويرجو غيري، ويقرع بالفكر باب غيري، وبيدي مفاتيح الأبواب

---

١. الكافي ٢: ٦٣ / ٢.
٢. الكافي ٢: ٦٤ / ٣.
٣. الطلاق (٦٥): ٣.
٤. الكافي ٢: ٦٥ / ٥.

وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني؟! فمن ذا الذي أمّلني لنوائبه فقطعته دونها! ومن ذا الذي رجاني لعظيمة قطعت رجاه منّي!

جعلت آمال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي، وملأت سماواتي ممّن لا يملّ من تسبيحي، وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي، فلم يثقوا بقولي، ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي أنّه لا يملك كشفها أحد غيري إلّا من بعد إذني؟ وما لي أراه لاهياً عنّي، أعطيته بجودي ما لم يسألني ثم انتزعته منه فلم يسألني ردّه وسأل غيري، أفيراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة، ثم أُسأل فلا أجيب سائلي، أبخيل أنا فيبخّلني عبدي؟ أوليس الجود والكرم لي؟ أوليس العفو والرحمة بيدي؟ أوليس أنا محلّ الآمال؟ فمن يقطعها دوني، أفلا يخشىٰ المؤمّلون أن يؤمّلوا غيري؟

فلو أنّ أهل سماواتي وأهل أرضي أمّلوا جميعاً، ثم أعطيت كلّ واحد منهم مثل ما أمّل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرّة، وكيف ينقص ملك أنا قيّمه! فيابؤساً للقانطين من رحمتي، ويابؤساً لمن عصاني ولم يراقبني»[1].

❖ ❖ ❖

باب
الخوف والرّجاء

[٨٥١] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام قيل له: ما كان في وصيّة لقمان؟ قال: «كان فيها الأعاجيب، وكان أعجب ما كان فيها أن قال لابنه: خف الله تعالىٰ خيفة لو جئته ببرّ الثقلين لعذّبك، وارجُ الله رجاءً لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك».

ثم قال عليه السلام: «كان أبي يقول: إنّه ليس من عبد مؤمن إلّا وفي قلبه نوران: نور خيفة، ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد علىٰ هذا، ولو وزن هذا لم يزد علىٰ هذا»[2].

[٨٥٢] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «ينبغي للمؤمن أن يخاف الله خوفاً كأنّه مشرف علىٰ النّار،

---

١. الكافي ٢: ٦٦ / ٧.
٢. الكافي ٢: ٦٧ / ١.

ويرجو رجاء كأنّه من أهل الجنّة». ثم قال: «إنّ الله تعالىٰ عند ظنّ عبده، إن خيراً فخيراً، وإن شرّاً فشرّاً»[١].

[٨٥٣] ٣. **الكافي: عنه** ﷺ: «خف الله كأنّك تراه، وإن كنت لا تراه فانه يراك، وان كنت ترىٰ أنه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين إليك»[٢].

[٨٥٤] ٤. **الكافي: عنه** ﷺ: «من خاف الله تعالىٰ أخاف الله تعالىٰ منه كلّ شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كلّ شيء»[٣].

[٨٥٥] ٥. **الكافي: عنه** ﷺ: «من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا»[٤].

[٨٥٦] ٦. **الكافي: عنه** ﷺ **قيل: إنّ قوماً من مواليك يلمّون بالمعاصي ويقولون: نرجوا، فقال:** «كذبوا، ليسوا لنا بموال، أولئك قوم ترجّحت بهم الأمانيّ، من رجا شيئاً عمل له، ومن خاف شيئاً هرب منه»[٥].

◁ **بيان**

الترجّح: الميل، يعني مالت بهم عن الاستقامة أمانيّهم الكاذبة.

[٨٥٧] ٧. **الكافي: عنه** ﷺ: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتىٰ يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتىٰ يكون عاملاً لما يخاف ويرجو»[٦].

[٨٥٨] ٨. **الكافي: عنه** ﷺ **في قول الله تعالىٰ: ﴿ولمن خاف مقام ربّه جنّتان﴾**[٧] **قال:** «من علم أنّ الله يراه ويسمع ما يقول ويعلم ما يعمله من خير أو شرّ؛ فيحجزه ذلك عن القبيح من

---

١. الكافي ٨: ٣٠٢ / ٤٦٢.
٢. الكافي ٢: ٦٨ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٦٨ / ٣.
٤. الكافي ٢: ٦٨ / ٤.
٥. الكافي ٢: ٦٨ / ٦.
٦. الكافي ٢: ٧١ / ١١.
٧. الرحمن (٥٥): ٤٦.

الأعمال، فذلك الذي خاف مقام ربّه ونهىٰ النفس عن الهوىٰ»[١].

[٨٥٩] ٩. الكافي: عن السجّاد عليه السلام: «إنّ رجلاً ركب البحر بأهله فكسر بهم، فلم ينج ممّن كان في السفينة إلّا امرأة الرجل، فإنّها نجت علىٰ لوح من ألواح السفينة حتىٰ أُلجئت إلىٰ جزيرة من جزائر البحر، وكان في تلك الجزيرة رجل يقطع الطريق، ولم يدع لله حرمة إلّا انتهكها، فلم يعلم إلّا والمرأة قائمة علىٰ رأسه، فرفع رأسه إليها، فقال: إنسيّة أم جنيّة؟ فقالت: إنسيّة، فلم يكلّمها كلمة حتىٰ جلس منها مجلس الرجل من أهله، فلمّا أن همّ بها اضطربت، فقال لها: ما لك تضطربين؟ فقالت: أفرق من هذا ـ وأومأت بيدها إلىٰ السّماء ـ قال: فصنعت من هذا شيئاً؟ قالت: لا وعزّته، قال: فأنت تفرقين منه هذا الفرق ولم تصنعي من هذا شيئاً، وإنّما استكرهتك استكراهاً، فأنا والله أولىٰ بهذا الفرق والخوف وأحقّ منك».

قال: «فقام ولم يحدث شيئاً ورجع إلىٰ أهله وليست له همّة إلّا التوبة والمراجعة، فبينا هو يمشي إذ صادفه راهب يمشي في الطريق، فحمئت عليهما الشمس، فقال الراهب للشابّ: ادع الله يظلّنا بغمامة فقد حمئت علينا الشمس، فقال الشاب: ما أعلم أنّ لي عند ربّي حسنة فأتجاسر علىٰ أن أسأله شيئاً، قال: فأدعو أنا وتؤمّن أنت؟ قال: نعم، فأقبل الراهب يدعو والشاب يؤمّن، فما كان بأسرع من أن أظلّتهما غمامة فمشيا تحتها مليّاً من النهار، ثم انفرجت الجادّة جادّتين، فأخذ الشاب في واحدة وأخذ الراهب في واحدة، فإذا السّحابة مع الشّاب، فقال الراهب: أنت خير منّي، لك استجيب ولم يستجب لي، فخبّرني ما قصّتك؟ فأخبره بخبر المرأة، فقال: غفر لك ما مضىٰ حيث دخلك الخوف فانظر كيف تكون فيما تستقبل»[٢].

[٨٦٠] ١٠. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ من العبادة شدّة الخوف من الله تعالىٰ، يقول الله تعالىٰ: ﴿إنّما يخشىٰ الله من عباده العلماء﴾[٣] وقال جلّ ثناؤه: ﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾[٤]

---

١. الكافي ٢: ٧٠ / ١٠.
٢. الكافي ٢: ٣٣ / ٦٩ / ٨.
٣. فاطر (٣٥): ٢٨.

وقال تعالىٰ: ﴿ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً﴾[٥].

ثم قال عليه السلام: «إنّ حبّ الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهب»[٦].

[٨٦١] ١١. الكافي: عنه عليه السلام: «المؤمن بين مخافتين: ذنب قد مضىٰ لا يدري ما صنع الله فيه، وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك، فهو لا يصبح إلّا خائفاً، ولا يصلحه إلّا الخوف»[٧].

❖ ❖ ❖

باب

حسن الظنّ بالله

[٨٦٢] ١. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «والذي لا إله إلّا هو ما أعطي مؤمن قطّ خير الدنيا والآخرة إلّا بحسن ظنّه بالله ورجائه له وبحسن خلقه والكفّ عن اغتياب المؤمنين، والذي لا إله إلّا هو لا يعذّب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلّا بسوء ظنّه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه واغتيابه للمؤمنين، والذي لا إله إلّا هو لا يحسن ظنّ عبد مؤمن بالله إلّا كان الله عند ظنّ عبده المؤمن، لأنّ الله كريم بيده الخيرات، يستحيي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظنّ، ثم يخلف ظنّه ورجاءه، فأحسنوا بالله الظنّ وارغبوا إليه»[٨].

[٨٦٣] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «حسن الظنّ بالله أن لا ترجو إلّا الله، ولا تخاف إلّا ذنبك»[٩].

❖ ❖ ❖

---

٤. فاطر (٣٥): ٢٨.
٥. الطلاق (٦٥): ٢.
٦. الكافي ٢: ٦٩ / ٧.
٧. الكافي ٢: ٧١ / ١٢.
٨. الكافي ٢: ٧٢ / ٢.
٩. الكافي ٢: ٧٢ / ٤.

باب
الاعتراف بالتقصير

[٨٦٤] ١. الكافي: عن الكاظم عليه السلام، قال لبعض ولده: «يابنيّ، عليك بالجدّ، ولا تخرجنّ نفسك من حدّ التقصير في عبادة الله وطاعته، فإنّ الله لا يعبد حقّ عبادته»[١].

[٨٦٥] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «أكثر من أن تقول: اللهم لا تجعلني من المعارين، ولا تخرجني من التقصير».

قيل: أمّا المعارون فقد عرفت أنّ الرجل يعار الدّين ثم يخرج منه، فما معنىٰ: «لا تخرجني من التقصير؟» قال: «كلّ عمل تريد به الله تعالىٰ فكن فيه مقصّراً عند نفسك، فإنّ الناس كلّهم في أعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصّرون إلّا من عصمه الله تعالىٰ»[٢].

[٨٦٦] ٣. الكافي: عن الباقر عليه السلام قال لجابر: «ياجابر، لا أخرجك الله من النّقص ولا التقصير»[٣].

[٨٦٧] ٤. الكافي: عن أبي الحسن عليه السلام: «إنّ رجلاً من بني إسرائيل عبد الله تعالىٰ أربعين سنة، ثم قرّب قرباناً فلم يقبل منه، فقال لنفسه: ما أتيت إلّا منك وما الذنب إلّا لك، قال: فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: ذمّك لنفسك أفضل من عبادتك أربعين سنة»[٤].

◁ بيان

«ما اتيت إلّا منك» علىٰ البناء للمفعول، أي ما دخل عليّ البلاء إلّا من جهتك.

❖ ❖ ❖

باب
الطاعة والتقوىٰ

[٨٦٨] ١. الكافي: عن الباقر عليه السلام قال لجابر: «ياجابر، أيكتفي من انتحل التشيّع أن يقول بحبّنا

---

١. الكافي ٢: ٧٢ / ١.
٢. الكافي ٢: ٧٣ / ٤.
٣. الكافي ٢: ٧٢ / ٢.
٤. الكافي ٢: ٧٣ / ٣.

أهل البيت! فوالله ما شيعتنا إلّا من اتّقىٰ الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون ياجابر إلّا بالتواضع، والتخشّع، والأمانة، وكثرة ذكر الله، والصوم، والصلاة، والبرّ بالوالدين، والتعهّد للجيران من الفقراء، وأهل المسكنة، والغارمين، والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكفّ الألسن عن الناس إلّا من خير، وكانوا أُمناء عشائرهم في الأشياء».

قال جابر: فقلت: يابن رسول الله، ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة. فقال: «ياجابر، لا تذهبنّ بك المذاهب، حسب الرجل أن يقول أُحبّ عليّاً وأتولّاه، ثم لا يكون مع ذلك فعّالاً، فلو قال: إنّي أحبّ رسول الله ﷺ ـ فرسول الله خير من عليّ ـ ثم لا يتّبع سيرته ولا يعمل بسنّته، ما نفعه حبّه إيّاه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحبّ العباد إلىٰ الله تعالىٰ وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته.

ياجابر، والله ما يتقرّب إلىٰ الله تعالىٰ إلّا بالطاعة، ما معنا براءة من النّار، ولا علىٰ الله لأحد من حجّة، من كان لله مطيعاً فهو لنا وليّ، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدوّ، وما تنال ولايتنا إلّا بالعمل والورع»[1].

[٨٦٩] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «يامعشر الشيعة، شيعة آل محمّد، كونوا النمرقة الوسطىٰ، يرجع إليكم الغالي، ويلحق بكم التالي».

فقال له رجل من الأنصار يقال له سعد: جعلت فداك، ما الغالي؟ قال: «قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، فليس أولئك منّا ولسنا منهم».

قال: فما التالي؟ قال: «المرتاد يريد الخير يبلّغه الخير يؤجر عليه». **ثم أقبل علينا، فقال:** «والله ما معنا براءة، ولا بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا علىٰ الله حجّة، ولا نتقرّب إلىٰ الله إلّا بالطاعة، فمن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولايتنا، ومن كان منكم عاصياً لله لم تنفعه ولايتنا، ويحكم لا تغترّوا، ويحكم لا تغترّوا»[2].

◁ **بيان**

«النمرقة» الوسادة الصغيرة، والمراد أنّه كما كانت الوسادة التي يتوسّد عليها

---

١. الكافي ٢: ٣/٧٤.
٢. الكافي ٢: ٦/٧٥.

الرجل، إذا كانت رفيعة جدّاً أو خفيضة جدّاً لا تصلح للتوسّد، بل لابدّ لها من حدّ من الارتفاع والانخفاض حتىٰ تصلح لذلك، كذلك أنتم في دينكم وأئمّتكم لا تكونوا غالين تجاوزون بهم عن مرتبتهم التي أقامهم الله عليها وجعلهم أهلاً لها ـ وهي الإمامة والوصاية النازلتان عن الأُلوهية والنبوّة ـ كالنصارىٰ الغالين في المسيح، المعتقدين فيه الأُلوهية أو البنوّة للإله، ولا تكونوا أيضاً مقصّرين فيهم تنزلونهم عن مرتبتهم، وتجعلونهم كسائر الناس أو أنزل، كاليهود المقصّرين في المسيح المنزلين له عن مرتبته، بل كونوا كالنمرقة الوسطىٰ، وهي المقتصدة للتوسّد، يرجع إليكم الغالي، ويلحق بكم التالي.

قوله عليه السلام: «يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا» يعني ما يزيد عن مرتبتنا من الربوبية أو النبوّة أو نحو ذلك «والمرتاد» الطالب للاهتداء الذي لا يعرف الإمام ومراسم الدّين بعد، يريد التعلّم ونيل الحق «يبلغه الخير» بدل من الخير، يعني يريد أن يبلغه الخير ليؤجر عليه.

[٨٧٠] ٣. **الكافي: عنه عليه السلام:** «قام رسول الله صلى الله عليه وآله علىٰ الصفّ فقال: يابني هاشم، يابني عبدالمطّلب، إنّي رسول الله إليكم، وإنّي شفيق عليكم، وإنّ لي عملي، ولكلّ رجل منكم عمله، ولا تقولوا: إنّ محمّداً منّا، وسندخل مدخله، فلا والله ما أوليائي منكم ولا من غيركم ـ يابني عبدالمطلب ـ إلّا المتّقون، ألا فلا أعرفكم يوم القيامة تأتون تحملون الدّنيا علىٰ ظهوركم، ويأتيني الناس يحملون الآخرة، ألا إنّي قد أعذرت إليكم فيما بيني وبينكم وفيما بيني وبين الله تعالىٰ فيكم»[1].

[٨٧١] ٤. **الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام:** «لا يقلّ عمل مع تقوىٰ، وكيف يقلّ ما يتقبّل!»[2].

[٨٧٢] ٥. **الكافي: عن الصادق عليه السلام كتب إلىٰ رجل من أصحابه:** «أمّا بعد، فإنّي أُوصيك بتقوىٰ الله، فإنّ الله قد ضمن لمن اتّقاه أن يحوّله عمّا يكره إلىٰ ما يحبّ، ويرزقه من حيث لا يحتسب، فإيّاك أن تكون ممّن يخاف علىٰ العباد ذنوبهم، ويأمن العقوبة من ذنبه، فإنّ الله لا يخدع عن جنّته، ولا ينال ما عنده إلّا بطاعته إن شاء تعالىٰ»[3].

---

١. الكافي ٨: ١٨٢ / ٢٠٥.
٢. الكافي ٢: ٧٥ / ٥.
٣. الكافي ٨: ٤٩ / ٩.

[٨٧٣] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «ما نقل الله تعالىٰ عبداً من ذلّ المعاصي إلىٰ عزّ التقوىٰ إلّا أغناه من غير مال، وأعزّه من غير عشيرة، وآنسه من غير بشر»[١].

❖ ❖ ❖

باب

أداء الفرائض واجتناب المحارم

[٨٧٤] ١. الكافي: عن السجّاد عليه السلام: «من عمل بما افترض الله عليه، فهو من خير الناس»[٢].

وفي رواية: «فهو من أعبد الناس»[٣].

[٨٧٥] ٢. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «اعمل بفرائض الله، تكن أتقىٰ الناس»[٤].

[٨٧٦] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿اصبروا وصابروا ورابطوا﴾ قال: «اصبروا علىٰ الفرائض، وصابروا علىٰ المصائب، ورابطوا علىٰ الأئمّة عليهم السلام، واتّقوا الله ربّكم فيما افترض عليكم»[٥].

[٨٧٧] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «قال الله تعالىٰ: ما تحبّب إليّ عبدي بأحبّ ممّا افترضت عليه»[٦].

[٨٧٨] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «من أشدّ ما فرض الله تعالىٰ علىٰ خلقه ذكر الله تعالىٰ كثيراً» ثم قال: «لا أعني: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر، وإن كان منه، ولكن ذكر الله عندما أحلّ وحرّم، فإن كان طاعة عمل بها، وإن كان معصية تركها»[٧].

[٨٧٩] ٦. الكافي: سئل عن قول الله تعالىٰ: ﴿وقدمنا إلىٰ ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾[٨]

---

١. الكافي ٢: ٧٦ / ٨.
٢. الكافي ٢: ٨١ / ١؛ والآية من سورة آل عمران (٣): ٢٠٠.
٣. الكافي ٢: ٨٤ / ٧.
٤. الكافي ٢: ٨٢ / ٤.
٥. الكافي ٢: ٨١ / ٣.
٦. الكافي ٢: ٨٢ / ٥.
٧. الكافي ٢: ٨٠ / ٤.
٨. الفرقان (٢٥): ٢٣.

قال: «أما والله إن كانت أعمالهم أشدّ بياضاً من القباطي، ولكن كانوا إذا عرض لهم الحرام لم يدعوه»[١].

◁ **بيان**

القباطي: الثياب البيض الرّقاق المصريّة.

[٨٨٠] ٧. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «من ترك معصية لله مخافة الله، أرضاه الله يوم القيامة»[٢].

[٨٨١] ٨. الكافي: عن الباقر ﷺ: «كلّ عين باكية يوم القيامة غير ثلاث: عين سهرت في سبيل الله، وعين فاضت من خشية الله، وعين غضّت عن محارم الله»[٣].

[٨٨٢] ٩. الكافي: عن الصادق ﷺ: «فيما ناجىٰ الله تعالىٰ به موسىٰ، ياموسىٰ: ما تقرّب إليّ المتقرّبون بمثل الورع عن محارمي، فإنّي أُبيحهم جنّات عدن لا أُشرك معهم أحداً»[٤].

وفي رواية: «لا ينال ما عند الله إلّا بالورع»[٥].

[٨٨٣] ١٠. الفقيه: عن الكاظم ﷺ أنّه قال لبعض ولده: «إيّاك أن يراك الله عزّوجلّ في معصية نهاك عنها، وإيّاك أن يفقدك الله عند طاعة أمرك بها، وعليك بالجدّ».

وقال: «وإياك والكسل والضجر، فإنّهما يمنعانك حظّك من الدّنيا والآخرة»[٦].

[٨٨٤] ١١. الكافي: عن الباقر ﷺ: «إنّ أشدّ العبادة الورع»[٧].

[٨٨٥] ١٢. الكافي: عنه ﷺ: «قال الله تعالىٰ: ابن آدم، اجتنب ما حرّمت عليك تكن من أورع الناس»[٨].

---

١. الكافي ٢: ٨١ / ٥.
٢. الكافي ٢: ٨١ / ٦.
٣. الكافي ٢: ٨٠ / ٣.
٤. الكافي ٢: ٨٠ / ٢.
٥. الكافي ٢: ٧٦ / ٣.
٦. الفقيه ٤: ٤٠٨ / ٥٨٨٥.
٧. الكافي ٢: ٧٧ / ٥.
٨. الكافي ٢: ٧٧ / ٧.

[٨٨٦] ١٣. الكافي: عنه عليه السلام: «ما عبد الله بشيء أفضل من عفّة بطن وفرج»[١].

[٨٨٧] ١٤. الكافي: عن النبي صلى الله عليه وآله: «أكثر ما يلج به أُمتي النار الأجوفان: البطن، والفرج»[٢].

[٨٨٨] ١٥. الكافي: عنه صلى الله عليه وآله: «ثلاثة أخافهنّ علىٰ أُمّتي من بعدي: الضلالة بعد المعرفة، ومضلاّت الفتن، وشهوة البطن والفرج»[٣].

◁ **بيان**

أريد بمضلّات الفتن: الامتحانات التي تصير سبباً للضلالة.

❖ ❖ ❖

باب

محاسبة النفس ومحافظة الوقت

[٨٨٩] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربّه شيئاً إلّا أعطاه، فلييأس من الناس كلّهم، ولا يكون له رجاء إلّا من عند الله تعالىٰ، فإذا علم الله تعالىٰ ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلّا أعطاه، فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها، فإنّ للقيامة خمسين موقفاً كلّ موقف مقام ألف سنة، ثم تلا: ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾»[٤].

◁ **بيان**

تفريع المحاسبة علىٰ الأمر باليأس عن الناس والرجاء من الله، يدلّ علىٰ أنّ الإنسان إنّما يرجو الناس من دون الله في عامّة أمره وهو غافل عن ذلك، وإنّ عامّة المحاسبات إنّما ترجع إلىٰ ذلك، وذكر الوقوف في مواقف يوم القيامة بعد الأمر بمحاسبة النفس يدلّ علىٰ أنّ الوقفات هناك إنّما تكون للمحاسبات، فمن حاسب نفسه في الدنيا يوماً فيوماً لم يحتج إلىٰ تلك الوقفات في ذلك اليوم قال الله تعالىٰ:

---

١. الكافي ٢: ٧٩ / ١.
٢. الكافي ٢: ٧٩ / ٥.
٣. الكافي ٢: ٧٩ / ٦.
٤. الكافي ٢: ١٤٨ / ٢؛ والآية من سورة المعارج (٧٠): ٤.

«ولتنظر نفس ما قدّمت لغد»[1] وهذه إشارة إلىٰ المحاسبة علىٰ ما مضىٰ من الأعمال، وورد في الخبر: «ينبغي أن يكون للعاقل أربع ساعات: ساعة يحاسب فيها نفسه...»[2].

وفي (مصباح الشريعة) عن الصادق عليه السلام قال: «لو لم يكن للحساب مهولة الأحياء العرض علىٰ الله عزّوجلّ وفضيحة هتك الستر علىٰ المخفيّات، يحقّ للمرء أن لا يهبط من رؤس الجبال، ولا يأوي علىٰ عمران، ولا يشرب ولا ينام، إلّا عن اضطرار متّصل بالتلف، ومثل ذلك يفعل من يرىٰ القيامة بأهوالها وشدائدها قائمة في كلّ نفس، وبعاين بالقلب الوقوف بين يدي الجبّار حينئذ، يأخذ نفسه بالمحاسبة كأنّه إلىٰ عرصاتها مدعوّ، وفي غمراتها مسؤول، قال الله عزّوجلّ: **«وإن كان مثقال حبّة من خردل أتينا بها وكفىٰ بنا حاسبين»**»[3] انتهىٰ كلامه عليه صلوات الله وسلامه.

ومعنىٰ المحاسبة أن يطالب نفسه أولاً بالفرائض التي هي بمنزلة رأس ماله، فإن أدّتها علىٰ وجهها شكر الله عزّوجلّ عليه ورغبّها في مثلها، وإن فوّتتها من أصلها طالبها بالقضاء، فإن أدّتها ناقصة كلّفها الجبران بالنوافل، وإن ارتكبت معصية اشتغل بعتابها وتعذيبها ومعاقبتها، واستوفىٰ منها ما يتدارك به ما فرّط، كما يصنع التاجر بشريكه، وكما أنّه يفتّش في حساب الدنيا عن الحبّة والقيراط، فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتىٰ لا يغبن في شيء منها، فينبغي أن يتّقي غائلة النفس ومكرها، فإنّها خدّاعة ملبّسة مكّارة، فليطالبها أوّلاً بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلّم به طول نهاره، وليتكفّل بنفسه من الحساب ما سيتولّاه غيره في صعيد القيامة، وهكذا عن نظره، بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه، حتىٰ عن سكوته أنّه لم سكت وعن سكونه أنّه لم سكن.

فإذا عرف مجموع الواجب علىٰ النفس، وصحّ عنده قدر ما أدّىٰ الحقّ فيه، كان ذلك القدر محسوباً له، فيظهر له الباقي عليها، فليثبّته عليها، وليكتب علىٰ صحيفة قلبه، كما يكتب الباقي الذي علىٰ شريكه علىٰ قلبه وعلىٰ جريدته، ثم النفس غريم يمكن أن يستوفي منها الديون، أمّا بعضها فبالغرامة والضّمان، وبعضها يردّ عينه، وبعضها بالعقوبة لها علىٰ ذلك، ولا يمكن شيء من ذلك إلّا بعد تحقيق الحساب، وتمييز الباقي من الحقّ الواجب عليها، فإذا حصل ذلك اشتغل

---

١. الحشر (٥٩): ١٨.

٢. البحار ١: ٨٨ / ١٣.

٣. مصباح الشريعة: ٥٨ / ١ والآية من سورة الأنبياء ٢١: ٤٧.

بعده بالمطالبة والاستيفاء.

[٨٩٠] ٢. **الكافي: عن الكاظم** عليه السلام: «ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم، فإن عمل حسنة استزاد الله تعالىٰ، وإن عمل سيئة استغفر الله منها وتاب إليه»[١].

[٨٩١] ٣. **الكافي: عن الباقر** عليه السلام: «لا يغرّنّك الناس من نفسك، فإنّ الأمر يصل إليك دونهم، ولا تقطع نهارك بكذا وكذا، فإنّ معك من يحفظ عليك عملك، فأحسن فإنّي لم أر شيئاً أحسن دركاً ولا أسرع طلباً من حسنة محدثة لذنب قديم»[٢].

[٨٩٢] ٤. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «احمل نفسك لنفسك، فإن لم تفعل لم يحملك غيرك»[٣].

[٨٩٣] ٥. **الكافي: عنه** عليه السلام **قال لرجل**: «إنّك قد جعلت طبيب نفسك، وبيّن لك الداء، وعرفت آية الصحّة، ودللت علىٰ الدواء، فانظر كيف قيامك علىٰ نفسك»[٤].

[٨٩٤] ٦. **الكافي: عنه** عليه السلام **قال لرجل**: «اجعل قلبك قريناً برّاً أو ولداً واصلاً، واجعل علمك والداً تتبعه، واجعل نفسك عدوّاً تجاهدها، واجعل مالك عارية تردّها»[٥].

[٨٩٥] ٧. **الكافي: عنه** عليه السلام: «أقصر نفسك عما يضرّها من قبل أن تفارقك، واسعَ في فكاكها كما تسعىٰ في طلب معيشتك، فإنّ نفسك رهينة بعملك»[٦].

[٨٩٦] ٨. **الكافي: عنه** عليه السلام: «كم من طالب للدنيا لا يدركها، ومدرك لها قد فارقها، فلا يشغلنّك طلبها عن عملك، والتمسها من معطيها ومالكها، فكم من حريص علىٰ الدنيا قد صرعته، واشتغل بما أدرك منها عن طلب آخرته، ففنىٰ عمره، وأدركه أجله»[٧].

وقال عليه السلام: «المسجون من سجنته دنياه عن آخرته»[٨].

---

١. الكافي ٢: ٤٥٣ / ٢.
٢. الكافي ٢: ٤٥٤ / ٣.
٣. الكافي ٢: ٤٥٤ / ٥.
٤. الكافي ٢: ٤٥٤ / ٦.
٥. الكافي ٢: ٤٥٤ / ٧.
٦. الكافي ٢: ٤٥٥ / ٨.
٧. الكافي ٢: ٤٥٥ / ٩.
٨. الكافي ٢: ٤٥٥ / ٩.

[٨٩٧] ٩. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ رجلاً أتىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله فقال له: يارسول الله أوصني، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: فهل أنت مستوصٍ إن أنا أوصيتك؟ ـ حتىٰ قال له ذلك ثلاثاً ـ وفي كلّها يقول له الرجل: نعم يارسول الله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: فإنّي أُوصيك إذا أنت هممت بأمر فتدبّر عاقبته، فإن يك رشداً فأمضه، وإن يك غيّاً فانته عنه»[١].

◁ بيان

هذه الوصية من محاسبة النفس، بل هي رأسها.

[٨٩٨] ١٠. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إذا أتت علىٰ الرجل أربعون سنة قيل له: خذ حذرك، فإنّك غير معذور، وليس ابن الأربعين أحقّ بالحذر من ابن العشرين، فإنّ الذي يطلبهما واحد وليس براقد، فاعمل لما أمامك من الهول، ودع عنك فضول القول»[٢].

[٨٩٩] ١١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ العبد لفي فسحة من أمره ما بينه وبين أربعين سنة، فإذا بلغ أربعين سنة أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ ملكيه: قد عمّرت عبدي هذا عمراً فغلّظا وشدّدا وتحفّظا واكتبا عليه قليل عمله وكثيره وصغيره وكبيره»[٣].

[٩٠٠] ١٢. الكافي: عنه عليه السلام: «خذ لنفسك من نفسك، خذ منها في الصّحة قبل السقم، وفي القوة قبل الضعف، وفي الحياة قبل الممات»[٤].

[٩٠١] ١٣. الفقيه: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ما من يوم يمرّ علىٰ ابن آدم إلّا قال له ذلك اليوم: أنا يوم جديد، وأنا عليك شهيد، فقل فيّ خيراً، واعمل فيّ خيراً، أشهد لك به يوم القيامة، فإنّك لن تراني بعد هذا أبداً»[٥].

وفي رواية: «فإذا جاء الليل قال مثل ذلك»[٦].

[٩٠٢] ١٤. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «اصبروا علىٰ طاعة الله، وتصبّروا عن معصية الله، فإنّما

---

١. الكافي ٨: ١٤٩ / ١٣٠.
٢. الكافي ٢: ٤٥٥ / ١٠.
٣. الكافي ٨: ١٠٨ / ٨٤.
٤. الكافي ٢: ٤٥٥ / ١١.
٥. الفقيه ٤: ٣٩٧ / ٥٨٤٩.
٦. الكافي ٢: ٤٥٥ / ١٢.

الدنيا ساعة، فما مضىٰ فلست تجد له سروراً ولا حزناً، وما لم يأت فلست تعرفه، فاصبر علىٰ تلك الساعة التي أنت فيها، فكأنّك قد اعتبطت»[١].

◁ **بيان**

«اعتبطت» إن كانت بالمهملتين فمعناه: أدركك الموت، وإن كانت بإعجام الغين فمعناه: حسن حالك وذهبت الشدّة.

❖ ❖ ❖

باب

الصّبر

[٩٠٣] ١. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان»[٢].

[٩٠٤] ٢. **الكافي: عنه** عليه السلام: «إنّ الحرّ حرّ علىٰ جميع أحواله، إن نابته نائبة صبر لها، وإن تداكّت عليه المصائب لم تكسره، وإن أُسر وقهر واستبدل باليسر عسراً، كما كان يوسف الصّدّيق الأمين لم يضرر حريته أن استعبد وقهر وأُسر، ولم يضرره ظلمة الجبّ ووحشته وما ناله أن منّ الله عليه فجعل الجبّار العاتي له عبداً بعد إذ كان مالكاً، فأرسله ورحم به أُمّة، وكذلك الصبر يعقب خيراً، فاصبروا ووطّنوا أنفسكم علىٰ الصبر تؤجروا»[٣].

[٩٠٥] ٣. **الكافي: عن الباقر** عليه السلام: «الجنّة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صبر علىٰ المكاره في الدنيا دخل الجنّة، وجهنّم محفوفة باللذّات والشهوات، فمن أعطىٰ نفسه لذّتها وشهوتها دخل النار»[٤].

[٩٠٦] ٤. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون

---

١. الكافي ٢: ٤٥٩ / ٢١.
٢. الكافي ٢: ٨٩ / ٥.
٣. الكافي ٢: ٨٩ / ٦.
٤. الكافي ٢: ٨٩ / ٦.

باب الجنّة فيضربونه، فيقال لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر، فيقال لهم: علىٰ ما صبرتم؟ فيقولون: كنّا نصبر علىٰ طاعة الله، ونصبر عن معاصي الله، فيقول الله تعالىٰ: صدقوا، أدخلوهم الجنّة، وهو قول الله تعالىٰ: **﴿إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾**[1].

[٩٠٧] ٥. **الكافي: عن النبيّ** ﷺ: «الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر علىٰ الطاعة، وصبر علىٰ المعصية، فمن صبر علىٰ المعصية حتّىٰ يردّها بحسن عزائها، كتب الله له ثلاثمائة درجة، ما بين الدرجة إلىٰ الدرجة كما بين السماء والأرض، ومن صبر علىٰ الطاعة كتب الله له ستمائة درجة، ما بين الدرجة إلىٰ الدرجة كما بين تخوم الأرض إلىٰ العرش، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة، ما بين الدرجة إلىٰ الدرجة كما بين تخوم الأرض إلىٰ منتهىٰ العرش»[2].

[٩٠٨] ٦. **الكافي: عن الصادق** ﷺ: «من ابتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه، كان له مثل أجر ألف شهيد»[3].

[٩٠٩] ٧. **الكافي، التهذيب: عنه** ﷺ: «إنّ الله تعالىٰ أنعم علىٰ قوم فلم يشكروا، فصارت عليهم وبالاً، وابتلىٰ قوماً بالمصائب فصبروا، فصارت عليهم نعمة»[4].

[٩١٠] ٨. **الكافي: عنه** ﷺ: «قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالىٰ: إنّي جعلت الدنيا بين عبادي قرضاً، فمن أقرضني منها قرضاً، أعطيته بكلّ واحدة عشراً إلىٰ سبعمائة ضعف وما شئت من ذلك، ومن لم يقرضني منها قرضاً فأخذت منه شيئاً قسراً فصبر، أعطيته ثلاث خصال لو أعطيت واحدة منهنّ ملائكتي لرضوا بها منّي ـ ثمّ تلا أبو عبدالله ﷺ قول الله تعالىٰ ـ **﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم﴾** فهذه واحدة من ثلاث خصال، **﴿ورحمة﴾** اثنتان **﴿وأولئك هم**

---

١. الكافي ٢: ٧٥ / ٤؛ والآية من سورة الزمر (٣٩): ١٠.
٢. الكافي ٢: ٩١ / ١٥.
٣. الكافي ٢: ٩٢ / ١٧.
٤. الكافي ٢: ٩٢ / ١٨؛ والتهذيب ٦: ٣٧٧ / ١١٠١.

المهتدون»[1] ثلاث». **ثمّ قال**ﷺ: «هذا لمن أخذ الله منهم شيئاً قسراً»[2].

[٩١١] ٩. **الكافي: عن النبيّ** ﷺ: «سيأتي علىٰ الناس زمان لا ينال الملك فيه إلّا بالقتل والتجبّر، ولا الغنىٰ إلّا بالغصب والبخل، ولا المحبّة إلّا باستخراج الدين واتّباع الهوىٰ، فمن أدرك ذلك الزمان فصبر علىٰ الفقر وهو يقدر علىٰ الغنىٰ، وصبر علىٰ البغضة وهو يقدر علىٰ المحبّة، وصبر علىٰ الذلّ وهو يقدر علىٰ العزّ، أتاه الله ثواب خمسين صدّيقاً ممّن صدّق بي»[3].

[٩١٢] ١٠. **الكافي: عن الباقر** ﷺ: «مروّة الصبر في حال الفاقة والحاجة والتعفّف والغنىٰ أكثر من مروّة الإعطاء»[4].

[٩١٣] ١١. **الكافي: عنهما** ﷺ: «من لا يعدّ الصبر لنوائب الدهر يعجز»[5].

[٩١٤] ١٢. **الفقيه: عن الباقر** ﷺ: «لمّا حضرت أبي الوفاة ضمّني إلىٰ صدره، وقال: يابنيّ، اصبر علىٰ الحقّ وإن كان مرّاً، توفّ أجرك بغير حساب»[6].

[٩١٥] ١٣. **الكافي: عن الصادق** ﷺ: «إنّا صُبّر، وشيعتنا أصبر منّا». **قيل: جعلت فداك كيف صار شيعتكم أصبر منكم؟ قال:** «لأنّا نصبر علىٰ ما نعلم، وشيعتنا يصبرون علىٰ ما لا يعلمون»[7].

❖ ❖ ❖

باب
الشكر

[٩١٦] ١. **الكافي: عن النبيّ** ﷺ: «الطاعم الشاكر له من الأجر كأجر الصائم المحتسب،

---

١. البقرة (٢): ١٧٥.
٢. الكافي ٢: ٩٢ / ٢١.
٣. الكافي ٢: ٩١ / ١٢.
٤. الكافي ٢: ٩٣ / ٢٢.
٥. الكافي ٢: ٩٣ / ٢٤.
٦. الفقيه ٤: ٤١٠ / ٥٨٩١.
٧. الكافي ٢: ٩٣ / ٢٥.

والمعافىٰ الشاكر له من الأجر كأجر المبتلىٰ الصابر، والمعطىٰ الشاكر له من الأجر كأجر المحروم القانع»[١].

◁ **بيان**

الشكر باللسان أن يحمد الله، وبالقلب أن يرىٰ النعمة من الله، وبالجوارح أن يصرفها في طاعة الله، ولكلّ منها أجر ومزيد، والمحتسب: الذي يبتغي أجره من الله.

[٩١٧] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من أعطي الشكر أعطي الزيادة، يقول الله عزّوجلّ: ﴿**لئن شكرتم لأزيدنّكم**﴾»[٢].

وفي رواية قال: «ما أنعم الله علىٰ عبد من نعمة فعرفها بقلبه وحمد الله ظاهراً بلسانه فتمّ كلامه حتىٰ يؤمر له بالمزيد»[٣].

[٩١٨] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «مكتوب في التوراة: أُشكر من أنعم عليك، وأنعم علىٰ من شكرك، فإنّه لا زوال للنعماء إذا شكرت، ولا بقاء لها إذا كفرت، الشكر زيادة في النعم، وأمان من الغير»[٤].

◁ **بيان**

«من الغير» أي من تغيّر الحال وانتقالها من الصلاح إلىٰ الفساد.

[٩١٩] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «ثلاث لا يضرّ معهنّ شيء: الدعاء عند الكرب، والاستغفار عند الذنب، والشكر عند النعمة»[٥].

[٩٢٠] ٥. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله عند عائشة ليلتها، فقالت: يارسول الله، لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ فقال: ياعائشة ألا أكون عبداً شكوراً؟»

---

١. الكافي ٢: ٩٤/ ١.
٢. الكافي ٢: ٩٥/ ٨؛ والآية من سورة إبراهيم (١٤): ٧.
٣. الكافي ٢: ٩٥/ ٩.
٤. الكافي ٢: ٩٤/ ٣.
٥. الكافي ٢: ٩٥/ ٧.

قال: وكان رسول الله ﷺ يقوم علىٰ أطراف أصابع رجليه، فأنزل الله سبحانه عليه: ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقىٰ﴾»[١].

[٩٢١] ٦. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه، فقد أدّىٰ شكرها»[٢].

[٩٢٢] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «ما أنعم الله علىٰ عبد بنعمة صغرت أو كبرت فقال: الحمد لله، إلّا أدّىٰ شكرها»[٣].

وفي رواية: «وكان الحمد أفضل من تلك النعمة»[٤].

◁ بيان

يعني أنّه نعمة أُخرىٰ فوق تلك النعمة تستدعي شكراً آخر.

[٩٢٣] ٨. الكافي: عنه عليه السلام: «كان رسول الله ﷺ إذا ورد عليه أمر يسرّه قال: الحمد لله علىٰ هذه النعمة، وإذا ورد عليه أمر يغتمّ به قال: الحمد لله علىٰ كلّ حال»[٥].

[٩٢٤] ٩. الكافي: عنه عليه السلام: «شكر النعمة اجتناب المحارم، وتمام الشكر قول الرجل: الحمد لله ربّ العالمين»[٦].

[٩٢٥] ١٠. الكافي: عنه عليه السلام: «أوحىٰ الله عزّوجلّ إلىٰ موسىٰ عليه السلام: ياموسىٰ، اشكرني حقّ شكري، فقال: ياربّ وكيف أشكرك حقّ شكرك وليس من شكر أشكرك به إلّا وأنت أنعمت به عليّ؟ قال: ياموسىٰ، ألآن شكرتني حين علمت أنّ ذلك منّي»[٧].

[٩٢٦] ١١. الكافي: عن السجّاد عليه السلام كان إذا قرأ هذه الآية: ﴿وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾[٨]

---

١. الكافي ٢: ٩٥ / ٦؛ والآية من سورة طه (٢٠): ١ ـ ٢.
٢. الكافي ٢: ٩٥ / ٧.
٣. الكافي ٢: ٩٦ / ١٤.
٤. الكافي ٢: ٩٦ / ١٣.
٥. الكافي ٢: ٩٧ / ١٩.
٦. الكافي ٢: ٩٥ / ١٠.
٧. الكافي ٢: ٩٨ / ٢٧.
٨. إبراهيم (١٤): ٣٤.

يقول: «سبحان من لم يجعل في أحد من معرفة نعمة إلّا المعرفة بالتقصير عن معرفتها، كما لم يجعل في أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم أنّه يدركه، فشكر جلّ و عزّ معرفة العارفين بالتقصير عن معرفة شكره، فجعل معرفتهم بالتقصير شكراً، كما علم، علم العالمين أنّهم لايدركونه، فجعله إيماناً، علماً منه أنّه قد وسع العباد، فلا يتجاوز ذلك، فإنّ شيئاً من خلقه لا يبلغ مدىٰ عبادته، وكيف يبلغ مدىٰ عبادته من لا مدىٰ له ولا كيف، تعالىٰ الله عن ذلك علوّاً كبيراً»[1].

[٩٢٧] ١٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إذا أصبحت وأمسيت فقل عشر مرّات: اللهم ما أصبحت بي من نعمة أو عافية في دين أو دنياً فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد ولك الشكر بها عليّ ياربّ حتىٰ ترضىٰ وبعد الرضا، فإنّك إذا قلت ذلك كنت قد أدّيت شكر ما أنعم الله به عليك في ذلك اليوم وفي تلك الليلة»[2].

وفي رواية: «كان نوح يقول ذلك إذا أصبح، فسمّي بذلك عبداً شكوراً»[3].

[٩٢٨] ١٣. الكافي: عنه عليه السلام سئل: هل للشكر حدّ إذا فعله العبد كان شاكراً؟ قال: «نعم». قيل: ما هو؟ قال: «يحمد الله علىٰ كلّ نعمة عليه في أهل ومال، وإن كان فيما أنعم عليه في ماله حقّ أدّاه، ومنه قوله عزّوجلّ: **﴿سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين﴾**[4] ومنه قوله تعالىٰ: **﴿ربّ أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين﴾**[5] وقوله: **﴿ربّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾**»[6].

◁ **بيان**

يعني ومن الحقّ الذي يجب أداؤه فيما أنعم الله عليه أن يقول عند ركوب الفلك أو الدابة اللتين أنعم الله بهما عليه ما قاله سبحانه تعليماً لعباده وإرشاداً لهم حيث قال جلّ وعزّ: **﴿لتستووا علىٰ ظهوره ثم تذكروا نعمة ربّكم إذا استويتم عليه وتقولوا**

---

١. الكافي ٨: ٣٩٤ / ٥٩٢.
٢. الكافي ٢: ٩٩ / ٢٨.
٣. الكافي ٢: ٩٩ / ٢٩.
٤. الزخرف (٤٣): ١٣.
٥. الزخرف (٤٣): ١٣.
٦. الزخرف (٤٣): ١٣.

سبحان الذي»[1] الآية، وأن يقول عند نزوله من إحداهما: **«ربّ أنزلني»** الآية، وأن يقول عند دخوله الدار أو البيت: **«ربّ أدخلني»** الآية.

[٩٢٩] ١٤. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «تقول ثلاث مرّات إذا نظرت إلىٰ المبتلىٰ من غير أن تسمعه: الحمد لله الذي عافاني ممّا ابتلاك به، ولو شاء فعل» قال: «من قال ذلك لم يصبه ذلك البلاء أبداً»[2].

[٩٣٠] ١٥. الكافي: عنه عليه السلام: «إذا ذكر أحدكم نعمة الله عزّوجلّ، فليضع خدّه علىٰ التّراب شكراً لله، فإن كان راكباً فلينزل فليضع خدّه علىٰ التراب شكراً لله، وإن لم يكن يقدر علىٰ النزول للشهرة فليضع خدّه علىٰ قربوسه، فإن لم يقدر فليضع خدّه علىٰ كفّه، ثم ليحمد الله علىٰ ما أنعم عليه»[3].

[٩٣١] ١٦. الكافي: عن السجّاد عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ يحبّ كلّ قلب حزين، ويحبّ كلّ عبد شكور، يقول الله تبارك وتعالىٰ لعبد من عبيده يوم القيامة: أشكرت فلاناً؟ فيقول: بل شكرتك يارب، فيقول: لم تشكرني إذ لم تشكره، ثم قال: أشكركم لله أشكركم للناس»[4].

[٩٣٢] ١٧. الفقيه: قال الصادق عليه السلام: «العافية نعمة خفيّة، إذا وجدت نسيت، وإذا فقدت ذكرت»[5].

◁ **بيان**

يعني يفوت الناس شكرها.

❖ ❖ ❖

---

١. الزخرف (٤٣): ١٣.
٢. الكافي ٢: ٩٧ / ٢٠.
٣. الكافي ٢: ٩٨ / ٢٥.
٤. الكافي ٢: ٩٩ / ٣٠.
٥. الفقيه ٤: ٤٠٦ / ٥٨٧٨.

باب
التفرّغ للعبادة

[٩٣٣] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «في التوراة مكتوب: يابن آدم، تفرّغ لعبادتي أملأ قلبك غنىً، ولا أكلك إلىٰ طلبك، وعليّ أن أسدّ فاقتك، وأملأ قلبك خوفاً منّي، وإن لا تفرّغ لعبادتي، أملأ قلبك شغلاً بالدنيا، ثم لا أسدّ فاقتك، وأكلك إلىٰ طلبك»[١].

[٩٣٤] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «قال الله تبارك وتعالىٰ: ياعبادي الصّدّيقين تنعمّوا بعبادتي في الدنيا، فإنّكم تتنعّمون بها في الآخرة»[٢].

[٩٣٥] ٣. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «أفضل الناس من عشق العبادة، فعانقها وأحبّها بقلبه، وباشرها بجسده، وتفرّغ لها، فهو لا يبالي علىٰ ما أصبح من الدنيا علىٰ عسر أم علىٰ يسر»[٣].

[٩٣٦] ٤. الكافي: عنه صلى الله عليه وآله: «كفىٰ بالموت موعظة، وكفىٰ باليقين غنىً، وكفىٰ بالعبادة شغلاً»[٤].

[٩٣٧] ٥. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «صلّىٰ أمير المؤمنين عليه السلام بالنّاس الصبح بالعراق، فلمّا انصرف وعظهم فبكىٰ وأبكاهم من خوف الله، ثم قال: أما والله لقد عهدت أقواماً علىٰ عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّهم ليصبحون ويمسون شعثاً غبراً خمصاً، بين أعينهم كركب المعز، يبيتون لربّهم سجّداً وقياماً، يراوحون بين أقدامهم وجباههم، يناجون ربّهم ويسألونه فكاك رقابهم من النّار، والله لقد رأيتهم مع هذا وهم خائفون مشفقون»[٥].

---

١. الكافي ٢: ٨٣ / ١.
٢. الكافي ٢: ٨٣ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٨٣ / ٣.
٤. الكافي ٢: ٨٥ / ١.
٥. الكافي ٢: ٢٣٥ / ٢١.

وفي رواية أخرىٰ: «كأنّ زفير النّار في آذانهم، إذا ذكر الله عندهم مادوا[١] كما يميد الشجر، كأنّما القوم باتوا غافلين» قال: ثم قام فما رؤي ضاحكاً حتىٰ قبض عليه السلام[٢].

[٩٣٨] ٦. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «من عرف الله وعظّمه، منع فاه من الكلام، وبطنه من الطعام، وعنّىٰ نفسه بالصيام والقيام».

قالوا: بأبائنا وأُمّهاتنا يارسول الله، هؤلاء أولياء الله؟ قال: «إنّ أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم فكراً، وتكلّموا فكان كلامهم ذكراً، ونظروا فكان نظرهم عبرة، ونطقوا فكان نطقهم حكمة، ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة، لولا الآجال التي قد كتب عليهم لم تقرّ أرواحهم في أجسادهم خوفاً من العذاب وشوقاً إلىٰ الثواب»[٣].

[٩٣٩] ٧. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ شيعة عليّ عليه السلام كانوا خمص البطون، ذبل الشفاه، أهل رأفة وعلم وحلم، يعرفون بالرهبانية، فأعينوا علىٰ ما أنتم عليه بالورع والاجتهاد»[٤].

وفي رواية أخرىٰ: «تعرف الرهبانية في[٥] وجوههم»[٦].

[٩٤٠] ٨. الكافي: عنه عليه السلام: «إياك والسفلة، فإنّما شيعة عليّ عليه السلام من عفّ بطنه وفرجه، واشتدّ جهاده، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، وخاف عقابه، فإذا رأيت أُولئك فأولئك شيعة جعفر»[٧].

[٩٤١] ٩. الكافي: عنه عليه السلام: «شيعتنا السائحون الذابلون الناحلون، الذين إذا جنّهم الليل استقبلوه بحزن»[٨].

---

١. مادوا: أي اضطربوا.
٢. الكافي ٢: ٢٣٦ / ٢٢.
٣. الكافي ٢: ٢٣٧ / ٢٥.
٤. الكافي ٢: ٢٣٣ / ١٠.
٥. في نسخة: على.
٦. الكافي ٢: ٢٣٥ / ٢٠.
٧. الكافي ٢: ٢٣٣ / ٩.
٨. الكافي ٢: ٢٣٣ / ٧.

◁ **بيان**

السائح: الملازم للمساجد.

❖ ❖ ❖

باب

المداومة على العبادة

[٩٤٢] ١. **الكافي: عن الباقر** عليه السلام: «أحبّ الأعمال إلى الله تعالى ما داوم عليه العبد وإن قلّ»[١].

[٩٤٣] ٢. **الكافي: عن السجّاد** عليه السلام: «إنّي لأحبّ أن أقدم على ربّي وعملي مستوي»[٢].

◁ **بيان**

يعني لا يزيد ولا ينقص على حسب الأزمنة بإفراط وتفريط.

[٩٤٤] ٣. **الكافي: عن النبيّ** صلى الله عليه وآله: «ما أقبح الفقر بعد الغنى، وأقبح الخطيئة بعد المسكنة، وأقبح من ذلك العابد لله ثم يدع عبادته»[٣].

[٩٤٥] ٤. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «إذا كان الرجل على عمل فليدُم عليه سنة، ثم يتحوّل عنه إن شاء إلى غيره، وذلك أنّ ليلة القدر يكون فيها في عامه ذلك ما شاء الله أن يكون»[٤].

❖ ❖ ❖

باب

الاقتصاد في العبادة

[٩٤٦] ١. **الكافي: عن النبيّ** صلى الله عليه وآله: «إنّ هذا الدّين متين، فأوغلوا فيه برفق، ولا تكرهوا عبادة الله إلى عباد الله، فتكونوا كالراكب المنبتّ الذي لا سفراً قطع ولا ظهراً أبقى»[٥].

---

١. الكافي ٢: ٨٢ / ٢.
٢. الكافي ٢: ٨٢ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٨٤ / ٦.
٤. الكافي ٢: ٨٢ / ١.
٥. الكافي ٢: ٨٦ / ١.

وفي رواية: «ولا تكرهوا إلىٰ أنفسكم العبادة»[١].

وفي رواية أخرىٰ: «فاعمل عمل من يرجو أن يموت هرماً، واحذر حذر من يتخوّف أن يموت غداً»[٢].

◁ **بيان**

يعني: سيروا في الدّين وابلغوا الغاية القصوىٰ منه بالرّفق، لا علىٰ التهافت والخرق، ولا تتكلّفوا أنفسكم ما لا تطيق فتعجز وتترك الدين والعمل «والمنبت» المنقطع عن السير لإفراطه فيه، من البتّ بمعنىٰ القطع «والظهر» المركب، يعني كالذي بقي في طريقه عاجزاً عن مقصده لم يقض وطره وقد أعطب مركبه.

[٩٤٧] ٢. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «إنّ الله عزّوجلّ إذا أحبّ عبداً فعمل قليلاً جزاه بالقليل الكثير، ولم يتعاظمه أن يجزي بالقليل الكثير له»[٣].

[٩٤٨] ٣. **الكافي: عنه** عليه السلام: «اجتهدت بالعبادة وأنا شابّ، فقال لي أبي: يابني دون ما أراك تصنع، فإنّ الله عزّوجلّ إذا أحبّ عبداً رضي عنه باليسير»[٤].

❖ ❖ ❖

باب

نيّة العبادة

[٩٤٩] ١. **الكافي: عن السجّاد** عليه السلام: «لا عمل إلّا بنيّة»[٥].

[٩٥٠] ٢. **التهذيب: عن النبيّ** صلى الله عليه وآله: «إنّما الأعمال بالنيّات، وإنّما لكلّ امرئ ما نوىٰ»[٦].

---

١. الكافي ٢: ٨٦ / ٢.
٢. الكافي ٢: ٨٧ / ٦.
٣. الكافي ٢: ٨٦ / ٣.
٤. الكافي ٢: ٨٧ / ٥.
٥. الكافي ٢: ٨٤ / ١.
٦. التهذيب ٤: ١٨٦ / ٥١٩.

◁ **بيان**

تمام الحديث: «**فمن كانت هجرته إلىٰ الله ورسوله فهجرته إلىٰ الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلىٰ دنيا يصيبها أو امرأة يتزوّجها فهجرته إلىٰ ما هاجر إليه**». وإنّما قال ﷺ ذلك حين قال له بعض الصحابة: إنّ بعض المهاجرين إلىٰ الجهاد ليست نيّته من تلك الهجرة إلّا أخذ الغنائم من الأموال والسبايا، أو نيل الصّيت عند الاستيلاء؟ فبيّن ﷺ أنّ كلّ أحد ينال في عمله ما يبغيه ويصل إلىٰ ما ينويه كائناً ما كان دنيوياً أو أُخروياً، وهذا الخبر ممّا يعدّه أصحاب الحديث من المتواترات، وهو أوّل ما يعلّمونه أولادهم، ويقولون إنّه نصف العلم.

والمستفاد من هذه الأخبار أنّه لا يحسب من عبادة الله ولا يعدّ من طاعته بحيث يصحّ أن يترتّب عليه الأجر في الآخرة، إلّا ما يراد به التقرّب إلىٰ الله تعالىٰ والدار الآخرة، أعني يقصد به وجه الله أو التوصّل إلىٰ ثوابه أو الخلاص من عقابه.

وبالجملة امتثال أمر الله تعالىٰ فيما ندب عباده إليه بقوله عزّوجلّ: ﴿**ادعوه خوفاً وطمعاً**﴾[1] وقوله: ﴿**ويدعوننا رغباً ورهباً**﴾[2] وبكلّ ما وعد به الجنّة وأوعد، عليه النار في الآيات التي لا تحصىٰ، فرغّب ورهّب ووعد وأوعد وإنّما يثيبهم علىٰ حسب أقدارهم ومنازلهم ونيّاتهم، فمن عرف الله بجماله وجلاله ولطف فعاله فأحبّه واشتاق إليه وأخلص عبادته له لكونه أهلاً للعبادة ولمحبّته له، أحبّه الله وأخلصه واجتباه وقرّبه إلىٰ نفسه وأدناه قرباً معنويّاً ودنوّاً روحانيّاً، كما قال في حقّ بعض من هذه صفته: ﴿**وإنّ له عندنا لزلفىٰ وحسن مآب**﴾[3] قال أمير المؤمنين وسيّد الموحّدين ﷺ: «**ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنّتك، لكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك**»[4]. ومن لم يعرف من الله سوىٰ كونه إلهاً صانعاً للعالم قادراً قاهراً عالماً، وإنّ له جنّة ينعّم بها المطيعين، ونار يعذّب بها العاصين، فعبده ليفوز بجنّته، أو يكون له النجاة من ناره، أدخله الله بعبادته وطاعته الجنّة، وأنجاه من النار لا محالة، كما أخبر عنه في غير موضع من كتابه، فإنّما لكلّ امرئ ما نوىٰ، فلا تصغ إلىٰ قول من ذهب إلىٰ بطلان العبادة إذا قصد بفعلها تحصيل الثواب أو الخلاص من العقاب، زعماً منه أنّ هذا القصد منافٍ للإخلاص الذي هو إرادة وجه

---

١. الأعراف (٧): ٥٦.
٢. الأنبياء (٢١): ٩٠.
٣. سورة ص (٣٨): ٤٠.
٤. عوالي اللئالي ١: ٤٠٤ / المسلك الثالث.

الله سبحانه وحده، وإنّ من قصد ذلك فإنّما قصد جلب النفع إلىٰ نفسه ودفع الضرر عنها لا وجه الله سبحانه، فإنّ هذا قول من لا معرفة له بحقائق التّكاليف ومراتب الناس فيها، بل ولا معرفة له بمعنىٰ النيّة وحقيقتها، وإنّها عبارة عن انبعاث النفس وميلها وتوجّهها إلىٰ ما فيه غرضها ومطلبها إمّا عاجلاً وإمّا آجلاً لا مجرّد قول الناوي عند العبادة: افعل كذا قربة إلىٰالله، وتصوّر معنىٰ هذا القول بخاطره وملاحظته بقلبه، وإن لم يكن لنفسه انبعاث إلىٰ التقرّب.

هيهات إنّما هذا تحريك لسان وحديث نفس، وما ذلك إلّا كقول الشّبعان: اشتهي هذا الطعام، قاصداً حصول الاشتهاء، وهذا الانبعاث إذا لم يكن حاصلاً لها لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرّد القول والتصوّر، وأكثر الناس يتعذّر منهم العبادة ابتغاء وجه الله والتقرّب إليه؛ لأنّهم لا يعرفون من الله سبحانه إلّاالمرجوّ والمخوف، فغايتهم أن يتذكّروا النّار ويحذّروا أنفسهم عقابها، ويتذكّروا الجنّة ويرغّبوا أنفسهم ثوابها، وخصوصاً من كان الغالب علىٰ قلبه الميل إلىٰ الدنيا، فإنّه قلّما ينبعث له داعية إلىٰ فعل الخيرات لينال بها ثواب الآخرة،فضلاً عن عبادته علىٰ نيّة إجلال الله عزّوجلّ لاستحقاقه الطاعة والعبودية، فإنّه قلّ من يفهمها فضلاً عمّن يتعاطاها، فلو كلّف بها لكان تكليفاً بما لا يطاق، وليس معنىٰ الإخلاص في العبادة إلّا أن لا تكون مشوبة بشوائب الدنيا والحظوظ العاجلة للنفس، كمدح الناس والخلاص من النفقة بعتق العبد، ونحو ذلك كما يأتي بيانه. وظاهر أنّه لا ينافيه إرادة الجنّة والخلاص من النّار ممّا وعد في الآخرة، وإن كان من جنس المألوف في الدّنيا، وهذا واضح بحمد الله، ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون.

[٩٥١] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «العبّاد ثلاثة: قوم عبدوا الله عزّوجلّ خوفاً فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تعالىٰ طلب الثواب فتلك عبادة الأُجراء، وقوم عبدوا الله عزّوجلّ حبّاً له فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة»[1].

◁ **بيان**

هذا الحديث نصّ في صحّة عبادة الطالب للثواب والهارب من العقاب، فإنّ قوله عليه السلام: «وهي أفضل العبادة» يعطي أنّ العبادة علىٰ الوجهين الأوّلين لا تخلو من فضل أيضاً فضلاً عن أن تكون صحيحة.

---

١. الكافي ٢: ٨٤ / ٥.

[٩٥٢] ٤. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «نيّة المؤمن خير من عمله، ونيّة الكافر شرّ من عمله، وكلّ عامل يعمل علىٰ نيّته»[١].

◁ بيان

وذلك لأنّ المؤمن ينوي خيرات كثيرة لا يساعده الزمان علىٰ عملها، فكان الثواب المترتّب علىٰ نيّاته أكثر من الثواب المترتّب علىٰ أعماله، وأيضاً أنّ المؤمن ينوي أن تقع عباداته علىٰ أحسن الوجوه، لأنّ إيمانه يقتضي ذلك، ثم إذا كان يشتغل بها لا يتيسّر له ذلك، ولا يتأتّىٰ كما يريد، فلا يأتي بها كما ينبغي، فالذي ينوي دائماً خير من الذي يعمل في كلّ عبادة.

روىٰ الصدوق﵀ في كتاب (العلل) بإسناده عن الباقر ﵇ أنّه كان يقول: «نيّة المؤمن خير من عمله؛ وذلك لأنّه ينوي من الخير ما لا يدركه، ونيّة الكافر شرّ من عمله؛ وذلك لأنّ الكافر ينوي الشرّ ويأمل من الشرّ ما لا يدركه»[٢].

وبإسناده عن الصادق﵇ أنّه قيل له: إنّي سمعتك تقول: «نيّة المؤمن خير من عمله» فكيف تكون النيّة خيراً من العمل؟ قال: «لأنّ العمل إنما كان رياء المخلوقين، والنيّة خالصة لربّ العالمين، فبعطي عزّوجلّ علىٰ النيّة ما لا يعطي علىٰ العمل» ثم قال: «إنّ العبد لينوي من نهاره أن يصلّي بالليل فتغلبه عينه فينام، فيثبت الله له صلاته، ويكتب نفسه تسبيحاً، ويجعل نومه صدقة»[٣].

[٩٥٣] ٥. الكافي: عن الصادق﵇: «إنّ العبد المؤمن الفقير ليقول: ياربّ ارزقني حتىٰ أفعل كذا وكذا من البرّ ووجوه الخير، فإذا علم الله جلّ وعزّ ذلك منه بصدق نيّة كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله، إنّ الله واسعٌ كريم»[٤].

[٩٥٤] ٦. الكافي: عنه﵇ سئل عن حدّ العبادة التي إذا فعلها فاعلها كان مؤدّياً، فقال: «حسن النيّة بالطاعة»[٥].

---

١. الكافي ٢: ٨٤ / ٢.
٢. علل الشرائع: ٥٢٤ / ٢.
٣. علل الشرائع: ٥٢٤ / ١.
٤. الكافي ٢: ٨٥ / ٣.
٥. الكافي ٢: ٨٥ / ٤.

◁ **بيان**

يعني أن يكون له في طاعته نيّة حسنة، فإن تيسّر له الإتيان بما وافق نيّته، وإلّا فقد أدّىٰ ما عليه من العبادة بحسن نيّته.

[٩٥٥] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «إنما خلد أهل النار في النار لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا أن لو خلّدوا فيها أن يعصوا الله فيها أبداً، وإنّما خلد أهل الجنّة في الجنّة لأن نيّاتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيّات خلّد هؤلاء وهؤلاء» ثم تلا قوله تعالىٰ: ﴿قل كلّ يعمل علىٰ شاكلته﴾[١] قال: «علىٰ نيّته»[٢].

[٩٥٦] ٨. الكافي: عنه عليه السلام: «من سمع شيئاً من الثواب علىٰ شيء فصنعه، كان له أجره، وإن لم يكن علىٰ ما بلغه»[٣].

◁ **بيان**

هذا الخبر لا ينافي ما مرّ في باب (الأخذ بشواهد الكتاب والسنّة) من أنّه لا نيّة إلّا بإصابة السنّة، وذلك لأنّ من يعمل بما سمع أنّه عبادة فإنّما يعمل به طاعة لله وانقياداً لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن كانت نسبته إلىٰ السنّة خطأً؛ وذلك لأنّ هذا الخطأ لم يصدر منه باجتهاده، وإنّما صدر من غيره، وهو إنّما تبع ما سمع، وإنّما العبرة بالنيّات القلبية دون أفعال الجوارح.

[٩٥٧] ٩. الفقيه: عنه عليه السلام: «ما ضعف بدن عمّا قويت عليه النيّة»[٤].

◁ **بيان**

معنىٰ الحديث أنّ من عزم علىٰ عمل من الأعمال وأقبل عليه بتمام همّته وكنه عزيمته من غير توان ولا فتور، قوّىٰ الله بدنه علىٰ الإتيان به علىٰ سهولة ويسر، وأعانه عليه، وإن كان ممّا شقّ عليه لولا تلك العزيمة.

❖ ❖ ❖

---

١. الاسراء (١٧): ٨٤.
٢. الكافي ٢: ٨٥ / ٥.
٣. الكافي ٢: ٨٧ / ١.
٤. الفقيه ٤: ٤٠٠ / ٥٨٥٩.

باب
الإخلاص

[٩٥٨] ١. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «طوبىٰ لمن أخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترىٰ عيناه، ولم ينس ذكر الله بما لا تسمع أُذناه، ولم يحزن صدره بما أعطي غيره»[١].

[٩٥٩] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿حنيفاً مسلماً﴾[٢] قال: «خالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من عبادة الأوثان»[٣].

[٩٦٠] ٣. الكافي: عنه عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً﴾[٤] قال: «ليس يعني أكثركم عملاً، ولكن أصوبكم عملاً، وإنّما الإصابة خشية الله والنيّة الصادقة». ثم قال: «الإبقاء علىٰ العمل حتىٰ يخلص أشدّ من العمل، والعمل الخالص: الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلّا الله عزّوجلّ، والنيّة أفضل من العمل، ألا وإنّ النيّة هو العمل» ثم تلا قوله عزّوجلّ: ﴿قل كلّ يعمل علىٰ شاكلته﴾[٥] «يعني: علىٰ نيّته»[٦].

[٩٦١] ٤. الكافي: عنه عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿إلّا من أتىٰ الله بقلب سليم﴾[٧] قال: «القلب السليم: الذي يلقىٰ ربّه وليس فيه أحد سواه». قال: «وكلّ قلب فيه شرك أو شكّ فهو ساقط، وإنّما أرادوا بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة»[٨].

◁ **بيان**

يعني أنّ الزهد في الدنيا ليس مقصوراً لذاته، وإنّما أمر الناس به لتكون قلوبهم

---

١. الكافي ٢: ١٦ / ٣.
٢. الروم (٣٠): ٦٧.
٣. الكافي ٢: ١٥ / ١.
٤. الملك (٦٧): ٢.
٥. الاسراء (١٧): ٨٤.
٦. الكافي ٢: ١٦ / ٤.
٧. الشعراء (٢٦): ٨٩.
٨. الكافي ٢: ١٦ / ٥.

فارغة عن محبّة الدنيا، صالحة لحبّ الله تعالىٰ، خالصة له عزّوجلّ، لا شركة فيها لما سوىٰ الله، ولا شكّ ناشيء من شدّة محبّتها لغير الله.

[٩٦٢] ٥. **الكافي: عن الباقر** عليه السلام: «ما أخلص عبد الإيمان بالله أربعين يوماً ـ أو قال: ما يعمل عبد ذكر الله أربعين يوماً ـ إلّا زهّده الله في الدنيا، وبصّره داءها ودواءها، وأثبت الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه»[١].

◆ ◆ ◆

باب

تعجيل فعل الخير

[٩٦٣] ١. **الكافي: عن النبيّ** صلى الله عليه وآله: «إنّ الله يحبّ من الخير ما يعجّل»[٢].

[٩٦٤] ٢. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «كان أبي يقول: إذا هممت بخير فبادر، فإنك لا تدري ما يحدث»[٣].

[٩٦٥] ٣. **الكافي: عنه** عليه السلام: «إذا همّ أحدكم بخير فلا يؤخّره، فإنّ العبد ربّما صلّىٰ الصلاة أو صام الصوم، فيقال له: إعمل ما شئت بعدها فقد غفر لك»[٤].

وفي رواية: «من همّ بسيّئة فلا يعملها، فإنّه ربّما عمل العبد السيئة فيراه الرب سبحانه فيقول: لا وعزّتي وجلالي لا أغفر لك بعدها أبداً»[٥].

◁ **بيان**

يعني أنّ العبادة التي توجب المغفرة التامّة مستورة علىٰ العبد لا يدري أيّها هي، فكلّما همّ بعبادة فعليه إمضاؤها قبل أن تفوته، فلعلّها تكون هي تلك العبادة، وكذا القول في السيئة.

---

١. الكافي ٢: ١٦/ ٦.
٢. الكافي ٢: ١٤٢/ ٤.
٣. الكافي ٢: ١٤٢/ ٣.
٤. الكافي ٢: ١٤٢/ ١.
٥. الكافي ٢: ١٤٢/ ٦.

[٩٦٦] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «إذا همّ أحدكم بخير أو صلة، فإنّ عن يمينه وشماله شيطانين، فليبادر لأن لا يكفّاه عن ذلك»[١].

[٩٦٧] ٥. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّ الله ثقّل الخير على أهل الدنيا كثقله في موازينهم يوم القيامة، وإنّ الله جلّ وعزّ خفّف الشرّ على أهل الدنيا كخفّته في موازينهم يوم القيامة»[٢].

[٩٦٨] ٦. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «افتتحوا نهاركم بخير، وأملوا على حفظتكم في أوّله خيراً وفي آخره خيراً، يغفر لكم ما بين ذلك إن شاء الله»[٣].

❖ ❖ ❖

باب
التفكّر

[٩٦٩] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «أفضل العبادة إدمان التفكّر في الله وفي قدرته»[٤].

[٩٧٠] ٢. الكافي: عن الرضا عليه السلام: «ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم، إنّما العبادة التفكّر في أمر الله تعالى»[٥].

[٩٧١] ٣. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «التفكّر يدعو إلى البرّ والعمل به»[٦].

[٩٧٢] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «نبّه بالتفكّر قلبك، وجاف عن الليل جنبك، واتّق الله ربّك»[٧].

[٩٧٣] ٥. الكافي: عن الصادق عليه السلام سئل عمّا يروي الناس «أنّ تفكّر ساعة خير من قيام ليلة»

---

١. الكافي ٢: ١٤٣ / ٨.
٢. الكافي ٢: ١٤٣ / ١٠.
٣. الكافي ٢: ١٤٢ / ٢.
٤. الكافي ٢: ٥٥ / ٣.
٥. الكافي ٢: ٥٥ / ٤.
٦. الكافي ٢: ٥٥ / ٥.
٧. الكافي ٢: ٥١ / ١.

قيل: كيف يتفكّر؟ قال: «يمرّ بالخربة أو بالدار، فيقول: أين ساكنوك، أين بانوك، ما لك لا تتكلّمين؟»[1].

◁ **بيان**

التفكّر لكلّ أحد إنّما يكون بحسب عقله وفهمه ورتبته، فتفكّر أولي الألباب إنّمايكون في أفعال الله سبحانه وعجائب صنعه وبدائع أمره في خلقه، وما ينبّه على جلاله وكبريائه وتقدّسه وتعاليه، وما يدلّ على كمال علمه وحكمته ونفاذمشيئته وقدرته وإحاطته بالأشياء ومعيّته لها، ونحو ذلك، قال الله تعالى: **﴿إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكّرون في خلق السموات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقِنا عذاب النار﴾**[2] وقال سبحانه: «ومن آياته» في مواضع كثيرة فتلك الآيات هي مجاري التفكّر في الله وفي قدرته وفي أمره.

وتفكّر المتوسّطين، إنّما يكون في المعاملة بينهم وبين ربّهم في حسناتهم وسيّئاتهم، وفيما يفعل بهم من اللطف والإحسان والحلم والعفو وغير ذلك، فإنّه إذا تفكّر العبد في حسناته، هل هي تامّة أو ناقصة، موافقة للسّنة أو مخالفة لها، خالصة عن الشرك أو الشّك أو مشوبة بهما؟ يدعوه لا محالة هذا التفكّر إلى إصلاحها وتدارك ما فيها من الخلل، وكذا إذا تفكّر في سيّئاته وما يترتّب عليها من العقوبات والبعد عن الله سبحانه، يدعوه ذلك إلى الانتهاء عنها وتدارك ما أتى بها بالتوبة والندم، وإذا تفكّر في صفات الله وأفعاله من لطفه بعباده وإحسانه إليهم بسوابغ النّعماء وبسط الآلاء والتكليف دون الطاقة والوعد لعمل قليل بثواب جزيل وتسخيره له ما في السموات والأرض وما بينهما إلى غير ذلك، يدعوه ذلك لا محالة إلى البرّ والعمل به والرغبة في الطاعات والانتهاء عن المعاصي، وهذا هو المشار إليه في الحديث الثالث، وتفكّر العامّة هو المفسّر به الحديث النبويّ في الخبر الأخير.

❖ ❖ ❖

---

١. الكافي ٢: ٥١ / ٢.

٢. آل عمران (٣): ١٩٠ ـ ١٩١.

باب
الزهد في الدنيا وذمّها

[٩٧٤] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، وبصّره عيوب الدنيا داءها ودواءها، وأخرجه من الدنيا سالماً إلىٰ دار السلام»[١].

[٩٧٥] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «جعل الخير كلّه في بيت، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا».

ثم قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يجد الرجل حلاوة الإيمان في قلبه حتىٰ لا يبالي من أكل الدنيا».

ثم قال أبو عبدالله عليه السلام: «حرام علىٰ قلوبكم أن تعرف حلاوة الإيمان حتىٰ تزهد في الدنيا»[٢].

[٩٧٦] ٣. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «قال الله تعالىٰ: وعزّتي وجلالي وعظمتي وبهائي وعلوّ ارتفاعي لا يؤثر عبد مؤمن هواي علىٰ هواه في شيء من أمر الدنيا إلّا جعلت غناه في نفسه وهمّه في آخرته، وضمنت السموات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كلّ تاجر»[٣].

[٩٧٧] ٤. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ من أعون الأخلاق علىٰ الدّين الزهد في الدنيا»[٤].

[٩٧٨] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ علامة الراغب في ثواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الحياة الدنيا، أما إنّ زهد الزاهد في هذه الدنيا لا ينقصه ممّا قسم الله له فيها وإن زهد. وإن حرص الحريص علىٰ عاجل زهرة الحياة الدنيا لا يزيده فيها وإن حرص. فالمغبون من حرم حظّه من الآخرة»[٥].

---

١. الكافي ٢: ١٢٨ / ١.
٢. الكافي ٢: ١٢٨ / ٢.
٣. الكافي ٢: ١٣٧ / ٢.
٤. الكافي ٢: ١٢٨ / ٣.
٥. الكافي ٢: ١٢٩ / ٦.

◁ بيان

«زهرة الدين» بهجتها ونضارتها وحسنها «وإن زهد» أي وإن سعىٰ في صرفها عن نفسه «وإن حرص» أي في تحصيلها، فالمراد بالزهد والحرص الأوّلين القلبيّان، وبالآخرين الجسمانيّان.

[٩٧٩] ٦. الكافي: عنه ﷺ قيل له: أوصني بوجه من وجوه الخير أنجو به فقال: «أيها السائل، افهم ثمّ استفهم ثم استيقن ثم استعمل، واعلم أنّ الناس ثلاث: زاهد وصابر وراغب، فأمّا الزاهد فقد خرجت الأحزان والأفراح من قلبه، فلا يفرح بشيء من الدنيا، ولا يأسىٰ علىٰ شيء منها فاته فهو مستريح، وأما الصابر فإنّه يتمنّاها بقلبه، فإذا نال منها ألجم نفسه عنها لسوء عاقبتها وشناعتها، ولو اطلعت علىٰ قلبه عجبت من عفّته وتواضعه وحزمه، وأمّا الراغب فلا يبالي من أين جاءته الدنيا من حلّها أو حرامها، ولا يبالي ما دنّس فيها عرضه وأهلك نفسه وأذهب مروءته، فهم في غمرتهم يعمهون ويضطربون»[1].

◁ بيان

«الشّناءة» علىٰ وزن الشناعة: البغض «والغمرة» الشدّة والزحمة من الناس.

[٩٨٠] ٧. الكافي: عنه ﷺ قيل له: عظنا وأوجز، فقال: «الدنيا حلالها حساب، وحرامها عقاب، وأنّىٰ لكم بالروح ولمّا تأسّوا بسنّة نبيّكم تطلبون ما يطغيكم، ولا ترضون بما يكفيكم»[2].

◁ بيان

يعني أنّ الراحة لا تكون في الدنيا إلّا بترك فضولها، كما هو سنّة نبيكم، وأنتم لا تتأسّون به، بل تتعبون أنفسكم في طلب ما يطغيكم، ومع ذلك تأملون الراحة، فمن أين لكم بذلكم؟

[٩٨١] ٨. الكافي: عن الصادق ﷺ: «ما كان شيء أحبّ إلىٰ رسول الله ﷺ من أن يظلّ خائفاً

---

١. الكافي ٢: ١٣/ ٤٥٥.
٢. الكافي ٢: ١٣/ ٤٥٩.

جائعاً في الله تعالىٰ»[1].

[٩٨٢] ٩. **الكافي: عنه عليه السلام**: «خرج النبيّ صلى الله عليه وآله وهو محزون فأتاه ملك ومعه مفاتيح خزائن الأرض، فقال: يامحمّد، هذه مفاتيح خزائن الأرض، يقول لك ربّك: افتح وخذ منها ما شئت من غير أن تنقص شيئاً عندي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له، فقال الملك: والذي بعثك بالحقّ نبيّاً لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله في السماء الرابعة حين أُعطيت المفاتيح»[2].

◁ **بيان**

لعلّ المراد: إنّ الدنيا دار من لا دار له غيرها، يعني من ليس له في الآخرة نصيب،فإنّ من كان داره الآخرة لا يطمئنّ إلىٰ الدنيا، ولا يتّخذها داراً، ولا يقرّ فيهاقراراً، أو أنّ المراد أنّ من اتّخذ الدنيا داراً فلا دار له؛ لأنها لا تصلح للاستقرار وليست بدار.

[٩٨٣] ١٠. **الكافي: عن السجّاد عليه السلام**: «إنّ الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإنّ الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكلّ واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، ألا وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، ألا إنّ الزاهدين في الدنيا اتّخذوا الأرض بساطاً والتراب فراشاً والماء طيباً، وقرضوا من الدنيا تقريضاً، ألا ومن اشتاق إلىٰ الجنّة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرّمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب، ألا إنّ لله عباداً كمن رأىٰ أهل الجنّة في الجنّة مخلّدين، وكمن رأىٰ أهل النار في النار معذّبين، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، أنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، صبروا أيّاماً قليلة فصاروا بعقبىٰ راحة طويلة، أمّا الليل فصافّوا أقدامهم تجري دموعهم علىٰ خدودهم، وهم يجأرون إلىٰ ربّهم، يسعون في فكاك رقابهم، وأمّا النّهار فحلماء علماء بررة أتقياء، كأنّهم القداح، قد براهم الخوف من العبادة، ينظر إليهم الناظر، فيقول مرضىٰ، وما بالقوم من مرض، أم خولطوا، فقد

---

١. الكافي ٨: ١٦٣ / ١٧١.
٢. الكافي ٢: ١٢٩ / ٨.

خالط القوم أمر عظيم من ذكر النّار وما فيها»[١].

◁ **بيان**

التقريض: التقطيع، أي قطعوا أنفسهم من الدنيا بإقلاع قلوبهم عنها.

[٩٨٤] ١١. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «إذا أراد الله بعبد خيراً زهّده في الدنيا وفقّهه في الدين وبصّره عيوبها، ومن أوتيهنّ فقد أوتي خير الدنيا والآخرة».

وقال: «لم يطلب أحد الحق بباب أفضل من الزهد في الدنيا، وهو ضدّ لما طلب أعداء الحق».

قيل: جعلت فداك، ممّاذا؟ **قال:** «من الرغب فيها».

وقال: «ألا من صبّار كريم، وإنّما هي أيام قلائل، ألا إنّه حرام عليكم أن تجدوا طعم الإيمان حتىٰ تزهدوا في الدنيا».

وقال: «إذا تخلّىٰ المؤمن من الدنيا سما، ووجد حلاوة حبّ الله، وكان عند أهل الدنيا كأنّه قد خولط، وإنّما خالط القوم حلاوة حبّ الله فلم يشتغلوا بغيره».

ثم قال: «إنّ القلب إذا صفا ضاقت به الأرض حتىٰ يسمو»[٢].

◁ **بيان**

«ممّاذا» أي ممّاذا طلب أعداء الحق مطلوبهم؟

[٩٨٥] ١٢. **الكافي: عن السجّاد** عليه السلام **سئل أيّ الأعمال أفضل عند الله تعالىٰ؟ فقال:** «ما من عمل بعد معرفة الله تعالىٰ ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله أفضل من بغض الدنيا» الحديث[٣].

[٩٨٦] ١٣. **الكافي: عن النبيّ** صلى الله عليه وآله: «إنّ في طلب الدنيا إضرار بالآخرة، وفي طلب الآخرة إضرار بالدنيا، فأضرّوا بالدنيا فإنّها أحق بالإضرار»[٤].

[٩٨٧] ١٤. **الكافي: عن الباقر** عليه السلام **قيل له: حدّثني بما أنتفع به، فقال:** «أكثر ذكر الموت، فإنّه لم

---

١. الكافي ٢: ١٣١ / ١٥.
٢. الكافي ٢: ١٣٠ / ١٠.
٣. الكافي ٢: ١٣٠ / ١١.
٤. الكافي ٢: ١٣١ / ١٢.

يكثر إنسان ذكر الموت إلّا زهد في الدنيا»[١].

[٩٨٨] ١٥. الكافي: عنه عليه السلام: «ملك ينادي في كلّ يوم: ابن آدم لد للموت، واجمع للفناء، وابن للخراب»[٢].

[٩٨٩] ١٦. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «كان فيما وعظ به لقمان ابنه: يابنيّ، إنّ الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم، فلم يبق ما جمعوا، ولم يبق من جمعوا له، وإنّما أنت عبد مستأجر، قد أُمرت بعمل ووعدت عليه أجراً، فأوف عملك واستوف أجرك، ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع أخضر، فأكلت حتىٰ سمنت، فكان حتفها عند سمنها، ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة علىٰ نهر جزت عليها وتركتها ولم ترجع إليها آخر الدهر، أخربها ولا تعمّرها، فإنّك لم تؤمر بعمارتها.

واعلم أنّك ستسأل غداً إذا وقفت بين يدي الله تعالىٰ عن أربع: شبابك فيما أبليته، وعمرك فيما أفنيته، ومالك ممّا اكتسبته، وفيما أنفقته، فتأهّب لذلك، وأعدّ له جواباً، ولا تأس علىٰ ما فاتك من الدّنيا، فإنّ قليل الدنيا لا يدوم بقاؤه، وكثيرها لا يؤمن بلاؤه، فخذ حذرك وجدّ في أمرك، واكشف الغطاء عن وجهك، وتعرّض لمعروف ربّك، وجدّد التوبة في قلبك، واكمش في فراغك قبل أن يقصد قصدك ويقضىٰ قضاؤك، ويحال بينك وبين ما تريد»[٣].

◁ **بيان**

«اكمش» اسرع.

[٩٩٠] ١٧. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «ما لي وللدنيا وما أنا والدنيا، إنّما مثلي ومثلها كمثل راكب رفعت له شجرة في يوم صائف، فقال تحتها ثم راح وتركها»[٤].

[٩٩١] ١٨. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ في كتاب عليّ عليه السلام: إنّما مثل الدنيا كمثل الحيّة

---

١. الكافي ٢: ١٣١ / ١٣.
٢. الكافي ٢: ١٣١ / ١٤.
٣. الكافي ٢: ١٣١ / ٢٠.
٤. الكافي ٢: ١٣٤ / ١٩.

ما ألين مسّها وفي جوفها السّم الناقع! يحذرها الرجل العاقل، ويهوي إليها الصبي الجاهل»[١].

[٩٩٢] ١٩. الكافي: عنه عليه السلام: «مثل الدنيا كمثل ماء البحر، كلّما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتىٰ يقتله»[٢].

[٩٩٣] ٢٠. الكافي: عنه عليه السلام: «لو عدلت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقىٰ عدوّه منها شربة»[٣].

[٩٩٤] ٢١. الكافي: عن الرضا عليه السلام: «قال عيسىٰ بن مريم عليه السلام للحواريين: يابني إسرائيل، لا تأسوا علىٰ ما فاتكم من الدنيا، كما لا يأسىٰ أهل الدنيا علىٰ ما فاتهم من دينهم إذا أصابوا دنياهم»[٤].

[٩٩٥] ٢٢. التهذيب: عن النبيّ صلى الله عليه وآله قيل له: علّمني شيئاً إذا أنا فعلته أحبّني الله من السماء، وأحبّني أهل الأرض. قال: «ارغب فيما عند الله يحبّك الله، وازهد فيما عند الناس يحبّك الناس»[٥].

◁ بيان

وذلك لأنّ أحبّ الأعمال عند الله أن يُسأل ويُطلَب ممّا عنده، وأحبّ الناس إلىٰ الناس من لم يسألهم.

[٩٩٦] ٢٣. الكافي: عنه صلى الله عليه وآله: «من أصبح وأمسىٰ وعنده ثلاث فقد تمّت عليه النعمة في الدنيا، من أصبح وأمسىٰ معافىً في بدنه، آمناً في سِربه، عنده قوت يومه، فإن كانت عنده الرابعة فقد تمّت عليه النّعمة في الدنيا والآخرة، وهو الإسلام»[٦].

---

١. الكافي ٢: ٦١ / ١٣٦ / ٢٢.
٢. الكافي ٢: ١٣٦ / ٢٤.
٣. الكافي ٢: ٢٤٦ / ٥.
٤. الكافي ٢: ١٣٧ / ٢٥.
٥. التهذيب ٦: ٣٧٧ / ١١٠٢.
٦. الكافي ٨: ١٤٨ / ١٢٧.

◁ **بيان**

ممّا يناسب هذا الباب ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الدّنيا تطلب لثلاثة أشياء: الغنىٰ، والعزّ، والراحة، فمن زهد فيها عزّ، ومن قنع استغنىٰ، ومن قلّ سعيه استراح»[١].

❖ ❖ ❖

باب
معنىٰ الزهد

[٩٩٧] ١. **الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام**: «الزهد في الدنيا قصر الأمل، وشكر كلّ نعمة، والورع عن كلّ ما حرّم الله عزّوجلّ»[٢].

[٩٩٨] ٢. **الكافي، والتهذيب: عن الصادق عليه السلام**: «ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال ولا تحريم الحلال، بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما عند الله جلّ وعزّ»[٣].

[٩٩٩] ٣. **الكافي: عنه عليه السلام سئل: ما الزهد في الدنيا؟ قال**: «ويحك، حرامها فتنكّبه»[٤].

[١٠٠٠] ٤. **الكافي: عن السجّاد عليه السلام**: «إنّ الزهد في آية من كتاب الله تعالىٰ: ﴿لكيلا تأسوا علىٰ ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾»[٥].

◁ **بيان**

في (نهج البلاغة): «الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن، قال الله سبحانه: ﴿لكيلا تأسوا علىٰ ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ ومن لم يأس علىٰ الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه»[٦].

[١٠٠١] ٥. **الفقيه: سئل الصادق عليه السلام عن الزاهد في الدنيا، قال**: «الذي يترك حلالها مخافة حسابه،

---

١. مجموعة ورام ٢: ٢٣.
٢. الكافي ٥: ٧١ / ٣.
٣. الكافي ٥: ٧٠ / ٢؛ والتهذيب ٦: ٣٢٧ / ٨٩٩.
٤. الكافي ٥: ٧٠ / ١.
٥. الكافي ٢: ١٢٨ / ٤؛ والآية من سورة الحديد (٥٧): ٢٣.
٦. نهج البلاغة، ح ٤٨٨.

ويترك حرامها مخافة عذابه»[١].

❖ ❖ ❖

باب
القناعة والكفاف

[١٠٠٢] ١. **الكافي: عن الباقر عليه السلام**: «من قنع بما رزقه الله فهو من أغنىٰ الناس»[٢].

[١٠٠٣] ٢. **الكافي: عن الصادق عليه السلام**: «مكتوب في التوراة: ابن آدم، كن كيف شئت، كما تدين تدان، من رضي من الله بالقليل من الرزّق قبل الله منه اليسير من العمل، ومن رضي باليسير من الحلال خفّت مؤنته، وزكت مكسبته، وخرج من حدّ الفجور»[٣].

[١٠٠٤] ٣. **الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام**: «ابن آدم، إن كنت تريد من الدنيا ما يكفيك فإنّ أيسر ما فيها يكفيك، وإن كنت إنّما تريد ما لا يكفيك، فإنّ كلّ ما فيها لا يكفيك»[٤].

[١٠٠٥] ٤. **الكافي: عن الباقر عليه السلام**: «إياك أن تطمح بصرك إلىٰ من هو فوقك، فكفىٰ بما قال الله تعالىٰ لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾[٥] وقال: ﴿ولا تمدّنّ عينيك إلىٰ ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا﴾[٦] فإن دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّما كان قوته الشعير، وحلواه التمر، ووقوده السعف إذا وجده»[٧].

[١٠٠٦] ٥. **الكافي: عن الصادق عليه السلام قال لرجل**: «اقنع بما قسم الله لك ولا تنظر إلىٰ ما عند غيرك، ولا تتمنّ ما لست نائله، فإنّه من قنع شبع، ومن لم يقنع لم يشبع، وخذ

---

١. الفقيه ٤: ٤٠٠ / ٥٨٦١.
٢. الكافي ٢: ١٣٩ / ٩.
٣. الكافي ٢: ١٣٨ / ٤.
٤. الكافي ٢: ١٣٨ / ٦.
٥. التوبة (٩): ٥٦.
٦. التوبة (٩): ٥٦.
٧. الكافي ٢: ١٣٧ / ١.

حظّك من آخرتك»[١].

[١٠٠٧] ٦. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «من أراد أن يكون أغنىٰ الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يد غيره»[٢].

[١٠٠٨] ٧. الكافي: عن الصادق ﷺ: «إنّ الله تعالىٰ يقول: يحزن عبدي المؤمن إن قتّرت عليه، وذلك أقرب له منّي، ويفرح عبدي المؤمن إن وسّعت عليه، وذلك أبعد له منّي»[٣].

[١٠٠٩] ٨. الكافي: عنه ﷺ: «قال الله تعالىٰ: إنّ من أغبط أوليائي عندي عبداً مؤمناً ذا حظّ من صلاح، أحسن عبادة ربّه، وعبدالله في السريرة، وكان غامضاً في الناس فلم يشر إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافاً فصبر عليه، فعجلت به المنيّة، فقلّ تراثه وقلّت بواكيه»[٤].

[١٠١٠] ٩. الكافي: عن السجّاد ﷺ: «مرّ رسول الله ﷺ براعي إبل فبعث إليه يستسقيه، فقال: أمّا ما في ضروعها فصبوح الحيّ، وأمّا ما في آنيتنا فغبوقهم، فقال رسول الله ﷺ: اللهم أكثر ماله وولده، ثم مرّ براعي غنم فبعث إليه يستسقيه؟ فحلب له ما في ضروعها وأكفأ ما في إنائه في إناء رسول الله ﷺ وبعث إليه بشاة، وقال: هذا ما عندنا، وإن أحببت أن نزيدك زدناك؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: اللهم ارزقه الكفاف، فقال له بعض أصحابه: يارسول الله دعوت للذي ردّك بدعاء عامّتنا نحبّه، ودعوت للذي أسعفك بحاجتك بدعاء كلّنا نكرهه؟ فقال رسول الله ﷺ: إنّ ما قلّ وكفىٰ خير ممّا كثر وألهىٰ اللهم ارزق محمّداً وآل محمّد الكفاف»[٥].

[١٠١١] ١٠. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «اللهم ارزق محمّداً وآل محمّد ومن أحبّ محمّداً وآل محمّد العفاف والكفاف، وارزق من أبغض محمّداً وآل محمّد المال والولد»[٦].

---

١. الكافي ٨: ٢٤٣ / ٣٣٧.
٢. الكافي ٢: ١٣٩ / ٨.
٣. الكافي ٢: ١٤١ / ٥.
٤. الكافي ٢: ١٤١ / ٦.
٥. الكافي ٢: ١٤٠ / ٤.
٦. الكافي ٢: ١٤٠ / ٤.

[١٠١٢] ١١. الكافي: عنه ﷺ: «طوبىٰ لمن أسلم وكان عيشه كفافاً»[١].

◆ ◆ ◆

باب
الاستغناء عن الناس

[١٠١٣] ١. الكافي: عن السجّاد ﷺ: «رأيت الخير كلّه قد اجتمع في قطع الطمع عمّا في أيدي الناس، ومن لم يرج الناس في شيء وردّ أمره إلىٰ الله تعالىٰ في جميع أموره استجاب الله تعالىٰ له في كلّ شيء»[٢].

[١٠١٤] ٢. الكافي: عن الباقر ﷺ: «بئس العبد عبد له طمع يقوده، وبئس العبد عبد له رغبة تذلّه»[٣].

[١٠١٥] ٣. الكافي: عن الصادق ﷺ: «شرف المؤمن قيام الليل، وعزّه استغناؤه عن الناس»[٤].

[١٠١٦] ٤. الكافي: عنه ﷺ: «اشتدّت حال رجل من أصحاب النبيّ ﷺ، فقالت له امرأته: لو أتيت رسول الله ﷺ فسألته، فجاء إلىٰ النبيّ ﷺ، فلمّا رآه النبيّ ﷺ قال: من سألنا أعطيناه، ومن استغنىٰ أغناه الله، فقال الرجل: ما يعني غيري، فرجع إلىٰ امرأته فأعلمها، فقالت: إنّ رسول الله ﷺ بشر فأعلمه، فأتاه، فلمّا رآه رسول الله ﷺ قال: من سألنا أعطيناه، ومن استغنىٰ أغناه الله، حتىٰ فعل الرجل ذلك ثلاثاً، ثم ذهب الرجل فاستعار معولاً، ثم أتىٰ الجبل فصعده فقطع حطباً، ثم جاء به فباعه بنصف مدّ من دقيق، فرجع به فأكله، ثمّ ذهب من الغد فجاء بأكثر من ذلك فباعه، فلم يزل يعمل ويجمع حتىٰ اشترىٰ معولاً، ثم جمع حتىٰ اشترىٰ بكرين وغلاماً، ثم أثرىٰ حتىٰ أيسر، فجاء إلىٰ النبيّ ﷺ فأعلمه كيف جاء يسأله وكيف سمع النبيّ ﷺ، فقال النبيّ ﷺ: قلت لك:

---

١. الكافي ٢: ١٤٠/ ٢.
٢. الكافي ٢: ١٤٨/ ٣.
٣. الكافي ٢: ٣٢٠/ ٢.
٤. الكافي ٢: ١٤٨/ ١.

من سألنا أعطيناه، ومن استغنىٰ أغناه الله»[١].

[١٠١٧] ٥. **الكافي: عنه** ﷺ: «طلب الحوائج إلىٰ الناس استلاب للعزّ، مذهبة للحياء، واليأس ممّا في أيدي الناس عزّ للمؤمن في دينه، والطمع هو الفقر الحاضر»[٢].

وفي رواية: «عليك باليأس ممّا في أيدي الناس، فإنّه غنىٰ الحاضر»[٣].

[١٠١٨] ٦. **الكافي: عن أمير المؤمنين** ﷺ: «ليجتمع في قلبك الافتقار إلىٰ الناس والاستغناء عنهم، فيكون افتقارك إليهم في لين كلامك وحسن بشرك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزّك»[٤].

[١٠١٩] ٧. **التهذيب: عن الباقر** ﷺ: «سخاء المرء عمّا في أيدي الناس أكثر من سخاء النفس والبذل، ومروءة الصبر في حال الفاقة والحاجة والتعفّف والغنىٰ أكثر من مروءة الإعطاء، وخير المال الثقة بالله واليأس عمّا في أيدي الناس»[٥].

[١٠٢٠] ٨. **الكافي: عن الصادق** ﷺ **قيل له: ادع الله أن يغنيني عن خلقه، قال: «إنّ الله قسّم رزق من** شاء علىٰ يدي من شاء، ولكن سل الله أن يغنيك عن الحاجة التي تضطرّك إلىٰ لئام خلقه»[٦].

❖ ❖ ❖

باب
الفقر وستره

[١٠٢١] ١. **الكافي: عن الصادق** ﷺ: «إنّ فقراء المؤمنين يتقلّبون في رياض الجنّة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً، قال: سأضرب لك مثل ذلك، إنّما مثل ذلك مثل سفينتين مرّ

---

١. الكافي ٢: ١٣٩ / ٧.
٢. الكافي ٢: ١٤٨ / ٤.
٣. الفقيه ٤: ٤١٠ / ٥٨٩٤.
٤. الكافي ٢: ١٤٩ / ٧.
٥. التهذيب ٦: ٣٨٧ / ١١٥٢.
٦. الكافي ٢: ٢٦٦ / ١.

بهما علىٰ عاشر، فنظر في أحدهما فلم ير فيها شيئاً، فقال: أسربوها، ونظر في الأخرىٰ، فإذا هي موقرة فقال، احبسوها»[١].

◁ **بيان**

«أسربوها» يعني خلّوها تذهب، من السرب بمعنىٰ التوجّه للأمر والذهاب إليه.

[١٠٢٢] ٢. **الكافي: عنه** عليه السلام: «المصائب منح من الله، والفقر مخزون عند الله»[٢].

◁ **بيان**

لعلّ المراد أنّ المصائب عطايا من الله عزّوجلّ يعطيها من يشاء من عباده، والفقر من جملتها مخزون عنده عزيز لا يعطيه إلّا من خصّه بمزيد العناية، ولا يعترض أحد بكثرة الفقراء، وذلك لأنّ الفقير هنا من لا يجد إلّا القوت من التعفّف، ولا يوجد من هذه صفته في ألف ألف واحد.

[١٠٢٣] ٣. **الكافي: عن النبيّ** صلى الله عليه وآله: «ياعليّ، إنّ الله جعل الفقر أمانةً عند خلقه، فمن ستره أعطاه الله مثل أجر الصائم القائم، ومن أفشاه إلىٰ من يقدر علىٰ قضاء حاجته فلم يفعل فقد قتله، أما إنّه ما قتله بسيف ولا رمح، ولكنه قتله بما نكىٰ من قلبه»[٣].

◁ **بيان**

«نكىٰ» جرح.

[١٠٢٤] ٤. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ يلتفت يوم القيامة إلىٰ فقراء المؤمنين شبيهاً بالمعتذر إليهم، فيقول: وعزّتي، ما أفقرتكم في الدّنيا من هوان بكم عليّ، ولترونّ ما أصنع بكم اليوم، فمن زوّد أحداً منكم في دار الدنيا معروفاً فخذوا بيده فأدخلوه الجنّة، قال: فيقول رجل منهم: يارب، إنّ أهل الدنيا تنافسوا في دنياهم فنكحوا النساء ولبسوا الثياب الليّنة وأكلوا الطعام وسكنوا الدور وركبوا المشهور من الدواب، فأعطني مثل ما أعطيتهم، فيقول الله تبارك وتعالىٰ: لك ولكلّ عبد منكم مثل ما

---

١. الكافي ٢: ٢٦٠ / ١.
٢. الكافي ٢: ٢٦٠ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٢٦٠ / ٣.

أعطيت أهل الدنيا منذ كانت الدنيا إلىٰ أن انقضت الدنيا سبعون ضعفاً»[١].

وفي رواية: «يقول الله: فارفع هذا السجف[٢] فانظر إلىٰ ما عوّضتك من الدنيا، فيرفع، فيقول: ما ضرّني ما منعتني ممّا عوّضتني»[٣].

[١٠٢٥] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «جاء رجل موسر إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله نقيّ الثوب، فجلس إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، فجاء رجل معسر درن الثوب فجلس إلىٰ جنب الموسر، فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أخِفت أن يمسّك من فقره شيء؟ قال: لا، قال: فخفت أن يصيبه من غناك شيء؟ قال: لا، قال: فخفت أن توسخ ثيابك؟ قال: لا، قال: فما حملك علىٰ ما صنعت؟ فقال: يارسول الله، إنّ لي قريناً يزيّن لي كلّ قبيح، ويقبّح لي كلّ حسن، وقد جعلت له نصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للمعسر: أتقبل؟ قال: لا، قال له الرجل: ولم؟ قال: أخاف أن يدخلني ما دخلك»[٤].

[١٠٢٦] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «في مناجاة موسىٰ عليه السلام: ياموسىٰ إذا رأيت الفقر مقبلاً، فقل: مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنىٰ مقبلاً، فقل: ذنب عجّلت عقوبته»[٥].

[١٠٢٧] ٧. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «طوبىٰ للمساكين بالصبر وهم الذين يرون ملكوت السموات والأرض»[٦].

[١٠٢٨] ٨. الكافي: عنه صلى الله عليه وآله: «يامعشر المساكين، طيبوا نفساً واعطوا الله الرضا من قلوبكم، يثبكم الله تعالىٰ علىٰ فقركم، فإن لم تفعلوا فلا ثواب لكم»[٧].

[١٠٢٩] ٩. الكافي: عن الصادق عليه السلام قال لرجل: «أما تدخل السوق، أما ترىٰ الفاكهة تباع والشيء

---

١. الكافي ٢: ٢٦١ / ٩.
٢. السجف بالمهملة والجيم: الستر.
٣. الكافي ٢: ٢٦٤ / ١٨.
٤. الكافي ٢: ٢٦٢ / ١١.
٥. الكافي ٢: ٢٦٣ / ١٢.
٦. الكافي ٢: ٢٦٣ / ١٣.
٧. الكافي ٢: ٢٦٣ / ١٤.

ممّا تشتهيه؟» قال: بلىٰ، فقال: «أما إنّ لك بكلّ ما تراه فلا تقدر علىٰ شرائه حسنة»[١].

[١٠٣٠] ١٠. الكافي: عنه عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة قام عنق من الناس حتىٰ يأتوا باب الجنّة فيضربوا باب الجنّة فيقال: من أنتم؟ فيقولون: نحن الفقراء، فيقال لهم: أقبل الحساب؟ فيقولون: ما أعطيتمونا شيئاً تحاسبونا عليه، فيقول الله تعالىٰ: صدقوا أدخل الجنة»[٢].

[١٠٣١] ١١. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الفقر أزين للمؤمن من العذار علىٰ خدّ الفرس»[٣].

[١٠٣٢] ١٢. الكافي: عن الكاظم عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ يقول: إنّي لم أُغن الغنيّ لكرامة به عليّ، ولم أُفقر الفقير لهوان به عليّ، وهو ممّا ابتليت به الأغنياء بالفقراء، ولولا الفقراء لم يستوجب الأغنياء الجنّة»[٤].

[١٠٣٣] ١٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «مياسير شيعتنا أمناؤنا علىٰ محاويجهم، فاحفظونا فيهم يحفظكم الله»[٥].

❖ ❖ ❖

باب

أنّ الدّين هو الغنىٰ

[١٠٣٤] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «كان في وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه: اعلموا أنّ القرآن هدىٰ الليل والنهار، ونور الليل المظلم علىٰ ما كان من جهد وفاقة، فإذا حضرت بليّة فاجعلوا أموالكم دون أنفسكم، وإذا نزلت نازلة فاجعلوا أنفسكم دون دينكم، واعلموا أنّ الهالك من هلك دينه، والحريب من حرب دينه، ألا وإنّه لا فقر

---

١. الكافي ٢: ٢٦٤ / ١٧.
٢. الكافي ٢: ٢٦٥ / ١٩.
٣. الكافي ٢: ٢٦٥ / ٢٢.
٤. الكافي ٢: ٢٦٥ / ٢٠.
٥. الكافي ٢: ٢٦٥ / ٢١.

بعد الجنّة، ألا وإنّه لا غنىٰ بعد النار، لا يفكّ أسيرها، ولا يبرأ ضريرها»[١].

◁ **بيان**

«الحريب» من أُخذ ماله وترك بلا شيء، «والضرير» من أصابه الضرّ.

[١٠٣٥] ٢. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «سلامة الدين وصحة البدن خير من المال، والمال زينة من زينة الدنيا حسنة»[٢].

[١٠٣٦] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «الفقر الموت الأحمر»، **فقيل: الفقر من الدينار والدرهم؟ فقال:** «لا، ولكن من الدين»[٣].

❖ ❖ ❖

باب
حسن الخلق والبشر

[١٠٣٧] ١. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»[٤].

[١٠٣٨] ٢. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق»[٥].

[١٠٣٩] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «ما يقدم المؤمن علىٰ الله بعمل بعد الفرائض أحبّ إلىٰ الله تعالىٰ من أن يسع الناس بخلقه»[٦].

[١٠٤٠] ٤. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ صاحب الخلق الحسن له مثل أجر الصائم القائم»[٧].

---

١. الكافي ٢: ٢١٦ / ٢.
٢. الكافي ٢: ٢١٦ / ٣.
٣. الكافي ٢: ٢٦٦ / ٢.
٤. الكافي ٢: ٩٩ / ١.
٥. الكافي ٢: ٩٩ / ٢.
٦. الكافي ٢: ١٠٠ / ٤.
٧. الكافي ٢: ١٠٠ / ٦.

[١٠٤١] ٥. **الكافي: عنه** ﷺ: «أكثر ما يلج به أمتي الجنّة تقوىٰ الله وحسن الخلق»[١].

[١٠٤٢] ٦. **الكافي: عن الصادق** ﷺ: «إنّ الخلق الحسن يميث[٢] الخطيئة كما تميث الشمس الجليد»[٣].

◁ **بيان**

«الجليد» هو الماء الجامد من البرد.

[١٠٤٣] ٧. **الكافي: عنه** ﷺ: «البرّ وحُسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار»[٤].

[١٠٤٤] ٨. **الكافي: عن النبيّ** ﷺ: «أفاضلكم أحسنكم أخلاقاً، الموطّئون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، وتوطأ رحالهم»[٥].

◁ **بيان**

يعني: الذين جوانبهم وطيئة يتمكّن منها من يصاحبهم ولا يتأذّىٰ.

[١٠٤٥] ٩. **الكافي: عن أمير المؤمنين** ﷺ: «المؤمن مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»[٦].

[١٠٤٦] ١٠. **الكافي: عن الصادق** ﷺ: «حُسن الخلق يسر» ثم قال: «ألا أُخبرك بحديث ما هو في يدي أحد من أهل المدينة؟». قيل: بلىٰ قال: «بينا رسول‌الله ﷺ ذات يوم جالس في المسجد إذ جاءت جارية لبعض الأنصار وهو قائم، فأخذت بطرف ثوبه، فقام لها النبيّ ﷺ فلم تقل شيئاً، ولم يقل لها النبيّ ﷺ شيئاً، حتىٰ فعلت ذلك ثلاث مرّات، لا تقول له شيئاً ولا يقول لها شيئاً، فقام لها النبيّ ﷺ في الرابعة وهي خلفه، فأخذت هدبة من ثوبه ثم رجعت، فقال لها الناس: فعل الله بك وفعل، حبست رسول

---

١. الكافي ٢: ١٠٠ / ٥.
٢. يميث بالثاء المثلثة: أي يذيب.
٣. الكافي ٢: ١٠٠ / ٩.
٤. الكافي ٢: ١٠٢ / ١٦.
٥. الكافي ٢: ١٠٠ / ٨.
٦. الكافي ٢: ١٠٢ / ١٧.

الله ﷺ ثلاث مرات لا تقولين له شيئاً، ولا هو يقول لك شيئاً، فما كانت حاجتك إليه؟ فقالت: إنّ لنا مريضاً، فأرسلني أهلي لآخذ هدبة من ثوبه يستشفي بها، فلمّا أردت أن آخذها رآني فقام، فاستحييت أن آخذها وهو يراني، وأكره أن أستأمره في أخذها، فأخذتها»[١].

[١٠٤٧] ١١. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «يابني هاشم، إنّكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر»[٢].

[١٠٤٨] ١٢. الكافي: عن الصادق ﷺ قيل له: ما حدّ حُسن الخلق؟ قال: «تلين جناحك وتطيب كلامك وتلقىٰ أخاك ببشر حسن»[٣].

[١٠٤٩] ١٣. الكافي: عنه ﷺ قال: «صنائع المعروف وحسن البشر يكسبان المحبّة ويدخلان الجنّة، والبخل وعبوس الوجه يبعدان من الله ويدخلان النار»[٤].

وفي رواية: «حسن البشر يذهب بالسخيمة»[٥].

[١٠٥٠] ١٤. الكافي: عنه ﷺ: «ثلاث من أتىٰ الله بواحدة منهنّ أوجب الله له الجنة: الإنفاق من إقتار، والبشر لجميع العالم، والإنصاف من نفسه»[٦].

[١٠٥١] ١٥. الكافي: عنه ﷺ: «إنّ الخلق منيحة يمنحها الله خلقه، فمنه سجيّة ومنه نيّة»، قيل: فأيهما أفضل؟ فقال: «صاحب السجيّة هو مجبول لا يستطيع غيره، وصاحب النيّة تصبّر علىٰ الطاعة تصبّراً فهو أفضلهما»[٧].

◁ **بيان**

«فمنه سجيّة» أي جبلّة، «ومنه نيّة» أي يكون عن قصد واكتساب وتعمل.

---

١. الكافي ٢: ١٠٢ / ١٥.
٢. الكافي ٢: ١٠٣ / ١.
٣. الكافي ٢: ١٠٣ / ٤.
٤. الكافي ٢: ١٠٣ / ٥.
٥. الكافي ٢: ١٠٣ / ٦؛ والسخيمة: الحقد في النفس.
٦. الكافي ٢: ١٠٣ / ٥٠ / ٢.
٧. الكافي ٢: ١٠١ / ١١.

[١٠٥٢] ١٧. الفقيه: عنه عليه السلام: «إنّ الله قسّم بينكم أخلاقكم، كما قسّم بينكم أرزاقكم»[١].

◁ بيان
يعني قسّمها على تفاوت.

[١٠٥٣] ١٨. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الله تعالى أعار أعداءه أخلاقاً من أخلاق أوليائه، ليعيش أولياؤه مع أعدائه في دولاتهم»[٢].
وفي رواية: «لولا ذلك لما تركوا وليّاً لله إلّا قتلوه»[٣].

◁ بيان
قد مرّ أخبار أُخر في فضيلة حسن الخلق في باب جوامع المكارم.

❖ ❖ ❖

باب
الجود

[١٠٥٤] ١. الكافي: عن الكاظم عليه السلام سئل عن الجواد فقال: «إنّ لكلامك وجهين، فإن كنت تسأل عن المخلوق فإنّ الجواد الذي يؤدّي ما افترض الله عليه، وإن كنت تسأل عن الخالق فهو الجواد إن أعطاك، والجواد إن منع، لأنّه إن أعطاك أعطاك ما ليس لك، وإن منعك منعك ما ليس لك»[٤].

[١٠٥٥] ٢. الكافي، الفقيه: عن الصادق عليه السلام سئل ما حدّ السخاء؟ قال: «تخرج من مالك الحقّ الذي أوجبه الله عليك فتضعه في موضعه»[٥].

[١٠٥٦] ٣. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «السخيّ محبّب في السموات، محبّب في الأرضين، خلق

---

١. الفقيه ٤: ٤١٦ / ٥٩٠٥.
٢. الكافي ٢: ١٠١ / ١٣.
٣. الكافي ٢: ١٠١ / ذيل ١٣.
٤. الكافي ٤: ٣٩ / ١.
٥. الكافي ٤: ٣٩ / ٢؛ والفقيه ٤: ٤١٢ / ٥٨٩٨.

من طينة عذبة، وخلق ماء عينيه من ماء الكوثر»[١].

[١٠٥٧] ٤. الكافي: عن الكاظم عليه السلام: «السخيّ الحسن الخلق في كنف الله، لا يستخلي الله منه حتىٰ يدخل الجنّة، وما بعث الله نبيّاً ولا وصيّاً إلّا سخيّاً، ولا كان أحد من الصالحين إلّا سخيّاً، وما زال أبي يوصيني بالسخاء حتىٰ مضىٰ، فقال: من أخرج من ماله الزكاة تامّة فوضعها في موضعها لم يسأل من أين اكتسب مالك»[٢].

[١٠٥٨] ٥. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله سئل: أيّ الناس أفضلهم إيماناً؟ فقال: «أبسطهم كفّاً»[٣].

[١٠٥٩] ٦. الكافي: عن الرضا عليه السلام: «السخيّ قريب من الله، قريب من الجنّة، قريب من الناس» وقال: «السخاء شجرة في الجنّة من تعلّق بغصن من أغصانها دخل الجنّة»[٤].

[١٠٦٠] ٧. الكافي، الفقيه: «أوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ عليه السلام أن لا يقتل السامريّ، فإنه سخيّ»[٥].

[١٠٦١] ٨. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «شابّ سخيّ مرهق في الذنوب، أحبّ إليّ من شيخ عابد بخيل»[٦].

◁ بيان

«مرهق» مفرط في الشرّ.

[١٠٦٢] ٩. الكافي: عن الرضا عليه السلام: «السخيّ يأكل طعام الناس ليأكلوا طعامه، والبخيل لا يأكل من طعام الناس لئلّا يأكلوا من طعامه»[٧].

[١٠٦٣] ١٠. الكافي: قال أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: «يابني ما السماحة؟ قال: البذل في العسر واليسر»[٨].

---

١. الكافي ٤: ٣٩ / ٣.
٢. الكافي ٤: ٣٩ / ٤.
٣. الكافي ٤: ٤٠ / ٧.
٤. الكافي ٤: ٤٠ / ٩.
٥. الكافي ٤: ٤١ / ١٣.
٦. الكافي ٤: ٤١ / ١٤.
٧. الكافي ٤: ٤١ / ١٠.
٨. الكافي ٤: ٤١ / ١١.

[١٠٦٤] ١١. الكافي: عن الباقر ﷺ في قول الله تعالىٰ: ﴿فأمّا من أعطىٰ واتّقىٰ وصدّق بالحسنىٰ﴾: «بأنّ الله سبحانه يعطي بالواحدة عشرة إلىٰ مائة ألف فما زاد ﴿فسنيسره لليسرىٰ﴾ قال: لا يريد شيئاً من الخير إلّا يسّر الله له. ﴿وأمّا من بخل واستغنىٰ﴾ قال: بخل بما آتاه الله ﴿وكذّب بالحسنىٰ﴾ بأن الله يعطي بالواحدة عشر إلىٰ مائة ألف فما زاد ﴿فسنيسّره للعسرىٰ﴾ قال: لا يريد شيئاً من الشرّ إلّا يسّر الله له ﴿وما يغني عنه ماله إذا تردّىٰ﴾[1] قال: أما والله ما هو تردّىٰ في بئر ولا من جبل ولا من حائط، ولكن تردّىٰ في نار جهنم»[2].

[١٠٦٥] ١٢. الكافي: عن أمير المؤمنين ﷺ في كلام له: «ومن يبسط يده بالمعروف إذا وجده، يخلف الله له ما أنفق في دنياه، ويضاعف له في آخرته»[3].

[١٠٦٦] ١٣. الكافي: عن الباقر ﷺ: «أنفق وأيقن بالخلف من الله، فإنّه لم يبخل عبد ولا أمة بنفقته فيما يرضىٰ الله إلّا أنفق أضعافه فيما يسخط الله»[4].

[١٠٦٧] ١٤. الكافي: عنه ﷺ: «إنّ الشمس ليطلع ومعها أربعة أملاك: ملك ينادي: ياصاحب الخير أتمّ وأبشر، وملك ينادي: ياصاحب الشرّ انزع واقصر، وملك ينادي: أعط منفقاً خلفاً وآت ممسكاً تلفاً، وملك ينضح الأرض بالماء، ولولا ذلك لاشتعلت الأرض»[5].

◁ **بيان**

لعلّه أُشير بالرابع إلىٰ أن أراضي قلوب بني آدم تكاد تشتعل بنار الهموم والأحزان وحرارة تزاحم الآمال والحرمان، ونائرة الجور والطغيان، لولا ما نزل عليها من سماء الرحمة من ديمة الغفلة والنسيان، وبرد الإطفاء والاطمينان، وماء التعطّف والحنان.

[١٠٦٨] ١٥. الكافي: عن أحدهما ﷺ: «ينزل الله المعونة من السماء إلىٰ العبد بقدر المؤنة،

---

١. الليل (٩٢): ٥ ـ ١١.
٢. الكافي ٤: ٤٦ / ٥.
٣. الكافي ٤: ٤٣ / ٤.
٤. الكافي ٤: ٤٣ / ٧.
٥. الكافي ٤: ٤٢ / ١.

ومن أيقن بالخلف سمحت نفسه بالنفقة»[١].

❖ ❖ ❖

باب
الصّدق وأداء الأمانة

[١٠٦٩] ١. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ لم يبعث نبيّاً إلّا بصدق الحديث وأداء الأمانة إلىٰ البرّ والفاجر»[٢].

[١٠٧٠] ٢. **الكافي: عنه** عليه السلام: «لا تغترّوا بصلاتهم ولا بصيامهم، فإنّ الرجل ربّما لهج بالصلاة والصوم حتىٰ لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة»[٣].

◁ **بيان**

اللهج بالشيء: الحرص عليه.

[١٠٧١] ٣. **الكافي: عنه** عليه السلام: «إنّ الصادق أوّل ما يصدقه الله تعالىٰ يعلم أنّه صادق، فتصدّقه نفسه تعلم أنّه صادق»[٤].

[١٠٧٢] ٤. **الكافي: عنه** عليه السلام: «إنّ العبد ليصدق حتىٰ يكتب عند الله من الصادقين، ويكذب حتىٰ يكتب عند الله من الكاذبين، فإذا صدق قال الله تعالىٰ: صدق وبرّ، وإذا كذب قال الله تعالىٰ: كذب وفجر»[٥].

وفي رواية: «ليصدق حتىٰ يكتبه الله صدّيقاً»[٦].

[١٠٧٣] ٥. **الكافي: عنه** عليه السلام: «كونوا دعاة الناس بالخير بغير ألسنتكم ليروا منكم الاجتهاد

---

١. الكافي ٤: ٤٤ / ٨.
٢. الكافي ٢: ١٠٤ / ١.
٣. الكافي ٢: ١٠٤ / ٢.
٤. الكافي ٢: ١٠٤ / ٦.
٥. الكافي ٢: ١٠٥ / ٩.
٦. الكافي ٢: ٥١ / ١٠٥ / ٨.

والصدق والورع»[١].

وفي رواية: «انظر ما بلغ به عليّ عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله فالزمه، فإنّ علياً عليه السلام إنّما بلغ ما بلغ به عند رسول الله صلى الله عليه وآله بصدق الحديث وأداء الأمانة»[٢].

[١٠٧٤] ٦. **الكافي: عنه عليه السلام:** «من صدق لسانه زكا عمله، ومن حسنت نيّته زيد في رزقه، ومن حسن برّه بأهل بيته مدّ له في عمره»[٣].

[١٠٧٥] ٧. **الكافي: عن الباقر عليه السلام:** «تعلّموا الصدق قبل الحديث»[٤].

[١٠٧٦] ٨. **الكافي: عن النبي صلى الله عليه وآله:** «الأمانة يجلب الرزق، والخيانة تجلب الفقر»[٥].

[١٠٧٧] ٩. **الكافي، الفقيه: عن الصادق عليه السلام:** «من ائتمنك بأمانة فأدّها إليه، ومن خانك فلا تخنه»[٦].

[١٠٧٨] ١٠. **الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام:** «أدّوا الأمانات ولو إلىٰ قاتل ولد الأنبياء»[٧].

وفي رواية: «أدّوا الأمانات إلىٰ أهلها وإن كانوا مجوساً»[٨].

❖ ❖ ❖

باب

الحياء

[١٠٧٩] ١. **الكافي: عن الصادق عليه السلام:** «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنّة»[٩].

---

١. الكافي ٢: ١٠٤ / ١٠.
٢. الكافي ٢: ١٠٤ / ٥.
٣. الكافي ٢: ١٠٥ / ١١.
٤. الكافي ٢: ١٠٤ / ٤.
٥. الكافي ٥: ١٣٣ / ٧.
٦. الفقيه ٣: ١٨٦ / ٣٦٩٨.
٧. الكافي ٥: ١٣٣ / ٣.
٨. التهذيب ٦: ٢٢ / ١١٤.
٩. الكافي ٢: ١٠٦ / ١.

[١٠٨٠] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «لا إيمان لمن لا حياء له»[١].

[١٠٨١] ٣. الكافي: عن أحدهما عليهما السلام: «الحياء والإيمان مقرونان في قرن، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه»[٢].

[١٠٨٢] ٤. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «الحياء حياءان: حياء عقل، وحياء حمق، فحياء العقل هو العلم، وحياء الحمق هو الجهل»[٣].

[١٠٨٣] ٥. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «الحياء والعفاف والعيّ ـ أعني عيّ اللسان لا عيّ القلب ـ من الإيمان»[٤].

◁ بيان

«العيّ» الحصر.

[١٠٨٤] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «من رقّ وجهه رقّ علمه»[٥].

❖ ❖ ❖

باب

دفع السيئة بالحسنة والعفو

[١٠٨٥] ١. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله في خطبة: «ألا أخبركم بخير أخلاق الدنيا والآخرة، العفو عمّن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان إلىٰ من أساء إليك، وإعطاء من حرمك»[٦].

وفي رواية: «وتحلم إذا جهل عليك»[٧].

---

١. الكافي ٢: ١٠٦ / ٥.
٢. الكافي ٢: ١٠٦ / ٤.
٣. الكافي ٢: ١٠٦ / ٦.
٤. الكافي ٢: ١٠٦ / ٢.
٥. الكافي ٢: ١٠٦ / ٣.
٦. الكافي ٢: ١٠٧ / ١.
٧. الكافي ٢: ١٠٧ / ٣.

[١٠٨٦] ٢. **الكافي: عن الباقر** عليه السلام: «ثلاث لا يزيد الله بهنّ المرء المسلم إلّا عزّاً: الصفح عمّن ظلمه، وإعطاء من حرمه، والصلة لمن قطعه»[١].

[١٠٨٧] ٣. **الكافي: عن السجّاد** عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة جمع الله تعالىٰ الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم ينادي مناد: أين أهل الفضل؟ قال: فيقوم عنق من الناس فتلقاهم الملائكة فيقولون: وما كان فضلكم؟ فيقولون: كنّا نصل من قطعنا، ونعطي من حرمنا، ونعفو عمّن ظلمنا، قال: فيقال لهم: صدقتم، ادخلوا الجنّة»[٢].

◁ **بيان**

هذه الخصال فضيلة، وأيّة فضيلة ومكرمة، وأيّة مكرمة لا يدرك كنه شرفها وفضلها! إذ العالم بها يثبت بها لنفسه الفضيلة، ويرفع بها عن صاحبه الرذيلة، ويغلب علىٰ صاحبه بقوّة قلبه، ويكسر بها عدوّ نفسه ونفس عدوّه، وإلىٰ هذا أُشير في القرآن المجيد بقوله سبحانه: **﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾** يعني السيئة **﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم﴾**[٣] ثم أُشير إلىٰ فضلها العالي وشرفها الرفيع بقوله عزّوجلّ: **﴿ولا يلقّاها إلّا الذين صبروا وما يلقاها إلّا ذو حظّ عظيم﴾**[٤] يعني من الإيمان والمعرفة، رزقنا الله الوصول إليها، وجعلنا من أهلها بمنّه.

[١٠٨٨] ٤. **الكافي: عن النبيّ** صلى الله عليه وآله: «عليكم بالعفو، فإنّ العفو لا يزيد العبد إلّا عزّاً فتعافوا يعزّكم الله»[٥].

[١٠٨٩] ٥. **الكافي: عن الباقر** عليه السلام: «الندامة علىٰ العفو أفضل وأيسر من الندامة علىٰ العقوبة»[٦].

[١٠٩٠] ٦. **الكافي: عنه** عليه السلام: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أُتي باليهودية التي سمّت الشاة للنبيّ صلى الله عليه وآله،

---

١. الكافي ٢: ١٠٨ / ١٠.
٢. الكافي ٢: ١٠٧ / ٤.
٣. فصّلت ٤١: ٣٤.
٤. فصّلت ٤١: ٣٥.
٥. الكافي ٢: ١٠٨ / ٥.
٦. الكافي ٢: ١٠٨ / ٦.

فقال لها: ما حملك علىٰ ما صنعت؟ فقالت: قلت: إن كان نبيّاً لم يضرّه، وإن كان ملكاً أرحت الناس منه» قال: «فعفا رسول الله ﷺ عنها»[١].

[١٠٩١] ٧. **الكافي: عن الرضا** ﷺ: «ما التقت فئتان قط إلّا نصر أعظمها عفواً»[٢].

❖ ❖ ❖

باب
كظم الغيظ

[١٠٩٢] ١. **الكافي: عن الصادق** ﷺ: «ما من جرعة يتجرّعها العبد أحبّ إلىٰ الله تعالىٰ من جرعة غيظ يتجرّعها عند تردّدها في قلبه، إمّا بصبر أو بحلم»[٣].

◁ **بيان**

«إمّا بصبر» يعني إن لم يكن حليماً فيتحلّم ويصبر «وإمّا بحلم» يعني إن كان الحلم خلقه.

[١٠٩٣] ٢. **الكافي: عنه** ﷺ: «نعم الجرعة الغيظ لمن صبر عليها، فإنّ عظيم الأجر لمن عظم البلاء، وما أحبّ الله قوماً إلّا ابتلاهم»[٤].

[١٠٩٤] ٣. **الكافي: عنه** ﷺ: «اصبر علىٰ أعداء النّعم، فإنّك لن تكافئ من عصىٰ الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه» ثم قال: «إنّ الله اصطفىٰ الإسلام واختاره، فأحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق»[٥].

◁ **بيان**

أُريد بأعداء النعم الحسّاد، وبالعصيان الحسد وما يترتّب عليه، وبالطاعة الصبر علىٰ أذىٰ الحاسد وما يقتضيه.

---

١. الكافي ٢: ١٠٨ / ٩.
٢. الكافي ٢: ١٠٨ / ٨.
٣. الكافي ٢: ١١١ / ١٣.
٤. الكافي ٢: ١٠٩ / ٢.
٥. الكافي ٢: ١١٠ / ٨.

[١٠٩٥] ٤. **الفقيه: عنه عليه السلام**: «حسب المؤمن من الله نصرة أن يرىٰ عدوّه يعمل بمعاصي الله»[١].

وفي رواية: «كفىٰ بالحلم ناصراً» **وقال**: «إذا لم تكن حليماً فتحلّم»[٢].

[١٠٩٦] ٥. **الكافي: عن السجّاد عليه السلام**: «ما أحبّ أنّ لي بذلّ نفسي حمر النعم، وما تجرّعت جرعة أحبّ إليّ من جرعة غيظ لا أكافي بها صاحبها»[٣].

◁ **بيان**

يعني ما أرضىٰ أن أذلّ نفسي ولي بذلك حمر النعم، أي كرائمها، وهي مثل في كلّ نفيس، ونبّه بذكر تجرّع الغيظ عقيب هذا علىٰ أنّ في التجرّع العزّ، وفي المكافاة الذلّ.

[١٠٩٧] ٦. **الكافي: عنه عليه السلام**: «ليعجبني الرجل يدركه حلمه عند غضبه»[٤].

[١٠٩٨] ٧. **الكافي: عن الصادق عليه السلام**: «ما من عبد كظم غيظاً إلّا زاده الله تعالىٰ عزّاً في الدنيا والآخرة، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿**والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحبّ المحسنين**﴾[٥] وأثابه الله مكان غيظه»[٦].

[١٠٩٩] ٨. **الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله**: «ما أعزّ الله بجهل قطّ، ولا أذلّ بحلم قطّ»[٧].

[١١٠٠] ٩. **الكافي: عنه صلى الله عليه وآله**: «من أحبّ السبيل إلىٰ الله تعالىٰ جرعتان جرعة غيظ تردّها بحلم، وجرعة مصيبة تردّها بصبر»[٨].

[١١٠١] ١٠. **الكافي: عنه صلى الله عليه وآله**: «إنّ الله يحبّ الحييّ الحليم العفيف المتعفّف»[٩].

---

١. الفقيه ٤: ٣٩٨ / ٥٨٥١
٢. الكافي ٢: ١١٢ / ٦.
٣. الكافي ٢: ١١١ / ١٢.
٤. الكافي ٢: ١١٢ / ٣.
٥. آل عمران (٣): ١٢٨.
٦. الكافي ٢: ١١٠ / ٥.
٧. الكافي ٢: ١١٢ / ٥.
٨. الكافي ٢: ١١٠ / ٩.
٩. الكافي ٢: ١١٢ / ٥.

[١١٠٢] ١١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاه»[١].

وفي رواية: «حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة»[٢].

[١١٠٣] ١٢. الكافي: عنه عليه السلام بعث غلاماً له في حاجة فأبطأ، فخرج على أثره فوجده نائماً، فجلس عند رأسه يروّحه حتىٰ انتبه، فلما انتبه قال له: «يافلان، والله ما ذلك لك، تنام الليل والنهار لك الليل ولنا منك النهار»[٣].

[١١٠٤] ١٣. الكافي: عن الرضا عليه السلام: «لا يكون الرجل عابداً حتىٰ يكون حليماً»[٤].

❖ ❖ ❖

باب
الصّمت والكلام

[١١٠٥] ١. الكافي: عن الرضا عليه السلام: «من علامات الفقه الحلم والعلم والصّمت، إنّ الصمت باب من أبواب الحكمة، إنّ الصمت يكسب المحبّة، إنّه دليل علىٰ كلّ خير»[٥].

[١١٠٦] ٢. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «أمسك لسانك، فإنّها صدقة تصّدّق بها علىٰ نفسك» ثم قال: «ولا يعرف عبد حقيقة الإيمان حتىٰ يخزن من لسانه»[٦].

وفي رواية: «نجاة المؤمن حفظ لسانه»[٧].

[١١٠٧] ٣. الكافي: عنه صلى الله عليه وآله قال لرجل أتاه: «ألا أدلّك علىٰ أمر يدخلك الله به الجنّة؟» قال: بلىٰ يارسول الله، قال: «أنل ممّا أنالك الله»، قال: فإن كنت أحوج ممّن أنيله؟ قال: «فانصر المظلوم»،

---

١. الكافي ٢: ١١٠ / ٦.
٢. الكافي ٢: ١١٠ / ٧.
٣. الكافي ٢: ١١٢ / ٧.
٤. الكافي ٢: ١١١ / ١.
٥. الكافي ٢: ١١٣ / ١.
٦. الكافي ٢: ١١٤ / ٧.
٧. الكافي ٢: ١١٤ / ٩.

قال: فإن كنت أضعف ممّن أنصره؟ قال: «فاصنع للأخرق» يعني أشر عليه قال: فإن كنت أخرق ممّن أصنع له؟ قال: «فاصمت لسانك إلّا من خير، أما يسرّك أن تكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرّك إلىٰ الجنّة»[1].

◁ بيان

«الأخرق» الجاهل بما يجب أن يعمله، ومن لا يحسن التصرّف في الأمور، ومن لم يكن في يديه صنعة يكتسب بها «أشر عليه» أي أرشده للخير وما ينبغي له.

[١١٠٨] ٤. الكافي: جاء رجل إلىٰ النبيّ ﷺ فقال: يارسول الله، أوصني، قال: «احفظ لسانك»، قال: يارسول الله، أوصني، قال: «احفظ لسانك»، قال: يارسول الله، أوصني، قال: «احفظ لسانك، ويحك وهل يكبّ الناس علىٰ مناخرهم في النار إلّا حصائد ألسنتهم»[2].

◁ بيان

يعني: ما يقطعونه من الكلام الذي لا خير فيه، تشبيهاً بما يحصد من الزرع، وتشبيهاً للّسان وما يقطعه من القول بحدّ المنجل الذي يحصد به.

[١١٠٩] ٥. الكافي: عنه ﷺ: «من رأىٰ موضع كلامه من علمه، قلّ كلامه إلّا فيما يعنيه»[3].

[١١١٠] ٦. الكافي: عنه ﷺ: «من لم يحسب كلامه من علمه كثرت خطاياه وحضر عذابه»[4].

◁ بيان

إنّما حضر عذابه لأنه أكثر ما يكون يندم علىٰ بعض ما قاله ولا ينفعه النّدم، ولأنّه قلّما يكون كلام لا يكون مورداً للاعتراض ولا سيّما إذا كثر.

[١١١١] ٧. الكافي: عنه ﷺ: «يعذّب الله اللّسان بعذاب لا يعذّب به شيئاً من الجوارح، فيقول: أي ربّ عذّبتني بعذاب لم تعذّب به شيئاً من الجوارح، فيقال له: خرجت منك

---

١. الكافي ٢: ١١٣ / ٥.
٢. الكافي ٢: ١١٥ / ١٤.
٣. الكافي ٢: ١١٦ / ١٩.
٤. الكافي ٢: ١١٥ / ١٥.

كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها، فسفك بها الدم الحرام، وانتهب بها المال الحرام، وانتهك بها الفرج الحرام، وعزّتي لأعذّبنّك بعذاب لا أعذّب به شيئا من جوارحك»[١].

وفي رواية: «وإن كان في شيء شؤم ففي اللسان»[٢].

[١١١٢] ـ ٨. الفقيه: مرّ أمير المؤمنين عليه السلام برجل يتكلّم بفضول الكلام فوقف عليه، فقال: «ياهذا، إنّك تملي على حافظيك كتاباً إلى ربّك، فتكلّم بما يعنيك، ودع ما لا يعنيك»[٣].

[١١١٣] ٩. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «في حكمة آل داود: على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه»[٤].

[١١١٤] ١٠. الكافي: عنه عليه السلام: «قال لقمان لابنه: يابنيّ، إن كنت زعمت أنّ الكلام من فضّة، فإنّ السكوت من ذهب»[٥].

[١١١٥] ١١. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «كان أبو ذرّ يقول: يامبتغي العلم، إنّ هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شرّ، فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك»[٦].

[١١١٦] ١٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «كان المسيح عليه السلام يقول: لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله، فإنّ الذين يكثرون الكلام قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون»[٧].

[١١١٧] ١٣. الكافي: عن السجّاد عليه السلام: «إنّ لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه كلّ صباح، فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير إن تركتنا، ويقولون: الله الله فينا، ويناشدونه ويقولون: إنما نثاب ونعاقب بك»[٨].

---

١. الكافي ٢: ١١٥ / ١٦.
٢. الكافي ٢: ١١٦ / ١٧.
٣. الفقيه ٤: ٣٩٦ / ٥٨٤١.
٤. الكافي ٢: ١١٦ / ٢٠.
٥. الكافي ٢: ١١٤ / ٦.
٦. الكافي ٢: ١١٤ / ١٠.
٧. الكافي ٢: ١١٤ / ١١.
٨. الكافي ٢: ١١٥ / ١٣.

[١١١٨] ١٤. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّما شيعتنا الخرس»[١].

[١١١٩] ١٥. الكافي، الفقيه؛ عن الصادق عليه السلام: «لا يزال العبد المؤمن يكتب محسناً ما دام ساكتاً، فإذا تكلّم كتب محسناً أو مسيئاً»[٢].

[١١٢٠] ١٦. الكافي: عن الكاظم عليه السلام: قال له رجل أوصني فقال: «احفظ لسانك تعزّ ولا تمكّن الناس من قيادك فتذلّ رقبتك»[٣].

[١١٢١] ١٧. الكافي: عن الرضا عليه السلام: «كان الرجل من بني إسرائيل إذا أراد العبادة صمت قبل ذلك عشر سنين»[٤].

[١١٢٢] ١٨. الفقيه: قال الصادق عليه السلام: «النوم راحة للجسد، والنطق راحة للروح، والسكوت راحة للعقل»[٥].

❖ ❖ ❖

باب

المداراة والرّفق

[١١٢٣] ١. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «ثلاث من لم تكن فيه لم يتمّ لهم عمل: ورع يحجزه عن معاصي الله، وخُلق يداري به الناس، وحلم يردّ به جهل الجاهل»[٦].

[١١٢٤] ٢. الكافي: عنه صلى الله عليه وآله: «أمرني ربّي بمداراة النّاس كما أمرني بأداء الفرائض»[٧].

[١١٢٥] ٣. الكافي: عنه صلى الله عليه وآله: «مداراة النّاس نصف الإيمان، والرفق بهم نصف العيش»[٨].

---

١. الكافي ٢: ١١٣ / ٢.
٢. الكافي ٢: ١١٦ / ٢١.
٣. الكافي ٢: ١١٣ / ٤.
٤. الكافي ٢: ١١٦ / ١٨.
٥. الفقيه ٤: ٤٠٢ / ٥٨٦٥.
٦. الكافي ٢: ١١٦ / ١.
٧. الكافي ٢: ١١٧ / ٤.
٨. الكافي ٢: ١١٧ / ٥.

[١١٢٦] ٤. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «خالطوا الأبرار سرّاً، وخالطوا الفجّار جهراً، ولا تميلوا عليهم فيظلموكم، فإنّه سيأتي عليكم زمان لا ينجو فيه من ذوي الدين إلّا من ظنّوا أنه أبله. وصبّر نفسه على أن يقال إنه إبله لا عقل له»[١].

[١١٢٧] ٥. **الكافي: عنه** عليه السلام: «من كفّ يده عن الناس فإنّما يكفّ عنهم يداً واحدة ويكفّون عنه أيدي كثيرة»[٢].

[١١٢٨] ٦. **الكافي: عن الباقر** عليه السلام: «في التوراة مكتوب فيما ناجى الله به موسى: ياموسى، اكتم مكتوم سرّي في سريرتك، وأظهر في علانيتك المداراة عنّي لعدوّي وعدوّك من خلقي، ولا تستسب لي عندهم لإظهار مكتوم سرّي، فتشرك عدوّك وعدوّي في سبّي»[٣].

[١١٢٩] ٧. **الكافي: عنه** عليه السلام: «إنّ لكلّ شيء قفلاً، وقفل الإيمان الرفق»[٤].

◁ **بيان**

وذلك لأنّ من لم يرفق يعنف فيعنف عليه، فيغضب فيحمله الغضب على قول أو فعل به يخرج الإيمان من قلبه، فالرّفق قفل للإيمان يحفظه.

[١١٣٠] ٨. **الكافي: عنه** عليه السلام: «من قُسم له الرفق قُسم له الإيمان»[٥].

[١١٣١] ٩. **الكافي: عن الكاظم** عليه السلام **قال لرجل**: «أرفق فإنّ كفر أحدكم في غضبه، ولا خير فيمن كان كفره في غضبه»[٦].

[١١٣٢] ١٠. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «إنّ الله رفيق يحبّ الرّفق، فمن رفقه بعباده تسليله أضغانهم ومضادّته لهواهم وقلوبهم، ومن رفقه بهم أنّه يدعمهم على الأمر يريد

---

١. الكافي ٢: ١١٧ / ذيل ٥.
٢. الكافي ٢: ١١٧ / ذيل ٦.
٣. الكافي ٢: ١١٧ / ٣.
٤. الكافي ٢: ١١٨ / ١.
٥. الكافي ٢: ١١٨ / ٢.
٦. الكافي ٢: ١١٨ / ١٠.

إزالتهم عنه رفقاً بهم لكيلا يلقي عليهم عرىٰ الإيمان ومثاقلته جملة واحدة فيضعفوا، فإذا أراد ذلك نسخ الأمر بالآخر فصار منسوخاً»[١].

◁ **بيان**

«التسليل» انتزاع الشيء وإخراجه في رفق «والمضادة» منع الخصم عن الأمر برفق، أراد عليه السلام أنّ الله سبحانه إنّما كلّف عباده بالأوامر والنواهي متدرجاً لكيلا ينفروا، مثال ذلك تحريم الخمر في صدر الإسلام، كما يأتي بيانه في محلّه.

[١١٣٣] ١١. **الكافي: عن النبيّ** صلى الله عليه وآله: «الرفق، يمن والخرق شؤم»[٢].

[١١٣٤] ١٢. **الكافي: عنه** صلى الله عليه وآله: «إنّ الرفق لم يوضع علىٰ شيء إلّا زانه، ولا نزع من شيء إلّا شانه»[٣].

[١١٣٥] ١٣. **الكافي: عنه** صلى الله عليه وآله: «إنّ في الرفق الزيادة والبركة، ومن يحرم الرفق يحرم الخير»[٤].

وفي رواية: «ما زوي الرفق عن أهل بيت إلّا زوي عنهم الخير»[٥].

[١١٣٦] ١٤. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «أيّما أهل بيت أُعطوا حظّهم من الرفق فقد وسّع الله عليهم في الرزق، والرفق في تقدير المعيشة خير من السّعة في المال، والرفق لا يعجز عنه شيء، والتبذير لا يبقىٰ معه شيء، إنّ الله تعالىٰ رفيق يحبّ الرفق»[٦].

[١١٣٧] ١٥. **الكافي: عنه** عليه السلام: «من كان رفيقاً في أمره نال ما يريد من الناس»[٧].

[١١٣٨] ١٦. **الكافي: عن النبيّ** صلى الله عليه وآله: «لو كان الرفق خلقاً يُرىٰ ما كان ممّا خلق الله شيء

---

١. الكافي ٢: ١١٨ / ٣.
٢. الكافي ٢: ١١٩ / ٤.
٣. الكافي ٢: ١١٩ / ٦.
٤. الكافي ٢: ١١٩ / ٧.
٥. الكافي ٢: ١١٩ / ٨.
٦. الكافي ٢: ١١٩ / ٩.
٧. الكافي ٢: ١٢٠ / ١٦.

أحسن منه»[١].

[١١٣٩] ١٧. **الكافي، الفقيه: عنه** ﷺ: «ما اصطحب اثنان إلّا كان أعظمهما أجراً وأحبّهما إلىٰ الله أرفقهما بصاحبه»[٢].

◆ ◆ ◆

باب
التواضع

[١١٤٠] ١. **الكافي: عن الصادق** ﷺ: «إنّ في السّماء ملكين موكّلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه، ومن تكبّر وضعاه»[٣].

[١١٤١] ٢. **الكافي: عنه** ﷺ: «أفطر رسول الله ﷺ عشيّة خميس في مسجد قبا، فقال: هل من شراب؟ فأتاه أوس بن خولىٰ الأنصاري بعُسّ مخيض بعسل، فلمّا وضعه علىٰ فيه نحّاه، ثم قال: شرابان يكتفىٰ بأحدهما من صاحبه، لا أشربه ولا أُحرّمه ولكن أتواضع لله، فإنّه من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبّر خفضه الله، ومن اقتصد في معيشته رزقه الله، ومن بذّر حرمه الله، ومن أكثر ذكر الموت أحبّه الله» **قال وقال:** «ومن أكثر ذكر الله أظلّه الله في جنّته»[٤].

◁ **بيان**

«العُسّ» بالضمّ: القدح.

[١١٤٢] ٣. **الكافي: عن الباقر** ﷺ: «أتىٰ رسول الله ﷺ ملك فقال: إنّ الله يخيّرك أن تكون عبداً رسولاً متواضعاً، أو ملكاً رسولاً؟ قال: فنظر إلىٰ جبرئيل وأومأ بيده أن تواضع فقال: عبداً رسولاً، فقال الرسول: مع أنه لا ينقصك مما عند ربّك شيئاً، قال: ومعه

---

١. الكافي ٢: ١٢٠ / ١٣.
٢. الكافي ٢: ١٢٠ / ١٥؛ والفقيه ٢: ١٧٤ / ٢٧٨ / ٢٤٣٧.
٣. الكافي ٢: ١٢٢ / ٢.
٤. الكافي ٢: ١٢٢ / ٣ و ٤.

مفاتيح خزائن الأرض»[١].

[١١٤٣] ٤. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليه السلام أن: ياموسىٰ أتدري لما اصطفيتك بكلامي دون خلقي؟ قال: ياربّ ولم ذاك؟ قال: فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: ياموسىٰ، إنّي قلّبت عبادي ظهراً لبطن فلم أجد فيهم أحداً أذلّ نفساً لي منك ياموسىٰ، إنّك إذا صلّيت وضعت خدّك علىٰ التراب ـ أوقال ـ علىٰ الأرض»[٢].

[١١٤٤] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «أرسل النجاشي إلىٰ جعفر بن أبي طالب وأصحابه، فدخلوا عليه وهو في بيت له جالس علىٰ التراب، وعليه خلقان الثياب» قال: «فقال جعفر: فأشفقنا منه حين رأيناه علىٰ تلك الحال، فلمّا رأىٰ ما بنا وتغيّر وجوهنا، قال: الحمد لله الذي نصر محمّداً وأقرّ عينه، ألا أبشّركم؟ فقلت: بلىٰ أيّها الملك، فقال: إنّه جاءني الساعة من نحو أرضكم عين من عيوني هناك، فأخبرني أنّ الله تعالىٰ قد نصر نبيّه محمّداً وأهلك عدوّه وأسر فلان وفلان وفلان، التقوا بوادٍ يقال له بدر كثير الأراك، لكأنّي أنظر إليه حيث كنت أرعىٰ لسيدي هناك، وهو رجل من بني ضمرة.

فقال له جعفر: أيها الملك، فما لي أراك جالساً علىٰ التراب، وعليك هذه الخلقان؟ فقال: ياجعفر، إنّا نجد فيما أنزل الله علىٰ عيسىٰ عليه السلام أنّ من حقّ الله علىٰ عباده أن يحدثوا له تواضعاً عندما يحدث لهم من نعمة، فلمّا أحدث الله تعالىٰ لي نعمة محمّد أحدثت لله هذا التواضع، قال: فلمّا بلغ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لأصحابه: إنّ الصدقة تزيد صاحبها كثرة، فتصدّقوا يرحمكم الله، وإنّ التواضع يزيد صاحبه رفعة، فتواضعوا يرفعكم الله، إنّ العفو يزيد صاحبه عزّاً، فاعفوا يعزّكم الله»[٣].

[١١٤٥] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «مرّ علي بن الحسين عليه السلام علىٰ المجذومين وهو راكب حماره وهم يتغدّون، فدعوه إلىٰ الغداء، فقال: أما إنّي لولا أنّي صائم لفعلت، فلمّا صار إلىٰ منزله أمر بطعام فصنع، وأمر أن يتنوّقوا فيه، ثم دعاهم فتغدّوا عنده، وتغدّىٰ معهم»[٤].

---

١. الكافي ٢: ١٢٢ / ٥.
٢. الكافي ٢: ١٢٣ / ٧.
٣. الكافي ٢: ١٢١ / ١.
٤. الكافي ٢: ١٢٣ / ٨.

[١١٤٦] ٧. الكافي: رجل من أهل بلخ، قال: كنت مع الرضا عليه السلام في سفره إلىٰ خراسان، فدعا يوماً بمائدة له فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم، فقلت: جعلت فداك، لو عزلت لهؤلاء مائدة؟ فقال: «مه، إنّ الربّ تعالىٰ واحد، والدين واحد، والأم واحدة، والأب واحد، والجزاء بالأعمال»[١].

[١١٤٧] ٨. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من التواضع أن ترضىٰ بالمجلس، دون المجلس وأن تسلّم علىٰ من تلقىٰ، وأن تترك المراء وإن كنت محقّاً، ولا تحبّ أن تحمد علىٰ التقوىٰ»[٢].

[١١٤٨] ٩. الكافي: عنه عليه السلام: نظر إلىٰ رجل من أهل المدينة قد اشترىٰ لعياله شيئاً وهو يحمله، فلمّا رآه الرجل استحيىٰ منه، فقال له: «اشتريته لعيالك وحملته إليهم، أما والله لولا أهل المدينة لأحببت أن أشتري لعيالي الشيء ثمّ أحمله إليهم»[٣].

[١١٤٩] ١٠. الكافي: عن أبي الحسن عليه السلام: «التواضع أن تعطي الناس ما تحبّ أن تُعطاه»[٤].

وفي حديث آخر، قال: قلت: ما حدّ التواضع الذي إذا فعله العبد كان متواضعاً؟ فقال: «التواضع درجات، منها أن يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم، لا يحبّ أن يأتي إلىٰ أحد إلّا مثل ما يؤتىٰ إليه، إن رأىٰ سيّئة درأها بالحسنة، كاظم الغيظ، عافٍ عن الناس، والله يحبّ المحسنين»[٥].

❖ ❖ ❖

باب

الإنصاف والمواساة

[١١٥٠] ١. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «سيّد الأعمال إنصاف الناس من نفسك، ومواساة الأخ

---

١. الكافي ٨: ٢٣٠ / ٢٩٦.
٢. الكافي ٢: ١٢٢ / ٦.
٣. الكافي ٢: ١٢٣ / ١٠.
٤. الكافي ٢: ١٢٤ / ١٣.
٥. الكافي ٢: ١٢٤ / ذيل ١٣.

في الله، وذكر الله علىٰ كلّ حال»[١].

◁ **بيان**

المواساة ـ بالهمزة ـ بين الإخوان: عبارة عن إعطاء النصرة بالنفس والمال وغيرهما في كلّ ما يحتاج إلىٰ النصرة فيه.

[١١٥١] ٢. الكافي: عنه ﷺ قال في آخر خطبته: «طوبىٰ لمن طاب خلقه، وطهرت سجيّته، وصلحت سريرته، وحسنت علانيته، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، وأنصف الناس من نفسه»[٢].

[١١٥٢] ٣. الكافي: عنه ﷺ: «من واسىٰ الفقير من ماله، وأنصف الناس من نفسه، فذلك المؤمن حقّاً»[٣].

[١١٥٣] ٤. الكافي: عن أمير المؤمنين ﷺ في كلام له: «ألا إنّه من ينصف الناس من نفسه لم يزده الله إلّا عزّاً»[٤].

[١١٥٤] ٥. الكافي: عن الصادق ﷺ: «سيّد الأعمال ثلاثة: إنصاف الناس من نفسك حتىٰ لا ترضىٰ بشيء إلّا رضيت لهم بمثله، ومواساتك الأخ في المال، وذكر الله علىٰ كلّ حال، ليس: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا لله والله أكبر فقط، ولكن إذا ورد عليك شيء أمر الله تعالىٰ به أخذت به، وإذا ورد عليك شيء نهىٰ الله عنه تركته»[٥].

وفي رواية: «ما ابتلىٰ المؤمن بشيء أشدّ عليه من خصال ثلاث يحرمها» ثم ذكر هذه الخصال[٦].

[١١٥٥] ٦. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «ثلاث خصال من كنّ ـ فيه أو واحدة منهنّ ـ كان في ظلّ

---

١. الكافي ٢: ١٤٤ / ٣.
٢. الكافي ٢: ١٤٤ / ١.
٣. الكافي ٢: ١٤٧ / ١٧.
٤. الكافي ٢: ١٤٤ / ٤.
٥. الكافي ٢: ١٤٤ / ٣.
٦. الكافي ٢: ١٤٥ / ٩.

عرش الله يوم لا ظلّ إلّا ظلّه: رجل أعطىٰ الناس من نفسه ما هو سائلهم، ورجل لم يقدّم رجلاً ولم يؤخّر رجلاً حتىٰ يعلم أنّ ذلك لله رضاً، ورجل لم يعب أخاه المسلم بعيب حتىٰ ينفي ذلك العيب عن نفسه، فإنّه لا ينفي منها عيباً إلّا بدا له عيب، وكفىٰ بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس»[١].

[١١٥٦] ٧. **الكافي: عن الصادق عليه السلام:** «من يضمن لي أربعة بأربعة أبيات في الجنّة: أنفق ولا تخف فقراً، وأفش السلام في العالم، واترك المراء وإن كنت محقّاً، وأنصف الناس من نفسك»[٢].

[١١٥٧] ٨. **الكافي: جاء أعرابيّ إلىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله وهو يريد بعض غزواته، فأخذ بغرز راحلته فقال: يا رسول الله، علّمني عملاً أدخل به الجنّة، فقال:** «ما أحببت أن يأتيه النّاس إليك فأته إليهم، وما كرهت أن يأتيه الناس إليك فلا تأته إليهم، خلّ سبيل الراحلة»[٣].

◁ **بيان**

«الغرز» بالمهملة بين المعجمتين: الركاب من الجلد.

[١١٥٨] ٩. **الكافي: عن الصادق عليه السلام:** «من أنصف الناس من نفسه رضي به حكماً لغيره»[٤].

[١١٥٩] ١٠. **الكافي: عنه عليه السلام:** «ما تدارأ اثنان في أمرٍ قطّ، فأعطىٰ أحدهما النصف صاحبه فلم يقبل منه، إلّا أُديل منه»[٥].

◁ **بيان**

التدارؤ: التدافع وزناً ومعنىً، **والإدالة:** الغلبة.

❖ ❖ ❖

---

١. الكافي ٢: ١٤٧ / ١٦.
٢. الكافي ٢: ١٤٤ / ٢.
٣. الكافي ٢: ١٤٦ / ١٠.
٤. الكافي ٢: ١٤٦ / ١٢.
٥. الكافي ٢: ١٤٧ / ١٨.

باب
العدل

[١١٦٠] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «ثلاثة هم أقرب الخلق إلىٰ الله يوم القيامة حتىٰ يفرغ من الحساب: رجل لم تدعه قدرته في حال غضبه إلىٰ أن يحيف علىٰ من تحت يده، ورجل مشىٰ بين اثنين فلم يمل مع أحدهما علىٰ الآخر بشعيرة، ورجل قال بالحقّ فيما له وعليه»[١].

[١١٦١] ٢. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّ لله جنّة لا يدخلها إلّا ثلاثة: أحدهم من حكم في نفسه بالحق»[٢].

[١١٦٢] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «اتّقوا الله واعدلوا، فإنّكم تعيبون علىٰ قوم لا يعدلون»[٣].

[١١٦٣] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «العدل أحلىٰ من الشهد، وأليَن من الزبد، وأطيب ريحاً من المسك»[٤].

وفي رواية: «العدل أحلىٰ من الماء يصيبه الظمآن»[٥].

❖ ❖ ❖

باب
الحبّ في الله، والبغض في الله

[١١٦٤] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من أحبّ لله، وأبغض لله، وأعطىٰ لله، فهو ممّن كمل إيمانه»[٦].

---

١. الكافي ٢: ١٤٥ / ٥.
٢. الكافي ٢: ١٤٨ / ١٩.
٣. الكافي ٢: ١٤٧ / ١٤.
٤. الكافي ٢: ١٤٧ / ١٥.
٥. الكافي ٢: ٦٦/ ١٤٦ / ١١.
٦. الكافي ٢: ١٢٤ / ١.

[١١٦٥] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «من أوثق عرىٰ الإيمان أن تحبّ في الله، وتبغض في الله، وتعطي في الله، وتمنع في الله»[١].

وفي رواية: «وتوالي أولياء الله، والتبرّي من أعداء الله»[٢].

[١١٦٦] ٣. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «ودّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان، ألا ومن أحبّ في الله، وأبغض في الله، وأعطىٰ في الله، ومنع في الله، فهو من أصفياء الله»[٣].

[١١٦٧] ٤. الكافي: عن الصادق عليه السلام سئل عن الحبّ والبغض، أمن الإيمان هو؟ فقال: «وهل الإيمان إلّا الحبّ والبغض» ثم تلا هذه الآية: ﴿حبّب إليكم الإيمان وزيّنه في قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون﴾[٤].

[١١٦٨] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ المتحابّين في الله يوم القيامة علىٰ منابر من نور، قد أضاء نور وجوههم، ونور أجسادهم، ونور منابرهم كلّ شيء حتىٰ يعرفوا به، فيقال: هؤلاء المتحابّون في الله»[٥].

[١١٦٩] ٦. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «المتحابّون في الله يوم القيامة علىٰ أرض زبرجدة خضراء في ظلّ عرشه عن يمينه ـ وكلتا يديه يمين ـ وجوههم أشدّ بياضاً وأضوء من الشمس الطالعة، يغبطهم بمنزلتهم كلّ ملك مقرّب وكلّ نبيّ مرسل، يقول الناس: من هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء المتحابّون في الله»[٦].

[١١٧٠] ٧. الكافي: عن السجّاد عليه السلام: «إذا جمع الله تعالىٰ الأوّلين والآخرين، قام منادٍ فنادىٰ يسمع الناس فيقول: أين المتحابّون في الله؟» قال: «فيقوم عنق من النّاس فيقال لهم: اذهبوا إلىٰ الجنّة بغير حساب» قال: «فتلقاهم الملائكة فيقولون: إلىٰ أين؟ فيقولون: إلىٰ الجنة بغير حساب» قال: «فيقولون: فأي حزب أنتم من الناس؟ فيقولون: نحن

---

١. الكافي ٢: ١٢٥ / ٢.
٢. الكافي ٢: ١٢٥ / ٦.
٣. الكافي ٢: ١٢٥ / ٣.
٤. الكافي ٢: ١٢٥ / ٥؛ والآية من سورة الحجرات (٤٩): ٧.
٥. الكافي ٢: ١٢٥ / ٤.
٦. الكافي ٢: ١٢٦ / ٧.

المتحابّون في الله» قال: «فيقولون: وأي شيء كانت أعمالكم؟ قالوا: كنّا نحبّ في الله ونبغض في الله» قال: «فيقولون: نعم أجر العاملين»[١].

[١١٧١] ٨. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «إنّ الرجل ليحبّكم وما يعرف ما أنتم عليه، فيدخله الله الجنة بحبّكم، وإنّ الرجل ليبغضكم وما يعرف ما أنتم عليه، فيدخله الله ببغضكم النار»[٢].

وفي رواية: «ليحبّكم وما يدري ما تقولون»[٣].

وفي أخرىٰ: «وإن لم يقل كما تقولون»[٤].

◁ **بيان**

يعني ما يعرف وما يدري اعتقادكم وتشيّعكم ولم يعتقد ما تعتقدون، وإنّما يحبّكم علىٰ صلاحكم وورعكم.

[١١٧٢] ٩. **الكافي: عن الباقر** عليه السلام: «إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر إلىٰ قلبك، فإن كان يحبّ أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففيك خير، والله يحبّك، وإذا كان يبغض أهل طاعة الله ويحبّ أهل معصيته فليس فيك خير، والله يبغضك، والمرء مع من أحبّ»[٥].

[١١٧٣] ١٠. **الكافي: عنه** عليه السلام: «لو أنّ رجلاً أحبّ رجلاً لله، لأثابه الله علىٰ حبّه إيّاه، وإن كان المحبوب في علم الله من أهل النار، ولو أنّ رجلاً يبغض لله لأثابه الله علىٰ بغضه إيّاه، وإن كان المبغض في علم الله من أهل الجنّة»[٦].

[١١٧٤] ١١. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «ما التقىٰ مؤمنان قطّ إلّا كان أفضلهما أشدّهما حبّاً لأخيه»[٧].

---

١. الكافي ٢: ١٢٦ / ٨.
٢. الكافي ٢: ١٢٦ / ١٠.
٣. الكافي ٨: ٣١٥ / ٤٩٥.
٤. الكافي ٨: ٢٥٦ / ٣٦٧، التهذيب ١: ٤٦٨ / ١٨١.
٥. الكافي ٢: ١٢٦ / ١١.
٦. الكافي ٢: ١٢٧ / ١٢.
٧. الكافي ٢: ١٢٧ / ١٥.

[١١٧٥] ١٢. الكافي: عنه ﷺ: «كلّ من لم يحبّ علىٰ الدّين، ولم يبغض علىٰ الدين، فلا دين له»[١].

[١١٧٦] ١٣. الكافي: عنه ﷺ: «قد يكون حبّ في الله ورسوله وحبّ في الدنيا، فما كان في الله ورسوله فثوابه علىٰ الله، وما كان في الدنيا فليس بشيء»[٢].

■

١. الكافي ٢: ١٢٧ / ١٦.
٢. الكافي ٢: ١٢٧ / ١٣.

أبواب الرذائل ولواحقها

باب

جوامع الرذائل وعلاماتها

[١١٧٧] ١. **الكافي: عن النبيّ** ﷺ: «من علامات الشّقاء جمود العين، وقسوة القلب، وشدّة الحرص في طلب الدنيا، والإصرار علىٰ الذنب»[١].

[١١٧٨] ٢. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «إذا خلق الله تعالىٰ العبد في أصل الخلق كافراً، لم يمت حتىٰ يحبب الله إليه الشرّ فيقرب منه، فابتلاه بالكبر والجبروت فقسا قلبه وساء خلقه وغلظ وجهه وظهر فحشه وقلّ حياؤه وكشف الله ستره وركب المحارم ولم ينزع عنها، ثم ركب معاصي الله وأبغض طاعته ووثب علىٰ الناس، لا يشبع من الخصومات، فسلوا الله العافية واطلبوها منه»[٢].

[١١٧٩] ٣. **الكافي: قال سلمان**: «إذا أراد الله هلاك عبد نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلّا خائناً مخوناً، فإذا كان خائناً مخوناً نزعت منه الأمانة، فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلّا فظّاً غليظاً، فإذا كان فظّاً غليظاً نزعت منه ربقة الإيمان، فإذا نزعت منه ربقة الإيمان لم تلقه إلّا شيطاناً ملعوناً»[٣].

◁ **بيان**

«مخوناً» علىٰ البناء للفاعل والمفعول: من خوّنه تخويناً، إذا نسبه إلىٰ الخيانة.

---

١. الكافي ٢: ٢٩٠ / ٦.
٢. الكافي ٢: ٣٣٠ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٢٩١ / ١٠.

[١١٨٠] ٤. الكافي: فيما ناجىٰ الله به موسىٰ: «يا موسىٰ لا تطوّل في الدنيا أملك فيقسو قلبك، والقاسي القلب منّي بعيد»[١].

[١١٨١] ٥. الفقيه: قال الصادق عليه السلام: «من لم يبال ما قال وما قيل فيه فهو شرك شيطان، ومن لم يبال أن يراه الناس مسيئاً فهو شرك شيطان، ومن اغتاب أخاه المسلم من غير ترة بينهما فهو شرك شيطان، ومن شغف بمحبّة الحرام وشهوة الزنا فهو شرك شيطان».

ثم قال عليه السلام: «لولد الزنا علامات أحدها: بغضنا أهل البيت، وثانيها: أن يحنّ إلىٰ الحرام الذي خلق منه، وثالثها: الاستخفاف بالدّين، ورابعها: سوء المحضر للنّاس، ولا يسيئ محضر إخوانه إلّا من ولد علىٰ غير فراش أبيه، أو من حملت به أُمه في حيضها»[٢].

❖ ❖ ❖

باب
طلب الرئاسة

[١١٨٢] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من أراد الرئاسة هلك»[٣].

[١١٨٣] ٢. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «ما ذئبان ضاريان في غنم ليس لها راع ـ هذا في أوّلها، وهذا في آخرها ـ بأسرع فيها من حبّ الدنيا، والشرف في دين المؤمن»[٤].

[١١٨٤] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إيّاكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون، فوالله ما خفقت النعال خلف رجل إلّا هلك وأهلك»[٥].

[١١٨٥] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «ملعون من ترأّس، ملعون من همّ بها، ملعون من حدّث

---

١. الكافي ٢: ٣٢٩ / ١.
٢. الفقيه ٤: ٤١٧ / ٥٩٠٩.
٣. الكافي ٢: ٢٩٧ / ٢.
٤. الكافي ٢: ٢٩٧ / ١.
٥. الكافي ٢: ٢٩٧ / ٣.

بها نفسه»[١].

[١١٨٦] ٥. **الكافي: عنه** ﷺ: «إيّاك والرئاسة، وإيّاك أن تطأ أعقاب الرجال».

قيل: أمّا الرئاسة فقد عرفتها، وأمّا أن أطأ أعقاب الرجال، فما ثلثا ما في يدي إلّا ممّا وطئت أعقاب الرجال، فقال: «ليس حيث تذهب، إيّاك أن تنصب رجلاً دون الحجّة، فتصدّقه في كل ما قال»[٢].

◁ **بيان**

وطء العقب: كناية عن الاتّباع في الفعال وتصديق المقال، واكتفىٰ في تفسيره بأحدهما لاستلزامه الآخر غالباً.

[١١٨٧] ٦. **الكافي: عنه** ﷺ: «أتراني لا أعرف خياركم من شراركم؟ بلىٰ والله، وإنّ شراركم من أحبّ أن يوطأ عقبه، إنّه لابدّ من كذّاب أو عاجز الرأي»[٣].

◁ **بيان**

آخر الحديث يحتمل معنيين: أحدهما: إنّ من أحبّ أن يوطأ عقبه لابدّ أن يكون كذّاباً أو عاجز الرأي، لأنّه لايعلم جميع مايسأل عنه، فإن أجاب عن كلّ مايسأل عنه فلابدّ من الكذب، وإن لم يجب عمّا لا يعلم فهو عاجز الرأي، والثاني: إنّه لابدّ في الأرض من كذّاب يطلب الرئاسة، ومن عاجز الرأي يتبعه.

❖ ❖ ❖

باب
طلب الدنيا بالدّين

[١١٨٨] ١. **الفقيه: عن الصادق** ﷺ: «كان رجل في الزمن الأول طلب الدنيا من حلال فلم يقدر عليها، وطلبها من حرام فلم يقدر عليها، فأتاه الشيطان فقال له: ياهذا، إنّك قد

---

١. الكافي ٢: ٢٩٨ / ٤.
٢. الكافي ٢: ٢٩٨ / ٥.
٣. الكافي ٢: ٢٩٩ / ٨.

طلبت الدنيا من حلال فلم تقدر عليها، وطلبتها من حرام فلم تقدر عليها، أفلا أدلّك علىٰ شيء تكثر به دنياك وتكثر به تبعتك؟ فقال: بلىٰ، فقال: تبتدع ديناً وتدعو إليه الناس، ففعل، فاستجاب له النّاس فأطاعوه، فأصاب من الدّنيا، ثم إنّه فكّر، فقال: ما صنعت، ابتدعت ديناً ودعوت الناس إليه، وما أرىٰ لي توبة إلّا أن آتي من دعوته فأردّه عنه، فجعل يأتي أصحابه الذين أجابوه، فيقول: إنّ الذي دعوتكم إليه باطل، وإنّما ابتدعته، فجعلوا يقولون: كذبت، هو الحقّ، ولكنّك شككت في دينك فرجعت عنه، فلمّا رأىٰ ذلك عمد إلىٰ سلسلة فوتّد لها وتداً، ثم جعلها في عنقه، وقال: لا أحلّها حتىٰ يتوب الله عليّ، فأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ نبيّ من الأنبياء، قل لفلان: وعزّتي وجلالي لو دعوتني حتىٰ تنقطع أوصالك ما استجبت لك حتىٰ تردّ من مات علىٰ ما دعوته فيرجع عنه»[1].

[١١٨٩] ٢. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «إنّ الله تعالىٰ يقول: ويل للذين يختلون الدنيا بالدّين، وويل للذين يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وويل للذين يسير المؤمن فيهم بالتقيّة، أبي يغترون أم عليّ يجترون؟! فبي حلفت لأُتيحنّ لهم فتنة تترك الحليم منهم حيراناً»[2].

◁ بيان

«يختلون» أي يطلبون، والإتاحة: التقدير والانزال.

❖ ❖ ❖

باب

وصف العدل والعمل بغيره

[١١٩٠] ١. الكافي: عن الصادق ﷺ: «إنّ من أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم خالفه إلىٰ غيره»[3].

---

١. الفقيه ٣: ٥٧٢ / ٤٩٥٨.
٢. الكافي ٢: ٢٩٩ / ١.
٣. الكافي ٢: ٣٠٠ / ٣.

وفي رواية: «من أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة من وصف عدلاً وعمل بغيره»[١].

[١١٩١] ٢. الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: «قال أبي يوماً وعنده أصحابه: من منكم[٢] تطيب نفسه أن يأخذ جمرة في كفّه فيمسكها حتىٰ تطفأ؟ قال: فكاع النّاس كلّهم ونكلوا، فقمت وقلت: ياأبه، أتأمر أن أفعل؟ فقال: ليس إيّاك عنيت، إنّما أنت منّي وأنا منك، بل إيّاهم أردت، قال: وكرّرها ثلاثاً، ثم قال: ما أكثر الوصف وأقلّ الفعل، إنّ أهل الفعل قليل إنّ أهل الفعل قليل، ألا وإنّا لنعرف أهل الفعل والوصف معاً، وما كان هذا منّا تعامياً عليكم، بل لنبلو أخباركم ونكتب آثاركم، فقال: والله لكأنّما مادت بهم الأرض حياء ممّا قال حتىٰ أنّي لأنظر إلىٰ الرجل منهم يرفض عرقاً لا يرفع عينيه من الأرض، فلمّا رأىٰ ذلك منهم، قال: رحمكم الله فما أردت إلّا خيراً، إنّ الجنّة درجات فدرجة أهل الفعل لا يدركها أحد من أهل القول، ودرجة أهل القول لا يدركها غيرهم قال: فوالله لكأنّما نشطوا من عقال»[٣].

◁ **بيان**

«كاع الناس» هابو أو جبنوا «ونكلوا» ضعفوا «نشطوا من عقال» انحلّوا من قيد.

[١١٩٢] ٣. الكافي: عن الكاظم عليه السلام: «لو ميّزت شيعتي ما وجدتهم إلّا واصفة، ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلّا مرتدّين، ولو تمحّصتهم لما خلص من الألف واحد، ولو غربلتهم غربلة لم يبق منهم إلّا ما كان لي، إنهم طالما اتّكوا علىٰ الأرائك، فقالوا: نحن شيعة عليّ، إنّما شيعة عليّ عليه السلام من صدَّق قوله فعله»[٤].

[١١٩٣] ٤. الكافي: عن الصادق عليه السلام أنّ أباه قال: «يابنيّ، إنّك إن خالفتني في العمل لم تنزل معي غداً في المنزل، ثم قال: أبىٰ الله تعالىٰ أن يتولّىٰ قوم قوماً يخالفونهم في أعمالهم ينزلون معهم يوم القيامة، كلّا وربّ الكعبة»[٥].

---

١. الكافي ٢: ٣٠٠ / ٢.
٢. في نسخة: فيكم.
٣. الكافي ٨: ٢٢٧ / ٢٨٩.
٤. الكافي ٨: ٢٢٨ / ٢٩٠.
٥. الكافي ٨: ٢٥٤ / ٣٥٨.

باب
الرياء

[١١٩٤] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام أنّه قال لعبّاد بن كثير البصري في المسجد: «ويلك ياعبّاد، إيّاك والرّياء، فإنّه من عمل لغير الله وكله الله إلىٰ من عمل له»[١].

[١١٩٥] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «كلّ رياء شرك، إنّه من عمل للنّاس كان ثوابه علىٰ الناس، ومن عمل لله كان ثوابه علىٰ الله»[٢].

[١١٩٦] ٣. الكافي: عنه عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً﴾[٣] قال: «الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله، إنّما يطلب تزكية الناس، يشتهي أن يسمع به الناس، فهذا الذي أشرك بعبادة ربه، ثم قال: ما من عبد أسرّ خيراً فذهبت الأيام أبداً حتىٰ يظهر الله له خيراً، وما من عبد يسرّ شرّاً فذهبت الأيام حتىٰ يظهر الله له شرّاً»[٤].

[١١٩٧] ٤. الكافي: عنه عليه السلام إنّه تلا هذه الآية: ﴿بل الإنسان علىٰ نفسه بصيرة ولو ألقىٰ معاذيره﴾[٥] فقال: «ما يصنع الإنسان أن يعتذر إلىٰ الناس بخلاف ما يعلم الله تعالىٰ منه؟! إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: من أسرّ سريرة ألبسه الله رداها، إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشرّ»[٦].

[١١٩٨] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «ما يصنع أحدكم أن يظهر حسناً ويسرّ سيّئاً، أليس يرجع إلىٰ نفسه فيعلم أنّ ذلك ليس كذلك، والله تعالىٰ يقول: ﴿بل الإنسان علىٰ نفسه بصيرة﴾ إنّ السريرة إذا صحّت قويت العلانية»[٧].

---

١. الكافي ٢: ٢٩٣ / ١.
٢. الكافي ٢: ٢٩٣ / ٣.
٣. الكهف (١٨): ١١٠.
٤. الكافي ٢: ٢٩٣ / ٤.
٥. القيامة ٧٥: ١٤.
٦. الكافي ٢: ٢٩٦ / ١٥.
٧. الكافي ٢: ٢٩٥ / ١١.

[١١٩٩] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «من أراد الله بالقليل من عمله أظهر الله له أكثر ممّا أراد، ومن أراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله أبىٰ الله إلّا أن يقلّله في عين من سمعه»[١].

[١٢٠٠] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «قال الله: أنا خير شريك، من أشرك معي غيري في عمل عمله لم أقبله، إلّا ما كان لي خالصاً»[٢].

[١٢٠١] ٨. الكافي: عنه عليه السلام: «من أظهر الناس ما يحبّ الله، وبارز الله بما كرهه، لقي الله وهو ماقت له»[٣].

[١٢٠٢] ٩. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «سيأتي علىٰ الناس زمان تخبث فيه سرائرهم، وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا، لا يريدون به ما عند ربّهم، يكون دينهم رياءً، لا يخالطهم خوف، يعمّهم الله العقاب، فيدعونه دعاء الغريق، فلا يستجيب لهم»[٤].

[١٢٠٣] ١٠. الكافي: عنه صلى الله عليه وآله: «إنّ الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به، فإذا صعد بحسناته يقول الله تعالىٰ: اجعلوها في سجّين، إنّه ليس إيّاي أراد بها»[٥].

[١٢٠٤] ١١. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ثلاث علامات للمرائي: ينشط إذا رأىٰ الناس، ويكسل إذا كان وحده، ويحبّ أن يحمد في جميع أُموره»[٦].

[١٢٠٥] ١٢. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «الإبقاء علىٰ العمل أشدّ من العمل»، قيل: وما الإبقاء علىٰ العمل؟ قال: «يصل الرجل بصلة وينفق نفقة لله وحده لا شريك له فتكتب له سرّاً، ثم يذكرها فتمحىٰ، فتكتب له علانية، ثم يذكرها فتمحىٰ وتكتب له رياء»[٧].

[١٢٠٦] ١٣. الكافي: عنه عليه السلام سئل عن الرّجل يعمل الشيء من الخير فيراه إنسان فيسرّه

---

١. الكافي ٢: ٢٩٦ / ١٣.
٢. الكافي ٢: ٢٩٥ / ٩.
٣. الكافي ٢: ٢٩٥ / ١٠.
٤. الكافي ٢: ٢٩٦ / ١٤.
٥. الكافي ٢: ٢٩٤ / ٧.
٦. الكافي ٢: ٢٩٥ / ٨.
٧. الكافي ٢: ٢٩٦ / ١٦.

ذلك؟ فقال: «لا بأس، ما من أحد إلّا وهو يحبّ أن يظهر الله له في الناس الخير، إذا لم يكن صنع ذلك لذلك»[١].

[١٢٠٧] ١٤. **الفقيه: عنه عليه السلام:** «من كان ظاهره أرجح من باطنه خفّ ميزانه»[٢].

◆ ◆ ◆

باب
الحسد

[١٢٠٨] ١. **الكافي: عن الباقر عليه السلام:** «إنّ الرجل ليأتي بأيّ بادرة فيكفر، وإنّ الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب»[٣].

◁ **بيان**

البادرة: ما يبدو من الحدّة في الغضب من قول أو فعل.

[١٢٠٩] ٢. **الكافي: عن الصادق عليه السلام:** «آفة الدين الحسد والعجب والفخر»[٤].

[١٢١٠] ٣. **الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله:** «كاد الفقر أن يكون كفراً، وكاد الحسد أن يغلب القدر»[٥].

◁ **بيان**

لعلّ المراد بغلبة القدر منعه ما قدّر للحاسد أو المحسود من الخير.

[١٢١١] ٤. **الكافي: عنه صلى الله عليه وآله:** «قال الله تعالىٰ لموسىٰ بن عمران: يابن عمران، لا تحسدنّ الناس علىٰ ما آتيتهم من فضلي، ولا تمدّن عينيك إلىٰ ذلك، ولا تتبعه نفسك، فإنّ الحاسد ساخط لنعمي، صادّ لقسمي الذي قسمت بين عبادي، ومن يك كذلك فلست منه وليس مني»[٦].

---

١. الكافي ٢: ٢٩٧ / ١٨.
٢. الفقيه ٤: ٤٠٤ / ٥٨٧٠.
٣. الكافي ٢: ٣٠٦ / ١.
٤. الكافي ٢: ٣٠٦ / ٥.
٥. الكافي ٢: ٣٠٦ / ٤.
٦. الكافي ٢: ٣٠٦ / ٦.

[١٢١٢] ٥. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «اتّقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً، إنّ عيسىٰ ابن مريم كان من شرائعه السّيح في البلاد، فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير، وكان كثير اللزوم لعيسىٰ عليه السلام، فلمّا انتهوا عيسىٰ إلىٰ البحر، فقال: بسم الله، بصحّة يقين منه، فمشىٰ علىٰ ظهر الماء، فقال الرجل القصير حين نظر إلىٰ عيسىٰ جازه بسم الله، بصحّة يقين منه، فمشىٰ علىٰ الماء، ولحق بعيسىٰ، فدخله العجب بنفسه، فقال: هذا عيسىٰ روح الله يمشي علىٰ الماء، وأنا أمشي علىٰ الماء، فما فضله عليّ؟ قال: فرمس في الماء، فاستغاث بعيسىٰ، فتناوله من الماء فأخرجه، ثم قال له: ما قلت ياقصير؟ قال: قلت هذا روح الله يمشي علىٰ الماء وأنا أمشي، فدخلني من ذلك عجب، فقال له عيسىٰ: وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه، فمقتك الله علىٰ ما قلت، فتب إلىٰ الله ممّا قلت، قال: فتاب الرجل وعاد إلىٰ مرتبته التي وضعه الله فيها، فاتّقوا الله ولا يحسدنّ بعضكم بعضاً»[١].

[١٢١٣] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط»[٢].

◁ بيان

الفرق بين الحسد والاغتباط: أنّ الحاسد يريد زوال النعمة عن المحسود، والمغتبط إنما يريد لنفسه مثلها من دون أن تزول عن المحسود.

◆ ◆ ◆

باب
الغضب

[١٢١٤] ١. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخلّ العسل»[٣].

[١٢١٥] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «الغضب مفتاح كلّ شر»[٤].

---

١. الكافي ٢: ٣٠٦/٣.
٢. الكافي ٢: ٣٠٧/٧.
٣. الكافي ٢: ٣٠٢/١.
٤. الكافي ٢: ٣٠٣/٣.

[١٢١٦] ٣. الكافي: عنه عليه السلام قيل له: علّمني عظة أتعظ بها، فقال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أتاه رجل، فقال: يارسول الله علّمني عظة أتعّظ بها، فقال له: انطلق فلا تغضب، ثم عاد إليه، فقال له: انطلق فلا تغضب، ثلاث مرات»[١].

[١٢١٧] ٤. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «أيّ شيء أشدّ من الغضب؟، إنّ الرجل يغضب فيقتل النفس التي حرّم الله ويقذف المحصنة»[٢].

[١٢١٨] ٥. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من كفّ غضبه ستر الله عورته»[٣].

◁ بيان

وذلك لأنّ عند الغضب تبدو المساوئ وتظهر العيوب.

[١٢١٩] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ في التوراة مكتوباً: ابن آدم، اذكرني حين تغضب أذكرك عند غضبي، ولا أمحقك فيمن أمحق، وإذا ظلمت بمظلمة فارض بانتصاري لك، فانّ إنتصاري لك خير من انتصارك لنفسك»[٤].

[١٢٢٠] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «الغضب ممحقة لقلب الحكيم» وقال: «من لم يملك غضبه لم يملك عقله»[٥].

[١٢٢١] ٨. الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: «من كفّ غضبه عن الناس، كفّ الله تعالىٰ عنه عذاب يوم القيامة»[٦].

[١٢٢٢] ٩. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ هذا الغضب جمرة من الشيطان يوقد في قلب ابن آدم، وإنّ أحدكم إذا غضب احمرّت عيناه، وانتفخت أوداجه، ودخل الشيطان فيه، فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض، فإنّ رجز الشيطان يذهب عنه عند ذلك»[٧].

---

١. الكافي ٢: ٣٠٣/ ٥.
٢. الكافي ٢: ٣٠٣/ ٤.
٣. الكافي ٢: ١٢١/ ٣٠٣/ ٦.
٤. الكافي ٢: ٣٠٤/ ١٠.
٥. الكافي ٢: ٣٠٥/ ١٣.
٦. الكافي ٢: ٣٠٥/ ١٥.
٧. الكافي ٢: ٣٠٤/ ١٢.

[١٢٢٣] ١٠. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الرجل ليغضب فما يرضىٰ أبداً حتىٰ يدخل النار، فأيّما رجل غضب علىٰ قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك، فإنّه سيذهب عنه رجز الشيطان، وأيّما رجل غضب علىٰ ذي رحم فليدنو منه فليمسّه، فإنّ الرحم إذا مسّت سكنت»[١].

❖ ❖ ❖

باب
العصبيّة

[١٢٢٤] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من تعصّب أو تعصّب له فقد خلع ربق الإيمان من عنقه»[٢].

[١٢٢٥] ٢. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «من كان في قلبه حبّة من خردل من عصبيّة، بعثه الله تعالىٰ يوم القيامة مع أعراب الجاهلية»[٣].

[١٢٢٦] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من تعصّب عصبه الله تعالىٰ بعصابة من نار»[٤].

[١٢٢٧] ٤. الكافي: سئل السجّاد عليه السلام عن العصبيّة، فقال: «العصبيّة التي يأثم عليها صاحبها أن يرىٰ الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبيّة أن يحبّ الرجل قومه، ولكن من العصبيّة أن يعين قومه علىٰ الظلم»[٥].

[١٢٢٨] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «لم يدخل الجنة حميّة غير حميّة حمزة بن عبدالمطّلب ـ وذلك حين أسلم ـ غضباً للنبيّ صلى الله عليه وآله، في حديث السّلا الذي أُلقي علىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله»[٦].

---

١. الكافي ٢: ٣٠٢ / ٢.
٢. الكافي ٢: ٣٠٨ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٣٠٨ / ٣.
٤. الكافي ٢: ٣٠٨ / ٤.
٥. الكافي ٢: ٣٠٨ / ٧.
٦. الكافي ٢: ٣٠٨ / ٥.

◁ **بيان**

السّلا: الجلدة التي فيها الولد، ألقاها المشركون لعنهم الله على رأسه ﷺ حين وجدوه في السجود، فأخذت حمزة الحميّة فأسلم.

[١٢٢٩] ٦. **الكافي: قال أمير المؤمنين** ﷺ: «إنّ الله يعذّب الستّة بالستّة: العرب بالعصبيّة، والدّهاقين بالكبر، والأُمراء بالجور، والفقهاء بالحسد، والتجّار بالخيانة، وأهل الرساتيق بالجهل»[١].

◁ **بيان**

وذلك لأنّ هذه الأخلاق إنّما توجد في الأغلب في هذه الأقوام.

❖ ❖ ❖

باب
الكبر

[١٢٣٠] ١. **الكافي: عن الصادق** ﷺ: «الكبر رداء الله، فمن نازع الله تعالىٰ رداءه لم يزده الله إلّا سفالاً، إنّ رسول الله ﷺ مرّ في بعض طرق المدينة وسوداء تلقط السرقين فقيل لها: تنحّي عن طريق رسول الله ﷺ، فقالت: إنّ الطريق لمعرض، فهمّ بها بعض القوم أن يتناولها، فقال رسول الله ﷺ: دعوها فإنّها جبّارة»[٢].

[١٢٣١] ٢. **الكافي: عنه** ﷺ **سئل عن أدنىٰ الإلحاد، قال**: «إنّ الكبر أدناه»[٣].

[١٢٣٢] ٣. **الكافي: عنه** ﷺ: «إنّ في جهنم لواديا للمتكبّرين يقال له سقر، شكا إلىٰ الله شدّة حرّه، وسأله أن يأذن له أن يتنفس، فتنفس فأحرق جهنّم»[٤].

[١٢٣٣] ٤. **الكافي: عنه** ﷺ: «إنّ المتكبّرين يجعلون في صور الذّر يتوطأهم الناس حتىٰ

---

١. الكافي ٨: ١٦٢ / ١٧٠.
٢. الكافي ٢: ٣٠٩ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٣٠٩ / ١.
٤. الكافي ٢: ٣١٠ / ١٠.

يفرغ الله من الحساب»[١].

[١٢٣٤] ٥. الكافي: عن أحدهما عليه السلام: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من الكبر». قيل: فاسترجعت، فقال: «ما لك تسترجع؟» قلت: لما سمعت منك، فقال: «ليس حيث تذهب، إنّما أعني الجحود، إنّما هو الجحود»[٢].

[١٢٣٥] ٦. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ أعظم الكبر غمص الخلق وسفه الحقّ»، قيل للصادق عليه السلام: ما غمص الخلق وسفه الحق؟ قال: «يجهل الحقّ ويطعن علىٰ أهله، فمن فعل ذلك فقد نازع الله تعالىٰ رداءه»[٣].

[١٢٣٦] ٧. الكافي: عمر بن يزيد، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّني آكل الطعام الطيّب وأشمّ الريح الطيّبة، وأركب الدابة الفارهة، ويتبعني الغلام، فترىٰ في هذا شيئاً من التجبّر فلا أفعله؟ فأطرق أبو عبدالله عليه السلام ثم قال: «إنّما الجبّار الملعون من غمص الناس وجهل الحقّ»، قال عمر: فقلت: أمّا الحق فلا أجهله، والغمص لا أدري ما هو، قال: «من حقّر الناس وتجبّر عليهم فذلك الجبّار»[٤].

[١٢٣٧] ٨. الكافي: عنه عليه السلام: «من خصف نعله ورقع ثوبه وحمل سلعته، فقد برىء من الكبر»[٥].

[١٢٣٨] ٩. الكافي: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثلاثة لا يكلّمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، وملك جبّار، ومقلّ مختال»[٦].

[١٢٣٩] ١٠. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ يوسف عليه السلام لمّا قدم عليه الشيخ يعقوب دخله عزّ الملك، فلم ينزل إليه، فهبط عليه جبرئيل فقال: يايوسف، ابسط راحتك، فخرج منها نور ساطع، فصار في جوّ السماء، فقال يوسف: ياجبرئيل، ما هذا النور الذي خرج من

---

١. الكافي ٢: ٣١١/ ١١.
٢. الكافي ٢: ٣١٠/ ٧.
٣. الكافي ٢: ٣١٠/ ٩.
٤. الكافي ٢: ٣١١/ ١٣.
٥. الكافي ٢: ٣١١/ ١٤.
٦. الكافي ٢: ٣١١/ ١٥.

راحتي؟ فقال: نزعت النبوّة من عقبك عقوبة لما لم تنزل إلى الشيخ يعقوب، فلا يكون من عقبك نبيّ»[١].

◁ **بيان**

المراد بالنزول: النزول عن السرير أو المركب، وكلاهما مرويّان.

[١٢٤٠] ١١. الكافي: عنه عليه السلام: «ما من عبد إلّا وفي رأسه حكمة وملك يمسكها، فإذا تكبّر، قال له: أتّضع وضعك الله، فلا يزال أعظم الناس في نفسه وهو أصغر الناس في أعين الناس، وإذا تواضع رفعها الله، ثم قال له: انتعش نعشك الله، فلا يزال أصغر الناس في نفسه، وأرفع الناس في أعين الناس»[٢].

◁ **بيان**

الحَكَمة، محرّكة: ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه وفيها العذاران، والانتعاش: الارتفاع.

[١٢٤١] ١٢. الكافي: عنه عليه السلام: «ما من أحد يتيه إلّا من ذلّة يجدها في نفسه»[٣].

وفي رواية: «ما من رجل تكبّر أو تجبّر إلّا لذلّة وجدها في نفسه»[٤].

◁ **بيان**

يتيه: يتكبّر.

❖ ❖ ❖

باب
الافتخار

[١٢٤٢] ١. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «آفة الحسب الافتخار والعجب»[٥].

---

١. الكافي ٨: ٢٣١ / ٣٠٢.
٢. الكافي ٢: ٣١٢ / ١٦.
٣. الكافي ٢: ٣١٢ / ١٧.
٤. الكافي ٢: ٣١٢ / ذيل ١٧.
٥. الكافي ٢: ٣٢٨ / ٢.

◁ **بيان**

حَسَب الرجل: مآثر آبائه لأنه يحبّ من المناقب والفضائل له[١].

[١٢٤٣] ٢. الكافي: عن السجّاد عليه السلام: «عجباً للمتكبّر الفخور الذي كان بالأمس نطفة ثم هو غداً جيفة»[٢].

وفي رواية: «وهو فيما بين ذلك لا يدري ما يصنع به»[٣].

[١٢٤٤] ٣. الكافي: عقبة بن بشير الأسدي، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أنا عقبة بن بشير الأسدي وأنا في الحسب الضخم، عزيز في قومي، قال: فقال: «أفتمنّ علينا بحسبك! إنّ الله تعالىٰ رفع بالإيمان من كان الناس يسمّونه وضيعاً إذا كان مؤمناً، ووضع بالكفر من كان الناس يسمّونه شريفاً إذا كان كافراً، فليس لأحد فضل علىٰ أحد إلّا بتقوىٰ الله»[٤].

[١٢٤٥] ٤. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه أتاه رجل فقال: يارسول الله، أنا فلان بن فلان حتىٰ عدّ تسعة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أما إنّك عاشرهم في النار»[٥].

[١٢٤٦] ٥. الكافي: عنه صلى الله عليه وآله انه صعد المنبر يوم فتح مكّة فقال: «أيّها الناس، إنّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها، ألا إنّكم من آدم وآدم من طين، ألا إنّ خير عباد الله عبد اتّقاه، إنّ العربية ليست باب والد ولكنّها لسان ناطق، فمن قصر به عـلمه لم يبلغه حسبه، ألا إنّ كلّ دم كان في الجاهلية أو إحنة ـ والإحنة: الشحناء ـ فهي تـحت قدمي هذه إلىٰ يوم القيامة»[٦].

◁ **بيان**

أُريد بالعربية: النبالة والعلم بالأدب «ليست باب والد» يعني ليست بنسبة إلىٰ أب، بل هو بمعنىٰ في نفس الرجل ينطق عنه لسانه، وفي هذا المعنىٰ قيل:

---

١. في نسخة: لأنّه يحسب له من المناقب والفضائل.
٢. الكافي ٢: ٣٢٨ / ١.
٣. الكافي ٢: ٣٢٩ / ٤.
٤. الكافي ٢: ٣٢٨ / ٣.
٥. الكافي ٢: ٣٢٩ / ٥.
٦. الكافي ٨: ٢٤٦ / ٣٤٢.

إنّ الفتىٰ من يـقول هـا أنـا ذا ليس الفتىٰ من يقول كان أبي

«والشحناء» العداوة «والإحنة» بالكسر: الحقد والغضب.

❖ ❖ ❖

باب

العجب والادلال

[١٢٤٧] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من دخله العجب هلك»[١].

[١٢٤٨] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ علم أنّ الذنب خير للمؤمن من العجب، ولولا ذلك ما ابتلىٰ مؤمناً بذنب أبداً»[٢].

[١٢٤٩] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الرجل ليذنب الذنب فيندم عليه، ويعمل العمل فيسرّه ذلك، فيتراخىٰ عن حاله تلك، فلأن يكون علىٰ حاله تلك خير له ممّا دخل فيه»[٣].

[١٢٥٠] ٤. الكافي: عنه عليه السلام سئل: الرجل يعمل العمل وهو خائف مشفق، ثم يعمل شيئاً من البرّ، فيدخله شبه العجب به؟ فقال: «هو في حاله الأولىٰ وهو خائف أحسن حالاً منه في حال عجبه»[٤].

[١٢٥١] ٥. الكافي: عن أبي الحسن عليه السلام سئل عن العجب الذي يفسد العمل، فقال: «العجب درجات؛ منها أن يزيّن للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه ويحسب أنه يحسن صنعاً، ومنها أن يؤمن العبد بربّه فيمنّ علىٰ الله، ولله عليه فيه المنّ»[٥].

[١٢٥٢] ٦. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «أتىٰ عالم عابداً فقال له: كيف صلاتك؟ فقال: مثلي يسأل عن صلاته وأنا أعبد الله تعالىٰ منذ كذا وكذا؟ قال: فكيف بكاؤك؟ قال: أبكي حتىٰ تجري دموعي، فقال له العالم: فإن ضحكك وأنت خائف خير[٦] من بكائك وأنت

---

١. الكافي ٢: ٣١٣/ ٢.
٢. الكافي ٢: ٣١٢/ ١.
٣. الكافي ٢: ٣١٣/ ٤.
٤. الكافي ٢: ٣١٤/ ٧.
٥. الكافي ٢: ٣١٣/ ٣.
٦. في نسخة: خير.

مدلّ، إنّ المدلّ لا يصعد من عمله شيء»[١].

◁ **بيان**

الادلال: الغنج والانبساط.

[١٢٥٣] ٧. **الكافي: عن أحدهما** عليه السلام: «دخل رجلان المسجد أحدهما عابد والآخر فاسق، فخرجا من المسجد والفاسق صدّيق والعابد فاسق، وذلك أنه يدخل العابد المسجد مدلاً بعبادته يُدِلّ بها فيكون فكرته في ذلك، ويكون فكرة الفاسق في التندّم على فسقه، ويستغفر الله لما ذكر من الذنوب»[٢].

[١٢٥٤] ٨. **الكافي: عن النبي** صلى الله عليه وآله: «بينما موسىٰ عليه السلام جالس إذ أقبل إبليس وعليه برنس ذو ألوان، فلمّا دنا من موسىٰ خلع البرنس، وقام إلىٰ موسىٰ فسلّم عليه، فقال له موسىٰ عليه السلام: من أنت؟ فقال: أنا إبليس، قال: أنت! فلا قرّب الله دارك، قال: إنّي إنّما جئت لأُسلّم عليك لمكانك من الله تعالىٰ، قال: فقال له موسىٰ: فما هذا البرنس؟ قال: به اختطف قلوب بني آدم. فقال له موسىٰ: فأخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه؟ فقال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، وصغر في عينيه ذنبه. وقال: قال الله تعالىٰ لداود عليه السلام: ياداود، بشّر المذنبين وأنذر الصدّيقين، قال: كيف أُبشّر المذنبين وأنذر الصدّيقين؟ قال: ياداود، بشّر المذنبين أني أقبل التوبة، وأعفو عن الذنب، وأنذر الصدّيقين ألّا يعجبوا بأعمالهم، فإنّه ليس عبداً نصبه للحساب إلّا هلك»[٣].

❖ ❖ ❖

باب
البغي

[١٢٥٥] ١. **الكافي: عن أمير المؤمنين** عليه السلام: «أيّها الناس، إنّ البغي يقود أصحابه إلىٰ النّار، وإنّ

---

١. الكافي ٢: ٣١٣/ ٥.
٢. الكافي ٢: ٣١٤/ ٦.
٣. الكافي ٢: ٣١٤/ ٨.

أوّل من بغىٰ علىٰ الله عناق بنت آدم، وأول قتيل قتله الله عناق، وكان مجلسها جريباً في جريب، وكان لها عشرون إصبعاً، في كلّ إصبع ظفران مثل المنجلين، فسلّط الله أسداً كالفيل وذئباً كالبعير ونسراً مثل البغل فقتلنها، وقد قتل الله تعالىٰ الجبابرة علىٰ أفضل أحوالهم وآمن ما كانوا»[1].

◁ **بيان**

البغي: العلوّ والاستطالة.

[١٢٥٦] ٢. **الكافي: عن الصادق عليه السلام: «يقول إبليس لجنوده: ألقوا بينهم الحسد والبغي، فإنّهما يعدلان عند الله الشرك»**[2].

[١٢٥٧] ٣. **الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّ أسرع الخير ثواباً البرّ، وإنّ أسرع الشرّ عقوبة البغي، وكفىٰ بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمىٰ عنه من نفسه، أو يعيّر الناس بما لا يستطيع تركه، أو يؤذي جليسه بما لا يعنيه»**[3].

◁ **بيان**

وفي هذا الخبر تفسير للبغي وفروعه، فإنّ كلّ واحدٍ من هذه الأُمور فرد من أفراد البغي أو فرع من فروعه.

[١٢٥٨] ٤. **الكافي: مسمع: إنّ أبا عبدالله عليه السلام كتب إليه في كتاب: «انظر أن لا تكلّمنّ بكلمة بغي أبداً، وإن أعجبتك نفسك وعشيرتك»**[4].

[١٢٥٩] ٥. **الفقيه: قد سابق رسول الله صلى الله عليه وآله أسامة بن زيد وأجرىٰ الخيل، فروي أنّ ناقة النبيّ صلى الله عليه وآله سبقت، فقال صلى الله عليه وآله: «إنها بغت، وقالت: فوقي رسول الله صلى الله عليه وآله، وحقّ علىٰ الله أن لا يبغي شيء علىٰ شيء إلّا أذلّه الله، ولو أنّ جبلاً بغىٰ عليه جبل، لهدّ الله الباغي منها»**[5].

❖ ❖ ❖

---

١. الكافي ٢: ٣٢٧ / ٤.
٢. الكافي ٢: ٣٢٧ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٤٦٠ / ٤.
٤. الكافي ٢: ٣٢٧ / ٣.
٥. الفقيه ٤: ٥٩ / ٥٠٩٥.

باب
الخرق وسوء الخُلُق

[١٢٦٠] ١. الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: «من قسم له الخُرق حجب عنه الإيمان»[١].

◁ بيان
الخُرق بالضم: ضدّ الرفق.

[١٢٦١] ٢. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «لو كان الخرق خلقاً يرىٰ، ما كان شيء ممّا خلق الله أقبح منه»[٢].

[١٢٦٢] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ سوء الخلق ليفسد العمل، كما يفسد الخل العسل»[٣].
وفي رواية: «ليفسد الإيمان»[٤].

[١٢٦٣] ٤. الكافي: عنه عليه السلام قال: «من ساء خلقه عذّب نفسه»[٥].

[١٢٦٤] ٥. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «أبىٰ الله لصاحب الخُلُق السيّء بالتوبة»، قيل: فكيف ذلك يارسول الله؟ قال: «لأنّه إذا تاب من ذنب وقع في ذنب أعظم منه»[٦].

❖ ❖ ❖

باب
البخل والشحّ

[١٢٦٥] ١. الكافي، الفقيه: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا لم يكن لله في عبد حاجة ابتلاه بالبخل»[٧].

---

١. الكافي ٢: ٣٢١ / ١.
٢. الكافي ٢: ٣٢١ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٣٢١ / ١.
٤. الكافي ٢: ٣٢١ / ٣.
٥. الكافي ٢: ٣٢١ / ٤.
٦. الكافي ٢: ٣٢١ / ٢.
٧. الكافي ٤: ٤٤ / ٢؛ الفقيه ٢: ٦٣ / ١٧١٧.

[١٢٦٦] ٢. الكافي: عن النبيّ ﷺ قال لبني سلمة: «من سيّدكم؟» قالوا: يا رسول الله، سيّدنا رجل فيه بخل، فقال النبيّ ﷺ: «وأيّ داء أدوأ من البخل؟ ثم قال: بلىٰ سيّدكم الأبيض الجسد البرّاء بن معرور»[١].

[١٢٦٧] ٣. الكافي، الفقيه: عنه ﷺ: «ما محق الإسلام محق الشحّ شيء» ثم قال: «إنّ لهذا الشحّ دبيباً كدبيب النمل وشعباً كشعب الشرك»[٢].

[١٢٦٨] ٤. الكافي: عنه ﷺ: «البخيل مبغض في السموات، مبغض في الأرضين، خُلق من طين سبخة، وخلق ماء عينيه من ماء العوسج»[٣].

◁ بيان

العوسج: ضرب من الشوك.

[١٢٦٩] ٥. الكافي، الفقيه: عن أمير المؤمنين ﷺ أنّه سمع رجلاً يقول: إنّ الشحيح أعذر من الظالم، فقال له: «كذبت، إنّ الظالم قد يتوب ويستغفر ويردّ الظلامة علىٰ أهلها، والشحيح إذا شحّ منع الزكاة والصدقة وصلة الرحم وقرىٰ الضيف والنفقة في سبيل الله وأبواب البرّ، وحرام علىٰ الجنّة أن يدخلها شحيح»[٤].

[١٢٧٠] ٦. الكافي، الفقيه: عن الصادق ﷺ في قول الله تعالىٰ: ﴿كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات﴾[٥] قال: «هو الرجل يدع ماله لا ينفقه في طاعة الله بُخلاً، ثم يموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعة الله أو في معصية الله، فإن عمل به في طاعة الله رآه في ميزان غيره، فرآه حسرة، وقد كان المال له، فإن كان عمل به في معصية الله قوّاه بذلك المال حتّىٰ عمل به في

---

١. الكافي ٤: ٤٤ / ٣؛ والبراء خزرجي وهو من الصحابة الأولين من الأنصار الذين بايعوا رسول الله البيعة الأولىٰ بالعقبة. وهو أوّل من بايع في قول ابن إسحاق، وأول من أوصىٰ بثلث ماله، وهو أحد النقباء.

٢. الكافي ٤: ٤٥ / ٥، الفقيه ٢: ٦٣ / ١٧١٦.

٣. الكافي ٤: ٣/٣٩.

٤. الكافي ٤: ٤٤ / ١، الفقيه ٢: ٦٣ / ١٧١٨.

٥. البقرة(٢): ١٦٧.

معصية الله»[١].

[١٢٧١] ٧. الكافي: عن الكاظم عليه السلام: «البخيل من بخل بما افترض الله عليه»[٢].

[١٢٧٢] ٨. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «ليس البخيل من أدّىٰ الزكاة المفروضة من ماله وأعطىٰ البائنة في قومه، إنّما البخيل حقّ البخيل من لم يؤدّ الزكاة المفروضة من ماله ولم يعط البائنة في قومه، وهو يبذّر في ما سوىٰ ذلك»[٣].

◁ بيان

البائنة: العطية، سمّيت بها لأنّها أُبينت من المال.

[١٢٧٣] ٩. الكافي، الفقيه: عن الصادق عليه السلام قال لرجل: «هل تدري من الشحيح؟» قال: هو البخيل، قال: «الشحّ أشدّ من البخل، إنّ البخيل يبخل بما في يده، والشحيح يشحّ علىٰ ما في أيدي الناس وعلىٰ ما في يده، حتىٰ لا يرىٰ في أيدي الناس شيئاً إلّا تمنّىٰ أن يكون له بالحلّ والحرام، ولا يقنع بما رزقه الله»[٤].

◁ بيان

روىٰ في (معاني الأخبار) عن الصادق عليه السلام: «إنّ البخيل من كسب مالاً من غير حلّه، وأنفقه في غير حقّه»[٥].

وعنه عليه السلام: «إنّما الشحيح من منع حقّ الله، وأنفق في غير حقّ الله عزّوجلّ»[٦].

وعن عليّ عليه السلام أنّه كان فيما سأل ابنه الحسن عليه السلام أن قال له: «ما الشحّ؟» فقال: «أن ترىٰ ما في يديك شرفاً، وما أنفقت تلفاً»[٧].

◆ ◆ ◆

---

١. الفقيه ٢: ٦٢ / ١٧١٣.
٢. الكافي ٤: ٤٥ / ٤.
٣. الكافي ٤: ٤٦ / ٨.
٤. الكافي ٤: ٤٥ / ٧؛ والفقيه ٢: ٦٣ / ١٧١٥.
٥. معاني الأخبار: ٢: ٢٤٥ / ٢.
٦. معاني الاخبار ٢: ٢٤٦ / ٦.
٧. معاني الاخبار ٢: ٢٤٥ / ٣.

باب

حبّ الدنيا والحرص عليها

[١٢٧٤] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «رأس كلّ خطيئة حبّ الدنيا»[١].

[١٢٧٥] ٢. الكافي: عنه عليه السلام قال: «ما ذئبان ضاريان في غنم قد فارقها رعاؤها أحدهما في أولها والآخر في آخرها، بأفسد فيها من حبّ الدنيا والشرف في دين المسلم»[٢].

[١٢٧٦] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الشيطان يدين ابن آدم في كلّ شيء، فإذا أعياه جثم له عند المال فأخذ برقبته»[٣].

◁ بيان

جثم جثوماً: لزم مكانه ولم يبرح.

[١٢٧٧] ٤. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «من لم يتعزّ بعزاء الله تقطّعت نفسه حسرات على الدنيا، ومن أتبع بصره ما في أيدي الناس كثر همّه ولم يشف غيظه، ومن لم ير أنّ لله تعالى عليه نعمة إلّا في مطعم أو مشرب أو ملبس فقد قصر عمله ودنا عذابه»[٤].

◁ بيان

العزاء: الصبر والسلوة.

[١٢٧٨] ٥. الكافي: عنه صلى الله عليه وآله: «إنّ الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم، وهما مهلكاكم»[٥].

[١٢٧٩] ٦. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «مثل الحريص على الدنيا مثل دودة القزّ، كلّما ازدادت من القزّ على نفسها لفّاً، كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غمّاً».

وقال الصادق عليه السلام: «أغنى الغنى من لم يكن للحرص أسيراً» وقال: «لا تشعروا قلوبكم

---

١. الكافي ٢: ٣١٥ / ١.
٢. الكافي ٢: ٣١٨ / ١٠.
٣. الكافي ٢: ٣١٥ / ٤.
٤. الكافي ٢: ٣١٥ / ٥.
٥. الكافي ٢: ٣١٦ / ٦.

الاشتغال بما قد فات، فتشغلوا أذهانكم عن الاستعداد لما لم يأت»[١].

◁ **بيان**

قد أنشد بعضهم في هذا التمثيل:

ألم تـر أنّ المـرء طـول حياته	حريص علىٰ ما لا يـزال يـناسجه
كـدودٌ كـدود القـزّ يـنسج دائماً	فيهلك غمّاً وسط ما هو ناسجه[٢]

[١٢٨٠] ٧. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «إنّ أوّل ما عصي الله تعالىٰ به ستّ خصال: حبّ الدنيا، وحبّ الرئاسة، وحبّ الطعام، وحبّ النوم، وحبّ الراحة، وحبّ النساء»[٣].

[١٢٨١] ٨. الكافي: سئل السجّاد عليه السلام: أيّ الأعمال أفضل عند الله تعالىٰ؟ قال: «ما من عمل بعد معرفة الله تعالىٰ ومعرفة رسوله أفضل من بغض الدنيا، فإنّ لذلك لشعباً كثيرة، وللمعاصي شعب، فأوّل ما عصي الله تعالىٰ به الكبر، معصية إبليس حين أبىٰ واستكبر وكان من الكافرين، ثم الحرص وهي معصية آدم وحوّاء حين قال الله لهما: **«فكلا منها حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين»**[٤] فأخذا ما لا حاجة بهما إليه، فدخل ذلك علىٰ ذريّتهما إلىٰ يوم القيامة، فلذلك أنّ أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه، ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله فتشعّب من ذلك حبّ النساء، وحبّ الدنيا، وحبّ الرئاسة، وحبّ الراحة، وحبّ الكلام، وحبّ العلوّ والثروة، فصرن سبع خصال، فاجتمعن كلّهنّ في حبّ الدنيا، فقالت الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك: حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة، والدنيا دنياون: دنيا بلاغ، ودنيا ملعونة»[٥].

◁ **بيان**

أراد بحبّ الدنيا أوّلاً حبّ المال، وثانياً حبّ كلّ ما لا حاجة به في تحصيل الآخرة، والبلاغ بالفتح: الكفاية.

---

١. الكافي ٢: ٣١٦/ ٧.
٢. بحارالأنوار ٧٠: ٢٣/ ١٢٢.
٣. الكافي ٢: ٢٨٩/ ٣.
٤. البقرة (٢): ٣٥.
٥. الكافي ٢: ١٣٠/ ١١؛ ٢: ٣١٦/ ٨.

[١٢٨٢] ٩. الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: «في مناجاة موسىٰ عليه السلام: ياموسىٰ، إنّ الدنيا دار عقوبة عاقبت فيها آدم عند خطيئته، وجعلتها ملعونة ملعون ما فيها إلّا ما كان فيها لي.

ياموسىٰ، إنّ عبادي الصالحين زهدوا في الدنيا بقدر علمهم، وسائر الخلق رغبوا فيها بقدر جهلهم، وما من أحد عظّمها فقرّت عيناه فيها، ولم يحقّرها أحد إلّا انتفع بها»[١]

[١٢٨٣] ١٠. الكافي: عنه عليه السلام قال: «مرّ عيسىٰ بن مريم علىٰ قرية قد مات أهلها وطيرها ودوابّها، فقال: أما إنّهم لم يموتوا إلّا بسخطة، ولو ماتوا متفرّقين لتدافنوا، فقال الحواريّون: ياروح الله وكلمته، أدع الله أن يحييهم لنا فيخبرونا ما كان أعمالهم فنتجنّبها، فدعا عيسىٰ ربّه، فنودي من الجوّ: أن نادهم، فقام عيسىٰ عليه السلام بالليل علىٰ شرف من الأرض، فقال: ياأهل هذه القرية، فأجابه منهم مجيب: لبّيك ياروح الله وكلمته، فقال: ويحكم ما كانت أعمالكم؟ قال: عبادة الطاغوت وحبّ الدّنيا مع خوف قليل وأمل بعيد وغفلة في لهو ولعب.

فقال: كيف كان حبّكم للدنيا؟ قال: كحبّ الصبيّ لأُمّه، إذا أقبلت علينا فرحنا وسررنا، وإذا أدبرت عنّا بكينا وحزنّا، قال: فكيف كانت عبادتكم للطاغوت؟ قال: الطاعة لأهل المعاصي، قال: كيف كان عاقبة أمركم؟ قال: بتنا ليلة في عافية وأصبحنا في الهاوية، فقال: وما الهاوية؟ قال: سجّين، قال: وما سجّين؟ قال: جبال من جمر توقد علينا إلىٰ يوم القيامة.

قال: فما قلتم، وما قيل لكم؟ قال: قلنا: ردّنا إلىٰ الدنيا فنزهد فيها، قيل لنا: كذبتم، قال: ويحك كيف لم يكلّمني غيرك من بينهم؟ قال: ياروح الله (وكلمته بقدس الله)[٢] إنّهم ملجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد، وأنا كنت فيهم ولم أكن منهم، فلمّا نزل العذاب عمّني معهم، فأنا معلّق بشعرة علىٰ شفير جهنّم لا أدري أكبكب فيها أم أنجو منها، فالتفت عيسىٰ عليه السلام إلىٰ الحواريّين فقال: ياأولياء الله، أكل الخبز اليابس بالملح الجريش والنوم علىٰ التراب[٣] خير كثير مع عافية الدنيا والآخرة»[٤].

---

١. الكافي ٢: ٣١٧/ ٩.

٢. مابين قوسين ليس في المصدر.

٣. في المصدر: على المزابل.

[١٢٨٤] ١١. الكافي: عنه ﷺ قال: «قال عيسىٰ بن مريم ﷺ: تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلّا بالعمل، ويلكم علماء سوء، الأجر تأخذون والعمل تضيّعون! يوشك ربّ العمل أن يقبل عمله، ويوشك أن تخرجوا من ضيق الدنيا إلىٰ ظلمة القبر، كيف يكون من أهل العلم من هو في مسيره إلىٰ آخرته، وهو مقبل علىٰ دنياه، وما يضرّه أحبّ إليه ممّا ينفعه!»[٥].

◁ بيان

أريد بربّ العمل العابد الذي يقلّد أهل العلم في عبادته، أعني يعمل بما يأخذ عنهم، وفيه توبيخ لأهل العلم غير العامل.

[١٢٨٥] ١٢. الكافي: عنه ﷺ: «أبعد ما يكون العبد من الله تعالىٰ، إذا لم يهمّه إلّا بطنه وفرجه»[٦].

[١٢٨٦] ١٣. الكافي: عنه ﷺ: «من أصبح وأمسىٰ والدنيا أكبر همّه، جعل الله الفقر بين عينيه، وشتّت أمره، ولم ينل من الدنيا إلّا ما قسم له، ومن أصبح وأمسىٰ والآخرة أكبر همّه، جعل الله تعالىٰ الغنىٰ في قلبه، وجمع له أمره»[٧].

[١٢٨٧] ١٤. الكافي: عنه ﷺ: «من تعلّق قلبه بالدنيا تعلّق قلبه بثلاث خصال: همّ لا يفنىٰ، وأمل لا يدرك، ورجاء لا ينال»[٨].

[١٢٨٨] ١٥. الكافي: عنه ﷺ: «من كثر اشتباكه بالدنيا، كان أشدّ لحسرته عند فراقها»[٩].

◁ بيان

الاشتباك: الاختلاط.

[١٢٨٩] ١٦. الكافي: عنه ﷺ: «ما فتح الله علىٰ عبد باباً من الدنيا إلّا فتح عليه من الحرص مثله»[١٠].

---

٤. الكافي ٢: ٣١٨/ ١١.
٥. الكافي ٢: ٣١٩/ ١٣.
٦. الكافي ٢: ٣١٩/ ١٤.
٧. الكافي ٢: ٣١٩/ ١٥.
٨. الكافي ٢: ٣٢٠/ ١٧.
٩. الكافي ٢: ٣٢٠/ ١٦.
١٠. الكافي ٢: ٣١٩/ ١٢.

[١٢٩٠] ١٧. الفقيه: عنه عليه السلام: «إنّ فيما نزل به الوحي من السّماء: لو أنّ لابن آدم واديين يسيلان ذهباً وفضّة لأبتغىٰ لهما ثالثاً. يابن آدم، إنّما بطنك بحر من البحور ووادٍ من الأودية لا يملؤه شيء إلّا التراب»[١].

❖ ❖ ❖

باب
اتّباع الهوىٰ

[١٢٩١] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيء أعدىٰ للرجال من اتّباع الهوىٰ وحصائد ألسنتهم»[٢].

[١٢٩٢] ٢. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «يقول الله تعالىٰ: وعزّتي وجلالي وكبريائي ونوري وعظمتي وعلوّي وارتفاع مكاني، لا يؤثر عبد هواه علىٰ هواي إلّا شتّت عليه أمره، ولبست عليه دنياه، وشغلت قلبه بها، ولم أعطه منها إلّا ما قدّرت له.

وعزّتي وجلالي وعظمتي ونوري وعلوّي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي علىٰ هواه إلّا استحفظته ملائكتي، وكفلت السموات والأرضين رزقه، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر، وأتته الدنيا وهي راغمة»[٣].

[١٢٩٣] ٣. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّي أخاف عليكم اثنتين: اتّباع الهوىٰ وطول الأمل، أمّا اتّباع الهوىٰ فإنّه يصدّ عن الحقّ، وأمّا طول الأمل فإنّه ينسي الآخرة»[٤].

[١٢٩٤] ٤. الكافي: عن الكاظم عليه السلام: «اتّق المرتقىٰ السهل إذا كان منحدره وعراً» قال: «وكان أبو عبدالله عليه السلام يقول: لا تدع النفس وهواها، فإنّ هواها في رداها، وترك النفس وما تهوىٰ داؤها، وكفّ النفس عمّا تهوى دواؤها»[٥].

---

١. الفقيه ٤: ٤١٨ / ٥٩١٢.
٢. الكافي ٢: ٣٣٥ / ١.
٣. الكافي ٢: ٣٣٥ / ٢.
٤. الكافي ٢: ٣٣٥ / ٣.
٥. الكافي ٢: ٣٣٦ / ٤.

◁ **بيان**

الوعر: ضدّ السهل، ولعلّ المراد بصدر الحديث النهي عن طلب الجاه والرئاسة وسائر شهوات الدنيا ومرتفعاتها، فإنّها وأن كانت مواتية على اليسر، إلّا أنّ عاقبتها عاقبة سوء، والتخلّص من غوائلها وتبعاتها في غاية الصعوبة، أعاذنا الله وسائر المؤمنين من شرور الدنيا وغرورها.

❖ ❖ ❖

باب
غوائل الذنوب وتبعاتها

[١٢٩٥] ١. **الكافي: عن الباقر عليه السلام:** «ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة، إنّ القلب ليواقع الخطيئة، فما تزال به حتىٰ تغلب عليه، فتصير أعلاه أسفله»[١].

◁ **بيان**

يعني: فما تزال تفعل تلك الخطيئة بالقلب وتؤثر فيه بحلاوتها حتىٰ تجعل وجهه الذي إلىٰ جانب الحق والآخرة إلىٰ جانب الباطل والدنيا.

[١٢٩٦] ٢. **الكافي: عن الصادق عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿فما أصبرهم علىٰ النار﴾**[٢] فقال: «ما أصبرهم علىٰ فعل ما يعلمون أنّه يصيّرهم إلىٰ النار!»[٣].

[١٢٩٧] ٣. **الكافي: عنه عليه السلام:** «من همّ بسيّئة فلا يعملها، فإنّه ربّما عمل العبد السيئة فيراه الرب تبارك وتعالىٰ فيقول: وعزّتي وجلالي لا أغفر لك بعد ذلك أبداً»[٤].

[١٢٩٨] ٤. **الكافي: عنه عليه السلام:** «أما إنّه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلّا بذنب، وذلك قول الله تعالىٰ في كتابه: **﴿ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾**[٥] ثم قال: **«وما يعفو الله أكثر مما يؤاخذ به»**[٦].

---

١. الكافي ٢: ٢٦٨ / ١.
٢. البقرة (٢): ١٧٥.
٣. الكافي ٢: ٢٦٨ / ٢.
٤. الكافي ٢: ٢٧٢ / ١٧.
٥. الشورىٰ (٤٢): ٣٠.

[١٢٩٩] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «تعوّذوا بالله من سطوات الله بالليل والنّهار»، قيل: وما سطوات الله؟ قال: «الأخذ على المعاصي»[٧].

[١٣٠٠] ٦. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّ العبد ليذنب الذنب فيزوى عنه الرزق»[٨].

[١٣٠١] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ العبد يسأل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها إلى أجل قريب أو إلى وقت بطيء، فيذنب العبد ذنباً فيقول الله تبارك وتعالى للملك: لا تقض حاجته واحرمه إيّاها، فإنّه تعرّض لسخطي، واستوجب الحرمان منّي»[٩].

[١٣٠٢] ٨. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ أحدكم ليكثر به الخوف من السلطان، وما ذلك إلّا بالذنوب، فتوقّوها ما استطعتم، ولا تمادوا فيها»[١٠].

[١٣٠٣] ٩. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل، وإنّ العمل السيّء أسرع في صاحبه من السّكّين في اللحم»[١١].

[١٣٠٤] ١٠. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّه ما من سنة أقلّ مطراً من سنة، ولكنّ الله يضعه حيث يشاء، إنّ الله جلّ وعزّ إذا عمل قوم بالمعاصي صرف عنهم ما كان قدّر لهم من المطر في تلك السنّة إلى غيرهم وإلى الفيافي[١٢] والبحار والجبال، وإنّ الله ليعذّب الجُعل في جحرها بحبس المطر عن الأرض التي هي بمحلّها بخطايا من بحضرتها، وقد جعل الله لها السبيل في مسلك سوى محلّة أهل المعاصي» ثم قال عليه السلام: «﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾»[١٣].

[١٣٠٥] ١١. الفقيه: عن الصادق عليه السلام: «إنّ سليمان بن داود عليه السلام خرج ذات يوم مع أصحابه

---

٦. الكافي ٢: ٢٦٩ / ٣.
٧. الكافي ٢: ٢٦٩ / ٦.
٨. الكافي ٢: ٢٧٠ / ٨.
٩. الكافي ٢: ٢٧١ / ١٤.
١٠. الكافي ٢: ٢٧٥ / ٢٧.
١١. الكافي ٢: ٢٧٢ / ١٦.
١٢. الفيافي: البراري الواسعة.
١٣. الكافي ٢: ٢٧٢ / ١٥.

ليستسقي، فوجد نملة قد رفعت قائمة من قوائمها إلىٰ السماء، وهي تقول: اللهم إنّا خلق من خلقك، لا غنىٰ بنا عن رزقك، فلا تهلكنا بذنوب بني آدم، فقال سليمان عليه السلام لأصحابه: ارجعوا فقد سقيتم بغيركم»[١].

[١٣٠٦] ١٢. **الكافي: عن الباقر عليه السلام**: «ما من عبد إلّا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادىٰ في الذنوب زاد ذلك السّواد حتىٰ يغطّي البياض، فإذا غطّىٰ البياض لم يرجع صاحبه إلىٰ خير أبداً، وهو قول الله تعالىٰ: ﴿كلّا بل ران علىٰ قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾»[٢].

[١٣٠٧] ١٣. **الكافي: عن أبي الحسن عليه السلام**: «حقّ علىٰ الله أن لا يعصىٰ في دار إلّا أضحاها للشمس حتىٰ تطهّرها»[٣].

[١٣٠٨] ١٤. **الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله**: «إنّ العبد ليحبس علىٰ ذنب من ذنوبه مائة عام، وإنّه لينظر إلىٰ أزواجه في الجنّة يتنعّمن»[٤].

[١٣٠٩] ١٥. **الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام**: «لا تبدينّ عن واضحة وقد عملت الأعمال الفاضحة، ولا تأمننّ البيات وقد عملت السيئات»[٥].

[١٣١٠] ١٦. **الكافي: عن الباقر عليه السلام**: «إنّ الله قضىٰ قضاءً حتماً أن لا ينعم علىٰ العبد بنعمة فيسلبها إيّاه حتىٰ يحدث العبد ذنباً يستحقّ بذلك النقمة»[٦].

[١٣١١] ١٧. **الكافي: عن الصادق عليه السلام**: «إنّ الله تعالىٰ بعث نبيّاً من أنبيائه إلىٰ قومه، وأوحىٰ إليه: أن قل لقومك إنّه ليس من أهل قرية ولا ناس كانوا علىٰ طاعتي، فأصابهم فيها سرّاء، فتحوّلوا عمّا أُحبّ إلىٰ ما أكره، إلّا تحوّلت لهم عمّا يحبّون إلىٰ ما يكرهون، وليس من

---

١. الفقيه ١: ٥٢٤ / ١٢٩٠.
٢. الكافي ٢: ٢٧٣ / ٢٠؛ والآية في سورة المطففين (٨٣): ١٤.
٣. الكافي ٢: ٢٧٢ / ١٨.
٤. الكافي ٢: ٢٧٢ / ١٩.
٥. الكافي ٢: ٢٧٣ / ٢١.
٦. الكافي ٢: ٢٧٣ / ٢٢.

أهل قرية ولا أهل بيت كانوا علىٰ معصيتي، فأصابهم فيها ضرّاء، فتحوّلوا عمّا أكره إلىٰ ما أُحبّ، إلّا تحوّلت لهم عمّا يكرهون إلىٰ ما يحبّون، وقل لهم: إنّ رحمتي سبقت غضبي، ولا تقنطوا من رحمتي، فإنّه لا يتعاظم عندي ذنب أغفره، وقل لهم: لا تتعرّضوا معاندين لسخطي، ولا تستخفّوا بأوليائي، فإنّ لي سطوات عند غضبي لا يقوم لها شيء من خلقي»[1].

[١٣١٢] ١٨. الفقيه: عن النبيّ ﷺ: «قال الله جلّ جلاله: إذا عصاني من خلقي من يعرفني، سلّطت عليه من خلقي من لا يعرفني»[2].

[١٣١٣] ١٩. الكافي: عن الرضا ﷺ: «كلّما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون، أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون»[3].

[١٣١٤] ٢٠. الكافي: عنه ﷺ: «أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ نبيّ من الأنبياء: إذا أُطعت رضيت، وإذا رضيت باركت، وليس لبركتي نهاية، وإذا عُصيت غضبت، وإذا غضبت لعنت، ولعنتي تبلغ السابع من الولد»[4].

[١٣١٥] ٢١. الكافي: عن أبي الحسن ﷺ: «إنّ لله عزّوجلّ في كلّ يوم وليلة منادياً ينادي: مهلاً مهلاً عباد الله عن معاصي الله، فلولا بهائم رتّع، وصبية رضّع، وشيوخ ركّع، لصبّ عليكم العذاب صبّاً، ترضّون به رضّاً»[5].

[١٣١٦] ٢٢. الكافي: قال أمير المؤمنين ﷺ: «لا وجع أوجع للقلوب من الذنوب، ولا خوف أشدّ من الموت، وكفىٰ بما سلف تفكّراً، وكفىٰ بالموت واعظاً»[6].

❖ ❖ ❖

---

١. الكافي ٢: ٢٧٤ / ٢٥.
٢. الفقيه ٤: ٤٠٤ / ٥٨٧١.
٣. الكافي ٢: ٢٧٥ / ٢٩.
٤. الكافي ٢: ٢٧٥ / ٢٦.
٥. الكافي ٢: ٢٧٦ / ٣١.
٦. الكافي ٢: ٢٧٥ / ٢٨.

باب

أصناف عقوبات الذنوب

[١٣١٧] ١. **الكافي: عن الصادق عليه السلام:** «الذنوب التي تغيّر النعم: البغي، والذنوب التي تورث الندم: القتل، والذنوب التي تنزل النقم: الظلم، والتي تهتك الستور: شرب الخمر، والتي تحبس الرزق: الزنا، والتي تعجّل الفناء: قطيعة الرحم، والتي تردّ الدعاء وتظلم الهواء: عقوق الوالدين»[١].

[١٣١٨] ٢. **الكافي: عنه عليه السلام:** «كان أبي عليه السلام يتعوّذ بالله من الذنوب التي تعجّل الفناء، وتقرّب الأجل[٢]، وتخلّي الدّيار، وهي قطيعة الرحم والعقوق وترك البرّ»[٣].

[١٣١٩] ٣. **الكافي: عنه عليه السلام:** «إذا فشا أربعة ظهرت أربعة: إذا فشا الزنا ظهرت الزلزلة، وإذا فشا الجور في الحكم احتبس المطر، وإذا خفرت الذمّة أُديل لأهل الشرك من أهل الإيمان، وإذا منعوا الزكاة ظهرت الحاجة»[٤].

وفي رواية: «وإذا أُمسكت الزكاة هلكت الماشية»[٥].

[١٣٢٠] ٤. **الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله:** «إذا ظهر الزنا من بعدي كثر موت الفجأة، وإذا طفّف المكيال والميزان أخذهم الله بالسنين والنقص، وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها من الزرع والثمار والمعادن كلّها، وإذا جاروا في الأحكام تعاونوا على الظلم والعدوان، وإذا نقضوا العهد سلّط الله عليهم عدوّهم، وإذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار، وإذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولم يتّبعوا الأخيار من أهل بيتي، سلّط الله عليهم شرارهم، فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم»[٦].

---

١. الكافي ٢: ٤٤٧ / ١.
٢. في نسخة: الآجال.
٣. الكافي ٢: ٤٤٨ / ٢.
٤. الكافي ٢: ٤٤٨ / ٣.
٥. الفقيه ١: ٥٢٤ / ١٤٨٨؛ التهذيب ٣: ١٤٧ / ٣١٨.
٦. الكافي ٢: ٣٧٤ / ٢.

[١٣٢١] ٥. **الكافي، الفقيه، التهذيب: عنه ﷺ:** «إذا غضب الله عزّوجلّ علىٰ أُمّة ولم ينزل بها العذاب، غلت أسعارها، وقصرت أعمارها، ولم يربح تجّارها، ولم تزك ثمارها، ولم تعذب أنهارها، وحبس عنها أمطارها، وسلّط عليها شرارها»[١].

❖ ❖ ❖

باب
استصغار الذنب والإصرار عليه

[١٣٢٢] ١. **الكافي: عن أمير المؤمنين ﷺ:** «لا تصغر ما ينفع يوم القيامة، ولا تصغر ما يضرّ يوم القيامة، فكونوا فيما أخبركم الله كمن عاين»[٢].

[١٣٢٣] ٢. **الكافي: عن الكاظم ﷺ:** «لا تستكثروا كثير الخير، ولا تستقلّوا قليل الذنوب، فإنّ قليل الذنوب يجتمع حتىٰ يكون كثيراً، وخافوا الله عزّوجلّ في السرّ حتىٰ تعطوا من أنفسكم النصف، وسارعوا إلىٰ طاعة الله، وأصدقوا الحديث، وأدّوا الأمانة، فإنّما ذلك لكم، ولا تدخلوا فيما لا يحلّ لكم، فإنّما ذلك عليكم»[٣].

[١٣٢٤] ٣. **الكافي: عن الصادق ﷺ:** «اتّقوا المحقّرات من الذنوب فإنّها لا تغفر، قيل: وما المحقّرات؟ قال: الرجل يذنب الذنب، فيقول: طوبىٰ لي لو لم يكن لي غير ذلك»[٤].

[١٣٢٥] ٤. **الكافي: عنه ﷺ:** «إنّ رسول الله ﷺ نزل بأرض قرعاء، فقال لأصحابه: ائتونا بحطب، فقالوا: يارسول الله، نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب، قال: فليأت كل إنسان بما قدر عليه، فجاءوا به حتىٰ رموا بين يديه بعضه علىٰ بعض، فقال رسول الله ﷺ: هكذا تجتمع الذنوب، ثم قال: وإياكم والمحقّرات من الذنوب، فإنّ لكلّ شيء طالباً، ألا وإنّ طالبها، يكتب ما قدّموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين»[٥].

---

١. الكافي ٥: ٣١٧ / ٥٣؛ الفقيه ١: ٥٢٤ / ١٤٨٩؛ التهذيب ٣: ١٤٨ / ٣١٩.
٢. الكافي ٢: ٤٥٦ / ١٤.
٣. الكافي ٢: ٢٨٧ / ٢.
٤. الكافي ٢: ٢٨٧ / ١.
٥. الكافي ٢: ٢٨٨ / ٣؛ و في آخر الحديث إشارة إلى الآية (١٢) في سورة يس.

◁ بيان

«القرعاء» الصلبة والتي رعتها الماشية. «والمطالب بالذنوب» هو الله سبحانه. «ما قدّموا» أي أسلفوا في حياتهم «وآثارهم» ما بقي عنهم بعد مماتهم يصل إليهم ثمرته، إمّا حسنة كعلم علّموه أو حبيس وقفوه، أو سيئة كإشاعة باطل أو تأسيس ظلم أو نحو ذلك «والإمام المبين» اللوح المحفوظ.

[١٣٢٦] ٥. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «اتّقوا المحقّرات من الذنوب فإنّ لها طالباً، يقول أحدكم: أذنب وأستغفر، إنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿سنكتب[١] ما قدّموا وآثارهم وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ وقال عزّوجلّ: ﴿إنّها إن تك مثقال حبّة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إنّ الله لطيف خبير﴾»[٢].

◁ بيان

يستفاد من الحديث أنّ الجرأة علىٰ الذنب اتّكالاً علىٰ الاستغفار بعده تحقير له، وهو كذلك، كيف لا وهذا محقّق معجّل نقد، وذاك موهوم مؤجّل نسيئة «إنّها» أي الخصلة من الإساءة أو الاحسان «إن تك» مثلاً في الصغر كحبة الخردل، فتكن في أخفىٰ مكان وأحرزه كجوف الصخرة، أو أعلىٰ مكان كمحدّب السموات، أو أسفل مكان كمركز الأرض.

[١٣٢٧] ٦. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار»[٣].

[١٣٢٨] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «لا والله لا يقبل الله شيئاً من طاعته علىٰ الإصرار علىٰ شيء من معاصيه»[٤].

[١٣٢٩] ٨. الكافي: عن الباقر عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿ولم يصرّوا علىٰ ما فعلوا وهم يعلمون﴾[٥] قال: «الإصرار: يذنب الذنب فلا يستغفر ولا يحدّث نفسه بتوبة، فذلك الإصرار»[٦].

---

١. الذي في سورة يس: ٣٦ / ١٢ (ونكتب) و لعله تصحيف من الناسخ أو الراوي.
٢. الكافي ٢: ٢٧٠ / ١٠؛ والآية من سورة لقمان (٣١): ١٦.
٣. الكافي ٢: ٢٨٨ / ١.
٤. الكافي ٢: ٢٨٨ / ٣.
٥. آل عمران(٣): ١٣٥.
٦. الكافي ٢: ٢٨٨ / ٢.

باب

مفارقة روح الإيمان عند الذّنب

[١٣٣٠] ١. **الكافي: عن الكاظم** عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالىٰ أيّد المؤمن بروح تحضره في كلّ وقت يحسن فيه ويتّقي، وتغيب عنه في كلّ وقت يذنب فيه ويعتدي، فهي معه تهتزّ سروراً عند إحسانه، وتسيح في الثرىٰ عند إساءته، فتعاهدوا عباد الله نعمه بإصلاحكم أنفسكم تزدادوا يقيناً وتربحوا نفيساً ثميناً، رحم الله امرءاً همّ بخير فعمله، أو همّ بشرّ فارتدع عنه» ثم قال: «نحن نؤيد الروح بالطاعة لله والعمل له»[١].

[١٣٣١] ٢. **الكافي: عن الباقر** عليه السلام **في قول رسول الله** صلى الله عليه وآله: «إذا زنىٰ الرجل فارقه روح الإيمان» قال: «هو قوله ﴿وأيّدهم بروح منه﴾ ذاك الذي يفارقه»[٢].

[١٣٣٢] ٣. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «انّ للقلب أُذنين، فإذا همّ العبد بذنب قال له روح الإيمان: لا تفعل، وقال له الشيطان: إفعل، وإذا كان علىٰ بطنها نزع منه روح الإيمان»[٣].

❖ ❖ ❖

باب

ما يغفر وما لا يغفر وما لا يُؤاخَذ عليه

[١٣٣٣] ١. **الكافي: عن أمير المؤمنين** عليه السلام: «الذنوب ثلاثة: فذنب مغفور، وذنب غير مغفور، وذنب نرجو لصاحبه ونخاف عليه».

قيل: ياأمير المؤمنين، فبيّنها لنا، قال: «نعم، أمّا الذنب المغفور فعبد عاقبه الله تعالىٰ علىٰ ذنبه في الدنيا، والله تعالىٰ أحلم وأكرم من أن يعاقب عبده مرّتين، وأمّا الذنب الذي لا يغفره الله فظلم العباد بعضهم لبعض، إنّ الله تعالىٰ إذا برز للخليقة أقسم قسماً علىٰ

---

١. الكافي ٢: ٢٦٨ / ١.
٢. الكافي ٢: ٢٨٠ / ١١؛ والآية من سورة المجادلة (٥٨): ٢٢.
٣. الكافي ٢: ٢٦٧ / ٢.

نفسه فقال: وعزّتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم ولو كفّاً بكفّ، ولو مسحة بكفّ، ولو نطحة ما بين القرناء إلىٰ الجمّاء، فيقتصّ للعباد بعضهم من بعض حتىٰ لا يبقىٰ لأحد علىٰ أحد مظلمة، ثم يبعثهم الله للحساب، وأمّا الذنب الثالث: فذنب ستره الله تعالىٰ علىٰ خلقه ورزقه التوبة منه، فأصبح خائفاً من ذنبه راجياً لربّه، فنحن له كما هو لنفسه نرجو له الرحمة، ونخاف عليه العقاب»[١].

[١٣٣٤] ٢. الكافي: عن الباقر عليه السلام سئل عن رجل أقيم عليه الحدّ في الزّجم، أيعاقب في الآخرة؟ فقال: «إنّ الله أكرم من ذلك»[٢].

[١٣٣٥] ٣. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «المستتر بالحسنة تعدل سبعين حسنة، والمذيع بالسيئة مخذول، والمستتر بالسيئة مغفور له»[٣].

[١٣٣٦] ٤. الفقيه: سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ ﴿إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [٤] هل تدخل الكبائر في مشيئة الله؟ قال: «نعم، ذاك إليه عزّوجلّ، إن شاء عذّب عليها، وإن شاء عفا»[٥].

[١٣٣٧] ٥. الفقيه: عنه عليه السلام: «من اجتنب الكبائر كفّر الله عنه جميع ذنوبه، وذلك قوله عزّوجلّ: **﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاًكريماً﴾**»[٦].

[١٣٣٨] ٦. الكافي: عن أبي الحسن عليه السلام سئل عن الكبائر، كم هي وما هي؟ فكتب: «الكبائر من اجتنب ما وعد الله عليه النار كفّر عنه سيئاته إذا كان مؤمناً، والسبع الموجبات: قتل النفس الحرام، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، والتعرّب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، وأكل

---

١. الكافي ٢: ٤٤٣ / ١.
٢. الكافي ٢: ٤٤٣ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٤٢٨ / ٢.
٤. النساء (٤): ٤٨ و ١١٦.
٥. الفقيه ٣: ٥٧٤ / باب معرفة الكبائر.
٦. الفقيه ٣: ٥٧٥ / ٤٩٦٧.

مال اليتيم، والفرار من الزحف»[١].

وعدّ في رواية أخرىٰ: «اليأس من روح الله، والأمن لمكر الله»[٢].

[١٣٣٩] ٧. الكافي: وقد روي: «إنّ أكبر الكبائر الشرك بالله»[٣].

[١٣٤٠] ٨. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «الذنوب كلّها شديدة وأشدّها ما نبت عليه اللحم والدّم، لأنه إمّا مرحوم وإمّا معذّب، والجنّة لا يدخلها إلّا طيّب»[٤].

[١٣٤١] ٩. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «ما من مؤمن إلّا وله ذنب يهجره زماناً، ثم يلمّ به، وذلك قول الله تعالىٰ ﴿إلّا اللّمم﴾».

وسئل عن قول الله تعالىٰ: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلّا اللّمم﴾[٥] قال: «الفواحش: الزنا والسرقة، واللّمم: الرجل يلمّ بالذنب فيستغفر الله تعالىٰ منه»[٦].

◁ بيان

«يلمّ به» أي يقاربه وينزل إليه فيفعله.

[١٣٤٢] ١٠. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «وضع عن أُمتي تسع خصال: الخطأ، والنسيان، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطرّوا إليه، وما استكرهوا عليه، والطيرة، والوسوسة في التفكّر في الخلق، والحسد ما لم يظهر بلسان أو يد»[٧].

[١٣٤٣] ١١. الكافي: عن الصادق عليه السلام سئل عن رجل يجيء منه الشيء علىٰ حدّ الغضب يؤاخذ الله تعالىٰ به؟ فقال: «الله أكرم من أن يستغلق عبده»[٨].

❖ ❖ ❖

---

١. الكافي ٢: ٢٧٦ / ٢.
٢. الكافي ٢: ٢٧٨ / ٤.
٣. الكافي ٢: ٢٧٨ / ذيل ٤.
٤. الكافي ٢: ٢٦٩ / ٧.
٥. النجم (٥٣): ٣٢.
٦. الكافي ٢: ٤٤٢ / باب اللمم.
٧. الكافي ٢: ٤٦٣ / ٢.
٨. الكافي ٨: ٢٥٤ / ٣٦٠.

باب

ما يُكتب وما لا يُكتب

[١٣٤٤] ١. الكافي: عن أحدهما عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ جعل لآدم في ذرّيته من همّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، ومن همّ بحسنة وعملها كتبت له عشراً، ومن همّ بسيّئة ولم يعملها لم يكتب عليه، ومن عمل بها كتبت عليه سيئة»[١].

وفي رواية: «إنّ العبد إذا أذنب ذنباً أُجّل من غدوة إلىٰ الليل، فإن استغفر الله لم يكتب عليه»[٢].

وفي أخرىٰ: «وإن هو عملها أُجّل سبع ساعات، وقال صاحب الحسنات لصاحب السيئات، وهو صاحب الشمال: لا تعجل عسىٰ أن يتبعها بحسنة تمحوها، فإنّ الله يقول: ﴿إنّ الحسنات يذهبن السيئات﴾[٣] أو الاستغفار، فإن هو قال: أستغفر الله الذي لا إله إلّا هو عالم الغيب والشهادة، العزيز الحكيم، الغفور الرحيم، ذو الجلال والإكرام وأتوب إليه، لم يكتب عليه شيء، وإن مضت سبع ساعات ولم يتبعها بحسنات واستغفار، قال صاحب الحسنات لصاحب السيئات: اكتب علىٰ الشقيّ المحروم»[٤].

◁ **بيان**

لعلّ السرّ في كون الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها أنّ الجوهر الإنساني بطبعه مائل إلىٰ العالم العلوي، لأنّه مقتبس منه، وهبوطه إلىٰ القالب الجسماني غريب من طبيعته، والحسنة إنّما ترتقي إلىٰ ما يوافق طبيعة ذلك الجوهر، لأنها من جنسه، والقوّة التي تحرّك الحجر مثلاً إلىٰ ما فوق ذراعٍ واحدٍ، هي بعينها إن استعملت في تحريكه إلىٰ أسفل حرّكته عشرة أذرع وزيادة، فلذلك كانت الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف، ومنها ما يوفي أجرها بغير حساب، والحسنة التي لا يدفع تأثيرها سمعة أو رياء أو عجب، كالحجر الذي يدحرج من شاهق لا يصادفه دافع، فإنّه لا يتقدّر مقدار هواه بحساب حتىٰ يبلغ الغاية.

[١٣٤٥] ٢. الكافي: عن الكاظم عليه السلام سئل عن الملكين، هل يعلمان بالذنب إذا أراد العبد أن يعمله، أو

---

١. الكافي ٢: ٤٢٨ / ١.
٢. الكافي ٢: ٤٣٧ / ١.
٣. هود (١١): ١١٥.
٤. الكافي ٢: ٤٢٩ / ٤.

الحسنة؟ فقال: «ريح الكنيف وريح الطيب سواء؟» فقيل: لا، قال: «إنّ العبد إذا همّ بالحسنة خرج نفسه طيّب الريح، فقال صاحب اليمين لصاحب الشمال: قف، فإنه قد همّ بالحسنة، فإذا هو عملها كان لسانه قلمه، وريقه مداده، فأثبتها له، وإذا همّ بالسيئة خرج نفسه منتن الريح، فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين: قف، فإنّه قد همّ بالسيّئة، فإذا هو فعلها كان ريقه مداده، ولسانه قلمه، فأثبتها عليه»[1].

❖ ❖ ❖

باب
الاستدراج

[١٣٤٦] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إذا أراد الله بعبد خيراً فأذنب ذنباً أتبعه بنقمة ويذكّره الاستغفار، وإذا أراد بعبد شرّاً فأذنب ذنباً أتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادىٰ بها، وهو قول الله تعالىٰ: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾[2] بالنعم عند المعاصي»[3].

[١٣٤٧] ٢. الكافي: عنه عليه السلام سئل عن الاستدراج؟ قال: «هو العبد يذنب الذنب فيملىٰ له، ويجدّد له عندها النعم فيلهيه عن الاستغفار من الذنوب، فهو مستدرج من حيث لا يعلم»[4].

◁ بيان

الإملاء: الإمهال.

[١٣٤٨] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «كم من مغرور بما أنعم الله تعالىٰ عليه، وكم من مستدرج يستر الله عليه، وكم من مفتون بثناء الناس عليه»[5].

[١٣٤٩] ٤. الكافي: عنه عليه السلام قيل له: إنّي سألت الله أن يرزقني مالاً فرزقني، وإنّي سألت الله أن يرزقني ولداً فرزقني، وسألته أن يرزقني داراً فرزقني، وقد خفت أن يكون استدراجاً، فقال: «أما والله مع الحمد فلا»[6].

---

١. الكافي ٢: ٤٢٩ / ٣.
٢. الأعراف (٧): ١٨٢.
٣. الكافي ٢: ٢٠٢ / ٤٥٢ / ١.
٤. الكافي ٢: ٤٥٢ / ٢.
٥. الكافي ٢: ٤٥٢ / ٤.
٦. الكافي ٢: ٩٧ / ١٧.

◆ ◆ ◆

باب

الاحتجاج علىٰ المذنب

[١٣٥٠] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «يُوتىٰ بالمرأة الحسناء يوم القيامة التي افتتنت في حسنها، فتقول: ياربّ حسّنت خلقي حتىٰ لقيت ما لقيت، فيجاء بمريم عليها السلام فيقال: أنت أحسن أو هذه؟ قد حسّنّاها فلم تفتتن، ويجاء بالرجل الحسن الذي قد افتتن في حسنه، فيقول: ياربّ حسّنت خلقي حتىٰ لقيت من النساء ما لقيت، فيجاء بيوسف عليه السلام فيقال: أنت أحسن أم هذا؟ قد حسّناه فلم يفتتن، ويجاء بصاحب البلاء الذي قد أصابته الفتنة في بلائه فيقول: ياربّ شدّدت عليّ البلاء حتىٰ افتتنت، فيؤتىٰ بأيوب عليه السلام فيقال: أبليّتك أشدّ أو بليّة هذا؟ فقد ابتلي فلم يفتتن»[١].

[١٣٥١] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ جعل لكلّ أهل بيت حجّة يحتجّ بها أهل بيته في القيامة فيقال لهم: ألم تروا فلاناً فيكم، ألم تروا هديه فيكم، ألم تروا صلاته، ألم تروا دينه، فهلّا اقتديتم؟ فيكون حجّة الله عليهم في القيامة»[٢].

[١٣٥٢] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الرجل منكم ليكون في المحلّة فيحتجّ الله تعالىٰ يوم القيامة علىٰ جيرانه فيقال لهم: ألم يكن فلان بينكم، ألم تسمعوا كلامه، ألم تسمعوا بكاءه في الليل؟ فيكون حجّة الله عليهم»[٣].

◆ ◆ ◆

باب

دواء الذنوب

[١٣٥٣] ١. الكافي: قال: «لكلّ شيء دواء، ودواء الذنوب الاستغفار»[٤].

---

١. الكافي ٨: ٢٢٨ / ٢٩١.
٢. الكافي ٨: ٨٣ / ٤٢.
٣. الكافي ٨: ٨٤ / ٤٣.
٤. الكافي ٢: ٤٣٩ / ٨.

[١٣٥٤] ٢. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «والله ما ينجو من الذنوب إلّا من أقرّ بها» ثم قال: «كفىٰ بالندم توبة»[١].

[١٣٥٥] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «ما من مؤمن يقارف في يومه وليلته أربعين كبيرة فيقول وهو نادم: أستغفر الله الذي لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام، وأسأله أن يصلّي علىٰ محمّد وآل محمّد، وأن يتوب عليّ، إلّا غفر الله له، ولا خير فيمن يقارف في يوم أكثر من أربعين كبيرة»[٢].

[١٣٥٦] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «من قال: أستغفر الله، مائة مرّة في كلّ يوم، غفر الله له سبعمائة ذنب، ولا خير في عبد يذنب في كلّ يوم سبعمائة ذنب»[٣].

[١٣٥٧] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ المؤمن ليذنب الذنب فيذكر بعد عشرين سنة فيستغفر الله منه فيغفر له، وإنّما يذكّره ليغفر له، وإنّ الكافر ليذنب الذنب فينساه من ساعته»[٤].

[١٣٥٨] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الرجل ليذنب الذنب فيدخله الله به الجنّة». قيل: يدخله الله بالذنب الجنّة؟ قال: «نعم، إنّه ليذنب فلا يزال منه خائفاً ماقتاً لنفسه فيرحمه الله تعالىٰ، فيدخله الله الجنّة»[٥].

[١٣٥٩] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «من أذنب ذنباً فعلم أنّ الله مطّلع عليه، إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له، غفر له وإن لم يستغفر الله»[٦].

[١٣٦٠] ٨. الكافي: عنه عليه السلام: «ما من عبد أذنب ذنباً فندم عليه إلّا غفر الله له قبل أن يستغفر، وما من عبد أنعم الله عليه نعمة فعرف أنّها من عند الله إلّا غفر الله له قبل أن يحمده»[٧].

[١٣٦١] ٩. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «لا والله ما أراد الله تعالىٰ من الناس إلّا خصلتين: أن يعترفوا

---

١. الكافي ٢: ٤٢٦ / ١.
٢. الكافي ٢: ٤٣٨ / ٧.
٣. الكافي ٢: ٤٣٩ / ١٠.
٤. الكافي ٢: ٤٣٨ / ٦.
٥. الكافي ٢: ٤٢٦ / ٣.
٦. الكافي ٢: ٤٢٧ / ٥.
٧. الكافي ٢: ٤٢٧ / ٨.

له بالنعم فيزيدهم، وبالذنوب فيغفرها لهم»[١].

[١٣٦٢] ١٠. **الفقيه: عن الصادق عليه السلام**: «من خلا بذنب فراقب الله تعالىٰ ذكره فيه، واستحيىٰ من الحفظة، غفر الله له جميع ذنوبه وإن كانت مثل ذنوب الثقلين»[٢].

[١٣٦٣] ١١. **الكافي: عنه عليه السلام**: «إنّ الله تعالىٰ يحبّ العبد أن يطلب إليه في الجرم العظيم، ويبغض العبد أن يستخفّ بالجرم اليسير»[٣].

[١٣٦٤] ١٢. **الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام**: «إنّ الندم علىٰ الشرّ يدعو إلىٰ تركه»[٤].

[١٣٦٥] ١٣. **الكافي: عن الصادق عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون﴾**[٥] قال: «هو العبد يهمّ بالذنب ثم يتذكّر فيُمسك، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿تذكّروا فإذا هم مبصرون﴾»[٦].

❖ ❖ ❖

باب
التوبة

[١٣٦٦] ١. **الكافي: عن الصادق عليه السلام**: «إذا تاب العبد توبةً نصوحاً أحبّه الله تعالىٰ فستر عليه في الدنيا والآخرة».

فقيل: وكيف يستر الله عليه؟ قال: «ينسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب، ثم يوحي الله إلىٰ جوارحه: أكتمي عليه ذنوبه، ويوحي إلىٰ بقاع الأرض: اكتمي عليه ما كان يعمل عليك من الذنوب، ويلقىٰ الله تعالىٰ حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب»[٧].

---

١. الكافي ٢: ٤٢٦ / ٢.
٢. الفقيه ٤: ٤١١ / ٥٨٩٥.
٣. الكافي ٢: ٤٢٧ / ٦.
٤. الكافي ٢: ٤٢٧ / ٧.
٥. الاعراف ٧: ٢٠١.
٦. الكافي ٢: ٤٣٤ / ٧.
٧. الكافي ٢: ٤٣٠ / ١.

[١٣٦٧] ٢. الكافي: عنه ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلىٰ الله توبة نصوحاً﴾ قال: «هو الذنب الذي لا يعود إليه أبداً»، قيل: وأينا لم يعد؟ فقال: «إنّ الله تعالىٰ يحبّ من عباده المفتّن التوّاب»[١].

وفي رواية: «ومن لا يكون ذلك منه كان أفضل»[٢].

◁ بيان

«المفتن التوّاب» الذي يكثر ذنبه ويكثر توبته، من الإفتتان أو التفتين.

[١٣٦٨] ٣. الكافي: قال: «إنّ الله تعالىٰ أعطىٰ التائبين ثلاث خصال، لو أعطىٰ خصلة منها جميع أهل السموات والأرض لنجوا بها: قوله تعالىٰ: ﴿إنّ الله يحب التوابين ويحبّ المتطهّرين﴾[٣]، فمن أحبّه الله تعالىٰ لم يعذّبه، وقوله تعالىٰ: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربهم﴾ إلىٰ قوله: ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾[٤] وقوله تعالىٰ: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلّا بالحقّ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾»[٥].

[١٣٦٩] ٤. الكافي: عن الباقر ﷺ: «إنّ الله تعالىٰ أشدّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها، فالله تعالىٰ أشدّ فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها»[٦].

[١٣٧٠] ٥. الكافي: عنه ﷺ: «ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة له، فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة، أما والله إنها ليست إلّا لأهل الإيمان».

قال محمّد بن مسلم: قلت: فإن عاد بعد التوبة والاستغفار في الذنوب، وعاد في التوبة؟ فقال: «يامحمّد بن مسلم، أترىٰ العبد المؤمن يندم علىٰ ذنبه ويستغفر الله تعالىٰ منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته؟».

---

١. الكافي ٢: ٤٣٢ / ٤.
٢. الكافي ٢: ٤٣٥ / ٩.
٣. البقرة (٢): ٢٢٢.
٤. المؤمن (٤٠): ٧ ـ ٩.
٥. الكافي ٢: ٤٣٢ / ٥.
٦. الكافي ٢: ٤٣٥ / ٨.

قلت: فإنّه فعل ذلك مراراً، يذنب ثم يتوب ويستغفر، فقال: «كلّما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله تعالىٰ عليه بالمغفرة، وإنّ الله غفور رحيم يقبل التوبة ويعفو عن السيّئات، فإيّاك أن تقنّط المؤمنين من رحمة الله»[1].

[١٣٧١] ٦. **الكافي: عنه** عليه السلام: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمقيم علىٰ الذنب وهو يستغفر منه كالمستهزئ»[2].

[١٣٧٢] ٧. **الفقيه: قال أمير المؤمنين** عليه السلام: «لا شفيع أنجح من التوبة»[3].

[١٣٧٣] ٨. **الكافي: عنه** عليه السلام: «ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة، وكم من شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً، والموت فضح الدنيا ولم يترك لذي لبّ فرحاً»[4].

[١٣٧٤] ٩. **الكافي: عن الباقر** عليه السلام: «ما أحسن الحسنات بعد السيّئات، وما أقبح السيّئات بعد الحسنات!»[5].

❖ ❖ ❖

باب
وقت التوبة

[١٣٧٥] ١. **الكافي: عن أحدهما** عليهما السلام: «إنّ آدم عليه السلام قال: ياربّ سلّطت عليّ الشيطان وأجريته مجرىٰ الدم منّي، فاجعل لي شيئاً، فقال: ياآدم، جعلت لك أنّ من همّ من ذريّتك بسيّئة لم يكتب عليه شيء، فإن عملها كتبت عليه سيّئة، ومن همّ منهم بحسنة، فإن لم يعملها كتبت له حسنة، فإن هو عملها كتبت له عشراً.

قال: ياربّ زدني، قال: جعلت لك أنّ من عمل منهم سيّئة ثم استغفر، غفرت له، قال: ياربّ زدني، قال: جعلت لهم التوبة، وبسطت لهم التوبة حتىٰ تبلغ النفس هذه،

---

١. الكافي ٢: ٤٣٤ / ٦.
٢. الكافي ٢: ٤٣٥ / ١٠.
٣. الفقيه ٣: ٥٧٤ / ٤٩٦٥.
٤. الكافي ٢: ٤٥١ / ١.
٥. الكافي ٢: ٤٥٨ / ١٨.

قال: ياربّ حسبي»[١].

[١٣٧٦] ٢. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «من تاب قبل موته بسنة، قبل الله توبته» ثم قال: «إنّ السنة لكثير، من تاب قبل موته بشهر، قبل الله توبته» ثم قال: «إنّ الشهر لكثير» ثم قال: «من تاب قبل موته بجمعة، قبل الله توبته» ثم قال: «إنّ الجمعة لكثير، من تاب قبل موته بيوم، قبل الله توبته» ثم قال: «إنّ يوماً لكثير، من تاب قبل أن يعاين، قبل الله توبته»[٢].

وفي رواية: «من تاب وقد بلغت نفسه هذه ـ وأهوىٰ بيده إلىٰ حلقه ـ تاب الله عليه»[٣].

[١٣٧٧] ٣. الفقيه: سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿وليست التّوبة للذين يعملون السيّئات حتىٰ إذا حضر أحدهم الموت قال إنّي تبت الآن﴾[٤] قال: «ذلك إذا عاين أمر الآخرة»[٥].

[١٣٧٨] ٤. الكافي: معاوية بن وهب، قال: خرجنا إلىٰ مكة ومعنا شيخ متعبّد متألّه لا يعرف هذا الأمر، يتمّ الصلاة في الطريق، ومعه ابن أخ له مسلم، فمرض الشيخ، فقلت لابن أخيه: لو عرضت هذا الأمر علىٰ عمّك لعلّ الله تعالىٰ أن يخلّصه، فقال كلّهم: دعوا الشيخ حتىٰ يموت علىٰ حاله، فإنّه حسن الهيئة، فلم يصبر ابن أخيه حتىٰ قال له: يا عمّ، إنّ الناس ارتدّوا بعد رسول الله ﷺ إلّا نفراً يسيراً، وكان لعليّ بن أبي طالب عليه السلام من الطاعة ما كانت لرسول الله ﷺ، وكان بعد رسول الله ﷺ الحقّ والطاعة له، قال: فتنفّس الشيخ وشهق وقال: أنا علىٰ هذا، وخرجت نفسه. فدخلنا علىٰ أبي عبدالله عليه السلام، فعرض ابن السريّ هذا الكلام علىٰ أبي عبدالله عليه السلام، فقال: «هو رجل من أهل الجنة». فقال له علي بن السري: إنّه لم يعرف شيئاً من ذلك غير ساعته تلك، قال عليه السلام: «فتريدون منه ماذا؟ قد دخل والله الجنة»[٦].

آخر كتاب الفضائل والرذائل، والحمد لله أوّلاً وآخراً

---

١. الكافي ٢: ٤٤٠ / ١.
٢. الكافي ٢: ٤٤٠ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٤٤٠ / ٣.
٤. النساء (٤): ١٨.
٥. الفقيه ١: ١٣٣ / ٣٥٢.
٦. الكافي ٢: ٤٤٠ / ٤.

كتاب

المعاشرة والحقوق

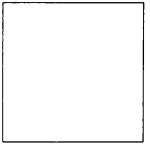

باب

جوامع المعاشرة

[١٣٧٩] ١. **الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام**: «إنّ لأهل الدِّين علامات يعرفون بها: صدق الحديث، وأداء الأمانة، ووفاء العهد، وصلة الأرحام، ورحمة الضعفاء، وقلّة المراقبة للنّساء ـ أو قال: قلّة المواتاة للنساء ـ وبذل المعروف، وحسن الخلق، وسعة الخلق، واتّباع العلم وما يقرّب إلىٰ الله تعالىٰ زلفىٰ، طوبىٰ لهم وحسن مآب ـ وطوبىٰ شجرة في الجنة أصلها في دار النبيّ صلى الله عليه وآله وليس من مؤمن إلّا وفي داره غصن منها ـ لا يخطر علىٰ قلبه شهوة شيء إلّا أتاه به ذلك، ولو أنّ راكباً مجدّاً سار في ظلّها مائة عام ما خرج منه، ولو طار من أسفلها غراب ما بلغ أعلاها حتىٰ يسقط هرماً، ألا ففي هذا فارغبوا، إنّ المؤمن من نفسه في شغل والناس منه في راحة، إذا جنّ عليه الليل افترش وجهه لله وسجد لله تعالىٰ بمكارم بدنه، يناجي الذي خلقه في فكاك رقبته، ألا فهكذا كونوا»[1].

◁ **بيان**

«المواتاة» المطاوعة «والزلفىٰ» القرب، وتأويل طوبىٰ: العلم، فإنّ لكلّ نعيم من الجنّة مثالاً في الدّنيا، ومثال شجرة طوبىٰ شجرة العلوم الدينية التي أصلها في دار النبيّ صلى الله عليه وآله الذي هو مدينة العلم، وفي دار كلّ مؤمن غصن منها، وإنّما شهوات المؤمن ومثوباته في الآخرة فروع علمه ومعرفته وأعماله الصالحة في الدنيا، فإنّ المعرفة بذر المشاهدة، والعمل الصالح غرس النعيم كما وردت به الأخبار[2].

[١٣٨٠] ٢. **الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله**: «إنّ خياركم أولو النهىٰ». **قيل: يارسول الله، من أولو النهىٰ؟ قال:**

---

١. الكافي ٢: ٢٣٩ / ٣٠.

٢. راجع: بحارالانوار ٥: ١٩٩ / ٧ب الهداية والاضلال والتوفيق.

«هم أولو الأخلاق الحسنة، والأحلام الرزينة، وصلة الأرحام، والبررة بالأمّهات والآباء، والمتعاهدون للفقراء والجيران واليتامىٰ، ويطعمون الطعام، ويفشون السلام في العالم، ويصلّون والناس نيام غافلون»[1].

[١٣٨١] ٣. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «ألا أخبركم بأشبهكم بي؟». قالوا: بلىٰ يارسول الله، قال: «أحسنكم خلقاً، وألينكم كنفاً، وأبرّكم بقرابته، وأشدّكم حبّاً لإخوانه في دينه، وأصبركم علىٰ الحق، وأكظمكم للغيظ، وأحسنكم عفواً، وأشدّكم من نفسه إنصافاً في الرضا والغضب»[2].

[١٣٨٢] ٤. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «شيعتنا المتباذلون في ولايتنا، المتحابّون في مودّتنا، المتزاورون في إحياء أمرنا، الذين إن غضبوا لم يظلموا، وإن رضوا لم يسرفوا، بركة علىٰ من جاوروا، سلم لمن خالطوا»[3].

[١٣٨٣] ٥. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «شيعتنا من لا يعدو صوته سمعه، ولا شحناؤه بدنه، ولا يتمدّح بنا معلناً، ولا يجالس لنا عائباً، ولا يخاصم لنا قالياً، إن لقي مؤمناً أكرمه، وإن لقي جاهلاً هجره».

قيل: جعلت فداك، فكيف أصنع بهؤلاء المتشيّعة؟ قال: «فيهم التمييز، وفيهم التبديل، وفيهم التمحيص، يأتي عليهم سنون تفنيهم، وطاعون يقتلهم، واختلاف يبدّدهم، شيعتنا من لا يهرّ هرير الكلب، ولا يطمع طمع الغراب، ولا يسأل عدوّنا وإن مات جوعاً».

قيل: جعلت فداك، وأين أطلب هؤلاء؟ قال: «في أطراف الأرض، أولئك الخفيض عيشهم، المنتقلة ديارهم، إن شهدوا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، ومن الموت لا يجزعون، وفي القبور يتزاورون، وإن لجأ إليهم ذو حاجة منهم رحموه، لن تختلف قلوبهم وإن اختلفت بهم الديار». **ثم قال:** «قال رسول الله ﷺ: أنا المدينة وعليّ الباب، وكذب من زعم أنّه يدخل المدينة إلّا من قبل الباب، وكذب

---

١. الكافي ٢: ٢٤٠ / ٣٢.
٢. الكافي ٢: ٢٤٠ / ٣٥.
٣. الكافي ٢: ٢٣٦ / ٢٤.

من زعم أنّه يحبّني ويبغض عليّاً»[١].

◆ ◆ ◆

باب
البرّ بالوالدين

[١٣٨٤] ١. الكافي، الفقيه: عن الصادق عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿وبالوالدين إحساناً﴾[٢] ما هذا الإحسان؟ فقال: «أن تحسن صحبتهما، وأن لا تكلّفهما أن يسألاك شيئاً ممّا يحتاجان إليه وإن كانا مستغنيين، أليس يقول الله تعالىٰ: ﴿لن تنالوا البرّ حتىٰ تنفقوا ممّا تحبّون﴾[٣]».

قال: وأمّا قول الله تعالىٰ: ﴿إمّا يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما﴾[٤]؟ قال: «إن أضجراك فلا تقل لهما أفّ، ولا تنهرهما إن ضرباك».

قال: ﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾[٥]؟ قال: «إن ضرباك فقل لهما: غفر الله لكما، فذلك منك قول كريم».

قال: ﴿واخفض لهما جناح الذّل من الرحمة﴾؟ قال: «لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلّا برحمة ورقّة، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما، ولا يدك فوق أيديهما، ولا تقدّم قدّامهما»[٦].

◁ بيان

«وأن لا تكلّفهما» يعني إقض حاجتهما قبل أن يسألاك وإن استغنيا عنك فيها «لا تملأ عينيك»: من ملأه فامتلأ، أي لا تحدّ إليهما نظرك زماناً طويلاً.

[١٣٨٥] ٢. الكافي: سئل النبيّ صلى الله عليه وآله: ما حقّ الوالد علىٰ ولده؟ قال: «أن لا يسمّيه باسمه، ولا يمشي

---

١. الكافي ٢: ٢٣٨ / ٢٧.
٢. الاسراء (١٧): ٢٣.
٣. آل عمران (٣): ٩٢.
٤. آل عمران (٣): ٩٢.
٥. الإسراء (١٧): ٢٣.
٦. الكافي ٢: ١٥٧ / ١؛ الفقيه: ٤: ٤٠٧ / ٥٨٥٣.

بين يديه، ولا يجلس قبله، ولا يستسبّ له»[١].

◁ **بيان**

يعني: لا يسبّ أحداً فيسبّ المسبوب أباه.

[١٣٨٦] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «ما يمنع الرجل منكم أن يبرّ والديه حيّين وميّتين! يصلي عنهما، ويتصدّق عنهما، ويحجّ عنهما، ويصوم عنهما، فيكون الذي صنع لهما، وله مثل ذلك، فيزيده الله ببرّه وصلته خيراً كثيراً»[٢].

[١٣٨٧] ٤. الكافي: عنه عليه السلام سئل: أيّ الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها، وبرّ الوالدين، والجهاد في سبيل الله»[٣].

[١٣٨٨] ٥. الكافي: سئل النبيّ صلى الله عليه وآله: من أبرّ؟ قال: «أمّك». قيل: ثمّ من؟ قال: «أمّك». قيل: ثمّ من؟ قال: «أمّك». قيل: ثمّ من؟ قال: «أباك»[٤].

وفي رواية أخرىٰ: «وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك فافعل، فإنّ ذلك من الإيمان»[٥].

[١٣٨٩] ٦. الكافي: جابر، قال: أتىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله رجل فقال: إنّي رجل شابّ نشيط وأحبّ الجهاد، ولي والدة تكره ذلك، فقال له صلى الله عليه وآله: «ارجع وكن مع والدتك، فوالذي بعثني بالحقّ لأُنسها بك ليلة خير من جهاد في سبيل الله سنة»[٦].

[١٣٩٠] ٧. الكافي: قيل للصادق عليه السلام: إنّ أبي قد كبر جداً وضعف، فنحن نحمله إذا أراد الحاجة، فقال: «إن استطعت أن تلي ذلك منه فافعل، ولقّمه بيدك، فإنّه جنّة لك غداً»[٧].

[١٣٩١] ٨. الكافي: قيل للرضا عليه السلام: أدعو لوالديّ إذا كانا لا يعرفان الحقّ؟ قال: «ادع لهما وتصدّق

---

١. الكافي ٢: ١٥٨ / ٥.
٢. الكافي ٢: ١٥٩ / ٧.
٣. الكافي ٢: ١٥٨ / ٤.
٤. الكافي ٢: ١٥٩ / ٩.
٥. الكافي ٢: ١٥٨ / ٢.
٦. الكافي ٢: ١٦٣ / ٢٠.
٧. الكافي ٢: ١٦٢ / ١٣.

عنهما، وإن كانا حيّين لا يعرفان الحقّ فدارهما، فإنّ رسول‌الله ﷺ قال: إنّ الله بعثني بالرحمة لا بالعقوق»[١].

[١٣٩٢] ٩. **الكافي: عن الباقر** ﷺ: «ثلاث لم يجعل الله لأحد فيهنّ رخصة: أداء الأمانة إلىٰ البرّ والفاجر، والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر، وبرّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين»[٢].

[١٣٩٣] ١٠. **الكافي: عنه** ﷺ **سئل: هل يجزي الولد والده؟ فقال:** «ليس له جزاء إلّا في الخصلتين: يكون الوالد مملوكاً فيشتريه ابنه فيعتقه، أو يكون عليه دين فيقضيه عنه»[٣].

[١٣٩٤] ١١. **الكافي: عنه** ﷺ: «إنّ العبد ليكون بارّاً بوالديه في حياتهما، ثمّ يموتان فلا يقضي عنهما دينهما، ولا يستغفر لهما، فيكتبه الله عاقّاً، وإنّه ليكون عاقّاً لهما في حياتهما، غير بارّ بهما، فإذا ماتا قضىٰ دينهما، واستغفر لهما، فيكتبه الله تعالىٰ بارّاً»[٤].

❖ ❖ ❖

باب
صلة الأرحام

[١٣٩٥] ١. **الكافي: عن الصادق** ﷺ **في قول الله عزّوجلّ: ﴿واتّقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيباً﴾**[٥] **قال:** «هي أرحام الناس، إنّ الله أمر بصلتها وعظّمها، ألا ترىٰ أنّه جعلها منه؟»[٦].

◁ **بيان**

«تساءلون به» أي يسأل بعضكم بعضاً، فيقول: أسألك بالله، «جعلها منه» أي قرنها باسمه في الأمر بالتقوىٰ.

---

١. الكافي ٢: ١٥٩ / ٨.
٢. الكافي ٢: ١٦٢ / ١٥.
٣. الكافي ٢: ١٦٣ / ١٩.
٤. الكافي ٢: ١٦٣ / ٢١.
٥. النساء (٤): ٢.
٦. الكافي ٢: ١٥٠ / ب صلة الرحم....

[١٣٩٦] ٢. **الكافي: عن النبيّ ﷺ:** «أُوصي الشاهد من أُمّتي والغائب منهم ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلىٰ يوم القيامة؛ أن يصل الرّحم وإن كان منه علىٰ مسيرة سنة، فإنّ ذلك من الدّين»[١].

[١٣٩٧] ٣. **الكافي: عن الصادق عليه السلام:** «إنّ الرّحم معلّقة بالعرش تقول: اللهم صل من وصلني، واقطع من قطعني، وهي رحم آل محمّد، وهو قول الله تعالىٰ: ﴿**الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل**﴾[٢] ورحم كلّ ذي رحم»[٣].

وفي رواية، قال: «نزلت في رحم آل محمّد، وقد تكون في قرابتك» **ثمّ قال:** «فلا تكوننّ ممّن يقول في الشيء إنّه في شيء واحد»[٤].

◁ **بيان**

تمثيل للمعقول بالمحسوس وإثبات لحقّ الرّحم علىٰ أبلغ وجه، وتعلّقها بالعرش كناية عن مطالبة حقّها بمشهد من الله، ومعنىٰ ما تدعو به: كن له كما كان لي، وافعل به ما فعل بي من الإحسان والإساءة، ومعنىٰ قوله: «فلا تكوننّ ممّن يقول» إنّه إذا نزلت آية في شيء خاصّ، فلا تخصّص حكمها بذلك الأمر، بل عمّمه في نظائره.

[١٣٩٨] ٤. **الكافي: عن النبيّ ﷺ:** «من سرّه أن يمدّ الله في عمره وأن يبسط في رزقه فليصل رحمه، فإنّ الرّحم لها لسان يوم القيامة ذلق يقول: ياربّ صل من وصلني، واقطع من قطعني، فالرجل ليرىٰ أنّه بسبيل خير إذا أتته الرّحم التي قطعها، فتهوي به إلىٰ أسفل قعر في النار»[٥].

[١٣٩٩] ٥. **الكافي: عنه ﷺ:** «حافّتا الصراط يوم القيامة: الرّحم والأمانة، فإذا مرّ الوصول للرّحم المؤدّي للأمانة، نفذ إلىٰ الجنّة، وإذا مرّ الخائن للأمانة القطوع للرّحم لم ينفعه معهما عمل وتكفّأ به الصراط في النار»[٦].

---

١. الكافي ٢: ١٥١ / ٥.
٢. الرعد (١٣): ٢١.
٣. الكافي ٢: ١٥١ / ٧.
٤. الكافي ٢: ١٥٦ / ٢٨.
٥. الكافي ٢: ١٥٦ / ٢٩.
٦. الكافي ٢: ١٥٢ / ١١.

[١٤٠٠] ٦. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «صل رحمك ولو بشربة من ماء، وأفضل ما يوصل به الرحم كفّ الأذىٰ عنها، وصلة الرحم منسأة في الأجل محبّة في الأهل»[١].

وفي رواية: «وتقي مصارع السوء»[٢].

[١٤٠١] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ صلة الرحم والبرّ ليهوّنان الحساب ويعصمان من الذنوب، فصلوا أرحامكم وبرّوا بإخوانكم ولو بحسن السلام وردّ الجواب»[٣].

[١٤٠٢] ٨. الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: «صلة الأرحام تحسن الخلق، وتسمح الكفّ، وتطيب النفس، وتزيد في الرزق، وتنسئ في الأجل»[٤].

[١٤٠٣] ٩. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «صلة الأرحام تزكّي الأعمال، وتنمي الأموال، وتدفع البلوىٰ، وتيسّر الحساب، وتنسئ في الأجل»[٥].

[١٤٠٤] ١٠. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ أعجل الخير ثواباً صلة الرّحم»[٦].

[١٤٠٥] ١١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «صلة الرحم وحسن الجوار، يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار»[٧].

[١٤٠٦] ١٢. الكافي: عنه عليه السلام: «ما نعلم شيئاً يزيد في العمر إلّا صلة الرّحم، حتىٰ أنّ الرجل يكون أجله ثلاث سنين، فيكون وصولاً للرّحم، فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة، فيجعلها ثلاثاً وثلاثين سنة، ويكون أجله ثلاثاً وثلاثين سنة، فيكون قاطعاً للرّحم، فينقصه الله تعالىٰ ثلاثين سنة، ويجعل أجله إلىٰ ثلاث سنين»[٨].

[١٤٠٧] ١٣. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه أتاه رجل، فقال يا رسول الله، أهل بيتي أبوا إلّا توثّباً عليّ وقطيعة

---

١. الكافي ٢: ١٥١ / ٩.
٢. الكافي ٢: ١٥٧ / ٣٢.
٣. الكافي ٢: ٦٨ / ١٥٧ / ٣١.
٤. الكافي ٢: ١٥٢ / ١٢.
٥. الكافي ٢: ١٥١ / ٦.
٦. الكافي ٢: ١٥٢ / ١٤.
٧. الكافي ٢: ١٥٢ / ١٥.
٨. الكافي ٢: ١٥٢ / ١٧.

لي وشتيمة، فأرفضهم؟ قال: «إذاً يرفضكم الله جميعاً».

قال: فكيف أصنع؟ قال: «تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمّن ظلمك، فإنّك إذا فعلت ذلك كان لك من الله عليهم ظهير»[١].

[١٤٠٨] ١٤. **الكافي: عن أمير المؤمنين**عليه السلام: «لن يرغب المرء عن عشيرته وإن كان ذا مال وولد، وعن مودّتهم وكرامتهم ودفاعهم بأيديهم وألسنتهم، هم أشدّ الناس حيطة من ورائه، وأعطفهم عليه، وألمّهم لشعثه، إن أصابته مصيبة أو نزل به بعض مكاره الأُمور، ومن يقبض يده عن عشيرته، فإنّما يقبض عنهم يداً واحدة، ويقبض عنه منهم أيدي كثيرة، ومن يلن حاشيته يعرف صديقه منه المودّة، ومن بسط يده بالمعروف إذا وجده، يخلف الله له ما أنفق في دنياه، ويضاعف له في آخرته، ولسان الصدّق للمرء يجعله الله في الناس خيراً من المال يأكله ويورثه، ولا يزدادنّ أحدكم كبراً وعظماً في نفسه ونأياً عن عشيرته إن كان موسراً في المال، ولا يزدادنّ أحدكم في أخيه زهداً ولا منه بعداً، إذا لم ير منه مروءة وكان معوزاً في المال، لا يغفل أحدكم عن القرابة بها الخصاصة، أن يسدّها بما لا ينفعه إن أمسكه، ولا يضرّه إن استهلكه»[٢].

◁ **بيان**

لمّا كان ذو المال والولد أكثر ما يكون مستغنياً عن غيره راغباً عنه جعله الفرد الأخفىٰ «ودفاعهم» يعني لن يرغب عن دفاعهم عنه «حيطة» أي محافظة وحماية وذبّاً عنه «ألمّهم لشعثه» أي أجمعهم لتفرّقه «يلن حاشيته» أي يخفض جناحه.

[١٤٠٩] ١٥. **الكافي: عن النبي**صلى الله عليه وآله: «إنّ القوم ليكونون فجرة ولا يكونون بررة، فيصلون أرحامهم فتنمىٰ أموالهم وتطول أعمارهم، فكيف إذا كانوا أبراراً بررة!»[٣].

[١٤١٠] ١٦. **الكافي، الفقيه: عنه**صلى الله عليه وآله: «الصدقة بعشرة، والقرض بثمانية عشرة، وصلة الإخوان بعشرين، وصلة الأرحام بأربعة وعشرين»[٤].

---

١. الكافي ٢: ١٥٠ / ٢.
٢. الكافي ٢: ١٥٤ / ١٩.
٣. الكافي ٢: ١٥٥ / ٢١.
٤. الكافي ٤: ٢٩ / ١٠ / ٣؛ والفقيه ٢: ٦٧ / ١٧٣٨.

[١٤١١] ١٧. الكافي: سئل الصادق عليه السلام: يكون لي القرابة على غير أمري، ألهم علي حق؟ قال: «نعم، حقّ الرّحم لا يقطعه شيء، وإذا كانوا على أمرك كان لهم حقّان: حقّ الرّحم، وحقّ الاسلام»[١].

[١٤١٢] ١٨. الكافي: عنه عليه السلام قال: «صحبة عشرين سنة قرابة»[٢].

❖ ❖ ❖

باب
حسن الجوار وحدّه

[١٤١٣] ١. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «حسن الجوار يعمر الديار، وينسئ في الأعمار»[٣].

[١٤١٤] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «حسن الجوار يزيد في الرّزق»[٤].

[١٤١٥] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «المؤمن من أمن جاره بوائقه». قيل: وما بوائقه؟ قال: «ظلمه وغشمه»[٥].

وفي رواية: «لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه»[٦].

[١٤١٦] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «اعلموا أنه ليس منّا من لم يحسن مجاورة من جاوره»[٧].

وفي رواية: «أما يستحيي الرجل منكم أن يعرف جاره حقّه ولا يعرف حقّ جاره؟!»[٨].

[١٤١٧] ٥. الكافي: عنه عليه السلام قال: «جاءت فاطمة عليها السلام تشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بعض أمرها، فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله كُرَيّسة وقال: تعلّمي ما فيها، فإذا فيها: من كان يؤمن بالله

---

١. الكافي ٢: ١٥٧ / ٣٠.
٢. الكافي ٦: ١٩٩ / ٥.
٣. الكافي ٢: ٦٧٧ / ٨.
٤. الكافي ٢: ٦٦٦ / ٢٤ / ٣.
٥. الكافي ٢: ٦٦٨ / ١٢.
٦. الكافي ٢: ٦٦٦ / ١.
٧. الكافي ٢: ٦٦٨ / ١١.
٨. الكافي ٢: ٦٣٥ / ٣.

واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت»[١].

◁ **بيان**

«الكُرَيّسة» مصغّراً: الكرّاسة، وهو الجزء من الصحيفة.

[١٤١٨] ٦. **الفقيه: قال النبيّ ﷺ: «ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنّه سيورّثه»**[٢].

[١٤١٩] ٧. **الكافي: عن الصادق ﷺ: «إنّ يعقوب لمّا ذهب منه بنيامين نادىٰ: يا ربّ أما ترحمني، أذهبت عيني وأذهبت ابني، فأوحىٰ الله تعالىٰ: لو أمتّهما لأحييتهما لك حتىٰ أجمع بينك وبينهما، ولكن تذكر الشاة التي ذبحتها وشويتها وأكلت، وفلان إلىٰ جانبك صائم لم تنله منها شيئاً»**[٣].

وفي رواية قال: «وكان بعد ذلك يعقوب ينادي مناديه كلّ غداة من منزله علىٰ فرسخ: ألا من أراد الغداء فليأت إلىٰ يعقوب، وإذا أمسىٰ نادىٰ: ألا من أراد العشاء فليأت إلىٰ يعقوب»[٤].

[١٤٢٠] ٨. **الكافي: عن النبيّ ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع» قال: «وما من أهل قرية يبيت فيهم جائع ينظر الله إليهم»**[٥].

[١٤٢١] ٩. **الكافي: عنه ﷺ: «كتب بين المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من أهل يثرب: أنّ الجار كالنفس غير مضارّ ولا آثم، وحرمة الجار علىٰ الجار كحرمة أُمّه»**[٦].

◁ **بيان**

يعني لا يضرّه ولا يوقعه في الإثم، أو لا يعد عليه الأمر إثماً.

---

١. الكافي ٢: ٦٦٧ / ٦.
٢. الفقيه ٤: ١٣ / ٤٩٦٨.
٣. الكافي ٢: ٦٦٦ / ٤.
٤. الكافي ٢: ٦٦٧ / ٥.
٥. الكافي ٢: ٦٦٨ / ١٤.
٦. الكافي ٢: ٦٦٦ / ٢.

[١٤٢٢] ١٠. الكافي: عن الكاظم عليه السلام: «ليس حسن الجوار كفّ الأذىٰ، ولكن حسن الجوار صبرك علىٰ الأذىٰ»[١].

[١٤٢٣] ١١. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «حدّ الجوار أربعون داراً من كلّ جانب من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله»[٢].

❖ ❖ ❖

باب
حسن المعاشرة مع عامّة الناس

[١٤٢٤] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «عليكم بالصلاة في المساجد، وحسن الجوار للناس، وإقامة الشهادة، وحضور الجنائز، إنّه لابدّ لكم من النّاس، إن أحداً لا يستغني عن الناس حياته، والناس لابدّ لبعضهم من بعض»[٣].

[١٤٢٥] ٢. الكافي: عنه عليه السلام سئل: كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا، وفيما بيننا وبين خلطائنا من الناس؟ فقال: «تؤدّون الأمانة إليهم، وتقيمون الشهادة لهم وعليهم وتعودون مرضاهم، وتشهدون جنائزهم»[٤].

◁ **بيان**

أراد بالقوم الخاصة، وبالخلطاء العامة.

[١٤٢٦] ٣. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «من خالطت، فإن استطعت أن تكون يدك العليا عليهم فافعل»[٥].

[١٤٢٧] ٤. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «ياشيعة آل محمّد، اعلموا أنّه ليس منّا من لم يملك نفسه عند غضبه، ومن لم يحسن صحبة من صَحِبَه، ومخالقة من خالقه، ومرافقة من رافقه،

---

١. الكافي ٢: ٦٦٧ / ٩.
٢. الكافي ٢: ٦٦٩ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٦٣٥ / ١.
٤. الكافي ٢: ٦٣٥ / ٢.
٥. الكافي ٢: ٦٣٧ / ١.

ومجاورة من جاوره، ومماحة من مالحه ياشيعة آل محمّد، اتّقوا الله ما استطعتم، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله»[١].

◁ **بيان**

«المخالقة» المعاشرة بخلق حسن، «والممالحة» المؤاكلة.

[١٤٢٨] ٥. **الكافي: عنه عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿إنّا نراك من المحسنين﴾**[٢] **قال:** «كان يوسّع المجلس، ويستقرض للمحتاج، ويعين الضعيف»[٣].

[١٤٢٩] ٦. **الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله:** «التودّد إلىٰ الناس نصف العقل»[٤].

وفي رواية: «تحبّب إلىٰ الناس يحبّوك»[٥].

◁ **بيان**

لعلّ النصف الآخر أن يكون مع ذلك متبتلاً إلىٰ الله تعالىٰ في باطنه، متيقّناً بأن الناس لو اجتمعوا بحذافيرهم علىٰ أن ينفعوه بمثقال ذرّةٍ أو يضرّوه ما قدروا علىٰ ذلك إلّا أن يشاء الله تعالىٰ.

[١٤٣٠] ٧. **الكافي: عن الصادق عليه السلام:** «مجاملة الناس ثلث العقل»[٦].

◁ **بيان**

وذلك لأن المجاملة ـ وهي المعاملة بالجميل ـ لا تستلزم التودّد، والتودّد يستلزم المجاملة، فهما مع التبتّل في الباطن إلىٰ الله تعالىٰ تمام العقل.

[١٤٣١] ٨. **الكافي: عن أحدهما عليهما السلام:** «الانقباض من الناس مكسبة للعداوة»[٧].

---

١. الكافي ٢: ٦٣٧ / ٢.
٢. يوسف (١٢): ٣٦ و ٧٨.
٣. الكافي ٢: ٦٣٧ / ٣.
٤. الكافي ٢: ٦٤٣ / ٤.
٥. الكافي ٢: ٦٤٢ / ١.
٦. الكافي ٢: ٦٤٣ / ٢.
٧. الكافي ٢: ٦٣٨ / ٥.

[١٤٣٢] ٩. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «ما أيسر ما رضي به الناس عنكم! كفوّا ألسنتكم عنهم»[١].

[١٤٣٣] ١٠. الكافي: عنه عليه السلام: «خالط الناس تخبرهم، ومتى تخبرهم تقلهم»[٢].

◁ بيان

الوجه فيه أنّ التجربة تظهر ما يكره غالباً. وعن أمير المؤمنين عليه السلام «أُخبر تقله»[٣] أي جرّب تبغض والهاء للسّكت، وعن المأمون الخليفة: لولا أن عليّاً عليه السلام قال: «أُخبر تقله» لقلت أنا: أقله تخبر، وذلك لأنّ الحبّ يعمي عن رؤية المساوئ.

[١٤٣٤] ١١. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «من يتفقّد يفقد، ومن لا يعدّ الصبر لنوائب الدهر يعجز، ومن قرض الناس قرضوه، ومن تركهم لم يتركوه».

قيل: فأصنع ماذا يارسول الله؟ قال: «أقرضهم من عرضك ليوم فقرك»[٤].

◁ بيان

يعني من يتفقّد أحوال الناس ويتعرّفها فإنّه لا يجد ما يرضيه، لأنّ الخير في الناس قليل، ويعني بآخر الحديث أنّ من عابك وذمّك فلا تجازه، واجعله قرضاً في ذمّته لتستوفيه منه يوم حاجتك في القيامة.

[١٤٣٥] ١٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «كظم الغيظ عن العدوّ في دولاتهم تقيّة حزم لمن أخذ به، وتحرّز من التعرّض للبلاء في الدنيا، ومعاندة الأعداء في دولاتهم ومماظّتهم في غير تقيّة ترك أمر الله، فجاملوا الناس يسمو ذلك لكم عندهم، ولا تعادوهم فتحملوهم على رقابكم فتذلّوا»[٥].

◁ بيان

«الحزم» ضبط الأمر، «والمماظّة» بالمعجمة: المنازعة والمشارة، «والسمّو» العلوّ.

[١٤٣٦] ١٣. الكافي: عنه عليه السلام: «صانع المنافق بلسانك، واخلص ودّك للمؤمن، فإن جالسك

---

١. الكافي ٨: ٣٤١ / ٥٣٧.
٢. الكافي ٨: ١٧٦ / ١٩٦.
٣. نهج البلاغة: ٥٣٣ / ٤٣٤.
٤. الكافي ٨: ٢٧٨ / ٤٢٠.
٥. الكافي ٢: ١٠٩ / ٤.

يهوديّ فأحسن مجالسته»[١].

◁ **بيان**

«المصانعة» المداراة والمداهنة.

[١٤٣٧] ١٤. الكافي: عنه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: «أنّ أمير المؤمنين عليه السلام صاحب رجلاً ذمّياً، فقال له الذمّي: أين تريد ياعبد الله: قال: أُريد الكوفة، فلمّا عدل الطريق بالذمّي عدل معه أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له الذمّي: ألست زعمت أنّك تريد الكوفة؟ فقال له: بلىٰ، فقال له الذمّي: فقد تركت الطريق؟ فقال له: قد علمت، قال: فلم عدلت معي وقد علمت ذلك؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: هذا من تمام حسن الصحبة أن يشيّع الرجل صاحبه هنيئة إذا فارقه، وكذلك أمرنا نبيّنا، فقال له الذمّي: هكذا؟ قال: نعم، قال: إنّما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة، فأنا أُشهدك أنّي علىٰ دينك، ورجع الذمّي مع أمير المؤمنين عليه السلام فلمّا عرفه أسلم»[٢].

[١٤٣٨] ١٥. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّما سمّي إسماعيل صادق الوعد لأنّه وعد رجلاً في مكان فانتظره في ذلك المكان سنة، فسمّاه الله صادق الوعد، ثم إنّ الرجل أتاه بعد ذلك فقال له إسماعيل: ما زلت منتظراً لك»[٣].

◁ **بيان**

قد مرّ في باب الطاعة والتقوىٰ ما يناسب هذا الباب.

❖ ❖ ❖

باب
التقيّة

[١٤٣٩] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرّتين بما صبروا﴾

---

١. الفقيه ٤: ١٧٥ / ٥٨٧٢.
٢. الكافي ٢: ٦٧٠ / ٥.
٣. الكافي ٢: ١٠٥ / ٧.

قال: «بما صبروا على التقيّة» ﴿ويدرؤن بالحسنة السيئة﴾[1] قال: «الحسنة: التقيّة، والسيّئة: الإذاعة»[2].

[١٤٤٠] ٢. الكافي: عنه عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿لا تستوي الحسنة ولا السيّئة﴾[3] قال: «الحسنة: التقيّة، والسيّئة: الإذاعة».

وقوله تعالىٰ: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيّئة﴾[4]. قال: «التي هي أحسن: التقيّة»، ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾[5].

[١٤٤١] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ تسعة أعشار الدّين التقيّة، ولا دين لمن لا تقيّة له، والتقيّة في كلّ شيء إلّا في النبيذ والمسح علىٰ الخفين»[6].

[١٤٤٢] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «التقيّة من دين الله».

قيل: من دين الله؟ قال: «إي والله من دين الله، ولقد قال يوسف: ﴿أيتها العير إنّكم لسارقون﴾[7] والله ما كانوا سرقوا شيئاً، ولقد قال إبراهيم: ﴿إنّي سقيم﴾[8] والله ما كان سقيماً»[9].

[١٤٤٣] ٥. الكافي: سئل الرضا عليه السلام عن القيام للولاة، فقال: «قال أبو جعفر عليه السلام: التقيّة من ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقيّة له»[10].

[١٤٤٤] ٦. الكافي: حبيب بن بشير، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «سمعت أبي يقول: لا والله ما علىٰ وجه الأرض شيء أحبّ إليّ من التقيّة، ياحبيب، إنّه من كانت له تقيّة رفعه الله تعالىٰ.

---

١. القصص (٢٨): ٥٤.
٢. الكافي ٢: ٢١٧ / ١.
٣. فصّلت ٤١: ٣٤.
٤. المؤمنون ٢٣: ١٤.
٥. الكافي ٢: ٢١٨ / ٦.
٦. الكافي ٢: ٢١٧ / ٢.
٧. يوسف (١٢): ٧٠.
٨. الصافات ٣٧: ٨٩.
٩. الكافي ٢: ٢١٧ / ٣.
١٠. الكافي ٢: ٢١٩ / ١٢.

ياحبيب، ومن لم يكن له تقيّة وضعه الله، ياحبيب، إنّ الناس إنّما هم في هدنة، فلو قد كان ذاك كان هذا»[١].

◁ **بيان**

يعني أنّ مخالفينا اليوم في هدنة وصلح ومسالمة معنا لا يريدون قتالنا والحرب معنا، ولهذا نعمل معهم بالتقيّة «فلو قد كان ذاك» يعني لو كان في زمن أمير المؤمنين والحسين بن عليّ صلوات الله عليهما أيضاً الهدنة لكانت التقيّة، فإنّ التقيّة واجبة ما أمكنت، فإذا لم تمكن جاز تركها لمكان الضرورة.

[١٤٤٥] ٧. **الكافي: سئل الباقر عليه السلام: رجلان من أهل الكوفة أخذا فقيل لهما: إبرءا من أمير المؤمنين، فبرئ واحد منهما وأبى الآخر، فخلّي سبيل الذي برئ وقتل الآخر، فقال: «أمّا الذي برئ فرجل فقيه في دينه، وأمّا الذي لم يتبرّأ فرجل تعجّل إلى الجنّة»**[٢].

[١٤٤٦] ٨. **الكافي: عن الصادق عليه السلام: «كان أبي يقول: وأيّ شيء أقرّ لعيني من التقيّة، إنّ التقيّة جُنّة المؤمن»**[٣].

[١٤٤٧] ٩. **الكافي: عنه عليه السلام: «التقيّة ترس الله بينه وبين خلقه»**[٤].

[١٤٤٨] ١٠. **الكافي: عنه عليه السلام: «التقيّة ترس المؤمن، والتقيّة حرز المؤمن، ولا إيمان لمن لا تقيّة له، إنّ العبد ليقع إليه الحديث من حديثنا فيدين الله به فيما بينه وبينه، ويكون له عزّاً في الدنيا ونوراً في الآخرة، وإنّ العبد ليقع إليه الحديث من حديثنا فيذيعه، فيكون له ذلّاً في الدنيا، وينزع الله تعالى ذلك النور منه»**[٥].

[١٤٤٩] ١١. **الكافي: عنه عليه السلام: «اتّقوا على دينكم واحجبوه بالتقيّة، فإنّه لا إيمان لمن لا تقيّة له، إنّما أنتم في الناس كالنّحل في الطير، لو أنّ الطير يعلم ما في أجواف النحل ما بقي منها شيء إلّا أكلته، ولو أنّ الناس علموا ما في أجوافكم أنّكم تحبّونا أهل**

---

١. الكافي ٢: ٢١٧ / ٤.
٢. الكافي ٢: ٢٢١ / ٢١.
٣. الكافي ٢: ٢٢٠ / ١٤.
٤. الكافي ٢: ٢٢١ / ٢٣.
٥. الكافي ٢: ٢٢٠ / ١٩.

البيت لأكلوكم بألسنتهم، ولنحلوكم في السّر والعلانية، رحم الله عبداً منكم كان علىٰ ولايتنا»[١].

◁ **بيان**

«لنحلوكم» أي سبّوكم.

[١٤٥٠] ١٢. **الكافي: عنه** ﷺ: «ما بلغت تقيّة أحد تقيّة أصحاب الكهف، إن كانوا ليشهدون الأعياد، ويشدّون الزنّانير، فأعطاهم الله أجرهم مرّتين»[٢].

[١٤٥١] ١٣. **الكافي: عن الباقر** ﷺ: «خالطوا الناس بالبرّانية، وخالفوهم بالجوّانية، إذا كانت الإمرة صبيانية»[٣].

◁ **بيان**

يعني خالطوا الناس بالعلانية والظاهر، وخالفوهم في السّر والباطن، إذا كانت الإمارة بيد الصبيان والسفهاء.

[١٤٥٢] ١٤. **الكافي: عن الصادق** ﷺ: «احذروا عواقب العثرات»[٤].

[١٤٥٣] ١٥. **الكافي: عنه** ﷺ **قال**: «كلّما يقارب هذا الأمر كان أشدّ للتقيّة»[٥].

◁ **بيان**

لعلّ المراد أن كلّما يتقارب الزمان من ظهور هذا الأمر وقيام القائم تصير التقيّة أوجب.

[١٤٥٤] ١٦. **الكافي: عن الباقر** ﷺ: «التقيّة في كلّ شيء يضطرّ إليه ابن آدم، فقد أحلّها الله له»[٦].

---

١. الكافي ٢: ٢١٨ / ٥.
٢. الكافي ٢: ٢١٨ / ٨.
٣. الكافي ٢: ٢٢٠ / ٢٠.
٤. الكافي ٢: ٢٢١ / ٢٢.
٥. الكافي ٢: ٢٢٠ / ١٧.
٦. الكافي ٢: ٢٢٠ / ١٨.

وفي رواية: «وصاحبها أعلم بها حين تنزل به»[١].

[١٤٥٥] ١٧. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّما جعلت التقيّة ليحقن بها الدم، فإذا بلغ الدم فليس تقيّة»[٢].

❖ ❖ ❖

باب
الكتمان

[١٤٥٦] ١. الكافي: عن السجاد عليه السلام: «وددت والله أنّي افتديت خصلتين في الشيعة لنا ببعض لحم ساعدي: النزق، وقلّة الكتمان»[٣].

◁ بيان

«النزق» بالنون والزاي: الطّيش والخفّة عند الغضب.

[١٤٥٧] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «أُمر الناس بخصلتين، فضيّعوهما فصاروا منهما على غير شيء: الصبر والكتمان»[٤].

[١٤٥٨] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّكم على دينٍ مَن كتمه أعزّه الله، ومن أذاعه أذلّه الله»[٥].

[١٤٥٩] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّه ليس من احتمال أمرنا التصديق له والقبول فقط، من احتمال أمرنا ستره وصيانته من غير أهله، فاقرأهم السلام وقل لهم: رحم الله عبداً اجترّ مودّة الناس إلى نفسه، حدّثوهم بما يعرفون واستروا عنهم ما ينكرون».

ثم قال: «والله ما الناصب لنا حرباً بأشدّ علينا مؤنة من الناطق علينا بما نكره، فإذا عرفتم من عبد إذاعة فامشوا إليه وردّوه عنها، فإن قبل منكم وإلّا فتحملوا عليه بمن يثقل عليه ويسمع منه، فإنّ الرجل منكم يطلب الحاجة فيلطف فيها حتى تقضى له،

---

١. الكافي ٢: ٩٧ / ٢١٩ / ١٣.
٢. الكافي ٢: ٢٢١ / ١٦.
٣. الكافي ٢: ٢٢١ / ١.
٤. الكافي ٢: ٢٢٢ / ٢.
٥. الكافي ٢: ٢٢٢ / ٣.

فالطفوا في حاجتي كما تلطفون في حوائجكم، فإن هو قبل منكم وإلّا فادفنوا كلامه تحت أقدامكم ولا تقولوا: إنه يقول ويقول، فإنّ ذلك يحمل عليّ وعليكم، أما والله لو كنتم تقولون ما أقول لأقررت أنكم أصحابي، هذا أبو حنيفة له أصحاب، وهذا الحسن البصري له أصحاب، وأنا امرؤ من قريش قد ولدني رسول الله ﷺ وعلمت كتاب الله وفيه تبيان كلّ شيء بدو الخلق وأمر السماء وأمر الأرض، وأمر الأوّلين وأمر الآخرين، وأمر ما كان وأمر ما يكون كأنّي أنظر إلىٰ ذلك نصب عيني»[1].

[١٤٦٠] ٥. الكافي: معلّىٰ بن خنيس، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «يامعلّىٰ، اكتم أمرنا ولا تذعه، فإنّ من كتم أمرنا ولم يذعه أعزّه الله به في الدنيا وجعله نوراً بين عينيه في الآخرة يقوده إلىٰ الجنّة.

يامعلّىٰ، من أذاع أمرنا ولم يكتمه أذلّه الله به في الدنيا ونزع النور من بين عينيه في الآخرة وجعله ظلمة تقوده إلىٰ النار. يامعلّىٰ، إنّ التقيّة من ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقيّة له. يامعلّىٰ، إنّ الله يحبّ أن يعبد في السّر كما يحبّ أن يعبد في العلانية. يامعلّىٰ، إنّ المذيع لأمرنا كالجاحد له»[2].

◁ **بيان**

كأنّه عليه السلام كان يخاف علىٰ معلّىٰ القتل لما يرىٰ من حرصه علىٰ الإذاعة، ولذلك أكثر من نصيحته بذلك، ومع ذلك لم تنجع نصيحته فيه، وأنّه قد قتل بذلك، وتأتي أخبار نكال الإذاعة في بابها إن شاء الله.

[١٤٦١] ٦. الكافي: عمّار، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «أخبرت بما أخبرتك به أحداً؟» قلت: لا، إلّا سليمان بن خالد، قال: «أحسنت أما سمعت قول الشاعر:

فلا يعدون سرّي وسرّك ثالثاً ألا كُلُّ سرّ جاوز اثنين شائع»[3]

◁ **بيان**

قوله: «أحسنت»، يحتمل أن يكون علىٰ ظاهره، وأن يكون علىٰ التهكّم، والثاني

---

١. الكافي ٢: ٢٢٢ / ٥.
٢. الكافي ٢: ٢٢٣ / ٨.
٣. الكافي ٢: ٢٢٤ / ٩.

أوفق بقوله: «أما سمعت» فإنّ سليمان كان ثالثاً.

[١٤٦٢] ٧. **الكافي: عن الرضا عليه السلام: أنّه سئل عن مسألة فأبىٰ وأمسك، ثم قال:** «لو أعطيناكم كلّ ما تريدون كان شرّاً لكم وأُخذ برقبة صاحب الأمر، قال أبوجعفر عليه السلام: ولاية الله أسرّها إلىٰ جبرئيل، وأسرّها جبرئيل إلىٰ محمّد، وأسرّها محمّد إلىٰ عليّ، وأسرّها عليّ إلىٰ من شاء الله، ثم أنتم تذيعون ذلك، من الذي أمسك حرفاً سمعه؟! قال أبو جعفر عليه السلام: في حكمة آل داود: ينبغي للمسلم أن يكون مالكاً لنفسه مقبلاً علىٰ شأنه عارفاً بأهل زمانه، فاتّقوا الله ولا تذيعوا حديثنا»[١].

[١٤٦٣] ٨. **الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله:** «طوبىٰ لعبد نؤمة، عرفه الله ولم يعرفه الناس، أُولئك مصابيح الهدىٰ وينابيع العلم، ينجلي عنهم كلّ فتنة مظلمة، ليسوا بالمذاييع البذّر، ولا بالجفاة المرائين»[٢].

◁ **بيان**

«النؤمة» الخامل الذكر الذي لا يؤبه له، «والمذياع» من لا يكتم السرّ «والبذير» النمّام ومن لا يستطيع كتم سرّه، وككتف: كثير الكلام «والجافي»: الكز الغليظ السيّء الخلق، كأنه جعله لانقباضه مقابلاً لمنبسط اللسان الكثير الكلام، والمراد النهي عن طرفي الإفراط والتفريط ولزوم الوسط.

[١٤٦٤] ٩. **الكافي: عن الكاظم عليه السلام:** «إن كان في يدك هذه شيء فاستطعت أن لا تعلم هذه فافعل» **وكان عنده إنسان فتذاكروا الإذاعة فقال:** «احفظ لسانك تعزّ، ولا تمكّن الناس من قياد رقبتك فتذلّ»[٣].

[١٤٦٥] ١٠. **الكافي: عن الصادق عليه السلام:** «إنّ أمرنا مستور مقنّع بالميثاق، فمن هتك علينا أذلّه الله»[٤].

---

١. الكافي ٢: ٢٢٤ / ١٠.
٢. الكافي ٢: ٢٢٥ / ١١.
٣. الكافي ٢: ٢٢٥ / ١٤.
٤. الكافي ٢: ٢٢٦ / ١٥.

◁ **بيان**

شبّه الميثاق المأخوذ منهم على الكتمان بالقناع.

[١٤٦٦] **١١. الكافي: عنه عليه السلام: «نفس المهموم لنا المغتمّ لظلمنا تسبيح، وهمّه لأمرنا عبادة، وكتمانه سرّنا جهاد في سبيل الله»**[١].

[١٤٦٧] **١٢. الكافي: جابر بن يزيد، قال: حدّثني محمّد بن عليّ عليهما السلام سبعين حديثاً لم أحدّث بها أحداً قطّ، ولا أحدّث بها أحداً أبداً، فلمّا مضى محمّد بن عليّ عليه السلام ثقلت على عنقي، وضاق بها صدري، فأتيت أبا عبدالله عليه السلام فقلت: إنّ أباك حدّثني سبعين حديثاً لم يخرج منّي شيء منها إلى أحد وأمرني بسترها، وقد ثقلت على عنقي وضاق بها صدري، فما تأمرني؟ فقال: «ياجابر، إذا ضاق بك من ذلك شيء فاخرج إلى الجبّانة واحتفر حفيرة، ثم دلّ رأسك فيها وقل: حدّثني محمّد بن عليّ بكذا وكذا، ثمّ طمّه، فإنّ الأرض تستر عليك» قال جابر: ففعلت ذلك، فخفّ عنّي ما كنت أجده**[٢].

◁ **بيان**

قد روي مثل ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام، وأنّه كان قد أدلى إلى نصفه في البئر يخاطب البئر والبئر تخاطبه، رواه ميثم قال: فحسّ بي فالتفت وقال: «من؟» قلت: ميثم. فقال: «سمعت ممّا قلت شيئاً»؟ قلت: لا يامولاي، فقال: «يامثيم،

وفي الصدر لبابات ... إذا ضاق لها صدري
نكتُّ الأرض بالكفّ ... وأبديتُ لها سرّي
فمهما تنبت الأرض ... فذاك النبت من بذري»[٣]

❖ ❖ ❖

باب

الاهتمام بأُمور المسلمين ونصيحتهم

[١٤٦٨] **١. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «من أصبح لا يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم».**

---

١. الكافي ٢: ٢٢٦ / ١٦.
٢. الكافي ٨: ١٥٧ / ١٤٩.
٣. بحارالأنوار ٤٠: ٢٠٠ / ٩٣.

وفي رواية: «من سمع رجلاً ينادي: ياللمسلمين، فلم يجبه فليس بمسلم»[١].

[١٤٦٩] ٢. الكافي: عنه ﷺ: «أنسك الناس نسكاً أنصحهم حبيباً، وأسلمهم قلباً لجميع المسلمين»[٢].

◁ بيان
يعني أشدّهم عبادة أكثرهم نصحاً وأمانة.

[١٤٧٠] ٣. الكافي: عنه ﷺ: «إنّ أعظم الناس منزلة عند الله يوم القيامة أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه»[٣].

◁ بيان
نصيحة الخلق: إرشادهم إلىٰ مصالحهم.

[١٤٧١] ٤. الكافي: عنه ﷺ: «الخلق عيال الله، فأحبّ الخلق إلىٰ الله من نفع عيال الله، وأدخل علىٰ أهل بيت سروراً»[٤].

[١٤٧٢] ٥. الكافي: عنه ﷺ: «من ردّ عن قوم من المسلمين عادية ـ ماءً أو ناراً ـ وجبت له الجنّة»[٥].

[١٤٧٣] ٦. الكافي: عن الباقر ﷺ في قول الله تعالىٰ: ﴿وقولوا للناس حُسناً﴾[٦] قال: «قولوا للناس أحسن ما تحبّون أن يقال فيكم»[٧].
وفي رواية: «ولا تقولوا إلّا خيراً حتىٰ تعلموا ما هو»[٨].

---

١. الكافي ٢: ١٦٤ / ٥.
٢. الكافي ٢: ١٦٣ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٢٠٨ / ٥.
٤. الكافي ٢: ١٦٤ / ٦.
٥. الكافي ٢: ١٦٤ / ٨.
٦. البقرة (٢): ٨٣.
٧. الكافي ٢: ١٦٥ / ١٠.
٨. الكافي ٢: ١٦٤ / ٩.

[١٤٧٤] ٧. الكافي: عن الصادق عليه السلام في قول الله تعالىٰ: «وجعلني مباركاً أينما كنت»[١] قال: «نفّاعاً»[٢].

◆ ◆ ◆

باب
الإصلاح بين الناس

[١٤٧٥] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «صدقة يحبّها الله تعالىٰ إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا»[٣].

[١٤٧٦] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «لأن أُصلح بين اثنين أحبّ إليّ من أن أتصدّق بدينارين»[٤].

[١٤٧٧] ٣. الكافي: عنه عليه السلام قال للمفضّل: «إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة فافتدها من مالي»[٥].

[١٤٧٨] ٤. الكافي: عنه عليه السلام قال لبعض أصحابه: «أبلغ عنّي كذا وكذا». في أشياء أمربها، قال: فأبلغهم عنك وأقول عنيّ ما قلت لي وغير الذي قلت؟ قال: «نعم، إنّ المصلح ليس بكذّاب، إنّما هو الصلح ليس بكذب»[٦].

[١٤٧٩] ٥. الكافي، التهذيب: عنه عليه السلام في قول الله تعالىٰ: «ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبرّوا وتتقوا وتصلحوا بين الناس»[٧] قال: «هو إذا دعيت لصلح بين اثنين فلا تقل: علي يمين ألّا أفعل»[٨].

---

١. مريم (١٩): ٣١.
٢. الكافي ٢: ١٦٥ / ١١.
٣. الكافي ٢: ٢٠٩ / ١.
٤. الكافي ٢: ٢٠٩ / ٢.
٥. الكافي ٢: ٢٠٩ / ٣.
٦. الكافي ٢: ٢١٠ / ٧.
٧. البقرة (٢): ٢٢٤.
٨. الكافي ٢: ٢١٠ / ٦، التهذيب ٨: ٢٨٩ / ١٠٦٦.

◁ **بيان**

يعني لا تقل حلفت بالله أن لا أصلح بين الناس.

❖ ❖ ❖

باب

إكرام الكبير والكريم والشريف

[١٤٨٠] ١. **الكافي: عن النبيّ** ﷺ: «من وقّر ذا شيبة في الإسلام أمنه الله من فزع يوم القيامة»[١].

[١٤٨١] ٢. **الكافي: عن الصادق** ﷺ: «من إجلال الله عزّوجلّ إجلال المؤمن ذي الشيبة، ومن أكرم مؤمناً فبكرامة الله بدأ، ومن استخفّ بمؤمن ذي شيبة أرسل الله إليه من يستخف به قبل موته»[٢].

[١٤٨٢] ٣. **الكافي: عنه** ﷺ: «ليس منّا من لم يوقّر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا»[٣].

[١٤٨٣] ٤. **الكافي: عنه** ﷺ **قال:** «دخل رجلان على أمير المؤمنين ﷺ، فألقى لكلّ واحد منهما وسادة، فقعد عليها أحدهما وأبى الآخر، فقال أمير المؤمنين ﷺ: اقعد عليها، فإنّه لا يأبى الكرامة إلّا حمار، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»[٤].

[١٤٨٤] ٥. **الكافي: عن أمير المؤمنين** ﷺ **قال:** «لما قدم عديّ بن حاتم إلى النبيّ ﷺ أدخله النبيّ ﷺ بيته، ولم يكن في بيته غير خصفة ووسادة من أدم[٥]، فطرحها رسول الله ﷺ لعديّ بن حاتم»[٦].

---

١. الكافي ٢: ٦٥٨ / ٣.
٢. الكافي ٢: ١٦٥ / ١.
٣. الكافي ٢: ١٦٥ / ٢.
٤. الكافي ٢: ٦٥٩ / ١.
٥. الأدم: اسم جمع الأديم، وهو الجلد أو أحمره أو مدبوغه.
٦. الكافي ٢: ٦٥٩ / ٣.

◁ **بيان**

«الخصفة» محرّكة: تقال للجلة والثوب الغليظ.

[١٤٨٥] ٦. **الكافي: سئل الصادق عليه السلام عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا أتاكم شريف قوم فأكرموه». قيل: وما الشريف؟ فقال: «الشريف من كان له مال» قيل: فما الحسيب؟ قال: «الذي يفعل الأفعال الحسنة بماله وغير ماله» قيل: فما الكرم؟ قال: «التقوىٰ»**[١].

وفي رواية أُخرىٰ: «من شرّفه السلطان شرف»[٢].

◆ ◆ ◆

باب

التراحم والتعاطف

[١٤٨٦] ١. **الكافي: عن الصادق عليه السلام: «اتّقوا الله وكونوا إخوة بررة متحابّين في الله، متواصلين متراحمين، تزاوروا وتلاقوا، وتذاكروا أمرنا وأحيوه»**[٣].

◁ **بيان**

أُريد بتذاكر أمرهم عليهم السلام وإحيائه مذاكرة العلوم الدينية المأخوذة عنهم.

[١٤٨٧] ٢. **الكافي: عنه عليه السلام: «تواصلوا وتبارّوا وتراحموا وتعاطفوا»**[٤].

[١٤٨٨] ٣. **الكافي: عنه عليه السلام قال: «يحقّ علىٰ المسلمين الاجتهاد في التواصل، والتعاون علىٰ التعاطف والمواساة لأهل الحاجة وتعاطف بعضهم علىٰ بعض، حتىٰ تكونوا كما أمركم الله رحماء بينهم متراحمين، مغتمّين لما غاب عنكم من أمرهم، علىٰ ما مضىٰ عليه معشر الأنصار علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله»**[٥].

---

١. الكافي ٨: ٢١٩ / ٢٧٢.
٢. الكافي ٨: ٨ / ٣٣١.
٣. الكافي ٢: ١٧٥ / ١.
٤. الكافي ٢: ١٧٥ / ٣.
٥. الكافي ٢: ١٧٥ / ٤.

◁ **بيان**

حكي أنّ رسول الله ﷺ قسّم أموال بني النّضير على المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلّا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة، وقال للأنصار: «إن شئتم قسّمتم للمهاجرين من أموالكم وديارکم، وشاركتموهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة».

فقالت الأنصار: بل نقسّم لهم من ديارنا وأموالنا، ونؤثرهم بالقسمة، ولا نشاركهم فيها. فنزل فيهم قول الله سبحانه: ﴿**والذين تبوّؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبّون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة ممّا أُوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**﴾[1] أي حاجة[2].

[١٤٨٩] ٤. **الكافي:** خيثمة، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام أودّعه فقال: «ياخيثمة، أبلغ من ترىٰ من موالينا السلام، وأوصهم بتقوىٰ الله العظيم وأن يعود غنيّهم علىٰ فقيرهم، وقويّهم علىٰ ضعيفهم، وأن يشهد حيّهم جنازة ميّتهم، وأن يتلاقوا في بيوتهم، فإنّ لقيا بعضهم بعضاً حياة لأمرنا، رحم الله عبداً أحيا أمرنا.

ياخيثمة، أبلغ موالينا أنّا لا نغني عنهم من الله شيئاً إلّا بعمل، وأنّهم لن ينالوا ولايتنا إلّا بالورع، وأنّ أشدّ الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم خالفه إلىٰ غيره»[3].

◁ **بيان**

«لقيّا» بتشديد الياء: بمعنىٰ اللقاء.

❖ ❖ ❖

باب

النصيحة للمؤمن ودعوته إلىٰ الهدىٰ

[١٤٩٠] ١. **الكافي:** عن النبيّ ﷺ: «لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه»[4].

---

١. الحشر (٥٩): ٩.
٢. بحارالانوار ١٩: ١٦١ / ٨.
٣. الكافي ٢: ١٧٥ / ٢.
٤. الكافي ٢: ٢٠٨ / ٤.

[١٤٩١] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب»[١].

[١٤٩٢] ٣. الكافي: عنه عليه السلام قيل له: كنت أدخل الأرض، فأدعو الرجل والاثنين والمرأة فينقذ الله من شاء، وأنا اليوم لا أدعو أحداً، فقال: «وما عليك أن تخلّي بين الناس وبين ربّهم، فمن أراد الله أن يخرجه من ظلمة إلى نور أخرجه»، ثم قال: «ولا عليك إن آنست من أحد بخير أن تنبذ إليه الشيء نبذاً».

قيل: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿ومن أحياها فكأنّما أحيى الناس جميعاً﴾ قال: «من حرق أو غرق». ثم سكت، ثم قال: «تأويلها الأعظم أن دعاها فاستجابت»[٢].

وفي رواية، قيل: فمن أخرجها من ضلال إلى هدى؟ قال: «ذلك تأويلها الأعظم»[٣].

[١٤٩٣] ٤. الكافي: عنه عليه السلام قيل: إنّ لي أهل بيت وهم يسمعون منّي، أفأدعوهم إلى هذا الأمر؟ فقال: «نعم، إنّ الله سبحانه يقول في كتابه: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾»[٤].

❖ ❖ ❖

باب

أُخوّة المؤمنين بعضهم لبعض

[١٤٩٤] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّما المؤمنون إخوة وبنو أب وأُمّ، وإذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون»[٥].

[١٤٩٥] ٢. الكافي: جابر الجعفي، قال: تقبّضت بين يدي أبي جعفر عليه السلام، فقلت: جعلت فداك، ربما حزنت من غير مصيبة تصيبني، أو أمر ينزل بي حتى يعرف ذلك أهلي في وجهي وصديقي، فقال: «نعم

---

١. الكافي ٢: ٢٠٨ / ٢.
٢. الكافي ٢: ٢١١ / ٣.
٣. الكافي ٢: ٢١٠ / ٢.
٤. الكافي ٢: ٢١١ / ١، والآية من سورة التحريم (٦٦): ٦.
٥. الكافي ٢: ١٦٥ / ١.

ياجابر، إنّ الله تعالىٰ خلق المؤمنين من طينة الجنان، وأجرىٰ فيهم من ريح روحه، فلذلك المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأُمّه، فإذا أصاب روحاً من تلك الأرواح في بلد من البلدان حزن، حزنت هذه لأنّها منها»[١].

وفي رواية: «وأجرىٰ في صورهم من ريح الجنّة»[٢].

[١٤٩٦] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «المؤمن أخو المؤمن، كالجسد الواحد إن اشتكىٰ شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده، وأرواحهما من روح واحدة، وإنّ روح المؤمن لأشدّ اتّصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها»[٣].

[١٤٩٧] ٤. الكافي: عن الحسن بن عليّ عليه السلام: «القريب من قرّبته المودّة وإن بعد نسبه، والبعيد من بعّدته المودّة وإن قرب نسبه، لا شيء أقرب إلىٰ شيء من يد إلىٰ جسد، وإنّ اليد تغلّ فتقطع، وتقطع فتحسم»[٤].

◁ بيان

«الغلول» الخيانة «والحسم» الكيّ بعد القطع لئلّا يسيل الدم، يعني أنّ القرب الجسماني لا وثوق به ولا بقاء له، وإنّما الباقي النافع القرب الروحاني، ألا ترىٰ إلىٰ قرب اليد الصوري من الجسد كيف يتبدّل بالبعد الصوري الذي لا يرجىٰ عوده إلىٰ القرب؟ لاكتواء محلّها المانع لها من المعاودة، وذلك بسبب خيانتها التي هي البعد المعنوي.

[١٤٩٨] ٥. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «المسلم أخو المسلم، هو عينه ومرآته ودليله، لا يخونه ولا يخدعه ولا يظلمه ولا يكذّبه ولا يغتابه»[٥].

وفي رواية: «ولا يعده عدةً فيخلفه»[٦].

---

١. الكافي ٢: ١٦٦ / ٢.
٢. الكافي ٢: ١٦٦ / ٧.
٣. الكافي ٢: ١٦٦ / ٤.
٤. الكافي ٢: ٦٤٣ / ٧.
٥. الكافي ٢: ١٦٦ / ٥.
٦. الكافي ٢: ١٦٧ / ٨.

[١٤٩٩] ٦. الكافي: حفص بن البختري، قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام ودخل عليه رجل فقال لي: «تحبّه؟» فقلت: نعم، فقال لي: «ولم لا تحبّه وهو أخوك، وشريكك في دينك، وعونك على عدوّك، ورزقه على غيرك؟!»[١].

[١٥٠٠] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «المؤمنون خدم بعضهم لبعض»، قيل: وكيف يكونون خدماً بعضهم لبعض؟ قال: «يفيد بعضهم بعضاً»[٢].

[١٥٠١] ٨. الكافي: عنه عليه السلام: «آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين سلمان وأبي ذرّ، واشترط على أبي ذرّ أن لا يعصي سلمان»[٣].

❖ ❖ ❖

باب
حقوق الأُخوة

[١٥٠٢] ١. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «من حقّ المؤمن على أخيه المؤمن أن يشبع جوعته، ويواري عورته، ويفرّج عنه كربته، ويقضي دينه، فإذا مات خلفه في أهله وولده»[٤].

[١٥٠٣] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام سأله معلّى بن خنيس: ما حقّ المسلم على المسلم؟ قال: «له سبع حقوق واجبات، ما منهنّ حقّ إلّا وهو عليه واجب، إن ضيّع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته ولم يكن لله فيه من نصيب».

قال له: جعلت فداك، وما هي؟ قال: «يامعلّى، إنّي عليك شفيق، أخاف أن تضيّع ولا تحفظ، وتعلم ولا تعمل». قال له: لا قوّة إلّا بالله، قال: «أيسر حقّ منها أن تحبّ له ما تحبّ لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك، والحق الثاني أن تجتنب سخطه وتتبع مرضاته وتطيع أمره، والحق الثالث أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك، والحق

---

١. الكافي ٢: ١٦٦ / ٦.
٢. الكافي ٢: ١٦٧ / ٩.
٣. الكافي ٨: ١٦٢ / ١٦٨.
٤. الكافي ٢: ١٦٩ / ١.

الرابع أن تكون عينه ودليله ومرآته، والحق الخامس أن لا تشبع ويجوع، ولا تروىٰ ويظمأ، ولا تلبس ويعرىٰ، والحق السادس أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم، فواجب أن تبعث خادمك فيغسل ثيابه ويصنع طعامه ويمهّد فراشه، والحق السابع أن تبرّ قسمه وتجيب دعوته وتعود مرضته وتشهد جنازته، وإذا علمت أنّ له حاجة تبادره إلىٰ قضائها ولا تُلجئه أن يسألكها ولكن تبادره مبادرة، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك»[١].

وفي رواية، قال: «سبعون حقّاً لا أُخبرك إلّا بسبعة، فإنّي عليك مشفق، أخشىٰ أن لا تحمل»[٢].

[١٥٠٤] ٣. الفقيه: عن النبيّ ﷺ: «للمؤمن علىٰ المؤمن سبع حقوق واجبة من الله عليه: الإجلال له في عينه، والودّ له في صدره، والمواساة له في ماله، وأن يحرم غيبته، وأن يعوده في مرضه، وأن يشيّع جنازته، وأن لا يقول فيه بعد موته إلّا خيراً»[٣].

[١٥٠٥] ٤. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «للمسلم علىٰ أخيه المسلم من الحقّ أن يسلّم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض، وينصح له إذا غاب، ويسمّته إذا عطس، ويجيبه إذا دعاه، ويتبعه إذا مات»[٤].

وفي رواية: «فإن كان عليك عاتباً فلا تفارقه حتىٰ تسلّ سخيمته، وإن أصابه خير فاحمد الله، وإن ابتلي فاعضده، وإن تمحل له فأعنه، وإذا قال الرجل لأخيه أُفّ انقطع ما بينهما من الولاية، وإذا قال: أنت عدوّي كفر أحدهما، فإذا اتّهمه إنماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء».

وقال: «إنّ المؤمن ليزهر نوره لأهل السماء كما تزهر نجوم السماء لأهل الأرض». وقال: «إنّ المؤمن وليّ الله يعينه، ويصنع له، ولا يقول عليه إلّا الحق،

---

١. الكافي ٢: ١٦٩ / ٢.
٢. الكافي ٢: ١٧٤ / ١٤.
٣. الفقيه ٤: ٣٩٨ / ٥٨٥٠.
٤. الكافي ٢: ١٧١ / ٦.

ولا يخاف غيره»[١].

وفي أخرىٰ: «ولا يقبل الله تعالىٰ من مؤمن عملاً وهو مضمر علىٰ أخيه المؤمن سوءاً»[٢].

◁ بيان

«السخيمة»: الحقد «والمحل»: الكيد.

[١٥٠٦] ٥. الكافي: أبان بن تغلب، قال: كنت أطوف مع أبي عبدالله عليه السلام فعرض لي رجل من أصحابنا كان سألني الذهاب معه في حاجة فأشار إليّ، فكرهت أن أدع أبا عبدالله عليه السلام وأذهب إليه، فبينا أنا أطوف إذ أشار إليّ أيضاً، فرآه أبو عبدالله عليه السلام فقال: «ياأبان، إيّاك يريد هذا؟» قلت: نعم، قال: «فمن هو؟» فقلت: رجل من أصحابنا، قال: «هو علىٰ مثل ما أنت عليه». قلت: نعم، قال: «فاذهب إليه». قلت وأقطع الطواف؟ قال: «نعم».

قلت: وإن كان طواف الفريضة؟ قال: «نعم» قال: فذهبت معه، ثم دخلت عليه بعد فسألته، فقلت: أخبرني عن حق المؤمن علىٰ المؤمن فقال: «ياأبان، دعه لا تردّه». قلت: بلىٰ جعلت فداك، قال: «ياأبان لا تردّه». قلت: بلىٰ جعلت فداك، فلم أزل أردّد عليه، فقال: «ياأبان تقاسمه شطر مالك». ثم نظر إليّ فرأىٰ ما دخلني، فقال: «ياأبان، أما تعلم أنّ الله تعالىٰ قد ذكر المؤثرين علىٰ أنفسهم؟». قلت: بلىٰ جعلت فداك، فقال: «إذا أنت قاسمته فلم تؤثره بعد إنّما أنت وهو سواء، إنّما تؤثره إذا أنت أعطيته من النصف الآخر»[٣].

[١٥٠٧] ٦. الكافي: قيل للباقر عليه السلام: إنّ الشيعة عندنا كثير، فقال عليه السلام: «هل يعطف الغنيّ علىٰ الفقير، ويتجاوز المحسن عن المسيء، ويتواسون؟» قيل: لا، فقال: «ليس هؤلاء شيعة، الشيعة من يفعل هذا»[٤].

[١٥٠٨] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «أيجيء أحدكم إلىٰ أخيه فيدخل يده في كيسه فيأخذ حاجته فلا يدفعه؟» فقيل: ما أعرف ذلك فينا، فقال: «فلا شيء إذاً» قيل: فالهلاك إذاً؟ فقال: «إنّ القوم لم

---

١. الكافي ٢: ١٧٠ / ٥.
٢. الكافي ٢: ٣٦١ / ٨.
٣. الكافي ٢: ١٧١ / ٨.
٤. الكافي ٢: ١٧٣ / ١١.

يعطوا أحلامهم بعد»[١].

[١٥٠٩] ٨. الكافي: عنه عليه السلام: «يجب للمؤمن على المؤمن أن يستر عليه سبعين كبيرة»[٢].

[١٥١٠] ٩. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «ما عُبد الله بشيء أفضل من أداء حقّ المؤمن»[٣].

❖ ❖ ❖

باب
صفة الأخ الذي يجب أداء حقّه

[١٥١١] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: «من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدّثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، كان ممّن حرمت غيبته وكملت مروءته وظهر عدله ووجبت أُخوته»[٤].

◁ بيان

يستفاد من هذا الحديث من جهة المفهوم أنّ من لم يكن بهذه الصفات لم تجب أُخوّته ولا أداء حقوق الأُخوة معه، ويؤيده الحديث الآتي، وحديث الاختبار بصدق الحديث وأداء الأمانة كما مضى.

[١٥١٢] ٢. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قام إليه رجل بالبصرة فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن الإخوان، فقال: «الإخوان صنفان: إخوان الثقة، وإخوان المكاشرة، فأما إخوان الثقة فهم الكهف والجناح والأهل والمال، فإذا كنت من أخيك على حدّ الثقة فابذل له مالك وبدنك، وصاف من صافاه وعاد من عاداه، واكتم سرّه وعيبه، وأظهر منه الحسن، وأعلم أيّها السائل أنّهم أقلّ من الكبريت الأحمر، وأمّا إخوان المكاشرة فإنّك تصيب لذّتك منهم، فلا تقطعنّ ذلك منهم، ولا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم، وابذل لهم

---

١. الكافي ٢: ١٧٤ / ١٣.
٢. الكافي ٢: ٢٠٧ / ٨.
٣. الكافي ٢: ١٧٠ / ٤.
٤. الكافي ٢: ٢٣٩ / ٢٨.

ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان»[١].

◁ **بيان**

«الكشرة» التبسّم.

[١٥١٣] ٣. الكافي: سئل الصادق عليه السلام عن إيمان من يلزمنا حقّه واخوّته كيف هو وبما يثبت وبما يبطل؟ فقال: «إنّ الإيمان قد يتّخذ علىٰ وجهين: أمّا أحدهما فهو الذي يظهر لك من صاحبك، فإذا ظهر لك منه مثل الذي تقول به أنت حقّت ولايته واُخوّته، إلّا أن يجيء منه نقض للذي وصف من نفسه وأظهره لك، فإن جاء منه ما يستدلّ به علىٰ نقض الذي أظهر لك، خرج عندك ممّا وصف لك وأظهر، وكان لما أظهر لك ناقضاً، إلّا أن يدّعي أنّه إنّما عمل ذلك تقيّة، ومع ذلك ينظر فيه، فإن كان ليس ممّا يمكن أن تكون التقية في مثله لم يقبل منه ذلك، لأنّ للتقية مواضع من أزالها عن مواضعها لم تستقم له، وتفسير ما يُتّقي مثل قوم سوء ظاهر حكمهم وفعلهم علىٰ غير حكم الحق وفعله، فكلّ شيء يعمل المؤمن بينهم لمكان التقيّة ممّا لا يؤدّي إلىٰ الفساد في الدين فإنّه جائز»[٢].

◁ **بيان**

إنما اكتفىٰ بذكر أحد الوجهين عن الآخر، لأنّ الآخر كان معلوماً، وهو ما يعرف بالصحبة المتأكدة والمعاشرة المتكررة الموجبة لليقين، وإنما ذكر الفرد الأخفىٰ وهو ما يظهر منه بدون ذلك، ويستفاد من ظاهر هذا الحديث وجوب المؤاخاة وأداء الحقوق بمجرّد ثبوت التشيّع بحسب الظاهر، وهو علىٰ إطلاقه مشكل، كيف ولو كان ذلك كذلك للزم الحرج وصعوبة المخرج إلّا أن يخصص بما مرّ في الحديث الأول، أو بما مضىٰ من الشروط في باب صفات المؤمن وعلاماته، وقد وقعت الإشارة إلىٰ ذلك في الحديث الثاني.

[١٥١٤] ٤. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «لم تتواخوا علىٰ هذا الأمر، وإنّما تعارفتم عليه»[٣].

---

١. الكافي ٢: ٢٤٨ / ٣.
٢. الكافي ٢: ١٦٨ / ١.
٣. الكافي ٢: ١٦٨ / ١.

◁ **بيان**

لعلّ المراد بهذا الحديث أنكم معاشر الشيعة لم تتواخوا على التشيّع، إذ لو كنتم متواخين على التشيّع لجرت بينكم جميعاً المؤاخاة وأداء الحقوق، ويعمّ ذلك كلّ من كان على التشيّع، وليس كذلك، بل إنّما أنتم متعارفون على التشيّع يتعارف بعضكم بعضاً عليه من دون مؤاخاة، وعلى هذا يجوز أن يكون الحديث وارداً مورد الإنكار، وأن يكون واقعاً موقع الإخبار.

ويحتمل أن يكون المراد من الحديث أنّ مجرد القول بالتشيّع لا يوجب التآخي بينكم، وإنّما يوجب التعارف بينكم، وأمّا التآخي فإنّما يوجبه أمور أُخر غير التشيّع لا يجب بدونها.

◆ ◆ ◆

باب

من يجب مصادقته ومصاحبته

[١٥١٥] ١. **الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام:** «لا عليك أن تصحب ذا العقل وإن لم يحمد كرمه، ولكن انتفع بعقله، واحترس من سيّء أخلاقه، ولا تدعنّ صحبة الكريم، فإن لم تنتفع بعقله، ولكن انتفع بكرمه بعقلك، وافرر كل الفرار من اللئيم الأحمق»[١].

[١٥١٦] ٢. **الكافي، التهذيب: عن الباقر عليه السلام:** «اتبع من يبكيك وهو لك ناصح، ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاشّ، وستردون على الله جميعاً فتعلمون»[٢].

◁ **بيان**

يعني عند الورود على الله تعالى يظهر صدق هذا القول وحقيقته، وأمّا هاهنا فإنّما هو مختفٍ تحت جلابيب الغرور.

[١٥١٧] ٣. **الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله:** «انظروا من تحادثون، فإنّه ليس من أحد ينزل به الموت إلّا مثّل له أصحابه في الله إن كانوا خياراً فخياراً، وإن كانوا شراراً فشراراً، وليس أحد

---

١. الكافي ٢: ٦٣٨ / ١.

٢. الكافي ٢: ٦٣٨ / ٢، والتهذيب ٦: ٣٧٧ / ١١٠٤.

يموت إلّا تمثّلت له عند موته»[١].

[١٥١٨] ٤. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «عليك بالتلاد، وإيّاك وكلّ محدث لا عهد له ولا أمان، ولا ذمّة ولا ميثاق، وكن علىٰ حذر من أوثق الناس في نفسك، فإنّ الناس أعداء النّعم»[٢].

◁ بيان

«التلاد» القديم، يعني احذر من وثقت به غاية الوثوق، ولا تأمن عليه أن يكيدك ويحسدك إذا أحسّ منك بنعمة، فكيف من لا تثق به، فإنّ الناس كلّهم أعداء النعم، لا يستطيعون أن يروا نعمة علىٰ عبد من عباد الله ولا يتغيّروا عليه.

[١٥١٩] ٥. الفقيه: عنه عليه السلام: «إصحب من تتزيّن به، ولا تصحب من يتزيّن بك»[٣].

◁ بيان

يعني اصحب من تنتفع به وتستفيد منه المكارم، بأن يكون ناصحاً لك، ناقلاً إليك عيوبك، ومع ذلك يغتنم صحبتك، فانه ما لم يغتنم صحبتك لا يكون زينة لك، ولا يمكنك أن تتزيّن به، لا من هو بخلاف ذلك ممن أراد الانتفاع بك من دون نفع لك منه والاغتنام لصحبتك منه.

[١٥٢٠] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «أحبّ إخواني إليّ من أهدىٰ إليّ عيوبي»[٤].

[١٥٢١] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «لا تكون الصداقة إلّا بحدودها، فمن كانت فيه هذه الحدود أو شيء منها فانسبه إلىٰ الصداقة، ومن لم يكن فيه شيء فيه منها فلا تنسبه إلىٰ شيء من الصداقة، فأوّلها أن تكون سريرته وعلانيته لك واحدة، والثانية أن يرىٰ زينك زينه وشينك شينه، والثالثة أن لا تغيّره عليك ولاية ولا مال، والرابعة أن لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته، والخامسة وهي تجمع هذه الخصال أن لا يسلمك عند النكبات»[٥].

---

١. الكافي ٢: ٦٣٨ / ٣.
٢. الكافي ٢: ٦٣٨ / ٤.
٣. الفقيه ٢: ٢٧٨ / ٢٤٤٠.
٤. الكافي ٢: ٦٣٩ / ٥.
٥. الكافي ٢: ٦٣٩ / ٣.

◁ **بيان**

«الإسلام» الخذلان.

[١٥٢٢] **٨. الكافي: عنه** ﷺ: «اختبروا إخوانكم بخصلتين، فإن كانتا فيهم وإلّا فاعزب ثم اعزب ثم اعزب؛ محافظة على الصلوات في مواقيتها، والبرّ في الإخوان في العسر واليسر»[١].

◁ **بيان**

«العزوب» بالمهملة والزاي: البُعد والغيبة.

[١٥٢٣] **٩. الكافي: عنه** ﷺ **وكان عنده قوم يحدّثهم، إذ ذكر رجل منهم رجلاً، فوقع فيه وشكاه. فقال له** ﷺ: «وأنّىٰ لك بأخيك كلّه، وأنّىٰ الرجال المهذّب؟!»[٢].

◁ **بيان**

«وقع فيه» أي اغتابه وذكره بما يسوؤه «وأنّىٰ لك بأخيك كلّه» يعني من أين لك بأخ يكون حقيقاً بالأخوة لك من جميع الجهات لا تجد فيه ما لا ترتضيه؟ وأي رجل هذّب نفسه غاية التهذيب بحيث لا يبقىٰ فيه عيب؟ وتمام البيت:

ولست بمستبقٍ أخاً لا تلمه ... علىٰ شعَثٍ، أيّ الرّجال المهذّب

«واللمّ» الجمع «والشّعث» الانتشار، يعني إن لم تجمع تفرق أخيك وانتشار أمره بالمسامحة عنه والإغماض لم يبق لك في الناس أخ، إذ لا مهذب في الرجال كلّ التهذيب.

[١٥٢٤] **١٠. الكافي: عنه** ﷺ: «لا تفتّش الناس فتبقىٰ بلا صديق»[٣].

[١٥٢٥] **١١. الكافي: عنه** ﷺ **قال: «إنّ الله تعالىٰ ليحفظ من يحفظ صديقه»**[٤].

[١٥٢٦] **١٢. الفقيه: عنه** ﷺ: «من لم يكن له واعظ من قلبه، وزاجر من نفسه، ولم يكن له

---

١. الكافي ٢: ٦٧٢ / ٧.
٢. الكافي ٢: ٦٥١ / ١.
٣. الكافي ٢: ٦٥٢ / ٢.
٤. الكافي ٨: ١٦٢ / ١٦٦.

قرين مرشد، استمكن عدوّه من عنقه»[1].

❖ ❖ ❖

باب
من تكره مصاحبته ومشاورته

[١٥٢٧] ١. **الكافي: عن أمير المؤمنين** عليه السلام: «ينبغي للمسلم أن يجتنب مؤاخاة ثلاثة: الماجن الفاجر، والأحمق، والكذّاب، فأمّا الماجن الفاجر فيزيّن لك فعله، ويحبّ أنّك مثله، ولا يعينك علىٰ أمر دينك ومعادك، ومقاربته جفاء وقسوة، ومدخله ومخرجه عار عليك، وأمّا الأحمق فإنّه لا يشير عليك بخير، ولا يرجىٰ لصرف السوء عنك ولو أجهد نفسه، وربّما أراد منفعتك فضرّك، فموته خير من حياته، وسكوته خير من نطقه، وبعده خير من قربه، وأمّا الكذّاب فإنّه لا يُهنئك معه عيش، ينقل حديثك، وينقل إليك الحديث، كلّما أفنىٰ أُحدوثة مطّها بأخرىٰ مثلها، حتىٰ إنّه يحدّث بالصدق فما يُصدَّق، ويعرف بين الناس بالعداوة، فينبت السخائم في الصدور، فاتّقوا الله عزّوجلّ وانظروا لأنفسكم»[2].

◁ **بيان**

«الماجن» من لا يبالي قولاً ولا فعلاً لصلابة وجهه «لا يهنئك» بتخفيف النون: أي لا يصير لك هنيئاً «والمطّ» المدّ والقوة «والسخيمة» الضغينة.

[١٥٢٨] ٢. **الكافي: عن أبي الحسن** عليه السلام **قال:** «قال عيسىٰ عليه السلام: إنّ صاحب الشرّ يعدي، وقرين السوء يردي، فانظر من تقارن»[3].

◁ **بيان**

«يعدي» أي يجاوز شرّه إلىٰ صاحبه.

---

١. الفقيه ٤: ٤٠٢ / ٥٨٦٦.
٢. الكافي ٢: ٦٣٩ / ١.
٣. الكافي ٢: ٦٤٠ / ٤.

[١٥٢٩] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إن كنت تحبّ أن تستتبّ لك النعمة، وتكمل لك المروءة، وتصلح لك المعيشة، فلا تشارك العبيد والسّفلة في أمرك، فإنّك إن ائتمنتهم خانوك، وإن حدّثوك كذبوك، وإن نكبت خذلوك، وإن وعدوك أخلفوك».

وقال: «حبّ الأبرار للأبرار ثواب للأبرار، وحبّ الفجّار للأبرار فضيلة للأبرار، وبغض الفجّار للأبرار زين للأبرار، وبغض الأبرار للفجّار خزي على الفجّار»[١].

◁ بيان

«تستتبّ» تستقيم، وإنّما كان حبّ الفجّار للأبرار فضيلة للأبرار، لأن حبّهم إيّاهم مع عدم مجانستهم لهم دليل على أنّ برّهم بلغ الغاية، وإنّما كان بغضهم إيّاهم زيناً لهم؛ لأنه دليل على صلابتهم في الدّين، وإنّما كان بغض الأبرار للفجّار خزياً عليهم؛ لأنّه دليل على أنّ فجورهم بلغ الغاية، أو هو بالخاصية يخزيهم.

[١٥٣٠] ٤. الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: «قال لي أبي عليّ بن الحسين عليه السلام: يابني، أنظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق، فقلت: ياأباه، من هم عرّفنيهم؟ قال: إيّاك ومصاحبة الكذّاب، فإنّه بمنزلة السراب يقرّب لك البعيد، ويبعّد لك القريب، وإيّاك ومصاحبة الفاسق، فإنّه بائعك بأكلة أو أقلّ من ذلك، وإياك ومصاحبة البخيل، فإنّه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه، وإيّاك ومصاحبة الأحمق، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك، وإيّاك ومصاحبة القاطع لرحمه، فإنّي وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع: قال الله تعالى: ﴿فهل عسيتم ان تولّيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم﴾[٢] وقال تعالى: ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾[٣] وقال تعالى في البقرة: ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾[٤]»[٥].

---

١. الكافي ٢: ٦٤٠ / ٥.
٢. محمد (٤٧): ٢٢ - ٢٣.
٣. الرعد (١٣): ٢٥.
٤. البقرة (٢): ٢٧.
٥. الكافي ٢: ٦٤١ / ٧.

[١٥٣١] ٥. **الكافي: عن النبيّ** ﷺ: «ثلاثة مجالستهم تميت القلب: الجلوس مع الأنذال، والحديث مع النساء، والجلوس مع الأغنياء»[١].

◁ **بيان**

«النذل» الخسيس.

[١٥٣٢] ٦. **الكافي: قال لقمان لابنه**: «يابنيّ، لا تقترب فيكون أبعد لك، ولا تبعد فتهان، كلّ دابة تحبّ مثلها، وإنّ ابن آدم يحبّ مثله، ولا تنشر برّك إلّا عند باغيه، كما ليس بين الذئب والكبش خلّة، كذلك ليس بين البارّ والفاجر خلّة، من يقترب من الزفت يعلق به بعضه، كذلك من يشارك الفاجر يتعلّم من طرقه، من يحبّ المراء يشتم، ومن يدخل مداخل السوء يتّهم، من يقارن قرين السوء لا يسلم، ومن لا يملك لسانه يندم»[٢].

◁ **بيان**

«لا تقترب» يعني من الناس بكثرة المخالطة والمعاشرة، فيسأموك ويملّوك، فتكون أبعد من قلوبهم، ولا تبعد كلّ البعد فلم يبالوا بك، فتصير مهيناً مخذولاً «والبزّ» بالزاي: المتاع.

[١٥٣٣] ٧. **الكافي: عن الصادق** ﷺ **قال**: «لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم، قال رسول الله ﷺ: المرء على دين خليله وقرينه»[٣].

[١٥٣٤] ٨. **الفقيه: عنه** ﷺ: «أربع يذهبن ضياعاً: مودّة تمنح من لا وفاء له، ومعروف يوضع عند من لا يشكره، وعلم تعلّم من لا يستمع له، وسرّ يودع من لا حصانة له»[٤].

◁ **بيان**

«الحصانة» بالمهملتين: الحفظ والإحكام.

---

١. الكافي ٢: ٦٤١/ ٨.
٢. الكافي ٢: ٦٤١/ ٩.
٣. الكافي ٢: ٦٤٢/ ١٠.
٤. الفقيه ٤: ٤١٧/ ٥٩٠٧.

[١٥٣٥] ٩. الفقيه: عن النبيّ ﷺ: «ياعليّ، لا تشاورنّ جباناً فإنّه يضيّق عليك المخرج، ولا تشاورنّ بخيلاً فإنّه يقصر بك عن غايتك، ولا تشاورنّ حريصاً فإنّه يزيّن لك شرّها، واعلم أنّ الجبن والبخل والحرص غريزة يجمعها سوء الظن»[١].

◁ بيان

«الشره» غلبة الحرص، وأُريد بسوء الظنّ سوء الظنّ بالله.

❖ ❖ ❖

باب

تعرّف المودّة وتعريفها وآدابها

[١٥٣٦] ١. الكافي: سئل الصادق ﷺ: الرجل يقول: أودّك، فكيف أعلم أنّه يودّني؟ فقال: «امتحن قلبك، فإنْ كنت تودّه فإنّه يودّك»[٢].

[١٥٣٧] ٢. الكافي: عنه ﷺ قيل له: إنّي والله لأُحبّك، فأطرق، ثمّ رفع رأسه، وقال: «صدقت، سل قلبك عمّا لك في قلبي من حبّك، فقد أعلمني قلبي عمّا لي في قلبك»[٣].

[١٥٣٨] ٣. الكافي: الحسن بن الجهم، قال: قلت لأبي الحسن ﷺ: لا تنسني من الدعاء، قال: «و تعلم إنّي أنساك؟». قال: فتفكّرت في نفسي، وقلت: هو يدعو لشيعته، وأنا من شيعته، قلت: لا، لا تنساني، قال: «وكيف علمت بذلك» قلت: إنّي من شيعتك وأنّك تدعو لهم، فقال: «هل علمت بشيء غير هذا؟» قال: قلت: لا، قال: «إذا أردت أن تعلم ما لك عندي، فانظر إلىٰ ما لي عندك»[٤].

[١٥٣٩] ٤. الكافي: عن الصادق ﷺ قال: «انظر قلبك، فإن أنكر صاحبك فاعلم أنّ أحدكما قد أحدث»[٥].

---

١. الفقيه ٤: ٤٠٩ / ٥٨٨٩.
٢. الكافي ٢: ٦٥٢ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٦٥٢ / ٣.
٤. الكافي ٢: ٦٥٢ / ٤.
٥. الكافي ٢: ٦٥٢ / ١.

◁ **بيان**

يعني أحدث ما يوجب خللاً في المودّة.

[١٥٤٠] ٥. **الكافي: عنه عليه السلام: «إذا أحببت أحداً من إخوانك فأعلمه ذلك، فإنّ إبراهيم عليه السلام قال: ﴿ربّ أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾»**[١].

وفي رواية: «إذا أحببت رجلاً فأخبره بذلك، فإنّه أثبت للمودة بينكما»[٢].

[١٥٤١] ٦. **الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «ثلاث يصفين ودّ المرء لأخيه المسلم: يلقاه بالبشر إذا لقيه، ويوسّع له في المجلس إذا جلس إليه، ويدعوه بأحبّ الأسماء إليه»**[٣].

[١٥٤٢] ٧. **الكافي: عن الرضا عليه السلام: «إذا كان الرجل حاضراً فكنّه، وإن كان غائباً فسمّه»**[٤].

[١٥٤٣] ٨. **الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إذا أحبّ أحدكم أخاه المسلم فليسأله عن اسمه واسم أبيه واسم قبيلته وعشيرته، فإنّ من حقّه الواجب وصدق الأخاء أن يسأله عن ذلك، وإلّا فإنّها معرفة حمقاء»**[٥].

[١٥٤٤] ٩. **الكافي: عنه صلى الله عليه وآله قال يوماً لجلسائه: «تدرون ما العجز؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال:** «العجز ثلاثة: أن يبدر أحدكم بطعام يصنعه لصاحبه فيخلفه ولا يأتيه، والثانية أن يصحب الرجل منكم الرجل أو يجالسه يحبّ أن يعلم من هو ومن أين هو فيفارقه قبل أن يعلم ذلك، والثالثة أمر النساء يدنو أحدكم من أهله فيقضي حاجته وهي لم تقض حاجتها».

فقال عبدالله بن عمرو بن العاص: فكيف ذلك يارسول الله؟ فقال: «يتحرّش ويتمكّث حتى يأتي ذلك منهما جميعاً»[٦].

وفي رواية: «من أعجز العجز رجل لقي رجلاً فأعجبه نحوه، فلم يسأله عن

---

١. الكافي ٢: ٦٤٤ / ١، والآية من سورة البقرة (٢): ٢٦٠.
٢. الكافي ٢: ٦٤٤ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٦٤٣ / ٣.
٤. الكافي ٢: ٦٧١ / ٢.
٥. الكافي ٢: ٦٧١ / ٤.
٦. الكافي ٢: ٦٧١ / ٣.

اسمه ونسبه وموضعه»[١].

◁ **بيان**

«العجز» في الصورة الأولىٰ إن نسبناه إلىٰ البادر فالوجه فيه أنّه بدر بتهيئة الطعام قبل أن يستوثق من حضور الضيف، وإن نسبناه إلىٰ المخلف فلأنّه لا يتمكن من رفع مانعه اللاحق بعد وعده السابق، وفي الصورة الثانية منسوب إلىٰ من أحبّ أن يعلم والوجه في عجزه ظاهر «والتحرّش» بالمهملتين ثم المعجمة: تكلّف المجامعة، «والتمكّث» تكلّف المكث «والنحو» الطريق.

[١٥٤٥] ١٠. **الكافي: عن الكاظم** عليه السلام: «لا تظلم الحشمة بينك وبين أخيك، أبق منها، فإنّ ذهابها ذهاب الحياء»[٢].

[١٥٤٦] ١١. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «لا تثقنّ بأخيك كلّ الثقة، فإنّ صرعة الاسترسال لن تستقال»[٣].

◁ **بيان**

«الصرع» الطرح علىٰ الأرض «والاسترسال» المبالغة في الانبساط والاستيناس، «والاستقالة» طلب إقالة العثرة، أراد أنّ ما يترتّب علىٰ زيادة الانبساط من الخلل والشرّ لا دواء له، وفي الكلام استعارة.

❖ ❖ ❖

باب

تزاور الإخوان

[١٥٤٧] ١. **الكافي: عنهما** عليهما السلام: «أيّما مؤمن خرج إلىٰ أخيه يزوره عارفاً بحقّه، كتب الله له بكلّ خطوة حسنة، ومحيت عنه سيّئة، ورفعت له درجة، فإذا طرق الباب فتحت له أبواب السماء، فإذا التقيا وتصافحا وتعانقا، أقبل الله تعالىٰ عليهما بوجهه، ثم باهىٰ

---

١. الكافي ٢: ٦٧٢ / ذيل ٤.
٢. الكافي ٢: ٦٧٢ / ٥.
٣. الكافي ٢: ٦٧٢ / ٦.

بهما الملائكة فيقول: انظروا إلىٰ عبديّ تزاورا وتحابّا فيّ، حقّ عليّ أن لا أُعذّبهما بالنار بعد هذا الموقف، فإذا انصرف شيّعه الملائكة عدد نفسه وخطاه وكلامه، يحفظونه من بلاء الدنيا وبوائق الآخرة إلىٰ مثل تلك الليلة من قابل، فإن مات فيما بينهما أُعفي من الحساب، وإن كان المزور يعرف من حقّ الزائر ما عرفه الزائر من حقّ المزور كان له مثل أجره»[1].

[١٥٤٨] ٢. **الكافي: عن الباقر** عليه السلام: «إنّ المؤمن ليخرج إلىٰ أخيه ليزوره، فيوكّل الله تعالىٰ به ملكاً فيضع جناحاً في الأرض وجناحاً في السماء يظلّله، فإذا دخل إلىٰ منزله ناداه الجبّار تبارك وتعالىٰ: أيّها العبد المعظّم لحقّي، المتّبع لآثار نبيّي، حقّ عليّ إعظامك، سلني أُعطك، ادعُني أُجبك، اسكت أبتدئك، فإذا انصرف شيّعه الملك يظلّه بجناحه حتىٰ يدخل إلىٰ منزله، ثم يناديه تعالىٰ: أيّها العبد المعظّم لحقّي، حقّ عليّ إكرامك، قد أوجبت لك جنّتي، وشفّعتك في عبادي»[2].

[١٥٤٩] ٣. **الكافي: عنه** عليه السلام: «إنّ العبد المسلم إذا خرج من بيته زائراً أخاه لله لا لغيره، إلتماس وجه الله، رغبة فيما عنده، وكّل الله به سبعين ألف ملك ينادونه من خلفه إلىٰ أن يرجع إلىٰ منزله: ألا طبت وطابت لك الجنة»[3].

وفي رواية: «من زار أخاه في الله في مرض أو صحّة، لا يأتيه خداعاً ولا استبدالاً، وكّل الله به...»[4] الحديث.

◁ **بيان**

يعني بالاستبدال العوض الدّنيوي.

[١٥٥٠] ٤. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «من زار أخاه في الله، قال الله تعالىٰ: إيّاي زرت وثوابك عليّ، ولست أرضىٰ لك ثواباً دون الجنّة»[5].

---

١. الكافي ٢: ١٨٣ / ١.
٢. الكافي ٢: ١٧٨ / ١٢.
٣. الكافي ٢: ١٧٧ / ٩.
٤. الكافي ٢: ١٧٧ / ٧.
٥. الكافي ٢: ١٧٦ / ٤.

[١٥٥١] ٥. **الكافي: عن النبيّ ﷺ**: «من زار أخاه في بيته قال الله تعالىٰ له: أنت ضيفي وزائري، عليّ قراك[١]، وقد أوجبت لك الجنّة بحبّك إيّاه»[٢].

[١٥٥٢] ٦. **الكافي: عن الباقر ﷺ**: «إنّ لله جنّة لا يدخلها إلّا ثلاثة: رجل حكم علىٰ نفسه بالحقّ، ورجل زار أخاه المؤمن في الله، ورجل آثر أخاه المؤمن في الله»[٣].

[١٥٥٣] ٧. **الكافي: عنه ﷺ**: «لزيارة مؤمن في الله خير من عتق عشرة رقبات مؤمنات»[٤].

❖ ❖ ❖

باب
اجتماع الإخوان وتذاكرهم

[١٥٥٤] ١. **الكافي: عن الصادق ﷺ**: «أيّما ثلاثة مؤمنين اجتمعوا عند أخ لهم يأمنون بوائقه ولا يخافون غوائله ويرجون ما عنده، إن دعوا الله أجابهم، وإن سألوا أعطاهم، وإن استزادوا زادهم، وإن سكتوا ابتدأهم»[٥].

[١٥٥٥] ٢. **الكافي: عن الكاظم ﷺ**: «ليس شيء أنكىٰ لإبليس وجنوده من زيارة الإخوان في الله بعضهم لبعض، وإنّ المؤمنين ليلتقيان فيذكران الله ثم يذكران فضلنا أهل البيت، فلا يبقىٰ علىٰ وجه إبليس مضغة لحم إلّا تخدّد حتىٰ أنّ روحه ليستغيث من شدّة ما يجد من الألم، فتحسّ ملائكة السماء وخزّان الجنان فليعنونه حتىٰ لا يبقىٰ ملك مقرّب إلّا لعنه، فيقع خاسئاً حسيراً مدحوراً»[٦].

[١٥٥٦] ٣. **الكافي: عن الصادق ﷺ**: «ما اجتمع ثلاثة من المؤمنين فصاعداً إلّا حضر من الملائكة مثلهم، فإن دعوا بخير أمّنوا، وإن استعاذوا من شرّ دعوا الله ليصرفه عنهم،

---

١. القرىٰ: ما يعدّ للضيف من طعام و غيره.
٢. الكافي ٢: ١٧٦ / ٦.
٣. الكافي ٢: ١٧٨ / ١١.
٤. الكافي ٢: ١٧٨ / ١٣.
٥. الكافي ٢: ١٧٨ / ١٤.
٦. الكافي ٢: ١٨٨ / ٧.

وإن سألوا حاجة تشفّعوا إلىٰ الله وسألوه قضاءها، وما اجتمع ثلاثة من الجاحدين إلّا حضرهم عشرة أضعافهم من الشياطين، فإن تكلّموا تكلّم الشيطان بنحو كلامهم، وإذا ضحكوا ضحكوا معهم، وإذا نالوا من أولياء الله نالوا معهم، فمن ابتلي من المؤمنين بهم، فإذا خاضوا في ذلك فليقم، ولا تكن شرك شيطان ولا جليسه، فإن غضب الله تعالىٰ لا يقوم له شيء ولعنته لا يردّها شيء».

ثمّ قال عليه السلام: «فإن لم يستطع فلينكر بقلبه، وليقم ولو حلب شاة أو فواق ناقة»[1].

[١٥٥٧] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «شيعتنا الرحماء بينهم، الذين إذا خلوا ذكروا الله، إنّ ذكرنا من ذكر الله، إنّا إذا ذكرنا ذكر الله، وإذا ذكر عدوّنا ذكر الشيطان»[2].

[١٥٥٨] ٥. الكافي: عن الباقر عليه السلام قال لميسر: «أتخلون وتتحدّثون وتقولون ما شئتم؟» فقال: إي والله، إنّا لنخلو ونتحدّث ونقول ما شئنا، فقال: «أما والله لوددت أنّي معكم في بعض تلك المواطن، أما والله إنّي لأُحبّ ريحكم وأرواحكم، وإنّكم علىٰ دين الله ودين ملائكته، فأعينوني بورع واجتهاد»[3].

وفي رواية: «وهل العيش إلّا هكذا»[4].

[١٥٥٩] ٦. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «لقاء الإخوان مغنم جسيم وإن قلّوا»[5].

[١٥٦٠] ٧. الكافي: أبو خديجة قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «كم بينك وبين البصرة؟» قلت: في الماء خمس إذا طابت الريح، وعلىٰ الظهر ثمان ونحو ذلك، فقال: «ما أقرب هذا! تزوروا ويتعاهد بعضكم بعضاً، فإنه لابدّ يوم القيامة من أن يأتي كلّ إنسان بشاهد يشهد له علىٰ دينه».

وقال: «إنّ المسلم إذا رأىٰ أخاه كان حياة لدينه إذا ذكر الله تعالىٰ»[6].

❖ ❖ ❖

---

١. الكافي ٢: ١٨٧ / ٦.
٢. الكافي ٢: ١٨٦ / ١.
٣. الكافي ٢: ١٨٧ / ٥.
٤. الكافي ٨: ٢٢٩ / ٢٩٢.
٥. الكافي ٢: ١٧٩ / ١٦.
٦. الكافي ٨: ٣١٥ / ٤٩٦.

باب
التكاتُب

[١٥٦١] ١. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «التواصل بين الإخوان في الحضر التزاور، وفي السفر التكاتب»[١].

[١٥٦٢] ٢. **الكافي: عنه** عليه السلام: «لا تدع (بسم الله الرحمن الرحيم) وإن كان بعده شعر»[٢].

[١٥٦٣] ٣. **الكافي: عنه** عليه السلام: «اكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) من أجود كتابك، ولا تمدّ الباء حتىٰ ترفع السين»[٣].

◁ **بيان**

«ولا تمدّ الباء» يعني إلىٰ الميم، كما وقع التصريح به في حديث أمير المؤمنين عليه السلام. ورفع السين تضريسه[٤].

[١٥٦٤] ٤. **الكافي: عنه** عليه السلام: «لا تكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) لفلان ولا بأس أن يكتب علىٰ ظهر الكتاب (لفلان)»[٥].

وفي رواية: «لا تكتب داخل الكتاب (لأبي فلان) واكتب (إلىٰ أبي فلان) واكتب علىٰ العنوان (لأبي فلان)»[٦].

◁ **بيان**

لعلّ المراد بالحديثين النّهي عن ثبت اسم الكاتب داخل الكتاب وفي وجهه، بل في ظهره وعنوانه، بخلاف اسم المكتوب إليه، فإنّه لا بأس بثبته داخل الكتاب وفي وجهه.

---

١. الكافي ٢: ٦٧٠ / ١.
٢. الكافي ٢: ٦٧٢ / ١.
٣. الكافي ٢: ٦٧٢ / ٢.
٤. لم نعثر عليه في مواضعه.
٥. الكافي ٢: ٦٧٢ / ٣.
٦. الكافي ٢: ٦٧٣ / ٤.

[١٥٦٥] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «لا بأس بأن يبدأ الرجل باسم صاحبه في الصحيفة قبل اسمه»[١].
وفي رواية: «ذلك من الفضل يبدأ الرجل باسم أخيه يكرمه»[٢].

[١٥٦٦] ٦. الكافي: عنه عليه السلام أنّه أمر بكتاب في حاجة فكتب، ثمّ عرض عليه ولم يكن فيه استثناء، فقال: «كيف رجوتم أن يتمّ هذا وليس فيه استثناء، انظروا كلّ موضع لا يكون فيه استثناء فاستثنوا فيه»[٣].

◁ بيان
المراد بالاستثناء، كلمة (إن شاء الله).

[١٥٦٧] ٧. الكافي: عن الرضا عليه السلام أنّه كان يتّرب الكتاب وقال: «لا بأس به»[٤].

◁ بيان
تتريب الكتاب وإترابه أن يجعل التراب عليه ويلطخه به، وفي الحديث: «أتربوا فإنه أنجح للحاجة».

[١٥٦٨] ٨. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «ردّ جواب الكتاب واجب كوجوب ردّ السلام»[٥].

[١٥٦٩] ٩. الكافي: عنه عليه السلام سئل عن رجل يكون له الحاجة إلىٰ المجوسي أو إلىٰ اليهودي أو إلىٰ النصراني، أو أن يكون عاملاً أو دهقاناً من عظماء أهل أرضه، فيكتب إليه الرجل في الحاجة العظيمة، يبدأ بالعلج ويسلّم عليه في كتابه، وإنما يصنع ذلك لكي يقضي حاجته؟ قال: «أمّا أن تبدأ به: فلا، ولكن تسلّم عليه في كتابك، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد كان يكتب إلىٰ كسرىٰ وقيصر»[٦].
وفي رواية: أفيبدأ باسمه قبل اسمه؟ فقال: «لا بأس، إذا فعل ذلك لاحتياز المنفعة»[٧].

❖ ❖ ❖

---

١. الكافي ٢: ٦٧٣ / ٦.
٢. الكافي ٢: ٦٧٣ / ٥.
٣. الكافي ٢: ٦٧٣ / ٧.
٤. الكافي ٢: ٦٧٣ / ٨.
٥. الكافي ٢: ٦٧٠ / ٢.
٦. الكافي ٢: ٦٥١ / ١.
٧. الكافي ٢: ٦٥١ / ٢، وفيه: «لاختيار».

باب
التسليم وردّه

[١٥٧٠] ١. **الكافي: عن النبيّ** ﷺ: «السّلام تطوّع، والردّ فريضة»[١].

[١٥٧١] ٢. **الكافي: وقال** ﷺ: «إبدأوا بالسلام قبل الكلام، فمن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه»[٢].

[١٥٧٢] ٣. **الكافي: عنه** ﷺ: «أولىٰ الناس بالله وبرسوله من بدأ بالسلام»[٣].

[١٥٧٣] ٤. **الكافي: عن الباقر** ﷺ: «كان سليمان ﷺ يقول: أفشوا سلام الله، فإنّ سلام الله لا ينال الظالمين»[٤].

◁ **بيان**

«إفشاء السلام» أن يسلّم علىٰ من لقي كائناً من كان، يعني سلّموا علىٰ من لقيتم، فإن لم يكن أهلاً للسلام، بأن كان ظالماً، فإنه لا يناله سلام الله.

[١٥٧٤] ٥. **الكافي: عن الصادق** ﷺ: «من التواضع أن تسلّم علىٰ من لقيت»[٥].

[١٥٧٥] ٦. **الكافي: عنه** ﷺ: «إنّ الله يحبّ إفشاء السلام»[٦].

[١٥٧٦] ٧. **الكافي: عنه** ﷺ: «إنّ الله عزّوجلّ قال: البخيل من يبخل بالسلام»[٧].

[١٥٧٧] ٨. **الكافي: عنه** ﷺ: «إذا سلّم أحدكم فليجهر بسلامه، ولا يقول: سلّمت فلم يردّوا عليّ، ولعلّه يكون قد سلّم ولم يُسمعهم، فإذا ردّ أحدكم فليجهر بردّه، ولا يقول المسلّم: سلّمت فلم يردّوا عليّ».

---

١. الكافي ٢: ٦٤٤ / ١.
٢. الكافي ٢: ٦٤٤ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٦٤٤ / ٣.
٤. الكافي ٢: ٦٤٤ / ٤.
٥. الكافي ٢: ٦٤٦ / ١٢.
٦. الكافي ٢: ٦٤٥ / ٧.
٧. الكافي ٢: ٦٤٥ / ٦.

ثم قال: «كان عليّ عليه السلام يقول: لا تُغضبوا ولا تَغْضُبوا، أفشوا السلام، وأطيبوا الكلام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنّة بسلام، ثم تلا عليه السلام قول الله تعالىٰ: ﴿السلام المؤمن المهيمن﴾»[1].

[١٥٧٨] ٩. الكافي: عنه عليه السلام: «من قال: السلام عليكم، فهي عشر حسنات، ومن قال: سلام عليكم ورحمة الله، فهي عشرون حسنة، ومن قال: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فهي ثلاثون حسنة»[2].

[١٥٧٩] ١٠. الكافي: عنه عليه السلام: «ثلاثة يردّ عليهم ردّ الجماعة وإن كان واحداً: عند العطاس يقال: يرحمكم الله وان لم يكن معه غيره، والرجل يسلّم علىٰ الرجل فيقول: السلام عليكم، والرجل يدعو للرجل فيقول: عافاكم الله، وإن كان واحداً فإنّ معه غيره»[3].

◁ بيان

أريد بالردّ ما يشمل الابتداء، وبالغير في آخر الحديث الملائكة الموكّلون الحافظون والكاتبون وغيرهم.

[١٥٨٠] ١١. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «مرّ أمير المؤمنين عليه السلام بقوم فسلّم عليهم، فقالوا: عليك السلام ورحمة الله وبركاته و مغفرته و رضوانه، فقال لهم أميرالمؤمنين عليه السلام: لا تجاوزوا بنا ما قالت الملائكة لأبينا إبراهيم عليه السلام، إنّما قالوا: ﴿رحمة الله و بركاته عليكم أهل البيت﴾»[4].

[١٥٨١] ١٢. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «يكره للرجل أن يقول: حيّاك الله ثم يسكت حتىٰ يتبعها بالسلام»[5].

[١٥٨٢] ١٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «يسلّم الصغير علىٰ الكبير، والمارّ علىٰ القاعد، والقليل علىٰ الكثير»[6].

---

١. الكافي ٢: ٦٤٥ / ٥. والآية من سورة الحشر (٥٩): ٢٣.
٢. الكافي ٢: ٦٤٥ / ٩.
٣. الكافي ٢: ٦٤٥ / ١٠.
٤. الكافي ٢: ٦٤٦ / ١٣. والآية من سورة هود (١١): ٧٣
٥. الكافي ٢: ٦٤٦ / ١.
٦. الكافي ٢: ٦٤٦ / ١٥.

[١٥٨٣] ١٤. الكافي: عنه عليه السلام: «القليل يبدأون الكثير بالسلام، والراكب يبدأ الماشي، وأصحاب البغال يبدأون أصحاب الحمير، وأصحاب الخيل يبدأون أصحاب البغال»[١].

وفي رواية: «وإذا لقيت جماعةٌ جماعةً، سلّم الأقل على الأكثر، وإذا لقي واحد جماعةً، سلّم الواحد على الجماعة»[٢].

[١٥٨٤] ١٥. الكافي: عنه عليه السلام: «إذا مرّت الجماعة بقوم أجزاهم أن يسلّم واحد منهم، وإذا سلّم على القوم وهم جماعة أجزأهم أن يردّ واحد منهم»[٣].

[١٥٨٥] ١٦. الكافي: عنه عليه السلام: «إذا كان قوم في مجلس ثم سبق قوم فدخلوا، فعلى الداخل الأخير إذا دخل أن يسلّم عليهم»[٤].

◁ بيان

لعلّ المراد أنّه إذا تأخّر بعض الداخلين فعليه أن يسلّم إذا دخل، وذلك لأنّه لم يجزئ تسليمهم عن تسليمه حينئذ لانفراده بالدخول.

[١٥٨٦] ١٧. الكافي، الفقيه: عنه عليه السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يسلّم على النّساء ويرددن عليه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يسلّم على النساء، وكان يكره أن يسلّم على الشابّة منهنّ، ويقول: أتخوّف أن يعجبني صوتها فيدخل عليّ من الإثم أكثر مما أطلب من الأجر»[٥].

◁ بيان

قال في (الفقيه) إنّما قال عليه السلام ذلك لغيره وإن عبّر عن نفسه، وأراد بذلك أيضاً التخوّف من أن يظنّ ظانّ أنّه يعجبه صوتها فيكفر، قال: ولكلام الأئمة عليهم السلام مخارج ووجوه لا يعقلها إلّا العالمون.

---

١. الكافي ٢: ٦٤٦ / ٢.
٢. الكافي ٢: ٦٤٧ / ٣.
٣. الكافي ٢: ٦٤٧ / ١.
٤. الكافي ٢: ٦٤٧ / ٥.
٥. الكافي ٢: ٦٤٨ / ١، الفقيه ٣: ٤٦٩ / ٤٦٣٤.

[١٥٨٧] ١٨. الكافي: عنه عليه السلام: «لا تسلّم علىٰ المرأة»[١].

◁ بيان

ينبغي أن يحمل علىٰ ما إذا كانت شابّة يتخوّف أن يعجبك صوتها، دون المحارم والعجائز توفيقاً بينه وبين سابقه.

[١٥٨٨] ١٩. الفقيه: عنه عليه السلام سئل عن النساء كيف يسلّمن إذا دخلن علىٰ القوم؟ قال: «المرأة تقول: عليكم السلام، والرجل يقول: السلام عليكم»[٢].

❖ ❖ ❖

باب

التسليم علىٰ أهل الذّمة والدعاء لهم

[١٥٨٩] ١. الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: «دخل يهوديّ علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وعائشة عنده فقال: السّام عليكم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليك، ثم دخل آخر فقال مثل ذلك، فردّ عليه كما ردّ علىٰ صاحبه، ثم دخل آخر فقال مثل ذلك، فردّ رسول الله صلى الله عليه وآله كما ردّ علىٰ صاحبيه، فغضبت عائشة فقالت: عليكم السّام والغضب واللعنة يامعشر اليهود، ياإخوة القردة والخنازير، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ياعائشة، إنّ الفحش لو كان ممثّلاً لكان مثال سوء، إنّ الرّفق لم يوضع علىٰ شيء قطّ إلّا زانه، ولم يرفع عنه قطّ إلّا شانه.

قالت: يارسول الله، أما سمعت إلىٰ قوله: السّام عليكم؟ فقال: بلىٰ، أما سمعت ما رددت عليهم؟ قلت: عليكم، فإذا سلّم عليكم مسلم فقولوا: سلام عليكم، وإذا سلّم عليكم كافر فقولوا: عليك»[٣].

◁ بيان

يستفاد من هذا الحديث جواز ردّ السلام بتقديم لفظ السلام.

---

١. الكافي ٥: ٥٣٥ / ٢.
٢. الفقيه ٣: ٤٧٠ / ٤٦٣٧.
٣. الكافي ٢: ٦٤٨ / ١.

[١٥٩٠] ٢. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تبدأوا أهل الكتاب بالتسليم، وإذا سلّموا عليكم فقولوا: وعليكم»[١].

وفي رواية: «تقول في الردّ: سلام»[٢].

[١٥٩١] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام سئل: كيف أدعو لليهوديّ والنصراني؟ قال: «تقول له: بارك الله لك في دنياك»[٣].

[١٥٩٢] ٤. الكافي: سئل الكاظم عليه السلام: أرأيت إن احتجت إلى متطبّب وهو نصراني أن أسلّم عليه وأدعو له؟ فقال: «نعم، لا ينفعه دعاؤك»[٤].

❖ ❖ ❖

باب
المصافحة

[١٥٩٣] ١. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إذا لقي أحدكم أخاه فليسلّم وليصافحه، فإنّ الله تعالى أكرم بذلك الملائكة، فاصنعوا صنع الملائكة»[٥].

وفي رواية: «مصافحة المؤمن أفضل من مصافحة الملائكة»[٦].

[١٥٩٤] ٢. الكافي: عنه صلى الله عليه وآله: «إذا التقيتم فتلاقوا بالتسليم والتصافح، وإذا تفرّقتم فتفرّقوا بالاستغفار»[٧].

[١٥٩٥] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «تصافحوا فإنّها تذهب بالسخيمة»[٨].

---

١. الكافي ٢: ٦٤٩ / ٢.
٢. الكافي ٢: ٦٤٩ / ٦.
٣. الكافي ٢: ٦٥٠ / ٩.
٤. الكافي ٢: ٦٥٠ / ٨.
٥. الكافي ٢: ١٨١ / ١٠.
٦. الكافي ٢: ١٨٣ / ٢١.
٧. الكافي ٢: ١٨١ / ١١.
٨. الكافي ٢: ١٨٣ / ١٨.

[١٥٩٦] ٤. الكافي: أبو عبيدة الحذّاء، قال: كنت زميل أبي جعفر عليه السلام، وكنت أبدأ بالرّكوب ثم يركب هو، فإذا استوينا سلّم وساءل مسائلة رجل لا عهد له بصاحبه وصافح، قال: وكان إذا نزل نزل قبلي، فإذا استويت أنا وهو علىٰ الأرض سلّم، وساءل مسائلة من لا عهد له بصاحبه، فقلت: يابن رسول الله، إنّك لتفعل شيئاً ما يفعله من قبلنا، وان فعل مرّة فكثير؟ فقال: «أما علمت ما في المصافحة، إنّ المؤمنين يلتقيان فيصافح أحدهما صاحبه فلا تزال الذنوب تتحاتّ عنهما كما يتحاتّ الورق عن الشجر، والله ينظر إليهما حتىٰ يفترقا»[١].

[١٥٩٧] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ المؤمنين إذا التقيا وتصافحا أدخل الله يده بين أيديهما فصافح أشدّهما حبّاً لصاحبه»[٢].

وفي رواية: «أدخل الله يده بين أيديهما، وأقبل بوجهه علىٰ أشدّهما حبّاً لصاحبه، فإذا أقبل الله بوجهه عليهما تحاتّت عنهما الذنوب كما يتحاتّ الورق عن الشجر»[٣].

[١٥٩٨] ٦. الكافي: أبو عبيدة الحذّاء، قال: زاملت أبا جعفر عليه السلام في شقّ محمل من المدينة إلىٰ مكّة، فنزل في بعض الطريق، فلمّا قضىٰ حاجته وعاد قال: «هات يدك ياأبا عبيدة» فناولته يدي فغمزها حتىٰ وجدت الأذىٰ في أصابعي، ثم قال: «ياأبا عبيدة، ما من مسلم لقي أخاه المسلم فصافحه وشبّك أصابعه في أصابعه إلّا تناثرت عنهما ذنوبهما، كما يتناثر الورق من الشجر في اليوم الشاتي»[٤].

[١٥٩٩] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «ينبغي للمؤمنين إذا توارىٰ أحدهما عن صاحبه بشجرة، ثم التقيا أن يتصافحا»[٥].

[١٦٠٠] ٨. الكافي: عنه عليه السلام: «إذا صافح الرجل صاحبه، فالذي يلزم التصافح أعظم أجراً من الذي يدع، ألا وإنّ الذنوب لتتحاتّ فيما بينهما حتىٰ لا يبقىٰ ذنب»[٦].

---

١. الكافي ٢: ١٧٩ / ١.
٢. الكافي ٢: ١٧٩ / ٢.
٣. الكافي ٢: ١٧٩ / ٣.
٤. الكافي ٢: ١٨٠ / ٥.
٥. الكافي ٢: ١٨١ / ٩.
٦. الكافي ٢: ١٨١ / ١٣.

[١٦٠١] ٩. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «ما صافح رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً قطّ فنزع يده حتىٰ يكون هو الذي ينزع منه»[١].

❖ ❖ ❖

باب
المعانقة والتقبيل

[١٦٠٢] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ المؤمنين إذا اعتنقا غمرتهما الرحمة، فإذا التزما لا يريدان بذلك إلّا وجه الله ولا يريدان غرضاً من أغراض الدنيا قيل لهما: مغفوراً لكما فاستأنفا، فإذا أقبلا علىٰ المساءلة، قالت الملائكة بعضها لبعض: تنحّوا عنهما فإنّ لهما سرّاً، وقد ستر الله عليهما».

قيل: فلا يكتب عليهما لفظهما وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد﴾[٢]؟ فتنفّس عليه السلام الصعداء، ثم بكىٰ حتىٰ أخضلت دموعه لحيته وقال: «إنّ الله تعالىٰ إنّما أمر الملائكة أن تعتزل عن المؤمنين إذا التقيا إجلالاً لهما، وإنّه وإن كانت الملائكة لا تكتب لفظهما ولا تعرف كلامهما، فإنّه يعرفه ويحفظه عليهما عالم السرّ وأخفىٰ»[٣].

[١٦٠٣] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ من تمام التحيّة للمقيم المصافحة، وتمام التسليم علىٰ المسافر المعانقة»[٤].

[١٦٠٤] ٣. الكافي: عنه عليه السلام قال: «إنّ لكم لنوراً تعرفون به في الدنيا حتىٰ أنّ أحدكم إذا لقي أخاه قبّله في موضع النور من جبهته»[٥].

[١٦٠٥] ٤. الكافي: عن الكاظم عليه السلام: «من قبّل للرحم ذا قرابة فليس عليه شيء، وقبلة الأخ علىٰ

---

١. الكافي ٢: ١٨٢ / ١٥.
٢. ق (٥٠): ١٨.
٣. الكافي ٢: ١٨٤ / ٢.
٤. الكافي ٢: ٦٤٦ / ١٤.
٥. الكافي ٢: ١٨٥ / ١.

الخدّ، وقبلة الإمام بين عينيه»[1].

◁ **بيان**

«فليس عليه شيء» أي ذنب وحرج، يعني إذا كان الباعث على التقبيل المحبّة الطبيعية، فأمّا إذا كان لله وفي الله فهو مثاب عليه.

[١٦٠٦] ٥. **الكافي: عن الصادق عليه السلام:** «ليس القبلة على الفم إلّا للزوجة والولد الصغير»[2].

[١٦٠٧] ٦. **الكافي: عليّ بن مزيد صاحب السامري، قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فتناولت يده فقبّلتها، فقال:** «أما إنّها لا تصلح إلّا لنبيّ أو وصيّ نبيّ»[3].

[١٦٠٨] ٧. **الكافي: عنه عليه السلام:** «لا يقبّل رأس أحد ولا يده إلّا رسول الله صلى الله عليه وآله أو من أُريد به رسول الله صلى الله عليه وآله»[4].

◁ **بيان**

لعلّ المراد بمن أُريد به رسول الله صلى الله عليه وآله الأئمة المعصومون عليهم السلام كما يستفاد من الحديث السابق، ويحتمل شمول الحكم للعلماء بالله وبأمر الله معاً، العاملين بعلمهم الهادين للنّاس ممّن وافق قوله فعله، لأنّ العلماء الحقّ ورثة الأنبياء، فلا يبعد دخولهم فيمن يراد به رسول الله صلى الله عليه وآله.

◆ ◆ ◆

باب

آداب المجالسة

[١٦٠٩] ١. **الكافي: عن الصادق عليه السلام:** «من رضي بدون الشرف من المجلس، لم يزل الله تعالى وملائكته يصلّون عليه حتى يقوم»[5].

---

١. الكافي ٢: ١٨٥ / ٥.
٢. الكافي ٢: ١٨٦ / ٦.
٣. الكافي ٢: ١٨٥ / ٣.
٤. الكافي ٢: ١٨٥ / ٣.
٥. الكافي ٢: ١٨٥ / ٢.

[١٦١٠] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دخل منزلاً قعد في أدنىٰ المجلس إليه حين يدخل»[١].

◁ بيان

ينبغي أن يخصّ هذا الحكم بما إذا لم يعيّن له صاحب المنزل مكاناً، لما رواه عبدالله بن جعفر الحميري في كتاب (قرب الإسناد) عن الصادق عليه السلام: «إذا دخل أحدكم علىٰ أخيه في رحله، فليقعد حيث يأمره صاحب الرّحل، فإنّ صاحب الرّحل أعرف بعورة بيته من الداخل عليه»[٢] ويؤيّده الحديث الآتي علىٰ إحدىٰ النسختين.

[١٦١١] ٣. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ من حقّ الداخل علىٰ أهل البيت أن يمشوا معه هنيئة إذا دخل وإذا خرج».

وقال صلى الله عليه وآله: «إذا دخل أحدكم علىٰ أخيه المسلم في بيته، فهو أمير عليه حتىٰ يخرج»[٣].

◁ بيان

صدر الحديث إشارة إلىٰ حقّ الداخل من الاستقبال والمشايعة، وذيله إلىٰ حقّ صاحب البيت من انقياد أوامره ونواهيه، وفي بعض النسخ: «فهو أمين عليه» يعني لا ينبغي له أن ينقل حديثه إلّا حيث يأمن غائلته.

[١٦١٢] ٤. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «المجالس بالأمانة، وليس لأحد أن يحدّث بحديث يكتمه صاحبه إلّا بإذنه، إلّا أن يكون فقهاً أو ذكراً له بخير»[٤].

[١٦١٣] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «إذا كان القوم ثلاثة فلا يتناجىٰ منهم اثنان دون صاحبهما، فإنّ ذلك ممّا يحزنه ويؤذيه»[٥].

وفي رواية: «فإنّ ذلك مما يغمّه»[٦].

---

١. الكافي ٢: ٦٦٢ / ٦.
٢. قرب الإسناد: ٦٩ / ٢٢٢.
٣. الكافي ٢: ٦٥٩ / ١.
٤. الكافي ٢: ٦٦٠ / ٣.
٥. الكافي ٢: ٦٦٠ / ١.
٦. الكافي ٢: ٦٦٠ / ٢.

[١٦١٤] ٦. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «من عرض لأخيه المسلم في حديثه، فكأنّما خدش في وجهه»[١].

◁ بيان

«عرض لأخيه» بتخفيف الراء وفتحها وكسرها: أي تعرّض له وظهر عليه.

[١٦١٥] ٧. الكافي: عن الصادق ؈: «كان رسول الله ﷺ يقسّم لحظاته بين أصحابه فينظر إلىٰ ذا وينظر إلىٰ ذا بالسويّة، قال: ولم يبسط رسول الله ﷺ رجليه بين أصحابه قطّ، وإن كان ليصافحه الرجل فما يترك رسول الله ﷺ يده من يده حتىٰ يكون هو التارك، فلمّا فطنوا لذلك كان الرجل إذا صافحه قال بيده فنزعها من يده»[٢].

◁ بيان

«قال بيده» مال بها.

[١٦١٦] ٨. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «ينبغي للجلساء في الصيف أن يكون بين كلّ اثنين مقدار عظم الذراع، كيلا يشقّ بعضهم علىٰ بعض في الحرّ»[٣].

❖ ❖ ❖

باب
هيئة الجلوس

[١٦١٧] ١. الكافي: «كان النبيّ ﷺ يجلس ثلاثاً: القرفصاء، وهو أن يقيم ساقيه ويستقبلهما بيديه، ويشدّ يده في ذراعه، وكان يجثو علىٰ ركبتيه، وكان يثني رجلاً واحدة ويبسط عليها الأُخرىٰ، ولم ير ﷺ متربّعاً قطّ»[٤].

---

١. الكافي ٢: ٦٦٠ ٣.
٢. الكافي ٢: ٦٦٢ ٦.
٣. الكافي ٢: ٢٠ ٦٦٢ ٨.
٤. الكافي ٢: ٦٦١ ١.

◁ **بيان**

«جثا جثواً» جلس على ركبتيه «يثني رجلاً» يردّ بعضها على بعض، وكأنّ المراد بها التورك المذكور في الخبر الآتي، ولعلّ المراد بالتربّع معناه المشهور.

[١٦١٨] ٢. الكافي: حمّاد، قال: جلس أبو عبدالله عليه السلام متورّكاً، رجله اليمنى على فخذه اليسرى، فقال له رجل: جُعلت فداك هذه جلسة مكروهة؟ قال: «لا، إنّما هو شيء قالته اليهود لمّا أن فرغ الله تعالى من خلق السموات والأرض واستوى على العرش جلس هذه الجلسة ليستريح، فأنزل الله تعالى: ﴿الله لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم لا تأخذه سنة ولا نوم﴾[١]. وبقي أبو عبدالله عليه السلام متورّكاً كما هو[٢].

[١٦١٩] ٣. الكافي: الثمالي، قال: رأيت عليّ بن الحسين بن عليّ عليه السلام قاعداً واضعاً إحدى رجليه على فخذه، فقلت: إنّ الناس يكرهون هذه الجلسة، ويقولون: إنها جلسة الربّ؟ فقال: «إنّي إنّما جلست هذه الجلسة للملالة، والربّ لا يملّ ولا تأخذه سنة ولا نوم»[٣].

[١٦٢٠] ٤. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «الاحتباء في المسجد حيطان العرب»[٤].

◁ **بيان**

«الاحتباء» بالمهملة: جمع الظهر والساقين باليدين أو بعمامة، يعني أنّ العرب تتوسّل في الإتّكاء بالاحتباء، كما يتوسّل أصحاب البيوت المبنية بالجدران.

[١٦٢١] ٥. الكافي: عن الصادق عليه السلام سئل عن الرجل يحتبي بثوب واحد؟ فقال: «إن كان يغطّي عورته فلا بأس»[٥].

[١٦٢٢] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «لا يجوز للرجل أن يحتبي مقابل الكعبة»[٦].

---

١. البقرة (٢): ٢٥٥.
٢. الكافي ٢: ٦٦١ / ٥.
٣. الكافي ٢: ٦٦١ / ٢.
٤. الكافي ٢: ٦٦٢ / ٢.
٥. الكافي ٢: ٦٦٣ / ٤.
٦. الكافي ٢: ٦٦١ / ٤.

[١٦٢٣] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر ما يجلس تجاه القبلة»[١].

◆ ◆ ◆

باب
المزاح

[١٦٢٤] ١. الكافي: معمر بن خلّاد، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام فقلت: جعلت فداك، الرجل يكون مع القوم، فيجري بينهم كلام يمزحون ويضحكون؟ فقال: «لا بأس ما لم يكن» فظننت أنّه عنى الفحش، ثم قال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأتيه الأعرابيّ فيهدي له الهدية، ثم يقول: مكانه أعطنا ثمن هديتنا، فيضحك رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان إذا اغتمّ يقول: ما فعل الأعرابي؟ ليته أتانا»[٢].

[١٦٢٥] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «ما من مؤمن إلّا وفيه دعابة» قيل: وما الدعابة؟ قال: «المزاح»[٣].

[١٦٢٦] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «كيف مداعبة بعضكم بعضاً؟» قيل: قليل، قال: «فلا تفعلوا، فإنّ المداعبة من حسن الخلق، وإنّك لتدخل بها السرور على أخيك، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يداعب الرجل يريد أن يسرّه»[٤].

◁ بيان

«فلا تفعلوا» أي ما تفعلون من قلّة المداعبة، بل كونوا على حدّ الوسط فيها، لما يأتي من ذمّ كثرتها أيضاً.

[١٦٢٧] ٤. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّ الله يحبّ المداعب في الجماعة بلا رفث»[٥].

---

١. الكافي ٢: ٦٦٢ / ٥.
٢. الكافي ٢: ٦٦٣ / ١.
٣. الكافي ٢: ٦٦٣ / ٢.
٤. الكافي ٢: ٦٦٣ / ٣.
٥. الكافي ٢: ٦٦٣ / ٤.

◁ **بيان**

«الرّفث» الفحش.

[١٦٢٨] ٥. **الكافي: عن أحدهما** عليه السلام: «كثرة المزاح تذهب بماء الوجه»[١].

[١٦٢٩] ٦. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام **قال:** «إيّاكم والمزاح، فإنّه يذهب بماء الوجه ومهابة الرجال»[٢].

◁ **بيان**

ينبغي حمله علىٰ ما إذا كثر، أو تضمّن فحشاً، وكذا ما يأتي.

[١٦٣٠] ٧. **الكافي: عنه** عليه السلام: «لا تمار فيذهب بهاؤك، ولا تمازح فيجترأ عليك»[٣].

وفي رواية: «إيّاك والمزاح، فإنّه يذهب بنور إيمانك ويستخفّ بمروءتك»[٤].

[١٦٣١] ٨. **الكافي: عنه** عليه السلام: «إذا أحببت رجلاً فلا تمازحه ولا تماره»[٥].

وفي رواية: «إيّاكم والمزاح، فإنّه يجرّ السخيمة، ويورث الضغينة، وهو السبّ الأصغر»[٦].

◁ **بيان**

ينبغي حمله علىٰ ما يشبه الاستهزاء.

❖ ❖ ❖

باب
الضحك

[١٦٣٢] ١. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «كثرة الضحك تميت القلب».

---

١. الكافي ٢: ٦٦٤ / ١١.
٢. الكافي ٢: ٦٦٥ / ١٧.
٣. الكافي ٢: ٦٦٥ / ١٧.
٤. الكافي ٢: ٦٦٥ / ١٩.
٥. الكافي ٢: ٦٦٤ / ٩.
٦. الكافي ٢: ٦٦٤ / ١٢.

وقال: «كثرة الضحك تميث الدين كما يميث الماء الملح»[١].
وفي رواية: «تمجّ الإيمان مجّاً»[٢].
وفي أُخرىٰ: «تذهب بماء الوجه»[٣].

[١٦٣٣] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «ضحك المؤمن تبسّم»[٤].

[١٦٣٤] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «القهقهة من الشيطان»[٥].

[١٦٣٥] ٤. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إذا قهقهت، فقل حين تفرغ: اللهم لا تمقتني»[٦].
وفي رواية: «كفّارة الضحك أن تقول: لا تمقتني»[٧].

[١٦٣٦] ٥. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ من الجهل الضحك من غير عجب» وكان يقول: «لا تبدينّ عن واضحة وقد عملت الأعمال الفاضحة، ولا يأمن البيات من عمل السيئات»[٨].

[١٦٣٧] ٦. الكافي: عن الكاظم عليه السلام قال: «كان يحيىٰ بن زكريا يبكي ولا يضحك، وكان عيسىٰ يضحك ويبكي، وكان الذي يصنع عيسىٰ أفضل من الذي كان يصنع يحيىٰ عليهما السلام»[٩].

❖ ❖ ❖

باب
العطاس والتّسميت

[١٦٣٨] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «للمسلم علىٰ أخيه من الحقّ أن يسلّم عليه إذا لقيه،

---

١. الكافي ٢: ٦٦٤ / ٦.
٢. الكافي ٢: ٦٦٥ / ١٤.
٣. الكافي ٢: ٦٦٤ / ١١.
٤. الكافي ٢: ٦٦٤ / ٥.
٥. الكافي ٢: ٦٦٤ / ١٠.
٦. الكافي ٢: ٦٦٤ / ١٣.
٧. الفقيه ٣: ٣٧٧ / ٤٣٢٨.
٨. الكافي ٢: ٦٦٤ / ٧.
٩. الكافي ٢: ٦٦٥ / ٢٠.

ويعوده إذا مرض، وينصح له إذا غاب، ويسّمته إذا عطس، يقول: الحمدلله ربّ العالمين لا شريك له، ويقول له: رحمك الله، فيجيبه ويقول له: ويهديكم الله ويصلح بالكم، ويجيبه إذا دعاه، ويتبعه إذا مات»[١].

[١٦٣٩] ٢. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «إذا عطس الرجل فسمّتوه، ولو من وراء جزيرة»[٢].

وفي رواية: «ولو من وراء البحر»[٣].

[١٦٤٠] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من جمع عطسة فحمد الله تعالىٰ وصلّىٰ علىٰ النبي وأهل بيته عليهم السلام لم يشتك عينه ولا ضرسه».

ثم قال: «إن سمعتها فقلها، وإن كان بينك وبينه البحر»[٤].

[١٦٤١] ٤. الكافي: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من قال إذا عطس: الحمد لله ربّ العالمين علىٰ كلّ حال، لم يجد وجع الأُذنين والأضراس»[٥].

[١٦٤٢] ٥. الكافي: قال: كان أبو جعفر عليه السلام: إذا عطس فقيل له: يرحمك الله، قال: «يغفر الله لكم ويرحمكم»، وإذا عطس عنده إنسان، قال: «يرحمك الله»[٦].

[١٦٤٣] ٦. الكافي: عن الصادق عليه السلام عطس عنده رجل نصراني، فقال له القوم: هداك الله، فقال عليه السلام: «يرحمك الله». فقالوا له: إنّه نصراني؟ فقال: «لا يهديه الله حتىٰ يرحمه»[٧].

[١٦٤٤] ٧. الكافي: قال: عطس رجل عند أبي جعفر عليه السلام فقال: الحمد لله، فلم يسمّته أبو جعفر عليه السلام وقال: «نقصنا حقّنا»، ثم قال: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله علىٰ محمّد وأهل بيته». قال فقال الرجل، فسمّته أبو جعفر عليه السلام[٨].

---

١. الكافي ٢: ٦٥٣ / ١.
٢. الكافي ٢: ٦٥٣ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٦٥٣ / ذيل ٢.
٤. الكافي ٢: ٦٥٦ / ١٧.
٥. الكافي ٢: ٦٥٥ / ١٥.
٦. الكافي ٢: ٦٥٥ / ١١.
٧. الكافي ٢: ٦٥٦ / ١٨.
٨. الكافي ٢: ٦٥٥ / ٩.

[١٦٤٥] ٨. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من عطس ثم وضع يده على قصبة أنفه، ثم قال: الحمد لله ربّ العالمين، الحمد لله حمداً كثيراً كما هو أهله، وصلّى الله على محمّد النبيّ وآله وسلّم، خرج من منخره الأيسر طائر أصغر من الجراد وأكبر من الذباب حتى يصير تحت العرش يستغفر الله له إلى يوم القيامة»[١].

[١٦٤٦] ٩. الكافي: مسمع، قال: عطس أبو عبدالله عليه السلام فقال: «الحمد لله ربّ العالمين»، ثم جعل إصبعه على أنفه، فقال: «رغم أنفي لله رغماً داخراً»[٢].

[١٦٤٧] ١٠. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إذا عطس المرء المسلم ثمّ سكت لعلّة تكون به، قالت الملائكة عنه: الحمد لله ربّ العالمين، فإن قال الحمد لله ربّ العالمين، قالت الملائكة: يغفر الله لك».

وقال صلى الله عليه وآله: «العطاس للمريض دليل العافية، وراحة البدن»[٣].

[١٦٤٨] ١١. الكافي: قال: «العطاس ينفع للبدن كلّه ما لم يزد على الثلاث، فإن زاد على الثلاث فهنّ داء وسقم»[٤].

[١٦٤٩] ١٢. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إذا عطس الرجل ثلاثاً فسمّته ثم اتركه»[٥].

[١٦٥٠] ١٣. الكافي: سئل العالم عليه السلام عن العطسة، وما العلّة في الحمد لله عليها؟ فقال: «إنّ لله تعالى نعماء على عبده في صحّة بدنه وسلامة جوارحه، وإنّ العبد ينسى ذكر الله على ذلك، فإذا نسي أمر الله الريح فجالت في بدنه، ثم يخرجها من أنفه، فيحمد الله على ذلك، فيكون حمده عند ذلك شكراً لما نسي»[٦].

[١٦٥١] ١٤. الكافي: عن الرضا عليه السلام: «التثاؤب من الشيطان، والعطسة من الله تعالى»[٧].

---

١. الكافي ٢: ٦٥٧ / ٢٢.
٢. الكافي ٢: ٦٦٥ / ١٤.
٣. الكافي ٢: ٦٥٦ / ١٩.
٤. الكافي ٢: ٦٥٦ / ٢٠.
٥. الكافي ٢: ٦٥٧ / ٢٧.
٦. الكافي ٢: ٦٥٤ / ٦.
٧. الكافي ٢: ٦٥٤ / ٥.

◁ **بيان**

إنما كان التثاؤب من الشيطان لأنّ منشأه الغفلة الناشئة من الخذلان بأن يكل الله العبد إلىٰ نفسه، وإنّما كانت العطسة من الله عزّوجلّ لأنّه حمل عبده عليها ليذكر الله عندها.

[١٦٥٢] ١٥. الكافي: رجل من العامّة، قال: كنت أُجالس أبا عبدالله عليه السلام، فلاوالله ما رأيت مجلساً أنبل من مجالسه، قال: فقال ذات يوم: «من أين تخرج العطسة؟» فقلت: من الأنف، قال: فقال لي: «أصبت الخطأ». فقلت: جعلت فداك، من أين تخرج؟ فقال: «من جميع البدن، كما أنّ النطفة تخرج من جميع البدن ومخرجها من الإحليل» ثمّ قال: «أما رأيت الإنسان إذا عطس نفض أعضاؤه؟».

وقال: «صاحب العطسة يأمن الموت سبعة أيام»[١].

[١٦٥٣] ١٦. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إذا كان الرجل يتحدّث بحديث، فعطس عاطس، فهو شاهد حقّ»[٢].

وفي رواية: «تصديق الحديث عند العطاس»[٣].

❖ ❖ ❖

باب

إلطاف المؤمن وإكرامه

[١٦٥٤] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من أخذ من وجه أخيه المؤمن قذاة كتب الله له عشر حسنات، ومن تبسّم في وجه أخيه كانت له حسنة»[٤].

[١٦٥٥] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «من قال لأخيه: مرحباً، كتب الله له: مرحباً إلىٰ يوم القيامة»[٥].

---

١. الكافي ٢: ٦٥٧ / ٢٣.
٢. الكافي ٢: ٦٥٧ / ٢٥.
٣. الكافي ٢: ٦٥٧ / ٢٦.
٤. الكافي ٢: ٢٠٥ / ١.
٥. الكافي ٢: ٢٠٦ / ٢.

[١٦٥٦] ٣. **الكافي: عنه عليه السلام:** «من أتاه أخوه المسلم فأكرمه، فانّما أكرم الله تعالىٰ»[١].

[١٦٥٧] ٤. **الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله:** «ما في أُمتي عبد ألطف أخاه في الله بشيء من لطف إلّا أخدمه الله من خدم الجنّة»[٢].

[١٦٥٨] ٥. **الكافي: عنه صلى الله عليه وآله:** «من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلطّفه بها وفرّج عنه كربته، لم يزل في ظلّ الله الممدود، عليه الرحمة ما كان في ذلك»[٣].

[١٦٥٩] ٦. **الكافي: عن الصادق عليه السلام:** «إنّ ممّا خصّ الله تعالىٰ به المؤمن أن يعرّفه برّ إخوانه وإن قلّ، وليس البرّ بالكثرة، وذلك أنّ الله تعالىٰ يقول في كتابه: ﴿ويؤثرون علىٰ أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ ثم قال: ﴿ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[٤]، ومن عرفه الله بذلك أحبّه الله تعالىٰ، ومن أحبّه الله وفّاه أجره يوم القيامة بغير حساب» ثم قال: «ارو هذا الحديث لإخوانك، فإنّه ترغيب في البرّ»[٥].

◁ **بيان**

قوله عليه السلام «ليس البرّ بالكثرة» معناه أنّه لا يتوقّف البرّ علىٰ كثرة المال، بل ينبغي للمقلّ أيضاً أن يبرّ إخوانه، وذلك لأنّ الله تعالىٰ حمد أهل الحاجة بالإيثار.

[١٦٦٠] ٧. **الكافي: عنه عليه السلام:** «إنّ المؤمن ليتحف أخاه التحفة».

قيل: وأيّ شيء التحفة؟ قال: «من مجلس ومتكأ وطعام وكسوة وسلام، فيتطاول الجنة مكافأة له، ويوحي الله تعالىٰ إليها: إنّي قد حرّمت طعامك علىٰ أهل الدنيا إلّا علىٰ نبيّ أو وصيّ نبيّ، فإذا كان يوم القيامة أوحىٰ الله إليها: أنْ كافئي أوليائي بتحفهم، فيخرج منها وصفاء و وصائف معهم أطباق مغطّاة بمناديل من لؤلؤ، فإذا نظروا إلىٰ جهنّم وهولها وإلىٰ الجنّة وما فيها طارت عقولهم، وامتنعوا أن يأكلوا، فينادي منادٍ من تحت العرش: إنّ الله تعالىٰ قد حرّم جهنّم علىٰ من أكل طعام جنّته، فيمدّ القوم

---

١. الكافي ٢: ٢٠٦ / ٣.
٢. الكافي ٢: ٢٠٦ / ٤.
٣. الكافي ٢: ٢٠٦ / ٥.
٤. الحشر (٥٩): ١٠.
٥. الكافي ٢: ٢٠٦ / ٦.

أيديهم فيأكلون»[١].

[١٦٦١] ٨. الكافي: عنه عليه السلام: «أحسن إلىٰ أوليائي ما استطعت، فما أحسن مؤمن إلىٰ مؤمن ولا أعانه إلّا خمش وجه إبليس وقرّح قلبه»[٢].

[١٦٦٢] ٩. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «أيّما مسلم خدم قوماً من المسلمين إلّا أعطاه الله مثل عددهم خدّاماً في الجنّة»[٣].

❖ ❖ ❖

باب

إدخال السرور علىٰ المؤمن

[١٦٦٣] ١. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «من سرّ مؤمناً فقد سرّني، ومن سرّني فقد سرّ الله»[٤].

[١٦٦٤] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من أحبّ الأعمال إلىٰ الله تعالىٰ إدخال السرور علىٰ المؤمن؛ إشباع جوعته، أو تنفيس كربته، أو قضاء دينه»[٥].

[١٦٦٥] ٣. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّ فيما ناجىٰ الله تعالىٰ به عبده موسىٰ عليه السلام قال: إنّ لي عباداً أُبيحهم جنّتي وأُحكّمهم فيها، قال: ياربّ، ومن هؤلاء الذين تبيحهم جنّتك، وتحكّمهم فيها؟ قال: من أدخل علىٰ مؤمن سروراً، ثم قال: إنّ مؤمناً كان في مملكة جبّار، فولع به، فهرب منه إلىٰ دار الشرك، فنزل برجل من أهل الشرك فأظلّه وأرفقه وأضافه، فلمّا حضره الموت أوحىٰ الله تعالىٰ إليه: وعزّتي وجلالي، لو كان لك في جنّتي مسكن لأسكنتك فيها، ولكنّها محرّمة علىٰ من مات بي مشركاً، ولكن يانار هيديه ولا تؤذيه، ويؤتىٰ برزقه طرفي النهار» قيل: من الجنّة؟ قال: «من حيث شاء الله»[٦].

---

١. الكافي ٢: ٢٠٧ / ٧.
٢. الكافي ٢: ٢٠٧ / ٩.
٣. الكافي ٢: ٢٠٧ / ١.
٤. الكافي ٢: ١٨٨ / ٢.
٥. الكافي ٢: ٨٢ / ١٩٢ / ١٦.
٦. الكافي ٢: ١٨٨ / ٣.

◁ **بيان**

«أحكّمهم» من التحكيم، أي أجعلهم حكّاماً «ولع» استخفّ «هيديه» أي أزعجيه وأفزعيه وحرّكيه وأصلحيه.

[١٦٦٦] ٤. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ داود: إنّ العبد من عبادي ليأتيني بالحسنة فأُبيحه جنّتي، فقال داود: ياربّ، وما تلك الحسنة؟ قال: يدخل علىٰ عبدي المؤمن سروراً ولو بتمرة، قال داود: ياربّ حقّ لمن عرفك أن لا يقطع رجاءه منك»[1].

[١٦٦٧] ٥. **الكافي: عنه** عليه السلام: «لا يرىٰ أحدكم إذا أدخل علىٰ مؤمن سروراً أنّه عليه أدخله فقط، بل والله علينا، بل والله علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله»[2].

[١٦٦٨] ٦. **الكافي: عنه** عليه السلام **سئل عن حقّ المؤمن علىٰ المؤمن، فقال:** «حقّ المؤمن علىٰ المؤمن أعظم من ذلك، لو حدّثتكم لكفرتم، إنّ المؤمن إذا خرج من قبره خرج معه مثال من قبره يقول له: أبشر بالكرامة من الله والسرور، فيقول له: بشّرك الله بخير، قال: ثم يمضي معه يبشّره بمثل ما قال، وإذا مرّ بهول قال: ليس هذا لك. وإذا مرّ بخير قال: هذا لك، فلا يزال معه يؤمنه مما يخاف ويبشّره بما يحبّ حتىٰ يقف معه بين يدي الله تعالىٰ، فإذا أمر به إلىٰ الجنّة قال له المثال: أبشر فانّ الله تعالىٰ قد أمر بك إلىٰ الجنّة، قال: فيقول: من أنت رحمك الله، تبشّرني من حين خرجت من قبري، وآنستني في طريقي، وخبّرتني عن ربي؟ قال فيقول: أنا السرور الذي كنت تدخله علىٰ إخوانك في الدنيا، خلقت منه لأُبشّرك وأُونس وحشتك»[3].

❖ ❖ ❖

باب

قضاء حاجة المؤمن

[١٦٦٩] ١. **الكافي: المفضّل عن أبي عبدالله** عليه السلام **قال: قال لي:** «يا مفضّل، إسمع ما أقول لك،

---

١. الكافي ٢: ١٨٩ / ٥.
٢. الكافي ٢: ١٨٩ / ٦.
٣. الكافي ٢: ١٩١ / ١٠.

واعلم أنّه الحقّ وافعله وأخبر به عِلْيَةَ إخوانك».

قلت: جعلت فداك، وما علية إخواني؟ قال: «الراغبون في قضاء حوائج إخوانهم».

قال: ثم قال: «ومن قضىٰ لأخيه المؤمن حاجة قضىٰ الله تعالىٰ له يوم القيامة مائة ألف حاجة من ذلك أوّلها الجنّة، ومن ذلك أن يدخل قرابته ومعارفه وإخوانه الجنّة بعد أن لا يكونوا نصّاباً» **وكان المفضّل إذا سأل الحاجة أخاً من إخوانه، قال له: أما تشتهي أن تكون من علية الإخوان؟**[1].

◁ **بيان**

«علية إخوانك» بكسر المهملة وإسكان اللام: أي شريفهم ورفيعهم، جمع عليّ، كصِبْية وصبيّ.

[١٦٧٠] **٢. الكافي: عنه** عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ خلق خلقاً من خلقه انتجبهم لقضاء حوائج فقراء شيعتنا ليثيبهم علىٰ ذلك الجنّة، فإن استطعت أن تكون منهم فكن».

ثم قال: «لنا والله ربّ نعبده لا نشرك به شيئاً»[2].

◁ **بيان**

لعلّ المراد بآخر الحديث أنهم عليهم السلام لا يطلبون حوائجهم إلىٰ أحد سوىٰ الله سبحانه، وأنّهم منزّهون عن ذلك.

[١٦٧١] **٣. الكافي: عنه** عليه السلام: «قضاء حاجة المؤمن خير من عتق ألف رقبة، وخير من حملان ألف فرس في سبيل الله»[3].

[١٦٧٢] **٤. الكافي: عنه** عليه السلام: «لقضاء حاجة امرئ مؤمن أحبّ إلىٰ الله تعالىٰ من عشرين حجّة، كلّ حجّة ينفق فيها صاحبها مائة ألف»[4].

[١٦٧٣] **٥. الكافي: عنه** عليه السلام: «من طاف بالبيت أُسبوعاً كتب الله له ستّة آلاف حسنة، ومحا

---

١. الكافي ٢: ١٩٢ / ١.
٢. الكافي ٢: ١٩٣ / ٢.
٣. الكافي ٢: ١٩٣ / ٤.
٤. الكافي ٢: ١٩٣ / ٣.

عنه ستّة آلاف سيّئة، ورفع له ستّة آلاف درجة، وقضىٰ له ستة آلاف حاجة».

ثم قال: «وقضاء حاجة المؤمن أفضل من طواف وطواف» حتىٰ عدّ عشراً[1].

[١٦٧٤] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «تنافسوا في المعروف لإخوانكم، وكونوا من أهله، فإنّ للجنّة باباً يقال له المعروف لا يدخله إلّا من اصطنع المعروف في الحياة الدنيا، فإنّ العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن فيوكّل الله به ملكين، واحداً عن يمينه، وآخر عن شماله، يستغفران له ربّه، يدعوان بقضاء حاجته».

ثم قال: «والله لرسول الله صلى الله عليه وآله أسرّ بقضاء حاجة المؤمن إذا وصلت إليه من صاحب الحاجة»[2].

[١٦٧٥] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «ما قضىٰ مسلم لمسلم حاجة إلّا ناداه الله: عليّ ثوابك، ولا أرضىٰ لك بدون الجنّة»[3].

[١٦٧٦] ٨. الكافي: عن الكاظم عليه السلام: «من أتاه أخوه المؤمن في حاجة فإنّما هي رحمة من الله ساقها إليه، فإن قبل ذلك فقد وصله بولايتنا، وهو موصول بولاية الله عزّوجلّ، وإن ردّه عن حاجته وهو يقدر علىٰ قضائها، سلّط الله عليه شجاعاً من نار ينهشه في قبره إلىٰ يوم القيامة مغفوراً له أو معذّباً، فإن عذره الطالب كان أسوأ حالاً».

وقال: «من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله فلم يجره بعد أن يقدر عليه، فقد قطع ولاية الله»[4].

وفي رواية: «وإن ردّه عن حاجته وهو يقدر علىٰ قضائها، فإنّما ردّ عن نفسه رحمة من الله ساقها إليه وسبّبها له، وذخر الله تعالىٰ تلك الرحمة إلىٰ يوم القيامة حتىٰ يكون المردود عن حاجته هو الحاكم فيها، إن شاء صرفها إلىٰ نفسه، وإن شاء صرفها إلىٰ غيره»[5].

---

١. الكافي ٢: ١٩٤ / ٦.
٢. الكافي ٢: ١٩٥ / ١٠.
٣. الكافي ٢: ١٩٦ / ١٣.
٤. الكافي ٢: ٣٦٧ / ٤.
٥. الكافي ٢: ١٩٣ / ٥.

◁ **بيان**

إنما كان المعذور أسوأ حالاً لأنّ العاذر لحسن خلقه وكرمه أحقّ بقضاء الحاجة ممّن لا يعذر، فردّ قضاء حاجته أشنع، والندم عليه أعظم، والحسرة عليه أدوم، ووجه آخر وهو أنّه إذا عذره لا يشكوه ولا يغتابه، فيبقىٰ حقّه عليه سالماً إلىٰ يوم الحساب عمّا يعارضه ويقاصّ به.

[١٦٧٧] ٩. **الكافي: عن الباقر** عليه السلام: «إنّ المؤمن لترد عليه الحاجة لأخيه، فلا يكون عنده، فيهتمّ بها قلبه، فيدخله الله تعالىٰ بهمّه الجنّة»[١].

❖ ❖ ❖

باب

السعي في حاجة المؤمن

[١٦٧٨] ١. **الكافي: عن الباقر** عليه السلام: «أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليه السلام: إنّ من عبادي من يتقرّب إليّ بالحسنة فأُحكمه في الجنة. فقال موسىٰ: ياربّ وما تلك الحسنة؟ قال: يمشي مع أخيه المؤمن في حاجته، قضيت أو لم تقض»[٢].

[١٦٧٩] ٢. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «من مشىٰ في حاجة أخيه المؤمن يطلب بذلك ما عند الله حتىٰ تقضىٰ له، كتب الله له بذلك مثل أجر حجّة وعمرة مبرورتين وصوم شهرين من أشهر الحرام واعتكافهما في المسجد الحرام، ومن مشىٰ فيها بنيّة ولم تقض، كتب الله له بذلك مثل حجّة مبرورة، فارغبوا في الخير»[٣].

[١٦٨٠] ٣. **الكافي: عن الباقر** عليه السلام: «من مشىٰ في حاجة أخيه المسلم أظلّه الله تعالىٰ بخمسة وسبعين ألف ملك، ولم يرفع قدماً إلّا كتب الله له حسنة وحطّ عنه بها سيئة ويرفع له بها درجة، فإذا فرغ من حاجة كتب الله تعالىٰ له بها أجر حاجّ ومعتمر»[٤].

---

١. الكافي ٢: ١٩٦ / ١٤.
٢. الكافي ٦: ٣٢٦ / ٦.
٣. الكافي ٤: ٤١٥ / ٧.
٤. الكافي ٢: ١٩٧ / ٣.

[١٦٨١] ٤. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «لأن أمشي في حاجة أخ لي مسلم أحبّ إليّ من أن أعتق ألف نسمة، وأحمل في سبيل الله على ألف فرس مسرجة ملجمة»[١].

[١٦٨٢] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «من سعى في حاجة أخيه المسلم طلب وجه الله تعالى، كتب الله له ألف ألف حسنة، يغفر فيها لأقاربه وجيرانه وإخوانه ومعارفه، ومن صنع إليه معروفاً في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة، قيل له: ادخل النار، فمن وجدته فيها صنع إليك معروفاً في الدنيا فأخرجه بإذن الله تعالى إلّا أن يكون ناصباً»[٢].

[١٦٨٣] ٦. الكافي: عن الرضا عليه السلام: «إنّ لله عباداً في الأرض يسعون في حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة، ومن أدخل على مؤمن سروراً فرّح الله قلبه يوم القيامة»[٣].

[١٦٨٤] ٧. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «كفى بالمرء اعتماداً على أخيه أن ينزل به حاجته»[٤].

[١٦٨٥] ٨. الفقيه: ميمون بن مهران، قال: كنت جالساً عند الحسن بن عليّ عليه السلام فأتاه رجل فقال له: يابن رسول الله، إنّ فلاناً له عليّ مال فيريد أن يحبسني؟ فقال: «والله ما عندي مال فأقضي عنك»، قال: فكلّمه، قال: فلبس عليه السلام نعله، فقلت له: يابن رسول الله، أنسيت اعتكافك؟ فقال له: «لم أنس، ولكنّي سمعت أبي عليه السلام يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: من سعى في حاجة أخيه المسلم فكأنّما عبد الله تسعة آلاف سنة صائماً نهاره قائماً ليله»[٥].

[١٦٨٦] ٩. الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: «قال الله تعالى: الخلق عيالي، فأحبّهم إليّ ألطفهم بهم وأسعاهم في حوائجهم»[٦].

❖ ❖ ❖

---

١. الكافي ٢: ١٩٧ / ٤.
٢. الكافي ٢: ١٩٧ / ٦.
٣. الكافي ٢: ١٩٧ / ٢.
٤. الكافي ٢: ١٩٨ / ٨.
٥. الفقيه ٢: ١٩٠ / ٢١٠٨.
٦. الكافي ٢: ١٩٩ / ١٠.

باب
تفريج كربة المؤمن

[١٦٨٧] ١. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «من أغاث أخاه المؤمن اللّهفان اللّهثان عند جهده فنفّس كربته وأعانه علىٰ نجاح حاجته، كتب الله تعالىٰ له بذلك ثنتين وسبعين رحمة من الله، يعجّل له منها واحدة يصلح بها أمر معيشته، ويدّخر له إحدىٰ وسبعين رحمة لأفزاع يوم القيامة وأهواله»[١].

◁ **بيان**

«اللهفان»: المظلوم المضطر يستغيث «واللهثان» العطشان.

[١٦٨٨] ٢. **الكافي: عن النبيّ** صلى الله عليه وآله: «من أعان مؤمناً نفّس الله تعالىٰ عنه ثلاثاً وسبعين كربة، واحدة في الدنيا وثنتين وسبعين كربة عند كربته العظمىٰ» **قال**: «حيث يتشاغل الناس بأنفسهم»[٢].

[١٦٨٩] ٣. **الكافي: عن الرضا** عليه السلام: «من فرّج عن مؤمن، فرّج الله قلبه يوم القيامة»[٣].

[١٦٩٠] ٤. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «من نفّس عن مؤمن كربة، نفّس الله عنه كرب الآخرة، وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد»[٤].

[١٦٩١] ٥. **الكافي: عنه** عليه السلام: «أيّما مؤمن نفّس عن مؤمن كربه وهو معسر، يسّر الله له حوائجه في الدنيا والآخرة».

قال: «ومن ستر علىٰ مؤمن عورة يخافها، ستر الله عليه سبعين عورة من عورات الدنيا والآخرة».

قال: «والله في عون المؤمن ما كان المؤمن في عون أخيه، فانتفعوا في العظة،

---

١. الكافي ٢: ١٩٩ / ١.
٢. الكافي ٢: ١٩٩ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٢٠٠ / ٤.
٤. الكافي ٢: ١٩٩ / ٣.

وأرغبوا في الخير»[١].

❖ ❖ ❖

باب
الإطعام والسّقي

[١٦٩٢] ١. الكافي: عن السجاد عليه السلام: «من أطعم مؤمناً من جوع أطعمه الله من ثمار الجنّة، ومن سقىٰ مؤمناً من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم»[٢].

[١٦٩٣] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من أطعم مؤمناً حتىٰ يشبعه، لم يدر أحد من خلق الله ما له من الأجر في الآخرة ولا ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل إلّا الله ربّ العالمين».

ثم قال: «من موجبات المغفرة إطعام المسلم السّغبان» ثم تلا قول الله تعالىٰ: ﴿أو طعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة ومسكيناً ذا متربة﴾[٣].

◁ بيان

«السغبان» الجائع.

[١٦٩٤] ٣. الكافي: الحسين بن نعيم الصحّاف، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «أتحبّ إخوانك ياحسين؟» قلت: نعم، قال: «تنفع فقراءهم؟» قلت: نعم، قال: «أما إنّه لحقّ عليك أن تحبّ من يحبّ الله، أما والله لا تنفع منهم أحداً حتىٰ تحبّه، أتدعوهم إلىٰ منزلك؟» قلت: ما آكل إلّا ومعي منهم الرجلان والثلاثة والأقلّ والأكثر، فقال أبو عبدالله عليه السلام: «أما إنّ فضلهم عليك أعظم من فضلك عليهم».

قلت: جعلت فداك، أطعمهم طعامي، وأوطنهم رحلي، ويكون فضلهم عليّ أعظم؟ قال: «نعم، إنّهم إذا دخلوا منزلك دخلوا بمغفرتك ومغفرة عيالك، وإذا خرجوا من منزلك خرجوا بذنوبك وذنوب عيالك»[٤].

---

١. الكافي ٢: ٢٠٠ / ٥.
٢. الكافي ٢: ٢٠١ / ٥.
٣. الكافي ٢: ٢٠١ / ٦، والآية من سورة البلد (٩٠): ١٤ ـ ١٦.
٤. الكافي ٢: ٢٠١ / ٨.

وفي رواية: «إنّهم إذا دخلوا إليك دخلوا برزق من الله كثير، وإذا خرجوا خرجوا بالمغفرة لك»[١].

[١٦٩٥] ٤. الكافي: سدير الصَيرفي، قال: قال لي أبو عبدالله ﷺ: «ما منعك أن تعتق كلّ يوم نسمة؟» قلت: لا يحتمل مالي ذلك، قال: «تطعم كل يوم مسلماً» فقلت: موسراً أو معسراً؟! قال: فقال: «إن الموسر قد يشتهي الطعام»[٢].

[١٦٩٦] ٥. الكافي: عنه ﷺ: «أُكلة يأكلها أخي المسلم عندي أحبّ إليّ من أن أعتق رقبة»[٣].

◁ بيان

«الأُكلة» بالضم: اللقمة.

[١٦٩٧] ٦. الكافي: عنه ﷺ: «من أطعم مؤمناً موسراً كان له يعدل رقبة من ولد إسماعيل ينقذهم من الذبح، ومن أطعم مؤمناً محتاجاً كان له يعدل مائة رقبة من ولد إسماعيل ينقذهم من الذبح»[٤].

[١٦٩٨] ٧. الكافي: عنه ﷺ: «لأن أطعم مؤمناً محتاجاً أحبّ إليّ من أن أزوره، ولأن أزوره أحبّ إليّ من أن أعتق عشر رقاب»[٥].

[١٦٩٩] ٨. الكافي: عنه ﷺ: «من أطعم أخاه في الله كان له من الأجر مثل من أطعم فئاماً من الناس[٦]» قيل: وما الفئام؟ قال: «ماءة ألف من الناس»[٧].

[١٧٠٠] ٩. الكافي: عنه ﷺ: «ما أرىٰ شيئاً يعدل زيارة المؤمن إلّا إطعامه، وحقّ علىٰ الله أن يطعم من أطعم مؤمناً من طعام الجنّة»[٨].

---

١. الكافي ٢: ٢٠١ / ٩.
٢. الكافي ٢: ٢٠٢ / ١٢.
٣. الكافي ٢: ٢٠٣ / ١٣.
٤. الكافي ٢: ٢٠٣ / ١٩.
٥. الكافي ٢: ٢٠٣ / ١٨.
٦. الفئام بالفاء مهموزاً: الجماعة من الناس.
٧. الكافي ٢: ٢٠٢ / ١١.
٨. الكافي ٢: ٢٠٣ / ١٧.

[١٧٠١] ١٠. الكافي: عن الكاظم عليه السلام: «إنّما تنزل المعونة على القوم على قدر مؤنتهم، وإنّ الضيف لينزل بالقوم فينزل رزقه معه في حجره»[١].

[١٧٠٢] ١١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «المنجيات: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام»[٢].

[١٧٠٣] ١٢. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّ الله يحبّ إهراق الدماء وإطعام الطعام»[٣].

[١٧٠٤] ١٣. الكافي: عنه عليه السلام: «انّ الله يحبّ إبراد الكبد الحرّىٰ، ومن سقىٰ الماء كبداً حرّىٰ من بهيمة وغيرها أظلّه الله يوم لا ظلّ إلّا ظلّه»[٤].

[١٧٠٥] ١٤. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من سقىٰ الماء في موضع يوجد فيه الماء كان كمن أعتق رقبة، ومن سقىٰ الماء في موضع لا يوجد فيه الماء كان كمن أحيا نفساً، ومن أحيىٰ نفساً فكأنّما أحيا الناس جميعاً»[٥].

❖ ❖ ❖

باب
الكسوة

[١٧٠٦] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من كسا أخاه كسوة شتاء أو صيف كان حقّاً علىٰ الله أن يكسوه من ثياب الجنّة، وأن يهوّن عليه من سكرات الموت، وأن يوسّع عليه في قبره، وأن يلقىٰ الملائكة إذا خرج من قبره بالبشرىٰ، وهو قول الله تعالىٰ في كتابه: ﴿وتتلقّاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾»[٦].

---

١. الكافي ٦: ٢٨٤ / ٢.
٢. الكافي ٤: ٥١ / ٥.
٣. الكافي ٤: ٥١ / ٦.
٤. الكافي ٤: ٥٨ / ٦.
٥. الكافي ٤: ٥٧ / ٣.
٦. الكافي ٢: ٢٠٤ / ١؛ والآية من سورة الأنبياء (٢١): ١٠٣.

[١٧٠٧] ٢. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «من كسا أحداً من فقراء المسلمين ثوباً من عري. أو أعانه بشيء مما يقوته من معيشة، وكّل الله به سبعة آلاف ملك من الملائكة يستغفرون لكلّ ذنب عمله إلىٰ أن ينفخ في الصور»[١].

[١٧٠٨] ٣. الكافي: عن الصادق ﷺ: «من كسا مؤمناً ثوباً من عري كساه الله من استبرق الجنّة، ومن كسا مؤمناً ثوباً من غنىٰ لم يزل في ستر من الله ما بقي من الثوب خرقة»[٢].

❖ ❖ ❖

باب
الترحّم لليتيم

[١٧٠٩] ١. الفقيه: عن الصادق ﷺ: «ما من عبد يمسح يده علىٰ رأس يتيم ترحّماً له إلّا أعطاه الله تعالىٰ بكلّ شعرة نوراً يوم القيامة»[٣].

وروي أنّه: «كتب الله له بكلّ شعرة مرّت عليها يده حسنة»[٤].

[١٧١٠] ٢. الفقيه: عنه ﷺ: «إذا بكىٰ اليتيم اهتزّ له العرش، فيقول الله تعالىٰ: من هذا الذي أبكىٰ عبدي الذي سلبته أبويه في صغره؟! فوعزّتي وجلالي وارتفاعي في مكاني لا يسكّنه عبد مؤمن إلّا أوجبت له الجنة»[٥].

[١٧١١] ٣. الفقيه: عن النبيّ ﷺ: «من أنكر منكم قساوة قلبه، فليدن يتيماً فيلاطفه، وليمسح رأسه يلين قلبه بإذن الله عزّوجلّ، فإنّ لليتيم حقّاً»[٦].

وروي أنّه قال: «يقعده علىٰ خِوانه ويمسح رأسه يلين قلبه بإذن الله عزّوجلّ»[٧].

❖ ❖ ❖

---

١. الكافي ٢: ٢٠٤ / ٢.
٢. الكافي ٢: ٢٠٥ / ٥.
٣. الفقيه ١: ١٨٨ / ١٢.
٤. الفقيه ١: ١٨٨ / ١٣.
٥. الفقيه ١: ١٨٨ / ١٥.
٦. الفقيه ١: ١٨٨ / ١٤.
٧. الفقيه ١: ١٨٨ / ذيل ١٤.

باب
تفاصيل الحقوق لكلّ ذي حقّ

[١٧١٢] ١. الفقيه: عن السجّاد عليه السلام: «حقّ الله الأكبر عليك أن تعبده لا تشرك به شيئاً، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة. وحقّ نفسك عليك أن تستعملها بطاعة الله عزّوجلّ.

وحقّ اللسان إكرامه عن الخنا وتعويده الخير وترك الفضول التي لا فائدة لها، والبرّ بالنّاس وحسن القول فيهم. وحقّ السمع تنزيهه عن سماع الغيبة وسماع ما لا يحلّ سماعه. وحقّ البصر أن تغضّه عمّا لا يحلّ لك ويعتبر بالنظر به. وحقّ يدك أن لا تبسطها إلى ما لا يحلّ لك. وحقّ رجليك أن لا تمشي بهما إلى ما لا يحلّ لك، فبهما تقف على الصراط فانظر أن لا تزلّ بك فتردى في النار. وحقّ بطنك أن لا تجعله وعاءً للحرام، ولا تزيد على الشبع. وحقّ فرجك أن تحصنه عن الزنا، وتحفظه من أن ينظر إليه.

وحقّ الصلاة أن تعلم أنّها وفادة إلى الله تعالى وأنت فيها قائم بين يدي الله تبارك وتعالى، فإذا علمت ذلك قمت مقام العبد الذليل الحقير الراغب الراهب الراجي الخائف المستكين المتضرّع المعظم لمن كان بين يديه بالسكون والوقار، وتقبل عليها بقلبك، وتقيمها بحدودها وحقوقها. وحقّ الحج أن تعلم أنّه وفادة إلى ربّك وفرار إليه من ذنوبك، وفيه قبول توبتك وقضاء الفرض الذي أوجبه الله تعالى عليك. وحقّ الصوم أن تعلم أنّه حجاب ضربه الله عزّوجلّ على لسانك وسمعك وبصرك وبطنك وفرجك ليسترك به من النار، فإن تركت الصوم خرقت ستر الله عزّوجلّ عليك.

وحقّ الصدقة أن تعلم أنّها ذخرك عند ربّك، ووديعتك التي لا تحتاج إلى الإشهاد عليها، وكنت لما تستودعه سرّاً أوثق منك بما تستودعه علانية، وتعلم أنّها تدفع عنك البلايا والأسقام في الدنيا وتدفع عنك النار في الآخرة. وحقّ الهدي أن تريد به الله عزّوجلّ، ولا تريد به خلقه، ولا تريد به إلّا التعرّض لرحمة الله سبحانه

ونجاة روحك يوم تلقاه.

وحقّ السلطان أن تعلم أنّك جعلت له فتنة وأنّه مبتلىٰ فيك بما جعله الله له عليك من السلطان، وإنّ عليك أن لا تتعرّض لسخطه فتلقي بيدك إلىٰ التهلكة، وتكون شريكاً له فيما يأتي إليك من سوء. وحقّ سائسك بالعلم التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، وأن لا ترفع عليه صوتك، ولا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتىٰ يكون هو الذي يجيب، ولا تحدّث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدوّاً، ولا تعادي له وليّاً، فإذا فعلت ذلك شهدت لك ملائكة الله بأنّك قصدته وتعلّمت علمه لله جلّ اسمه لا للناس. وأما حقّ سائسك بالملك فأن تطيعه ولا تعصيه إلّا فيما يسخط الله تعالىٰ فإنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وأمّا حقّ رعيتك بالسلطان فأن تعلم أنّهم صاروا رعيّتك لضعفهم وقوّتك، فيجب أن تعدل فيهم، وتكون لهم كالوالد الرحيم، وتغفر لهم جهلهم ولا تعاجلهم بالعقوبة، وتشكر الله عزّوجلّ علىٰ ما آتاك من القوّة عليهم. وأمّا حق رعيتك بالعلم فأن تعلم أنّ الله عزّوجلّ إنّما جعلك قيّماً لهم فيما آتاك من العلم وفتح لك من خزائنه، فإن أحسست في تعليم الناس ولم تخرق بهم ولم تضجر عليهم زادك الله من فضله، وإن أنت منعت الناس علمك أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك، كان حقّاً علىٰ الله عزّوجلّ أن يسلبك العلم وبهاءه، ويسقط من القلوب محلّك.

وأمّا حقّ الزوجة فأن تعلم أنّ الله تعالىٰ جعلها لك سكناً وأُنساً، فتعلم أنّ ذلك نعمة من الله تعالىٰ عليك، فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقّك عليها أوجب، فإنّ لها عليك أن ترحمها لأنّها أسيرتك، وتطعمها وتكسوها، وإذا جهلت عفوت عنها.

وأمّا حقّ مملوكك فأن تعلم أنّه خلق ربّك، وابن أبيك وأُمك ولحمك ودمك، لم تملكه لأنّك صنعته دون الله، ولا خلقت شيئاً من جوارحه، ولا أخرجت له رزقاً، ولكنّ الله تعالىٰ كفاك ذلك، ثم سخّره لك وائتمنك عليه واستودعك إيّاه ليحفظ لك ما تأتيه من خير إليه، فأحسن إليه كما أحسن الله إليك، وإن كرهته استبدلت به ولم تعذّب خلق الله تعالىٰ ولا قوّة إلّا بالله.

وحقّ أُمّك أن تعلم أنّها حملتك حيث لا يحتمل أحد أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحد أحداً، ووقتك بجميع جوارحها، ولم تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك وتعرىٰ وتكسوك، وتضحىٰ وتظلّك، وتهجر النوم لأجلك، ووقتك الحرّ والبرد لتكون لها، فإنّك لا تطيق شكرها إلّا بعون الله وتوفيقه.

وأما حقّ أبيك فأن تعلم أنّه أصلك، فإنّك لولاه لم تكن، فمهما رأيت من نفسك ما يعجبك، فاعلم أنّ أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله واشكره علىٰ قدر ذلك، ولا قوّة إلّا بالله.

وأمّا حق ولدك فأن تعلم أنّه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشرّه، وأنّك مسؤول عمّا وليته من حسن الأدب، والدلالة علىٰ ربّه عزّوجلّ، والمعونة له علىٰ طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنّه مثاب علىٰ الإحسان إليه ومعاقب علىٰ الإساءة إليه.

وأما حقّ أخيك فأن تعلم أنّه يدك وعزّك وقوّتك، فلا تتّخذه سلاحاً علىٰ معصية الله، ولا عدّة للظلم علىٰ خلق الله، ولا تدع نصرته علىٰ عدوّه والنصيحة له، فإن أطاع الله تعالىٰ، وإلّا فليكن الله أكرم عليك منه، ولا قوة إلّا بالله.

وأمّا حقّ مولاك المنعم عليك فأن تعلم أنّه أنفق فيك ماله، وأخرجك من ذلّ الرق ووحشته إلىٰ عزّ الحرية وأُنسها، فأطلقها من أسر الملكة، وفكّ عنها قيد العبودية، وأخرجك من السجن، وملّكك نفسك، وفرّغك لعبادة ربّك، وتعلم أنّه أولىٰ الخلق بك في حياتك وموتك، وأنّ نصرته عليك واجبة بنفسك وما احتاج إليه منك، ولا قوة إلّا بالله.

وأمّا حقّ مولاك الذي أنعمت عليه فأنّك تعلم أنّ الله عزّوجلّ جعل عتقك له وسيلة إليه وحجاباً لك من النار، وأنّ ثوابك في العاجل ميراثه إذا لم يكن له رحم مكافأة لما أنفقت من مالك، وفي الآجل الجنّة.

وأمّا حقّ ذي المعروف عليك فأن تشكره، وتذكر معروفه، وتكسبه المقالة الحسنة، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله تعالىٰ، وإذا فعلت ذلك كنت قد

شكرته سرّاً وعلانية، ثم إن قدرت علىٰ مكافأته يوماً كافيته. وحقّ المؤذّن أن تعلم أنّه مذكّر لك ربّك عزّوجلّ، وداع لك إلىٰ حظّك، وعونك علىٰ قضاء فرض الله عليك، فاشكره علىٰ ذلك شكر المحسن إليك.

وأمّا حقّ إمامك في صلاتك فأن تعلم أنّه تقلّد السفارة فيما بينك وبين ربّك عزّوجلّ، وتكلّم عنك ولم تتكلّم عنه، ودعا لك ولم تدع له، وكفاك هول المقام بين يدي الله عزّوجلّ، فإن كان نقص كان به دونك، وإن كان تماماً كنت شريكه، ولم يكن له عليك فضل، فوقىٰ نفسك بنفسه، وصلاتك بصلاته، فتشكر له علىٰ قدر ذلك.

وأمّا حقّ جليسك فأن تلين له جانبك وتنصفه في مجازاة اللفظ، ولا تقوم من مجلسك إلّا بإذنه، ومن يجلس إليك يجوز له القيام عنك بغير إذنك، وتنسىٰ زلّاته، وتحفظ خيراته ولا تسمعه إلّا خيراً.

وأمّا حقّ جارك فحفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونصرته إذا كان مظلوماً، ولا تتبّع له عورة، فإن علمت عليه سوءاً سترته عليه، وإن علمت أنّه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه، ولا تسلمه عند شديدة، وتقيل عثرته، وتغفر ذنبه، وتعاشره معاشرة كريمة، ولا قوّة إلّا بالله.

وأمّا حقّ الصاحب فأن تصحبه بالتفضّل والإنصاف، وتكرمه كما يكرمك، ولا تدعه يسبق إلىٰ مكرمة، فإن سبق كافيته، وتودّه كما يودّك، وتزجره عمّا يهمّ به من معصيته، وكن عليه رحمة ولا تكن عليه عذاباً، ولا قوّة إلّا بالله.

وأمّا حقّ الشريك فإن غاب كفيته، وإن حضر رعيته، ولا تحكم دون حكمه، ولا تعمل برأيك دون مناظرته، وتحفظ عليه ماله، ولا تخنه فيما عزّ أو هان من أمره، فإنّ يد الله علىٰ الشريكين ما لم يتخاونا، ولا قوّة إلّا بالله.

وأمّا حقّ مالك فأن لا تأخذه إلّا من حلّه، ولا تنفقه إلّا في وجهه، ولا تؤثر علىٰ نفسك من لا يحمدك، فاعمل به بطاعة ربّك، ولا تبخل به فتبوء بالحسرة والندامة مع التبعة، ولا قوّة إلّا بالله.

وأمّا حقّ غريمك الذي يطالبك، فإن كنت موسراً أعطيته، وإن كنت معسراً

أرضيته بحسن القول ورددته عن نفسك رداً لطيفاً. وحقّ الخليط أن لا تغرّه ولا تغشّه ولا تخدعه وتتّقي الله في أمره. وحقّ الخصم المدّعي عليك فإن كان ما يدّعي عليك حقّاً كنت شاهده علىٰ نفسك ولم تظلمه، وأوفيته حقّه، وإن كان ما يدّعىٰ باطلاً رفقت به ولم تأت في أمره غير الرفق، ولم تسخط ربّك في أمره، ولا قوّة إلّا بالله.

وحقّ خصمك الذي تدّعي عليه، إن كنت محقّاً في دعواك أجملت مقاولته، ولم تجحد حقّه، وإن كنت مبطلاً في دعواك اتّقيت الله عزّوجلّ وتبت إليه وتركت الدعوىٰ.

وحقّ المستشير إن علمت له رأياً حسناً أشرت عليه، وإن لم تعلم له أرشدته إلىٰ من يعلم. وحقّ المشير عليك أن لا تتهمّه فيما لا يوافقك من رأيه، وإن وافقك حمدت الله عزّوجلّ.

وحقّ المستنصح أن تؤدّي إليه النصيحة، وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به. وحقّ الناصح أن تلين له جناحك، وتصغي إليه بسمعك، فإن أتىٰ بالصواب حمدت الله تعالىٰ، وإن لم يوافق رحمته ولم تتّهمه، وعلمت أنّه أخطأ، ولم تؤاخذه بذلك إلّا أن يكون مستحقّاً للتهمة، فلا تعبأ بشيء من أمره علىٰ حال، ولا قوّة إلّا بالله.

وحقّ الكبير توقيره لسنّه، وإجلاله لتقدّمه في الإسلام قبلك، وترك مقابلته عند الخصام، ولا تسبقه إلىٰ طريق، ولا تتقدّمه، ولا تستجهله، وإن جهل عليك احتملته وأكرمته لحق الإسلام وحرمته. وحقّ الصغير رحمته في تعليمه، والعفو عنه، والستّر عليه، والرفق به، والمعونة له.

وحقّ السائل إعطاؤه علىٰ قدر حاجته. وحقّ المسؤول إن أعطىٰ فاقبل منه بالشكر والمعرفة بفضله، وإن منع فاقبل عذره.

وحقّ من سرّك لله تعالىٰ أن تحمد الله أوّلاً ثم تشكره. وحقّ من أساءك أن تعفو عنه، وإن علمت أنّ العفو يضرّ انتصرت، قال الله تعالىٰ: ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك

ما عليهم من سبيل»[١].

وحقّ أهل ملّتك إضمار السلامة والرحمة لهم، والرفق بمسيئهم، وتألّفهم، واستصلاحهم، وشكر محسنهم، وكفّ الأذىٰ عنهم، وتحبّ لهم ما تحبّ لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن يكون شيوخهم بمنزلة أبيك، وشبابهم بمنزلة إخوتك، وعجائزهم بمنزلة أُمّك، والصغار بمنزلة أولادك. وحقّ أهل الذّمة أن تقبل منهم، ما قبل الله منهم ولا تظلمهم ما وفوا لله عزّوجلّ بعهده»[٢].

■

١. الشورى ٤٢: ٤١.
٢. الفقيه ٢: ٦١٨ / ٣٢١٤.

أبواب سوء المعاشرة

باب

جوامع سوء المعاشرة

[١٧١٣] ١. **الكافي: عن النبيّ** ﷺ: «ألا أخبركم بشرار رجالكم؟» **فقالوا: بلىٰ يارسول الله، فقال:** «إنّ من شرار رجالكم البهّات الجريّ الفحّاش، الآكل وحده، المانع رفده، والضّارب عبده، والملجئ عياله إلىٰ غيره»[١].

◁ **بيان**

«البهّات» المفتري، والقائل علىٰ الرجل ما ليس فيه، ويقال للمجادل المحيّر المسكت.

[١٧١٤] ٢. **الكافي: عنه** ﷺ: «ألا أخبركم بأبعدكم منّي شبهاً؟» **قالوا: بلىٰ يارسول الله، قال:** «الفاحش المتفحّش، البذيّ البخيل، المختال الحقود الحسود القاسي القلب، البعيد من كلّ خير يرجىٰ، غير المأمون من كلّ شرّ يتقى»[٢].

◁ **بيان**

«البذيّ» المتكلّم بالقبيح.

[١٧١٥] ٣. **الكافي: عنه** ﷺ: «ألا أخبركم بشراركم؟» قالوا: بلىٰ يارسول الله، قال: «الذي يمنع رفده ويضرب عبده ويتزوّد وحده». **فظنّوا أنّ الله تعالىٰ لم يخلق خلقاً هو شرّ من هذا، ثم قال: «ألا أخبركم بمن هو شرّ من ذلك؟» قالوا: بلىٰ يارسول الله، قال:** «الذي لا يرجىٰ

---

١. الكافي ٢: ٢٩٢ / ١٣.
٢. الكافي ٢: ٢٩١ / ٩.

خيره، ولا يؤمن شرّه»، فظنّوا أنّ الله لم يخلق خلقاً هو شرّ من هذا، ثم قال: «ألا أخبركم بمن هو شرّ من ذلك؟» قالوا: بلىٰ يارسول الله، قال: «المتفحش اللّعان الذي إذا ذكر عنده المؤمنون لعنهم، وإذا ذكروه لعنوه»[١].

[١٧١٦] ٤. الفقيه: قال الصادق عليه السلام: «ثلاث من كنّ فيه فلا يرجىٰ خيره أبداً: من لم يخش الله في الغيب، ولم يرعو عند الشّيب، ولم يستح من العيب»[٢].

❖ ❖ ❖

باب
العقوق

[١٧١٧] ١. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «كن بارّاً واقتصر علىٰ الجنّة، وإن كنت عاقّاً فظّاً فاقتصر علىٰ النار»[٣].

[١٧١٨] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة كشف غطاء من أغطية الجنّة، فوجد ريحها من كانت له روح من مسيرة خمسمائة عام إلّا صنفاً واحداً». قيل: من هم؟ قال: «العاقّ لوالديه»[٤].

[١٧١٩] ٣. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «فوق كلّ ذي برّ برّ، حتىٰ يقتل الرجل في سبيل الله، فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه برّ، وإنّ فوق كلّ عقوق عقوقاً، حتىٰ يقتل الرجل أحد والديه، فإذا فعل ذلك فليس فوقه عقوق»[٥].

[١٧٢٠] ٤. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «أدنىٰ العقوق أُفّ، ولو علم الله تعالىٰ شيئاً هو أهون منه لنهىٰ عنه»[٦].

---

١. الكافي ٢: ٢٩٠ / ٧.
٢. الفقيه ٣: ٥٥٨ / ٤٩١٨.
٣. الكافي ٢: ٣٤٨ / ٢.
٤. الكافي ٢: ٣٤٨ / ٣.
٥. الكافي ٢: ٣٤٨ / ٤.
٦. الكافي ٢: ٣٤٨ / ١.

وفي رواية: «ومن العقوق أن ينظر الرجل إلىٰ والديه فيحدّ النظر إليهما»[١].

[١٧٢١] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «من نظر إلىٰ أبويه نظر ماقت وهما ظالمان له، لم يقبل الله له صلاة»[٢].

[١٧٢٢] ٦. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّ أبي نظر إلىٰ رجل ومعه ابنه يمشي، والابن متّكئ علىٰ ذراع الأب» قال: «فما كلّمه أبي مقتاً له حتىٰ فارق الدنيا»[٣].

❖ ❖ ❖

باب

قطيعة الرحم

[١٧٢٣] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «اتّقوا الحالقة فإنّها تميت الرجال»، قيل: وما الحالقة؟ قال: «قطيعة الرحم»[٤].

[١٧٢٤] ٢. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حديث: «ألا وإنّ في التباغض الحالقة، لا أعني حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين»[٥].

[١٧٢٥] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ رجلاً من خثعم جاء إلىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: أيّ الأعمال أبغض إلىٰ الله تعالىٰ؟ فقال: الشرك بالله، قال: ثم ماذا؟ قال: قطيعة الرحم، قال: ثم ماذا؟ قال: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف»[٦].

[١٧٢٦] ٤. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «لا تقطع رحمك وإن قطعتك»[٧].

---

١. الكافي ٢: ٣٤٩ / ٧.
٢. الكافي ٢: ٣٤٩ / ٥.
٣. الكافي ٢: ٣٤٩ / ٨.
٤. الكافي ٢: ٣٤٦ / ٢.
٥. الكافي ٢: ٣٤٦ / ١.
٦. الكافي ٢: ٢٩٠ / ٤.
٧. الكافي ٢: ٣٤٧ / ٦.

[١٧٢٧] ٥. الكافي: عن الصادق عليه السلام شكا إليه رجل أقاربه، فقال له: «اكظم غيظك وافعل» فقال: إنهم يفعلون ويفعلون؟ فقال: «أتريد أن تكون مثلهم فلا ينظر الله إليكم»[١].

[١٧٢٨] ٦. الكافي: بعض أصحابنا عنه عليه السلام قال: قلت له: إنّ إخوتي وبني عمّي قد ضيّقوا عليّ الدار، وألجأوني منها إلىٰ بيت، ولو تكلّمت أخذت ما في أيديهم؟ قال: فقال لي: «اصبر فإنّ الله سيجعل لك فرجاً»، قال: فانصرفت ووقع الوباء في سنة إحدىٰ وثلاثين، فماتوا والله كلّهم فما بقي أحد منهم، قال: فخرجت فلما دخلت عليه قال: «ما حال أهل بيتك؟» قال: قلت: قد ماتوا والله كلّهم، فما بقي منهم أحد، فقال: «هو ممّا صنعوا بك، ولعقوقهم إياك وقطع رحمهم بتروا، أتحبّ أنهم بقوا وأنهم ضيّقوا عليك؟» قال قلت: إي والله[٢].

[١٧٢٩] ٧. الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: «في كتاب عليّ عليه السلام: ثلاث خصال لا يموت صاحبهنّ أبداً حتىٰ يرىٰ وبالهنّ: البغي، وقطيعة الرحم، واليمين الكاذبة يبارز الله بها، وإنّ أعجل الطاعات ثواباً لصلة الرحم، وإنّ القوم ليكونون فجّاراً فيتواصلون فتنمو أموالهم ويثرون، وإنّ اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لتذرن الديار بلاقع من أهلها، وتنقل الرحم، وإنّ نقل الرحم انقطاع النسل»[٣].

◁ **بيان**

«البلقعة» الأرض القفر التي لا شيء بها، يعني أنّ الحالف كاذباً والقاطع رحماً يفتقران، ويفرّق الله شملهما، ويغيّر عليهما ما أولاهما من نعمة.

❖ ❖ ❖

باب

الهجرة

[١٧٣٠] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «لا يفترق رجلان علىٰ الهجران إلّا استوجب أحدهما

---

١. الكافي ٢: ٣٤٧/ ٥.
٢. الكافي ٢: ٣٤٦/ ٣.
٣. الكافي ٢: ٣٤٧/ ٤.

البراءة واللعنة، وربّما استوجب ذلك كلاهما»، فقيل له: هذا الظالم، فما بال المظلوم؟ قال: «لأنّه لا يدعو أخاه إلىٰ صلته، ولا يتعامس[١] له عن كلامه، سمعت أبي عليه السلام يقول: إذا تنازع اثنان فعازّ أحدهما الآخر، فليرجع المظلوم إلىٰ صاحبه، حتىٰ يقول لصاحبه: أي أخي أنا الظالم، حتىٰ يقطع الهجران بينه وبين صاحبه، فإنّ الله حكم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم»[٢].

◁ **بيان**

«التعامس» بالمهملتين: التغافل «عازّه» بالعين المهملة والزاي المشدّدة: غالبه.

[١٧٣١] ٢. **الكافي: عن النبي صلى الله عليه وآله:** «أيّما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان، إلّا كانا خارجين من الإسلام، ولم يكن بينهما ولاية، فأيّهما سبق إلىٰ كلام صاحبه، كان السابق إلىٰ الجنّة يوم الحساب»[٣].

[١٧٣٢] ٣. **الكافي: عنه صلى الله عليه وآله:** «لا هجرة فوق ثلاث»[٤].

[١٧٣٣] ٤. **الكافي: عن الباقر عليه السلام:** «إنّ الشيطان يغري بين المؤمنين ما لم يرجع أحدهم عن دينه، فإذا فعلوا ذلك استلقىٰ علىٰ قفاه وتمدّد، ثم قال: فزت، فرحم الله امرءاً ألّف بين وليّين لنا، يامعاشر المؤمنين تألّفوا وتعاطفوا»[٥].

[١٧٣٤] ٥. **الكافي: عن الصادق عليه السلام:** «لا يزال إبليس فرحاً ما تهاجر المسلمان، فإذا التقيا، اصطكّت ركبتاه، وتخلّعت أوصاله، ونادىٰ: ياويله ما لقي من الثبور»[٦].

[١٧٣٥] ٦. **الكافي: عنه عليه السلام سئل عن الرجل يصرم ذا قرابته ممّن لا يعرف الحقّ؟ قال:** «لا ينبغي له أن يصرمه»[٧].

---

١. في نسخة: يتقامس.
٢. الكافي ٢: ٣٤٤ / ١.
٣. الكافي ٢: ٣٤٥ / ٢.
٤. الكافي ٢: ٣٤٥ / ٦.
٥. الكافي ٢: ٣٤٤ / ٢.
٦. الكافي ٢: ٣٤٦ / ٧.
٧. الكافي ٢: ٣٤٤ / ٣.

باب

المكر والغدر وخلف الوعد

[١٧٣٦] ١. **الكافي: عن النبيّ** ﷺ: «ليس منّا من ماكر مسلماً»[١].

[١٧٣٧] ٢. **الكافي: قال أمير المؤمنين** ﷺ: «لولا أنّ المكر والخديعة في النار، لكنت أمكر الناس»[٢].

[١٧٣٨] ٣. **الكافي: عنه** ﷺ: «لولا كراهية الغدر لكنت من أدهىٰ العرب، ألا إنّ لكلّ غدرة فجرة، ولكلّ فجرة كفرة، ألا وإنّ الغدر والفجور والخيانة في النار»[٣].

◁ **بيان**

«الغدرة» ضدّ الوفاء «والدهاء» جودة الرأي «والفجرة» بالفتح: الانبعاث في المعاصي والزنا «والكفرة» بالفتح: الكفر، والتاء في ثلاثتها للوحدة.

[١٧٣٩] ٤. **الكافي: عن النبيّ** ﷺ: «يجيئ كلّ غادر يوم القيامة بإمام مائل شدقه حتىٰ يدخل النار، ويجيئ كلّ ناكث بيعة امام أجذم حتىٰ يدخل النار»[٤].

[١٧٤٠] ٥. **الكافي: عن الصادق** ﷺ: «عدة المؤمن أخاه نذر، ولا كفّارة له، فمن أخلف فبخلف الله تعالىٰ بدأ، ولمقته تعرّض، وذلك قوله تعالىٰ: **«يا أيّها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون»**»[٥].

[١٧٤١] ٦. **الكافي: عن النبيّ** ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليف إذا وعد»[٦].

❖ ❖ ❖

---

١. الكافي ٢: ٣٣٧ / ٣.
٢. الكافي ٢: ٣٣٦ / ١.
٣. الكافي ٢: ٣٣٨ / ٦.
٤. الكافي ٢: ٣٣٧ / ٢.
٥. الكافي ٢: ٣٦٣ / ١؛ والآية من سورة الصف (٦١): ٣.
٦. الكافي ٢: ٣٦٤ / ٢.

باب
الكذب

[١٧٤٢] ١. **الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام:** «لا يجد عبد طعم الإيمان حتىٰ يترك الكذب، هزله وجدّه»[١].

[١٧٤٣] ٢. **الكافي: عن السجّاد عليه السلام:** «اتّقوا الكذب الصغير منه والكبير في كلّ جدّ وهزل، فإنّ الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ علىٰ الكبير، أما علمتم أنّ رسول‌الله صلى الله عليه وآله قال: ما يزال العبد يصدق حتىٰ يكتبه الله صدّيقاً، ولا يزال العبد يكذب حتىٰ يكتبه الله كذّاباً»[٢].

[١٧٤٤] ٣. **الكافي: عن الباقر عليه السلام:** «إنّ الله جعل للشر أقفالاً، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شرّ من الشراب»[٣].

[١٧٤٥] ٤. **الكافي: عنه عليه السلام:** «إنّ أول من يكذّب الكذّاب، الله، ثم الملكان اللذان معه، ثم يعلم أنّه كذّاب»[٤].

[١٧٤٦] ٥. **الكافي: سئل الصادق عليه السلام: الكذّاب هو الذي يكذب في الشيء؟ قال:** «لا، مامن أحد إلّا يكون ذلك منه، ولكن المطبوع علىٰ الكذب»[٥].

[١٧٤٧] ٦. **الكافي: عنه عليه السلام قال:** «قال عيسىٰ بن مريم عليه السلام: من كثر كذبه ذهب بهاؤه»[٦].

[١٧٤٨] ٧. **الكافي: عنه عليه السلام:** «إنّ ممّن ينتحل هذا الأمر ليكذب حتىٰ أنّ الشيطان ليحتاج إلىٰ كذبه»[٧].

---

١. الكافي ٢: ٣٤٠ / ١١.
٢. الكافي ٢: ٣٣٨ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٣٣٩ / ٣.
٤. الكافي ٢: ٣٣٩ / ٦.
٥. الكافي ٢: ٣٤٠ / ١٢.
٦. الكافي ٢: ٣٤١ / ١٣.
٧. الكافي ٨: ٢٥٤ / ٣٦٢.

[١٧٤٩] ٨. **الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ ممّا أعان الله به على الكذّابين النسيان»**[١].

◁ **بيان**

يعني أنّ النسيان سبب فضيحتهم، وذلك لأنّهم ربّما قالوا شيئاً فنسوا أنّهم قالوه، فيقولون خلاف ما قالوه أولاً فيفتضحون.

[١٧٥٠] ٩. **التهذيب: عنه عليه السلام: الرجل يكون صائماً فيقال له: أصائم أنت؟ فيقول: لا؟ فقال عليه السلام: «هذا كذب»**[٢].

[١٧٥١] ١٠. **الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إيّاكم والكذب، فإنّ كلّ راجٍ طالب، وكلّ خائف هارب»**[٣].

◁ **بيان**

أراد عليه السلام لا تكذبوا في ادّعائكم الرجاء والخوف من الله سبحانه، وذلك لأنّ كلّ راجٍ طالب لما يرجو ساعٍ في أسبابه، وأنتم لستم كذلك، وكلّ خائف هارب ممّا يخاف منه مجتنب ما يقرّبه منه، وأنتم لستم كذلك، وقد مرّ في معناه في باب الخوف والرجاء.

❖ ❖ ❖

باب

كذب مدّعي الرئاسة

[١٧٥٢] ١. **الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ الكذّاب يهلك بالبيّنات، ويهلك أتباعه بالشبهات»**[٤].

◁ **بيان**

أُريد بالكذّاب مدّعي الرئاسة، وسبب هلاكه بالبيّنات افتاؤه بغير علم مع علمه بجهله، وسبب هلاك أتباعه بالشبهات تجويزهم كونه عالماً، وعدم قطعهم بجهله،

---

١. الكافي ٢: ٣٤١ / ١٥.
٢. التهذيب ٤: ٣١٩ / ٩٧٣.
٣. الكافي ٢: ٣٤٣ / ٢١.
٤. الكافي ٢: ٣٣٩ / ٧.

فهم في شبهة من أمره.

[١٧٥٣] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ آية الكذّاب بأن يخبرك خبر السماء والأرض والمشرق والمغرب، فإذا سألته عن حرام الله وحلاله لم يكن عنده شيء»[١].

◁ بيان

وذلك لأنّ العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه لا يحصل لأحد إلّا بالتقوىٰ وتهذيب السرّ عن رذائل الأخلاق، قال الله تعالىٰ: ﴿واتّقوا الله ويعلّمكم الله﴾[٢] ولا تحصل التقوىٰ إلّا بالاقتصار علىٰ الحلال والاجتناب عن الحرام، ولا يتيسّر ذلك إلّا بالعلم بالحلال والحرام، فمن أخبر عن شيءٍ من حقائق الأشياء ولم يكن عنده معرفة بالحلال والحرام، فهو لا محالة كذّاب يدّعي ما ليس له.

[١٧٥٤] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الكذبة لتفطر الصائم». قيل: وأيّنا لا يكون ذلك منه؟ قال: «ليس حيث تذهب، إنّما ذلك الكذب علىٰ الله وعلىٰ رسوله وعلىٰ الأئمّة عليهم السلام»[٣].

[١٧٥٥] ٤. الكافي: عنه عليه السلام قال: «الكذب علىٰ الله وعلىٰ رسوله من الكبائر»[٤].

[١٧٥٦] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «الحائك ملعون، وذلك الذي يحوك الكذب علىٰ الله وعلىٰ رسوله صلى الله عليه وآله»[٥].

[١٧٥٧] ٦. الكافي: عن الباقر عليه السلام قال لأبي النعمان: «لا تكذب علينا كذبة فتسلب الحنيفيّة، ولا تطلبن أن تكون رأساً فتكون ذنباً، ولا تستأكل الناس بنا فتفتقر، فإنّك موقوف لا محالة مسؤول، وإن صدقت صدّقناك، وإن كذبت كذّبناك»[٦].

❖ ❖ ❖

---

١. الكافي ٢: ٣٤٠/ ٨.
٢. البقرة (٢): ٢٨٢.
٣. الكافي ٢: ٣٤٠/ ٩.
٤. الكافي ٢: ٣٣٩/ ٥.
٥. الكافي ٢: ٣٤٠/ ١٠.
٦. الكافي ٢: ٣٣٨/ ١.

باب
كذب المصلح

[١٧٥٨] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «الكلام ثلاثة: صدق وكذب وإصلاح بين الناس»، قيل له: ما الاصلاح بين الناس؟ قال: «تسمع من الرجل كلاماً يبلغه فتخبث نفسه فتلقاه فتقول: قد سمعت من فلان فيك من الخير كذا وكذا، خلاف ما سمعت منه»[١].

◁ بيان

«يستمع من الرجل» أي فيه.

[١٧٥٩] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «المصلح ليس بكذّاب»[٢].

وفي رواية: «لا كذب علىٰ مصلح»[٣].

[١٧٦٠] ٣. الكافي: قيل للباقر عليه السلام: إنّ سالم بن أبي حفصة وأصحابه يروون عنك أنك تكلّم علىٰ سبعين وجهاً لك منها المخرج؟ فقال: «ما يريد سالم منّي، أيريد أن أجيئ بالملائكة، والله ما جاءت فيها النبيّون، ولقد قال إبراهيم عليه السلام: ﴿إنّي سقيم﴾[٤] وما كان سقيماً وما كذب، ولقد قال إبراهيم: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾[٥] وما فعله وما كذب ولقد قال يوسف عليه السلام: ﴿أيّتها العير إنّكم لسارقون﴾[٦] والله ما كانوا سارقين وما كذب»[٧].

◁ بيان

كأنّ سالماً عاب الإمام عليه بأنّه ربّما يتكلّم بكلام فيبلغ من لم يرتض بلوغه إليه فيأخذ في إنكاره فيتأوّله معنىً آخر غير ما أراد به أولاً، وهذا كذب منه، فأجاب عليه السلام بأنّ اقتداره علىٰ ذلك دليل علىٰ وفور علمه، وكونه حجّة من الله سبحانه، وأنّه لا يحتاج في ذلك إلىٰ أن يجيئ بالملائكة، كيف والأنبياء لم يأتوا بذلك! ثم بيّن عليه السلام أنّ

---

١. الكافي ٢: ٣٤١/ ١٦.
٢. الكافي ٢: ٣٤١/ ١٩.
٣. الكافي ٢: ٣٤٣/ ٢٢.
٤. الصافات (٣٧): ٨٨ ـ ٨٩.
٥. الأنبياء (٢١): ٦٣.
٦. يوسف (١٢): ٧٠.
٧. الكافي ٨: ١٠٠/ ٧٠.

المصلحة إذا اقتضت تأويل الكلام على خلاف ما يستفاد من ظاهره جاز ذلك، وليس بكذب، وقد صدر مثله عن الأنبياء عليهم السلام.

[١٧٦١] ٤. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «كلّ كذب مسؤول عنه صاحبه إلّا في ثلاثة: رجل كائد في حربه فهو موضوع عنه، أو رجل أصلح بين اثنين يلقىٰ هذا بغير ما يلقىٰ به هذا، يريد بذلك الإصلاح فيما بينهما، أو رجل وعد أهله شيئاً وهو لا يريد أن يتمّ لهم»[١].

❖ ❖ ❖

باب
مخالفة السرّ والعلن

[١٧٦٢] ١. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «من لقي المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة وله لسانان من نار»[٢].

[١٧٦٣] ٢. **الكافي: عن الباقر** عليه السلام: «بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهداً، ويأكله غائباً، إن أُعطي حسده، وإن ابتلي خذله»[٣].

◁ **بيان**

«يطري أخاه» يحسن الثناء عليه.

[١٧٦٤] ٣. **الكافي: قال**: «قال الله تعالىٰ لعيسىٰ بن مريم عليه السلام: ياعيسىٰ، ليكن لسانك في السرّ والعلانية لساناً واحداً، وكذلك قلبك، إنّي أُحذّرك نفسك وكفىٰ بي خبيراً، لا يصلح لسانان في فمٍ واحد، ولا سيفان في غمد واحد، ولا قلبان في صدرٍ واحد، وكذلك الأذهان»[٤].

❖ ❖ ❖

---

١. الكافي ٢: ٣٤٢ / ١٨.
٢. الكافي ٢: ٣٤٣ / ١.
٣. الكافي ٢: ٣٤٣ / ٢.
٤. الكافي ٢: ٣٤٣ / ٣.

باب

المراء والخصومة والمعاداة

[١٧٦٥] ١. **الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام:** «إيّاكم والمراء والخصومة، فإنّهما يمرضان القلوب علىٰ الإخوان، وينبت عليهما النفاق»[١].

◁ **بيان**

«المراء» الجدال والاعتراض علىٰ كلام الغير من غير غرض ديني.

[١٧٦٦] ٢. **الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله:** «ثلاث من لقي الله بهنّ دخل الجنّة من أيّ باب شاء: من حسن خلقه، وخشي الله في المغيب والمحضر، وترك المراء وإن كان محقّاً»[٢].

[١٧٦٧] ٣. **الكافي: قال:** «من نصب الله غرضاً للخصومات، أوشك أن يكثر الانتقال» من الحقّ إلىٰ الباطل[٣].

◁ **بيان**

وذلك لأنّ الجدال في الله والخوض في آيات الله يورثان الشكوك والشّبه، كما ترىٰ ممّن يرتكبها من أبناء زماننا ممّن يزعم أنّه من طلبة العلم، قال الله تعالىٰ: ﴿**ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدىً ولا كتاب منير**﴾[٤] وقال جلّ شأنه: ﴿**وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتىٰ يخوضوا في حديث غيره إنّك إذاً مثلهم**﴾[٥] إلىٰ غير ذلك من الآيات.

[١٧٦٨] ٤. **الكافي: عن الصادق عليه السلام:** «لا تمارينّ حليماً ولا سفيهاً، فإنّ الحليم يقلبك، والسفيه يؤذيك»[٦].

[١٧٦٩] ٥. **الكافي: عنه عليه السلام:** «إيّاكم والخصومة فانّها تشتغل القلب، وتورث النفاق،

---

١. الكافي ٢: ٣٠٠/ ١.
٢. الكافي ٢: ٣٠٠/ ٢.
٣. الكافي ٢: ٣٠١/ ٣ قوله «من الحقّ إلى الباطل» ليس في نسخ الكافي وشروحه، فلعلّه بيان وتفسير من المصنّف رحمه الله لما قبلها.
٤. الحج (٢٢): ٨، ولقمان (٣١): ٢٠.
٥. الأنعام (٦): ٦٨.
٦. الكافي ٢: ٣٠١/ ٤.

وتكسب الضغائن»[1].

[١٧٧٠] ٦. **الكافي: عنه عليه السلام:** «من زرع العداوة حصد ما بذر»[2].

[١٧٧١] ٧. **الكافي: عن النبي صلى الله عليه وآله:** «ما عهد إليّ جبرئيل عليه السلام قطّ في شيء ما عهد إليّ في معاداة الرجال»[3].

[١٧٧٢] ٨. **الكافي: عنه صلى الله عليه وآله:** «ما أتاني جبرئيل إلّا وعظني، فآخر قوله لي: إيّاك ومشارّة الناس، فإنها تكشف العورة وتذهب بالعزّ»[4].

وفي رواية: «إيّاك وملاحاة الرجال»[5].

◁ **بيان**

«المشارّة» بتشديد الراء بمعنى المخاصمة «والملاحاة» المنازعة.

[١٧٧٣] ٩. **الكافي: عن السجاد عليه السلام كان يقول:** «ويل أُمّة فاسقاً من لا يزال مماريا، وويل أُمّة فاجراً من لا يزال مخاصماً، وويل أُمّة آثماً من كثر كلامه في غير ذات الله»[6].

◁ **بيان**

يعني في غير ما يريد به وجه الله سبحانه.

❖ ❖ ❖

باب
الإذاعة

[١٧٧٤] ١. **الكافي: عن الصادق عليه السلام:** «من أذاع علينا حديثنا سلبه الله الإيمان»[7].

---

١. الكافي ٢: ٣٠١/ ٨.
٢. الكافي ٢: ٣٠٢/ ١٢.
٣. الكافي ٢: ٣٠٢/ ١١.
٤. الكافي ٢: ٣٠٢/ ١٠.
٥. الكافي ٢: ٣٠١/ ٦.
٦. الكافي ٨: ٣٩١/ ٥٨٧.
٧. الكافي ٢: ٣٧٠/ ٣.

وفي رواية: «فهو بمنزلة من جحد حقّنا»[١].

وفي أخرىٰ: «فهو كمن قتلنا عمداً ولم يقتلنا خطأً»[٢].

[١٧٧٥] ٢. الكافي: عنه عليه السلام وتلا هذه الآية: ﴿ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيّين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾[٣] قال: «والله ما قتلوهم بأيديهم، ولا ضربوهم بأسيافهم، ولكنّهم سمعوا أحاديثهم فأذاعوها، فأُخذوا عليها فقتلوا، فصار قتلاً واعتداءً ومعصية»[٤].

[١٧٧٦] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ الله عيّر قوماً بالإذاعة فقال: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به﴾[٥] فإيّاكم والإذاعة»[٦].

[١٧٧٧] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «مذيع السّر شاكّ، وقائله عند غير أهله كافر، ومن تمسّك بالعروة الوثقىٰ فهو ناج»، قيل: وما هو؟ قال «التسليم»[٧].

◁ **بيان**

إنما كان المذيع شاكّاً؛ لأنه في الأغلب إنما يذيع السرّ ليستعلم حقّيته ويستفهم، ولو كان صاحب يقين لما احتاج إلىٰ الإذاعة.

❖ ❖ ❖

باب

السّفه والسّباب

[١٧٧٨] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ السّفه خلق اللّئيم، يستطيل علىٰ من هو دونه،

---

١. الكافي ٢: ٣٧٠ / ٢.
٢. الكافي ٢: ١٦٠ / ٣٧١ / ٩.
٣. البقرة (٢): ٦١.
٤. الكافي ٢: ٣٧١ / ٦.
٥. النساء (٤): ٨٣.
٦. الكافي ٢: ٣٦٩ / ١.
٧. الكافي ٢: ٣٧١ / ١٠.

ويخضع لمن هو فوقه»[1].

◁ **بيان**

«السّفه» ضد الحلم، وأصله الخَفة والحركة.

[١٧٧٩] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «لا تسفهوا فإن أئمتكم ليسوا سفهاء».

وقال عليه السلام: «من كافئ السفيه بالسفه، فقد رضي بما أتىٰ إليه حيث احتذىٰ مثاله»[2].

[١٧٨٠] ٣. الكافي: عن الكاظم عليه السلام في الرجلين يتسابّان، فقال: «البادي منهما أظلم، ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يعتذر إلىٰ المظلوم»[3].

وفي رواية: «ما لم يتعدّ المظلوم»[4].

[١٧٨١] ٤. الكافي: عن الباقر عليه السلام: «إنّ رجلاً من بني تميم أتىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: أوصني، فكان ممّا أوصاه أن قال: لا تسبّوا الناس فتكسبوا العداوة منهم»[5].

[١٧٨٢] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «ما شهد رجل علىٰ رجل بكفر قطّ إلّا باء به أحدهما، إن كان شهد به علىٰ كافر صدق، وإن كان مؤمناً رجع الكفر عليه، فإيّاكم والطعن علىٰ المؤمنين»[6].

[١٧٨٣] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ اللعنة إذا خرجت من في صاحبها تردّدت بينهما، فإن وجدت مساغاً وإلّا رجعت علىٰ صاحبها»[7].

[١٧٨٤] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «ما من إنسان يطعن في عين مؤمن إلّا مات بشرّ ميتة، وكان قمناً ألّا يرجع إلىٰ خير»[8].

---

١. الكافي ٢: ٣٢٢ / ١.
٢. الكافي ٢: ٣٢٢ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٣٦٠ / ٤.
٤. الكافي ٢: ٣٢٢ / ٣.
٥. الكافي ٢: ٣٦٠ / ٣.
٦. الكافي ٢: ٣٦٠ / ٥.
٧. الكافي ٢: ٣٦٠ / ٦.
٨. الكافي ٢: ٣٦١ / ٩.

◁ بيان

«في عين مؤمن» يعني حين ينظر إليه ويراعيه «والقَمِن» ككتف: الخليق الجدير.

[١٧٨٥] ٨. الكافي، الفقيه: عن النبيّ ﷺ: «سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية، وحرمة ماله كحرمة دمه»[١].

❖ ❖ ❖

باب
البذاء والسّلاطة

[١٧٨٦] ١. الكافي: عن النبي ﷺ: «إنّ الله حرّم الجنّة على كلّ فحّاش بذيّ قليل الحياء، لا يبالي ما قال ولا ما قيل له، فإنّك إن فتّشته لم تجده إلّا لغيّة أو شرك شيطان».

فقيل يارسول الله: وفي الناس شرك شيطان؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما تقرأ قول الله تعالى: ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد؟﴾[٢]».

قال الراوي: وسأل رجل فقيهاً: هل في الناس من لا يبالي ما قيل له؟ قال: من تعرّض للناس يشتمهم وهو يعلم أنهم لا يتركونه، فذلك الذي لا يبالي ما قال ولا ما قيل له[٣].

◁ بيان

«لغيّة» بكسر المعجمة وتشديد المثنّاة التحتانية: الزنا، يقال: فلان لغيّة في مقابلة فلان لرشدة بكسر الراء، ومعنى مشاركة الشيطان للإنسان في الأموال حمله إيّاه على تحصيلها من الحرام وإنفاقها فيما لا يجوز، وعلى ما لا يجوز من الإسراف والتقتير والبخل والتبذير، ومشاركته له في الأولاد إدخاله معه في النكاح إذا لم يسّم الله، والنطفة واحدة، كما ورد في الحديث.

[١٧٨٧] ٢. الكافي: عن الباقر ﷺ: «إنّ الله يبغض الفاحش المتفحّش»[٤].

---

١. الكافي ٢: ٣٦٠ / ٢، الفقيه ٤: ٣٧٧ / ٥٧٨١.
٢. الإسراء (١٧): ٦٤.
٣. الكافي ٢: ٣٢٣ / ٣.
٤. الكافي ٢: ٣٢٤ / ٤.

[١٧٨٨] ٣. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ الفحش والبذاء والسّلاطة من النفاق»[١].

◁ بيان
«السّلاطة» شدّة اللسان.

[١٧٨٩] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «البذاء من الجفاء، والجفاء في النار»[٢].

[١٧٩٠] ٤. الكافي: عنه عليه السلام: «إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بينا هو ذات يوم عند عائشة إذ استأذن عليه رجل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بئس أخو العشيرة، فقامت عائشة فدخلت البيت فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا دخل أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله بوجهه وبشره إليه يحدّثه حتىٰ إذا فرغ وخرج من عنده، قالت عائشة: يارسول الله، بينا أنت تذكر هذا الرجل بما ذكرته به إذ أقبلت عليه بوجهك وبشرك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذلك: إنّ من شرار عباد الله من يكره مجالسته لفحشه»[٣].

[١٧٩١] ٥. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «شرّ الناس عند الله تعالىٰ يوم القيامة الذين يُكرمون اتّقاء شرّهم»[٤].

[١٧٩٢] ٦. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ أبغض خلق الله تعالىٰ عبد إتّقىٰ الناس لسانه»[٥].

[١٧٩٣] ٧. الكافي: قال: «من فحش علىٰ أخيه المسلم نزع الله منه بركة رزقه ووكله إلىٰ نفسه، وأفسد عليه معيشته»[٦].

[١٧٩٤] ٨. الكافي: عنه عليه السلام كان له صديق لا يكاد يفارقه إذا ذهب مكاناً، فبينا هو يمشي معه في الحذّائين ومعه غلام له سنديّ يمشي خلفهما، إذ التفت الرجل يريد غلامه ثلاث مرّات فلم يره، فلمّا نظر في الرابعة قال: يابن الفاعلة، أين كنت؟ فرفع أبو عبدالله عليه السلام يده فصكّ بها جبهة نفسه، ثم قال:

---

١. الكافي ٢: ٣٢٥ / ٩.
٢. الكافي ٢: ٣٢٥ / ١٠.
٣. الكافي ٢: ٣٢٦ / ١.
٤. الكافي ٢: ٣٢٦ / ٢.
٥. الكافي ٢: ٢٦٠ / ٢.
٦. الكافي ٢: ٣٢٥ / ١٣.

«سبحان الله تقذف أمّه، قد كنت أريتني أنّ لك ورعاً، فإذا ليس لك ورع».

فقال: جعلت فداك، إنّ أُمه سندية مشركة، فقال: «أما علمت أنّ لكلّ أمّة نكاحاً، تنحّ عنيّ» قال: فما رأيته يمشي معه حتىٰ فرّق بينهما الموت[١].

[١٧٩٥] ٩. الكافي: عن النبيّ ﷺ قال لعائشة: «ياعائشة، إنّ الفحش لو كان مثالاً لكان مثال سوء»[٢].

❖ ❖ ❖

باب
إيذاء المؤمن واحتقاره

[١٧٩٦] ١. الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: «قال الله تعالىٰ: ليأذن بحرب منّي من آذىٰ عبدي المؤمن، وليأمن من غضبي من أكرم عبدي المؤمن»[٣].

◁ بيان

«ليأذن» أي ليعلم.

[١٧٩٧] ٢. الكافي: عنه عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة ينادي مناد: أين المؤذون لأوليائي؟ فيقوم قوم ليس علىٰ وجوههم لحم فيقال: هؤلاء الذين آذوا المؤمنين، ونصبوا لهم وعاندوهم، وعنّفوهم في دينهم، فيؤمر بهم إلىٰ جهنم»[٤].

[١٧٩٨] ٣. الكافي، الفقيه: عنه عليه السلام: «من أعان علىٰ مؤمن بشطر كلمة لقي الله يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله»[٥].

[١٧٩٩] ٤. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «من نظر إلىٰ مؤمن نظرة ليخيفه بها، أخافه الله تعالىٰ يوم

---

١. الكافي ٢: ٥/٣٢٤.
٢. الكافي ٢: ٦/٣٢٤.
٣. الكافي ٢: ١/٣٥٠.
٤. الكافي ٢: ٢/٣٥١.
٥. الكافي ٢: ٢/١٩٩، الفقيه ٤: ٥١٥٧/٩٤.

لا ظلّ إلّا ظلّه»[١].

[١٨٠٠] ٥. **الكافي: عنه** ﷺ **قال:** «قال الله تعالىٰ: قد نابذني من أذلّ عبدي المؤمن»[٢].

◁ **بيان**

«المنابذة» المعاداة جهاراً.

[١٨٠١] ٦. **الكافي: عن الصادق** ﷺ: «من استذلّ مؤمناً واحتقره لقلّة ذات يده ولفقره، شهره الله يوم القيامة علىٰ رؤوس الخلائق»[٣].

[١٨٠٢] ٧. **الكافي: عنه** ﷺ: «من حقّر مؤمناً مسكيناً أو غير مسكين لم يزل الله تعالىٰ له حاقراً ماقتاً حتىٰ يرجع عن محقرته إيّاه»[٤].

❖ ❖ ❖

باب
الظلم

[١٨٠٣] ١. **الكافي: عن الباقر** ﷺ: «الظلم ثلاثة: ظلم يغفره الله تعالىٰ، وظلم لايغفره الله تعالىٰ، وظلم لا يدعه، فأمّا الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك، وأمّا الظلم الذي يغفره الله فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله، وأمّا الظلم الذي لا يدعه فالمداينة بين العباد»[٥].

[١٨٠٤] ٢. **الكافي: عنه** ﷺ: «ما من أحد يظلم بمظلمة إلّا أخذه الله تعالىٰ بها في نفسه أو ماله، وأمّا الظلم الذي بينه وبين الله عزّوجلّ، فإذا تاب غفر له»[٦].

[١٨٠٥] ٣. **الكافي: عنه** ﷺ **سئل: إنّي لم أزل والياً منذ زمن الحجّاج إلىٰ يومي هذا، فهل لي من توبة؟**

---

١. الكافي ٢: ٣٦٨ / ١.
٢. الكافي ٢: ٣٥١ / ٦.
٣. الكافي ٢: ٣٥٣ / ٩.
٤. الكافي ٢: ٣٥١ / ٤.
٥. الكافي ٢: ٣٣٠ / ١.
٦. الكافي ٢: ٣٣٢ / ١٢.

قال: فسكت، ثم أعيد عليه، فقال: «لا، حتىٰ تؤدّي إلىٰ كلّ ذي حقّ حقّه»[١].

[١٨٠٦] ٤. الكافي: عن الصادق عليه السلام في قول الله تعالىٰ: ﴿إنّ ربّك لبالمرصاد﴾[٢] قال: «قنطرة علىٰ الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة»[٣].

[١٨٠٧] ٥. الكافي: عنه عليه السلام: «ما من مظلمة أشدّ من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عوناً إلّا الله تعالىٰ»[٤].

[١٨٠٨] ٦. الكافي: عنه عليه السلام: «من أصبح لا ينوي ظلم أحد، غفر الله له ذنب ذلك اليوم، ما لم يسفك دماً، أو يأكل مال يتيم حراماً»[٥].

[١٨٠٩] ٧. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من خاف القصاص كفّ عن ظلم الناس»[٦].

[١٨١٠] ٨. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «اتّقوا الظلم فإنّه ظلمات يوم القيامة»[٧].

[١٨١١] ٩. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنّ الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ نبيّ من الأنبياء في مملكة جبّار من الجبابرة: أن ائت هذا الجبّار فقل له: إني لم أستعملك علىٰ سفك الدماء واتّخاذ الأموال، وإنّما استعملتك لتكفّ عنّي أصوات المظلومين، وإنّي لن أدع ظلامتهم وإن كانوا كفّاراً»[٨].

[١٨١٢] ١٠. الكافي: عنه عليه السلام: «العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم»[٩].

[١٨١٣] ١١. الكافي: عنه عليه السلام: «من أعان ظالماً سلّط الله عليه من يظلمه، فان دعا لم يستجب

---

١. الكافي ٢: ٣٣١ / ٣.
٢. الفجر (٨٩): ١٤.
٣. الكافي ٢: ٣٣١ / ٢.
٤. الكافي ٢: ٣٣١ / ٤.
٥. الكافي ٢: ٣٣١ / ٧.
٦. الكافي ٢: ٣٣١ / ٦.
٧. الكافي ٢: ٣٣٣ / ١١.
٨. الكافي ٢: ٣٣٣ / ١٤.
٩. الكافي ٢: ٣٣٣ / ١٦.

له، ولم يأجره الله على ظلامته»[١].

[١٨١٤] ١٢. الكافي: عنه ﷺ: «إنّ العبد ليكون مظلوماً، فما يزال يدعو حتى يكون ظالماً»[٢].

◁ بيان

يعني يدعو على ظالمه حتى يربو عليه ويزيد، فيصير الظالم مظلوماً، والمظلوم ظالماً.

[١٨١٥] ١٣. الكافي: عنه ﷺ: «أما إنّه ما ظفر أحد بخير من ظفر بالظلم، أما إنّ المظلوم يأخذ من دين الظالم أكثر ممّا يأخذ الظالم من مال المظلوم».

ثم قال: «من يفعل الشرّ بالناس فلا ينكر الشرّ إذا فعل به، أما إنّه إنّما يحصد ابن آدم ما يزرع، وليس يحصد أحد من المرّ حلواً، ومن الحلو مراً»[٣].

[١٨١٦] ١٤. الكافي: عنه ﷺ: «من ظلم سلّط الله عليه من يظلمه، أو على عقبه، أو على عقب عقبه».

قيل: يظلم هو فيسلّط على عقبه أو على عقب عقبه؟ فقال: «إنّ الله تعالى يقول: ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتّقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾»[٤].

[١٨١٧] ١٥. الكافي: عن الباقر ﷺ: «ما انتصر الله من ظالم إلّا بظالم، وذلك قوله تعالى: ﴿وكذلك نولّي بعض الظالمين بعضاً﴾»[٥].

[١٨١٨] ١٦. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «من ظلم أحداً ففاته، فليستغفر الله تعالى له، فإنّه كفّارة له»[٦].

❖ ❖ ❖

---

١. الكافي ٢: ٣٣٤ / ١٨.
٢. الكافي ٢: ٣٣٣ / ١٧.
٣. الكافي ٢: ٣٣٤ / ٢٢.
٤. الكافي ٢: ٣٣٢ / ١٣، والآية من سورة النساء (٤): ٩. للفيض بيان حول الحديث، راجع الوافي ٥: ١٦٤/٩٦٨.
٥. الكافي ٢: ٣٣٤ / ١٩. والآية من سورة الأنعام (٦): ١٢٩.
٦. الكافي ٢: ٣٣٤ / ٢٠.

باب

طلب عثرات المؤمن وتعييره والشماتة به

[١٨١٩] ١. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «يامعشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان إلىٰ قلبه، لا تذمّوا المسلمين، ولا تتّبعوا عوراتهم، فإنّ من تتبّع عوراتهم تتبّع الله عورته، ومن تتبّع الله عورته يفضحه ولو في بيته»[١].

[١٨٢٠] ٢. الكافي: عنه ﷺ: «من أذاع فاحشة كان كمبتدئها، ومن عيّر مؤمناً بشيء لم يمت حتىٰ يركبه»[٢].

[١٨٢١] ٣. الكافي: عن الباقر ﷺ: «أقرب ما يكون العبد إلىٰ الكفر أن يؤاخي الرجل علىٰ الدّين، فيحصي عليه عثراته وزلّاته، ليعنّفه بها يوماً»[٣].

[١٨٢٢] ٤. الكافي: سئل الصادق ﷺ شيء: يقوله الناس: عورة المؤمن علىٰ المؤمن حرام؟ فقال: «ليس حيث يذهبون، إنّما عنىٰ عورة المؤمن أن يزلّ زلّة أو يتكلّم بشيء يعاب عليه، فيحفظ عليه ليعيّره به يوماً ما»[٤].

وفي رواية: «ما هو أن ينكشف فيرىٰ منه شيئاً، وإنّما هو أن يروي عليه أو يعيبه»[٥].

وفي أخرىٰ: «ليس حيث يذهب، إنّما هو إذاعة سرّه»[٦].

[١٨٢٣] ٥. الكافي: عنه ﷺ: «من لقي أخاه بما يؤنّبه، أنّبه الله في الدنيا والآخرة»[٧].

[١٨٢٤] ٦. الكافي: عنه ﷺ: «لا تبدأ الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويحلّها بك.

وقال: «من شمت بمصيبة نزلت بأخيه لم يخرج من الدنيا حتىٰ يفتتن»[٨].

---

١. الكافي ٢: ٣٥٤ / ٢.
٢. الكافي ٢: ٣٥٦ / ٢.
٣. الكافي ٢: ٣٥٥ / ٣.
٤. التهذيب ١: ١٨ / ١٠.
٥. الكافي ٢: ٣٥٩ / ٣.
٦. الكافي ٢: ٣٥٨ / ٢.
٧. الكافي ٢: ٣٥٦ / ٤.
٨. الكافي ٢: ٣٥٩ / ١.

[١٨٢٥] ٧. الكافي: عنه عليه السلام: «من روىٰ علىٰ مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروءته ليسقط من أعين الناس، أخرجه الله من ولايته إلىٰ ولاية الشيطان، فلا يقبله الشيطان»[١].

[١٨٢٦] ٨. الكافي: قيل للكاظم عليه السلام: الرجل من إخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه، فأسأله عن ذلك فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قوم ثقات؟ فقال: «كذّب سمعك وبصرك عن أخيك، فإن شهد عندك خمسون قسامة، وقال لك قولاً، فصدّقه وكذّبهم، ولا تذيعنّ عليه شيئاً تشينه به، وتعدم به مروءته، فتكون من الذين قال الله في كتابه: ﴿إنّ الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم﴾[٢]».

❖ ❖ ❖

باب
الغيبة والبهت

[١٨٢٧] ١. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الأُكلة في جوفه».

وقال صلى الله عليه وآله: «الجلوس في المسجد انتظارَ الصلاة عبادة ما لم يحدث»، قيل: يارسول الله وما يحدث؟ قال: «الاغتياب»[٣].

◁ بيان

«الأُكلة» بالضم: اللقمة.

[١٨٢٨] ٢. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أُذناه، فهو من الذين قال الله تعالىٰ: ﴿إنّ الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليم﴾»[٤].

[١٨٢٩] ٣. الكافي: عنه عليه السلام: «من بهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه، بعثه الله في طينة خبال

---

١. الكافي ٢: ٣٥٨ / ١.
٢. الكافي ٨: ١٤٧ / ١٢٥، والآية من سورة النور (٢٤): ١٩.
٣. الكافي ٢: ٣٥٦ / ١.
٤. الكافي ٢: ٣٥٧ / ٧، والآية من سورة النور (٢٤): ١٩.

حتّى يخرج ممّا قال». قيل: وما طينة خبال؟ قال: «صديد يخرج من فروج المومسات»[١].

◁ بيان

«المومسة» الفاجرة.

[١٨٣٠] ٤. الكافي: عنه ﷺ: «الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه، وأمّا الأمر الظاهر فيه مثل الحدّة والعجلة فلا، والبهتان أن تقول فيه ما ليس فيه»[٢].

[١٨٣١] ٥. الكافي: عنه ﷺ سئل عن الغيبة قال: «هو أن تقول لأخيك في دينه ما لم يفعل، وتبثّ عليه أمراً قد ستره الله عليه، لم يقم عليه فيه حدّ»[٣].

وفي رواية: «من ذكر رجلاً من خلفه بما هو فيه ممّا لا يعرفه الناس فقد اغتابه»[٤].

[١٨٣٢] ٦. الكافي، الفقيه: عن النبيّ ﷺ سئل ما كفّارة الاغتياب؟ قال: «تستغفر الله لمن اغتبته كلّما ذكرته»[٥].

❖ ❖ ❖

باب
النميمة

[١٨٣٣] ١. الكافي: عن النبيّ ﷺ: «ألا أُنبّئكم بشراركم؟» قالوا: بلىٰ يارسول الله، قال: «المشّاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الأحبّة، الباغون للبراء العيب»[٦].

[١٨٣٤] ٢. الكافي: عن الباقر ﷺ: «يحشر القتّات يوم القيامة وما ندىٰ دماً، فيدفع إليه شبه المحجمة أو فوق ذلك، فيقال له: هذا سهمك من دم فلان، فيقول: ياربّ إنّك لتعلم أنّك قبضتني وما سفكت دماً، فيقال: بلىٰ، سمعت من فلان رواية كذا وكذا فرويتها

---

١. الكافي ٢: ٣٥٧ / ٥.
٢. الكافي ٢: ٣٥٧ / ٧.
٣. الكافي ٢: ٣٥٧ / ٣.
٤. الكافي ٢: ٣٥٨ / ٦.
٥. الكافي ٢: ٣٥٧ / ٤، الفقيه ٣: ٣٧٧ / ٤٣٢٧.
٦. الكافي ٢: ٣٦٩ / ١.

عليه، فنقلت حتىٰ صارت إلىٰ فلان الجبّار فقتله عليها، وهذا سهمك من دمه»[١].

◁ **بيان**

«القنّات» النمّام «ما ندىٰ دماً» أي ما ابتلّ بدم.

[١٨٣٥] ٣. **الكافي: عنه** ﷺ: «محرّمة الجنّة علىٰ العيّابين[٢] المشّائين بالّنميمة»[٣].

❖ ❖ ❖

باب

التّهمة وسوء الظنّ

[١٨٣٦] ١. **الكافي: عن الصادق** ﷺ: «إذا اتّهم المؤمن أخاه إنماث الإيمان من قلبه كما ينماث الملح في الماء»[٤].

[١٨٣٧] ٢. **الكافي: عنه** ﷺ: «من اتّهم أخاه في دينه فلا حرمة بينهما، ومن عامل أخاه بمثل ما عامل به الناس فهو بريٌ مما ينتحل في دينه»[٥].

◁ **بيان**

يعني بريء مما يدّعيه من الأُخوّة والتشيّع.

[١٨٣٨] ٣. **الكافي: عن أمير المؤمنين** ﷺ **في كلام له**: «ضع أمر أخيك علىٰ أحسنه حتىٰ يأتيك ما يقلبك منه، ولا تظنّنّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً»[٦].

[١٨٣٩] ٤. **الكافي: عنه** ﷺ: «من عرّض نفسه للتهمة، فلا يلومنّ من أساء به الظنّ، ومن كتم سرّه كانت الخيرة في يده»[٧].

---

١. الكافي ٢: ٣٧٠ / ٥.
٢. في المصدر: على القنّاتين. والقنّاتِ: النمّام.
٣. الكافي ٢: ٣٦٩ / ٢.
٤. الكافي ٢: ٣٦١ / ١.
٥. الكافي ٢: ٣٦١ / ٢.
٦. الكافي ٢: ٣٦٢ / ٣.
٧. الكافي ٨: ١٥٢ / ١٣٧.

باب
مناصحة المؤمن وإعانته

[١٨٤٠] ١. **الكافي: عن الصادق عليه السلام**: «من مشىٰ في حاجة أخيه ثم لم يناصحه فيها، كان كمن خان الله تعالىٰ ورسوله صلى الله عليه وآله، وكان الله خصمه»[١].

[١٨٤١] ٢. **الكافي: عنه عليه السلام**: «أيّما رجل من أصحابنا استعان به رجل من إخوانه في حاجة فلم يبالغ فيها بكلّ جهده، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين».

قيل: ما تعني بقولك: والمؤمنين؟ قال: «من لدن أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ آخرهم»[٢].

[١٨٤٢] ٣. **الكافي: عنه عليه السلام**: «من استشار أخاه فلم يمحضه الرأي، سلبه الله تعالىٰ رأيه»[٣].

[١٨٤٣] ٤. **الكافي: عنه عليه السلام**: «أيّما رجل من شيعتنا أتاه رجل من إخوانه، فاستعان به في حاجة، فلم يعنه وهو يقدر، ابتلاه الله تعالىٰ بأن يقضي حوائج غيره من أعدائنا، يعذّبه الله عليها يوم القيامة»[٤].

[١٨٤٤] ٥. **الكافي: عن الكاظم عليه السلام**: «من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله، فلم يجره بعد أن يقدر عليه، فقد قطع ولاية الله تعالىٰ»[٥].

[١٨٤٥] ٦. **الكافي: عن الصادق عليه السلام**: «أيّما مؤمن منع مؤمناً شيئاً ممّا يحتاج إليه، وهو قادر عليه من عنده أو من عند غيره، أقامه الله يوم القيامة مسوداً وجهه، مزرقّة عيناه، مغلولة يداه إلىٰ عنقه، فيقال: هذا الخائن الذي خان الله ورسوله، ثم يؤمر به إلىٰ النار»[٦].

[١٨٤٦] ٧. **الكافي: عنه عليه السلام**: «من كانت له دار واحتاج مؤمن إلىٰ سكناها، فمنعه إيّاها، قال الله تعالىٰ: يامَلائكتي، أبخل عبدي علىٰ عبدي بسكنىٰ الدنيا، وعزّتي وجلالي لا يسكن

---

١. الكافي ٢: ٣٦٣ / ٤.
٢. الكافي ٢: ٣٦٢ / ٣.
٣. الكافي ٢: ٣٦٣ / ٥.
٤. الكافي ٢: ٣٦٦ / ٢.
٥. الكافي ٢: ٣٦٦ / ٤.
٦. الكافي ٢: ٣٦٧ / ١.

خبائي أبداً»[١].

[١٨٤٧] ٨. الكافي: عنه ﷺ قال لنفر عنده: «ما لكم تستخفّون بنا؟» فقام إليه رجل من خراسان، فقال: معاذ لوجه الله أن نستخفّ بك أو بشيء من أمرك، فقال: «بلىٰ إنّك أحد من استخفّ بي»، فقال: معاذ لوجه الله أن أستخفّ بك، فقال له: «ويحك ألم تسمع فلاناً ونحن بقرب الجحفة وهو يقول: احملني قدر ميل فقد والله أعييت؟ والله ما رفعت به رأساً، لقد استخففت به، ومن استخفّ بمؤمن فبنا استخفّ، وضيّع حرمة الله عزّوجلّ»[٢].

❖ ❖ ❖

باب
الاحتجاب عن المؤمن

[١٨٤٨] ١. عن الصادق ﷺ: «أيّما مؤمن كان بينه وبين مؤمن حجاب ضرب الله بينه وبين الجنّة سبعين ألف سور، غلظ كلّ سور مسيرة ألف عام ما بين السور إلىٰ السور مسيرة ألف عام»[٣].

[١٨٤٩] ٢. الكافي: عن الباقر ﷺ: «أيّما مسلم أتىٰ مسلماً زائراً أو طالب حاجة وهو في منزله فاستأذن عليه فلم يأذن له ولم يخرج إليه، لم يزل في لعنة الله حتىٰ يلتقيا»[٤].

[١٨٥٠] ٣. الكافي: عن الرضا ﷺ قال: «كان في زمن بني إسرائيل أربعة نفر من المؤمنين، فأتىٰ واحد منهم الثلاثة وهم مجتمعون في منزل أحدهم في مناظرة بينهم، فقرع الباب فخرج إليه الغلام، فقال: أين مولاك؟ فقال: ليس هو في البيت، فرجع الرجل ودخل الغلام إلىٰ مولاه، فقال له: من كان الذي قرع الباب؟ فقال: كان فلان، فقلت له لست في المنزل، فسكت ولم يكترث ولا يلم غلامه، ولا اغتمّ أحد منهم لرجوعه عن الباب، وأقبلوا في حديثهم.

---

١. الكافي ٢: ٣٦٧ / ٣.
٢. الكافي ٨: ١٠٢ / ٧٣.
٣. الكافي ٢: ٣٦٤ / ١.
٤. الكافي ٢: ٣٦٥ / ٤.

فلمّا أن كان من الغد بكّر إليهم الرجل، فأصابهم وقد خرجوا يريدون ضيعة لأحدهم فسلّم عليهم وقال: أنا معكم، فقالوا: نعم، ولم يعتذروا إليه، وكان الرجل محتاجاً ضعيف الحال، فلما كانوا في بعض الطريق إذا غمامة قد أظلّتهم، فظنّوا أنه مطر، فبادروا، فلمّا استوت الغمامة على رؤوسهم إذا منادٍ ينادي من جوف الغمامة: أيّتها النار خذيهم، وأنا جبرئيل رسول الله، فإذا نار من جوف الغمامة قد اختطفت الثلاثة نفر وبقي الرجل مرعوباً يعجب ممّا نزل بالقوم ولا يدري ما السبب، فرجع إلى المدينة فلقي يوشع بن نون، فأخبره الخبر وما رأى وما سمع.

فقال يوشع بن نون: أما علمت أنّ الله تعالى سخط عليهم بعد أن كان منهم راضياً؟ وذلك بفعلهم بك، قال: وما فعلهم بي؟ فحدّثه يوشع، فقال الرجل: فأنا أجعلهم في حلّ وأعفو عنهم، فقال: لو كان هذا قبل لنفعهم، وأمّا الساعة فلا، وعسى أن ينفعهم بعد»[1].

❖ ❖ ❖

باب

طاعة المخلوق في معصية الخالق

[١٨٥١] ١. الكافي، التهذيب: عن النبيّ ﷺ: «من طلب مرضاة الناس بما يسخط الله تعالى كان حامده من الناس ذامّاً، ومن آثر طاعة الله تعالى بما يغضب الناس، كفاه الله عداوة كلّ عدوّ، وحسد كلّ حاسد، وبغي كلّ باغ، وكان الله له ناصراً وظهيراً»[2].

[١٨٥٢] ٢. الكافي: عنه ﷺ: «من أرضى سلطاناً بسخط الله تعالى خرج من دين الله تعالى»[3].

وفي رواية: «خرج من دين الإسلام»[4].

---

١. الكافي ٢: ٣٦٤ / ٢.
٢. الكافي ٢: ٣٧٢ / ٢، التهذيب ٦: ١٧٩ / ٨٠.
٣. الكافي ٢: ٣٧٣ / ٥.
٤. الكافي ٥: ٦٣ / ٢.

[١٨٥٣] ٣. **الكافي: عن الباقر** عليه السلام: «لا دين لمن دان بطاعة من عصىٰ الله تعالىٰ، ولا دين لمن دان بفرية باطل علىٰ الله، ولا دين لمن دان بجحود شيء من آيات الله تعالىٰ»[١].

[١٨٥٤] ٤. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «كتب رجل إلىٰ الحسين عليه السلام: عظني بحرفين، فكتب إليه: من حاول أمراً بمعصية الله، كان أفوت لما يرجو، وأسرع لمجيء ما يحذر»[٢].

❖ ❖ ❖

باب
من يضرّ بنفسه في المعاشرة

[١٨٥٥] ١. **الكافي، الفقيه: عن الصادق** عليه السلام: «إنّ أحقّ الناس بأن يتمنىٰ للناس الغنىٰ البخلاء، لأنّ الناس إذا استغنوا كفّوا عن أموالهم، وإنّ أحقّ الناس بأن يتمنّىٰ للناس الصلاح أهل العيوب، لأنّ الناس إذا صلحوا كفّوا عن تتبّع عيوبهم، وإنّ أحقّ الناس بأن يتمنّىٰ للناس الحلم أهل السّفه الذين يحتاجون أن يعفىٰ عن سفههم، فأصبح أهل البخل يتمنّون فقر الناس، وأصبح أهل العيوب يتمنّون معايب الناس، وأصبح أهل السفه يتمنّون سفه الناس، وفي الفقر الحاجة إلىٰ البخيل، وفي الفساد طلب عورة أهل العيوب، وفي السفه المكافاة بالذنوب»[٣].

[١٨٥٦] ٢. **الفقيه: قال الصادق** عليه السلام: «خمس هنّ كما أقول: ليست لبخيل راحة، ولا لحسود لذّة، ولا لملول وفاء، ولا لكذوب مروءة، ولا يسود سفيه»[٤].

آخر كتاب المعاشرة والحقوق، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً

■

---

١. الكافي ٢: ٣٧٣ / ٤.
٢. الكافي ٢: ٣٧٣ / ٣.
٣. الكافي ٨: ١٧٠ / ١٩١، الفقيه ٤: ٤٠١ / ٥٨٦٢.
٤. الفقيه ٤: ٣٩٤ / ٥٨٣٨.

كتاب
الزيّ والتجمّل

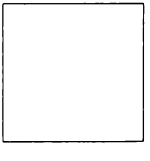

باب

التنظيف والتزيين

[١٨٥٧] ١. الكافي: عن النبيّ ﷺ أنّه أبصر رجلاً شعثاً رأسه، وسخة ثيابه، سيّئة حاله، فقال رسول الله ﷺ: «من الدّين المتعة»[١].

◁ بيان

«المتعة» اسم للتمتّع بالشيء، بمعنى الانتفاع به، يعني أنّ من الدّين أن ينتفع الإنسان بما أنعم الله عليه من النعم.

[١٨٥٨] ٢. الكافي: عنه ﷺ: «بئس العبد القاذورة»[٢].

[١٨٥٩] ٣. الكافي: عنه ﷺ: «من اتّخذ ثوباً فلينظّفه»[٣].

[١٨٦٠] ٤. الكافي: عن أمير المؤمنين ﷺ: «النظيف من الثياب يذهب الهمّ والحزن، وهو طهور للصلاة»[٤].

[١٨٦١] ٥. الكافي: عن الصادق ﷺ: «الثوب النقيّ يكبت العدوّ»[٥].

◁ بيان

«يكبت» بتقديم الموحّدة: أي يذلّه.

[١٨٦٢] ٦. الكافي: عن أمير المؤمنين ﷺ: «ليتزيّن أحدكم لأخيه المسلم كما يتزيّن للغريب

---

١. الكافي ٦: ٤٣٩ / ٥.
٢. الكافي ٦: ٤٣٩ / ٦، والقاذورة من الرجال: الذي لا يبالي ما قال وما صنع.
٣. الكافي ٦: ٤٤١ / ٣.
٤. الكافي ٦: ٤٤٤ / ١٤.
٥. الكافي ٦: ٤٤١ / ١.

الذي يحبّ أن يراه في أحسن الهيئة»[١].

❖ ❖ ❖

باب
الحمّام وآدابه

[١٨٦٣] ١. الكافي، الفقيه: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «نعم البيت الحمّام، يذكّر النار، ويذهب بالدّرن»[٢].

[١٨٦٤] ٢. الكافي، الفقيه: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يدخل الحمّام إلّا بمئزر»[٣].

[١٨٦٥] ٣. التهذيب: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّه نهىٰ أن يدخل الرجل الماء إلّا بمئزر»[٤].

[١٨٦٦] ٤. الفقيه: عن الصادق عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكىٰ لهم﴾[٥] قال: «كلّ ما كان في كتاب الله في ذكر حفظ الفرج فهو من الزنا، إلّا في هذا الموضع، فإنّه الحفظ من أن ينظر إليه»[٦].

[١٨٦٧] ٥. التهذيب: عنه عليه السلام: «لا ينظر الرجل إلىٰ عورة أخيه»[٧].

[١٨٦٨] ٦. الفقيه: عنه عليه السلام: «إذا دخلت الحمّام فقل في الوقت الذي تنزع فيه ثيابك: اللهم انزع عنّي ربقة النّفاق، وثبّتني علىٰ الإيمان. وإذا دخلت البيت الأوّل فقل: اللهم إنّي أعوذ بك من شرّ نفسي، وأستعيذ بك من أذاه. فإذا دخلت البيت الثاني، فقل: اللّهم أذهب عنّي الرجس النجس، وطهّر جسدي وقلبي. وخذ من الماء الحارّ، وضعه علىٰ

---

١. الكافي ٦: ٤٣٩ / ١٠.
٢. الكافي ٦: ٤٩٦ / ١؛ الفقيه ١: ١١٥ / ٢٣٧.
٣. الكافي ٦: ٤٩٧ / ٢، الفقيه ١: ١١٠ / ٢٢٦.
٤. التهذيب ١: ٣٧٣ / ١١٤٥.
٥. النور (٢٤): ٣٠.
٦. الفقيه ١: ١١٤ / ٢٣٥.
٧. الفقيه ١: ١١٣ / ٢٣٢.

هامتك، وصبّ منه علىٰ رجليك، وإن أمكن أن تبلع منه جرعة فافعل، فإنّه ينقّي المثانة، والبث في البيت الثاني ساعة، فإذا دخلت البيت الثالث فقل: نعوذ بالله من النار، ونسأله الجنّة. تردّدها إلىٰ وقت خروجك من البيت الحارّ.

وإيّاك وشرب الماء البارد و الفقّاع في الحمام فإنّه يفسد المعدة، ولا تصبّنّ عليك الماء البارد فإنّه يضعف البدن، وصبّ الماء البارد علىٰ قدميك إذا خرجت فإنّه يسلّ الداء من جسدك، فإذا لبست ثيابك فقل: اللهم ألبسني التقوىٰ وجنّبني الردّىٰ. فإذا فعلت ذلك، أمنت من كلّ داء[1].

◁ **بيان**

الاستعاذة من النار إشارة إلىٰ أنّ المؤمن لابدّ أن يتذكّر بالحمّام حرارة جهنّم و سعيرها، فإنّه أشبه بيت بجهنّم، النار من تحت، و الظلام من فوق، بل العاقل لايغفل عن ذكر الآخرة في لحظة، فإنها مصيره و مستقرّه، فيكون له في كلّ مايراه من ماءٍ أو نار أو غيرهم عبرة و موعظة.

وروي: «ولا تمسح وجهك بالإزار، فإنّه يذهب بماء الوجه»[2].

[١٨٦٩] ٧. **الكافي: عن أمير المؤمنين** عليه السلام: «ألا لا يستلقينّ أحدكم في الحمّام، فإنّه يذيب شحم الكليتين، ولا يدلكنّ رجليه بالخزف، فإنّه يورث الجذام»[3].

وروي: «لا تضطجع في الحمّام، فإنّه يذيب شحم الكليتين»[4].

[١٨٧٠] ٨. **الكافي: عن الصادق** عليه السلام: «لا تدخل الحمّام إلّا وفي جوفك شيء تطفي به عنك وهج المعدة، وهو أقوىٰ للبدن، ولا تدخله وأنت ممتلي من الطعام»[5].

[١٨٧١] ٩. **الكافي، الفقيه: عن الكاظم** عليه السلام: «الحمّام يوم ويوم لا يكثر اللحم، وإدمانه في كل يوم يذيب شحم الكليتين»[6].

---

١. الفقيه ١: ١١٢ / ٢٣٢.
٢. الفقيه ١: ١١٦ / ٢٤٣.
٣. الكافي ٦: ٥٠٠ / ١٩.
٤. الكافي ٦: ٥٠٢ / ٣٤.
٥. الكافي ٦: ٤٩٧ / ٥.
٦. الكافي ٦: ٤٩٦ / ٢، الفقيه ١: ١١٧ / ٢٤٧.

وروي: «إدمانه يورث السّل»[١].

❖ ❖ ❖

باب
النّورة وآدابها

[١٨٧٢] ١. الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «النورة نشرة وطهور للجسد»[٢].

◁ بيان
«النّشرة» بالضم ضرب من الرّقية، والمراد أنّه تعويذ يطرد الشياطين، ويدفع الآفات والأمراض، وذلك لأنّ الشعر مجنّ الشياطين يستترون به كما يأتي، وتتولّد منه الأمراض السوداوية.

[١٨٧٣] ٢. الكافي، الفقيه، التهذيب: عن الصادق عليه السلام: «السنّة في النورة في كلّ خمسة عشر يوماً، فإن أتت عليك عشرون يوماً وليس عندك، فاستقرض على الله تعالى»[٣].

[١٨٧٤] ٣. الكافي، الفقيه: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يترك عانته فوق أربعين يوماً، ولا يحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تدع ذلك منها فوق عشرين يوماً»[٤].

[١٨٧٥] ٤. الكافي: عن الصادق عليه السلام: «طَلْيَة في الصيف خير من عشر في الشتاء»[٥].

[١٨٧٦] ٥. الكافي، الفقيه: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «لا يطوّلنّ أحدكم شعر إبطيه، فإنّ الشيطان يتّخذه مجنّاً يستتر به»[٦].

---

١. التهذيب ١: ٣٧٧ / ١١٦٢.
٢. الكافي ٦: ٥٠٦ / ٧.
٣. الكافي ٦: ٥٠٦ / ٩، الفقيه ١: ١١٩ / ٢٥٩، التهذيب ١: ٣٧٥ / ١١٥٧.
٤. الكافي ٦: ٥٠٦ / ١١، الفقيه ١: ١١٩ / ٢٦٠.
٥. الكافي ٦: ٥٠٦ / ١٢.
٦. الكافي ٦: ٥٠٧ / ١، الفقيه ١: ١٢٠ / ٢٦٥.

[١٨٧٧] ٦. الفقيه: عن الصادق عليه السلام: «حلقه أفضل من نتفه، وطليه أفضل من حلقه»[١].

[١٨٧٨] ٧. الكافي، الفقيه: عنه عليه السلام: «من أراد الإطلاء بالنورة، فأخذ من النورة بإصبعه فشمّه وجعل على طرف أنفه، وقال: صلى الله على سليمان بن داود كما أمرنا بالنورة، لم تحرقه النورة»[٢].

◁ بيان

وذلك لأنّ ابتداء هذه النعمة كان منه عليه السلام بإلهام من الله سبحانه، لمّا رأى الشعر على ساقي بلقيس، وكانوا قبل ذلك يحلقونه.

[١٨٧٩] ٨. الفقيه: عن الكاظم عليه السلام في الجنب يتنوّر؟ قال: «النورة تزيد الجنب نظافة»[٣].

[١٨٨٠] ٩. الكافي، الفقيه: عنه عليه السلام: «ألقوا عنكم الشعر، فإنّه يحسن»[٤].

[١٨٨١] ١٠. الكافي: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «من دخل الحمام فأطلى، ثم أتبعه بالحنّاء من قرنه إلى قدمه، كان أماناً له من الجنون والجذام والبرص والأكلة إلى مثله من النورة»[٥].

وفي رواية: «نفى عنه الفقر»[٦].

[١٨٨٢] ١١. الكافي: عن الصادق عليه السلام سئل: عن التدلّك بالدقيق بعد النورة؟ قال: «لا بأس»، قيل: يزعمون أنّه إسراف؟ فقال: «ليس فيما أصلح البدن إسراف، وإنّي ربّما أمرت بالنّقي فيلتّ لي بالزيت فأتدلّك به، إنّما الإسراف فيما أتلف المال وأضرّ بالبدن»[٧].

[١٨٨٣] ١٢. الفقيه: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ينبغي للرجل أن يتوقّى النورة يوم الأربعاء، فإنّه نحس مستمر، ويجوز النّورة في سائر الأيام»[٨].

---

١. الفقيه ١: ١٢٠ / ٢٦٣.
٢. الكافي ٦: ٥٠٦ / ١٣.
٣. الفقيه ١: ١١٩ / ٢٥٤.
٤. الكافي ٦: ٥٠٥ / ٥، الفقيه ١: ١١٩ / ٢٥٥.
٥. الكافي ٦: ٥٠٩ / ١.
٦. الكافي ٦: ٥٠٩ / ٣.
٧. الكافي ٦: ٤٩٩ / ١٤، الكافي ٤: ٥٣ / ١٠.
٨. الفقيه ١: ١٢٠ / ٢٦٦.